



التعليق المختصر

على القصيدة النونية

المسماة بالكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

للعلامة ابن قيم الجوزية

رحمه الله

تعليق

فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان العبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

الجزء الأول

أشرف على طبعه وإخراجه

عبد السلام بن عبد الله السليمان





المسماة بالكافية الشافية
في الانتصار للفرقة الناجية

للعلامة ابن قيم الجوزية
رحمه الله

تعليق
فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان العبدالله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

أشرف على طبعه وإخراجه
عبدالسلام بن عبدالله السليمان

تنبيه (١) من المعلوم أن الإمام ابن القيم رحمه الله إمام حافظ حجة في الحديث
وقد أورد في مضامين هذه القصيدة (النونية) من الكتاب أحاديث كثيرة
محتجا بها قد يكون لغيره وجهة نظر في بعض أسانيدها. ثم يأتي بعض الباحثين
فيصلحون عليها. شأنهم مع الكتب الأخرى التي تعقبوا مؤلفيها فشوهوها
وأسقطوا احتجاج مؤلفيها أئمة في الحديث رأوها صالحة للاستدلال بها
وإن كان للآخرين رأي آخر فيها ولم يتدخل أحد في تلك الكتب وبقيت لها حرمتها
ومكانتها ولمؤلفيها رأيهم. بينما نرى بعض الباحثين المعاصرين خالفوا هذا المنهج
فسطوا على كتب الأئمة وحرموا أدلتها وأسقطوا الاحتجاج بها وأساؤوا الأدب مع
مؤلفيها وجاءوا بآراء غيرهم ليلزموهم بها فجنوا على كتب العلم. ولا حول ولا قوة إلا بالله.
فالواجب الكف عن هذا العمل واحترام كتب الأئمة لا سيما كتب العقيدة. وبالله التوفيق

تنبيه (٢)

أصل هذا التعليق أنني كنت ألقي دروسا في النونية في المسجد
ثم تسجل هذه الدروس بأشرطة وما كان في نيتي أن تخرج
هذه الدروس على صورة شرح لهذه المنظومة العظيمة
لتقاصر معلوماتي عن ذلك. ولكن فضيلة الشيخ:
عبد السلام السليمان جزاه الله خيرا قام بتفريغ تلك
الأشرطة وتنظيمها على شكل تعليق مختصر فشد من
عزيمتي وقمت بمراجعتها حتى صارت على هذا الشكل
الذي بين يدي القارئ. وعسى أن يكون فيها فائدة ولو
قليلة فهي من جهد المقل كما قال الشاعر:

ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح. وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

كتبه
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
١٩/٨/١٤٢٤هـ

تنبيه (١).
من المعلوم أن الإمام ابن القيم رحمه الله إمام حافظ حجة في الحديث وهو يورد في مضامين هذه القصيدة (النونية) مدلولات أحاديث كثيرة محتجاً بها قد يكون لغيره وجهة نظر في بعض أسانيدها. ثم يأتي بعض الباحثين فيعلق عليها – شأنهم مع الكتب الأخرى التي تعقبوا مؤلفيها فشوهوها وأسقطوا قيمتها مع أن مؤلفيها أئمة في الحديث رأوها صالحة للاستدلال بها وإن كان للآخرين رأي آخر فيها. ولم يتدخل أحد في تلك الكتب وبقيت لها حرمتها ومكانتها ولمؤلفيها رأيهم- بينما نرى بعض الباحثين المعاصرين خالفوا هذا المنهج فسطوا على كتب الأئمة وجرحوا أدلتها وأسقطوا مكانتهاوأساءوا الأدب مع مؤلفيها وجاءوا بآراء غيرهم ليلزموهم بها فجنوا على كتب العلم . ولا حول ولا قوة إلا بالله.
فالواجب الكف عن هذا العمل واحترام كتب الأئمة لا سيما كتب العقيدة . وبالله التوفيق.
تنبيه (٢)
أصل هذا التعليق أنني كنت ألقي دروساً في النونية في المسجد ثم تسجل هذه الدروس بأشرطة وما كان في نيتي أن تخرج هذه الدروس على صورة شرح لهذه المنظومة العظيمة لتقاصر معلوماتي عن ذلك. ولكن فضيلة الشيخ :
عبد السلام السليمان جزاه الله خيراً قام بتفريغ تلك الأشرطة وتنظيمها على شكل تعليق مختصر فشد من عزيمتي وقمت بمراجعتها حتى صارت على هذا الشكل الذي بين يدي القارئ . وعسى أن يكون فيها فائدة ولو قليلة فهي من جهد المقل كما قال الشاعر:

ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
في ١٩/٠٨/١٤٢٤هـ.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

فهذا الكتاب المبارك لشيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان من أنفس الكتب وهو تعليقات على القصيدة النونية للإمام ابن القيم رحمه الله وكان هذا الشرح عبارة عن أشرطة شرحها فضيلته في مسجده في مدينة الرياض فعرضت على فضيلة الشيخ تفريغ هذه الأشرطة فوافق على ذلك وراجعه وأصلحه بما يناسب أن يخرج كتاباً. مع إضافة الأسئلة المهمة التي تتعلق بشرح الكتاب.

أسأل الله أن يجزي شيخنا الشيخ صالح خير الجزاء وأن ينفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

عبد السلام بن عبد الله السليمان

الجمعة ٢٥ شوال ١٤٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناظم

قال المؤلف رحمه الله: «بسم الله الرحمٰن الرحيم: الحمد لله الذي شهدت له بربوبيته جميع مخلوقاته، وأقرَّت له بالعبودية جميع مصنوعاته، وأدت له الشهادة جميع الكائنات، أنَّه الله الذي لا إلٰه إلا هو بما أودعها من لطيف صنعه وبديع آياته، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته، ولا إلٰه إلا الله الأحد الصمد الذي لا شريك له في ربوبيته ولا شبيه له في أفعاله ولا في صفاته ولا في ذاته، والله أكبر عدد ما أحاط به علمه وجرىٰ به قلمه ونفذ فيه حكمه من جميع برياته، ولا حول ولا قوة إلا بالله تفويض عبدٍ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل هو بالله وإلىٰ الله في مبادىء أمره ونهاياته.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد له ولا والد له ولا كفؤ له، الذي هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من جميع برياته، وأشهدُ أنّ محمداً عبده ورسوله وأمينه علىٰ وحيه وخيرته من بريته وسفيره بينه وبين عباده وحجته علىٰ خلقه أرسله بالهدىٰ ودين الحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلىٰ الله بإذنه وسراجاً منيراً، أرسله علىٰ حين فترة من

الرسل، وطموس من السبل، ودروس من الكتب، والكفر قد اضطرمت ناره، وتطايرت في الآفاق شراره، وقد استوجب أهل الأرض أن يحل بهم العقاب، وقد نظر الجبار تبارك وتعالىٰ إليهم فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

وقد استند كل قوم إلىٰ ظلم آرائهم وحكموا علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ بمقالاتهم الباطلة وأهوائهم، وليل الكفر مدلهم ظلامه، شديد قتامة، وسبل الحق عافية آثارها مطموسة أعلامها، ففلق الله سبحانه وتعالىٰ بمحمد ﷺ صبح الإيمان، فأضاء حتىٰ ملأ الآفاق نوراً، وأطلع به شمس الرسالة في حنادس الظلم سراجاً منيراً، فهدىٰ الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وبصّر به من العمىٰ، وأرشد به من الغي، وكثَّر به بعد القلّة، وأعز به بعد الذلة، وأغنىٰ به بعد العيلة، واستنقذ به من الهلكة، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً، فبلغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده، وعبدَ اللهَ حتىٰ أتاه اليقين من ربه، وشرح الله له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلة والصَّغار علىٰ من خالف أمره، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمه باسمه فإذا ذُكِر ذُكِر معه كما في الخطب والتشهد والتأذين، فلا يصح لأحد خطبة ولا تشهد ولا أذان ولا صلاة حتىٰ يشهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين، وصلَّىٰ الله وملائكته وأنبياؤه ورسله وجميع خلقه عليه، كما عرفنا بالله وهدانا إليه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإنَّ الله جل ثناؤه وتقدمت أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته، ويجمع قلبه علىٰ محبته، شرح صدره لقبول صفاته العلىٰ وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول وتلقّاه بالرضا والتسليم، وأذعن له بالانقياد فاستنار به قلبه، واتسع له صدره، وامتلأ به سروراً ومحبة، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالىٰ تعرَّف به إليه علىٰ لسان رسوله، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء، أعظم ما كان إليه فاقة، ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه[1].

وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها؛ لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، وأن شرفه أيضاً بحسب الحاجة إليه، وليست حاجة الأرواح قط إلىٰ شيء أعظم منها إلىٰ معرفة باريها وفاطرها ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه والزلفىٰ عنده، ولا سبيل إلىٰ هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل وإليه أكره ومنه أبعد.

---

(١) الغَناء بالفتح معناه: العطاء، وأما الغِناء بالكسر فمعناه الصوت المطرب، وأما الغنىٰ بدون همزة فمعناه الثروة.

والله تعالىٰ ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه، فمن كان لذكر أسمائه وصفاته مبغضاً، وعنها نافراً ومنفراً، فالله له أشد بغضاً، وعنه أعظم إعراضاً، وله أكبر مقتاً، حتىٰ تعود القلوب إلىٰ قلبين:

قلب ذِكْرُ الأسماء والصفات قُوَّته وحياته ونعيمه وقُرَّة عينه، لو فارقه ذِكْرها ومحبتها لحظة لاستغاث، يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك، فلسان حاله يقول:

يُراد من القلبِ نسيانُكم ... وتأبىٰ الطباع علىٰ الناقل

ويقول:

وإذا تقاضيت الفؤاد تناسيا ... ألفيت أحشائي بذاك شحاحاً

ويقول:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذكر أحياناً فننتكس

ومن المحال أن يذكر القلب من هو محارب لصفاته، نافر من سماعها، معرض بكليته عنها، زاعم أن السلامة في ذلك، كلا والله إن هو إلا الجهالة والخذلان، والإعراض عن العزيز الرحيم، فليس القلبُ الصحيحُ قط إلىٰ شيءٍ أشوق منه إلىٰ معرفة ربه تعالىٰ وصفاته وأفعاله وأسمائه، ولا أفرح بشيء قط كفرحه بذلك، وكفىٰ بالعبد عمىٰ وخذلاناً أن يضرب علىٰ قلبه سرادق الإعراض عنها، والنفرة والتنفير والاشتغال بما لو كان حقاً لم ينفع إلا بعد معرفة الله والإيمان به وبصفاته وأسمائه.

والقلب الثاني: قلب مضروب بسياط الجهالة، فهو عن معرفة ربه وصحبته مصدود، وطريق معرفة أسمائه وصفاته كما أَنزلت عليه مسدود، قد قمش شبهاً من الكلام الباطل، وارتوىٰ من ماء آجن غير طائل، تعج منه آيات الصفات وأحاديثها إلىٰ الله عجيجاً، وتضج منه إلىٰ منزلها ضجيجاً، مما يسومها تحريفاً وتعطيلاً، ويؤول معانيها تغييراً وتبديلاً، قد أعد لدفعها أنواعاً من العُدد، وهيأ لردها ضروباً من القوانين، وإذا دعىٰ إلىٰ تحكيمها أبىٰ واستكبر وقال: تلك أدلة لفظية لا تفيد شيئاً من اليقين. قد أعد التأويل جُنةً يتترس بها من مواقع سهام السنة والقرآن، وجعل إثبات صفات ذي الجلال تجسيماً وتشبيهاً يصد به القلوب عن طريق العلم والإيمان. مَزجيُّ البضاعةِ من العلم النافع الموروث عن خاتم الرسل والأنبياء لكنه مليء بالشكوك والشبه والجدال والمراء، خلع عليه الكلام الباطل خلعة الجهل والتجهيل، فهو يتعثر بأذيال التكفير لأهل الحديث، والتبديع لهم والتضليل. قد طاف علىٰ أبواب الآراء والمذاهب بتكفف أربابها، فانثنىٰ بأخسر المواهب والمطالب، عدل عن الأبواب العالية الكفيلة بنهاية المراد، وغاية الإحسان، فابتلي بالوقوف علىٰ الأبواب السافلة الملآنة بالخيبة والحرمان، وقد لبس حلة منسوجة من الجهل والتقليد والشبهة والعناد، فإذا بذلت له النصيحة، ودُعي إلىٰ الحق أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد.

فما أعظم المصيبة بهذا وأمثاله على الإيمان، وما أشد الجناية به على السنّة والقرآن، وما أحب جهاده بالقلب واليد واللسان إلى الرحمن، وما أثقل أجر ذلك الجهاد في الميزان، والجهاد بالحجة واللسان، مقدم على الجهاد بالسيف والسنان، ولهذا أمر به تعالى في السور المكية، حيث لا جهاد باليد إنذاراً وتعذيراً فقال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

وأمر تعالى بجهاد المنافقين والغلظة عليهم مع كونهم بين أظهر المسلمين في المقام والمسير، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣] فالجهاد بالعلم والحجة جهاد أنبيائه ورسله وخاصته من عباده المخصوصين بالهداية والتوفيق والاتفاق، ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق، وكفى بالعبد عمى وخذلاناً أن يرى عساكر الإيمان وجنود السنة والقرآن وقد لبسوا للحربِ لأمته، وأعدوا له عُدته، وأخذوا مصافهم ووقفوا، وقد حمي الوطيس ودارت رحى الحرب واشتد القتال وتنادت الأقران النزال النزال، وهو في الملجأ والمغارات، والمدخل مع الخوالف كمين. وإذا ساعد القدر وعزم على الخروج قعد فوق التل مع الناظرين، ينظر لمن الدائرة ليكون إليهم من المتحيزين، ثم يأتيهم وهو يقسم بالله جهد أيمانه أني كنت معكم وكنت أتمنى أن تكونوا أنتم الغالبين، فحقيق بمن لنفسه عنده قدر وقيمة أن لا يبيعها بأبخس الأثمان، وأن لا يعرضها غدا بين يدي

الله ورسوله لمواقف الخزي والهوان، وأن يثبت قدميه في صفوف أهل العلم والإيمان، وأن لا يتحيز إلىٰ مقالة سوىٰ ما جاء في السنة والقرآن، فكأن قد كشف الغطاء وانجلىٰ الغبار وأبان عن وجوه أهل السنة مسفرة ضاحكة مستبشرة، وعن وجوه أهل البدعة عليها غبرة ترهقها قترة، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة والضلالة، فوالله لمفارقة أهل الأهواء والبدع في هذه الدار أسهل من موافقتهم إذا قيل ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: ٢٢].

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبعده الإمام أحمد: أزواجهم: أشباههم ونظراؤهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٧] قالوا فيجعل صاحب الحق مع نظيره في درجته، وصاحب الباطل مع نظيره في درجته، هنالك والله يعض الظالم علىٰ يديه إذا حصلت له حقيقة ما كان في هذه الدار عليه، يقول ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو وبين معطل لذلك، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعام غير جائع إليه ولكن غرضه عرض بضاعته عليه، فقال له: ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء؟ فقال المثبت: نقول

فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالىٰ وما قاله نبينا ﷺ، نصف الله تعالىٰ بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وننفي عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه، أو ما وصفه به رسوله تشبيهاً، فالمشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدما، والموحد يعبد إلهاً واحداً صمداً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أنا نثبت ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذلك نقول في صفاته أنها لا تشبه الصفات، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا نشبه صفات الله بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل تشنيع المشنعين، وتلقيب المفترين، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله ﷺ لتسمية الروافض لنا نواصب، ولا نكذب بقدر الله ولا نجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدرية لنا مجبرة.

ولا نجحد صفات ربنا تبارك وتعالىٰ لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية، ورحمة الله علىٰ القائل:

فإن كان تجسيماً ثبوت صفاته ... فإني بحمد الله لها مثبت

إلىٰ:

فإن كان تجسيماً ثبوت صفاته ... لديكم فإني اليوم عبد مجسم

ورضي الله عن الشافعي حيث يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضىٰ

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول:

إن كان نصباً حب صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

وأما القرآن فإني أقول: إنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به صدقا، وسمعه منه جبرائيل حقاً، وبلغه محمداً ﷺ وحياً، وأن (كهيعص) و(حم عسق) و(الر) و(ق) و(ن) عين كلام الله حقيقة، وأن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ وأن جميعه كلام الله، وليس قول البشر، ومن قال: إنه قول البشر فقد كفر. والله يصليه سقر، ومن قال ليس لله بيننا في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ فإن الله بعثه يبلغ عنه كلامه، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله، فإذا انتفىٰ كلام المرسل انتفت رسالة الرسول، ونقول: إن الله فوق سمٰواته مستو علىٰ عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وإنه تعالىٰ إليه يصعد الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح إليه. وإنه يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض، ثم يعرج إليه، وإن المسيح رفع بذاته إلىٰ الله وإن رسول الله ﷺ عرج به إلىٰ الله حقيقة، وإن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة فتعرض عليـه وتقف بين يديه، وإنه تعالىٰ هو القاهر فوق عباده وهو العلي الأعلىٰ. وإن المؤمنين والملائكة المقربين يخافون ربهم

من فوقهم، وإن أيدي السائلين ترفع إليه وحوائجهم تعرض عليه فإنه سبحانه هو العلي الأعلىٰ بكل اعتبار، فلما سمع المعطل منه ذلك أمسك، ثم أسرها في نفسه وخلىٰ بشياطينه وبني جنسه وأوحىٰ بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غروراً وأصناف المكر والاحتيال.

وراموا أمراً يستحمدون به إلىٰ نظرائهم من أهل البدع والضلال وعقدوا مجلساً يبيتون في مساء يومه ما لا يرضاه الله من القول والله بما يعملون محيط. وأتوا في مجلسهم ذلك بما قدروا عليه من الهذيان واللغط والتخليط، وراموا استدعاء المثبت إلىٰ مجلسهم الذي عقدوه ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم ما لفقوه من المكر وتمموه فحبس الله عنه أيديهم وألسنتهم فلم يتجاسروا عليه، ورد الله كيدهم في نحورهم فلم يصلوا بالسوء إليه، وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل باد وحاضر، وأخرج الناس لهم من المخبآت كمائنها، ومن الجوائف والمنقلات دفائنها، وقوىٰ الله جأش عقد المثبت وثبت قلبه ولسانه، وشيد بالسنة المحمدية بنيانه، فسعىٰ في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السلطان، وحكم علىٰ نفسه كتب شيوخ القوم السالفين وأئمتهم المتقدمين، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه، ونصوص من علىٰ غيره من الأئمة قدمتموه، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتىٰ بلغه دانيهم لقاصيهم، فلم يذعنوا لذلك واستعفوا من عقده فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث:

مناظرة في مجلس عالم علىٰ شريطة العلم والإنصاف تحضر فيه النصوص النبوية والآثار السلفية وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين، فقيل لهم: لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان وما لكم بمقاومة فرسانه يدان. فدعاهم إلىٰ مكاتبة بما يدعون إليه، فإن كان حقاً قبله وشكركم عليه وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت، وتبين لكم حقيقة ما لديه، فأبوا ذلك أشد الإباء، واستعفوا غاية الاستعفاء، فدعاهم إلىٰ القيام بين الركن والمقام قياماً في مواقف الابتهال حاسري الرؤوس، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال.

وظن المثبت والله أن القوم يجيبونه إلىٰ هذا، فوطن نفسه عليه غاية التوطين، وبات يحاسب نفسه، ويعرض ما يثبته وينفيه علىٰ كلام رب العالمين، وعلىٰ سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرد من كل هوىٰ يخالف الوحي المبين، ويهوي بصاحبه إلىٰ أسفل السافلين. فلم يجيبوا إلىٰ ذلك أيضاً، وأتوا من الاعتذار بما دله علىٰ أن القوم ليسوا من أولىٰ الأيدي والأبصار، فحينئذ شمر المثبت عن ساق عزمه وعقد لله مجلساً بينه وبين خصمه يشهده القريب والبعيد، ويقف علىٰ مضمونه الذكي والبليد. وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد والمثبت المَرْمي بالتجسيم.

وقد خاصم في هذا المجلس بالله وحاكم إليه وبرىء إلىٰ الله من كل هوىٰ وبدعة وضلالة. وتحيز إلىٰ فئة رسول الله ﷺ، وما كان أصحابه عليه والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلىٰ نفسه

ولا إلىٰ شيء مما لديه، وأن يوفقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه. فإن أزمة الأمور بيديه وهو يرغب إلىٰ من يقف علىٰ هذه الحكومة أن يقوم لله قيام متجرد عن هواه قاصد لرضاء مولاه. ثم يقرؤها متفكراً ويعيدها ويبديها متدبراً. ثم يحكم فيها بما يرضي الله ورسوله وعباده المؤمنين. ولا يقابلها بالسب والشتم كفعل الجاهلين والمعاندين. فإن رأىٰ حقاً تبعه وشكر عليه. وإن رأىٰ باطلاً رده علىٰ قائله وأهدىٰ الصواب إليه. فإن الحق لله ورسوله. والقصد أن تكون كلمة السنة هي العليا جهاداً في الله وفي سبيله. والله عند لسان كل قائل وقلبه. وهو المطلع علىٰ نيته وكسبه. وما كان أهل التعطيل أولياءه. إن أولياؤه إلا المتقون المؤمنون المصدقون ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد، ذكرناها قبل الشروع في المقصود، فإن ضرب الأمثال مما يأنس به العقل لتقريبها المعقول من المشهود، وقد قال تعالىٰ، وكلامه المشتمل علىٰ أعظم الحجج وقواطع البراهين: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقد اشتمل منها علىٰ بضعة وأربعين مثلاً، وكان بعض السلف إذا قرأ مثلاً لم يفهمه يشتد بكاؤه ويقول: لست من العالمين، وسنفرد لها إن شاء الله كتاباً مستقلاً متضمناً لأسرارها ومعانيها وما تضمنته من كنوز العلم وحقائق الإيمان، والله المستعان وعليه التكلان.

المثال الأول: ثياب المعطل ملطخة بعذرة التحريف، وشرابه متغير بنجاسة التعطيل. وثياب المشبه مُتضمِّخة بدم التشبيه وشرابه متغير بدم التمثيل، والموحد طاهر الثوب والقلب والبدن، يخرج شرابه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

المثل الثاني: شجرة المعطل مغروسة علىٰ شفا جرف هار. وشجرة المشبه قد اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار. وشجرة الموحد أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتىٰ أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.

المثال الثالث: شجرة المعطل شجرة الزقوم، فالحلوق السليمة لا تبلعها. وشجرة المشبه الحنظل، فالنفوس المستقيمة لا تتبعها. وشجرة الموحد طوبىٰ يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها.

المثل الرابع: المعطل قد أعد قلبه لوقاية الحر والبرد كبيت العنكبوت، والمشبه قد خسف بعقله، فهو يتجلجل في أرض التشبيه إلىٰ البهموت، وقلب الموحد يطوف حول العرش ناظراً إلىٰ الحي الذي لايموت.

المثل الخامس: مصباح المعطل قد عصفت عليه أهوية التعطيل فطفىء وما أنـار، ومصباح المشبه قد غرقت فتيلته في عسكر التشبيه فلا تقتبس منه الأنوار، ومصباح الموحد يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.

المثال السادس: قلب المعطّل متعلق بالعدم فهو أحقر الحقير، وقلب المشبه عابد للصنم الذي قد نحت بالتصوير والتقدير، والموحد قلبه متعبد لمن ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

المثل السابع: نقود المعطّل كلها زيوف فلا تروج علينا، وبضاعة المشبه كاسدة فلا تنفق لدينا، وتجارة الموحد ينادىٰ عليها يوم العرض علىٰ رؤوس الأشهاد هذه بضاعتنا ردت إلينا.

المثل الثامن: المعطّل كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة، والمشبه كبائع الخمر، إما أن يسكرك وإما أن ينجسك، والموحد كبائع المسك إما أن يحذيك وإما يبيعك وإما أن تجد منه رائحة طيبة.

المثل التاسع: المعطل قد تخلف عن سفينة النجاة ولم يركبها فأدركه الطوفان، والمشبه قد انكسرت به اللجة، فهو يشاهد الغرق بالعيان، والموحد قد ركب سفينة نوح، وقد صاح به الربان: اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها، إن ربي لغفور رحيم.

المثل العاشر: منهل المعطل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئاً فرجع خاسئاً حسيراً. ومشرب المشبه من ماء قد تغير طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييراً، ومشرب الموحد من كأس كان مزاجها كافوراً، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً (وقد سميتها بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية).

وهذا حين الشروع في المحاكمة، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مقدمة المعلِّق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين. وبعد: فهذه المقدمة من الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله مقدمة جميلة يُبيِّن فيها غرضَهُ من هذه المنظومة الطويلة «**النونية**».

وابن القيم رحمه الله أعطاهُ الله علماً غزيراً وإلىٰ جانب ذلك أعطاهُ حُسن التعبير، وحُسن سياق الكلام وترصيفه، فهو جمع بين بضاعة العلم والفقه في الدِّين، وبضاعة الأدب في الخطاب، فهو أديب بارع إذا تكلَّم أو كتب، أخذ القلوب بحُسن تعبيره وبُحسن سياقه، وحُسن اختياره للألفاظ، كما تقرؤون في هذه المقدمة من السلاسة والأدب الرفيع الذي يُباري فيه كبار الأدباء.

فهو رحمه الله أديبٌ فقيهٌ محدِّث مُفسِّر متفننٌ في كثيرٍ من العلوم، وهو بحرٌ غزير وقد حصل علىٰ هذا العلم الغزير من شيخه: «شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» فإنه لازمهُ ملازمةً تامَّة، وتأثَّر به وتروَّىٰ من علمه، فظهر ذلك علىٰ مؤلفاته، فهو يعرض علم شيخه وحُججه عرضاً فنياً في مؤلفاته.

وسيأتيكم كلامُه في أنه كان في الأول قبل أن يلتقي بالشيخ أنه كان ضائعاً، وأنه كان واقعاً في شراك المنطق والتصوف حتىٰ أتاح الله له هذا الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية، فتروَّىٰ من علمه،

وتنوَّر بفقهه، وتحرَّر من التقليد الأعمىٰ، وعرف مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم؛ بل وقبل ذلك كلِّه أورده علىٰ فقه القرآن العظيم والسنة النبوية ومعانيهما، فتخرَّج علىٰ يد هذا الإمام، وهو يعتبر أبرز تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، ورئيس تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، وكلهم أئمة ولكن الإمام ابن القيم حصل علىٰ ثروةٍ عظيمة من علم شيخه، وأعطاهُ الله حسن العبارة والصياغة، وسياق الكلام بمساق مشوِّق، وكل من قرأ كتبه فإنّه يستفيد علماً غزيراً، وأسلوباً وأدباً وحُسن محاجة ومخاصمة، ويستفيد لغةً وأدباً جماً.

وهو يذكر في هذا الكلام الذي مر أن الناس انقسموا إلىٰ قسمين نحو الأسماء والصفات لله عزَّ وجل، قسمٌ قبلوها، قبلوا الأسماء والصفات كما جاءت، واستنارت قلوبهم بها، وعرفوا ربهم بها، وذكروا الله عزَّ وجل بأسمائه وصفاته، يلهجون بذلك في أذكارهم ودعواتهم، ويتوسلون إلىٰ الله جلَّ وعلا بها كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فرحوا بها وتفهموا معانيها. **والقسم الثاني**: تلقوها بالنكران والجحود والكفر بها وقابلوها بالتأويل، والتحريف، وفي مقدمة هؤلاء: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وسائر الطوائف التي تنكرت للأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة أو لبعضها، وقالوا: إنَّها إذا اعتقدها الإنسان يكون مشبهاً ومجسماً؛ لأن هذه الأسماء والصفات لا تكون إلا للأجسام بزعمهم، ولأن هذه الأسماء والصفات توجد

في المخلوقين، فإذا سُمي الله بها أو وصف بها صار مشابهاً للمخلوقين بزعمهم.

والسبب في هذا: أنهم أعرضوا عن الكتاب والسنة، وبنوا مذهبهم علىٰ علم المنطق وعلم الكلام، وسمَّوا علم المنطق وعلم الكلام علماً يقينياً، وسمُّوا أدلة الكتاب والسنة أدلة سمعية ظنية لا تفيد اليقين ولا تفيد العلم، هذا هو السبب في ضلالهم، فقدَّموا العلوم العقلية والقواعد المنطقية علىٰ أدلة الكتاب والسنة، وصاروا يُخضعون الكتاب والسنة إلىٰ قواعدهم فما وافقها قبلوه، وما خالفها ردُّوه، واعتبروا الأصل الذي يُلجأ إليه هو علم المنطق وعلم الكلام.

فنشأ من ذلك ـ والعياذ بالله ـ الضلال المبين، والتحريف لكتاب الله وسنة رسوله، ونشأ من ذلك العداوة لأهل الإيمان وأهل العلم، وجهَّلوا العلماء، وجهَّلوا السلف الصالح حتىٰ قالوا: إن طريقة السلف هي طريقة تفويضية يقرؤون النصوص لكن لا يفهمون معناها، ويفوضون معناها إلىٰ الله، ويقرؤونها مجرد قراءة ولا يعرفون معناها. فهم بهذا جهَّلوا السلف، وجعلوا السلف بمثابة الأميين الذين يقرؤون القرآن ولا يفهمون معناه، كما قال تعالىٰ في أهل الكتاب: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] فجعلوا السلف بما فيهم صحابة رسول الله والتابعون وأتباعهم والقرون المفضلة بهذه الصفة أنهم يقرؤون ولا يفهمون قراءة مجردة للألفاظ فقط.

قالوا: وأمّا الخلف فإنهم فهموا هذه النصوص، وعرفوا أنها ليست علىٰ ظاهرها، وأن ظاهرها غير مراد فأوّلوها عن ظاهرها، وحرّفوها عن مدلولها إلىٰ عقلياتهم وعلومهم المنطقية، وقالوا: إن هذا هو العلم، ونشأ عن هذا أنهم قالوا: إن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

فطريقة السلف أسلم؛ لأنهم يقرؤونها ولا يبحثون فيها ولا يعرفون معناها، أما طريقة الخلف فهي أعلم وأحكم؛ لأنهم علموا أن هذه النصوص ليست علىٰ ظاهرها، وأنّ الله منزّهٌ عمّا تدلُّ عليه، فكأن القرآن وكأن السنة علىٰ هذا الكلام، كأنها أُنزلت لتضليل الناس؛ لأنهما إذا كانا علىٰ غير ظاهرهما، وأنَّ الحق بخلاف ما يدلا عليه فمعناه: أنهما جاءا للتضليل والأحاجي، ما جاءا للهداية والبيان، هذا مُحصَّل مذهبهم وهو مذهب باطل، ثمّ إذا جحدوا الأسماء والصفات فكيف يعرفون الله عزَّ وجل، محالٌ أن يعرفوا الله إلا بأسمائه وصفاته، فالذي يجحد الأسماء والصفات معناه: أنه لا يعرف الله سبحانه وتعالىٰ، هذه ناحية وهي مهمة جداً.

الناحية الثانية: إذا جحدوا الأسماء والصفات فبماذا يذكرون الله؟ ألم يأمر الله بذلك فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥] ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فما دامت هذه الأسماء والصفات لا حقيقة لها ولا مدلول لها، وإنّما هي علىٰ غير ظاهرها، ومن اعتقد ظاهرها فهو ضال عندهم مشبه ومجسم فبماذا يذكرون الله عزَّ وجل؟

الذاكر لله يقول: يا الله يا رحمان يا رحيم يا غفور يا سميع يا بصير، يذكر الله بأسمائه وصفاته، فإذا صارت هذه الأسماء والصفات تجسيماً وتشبيهاً وتضليلاً كما يقولون، فكيف نذكر الله عزَّ وجل، بماذا نذكر الله؟ هل نقول: يا منْ ليس له أسماء وليس له صفات تعالىٰ الله عن ذلك.

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهذا هو الإلحاد في أسماء الله وصفاته: «أن يُعتقد أنها علىٰ غير ظاهرها، وأن ظاهرها باطل، وأن ظاهرها تضليل، وأن ظاهرها تشبيه وتجسيم» هذا هو الإلحاد والعياذ بالله..

أمّا الذي يُؤمن بها ظاهراً وباطناً، ويذكر الله تعالىٰ بها، ويدعوه بها، ويتعرَّف إلىٰ الله بها، فهذا هو المؤمن بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثم مرّت في كلام الإمام ابن القيم رحمه الله كلمة ربما تُشكل علىٰ بعض الإخوان وهي قوله: «إن الله أقسم بحياته» يعني بحياة الرسول ﷺ، نعم أقسم الله بحياة الرسول وذلك في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فالعمر معناه: «الحياة» واللام لام القسم، والله جلَّ وعلا يُقسم بما شاء من خلقه، أمَّا المخلوق فإنه لا يُقسم ولا يحلف إلا بالله عزَّ وجل.

هذه قاعدة يجب معرفتها: «أن الله يُقسم بما شاء من خلقه، ومن ذلك أنه أقسم بحياة رسوله ﷺ، وهو جلَّ وعلا لا يُقسم إلا بشيءٍ له أهمية وفيه حكمة».

ولمّا بيَّن رحمه الله موقف الناس من الأسماء والصفات، وأنّهم علىٰ قسمين: قسمٌ آمن بها، وتعبَّد لله بمدلولها، وأحبها، وتلذَّذ بها، وذكر الله بها، وهم أهل السنة والجماعة، القسم الثاني: الذين نفوها وجحدوها وأوَّلوها وظنوا أنها لا تليق بالله عزَّ وجل، فهؤلاء هم أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة ومن سار في ركابهم من سائر الفرق الذين ينفون الأسماء والصفات، أو ينفون الصفات ويثبتون الأسماء، أو يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها، علىٰ تفاوت بينهم لكن كلُّهم يجمعهم اسم التعطيل والمعطلة فمقلٌّ ومستكثرٌ منهم.

بعد ذلك بيَّن ما يجب نحو هؤلاء: هل نسكت ونترك هؤلاء كما يُطالب بذلك اليوم بعض الجهَّال يقولون: اتركوا الناس، ولا تدرسوا مذاهبهم ولا شبههم، ولا تردوا عليهم ما لكم ولهم، اتركوهم.

الإمام ابن القيم يقول: «لا» لا نتركهم، هؤلاء يجب جهادهم قبل جهاد الكفار بماذا نجاهدهم؟ بالأسلحة «لا» نجاهدهم برد باطلهم ودحض زيفهم ومناقشة شبههم هذا هو جهادهم.

أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين، فالكفَّار يُجاهَدون بالسيف والسِّنان، والمنافقون يُجاهدون بالحُجة واللسان، وهؤلاء أشد

المنافقين، وهم أخطر علىٰ الإسلام من غيرهم، فيجب مجابهتهم، والوقوف ضدهم، وبيان باطلهم، وتجلية حقائقهم، وبيان ما يؤول إليه مذهبهم، حتىٰ يكون الناس علىٰ بصيرة، ولئلا تنطلي شبهاتهم؛ لأن كتبهم الآن كثيرة ومنتشرة، فالمطابع تقذف إلينا من كل جانب، وورثة هؤلاء ينشرونها ويحققونها ويُقدمون لها ويُروجونها، فلا بد في المقابل أن نخرج كتب السلف والأئمة التي ترد علىٰ هؤلاء، وأن نُدرِّسها والمفقود منها، نبحث عنه ونُخرجه للناس، هذا أمرٌ واجب وهو من الجهاد في سبيل الله.

فإن النبي ﷺ أمر به قبل الجهاد بالسيف، أُمر به يوم أن كان بمكة؛ لأن الله أمر به يوم أن كان الرسول بمكة ليس هناك جهاد بالسيف ومع ذلك أمرُه الله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ الآية [الفرقان: ٥٢] هذه مكية ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ [الفرقان: ٢٥] الضمير يرجع إلىٰ القرآن يعني: جاهدهم بالقرآن العظيم والحجج القرآنية، فيجب جهاد هؤلاء بحجج الكتاب والسنة، وبيان باطلهم وتجلية مذهبهم وألا نغفلُ عن ذلك ونسكت عنه ونتجاهلُه.

يجب علينا مقاومة أهل هذا المذهب قبل مقاومة غيرهم من أهل الباطل؛ لأن هذا مذهبٌ يتسم بأنه مذهبٌ إسلامي، أمّا مذهب الكفر والإلحاد فهذا مفضوح ومعروف أنه كفرٌ وإلحاد لكن المشكل الذي يأتيك متلبساً بالإسلام، وهو يأخذ نصوص القرآن ونصوص السنة المتعلقة بالله ويجحدها ويؤولُها ويُجهِّل الناس بها هذا أشد خطراً.

=

والسكوت عنه والإعراض عنه أخطر من السكوت عن جهاد الكفّار والمنافقين الخارجين، هذا هو مقصود الإمام رحمه الله، أن هؤلاء لا يجوز السكوت عنهم، ولا ترك مذاهبهم تنتشر بين الناس، ولا إعطاء الفرصة لكتبهم أن تنتشر بين الناس وتكون بأيدي الجُهَّال وبأيدي شباب المسلمين، بل يجب أن يُبصَّروا بها ويُحذَّروا منها، وأن يُبيّن لهم باطلها حتىٰ نأمن علىٰ عقائدنا وشبابنا وعلىٰ بلادنا من دخول هذه المذاهب الفاسدة.

ولذلك الكفّار لا يُجاهدون ولا يُقاتلون إلا بعد الدعوة وبيان الحق لهم، فيبين لهم الحق ويُدعون إلىٰ قبوله والدخول في الإسلام، فإن أبوا فإنَّهم يُقاتلون بالسيف، لكن لا يُقاتلون بالسيف حتىٰ تُقام عليهم الحجة بالقرآن والسنة، وبيان أن ما هم عليه هو الكفر، فالجهاد بالحجة مقدَّمٌ علىٰ الجهاد بالسيف.

فأهل الحق يُقاومون أهل الباطل، والمنافق يعيش في راحة ورغد ولا كأن الأمر يُهمه، كما قال تعالىٰ في أهل النفاق: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٧] هذه صفة أهل النفاق: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ﴾ [التوبة: ٨١] ويخذّلون عن الجهاد، دائماً يدعون إلىٰ الراحة وإلىٰ التلذذ بالدنيا، وينهون عن ارتكاب المشاق وعن الجهاد في سبيل الله، فالجِلاد مع الأعداء: «يدعون إلىٰ المسالمة حتىٰ يتمكن الباطل ويدخل إلىٰ قعر بلاد المسلمين وهم يقولون: تلذذوا بدنياكم واجلسوا في الظل والبراد إلىٰ آخره..».

ومنهم الذين يقولون: لا تردّوا علىٰ أهل الباطل، يقولون: فالآن هذا عجل وطائش ومتسرع وعقليته ليست مضبوطة إلىٰ غير ذلك من الأوصاف القبيحة وأنَّهم لا يعرفون فقه الواقع.

بعض أدلة علو الله علىٰ خلقه في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، من صعود الكلم الطيب إليه، ومن عروج الملائكة إليه، وعروج الأنبياء كعيسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والعروج معناه: الصعود، وأرواح المؤمنين إذا قُبضت يصعد بها إلىٰ السماء، كل هذه تدلُّ علىٰ علوّ الله علىٰ عرشه؛ لأن الصعود إنما يكون من الأسفل إلىٰ الأعلىٰ.

لمّا سمع المعطل الذي ينفي العلو هذه الأدلة ممن أوردها عليه في المجلس المذكور لم يستطع الإجابة عليها فسكت، وفي نفسه التعطيل ولكنه لم يستطع رد الأدلة لأنها أدلة مُفحِمة، ولما لم يستطع المعطل ردَّ الأدلة التي أوردها عليه المُثبت، ذهب إلىٰ قومه وإلىٰ أمثاله من المعطلين وتشاوروا فيما بينهم ولفَّقوا شبهاً أوحىٰ بها بعضهم إلىٰ بعض ثمّ دعوا المثبت إلىٰ مجلسهم.

لمّا أبوا عقد المحاكمة طلبَ منهم أن يكتبوا ما عندهم كتابة وأن يُقدِّموها إليه ليقرأها وينظر، فإن كان فيها حق قبله، وإن كان فيها باطلٌ ردَّهُ وبينه لهم، لأن الكتابة أستر لهم من حضورهم في مجلس الحاكم وانهزامهم أمام الحاكم وأمام الحاضرين، فهو انتقل بهم إلىٰ درجة أخرىٰ وهي الكتابة بأن يكتبوا ما عندهم من الحجج

والدلائل ويعرضوها عليه ليقرأها هو بنفسه، وهذا إنصاف لهم ولا أحد يدري عن الكتابة «كتابة سرية».

فلما أبوا أن يكتبوا ما عندهم دعاهم إلىٰ المباهلة بينه وبينهم بأن يقفوا عند الكعبة، وأن يدعو باليأس واللعنة علىٰ الكاذب كما قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ لما جاءه نصارىٰ نجران وحصل بينهم وبين رسول الله ﷺ محاورة فقال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

فأبىٰ النصارىٰ أن يباهلوا لأنهم يعلمون أنّه علىٰ الحق وأنهم علىٰ الباطل، وأنهم لو دعوا علىٰ أنفسهم بهذه الدعوة لنزلت بهم فصالحوا النبي ﷺ مُصالحة علىٰ أن يدفعوا لهم الجزية.

ثم ضرب الإمام ابن القيم الأمثال لأهل الحق وخصومهم.

والأمثال: جمع مثل: وهو أن يُصور الغائب بشيءٍ حاضر، بأن يُقرَّب الشيء الغائب بشيءٍ حاضرٍ يراهُ الناس. هذا هو المثلُ والقرآن فيه أمثالٌ كثيرة، والله جلَّ وعلا يسوقها ليتميز الحقُّ من الباطل: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ [البقرة: ٢٦] فالله يذكر الأمثال ويُصوِّر الأشياء الغائبة بأشياء مشاهدة حتىٰ يتضّح الحق. من هذه الأمثال: قوله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩] هذا مثلٌ ضربهُ الله للموحِّد والمشرك فالموحِّد له سيدٌ واحدٌ فقط يقوم بطاعته، ويعرف ما يُرضيه فهو في راحةٍ معه، أمَّا المشرك فهو مثل العبد الذي يملكه عدة أسياد لا يدري من يرضي منهم، كل واحد له رغبة، هذا يريد خلاف ما يريده الآخر، وإذا أرضىٰ هذا سخط الآخر فهو في قلق منهم، هذا مثلٌ للمشرك الذي يعبد عدة آلهة، ويتقرَّب إلىٰ عدة آلهة، فإنَّه لا يمكن أن يُرضيَهم وأن يُحقق رغباتهم، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ هذا الموحد ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾ [الروم: ٢٩].

قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ [الروم: ٢٨] لمّا كانوا يقولون في التلبية: «لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، يقولون: هذه الأصنام وهذه الأوثان مملوكة لله وإنّما اتخذناها لتُقربنا إلىٰ الله زُلفىٰ» وسائط، فالله جلَّ وعلا يقول: أنتم هل يرضىٰ أحدٌ منكم أن يكون عبدُه شريكاً له في ماله، لا يرضىٰ واحدٌ من الناس أن يكون عبدُه شريكاً له في ماله، فكيف تجعلون لله شركاء من عبيده. «هذا مثل ضربه الله يردُّ به علىٰ الذين يدعون مع الله آلهة أخرىٰ».

ويقولون: إنّ هذه الآلهة عبيدٌ لله وملكٌ لله لكننا اتخذناها وسائط بيننا وبين الله، فإذا كانوا لا يرضون لأنفسهم أن يُشاركهم عبيدُهم ومماليكُهم فكيف ينسبون هذا لله سبحانه وتعالىٰ.

والمصنف رحمه الله ذكر في أول إعلام الموقعين جملةً من هذه الأمثلة القرآنية وفسَّرها، وبعض الناس أفردها من الكتاب وطبعها رسالة مستقلة.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤] «كلمة طيبة»: هذه كلمة التوحيد «لا إلـه إلا الله». كشجرة طيبة: وهي النخلة، أصلها ثابت وفرعها في السماء: يعني في العلو، ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥] هذا مثل كلمة التوحيد، شبهها الله بالنخلة.

ومثل كلمةٍ خبيثة: هي كلمة الشرك كشجرة خبيثة اجتُثت من فوق الأرض ما لها من قرار؛ لأن الشرك ليس له أصل، وليس له دليل وليس له ثمرة إلا العذاب، مثل الحنظلة ليس لها ثمر إلا شيءٌ مُرّ علقم.

* * *

فصل

حكـــمُ المحبــة ثــابــتُ الأركــانِ

مـــا للصـــدود بفســـخ ذاك يـــدانِ

أنّىٰ وقـاضـي الحُسـنِ نَفَّـذَ حكمَهـا

فلـــذا أقـــرّ بـــذلـــك الخصمـــانِ

وأتـت شهـودُ الـوصـل تشهـد أنـه

حـقٌّ جـرىٰ فـي مجلـس الإحســان

فتـأكـد الحكـمُ العـزيـز فلـم يَجـدْ

فسـخُ الـوشـاةِ إليـه مـن سلطـانِ

ولأجل ذا حُكْمُ العذولِ تداعت الْـ

أركـــانُ منـــه فَخَـــرَّ لـــلأذْقـــانِ

وأتىٰ الوشاة فصادفوا الحكمَ الذي

حكمـــوا بـــه مُتيقَّـــنُ البطـــلانِ

ما صادف الحكمُ المحلَّ ولا هواسـ

ـتوفـىٰ الشـروطَ فصـار ذا بُطـلانِ

فلذاك قاضي الحُسنِ أثبت محضراً

بفســـاد حُكْـــم الهجـــرِ والسُّلـــوانِ

وحكىٰ لكَ الحكمَ المُحالَ ونَقْضَه
فـاسمـعْ إذاً يـا مـن لـه أُذنـانِ
حُكْـمُ الـوشـاة بغيـر مـا بـرهـانِ
إنَّ المحبـةَ والصـدود لِـدانِ
والله مـا هـذا بحكـمٍ مقسـطٍ
أيـن الغـرامُ وصـدُّ ذي هِجـرانِ
شتـانَ بيـن الحـالتيـنِ فـإن تُـرِد
جمعـاً فمـا الضـدان يجتمعـانِ
يـا والهـاً هـانـت عليـه نفسُـه
إذ بـاعهـا غَبْنـاً بكـل هَـوانِ
أتبيـع مَـن تهـواه نفسُـك طـائعـاً
بـالصـدّ والتعـذيـب والهِجـرانِ
أجهلـتَ أوصـاف المبيـع وقَـدرَه
أم كنـت ذا جهـلٍ بـذي الأثمـانِ
واهـاً لقلـب لا يفـارِق طيـرُه الـ
أغصـانَ قـائمـةً علـىٰ الكُثْبـانِ
ويظـلّ يَسجَـعُ فـوقَهـا ولغيـرِه
منهـا الثمـارُ وكـلُّ قِطْـفٍ دانِ
ويبيـتُ يبكـي والمـواصـلُ ضـاحـكٌ
ويظـل يشكـو وهـو ذو شُكْـرانِ

هـــذا ولـــو أن الجمـــالَ مُعلَّـــقٌ
بـالنجـمِ هَـمَّ إليـه بـالطيـرانِ[١]
للهِ زائـــرةٌ بليـــلٍ لـــم تَخَـــفْ
عَسَسَ الأميرِ ومَرْصَدَ السجانِ[٢]

---

(١) هذا استهلال من الناظم رحمه الله، يريدُ به الدخول إلىٰ الموضوع الذي يريد بيانه في هذه القصيدة العظيمة التي تضمنت بيان العقيدة الصحيحة التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة. وبيان ما يخالفها من عقائد أهل الضلال، مع الرد عليهم ونقض شبههم، وبيان فساد أصولهم التي بنوا عليها مقالاتهم. وقد صور عقيدة أهل الحق بفتاة حسناء جميلة تحبها القلوب، وتهواها الأنفس الطيبة ـ وأنها هي التي حكم القاضي العدل بحسنها وجمالها ومحبة الفطر السليمة والعقول المستقيمة لها، وهذا يسمونه: «الغزل البريء» الذي ليس فيه إثم وهو وصف المحبوبة، ووصف جمالها، وأنه حصل بينه وبينها شيء من الوعود باللقاء والوصال، كلُّ هذا تخيُّل وهو يريد بهذا الدخول إلىٰ المقصود الذي هو مسألة «العقيدة السلفية واتباع الكتاب والسنة» هذا هو مقصودُه لكنه قدّم له بهذه المقدمة، فالعقيدة الصحيحة صوَّرها في صورة امرأةٍ حسناء جميلة، ويرغب فيها العُشَّاق، ولكن هذه الحسناء الجميلة ليست سهلةَ المَنالِ، لا بد من تعب في تحصيلها والوصول إليها، لا بد من التعب في طلبها؛ لأن العقيدة لا بد من تعلمها، ولا بد من معرفة أدلتها ومعرفة أصولها، مثل العاشق الذي يريد الوصول إلىٰ معشوقته فلا يصل إليها إلاّ بتعبٍ وجهدٍ، وربما يتعب ولا يصل إليها.

(٢) هذه في نظري هي العقيدة التي صورها بصورة امرأة حسناء أتت إلىٰ مدينة الرسول ﷺ ومكة زائرة المكان الذي صدرت منه حينما علمها الرسول =

قَطَعَتْ بِلَادَ الشَّامِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ
مِنْ أرْضِ طِيبَةَ مَطْلَعِ الإيمَانِ
وأتَتْ علىٰ وادِ العقيق فجاوزَتْ
ميقاتَهُ حِلاًّ بلا نُكرانِ[1]
وأتت علىٰ وادي الأراك ولم يكن
قصداً لها فألاً بأنْ سَتراني[2]
وأتتَ علىٰ عرفاتِ ثمَّ مُحَسِّرٍ
ومِنىً فكم نَحَرَتْه مِن قُربانِ
وأتَتْ علىٰ الجَمَراتِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ
ذَاتَ السُّتُورِ وَرَبَّةَ الأرْكَانِ
هذا وما طافت ولا استلمت ولا
رمت الجِمارَ ولا سعتْ لِقرانِ[3]

= ﷺ لأصحابه في مكة والمدينة بخلاف عقيدة أهل الضلال المبنية علىٰ قواعد المنطق وأفكار المتكلمين فإن مصدرها من اليونان وبلاد الكفرة.

(١) وادي العقيق: المراد به ذو الحُليفة، وهو ميقات أهل المدينة لأنها جاءت من الشام ومرّت بالمدينة ثمَّ راحت إلىٰ مكة، هذه حبيبته التي يتغزَّلُ بها وهي العقيدةُ الصحيحة لأن منشأها من مكة، من مبعث الرسول ﷺ ومن المدينة مهاجر الرسول ﷺ.

(٢) وادي الأراك: «مكة» لأن الأراك من نبات الحجاز، والأراك: شجر يؤخذ منه السواك وهو ينبت بأرض الحجاز.

(٣) لأنها ليست آدمية حتىٰ تعمل هذه الأشياء. وإنَّما هي أمر معنوي.

وَرَقَتْ إلىٰ أعلىٰ الصفا فتيمَّمَتْ
داراً هنالك للمحبِّ العاني
أَتَرىٰ الدَّليلَ أعَارَهَا أثْوَابَهُ
والرِّيحَ أعْطَتْهَا مِنَ الخَفَقَانِ
واللهِ لَوْ أنَّ الدَّليلَ مَكَانَهَا
مَا كَانَ ذَلِكِ منْهُ في إمْكَانِ
هذا ولو سارت مسيرَ الريح ما
وصلتْ به ليلاً إلىٰ نُعْمانِ[1]
سارت وكان دليلَها في سيرها
سعدُ السعودِ وليسَ بالدَّبْرانِ[2]
وَرَدَتْ جِفَارَ الدَّمْعِ وَهْيَ غَزِيرَةٌ
فَلذَاكِ مَا احْتَاجَتْ وُرُودَ الضَّانِ
وَعَلَتْ عَلَىٰ مَيْنِ الهَوىَ وتَزَوَّدَتْ
ذِكْرَ الحَبِيبِ وَوَصْلَهُ المُتَدَانِي
وعَدَتْ بِزِرْوَتِهَا فَأوْفَتْ بالذي
وعَدَتْ وكَانَ بِمُلْتَقَىٰ الأجْفَانِ

---

(١) نُعمان: جبل عرفات.

(٢) سعد السعود والدبران من منازل القمر، وسعد السعود: أول فصل الربيع. والدبران النجم الذي خلف الثرياء.

لَـــمْ يَفْجَـــأ المُشْتَـــاقَ وهْـــيَ دَا
خِلَـةَ السُّتُـورِ بِغَيْـرِ مَـا اسْتِئْـذَانِ
قَالتْ وقَدْ كَشَفَتْ نِقَابَ الحُسْنِ مَا
بِـالصَّبْـرِ لـي عَـنْ أنْ أرَاكَ يَـدَانِ
وتَحَـدَّثَـتْ عنْـدِي حَـدِيثـاً خِلْتُـهُ
صِـدْقـاً وَقَـدْ كَـذَبَـتْ بِـهِ العَيْنَـانِ
فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ مِنْ فَرَحي بِهِ
طَمَعـاً وَلَكِـنَّ المَنَـامَ دَهَـانِـي
إن كنـتِ كـاذبـةَ الـذي حَـدَّثْتِنـي
فعليـكِ إثـمُ الكـاذبِ الفتّـانِ[١]
جَهـمُ بـن صفـوان وشيعتُـه الأُولىٰ
جحـدوا صفـاتِ الخـالـق الـديّـانِ[٢]

---

(١) الآن دخل في المقصود وبدأ بالخصوم.

(٢) جهم بن صفوان السمرقندي أخذ التعطيل من الجعد بن درهم، والجعد بن درهم أخذهُ عن اليهود. الجعد بن درهم رأسُ المذهب وقد قتلهُ خالد بن عبد الله القسري أمير العراق من قبل بني أمية، أحضرُه يوم العيد في المُصلَّىٰ، ثمّ خطب الناس خطبة العيد بعد الصلاة ثمَّ قال: «أيها الناس ضحُّوا تُقبل ضحاياكم فإنِّي مُضحٍّ بالجعد بن درهم فإنّه يزعم أن الله لم يكلِّم موسىٰ تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً» ثم نزل فذبحه. والجهم بن صفوان أيضاً قتلهُ سلم بن أحوز أمير خُراسان بفتوىٰ من العلماء لمذهبه الباطل، ثمَّ سرت هذه المقالة للجهمية وامتدت إلىٰ المعتزلة وإلىٰ فرقٍ كثيرة.

بـل عطَّلـوا منـه السمٰـوات العُلـىٰ
والعـرشَ أخلـوهُ مـن الـرحمٰـنِ[١]
ونفـوا كـلامَ الـربِّ جـلَّ جـلالُـه
وقضَـوْا لـه بـالخَلْـق والحِـدْثـان[٢]
قـالـوا وليـس لـربنـا سَمـعٌ ولا
بصـرٌ ولا وجـهٌ فكيـف يـدانِ[٣]
وكَـذاكَ ليْـسَ لِـرَبِّنَـا مِـنْ قُـدْرَةٍ
وإرَدَةٍ أو رَحْمَـــةٍ وَحَنَـــانِ
كـلاَّ ولا وصـفٌ يقـومُ بـه سـوىٰ
ذاتٍ مجـــردةٍ بغيـــرِ معـــانِ[٤]

---

(١) لأنهم لما نفوا العلو فمعناهُ: أنهم عطلوا السماء من علو الرب جلَّ وعلا عليها.

(٢) قالوا: كلام الله مخلوق، والله لا يتكلَّم، فعطَّلوا هذه الصفة، ووصفوا الله بأنه لا يتكلم، وإنما هذا الكلام مخلوقٌ من مخلوقاته، خلقه في غيره ونُسب إليه، وأُضيف إليه من إضافة المخلوق لخالقه، هكذا يقولون.

(٣) نفوا الصفات الذاتية، السمع والبصر والوجه واليدين، نفوا ذلك عن الله عزَّ وجل ومعنىٰ ذلك: أنه ليس هناك ربٌّ، لأن الذي ليس له صفات ليس بموجود، لأن كل موجود لا بُدَّ له من صفات، وإنما الذي ليس له صفات هو المعدوم.

(٤) يقولون: إنَّ الله ذات مجردة ليست لها صفات، وهذا مستحيل، ليس هناك ذات في الوجود ليس لها صفات، أبداً.

وحَيَاتُهُ هِيَ نَفْسُهُ وكلامُهُ
هُوَ غَيْرُهُ فَاعْجَبْ لِذَا البُهْتَانِ
وكذاك قالوا ما لَهُ مِن خَلْقِهِ
أحدٌ يكون خليلَهُ النَّفسانِ[١]
وَخَليلُهُ المُحْتَاجُ عِنْدَهُمُ وَفِي
ذَا الوَصْفِ يَدْخُلُ عَابِدُ الأوْثَانِ
فالكُلُّ مُفْتَقِرٌ إلَيْهِ لِذَاتِهِ
فِي أسْرِ قَبْضَتِهِ ذَلِيلٌ عَانِ
ولأجل ذا ضَحَّىٰ بجعدٍ خالدُ الْـ
ـقَسْرِيُّ يومَ ذبائحِ القربانِ[٢]

---

(١) لأنهم جحدوا إثبات المحبة لله عزَّ وجل، ويقولون: إنَّ اللهَ لا يُحب أحداً من خلقه لا محبة خُلَّة، ولا دون ذلك، والخُلة: هي أعلىٰ درجات المحبة ولم ينلها من الخلق إلا اثنان، محمدٌ ﷺ وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، هم نفوا هذا وقالوا: إنَّ الله لا يحب، ومن باب أولىٰ نفوا الخُلة وهي أعلىٰ درجات المحبة، وأولوا قوله تعالىٰ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] بأن إبراهيم محتاجٌ إلىٰ الله من الخلة وهي الحاجة، وهل هذا خاصٌ بإبراهيم؟ كلُّ الخلق بحاجة إلىٰ الله.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] فعلىٰ هذا يكون كل الخلق أخلاء لله عز وجل، والله لم يثبت الخلة إلا لإبراهيم في القرآن، وفي السنة لنبينا محمد ﷺ.

(٢) يعني لأجل نفيه أن الله اتَّخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلِّم موسىٰ تكليماً، ويوم ذبائح القربان: يوم عيد الأضحىٰ. =

إذْ قــالَ إبْـــرَاهيـــمُ لَيْـــسَ خَلِيلَـــهُ
كَـــلاَّ ولاَ مُـــوسَـــىٰ الكَلِيـــمَ الـــدَّانِ
شَكَـــرَ الضَّحَيَّـــةَ كُـــلُّ صَـــاحِـــبِ سُنَّـــةٍ
للهِ دَرُّكَ مِـــنْ أخِـــي قُـــرْبَـــانِ

* * *

= وهذا مدح لخالد القسري لأنه انتصر للحق ودحض الباطل فقتلُه للجعد كان بفتوىٰ من أهل العلم.

فصل

والعبـدُ عنـدَهـم فليـس بفـاعـلٍ
بـل فِعلُـه كتحـرُّكِ الـرَّجَفـانِ[١]

وَهُبُـوبُ رِيـحٍ أو تَحَـرُّكِ نَـائِـمٍ
وَتَحَــرُّكِ الأشْجَـــارِ لِلْمَيَـــلاَنِ

والله يُصليـه علـىٰ مـا ليـس مِـنْ
أفعـالِـه حَـرَّ الحميـمِ الآنـي[٢]

---

(١) هذا مذهب الجبر، يقولون: إن العبد مجبور علىٰ أفعاله ليس له فيها اختيار، وإنَّما هو كتحرك المرتعش، وتحرك الريشة في الهواء، أو الشجر يُحركها الهواء، فالإنسان يتحرك لا باختياره بل هو مجبور، يصلي ويحج ويعتمر ليس باختياره وإنما هو يُحرَّك، هذا قول الجبرية الذين يغلون في إثبات القدر حتىٰ سلبوا فعلَ العبد، وجعلوا الفعل كلَّهُ لله عزَّ وجل وليس للعباد فعل، ولا اختيار تعالىٰ الله عما يقولون. وهو من أقوال الجهمية، فالجهمية جمعوا بين الجبر والإرجاء والتجهم وهو نفي الأسماء والصفات.

(٢) يكون الله جلَّ وعلا علىٰ هذا القول ظالماً له؛ كيف يُعذّبه علىٰ شيء ليس له فيه اختيار، إذا كفر بالله وإذا زنىٰ وإذا سرق ليس هذا فعله عندهم بل هو مجبرٌ عليه، فكيف يُعذبه اللهُ عليه، هذا ظلم، تعالىٰ الله عن ذلك، فيكون الله ظالماً له؛ لأنَّه عذَّبه علىٰ شيءٍ ليس له فيه اختيار ولا مشيئة.

لكـــن يُعـــاقبـــهُ علـــىٰ أفعـــالـــه
فيـــه تعـــالـــىٰ اللهُ ذو الإحســـانِ[1]

والظُّلْـمُ عنْـدَهُـمُ المُحَـالُ لِـذاتِـهِ
أنَّـــىٰ يُنَـــزَّهُ عَنـــهُ ذُو السُّلْطَـــانِ

ويَكُـونُ مَـدْحـاً ذلِـكَ التَّنْـزِيـهَ مَـا
هـــذا بمَعْقُـــولٍ لِـــذي الأذْهَـــانِ

* * *

---

(١) لكن الله يُعاقب هذا الإنسان علىٰ أفعال الله فيه، لا علىٰ أفعال العبد، تعالىٰ الله عن ذلك.

فصل

وكـذاكَ قـالـوا مـالـه مـن حكمـةٍ
هــي غــايــةٌ لــلأمـرِ والإتقــانِ[١]

مـا ثَـمَّ غيـرُ مشيئـة قـد رَجَّحَـتْ
مَثَـلاً علـىٰ مَثَـلٍ بـلا رجحـانِ[٢]

هــذا ومــا تلــك المشيئــةُ وصفُــهُ
بـــل ذاتُـــه أو فعلُـــه قـــولانِ[٣]

---

(١) نفوا عن الله أنه خلق الخلق لحكمة؛ لأنهم يقولون: إذا كان الله خلق الخلق لحكمة فتكون الحكمة مؤثرة في الله عزَّ وجل، هي التي أثرت فيه حتىٰ خلق الخلق، تعالىٰ الله عما يقولون، وهذا باطل؛ لأن الله جلَّ وعلا لو لم يخلق الخلق لحكمة لكان ذلك عبثاً والله منزَّه عن العبث، فلو لم يكن له حكمة في خلقه لكان فعلهُ سبحانه وتعالىٰ عبثاً، والله منزهٌ عن العبث، والله وصف نفسهُ بالحكمة في آياتٍ كثيرة.

(٢) يقولون: خَلْقُهُ للأشياء ليس من أجل الحكمة، وإنَّما هو من أجل المشيئة المجردة فقط، والإرادة المجردة فقط، يخلق ويفعل ما يشاء لمجرد المشيئة والإرادة لا لحكمة تعالىٰ الله عن ذلك، ونحن نقول: نعم هو خلق الأشياء بالإرادة والمشيئة والحكمة لكل هذه الأشياء.

(٣) أي: وينفون عنه المشيئة والإرادة، وإنما يُفسرون المشيئة بذات الرب تعالىٰ فمعنىٰ خلقه بمشيئته يعني: بذاته؛ لأنهم لا يثبتون لله صفة، لا مشيئة ولا إرادة، لا يثبتون لله اسماً ولا صفة، بل يقولون: الله ذاتٌ مجردة ليس لها أسماء ولا صفات.

وكـلامُـهُ مُـذ كـان غيـراً كـان مَخْـ
ـلـوقـاً لـه مِـن جملـة الأكـوانِ
قـالـوا وإقـرارُ العبـاد بـأنَّـه
خـلاّقُهـم هـو منتهـىٰ الإيمـانِ(١)
والنـاسُ فـي الإيمـان شـيءٌ واحـدٌ
كـالمشـط عنـد تَمـاثـلِ الأسنـانِ(٢)

---

(١) يعني من أقرَّ واعترف عندهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت فهو الموحِّد، ولو لم يعبده، ولو أشرك ولو فعل ما فعل، ما دام أنه يُقرّ بأن الله هو الخالق الرازق، فهذا هو التوحيد عندهم، فليس عندهم توحيد ألوهية، ولا توحيد أسماء وصفات، فيجحدون هذين النوعين ولا يُقرون إلا بتوحيد الربوبية.

ولذلك فإن بعض العناصر من الجهمية الموجودين الآن يُحيون هذا المذهب ويقولون: تقسيم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام تقسيمٌ باطل؛ لأن توحيد الربوبية هو التوحيد الكافي، فأبو لهب وأبو جهل علىٰ هذا يدخلون الجنة؛ لأنهم مقرون بتوحيد الربوبية؛ بل إن إبليس يقر بالربوبية: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩] أقر لله بالربوبية وبأنه أغواه سبحانه وتعالىٰ.

(٢) من مقالات الجهمية الشنيعة قولهم في حقيقة الإيمان: إنه مجرد المعرفة في القلب بالله عز وجل، وهو أن يعرف أن الله ربَّه وخالقه، فهذا هو الإيمان عندهم ولو لم يعتقد بالقلب، ولو لم ينطق بلسانه، ولو لم يعمل بجوارحه، هذا قول الجهمية في الإيمان، وهو أقبح أقوال المرجئة، =

فـاسـأل أبـا جهـلٍ وشيعتَـه ومَـن
والاهُـم مـن عـابـدي الأوثـانِ(١)
وسَـلِ اليهـودَ وكـلَّ أقلـفَ مشـركٍ
عبـدَ المسيـحَ مُقَبِّـلَ الصلبـانِ(٢)
واسْـألْ ثَمُـودَ وَعَـادَ بَـلْ سَـلْ قَبْلَهُـمْ
أعْـدَاء نُـوحٍ أمَّـةَ الطُّـوفَـانِ

= لأنّ الجهمية هم أشد فرق المرجئة ضلالاً. والإرجاء معناه: تأخير الأعمال عن حقيقة الإيمان، وأقبح الإرجاء هو إرجاء الجهمية.

الثاني: والأشاعرة تليهم؛ لأنهم قالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب ومجرد المعرفة لا يكفي، لا بد من الاعتقاد والتصديق بالقلب. هذا قول الأشاعرة، وهو نوع من الإرجاء القبيح يأتي بعد قول الجهمية.

الثالث: قول الكرّامية: أن الإيمان هو النطق باللسان، ولو لم يعتقد بالقلب، وإن كان لا يُنجي من العذاب، لكن إذا شهد أن لا إلـٰه إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله صار مؤمناً، وهذا أيضاً قولٌ قبيح.

النوع الرابع من الإرجاء: إرجاء الفقهاء «الحنفية» يقولون: إن الإيمان قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب أمّا العمل فلا يدخل عندهم في حقيقة الإيمان، وهذا أخف أنواع الإرجاء لكنه قول غير صحيح.

(١) هذا ردٌّ عليهم.

(٢) وقوله: «وكلَّ أقلفَ»: يعني النصراني، سمَّاهُ أقلف؛ لأنهم لا يختتنون يقول: اسألهم هل ينكرون الرب.

واسـألْ أبـا الجـنِّ اللعيـنِ أتعـرف الـ
ـخَـلاّقَ أمْ أصبحـتَ ذا نُكـرانِ[١]
واسـأل شـرارَ الخلـقِ أغلَـىٰ أُمـةٍ
لـوطيـةٍ هـم نـاكِحـوا الـذُّكـرانِ[٢]
واسـأل كـذاك إمـامَ كـلِّ مُعطِّـلٍ
فـرعـونَ مـع قـارونَ مـع هـامـانِ[٣]
هـل كـان فيهـمُ منكـرٌ للخـالـق الـرْ
رَبِّ العظيـم مُكـوِّن الأكـوانِ
فليُبشـروا مـا فيهِـمُ مـن كـافـرٍ
هـمْ عنـدَ جهـمٍ كـامِلـو الإيمـانِ[٤]

---

(١) يعني: اسأل إبليس هل كان يُنكر الرب في قلبه أم كان يعرفه، وعلىٰ هذا يلزم أن هؤلاء مؤمنون عند الجهم بن صفوان وشيعته.

(٢) قوم لوط يعني: أقبح الخلق جريمة، وهي إتيان الذكران من العالمين، لا ينكرون الرب في قلوبهم بل يعرفونه، فعلىٰ هذا لا يكفر أحد من الناس عند الجهمية.

(٣) قال فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٧] نفىٰ وجود الرب سبحانه وتعالىٰ في الظاهر وإلا في الباطن فهو يعرف: أن الله هو الرب، ولهذا قال له موسىٰ عليه السلام: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢] علمت: يعني في قلبك.

(٤) كفىٰ بهذا بطلاناً لهذا المذهب الخبيث مذهب الجهمية ومن قال بقولهم من المرجئة.

فصل

وقضى بأن الله كان مُعطلاً

والفعلُ ممتنعٌ بلا إمكانِ[١]

---

(١) وهذا أيضاً من أقوال الجهم الباطلة وهو: «أن أفعال الله سبحانه وتعالىٰ لها بداية محدودة كان قبل ذلك معطلاً عن الفعل، ثم صار يفعل ويخلق، وقصدهم من ذلك أن يقولوا: إنَّ أفعال الله ليست قديمة، وإنما هي حادثة لمنع التسلسل في الماضي، تنزيهاً لله بزعمهم من تسلسل الحوادث في الماضي، لئلا تكون شريكةً له في القدم وهذا ما يُعبَّر عنه: «بمنع تسلسل الحوادث في الماضي».

فهو عطَّل الله في وقت من الأوقات بزعمه عن الفعل، وزعم أن أفعاله لها بداية، والحقُّ: أن أفعال الله لا بداية لها، كما أن الله لا بداية له سبحانه وتعالىٰ، فهو لم يزل يخلق ويفعل ما يشاء بدون تحديد لوقت، فلا يُقال: إنَّه مضىٰ عليه وقت لا يفعل ثم صار يفعل.

وهذا يلزم منه تعطيل كمال الله في وقتٍ من الأوقات، ثم أيضاً إذا كان ممتنعاً عليه أن يفعل في ذاك الوقت الذي زعمه، فما الذي جعلهُ يفعل بعد ذلك؟ ما الذي أزال هذا الامتناع؟ فهذا من أبطل الباطل، وأفعال الله من ناحية جنسها قديمةٌ بقدمه، وأما من ناحية نوعها وأعيانها فهي مُحدثة، فهي حادثة الآحاد قديمة النوع، لا يزال الخلق يوجد شيئاً فشيئاً من ناحية الآحاد، وأمّا من ناحية النوع فالمشيئة وسائر صفات الله قديمة بقدمه سبحانه وتعالىٰ لا حَدَّ لها، فهو بعد صفاته قديم أزلي.

ثـمَّ استحـال وصـار مقـدوراً لـه
مـن غيـرِ أمـرٍ قـامَ بـالـدّيّـان[١]
بـل حـالُـه سبحـانـه فـي ذاتـه
قبـلَ الحـدوثِ وبعـدهـا سيـانِ[٢]
وقضـىٰ بـأن النـار لـم تُخلـق ولا
جنـاتُ عـدنٍ بـل هُمـا عَـدَمـانِ[٣]
فـإذا همـا خُلقـا ليـومِ معـادِنـا
فهمـا علـىٰ الأوقـاتِ فـانيتـانِ[٤]

---

(١) إذا كان ممتنعاً عليه فكيف صار ممكناً، فيلزم عليه أن يستمر الامتناع.

(٢) إذا كان ممتنعاً عليه في الماضي فإنه يمتنع عليه في المستقبل أيضاً، ما الذي يجعلهُ ممكناً بعد أن كان ممتنعاً؟

(٣) هذا من مقالات الجهم الباطلة، يقول: إن النار والجنة غير موجودتين الآن، وإنما توجدان فيما بعد، وهذا قولٌ باطل، فالجنة موجودة، والنار موجودة، وفيهما ما خلق الله من النعيم والعذاب، والله تعالىٰ يقول في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ويقول في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]، ومعنىٰ: «أُعدّت» أنها موجودة؛ لأن «أُعدت» عبارة عن فعلٍ ماضٍ، والأدلة علىٰ وجود النار والجنة وأنهما مخلوقتان الآن أدلّةٌ كثيرة من الكتاب والسنة.

(٤) كذلك يقول: إنَّ الجنة والنار تفنيان في المستقبل، وهذا عنده منعٌ للتسلسل في المستقبل فهما ممنوعتا الوجود في الماضي ولا يستمر وجودهما في المستقبل، بل تفنيان، وهذا قولٌ باطلٌ، فالجنة والنار موجودتان، ولا تفنيان ولا تبيدان، أبد الآباد.

وتلطَّـفَ العـلاَّف مِـن أتبـاعـه

فـأتـىٰ بضِحْكَـةِ جـاهـلٍ مَجَّـانـي[١]

قال الفناءُ يكون في الحركاتِ لا

فـي الـذات واعجبـاً لِـذا الهـذَيـانِ[٢]

أيَصِيـرُ أهْـلُ الخُلْـدِ فـي جَنَّـاتِهِـمْ

وَجَحِيمِهِـمْ كَحِجَـارةِ البُنْيَـانِ

مـا حـال مـن قـد كـان يغشـىٰ أهلَـهُ

عنـد انقضـاءِ تحـرُّك الحيـوانِ[٣]

---

(١) أبو الهذيل العلّاف من قادة المعتزلة، فالمعتزلة أخذوا مذهب الجهمية عن طريق شيخهم «عمرو بن عبيد» المعتزلي، وهو أخذ عن الجهمية هذه الأباطيل، وأبو الهذيل تلطف في هذه المسألة وهي فناء الجنة والنار قال: لا تفنيان حقيقتهما وإنما تفنيان حركات أهل الجنة وأهل النار يصيرون جماداً، وكلا القولين باطل، قول الجهم وقول تلميذه ومُقلِّده أبي الهذيل العلاَّف.

فالجنة والنار باقيتان وأهلهما باقون فيهما، أهل النار يُعذبون فيها أبد الآباد، وأهل الجنة يُنعمون فيها أبد الآباد.

(٢) يعني تنقطع حركات سكان الجنة وسكان النار يصيرون جماداً لا يتحركون.

(٣) يقول الشيخ رداً عليهم: فإذا فرضنا أنه جاء انقطاع الحركة وهم علىٰ شغلهم مثلاً أهل الجنة، منهم الذي يجامع أهله والذي يأكل ويشرب والذي يتناول شيئاً هل يبقىٰ علىٰ هذا الفعل لا يتغير عنه لأنه تنقطع حركته عندكم.

وكـذاك مـا حـال الـذي رَفعَتْ يـدا
هُ أَكلـةً مـن صَحْفـةٍ وخِـوانِ[١]

فتنـاهـت الحـركـات قبـل وصـولها
للفـمِّ عنـدَ تفتُّـحِ الأسنـانِ[٢]

وكَـذاكَ مـا حَـالُ الـذي امْتَـدَّتْ يَـدٌ
مِنْـهُ إلـىٰ قِنْـوٍ مِـنَ القِنْـوَانِ

فَتَنَاهَتِ الحَرَكَاتُ قَبلَ الأَخْذِ هَلْ
يَبْقَـىٰ كَـذلِـكَ سَـائِـرَ الأَزْمَـانِ

تبـاً لهـاتيـك العقـول فـإنهـا
والله قـد مُسخـت علـىٰ الأبـدانِ[٣]

تبـاً لمـن أضحـىٰ يُقـدمهـا علـىٰ الـ
آثـارِ والأخبـار والقـرآنِ[٤]

---

(١) الصحفة: هي إناء الأكل، والخِوان: هو الذي يمد وتوضع عليه أواني الطعام.

(٢) يعني هل يبقىٰ علىٰ هذا الشكل «رافعاً يده» واللقمة بيده مفتوح الفم، لأنها قد انقطعت الحركة وهو علىٰ هذه الحالة.

(٣) هذه نتيجة القول علىٰ الله بغير علم، إنه التخرص والتخبط، وترك الاستدلال بالكتاب والسنة، يؤدِّي إلىٰ هذه المضحكات من الأقوال.

(٤) هذه نتيجة تركهم للآثار والقرآن والسنة، واعتمادهم علىٰ آرائهم وعقولهم ومقالات أشياخهم، حيث أدّت بهم إلىٰ هذا الهذيان.

فصل

وقضــىٰ بــأن الله يجعــلُ خَلْقَــهُ
عَــدَمــاً ويَقْلِبُــهُ وجــوداً ثــانِ[١]

---

(١) وهذه مقالة الجهم في البعث، يقول: إنَّ الله يُفني هذا الخلق ثمّ يعيد خلقُه من جديد علىٰ شكله وصورته الأولىٰ لكن من عدم لا أنه يعيد نفس الخلق، بل يُفنيه ثمَّ يُوجدُه من عدم كما كان في الوجود الأول، وهذا قولٌ باطل فإن هذا الخلق لا يفنىٰ نهائياً، لكن تتغير أوضاعُه وأوصافُه ويتحلل وتتفرق أجزاؤه، ثمّ إنَّ الله يجمع هذه الأجزاء وهذه الذرات وهذه المتفرقات، يجمعها من أماكنها ويُعيدها خلقاً جديداً، فالذي يتغير هو الصفة فقط، ليس الذي يفنىٰ هو الحقيقة، وإنَّما هي صفة هذه الأشياء، السمٰوات أيضاً تتغير وليس معناه: أنها تُعدم، والأرض تتغير لكن ليس معناه: أنَّها تُعدم بل تتغير أوضاعُها وصفتها، هذه هي الإعادة عند الله سبحانه وتعالىٰ، وأمّا أن يعيدها من عدم فهذا قولٌ باطل، وأيضاً: يلزم علىٰ هذا أنه إذا فني الكفار وفني العُصاة وأُعيدوا إعادة جديدة، أن الله يُعذِّب عالماً لم يحصل منهم كفرٌ ولا معاص، ما دام أنهم فنوا واضمحلوا وذهبوا ثم أُعيدوا من عدم كما يقول، فإنه يُعذب هؤلاء الذين أعيدوا علىٰ غير ذنوب حصلت منهم، لأن الذين حصلت منهم الذنوب فنوا وذهبوا وانقطعوا، يلزم علىٰ مذهبه الباطل هذا الحكم الجائر في حقّ الله عزّ وجل، فالله جلَّ وعلا لا يُفني هذه المخلوقات إفناء عدم واضمحلال، وإنّما يُفنيها إفناء تفرُّق وتفتت وتمزُّق، حتىٰ إنها تكون =

العَـرْشُ والكُـرْسِـيُّ والأرْوَاحُ وَالْـ
أمْـلاَكُ والأفْـلاَكُ والقَمَـرَانِ

والأرضُ والبَحرُ المُحيطُ وسائِرُ الـ
أكْـوانِ مِـنْ عَـرَضٍ ومِـنْ جُثْمـانِ

كـلٌّ سَيُفْنيـه الفَنـاءَ المَحْـضَ لا
يَبقَـىٰ لـه أثَـرٌ كظِـلٍّ فَـانِ

ويُعيـدُ ذا المَعـدومَ أيضـاً ثـانيـاً
مَحْـضُ الـوجـودِ إعـادةً بـزمـانِ(١)

هـذا المعـادُ وذلـك المبـدا لـدىٰ
جَهْـمٍ وقـد نسبـوه للقـرآنِ(٢)

= أشياء صغيرة متفرقة، ثمّ يُعيدها الله جلَّ وعلا وهو يعلم أماكنها ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ [قٓ: ٤] وكل شيء من بني آدم يفنىٰ إلا عَجْبَ الذنب، وهو حبة صغيرة في العصعص يُركب منها الخلق يوم القيامة، كذلك ورد أنَّ الجنَّة لا تفنىٰ، وورد أن الحور العين لا تفنىٰ، وأن الملائكة لا تفنىٰ.

(١) يقول الجهم: حتىٰ الزمان يُعاد مرة ثانية، وهذا قولٌ باطل، لأن الزمان إذا مضىٰ لا يعود، إذا فني زمان وذهب يعوض عنه بزمانٍ جديد، أمّا أنه يعود أمس أو العام الماضي أو عهد نوح، يعود مرةً ثانيةً هذا ليس بصحيح، فالزمان لا يعود.

(٢) لو أنهم نسبوا هذا لأنفسهم وقالوا: هذا رأينا، هان الأمر، لكن يقولون: هذا هو المعاد المذكور في القرآن، وهذا هو البعث المذكور في القرآن، لقد كذبوا، لا يوجد هذا في القرآن.

هـذا الـذي قـادَ ابـنَ سينـا والأُوْلَـىٰ
قـالـوا مقـالتَـه إلـىٰ الكفـرانِ(١)
لـم تقبـلِ الأذهـانُ ذا وتـوهمـوا
أن الـرسـولَ عنـاه بـالإيمـانِ(٢)
هــذا كتــابُ اللهِ أنَّــىٰ قــال ذا
أو عبـدُه المبعـوثُ بـالبـرهـانِ(٣)

---

(١) ابن سينا هو الفيلسوف الباطني، من القرامطة، وأبوه يهودي، يدين بالإسلام علىٰ مذهب الباطنية، فهو باطني حملهُ قول جهم علىٰ هذا أنه كفر بالبعث.

(٢) لم تقبل عقولهم قول الجهم هذا فحملهم هذا علىٰ إنكار البعث، وظنوا أنَّ هذا قول الرسول ﷺ، وأنَّ هذا هو الذي دلَّ عليه القرآن فأنكروهُ لأنه محال.

(٣) أين ما يدل علىٰ قول الجهم في القرآن: إنَّ الله يُفني هذه الأشياء إفناءً عاماً لا يُبقي منها شيئاً، ثم يُعيدها من عدم كما يقول، ليس في القرآن شيءٌ من هذا، بل يدل القرآن علىٰ أن هذه الأشياء لا تفنىٰ وإنما تبقىٰ جُزيئاتُها وتبقىٰ عناصرها، وتبقىٰ موادها، وهناك أشياء تبقىٰ مثل ما صحَّ في الحديث: «كلُّ ابنِ آدمَ يفنىٰ إلاّ عَجْبَ الذنبِ»(*). إنه يستحيل إلىٰ تراب ثمّ يُعاد التراب كما كان، المادة موجودة وإن استحالت إلىٰ تراب فهي موجودة، بل هناك أجسام لا تفنىٰ، وهي أجسام الأنبياء والشهداء تبقىٰ طرية وتُعاد يوم القيامة.

ما قال هذا أحدٌ من أهل الإسلام أبداً، ولا يوجد هذا في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال أهل الإسلام قاطبة، لم يقل أحدٌ هذا.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/ ٣٨ (٨٢٨٣)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة.

أوْ صَحْبُـه مِـنْ بَعـدِه أو تـابِـعٌ
لهـم علـىٰ الإيمـانِ والإحْسـانِ

بـل صـرَّح الـوحـيُ المبيـنُ بـأنـه
حقـاً مُغيِّـرُ هـذهِ الأكـوانِ[1]

فيبـدِّلُ اللهُ السمٰـواتِ العلـىٰ
والأرضُ أيضـاً ذاتُ تبـديـلانِ[2]

وهما كتبديل الجلود لساكني النْـ
ـنيـرانِ عنـدَ النضـجِ مـن نيـرانِ[3]

وكـذاك يَقْبِـضُ أرضَـه وسمـاءَهُ
بيـديـه مـا العـدمـانِ مقبـوضـانِ[4]

---

(١) أي يُغيّرها تغييراً وليس يُفنيها إفناء.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] معناه: أنه تبدَّل صورتُها، أمّا إنَّها تُعدم نهائياً ثمّ تُعاد من عدم فهذا قولٌ باطل، لكن تُغيَّر صورتها وحالتها بأن تبدل الأرض وتزول الجبال وتصير كالعهن، لكن المادة موجودة.

(٣) وليس معناه: أن الجلود تفنىٰ ولكن تبدَّل، قال تعالىٰ: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء: ٥٦].

(٤) قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] لو كانت السمٰوات معدومةً والأرض معدومة، ما الذي يُقبَضُ وما الذي يُطوىٰ؟ دل علىٰ أنها موجودة ولكن تغيرت صورتُها، فكونُه يَقبِضهما دليل على عدم فنائهما ولو كانا يُعدمان ما بقي شيء يُقبَضُ.

وتُحــدِّثُ الأرضُ التــي كُنَّــا بهــا
أخبـارَهـا فـي الحشـرِ للـرحمٰـنِ[١]
وتَظـلُّ تشهـد وهـي عـدلٌ بـالـذي
مِـن فَـوْقِهـا قـد أحـدثَ الثقـلانِ[٢]
أفيشهـدُ العـدمُ الـذي هـو كـاسْمِـه
لا شـيءَ هـذا ليس فـي الإمكـانِ[٣]
لكــن تُســوَّىٰ ثــمَّ تُبســط ثــمَّ تُشْـ
ـهَدُ ثـمَّ تُبْـدَلُ وهـي ذاتُ كَيـانِ[٤]
وتُمَــدُّ أيضــاً مثــلَ مَــدِّ أديمنــا
مِــنْ غَيْــرِ أوديَــةٍ ولا كُثْبــانِ
وتقــيءُ يـومَ العـرضِ مـن أكبـادِهـا
كـالأُسْطُـوانِ نفـائـسَ الأثمـانِ[٥]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] فلو كانت الأرض تُعدم فما الذي يُحدِّث بالأخبار؟ دل علىٰ أنها تبقىٰ لكن تتغير هيئتها وصورتها، لكنْ أصلُها ومادتُها موجودة لا تفنىٰ.

(٢) لو كانت تُعدم ما بقي شيء يشهد.

(٣) لو كانت الأرض تُعدم كما يقولون ما شهدت فإن المعدوم لا يشهد.

(٤) هذا هو الذي يحصل للأرض، تقبض، ثمّ تُسوّىٰ ثمّ تُبسط ثمّ تُمد وأصلها موجود.

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢] تُخرج ما في بطنها من كنوز ومن أموات، كل ما كان في داخل بطنها.

كــلٌّ يــراه بعينــه وعيــانــه
ما لامرِىءٍ بالأخذِ منه يدانِ[1]
وكــذا الجبــالُ تُفَــتُّ فَتّــاً مُحكَمــاً
فتعودُ مِثْلَ الرملِ ذي الكُثْبانِ[2]
وتكــونُ كــالعهــن الــذي ألــوانُــه
وصِبــاغُــه مــن ســائــرِ الألــوانِ[3]
وتُبَــسُّ بَسّــاً مِثْــلَ ذاك فتنثَنــي
مِثْــلَ الهبــاءِ لنــاظــرِ الإنســانِ[4]
وكــذا البحــارُ فــإنهــا مَسجــورَةٌ
قــد فُجِّــرت تفجيــرَ ذي سلطــانِ[5]

---

(١) لأنهم مشغولون عن هذه الأشياء التي تقذفها الأرض، المعادن النفيسة والذهب والفضة، مشغولون بالهول فلا أحد تمتد يده لأخذ شيء منه.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

(٣) العهن: هو الصوف المنفوش.

(٤) تصير هباء يعني دخاناً، قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦] وهذا تغيير في الخلق وليس هو إعداماً وإفناء، إنما هو تغيير من حالةٍ إلىٰ حالة.

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي: أوقدت ناراً. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] أي: زال ما بينها من الحواجز، واختلط بعضها ببعض.

وكــذلــك القمــرانِ يــأذنُ ربُّنــا
لهمــا فيجتمعــانِ يلتقيــانِ[١]

هــذي مُكــوَّرةٌ وهــذا خــاسـفٌ
وكـلاهمـا فـي النـارِ مطـروحـانِ[٢]

وكــواكــبُ الأفــلاكِ تُنثَــرُ كُلُّهــا
كــلآلــيءٍ نُثــرت علــىٰ ميــدانِ[٣]

وكـذا السمـاءُ تُشَـقُّ شَقـاً ظـاهـراً
وتمــورُ أيضــاً أيَّمــا مَــوَرانِ[٤]

وتصيــرُ بعــد الانشقــاقِ كمثــلِ هٰـ
ـذا المُهْـلِ أو تَـكُ وردةً كـدهـانِ[٥]

---

(١) القمران: الشمس والقمر سُميا بالقمرين، من باب التغليب، هما لا يجتمعان في حال الدنيا ولا يلتقيان، وإنما كلٌّ منهما يسير في فلكه، لكن في يوم القيامة يجتمعان ويلتقيان لأنه انتهىٰ عملهما في الدنيا.

(٢) تكور الشمس: يُلف بعضها إلىٰ بعض، والقمر أيضاً يذهب نوره ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧-٩] ثمّ يُجمعان مع من عبدهما في نار جهنم.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

(٤) وهذا تغيير في الخلق من حالةٍ إلىٰ حالة، ليس معناه الإعدام.

(٥) المُهل: هو الفضة المُذابة، وتحمَّر حتىٰ تصير كالوردة، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٧] يعني مُحمَّرة.

والعرشُ والكرسيُّ لا يُفنيهِما
أيضاً وإنهما لمخلُوقانِ[١]
والحورُ لا تفنىٰ كذلك جنةُ الـ
ـمأوَىٰ وما فيها من الوِلدانِ[٢]
ولأجلِ هذا قالَ جَهْمٌ إنّها
عَدَمٌ ولَمْ تُخْلَقْ إلىٰ ذا الآنِ
والأنبياءُ فإنهم تحت الثرىٰ
أجسامُهُمْ حُفظت من الديدانِ
ما لِلْبِلَىٰ بلحومِهِمْ وجسومِهِمْ
أبداً وهم تحت الترابِ يدانِ[٣]
وكذاك عَجْبُ الظهرِ لا يبلىٰ بَلَىٰ
منه تُركَّبُ خِلْقَةُ الإنسانِ[٤]
وكذلك الأرواحُ لا تَبلىٰ كما
تَبلَىٰ الجُسُومُ ولا بِلَىٰ اللَّحْمَانِ[٥]

---

(١) العرش والكرسي، لا يفنيان.

(٢) كلُّ هذا ردٌّ علىٰ الجهم الذي يقول: إن هذه المخلوقات تُعدم.

(٣) ما يقدر البِلىٰ والفناءُ علىٰ أجسامِ الأنبياء.

(٤) كل هذه أشياء باقية لا تفنىٰ، لا كما يقول الجهم: إن الخلق يوم القيامة يُعاد من عدم.

(٥) الأرواح إذا خرجت من أجسادها بالوفاة تبقىٰ، وتُعذَّب أو تُنعَّم مع الأجساد، فالأجساد ينالها العذاب ولو كانت تراباً، ينالها العذاب مع الأرواح أو النعيم إن كانت أرواح مؤمنين. =

ولأجلِ ذلك لم يُقِرَّ الجهمُ ما الـ
أرواحُ خـارجـةٌ عـن الأبـدانِ[١]
لكنهـا مـن بعـضِ أعـراضٍ بهـا
قـامَـتْ وذا فـي غـايـةِ البُطـلانِ[٢]
فـالشـأنُ لـلأرواحِ بعـدَ فِـراقِهـا
أبـدانَهـا واللهِ أعظـمُ شـانِ[٣]
إمـا عـذابٌ أو نعيـمٌ دائـمٌ
قَـدْ نُعِّمَـتْ بـالـرَّوْحِ والـرَّيْحـانِ[٤]

= الروح خلقٌ لا يعلمه إلاّ الله، ولا يعلم كُنْهَ الروح وحقيقة الروح إلا الله سبحانه وتعالىٰ، ما دامت في هذا الجسد فإنه حي، وإذا خرجت منه مات، وهي تبقىٰ ولا تفنىٰ، فهذا ردٌّ علىٰ جهم الذي يقول: يفنىٰ كل شيء ويُعاد من جديد.

(١) لما أُورد علىٰ الجهم أن الروح لا تفنىٰ نفىٰ أن الروح شيء غير الجسد، فالروح هي الجسد عنده، فإذا مات الجسد ماتت الروح، أمّا الرسل وأتباعهم فيرون أن الروح غير الجسد.

(٢) يقول: إنَّها يعني الروحَ عَرَضٌ من أعراض الجسدِ مثل: اللون السواد أو البياض أو الحرارة أو البرودة، فتزول مع الجسد وهذا كلام باطل؛ لأن الروح غير الجسد.

(٣) لها أسرارٌ عجيبة لا يعلمها إلا الله.

(٤) هذه حالتها في البرزخ أنها تسرح وتنعم إن كانت أرواح مؤمنين، وأنها تكون في أجواف طير تُنعَّم إن كانت أرواح شهداء، أو تُعذَّب إن كانت أرواح كفار، فإذا جاء البعث عادت إلىٰ أجسادها.

وتَصيرُ طَيْراً سارِحاً مع شَكلِها
تَجْني الثِّمارَ بجَنَّةِ الحَيَوانِ
وتَظَلُّ واردَةً لأنهارٍ بها
حتَّىٰ تعودَ لذلكَ الجُثْمانِ
لكن أرْواحَ الذينَ استُشْهِدُوا
في جَوْفِ طَيْرٍ أخضَرٍ رَيَّانِ
فلهم بذاكَ مَزيَّةٌ في عَيْشِهِمْ
ونَعِيمُهُمْ للرُّوحِ والأبْدانِ
بَذَلوا الجُسُومَ لرَبِّهم فأعاضَهُمْ
أجسامَ تلكَ الطَّيرِ بالإحْسَانِ
ولها قَناديلُ إليها تنْتَهي
مأوىً لها كمَسَاكِنِ الإنسَانِ
فالرُّوحُ بعدَ المَوْتِ أكْمَلُ حالَةً
منها بهَذِي الدَّارِ في جُثْمَانِ
وعَذابُ أشْقاها أشَدُّ مِنَ الذي
قَدْ عايَنَتْ أبْصارُنَا بعِيَانِ
والقائلون بأنها عَرَضٌ أبَوْا
ذا كُلَّهُ تَبّاً لذي نُكرانِ[١]

---

(١) يقول الجهمية: إنها عَرَضٌ من أعراض الأجساد وليست مخلوقة مستقلة. ونفوا عنها هذه التحركات.

وإذا أراد اللهُ إخـــراجَ الـــوَرىٰ
بعـد الممـاتِ إلـىٰ المعـادِ الثـانـي
ألقىٰ علىٰ الأرض الذي هُمْ تحتَها
واللهُ مُقْتَـــدِرٌ وذو سلطـــانِ
مطــراً غليظــاً أبيضــاً متتــابعــاً
عَشْــراً وعَشْــراً بعــدَهــا عَشْــران
فَتظـلُّ تَنْبُـتُ منـه أجسـامُ الـوَرىٰ
ولحـومُهـمْ كمنـابـتِ الـرَّيْحـانِ(١)
حتــىٰ إذا مــا الأُمُّ حــانَ وِلادُهــا
وتَمخَّضَــتْ فِنفـاسُهــا مُتــدانِ(٢)
أوحــىٰ لهــا ربُّ السمــا فتشقَّقَــتْ
فبــدا الجنيــنُ كــأكْمَـلِ الشُّبّـانِ(٣)

---

(١) تُمطر الأرض أربعين يوماً ماء لا يمنع منه سقف ولا شيء، ينزل علىٰ وجه الأرض، ثمّ تنبت الأجسام التي في الأرض، ويتكامل خلقها حتىٰ لو مر شخص علىٰ أحد يعرفه قال: هذا فلان، ثمّ يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور فتطير الأرواح من الصور وترجع كلُّ روحٍ إلىٰ جسمها، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] ثمّ يؤمرون بالسير إلىٰ المحشر.

(٢) شبه الأرض بالأمّ التي تحمل الجنين فكأن الناس جنين في بطن الأرض.

(٣) تنشق الأرض عن هذه الأجسام التي تنبت في داخلها مثل ما تنشق عن النبات تماماً، ولهذا ذكر الله من أدلة البعث إحياء الأرض بعد موتها ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [فصلت: ٣٩].

وتَخَلَّتِ الأمُّ الوَلُودُ وأخْرَجَتْ
أثقالَها أنْثَىٰ ومِنْ ذُكْرَانِ
والله يُنشِىء خَلْقَهُ في نشأةٍ
أُخرىٰ كما قد قال في القرآن[1]
هذا الذي جاءَ الكِتابُ وسُنَّةُ الـ
ـهادِي بهِ فاحْرِصْ علىٰ الإيمانِ
ما قال إن اللهَ يُعدِمُ خَلْقَهُ
طُرّاً كقولِ الجاهلِ الحيرانِ[2]

* * *

(١) النشأة الأولىٰ في الدنيا والنشأة الأخرىٰ يوم القيامة لكن لا من عدم كما يقول الجهم.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ الجهم لأنه قال: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١].

فصل

وقضىٰ بأن اللهَ ليس بفاعلٍ

فعلاً يقومُ بلا برهانِ[١]

بل فعلُه المفعولُ خارجُ ذاتِه

كالوصفِ غيرِ الذاتِ في الحُسبانِ[٢]

---

(١) ما زال الشيخ رحمه الله يذكر أقوال الجهم بن صفوان، وقد ذكر قوله في البعث وأبطله، وانتقل إلىٰ قوله في أفعال الله، فإن الجهم بن صفوان ينفي أفعال الله سبحانه وتعالىٰ، ولا يرىٰ أن لله أفعالاً تصدر عنه سبحانه وتعالىٰ، وإنّما أفعاله مخلوقة خلقها في غيره، وقصدُه من هذا التضليل التمويهُ علىٰ الناس بأنه يُنزِّه الله؛ لأنه يقول: إن الأفعال حوادث، والله جلَّ وعلا منزَّهٌ عن قيام الحوادث به، لأن ما تقوم به الحوادث فهو حادث كما يقول، وهذا كلامٌ باطل فالله جلَّ وعلا متصفٌ بأنه يفعل ما يشاء، وأنه يخلق، ويرزق، ويحيي، ويُميت، ويُدبر الأمر، وأفعاله تليق به سبحانه وتعالىٰ، ليست مثل أفعال المخلوقين، فالله له أفعال خاصة به، والمخلوق له أفعال خاصةٌ به، كسائر صفاته، وقوله: «بلا بُرهان» يعني أنه ينفي الأفعال عن الله نفياً بلا برهان، هذا ردٌّ عليه بل البرهان يدلُّ علىٰ العكس، أي علىٰ ثبوت أفعال الله جلَّ وعلا، وأنها تصدر عنه سبحانه وتعالىٰ حقيقة، فهو يفعل ما يشاء.

(٢) يرىٰ أن فعل الله خارجٌ عن ذاته، وأنه خلقٌ من خلقه كسائر مخلوقاته.

والجَبْـرُ مـذهبُـه الـذي قـرَّتْ بـه
عيـنُ العصـاةِ وشيعـةُ الشيطـانِ[١]

كـانـوا علىٰ وَجَـلٍ مـن العصيـانِ ذا
هـو فعلُهُـم والـذنـبُ لـلإنسـانِ[٢]

واللـوْمَ لا يَعْـدوهُ إذْ هـوَ فـاعِـلٌ
بـإرادَةٍ وبقُـدْرَةِ الحَيَـوَانِ

(١) وكذلك من أقوال الجهم الشنيعة أنه يرىٰ أن العباد مجبورون علىٰ أفعالهم، وأن هذه الأفعال التي تصدر عنهم أفعالٌ خلقها الله فيهم، وهم مجبورون عليها، ليس لهم فيها اختيار، فهم كالآلة التي تُحرَّك بيد الإنسان، هذا مذهبُه وهو: أنه يرىٰ أن العباد ليس لهم اختيار ولا إرادة، وأن أفعالهم التي تصدرُ عنهم أفعالٌ اضطرارية، والله هو الذي خلقها فيهم، فهم محلٌّ لخلق هذه الأفعال، وليس لهم إرادة فيها ولا قصد ولا اختيار، فانظر كيف نفىٰ الأفعال عن الله ونفىٰ الأفعال عن الخلق.

(٢) العصاة فرحوا بهذا القول فقالوا: إننا لم نفعل هذه الأفعال من الكفر والمعاصي ومن الزنا والسرقة، ما فعلناها بل هي مفعولةٌ بنا فنحن مُحَرَّكون، ففرحوا بهذه المقالة، يظنونها عذراً لهم وهي في الحقيقة قول باطل.

كانوا قبل أن يسمعوا هذه المقالة خائفين من ذنوبهم ومعاصيهم معترفين بفطرتهم أنها صدرت منهم، ولكن لما سمعوا هذه المقالة فرحوا بها واتخذوها عُذراً لهم، وقالوا: نحن ما فعلناها، وإنما هي أفعال الله فينا.

فـأراحَهُـمْ جَهْـمٌ وشيعتُـه مـن الْـ
لَـوْمِ العنيـفِ ومـا قضَـوْا بـأمـانِ[١]

لكنَّهـم حَمَلـوا ذنـوبَهُـمُ علـىٰ
رَبِّ العبـادِ بعـزَّةٍ وأمـانِ[٢]

وتبـرَّؤوا منهـا وقـالـوا إنَّهـا
أفعـالُـه مـا حيلَـةُ الإنسـانِ[٣]

مـا كلَّـفَ الجَبَّـارُ نَفسـاً وُسْعَهـا
أنَّـىٰ وقَـدْ جُبِـرَتْ علـىٰ العِصْيَـانِ

وكذا علىٰ الطاعاتِ أيضاً قد غَدَتْ
مجبـورةً فلهـا إذاً جَبْـرانِ[٤]

---

(١) أراحهم الجهم من هذا الخوف، وقال لهم: اطمئنوا، هذا ليس من فعلكم، هذا فعلُ الله خَلَقَهُ فيكم، ما لكم فيه اختيار، ولا لوم عليكم.

(٢) حملوا هذه الأفعال علىٰ الله تعالىٰ، وقالوا: هو الذي فعلها وخلقها، وأمّا نحن، فمجرد آلة.

(٣) قالوا: ليس لنا فيها حيلة، نحن مجبورون عليها.

(٤) يعني ما للمُطيعين ميزة علىٰ العصاة والكفار والمذنبين؛ لأن الكل يفعلون هذا بغير اختيارهم، هذا معنىٰ قول الجهم بن صفوان ـ قبحهُ الله ـ وهو ثمرة القول بالجبر، أنه لا فرق بين العاصي والمطيع، ولا فرق بين الصلاة والزنا، ولا فرق بين فعل الطاعة والمعصية، كلُّه بغير اختيار العباد.

والعبدُ في التحقيقِ شبهُ نَعامةٍ
قد كُلِّفت بالحَمْلِ والطيرانِ[(١)]

إذا كان صورتَها تدلُّ عليهما
هذا وليس لها بذاك يدان[(٢)]

فلذاك قال بأنَّ طاعاتِ الورَىٰ
وكذاك ما فعلوهُ من عصيانِ

هي عينُ فعلِ الربِّ لا أفعالُهمْ
فَيَصِحُّ عنهُمْ عند ذا نَفْيانِ

نفيٌ لقُدْرَتهمْ عليها أولاً
وصدورُها منهم بنفي ثانِ[(٣)]

---

(١) النعامة إذا رأيت لها جناحين حسبت أنها تتمكن من الطيران، وإذا رأيت صورتها شبهتها بالجمل، فكأنها يمكنها أن تحمل الأثقال، وهي لا تستطيع الأمرين: لا الطيران ولا الحمل، كذلك الإنسان علىٰ قول الجهم لا يستطيع شيئاً وإن كانت صورته صورة الذي يستطيع، لكن الحقيقة أنه لا يستطيع، فهو مثل النعامة، صورتها صورة الطير والجمل، وهي في الحقيقة لا تعمل عمل الطير ولا عمل البعير، كذلك الإنسان عند الجهم.

(٢) ليس لها قوة على الحمل ولا قوة علىٰ الطيران.

(٣) لا هم يقدرون عليها ـ أي أفعالهم ـ ولا هي صدرت عنهم، وإنما هي فعل الله عند الجهم ولا فرق بين الطاعة والمعصية والكفر والإيمان.

فيُقال ما صاموا ولا صلَّوْا ولا
زكَّوْا ولا ذبحوا من القربانِ[١]
وكذاك ما شربوا وما قتلوا وما
سرقوا ولا فيهم غَوِيٌّ زانِ[٢]
وكذاك لم يأتُوا اختياراً منهُمُ
بالكفرِ والإسلامِ والإيمانِ
إلاَّ علىٰ وجهِ المجازِ لأنها
قامَتْ بهم كالطَّعْم والألوانِ[٣]

---

(١) وإنما الله عند الجهم هو الذي صلّىٰ، وهو الذي صام، وهو الذي ذبح، وهو الذي فعل الطاعة، وأمّا العبد فلم يفعل، شيئاً من هذه الأمور.

(٢) وكذلك المعاصي كلها فلا يُقال: شربوا الخمر، ولا يُقال: زنوا ولا يُقال: قتلوا النفوس ظلماً وعدواناً، وإنما هي أفعال الله لا فرق بين العاصي والمطيع ولا بين المعصية والطاعة ولا بين الكفر والإيمان، لا لوم علىٰ العباد، ولا مدح لهم في الطاعات. لا يُمدحون علىٰ الطاعات ولا يُذمّون علىٰ المعاصي لأنها ليست أفعالهم.

(٣) لكنها أُضيفت إليهم من باب المجاز؛ لأنهم محلٌّ لها فصُنِعت فيهم، فإضافتها إليهم من باب المجاز، والمجاز اتخذوه طاغوتاً يحملون عليه كفرهم وضلالهم، كل شيء يقولون عنه: إنه مجاز وليس هو بحقيقة، فأفعال العباد مثل الطعم في الحلو والمر، ومثل الألوان: الحمرة والسواد والبياض في الأجسام تقوم بها اضطراراً لا اختياراً منها، فكذلك الطاعات والمعاصي مثل الألوان والطعوم اضطرارية وليست اختيارية.

جُبِـروا علـىٰ مـا شـاءَهُ خـلاَّقُهُـمْ
مـا ثـمَّ ذو عَـوْنٍ وغيـرِ مُعـانِ[١]

الكـلُّ مجبـورٌ وغيـرُ مُيَسَّـرٍ
كـالمَيْـتِ أُدرجَ داخـلَ الأكفـانِ[٢]

وكـذاك أفعـالُ المهيمـنِ لـم تَقُـمْ
أيضـاً بـه خـوفـاً مـن الحَـدَثـانِ[٣]

فـإذا جمعـتَ مقـالتَيْـهِ أنتجـا
كِـذْبـاً وزوراً واضـحَ البُهتـانِ[٤]

إذ لَيسَـتِ الأفعـالُ فِعْـلَ إلهِنَـا
والـرَّبُّ ليـسَ بفـاعِـلِ العِصْيـانِ

---

(١) ما فعلوا الطاعة باختيارهم وإعانة الله لهم، ولا تركوا الطاعة إلا لأن الله لم يُعنهم عليها، فالكل سواء لا ميزة لهذا علىٰ هذا، وإنما هم مجرد أجسام تُحرَّك.

(٢) الكل من المطيع والعاصي مجبور وغير مُيسَّر لما خُلق له فهو كالميت في داخل الأكفان يُحرَّك ويُحمل ويُدفن ولا يستطيع أن يتخلَّص، فالعبد أمام أفعال الله تعالىٰ مثل الميت في الكفن. هكذا يقول الجهم بن صفوان وشيعته، تعالىٰ الله عمّا يقولون.

(٣) وكذلك ينفي أفعال الله عنه بشبهة أن لا يكون محلاً للحوادث؛ لأن ما كان محلاً للحوادث عندهُ فهو حادث، والله جلّ وعلا ليس بحادث، هذه قاعدته الشيطانية.

(٤) إذا جمعت مقالتيه في نفي الأفعال عن الله، وفي نفي الأفعال عن العباد، إذاً لمن تكون هذه الأفعال، إذا لم تكن من الله ولا من العباد.

فــإذا انتفــتْ صفــةُ الإلٰــهِ وفعلُــه
وكـــلامُـــه وفعـــائـــلُ الإنســـانِ
فهنـــاك لا خَلْـــقٌ ولا أمـــرٌ ولا
وَحْـــيٌ ولا تكليــفُ عبــدٍ فــانِ[1]
وقضــىٰ علــىٰ أسمــائـه بحــدوثِهـا
وبخَلْقِهــا مــن جملــةِ الأكــوانِ[2]

---

(١) إذاً تبطل الشرائع، ويبطل الكون كُلُّه فليس له مدبرٌ ولا خالق ولا فعالٌ لما يريد، ولا العباد يفعلون شيئاً، وإنما هم كالآلات، فإذاً تبطل الشرائع، وتبطل الأوامر، ويفسد الكون كله، يصير لا مدبر له ولا فعال لما يريد.

(٢) من جملة أقوال الجهم بن صفوان: نفي الأسماء والصفات عن الله، ويرىٰ أن الله ذات مُجرَّدة لا تُسمَّىٰ باسم ولا توصف بصفة؛ لأن هذه الأسماء وهذه الصفات في المخلوقين، فإذا أُثبتت لله صار فيها مشابهة بينه وبين المخلوقين، فلذلك نفىٰ الأسماء والصفات خوفاً من التشبيه بزعمه، ولم يعلم بأن أسماء الله وصفات الله خاصة به، وأن أسماء المخلوقين وصفات المخلوقين خاصة بهم، ولا تشابه بين الصنفين. هذه صفات الخالق، وهذه صفات المخلوق، فكما أنّ بين ذات الخالق سبحانه وذات المخلوق فرقاً، فكذلك هناك فرق بين صفاته وأسمائه وصفات المخلوقين وأسمائهم لأنّ الأسماء والصفات، تتبع الذات، فكما أن ذات الخالق لا تُشبه ذوات المخلوقين، فكذلك أسماؤه وصفاته لا تُشبه أسماء المخلوقين وصفاتهم، وإن تشاركت معها في اللفظ والمعنىٰ في ذلك، فالمشاركة في الاسم في الذهن لا تدل علىٰ المشاركة في الحقيقة والكيفية في الخارج.

فـانظـرْ إلـىٰ تعطيلـه الأوصـافَ والْـ
أفعـــالَ والأسمـــاءَ للـــرحمٰـــنِ[١]

ماذا الذي في ضِمْنِ ذا التَّعطيلِ مِنْ
نَفْـــيٍ ومَـــنْ جَحْـــدٍ ومِـــنْ كُفْـــرانِ

لكنـــهُ أبـــدىٰ المقـــالـــةَ هكـــذا
فـــي قـــالـــبِ التنـــزيـــهِ للـــرحمٰـــنِ[٢]

---

(١) هذا هو التعطيل للخالق من أسمائه وصفاته، إذاً يكون عدماً، لأن الموجود لا بد له من أسماء وصفات، وإنما المعدوم هو الذي ليس له أسماء وصفات، فيلزم من قوله نفي وجود الرب جلَّ وعلا.

(٢) حجتهُ: أنه يريد التنزيه للرحمٰن عن مشابهة المخلوقين، وهذا غلو في التنزيه، نعم الخالق منزهٌ لكن ليس معنىٰ هذا: أن تُنفىٰ عنه أسماؤُه وصفاتُه، بل تنزَّه أسماؤُه وصفاتُه كما تُنزهُ ذاتُه عن مشابهة المخلوقين، فكما أن الله موجودٌ والمخلوقَ موجود، ولا مشابهةَ بين وجود الخالق ووجود المخلوق، كذلك لا مشابهةَ بين أسماء الخالق وصفاته وأسماء المخلوقين وصفاتهم، بل المخلوقات لا تتشابه، فمثلاً: البعوضة لا تُشبه الفيل، الفيل مخلوق والبعوضة مخلوقة وكلاهما موجود وله صفات، له سمعٌ وله بصر وله صفات ذاتية، ولا يلزم من هذا أن الفيل يُشبه البعوضة، وإن كان كلٌّ منهما موجوداً وكلٌّ منهما له صفات، فإذا كان هذا التفاوت في المخلوقات فكيف التفاوت بين الخالق والمخلوقين؟

والجهم قال هذا من أجل أن يغرَّ الناس، قال: أنا ما قصدي من هذا إلا تنزيه الرب، فالأغرار من الناس فرحوا بهذا التنزيه ووافقوهُ عليه، مع أنه يريد التعطيل قبحه الله، لكن اتخذ هذه الحجة من أجل أن يُغرِّر بالناس الذين لم يعرفوا مقصوده.

وأتـىٰ إلـىٰ الكفـرِ العظيـمِ فصَـاغَـهُ
عِجْـلاً ليفتِـنَ أُمَّـةَ الثيـرانِ[١]
وكسـاهُ أنـواعَ الجـواهـرِ والحِلَـىٰ
مِـن لـؤلـؤٍ صـافٍ ومـن عِقْيـانِ[٢]

---

(١) يعني فعل مثل فعل السامري في بني إسرائيل حين جمع المصاغات التي كانت مع بني إسرائيل، والتي استعاروها من آل فرعون، فلما غرق آل فرعون في البحر، تضايق بنو إسرائيل من هذه المصاغات ماذا يفعلون بها، فجاءهم السامري فجمعها وصوَّرها علىٰ صورة عجل، وجعلَه مجوفاً، فجعل الهواء يدخل من جانب ويخرج من جانب فيصير له صوت، فقال لهم: ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ [طه: ٨٨] أي: نسي موسىٰ ربه فذهب يظن ربه غير هذا ففتنوا به وعبدوه ـ والعياذ بالله ـ علىٰ أنّه ربهم قال: «هذا إلهكم وإله موسىٰ فنسي» قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩] فالذي لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر لا يكون إلهاً لكن فتنهم هذا الخبيث، كذلك الجهم صاغ هذه المقالات الكفرية في قالب التنزيه لله عزَّ وجل فصدقه أتباعه فنفوا عن الله الأسماء والصفات كما صدق بنو إسرائيل السامري فعبدوا العجل، فهذا يُشبه هذا، وقوله: «ليفتن أمة الثيران» كما فتن السامري بني إسرائيل فتن الجهم هؤلاء يشبهون الثيران، فأخذوا مقالته وفرحوا بها كما فرح أولئك بعجل السامري، فدعاة الضلال في كل وقت هذه طريقتهم، يُغرِّرون بالناس ويقودونهم إلىٰ الكفر بحجة الدين والنصيحة.

(٢) يعني أن الجهم كسا هذا الكفر بزخارف من الحُجج والتمويهات كما أن السامري كسا العجل بزخارف من الذهب.

فـرآهُ ثيـرانُ الـوَرَىٰ فـأصـابَهُـمْ
كمُصـابِ إخْـوَتِهِـمْ قـديـمَ زَمـانِ
عجـلانِ قـد فتنـا العبـاد بصـوتـه
إحـداهُمـا وبحَـرْفِـه ذا الثـانـي[1]
والنـاسُ أكثـرُهـمْ فـأهـلُ ظـواهـرٍ
تبـدو لَهُـمْ ليسـوا بـأهـلِ معـانِ[2]
فهُـمُ القُشُـورُ وبـالقُشُـورِ قـوامُهُـمْ
واللُّـبُ حـظُّ خـلاصَـةِ الإنسـانِ

---

(١) فتن السامري الناس بصوت العجل الذي له خُوار، وفتن الجهم الناس بتحريفه، ذاك فتنهم بصوت الخوار، وهذا فتنهم بتحريف الكلم عن مواضعه وتأويل كلام الله، وصرفه عن حقيقته، حتىٰ فتن الناس وظنوه حقاً وهو باطل، فهذا ممّا يدل علىٰ شدة الحذر من دعاة الضلال وأنهم لا يُغتر بهم.

(٢) هذه هي المصيبة، أن أكثر الناس ينظرون إلىٰ المظاهر ولا ينظرون إلىٰ الحقائق، ينظرون إلىٰ المظاهر والتزويق والحجج الواهية، ولا ينظرون إلىٰ الحقائق والمآل، إنّما ينظر إلىٰ هذا أهل العقول الذين ينظرون إلىٰ العواقب والمقاصد، وينظرون إلىٰ الثمرات التي تترتب علىٰ هذا الشيء، وإلىٰ المفاسد التي تترتب عليه، ولا ينخدعون بالمظاهر، فبنوا إسرائيل: أهل ظواهر غرَّهم العجل وظنوهُ أنه الله، وأصحاب جهم غرتهم مقالته وتلبيساته فظنوها حقاً فصدقوها وقبلوها منه وهي الكفر الصريح.

ولــذا تَقَسَّمــتِ الطــوائــفُ قــولَــه
وتـــوارثـــوهُ إرْثَ ذي السُّهْمـــانِ[١]

لــم يَنْـجُ مــن أقــوالــه طُـرّاً ســوىٰ
أهــلِ الحــديــثِ وشيعــةِ القــرآنِ[٢]

فتبـــرؤوا منهـــا بـــراءةَ حيـــدرٍ
وبـــراءةَ المــولــودِ مــن عمــرانِ[٣]

---

(١) ولما كان الناس أكثرهم أصحاب مظاهر، أخذوا مقالة الجهم وتقاسموها كتقاسم الورثة إرث الميت، فأخذتها المعتزلة، وأخذتها الأشاعرة، وأخذتها الماتريدية، وأخذتها سائر الطوائف التي تنفي صفات الرب سبحانه وتعالىٰ أو بعضها. أخذوا مقالة الجهم هذه، وهي أصل الضلالة وتشعبت في الناس، وأخذتها الطوائف كلٌّ علىٰ قدر ما أخذ منها، فكل أصحاب الفرق الضالة عندهم نصيبٌ من مقالة الجهم، وأوفر الناس حظاً منها، المعتزلة قبحهم الله.

(٢) ما نجا من أقوال الجهم هذه إلا أهل السنة والجماعة «أصحاب الحديث» الذين تمسكوا بالحديث والقرآن ولم يقبلوا التأويل والتحريف ولم يقبلوا الشبه والتزييفات وإنما تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

(٣) تبرؤوا من مقالة الجهم براءة حيدرٍ من الشيعة، وحيدر: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو لقب من ألقابه، وأصل الحيدر: الأسد، سُمي بذلك لشجاعته رضي الله عنه، فعلي تبرأ من الشيعة لما ادَّعوا الألوهية له، وخدَّ الأخاديد، وأوقد النار وحرَّقهم بها لما قالوا: إنه الله وهؤلاء هم، غُلاة الشيعة وهو بريء من كل طوائف الشيعة من الرافضة، =

مِـن كـلِّ شِيعـيٍّ خَبيـثٍ وَصفُـهُ
وَصْـفُ اليهـودِ مُحَلِّلـي الحيتـانِ[(١)]

= والزيدية وغيرهم وإن كانوا ينتسبون ويتشيعون له، ويزعمون أنهم ينتسبون لأهل البيت، فهو بريءٌ منهم، لأنه من أئمة أهل السنة والجماعة، ومن السابقين الأولين إلىٰ الإسلام وسادات المهاجرين، وابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته فاطمة، وأبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فهو بريء منهم ولا علاقة لهم به، وكذلك المولود من عمران والمقصود به موسىٰ عليه السلام فإنه بريء من كفار بني إسرائيل الذين عبدوا العجل، ولما جاء عليه السلام أنكر عليهم ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠-١٥١] وفي سورة طٰه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ الآيات [طٰه: ٩٤-٩٨] . . . «هذه براءة موسىٰ بن عمران عليه السلام من العجل وأصحابه، وهذا موقفه من العجل حيث حرّقه ونسفه وبيَّن لبني إسرائيل أنه ليس رباً، لأنه لو كان ربّاً ما سلّط عليه موسىٰ وحرّقه ونسفهُ في اليم. هذا جزاء المفترين علىٰ الله عزّ وجل في الدنيا والآخرة، وهذا مصيرهم، وهذا موقف أنبياء الله وأولياء الله منهم.

(١) يعني أنّ مذهب الشيعة مُنبثق من مذهب اليهود، وهم أشبه الناس باليهود، وهم من صنائع اليهود، لأن أصل التشيع نشأ من البذرة الأولىٰ وهو: ابن سبأ اليهودي، جاء من اليمن في خلافة عثمان رضي الله عنه، =

. . . .

= وشغب علىٰ عثمان وألّب عليه، واجتمع بعض الناس ضده حتىٰ قتلوا عثمان رضي الله عنه، ثم إنه بزعمه انحاز إلىٰ علي ابن أبي طالب، وطلبه عليٌّ ليقتله فهرب، وصار يحرض الناس ويُلقنهم المبادىء الخبيثة مبدأ التشيع. فالحاصل أنّ هذا التشيع من مذهب اليهود، ولا يزال بين اليهود والشيعة صلة وثيقة دائماً وأبداً، وهم يتشابهون في الكذب والافتراء ومعاداة أولياء الله.

وقوله: «محللي الحيتان»: يشير إلىٰ قصة أصحاب السبت من اليهود، لمّا حرّم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت احتالوا عليها وأمسكوها بالشباكات ثم أخذوها يوم الأحد، فلمّا رأىٰ الله ذلك منهم أوقع بهم أشد العقوبة قال تعالىٰ: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] هذه سنة الله في اليهود أنه يبعث عليهم من يُدمِّرُهم ومن يسومهم سوء العذاب، كلما تجمّعوا وكلّما قويت شوكتهم يسّر الله لهم من الجبابرة من يتسلّط عليهم ويُدمِّرهم، كما تكرر هذا في التاريخ مع اليهود دائماً وأبداً ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

* * *

فصل

في مقدمة نافعة قبل التحكيم[١]

يَـأيُّهـا الـرَّجُـلُ المُـريـدُ نَجـاتَـهُ
اسمَـعْ مقـالـةَ نـاصِـحٍ مِعْـوَانِ
كُـنْ فـي أمُـورِكَ كلِّهـا مُتمَسِّكـاً
بـالـوَحْـيِ لا بـزَخَـارفِ الهَـذَيـانِ
وانْصُـرْ كتـابَ اللهِ والسُّنَـنَ التـي
جـاءَتْ عـن المَبعُـوثِ بـالفُـرْقـانِ
واضرِبْ بسيْفِ الوَحْيِ كلَّ مُعَطِّلٍ
ضَـرْبَ المُجـاهِـدِ فَـوْقَ كـلِّ بَنـانِ
واحْمِلْ بعَزْمِ الصِّدْقِ حملَةَ مُخْلِصٍ
مُتجـرِّدٍ لله غَيْـرَ جَبَـانِ
واثْبُتْ بصَبْرِكَ تحتَ ألوِيَةَ الهُدىٰ
فـإذا أُصِبْـتَ ففـي رضـا الـرَّحْمٰـنِ
واجعـلْ كتـابَ الله والسُّنَـنَ التـي
ثبتـتْ سـلاحَـكَ ثـمَّ صِـحْ بجنـانِ

---

(١) هذا الفصل واضح المعاني وكلُّه وصايا، وقال: قبل التحكيم لأنه سيعقد فصلاً للتحكيم بين الطوائف، فقبل هذا الفصل قدَّم النصيحة.

مـــن ذا يُبـــارزُ فليقـــدِّمْ نفسَـــهُ
أو مَـن يُسـابـقُ يَبْـدُ فـي الميـدانِ[١]

واصدَعْ بما قالَ الرَّسولُ ولا تَخَفْ
مِـــنْ قِلَّـــةِ الأنصـــارِ والأعْـــوَانِ

فـــاللهُ نـاصِـــرُ دينِـــه وكتـــابِـــهِ
واللهُ كـــافِ عبْـــدَهُ بـــأمَـــانِ

لا تخـشَ مـن كيـدِ العـدوِّ ومكـرِهـمْ
فقِتـــالُهـــم بـــالكـــذبِ والبُهتـــانِ[٢]

فجنـــودُ أتبـــاعِ الـــرســـولِ مـــلائـــكٌ
وجنـــودُهـــم فعســـاكـــرُ الشيطـــانِ[٣]

---

(١) يعني إذا تسلَّحت بالكتاب والسنة والعلم النافع، فاطلب المبارزة من المخالفين، أمّا قبل أن تتسلح فلا تدخل في المناظرة، فالإنسان يتعلَّم قبل أن يدخل في ميدان النقاش والردّ والمجادلة، فإذا تَسَلَّحت بالكتاب والسنة فإنك لا تُغلَب أبداً، لكن إذا لم يكن عندك علم فأنت تذهب مع أول شبهة.

(٢) إذا كان معك سلاح من الكتاب والسنة، فهم ليس معهم إلا الكذب والبهتان، والكذب والبهتان لا يُقابلان الكتاب والسنة.

(٣) أنت أعوانك ـ ملائكة الرحمٰن ـ جبريل وميكائيل والملائكة وأمّا أعوانهم فجنود الشيطان، والشياطين لا تقابل الملائكة بلا شك، فإنه في بدر لما رأى الشيطان الملائكة هرب. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ =

شَتَّانَ بينَ العَسْكَرَيْن فمَنْ يَكُنْ
مُتَحَيِّراً فلْيَنظُرِ الفِتَتَانِ
واثْبُتْ وقاتِلْ تحتَ رياتِ الهُدَىٰ
واصْبِرْ فنَصْرُ الله ربِّكَ دَانِ
واذكر مَقاتِلَهُمْ لفرسانِ الهُدىٰ
لله دَرُّ مُقَاتِلِ الفرسانِ[1]
وادْرَأْ بلفظِ النَّصِّ في نَحْرِ العِدا
وارْجُمْهُمْ بثَواقِبِ الشُّهبَانِ
لا تخشَ كثرتَهُمْ فهم هَمَجُ الورىٰ
وذُبابُهُ أتخافُ من ذُبَّانِ[2]

= نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨] أتباع الحق معهم ملائكة، وأتباع الباطل معهم شياطين في كل زمان، ولا تتقابل الشياطين مع الملائكة أبداً.

(١) اذكر ما حصل لهم في بدر وفي حنين وفي غيرها من الوقائع التي نصر الله بها المسلمين، واذكر ما حصل عند غزو التتار فقاتلهم المسلمون قتال الصليبيين علىٰ يد صلاح الدين.

(٢) يعني أنت تقابل ذباناً، والذبان لا تخيف أحداً، والمراد بالقتال هنا: ما يشمل القتال بالسيف والقتال بالحُجة والبيان؛ لأن مدافعة أهل الباطل بالحُجة مثل مدافعتهم بالسلاح قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] جاهد الكفار بالسلاح والمنافقين بالحُجة.

واشْغَلْهُـمُ عنـدَ الجِـدالِ ببعضِهِـمْ
بعضـاً فـذاك الحـزمُ للفـرسـانِ[١]
وإذا هُـمُ حملـوا عليـكَ فـلا تكـنْ
فَـزِعـاً لحملتِهِـمْ ولا بجبـانِ[٢]
واثبُـتْ ولا تَحمِـلْ بـلا جُنْـدٍ ممـا
هٰـذا بمحمـودٍ لـدىٰ الشجعـانِ[٣]
فـإذا رأيـتَ عصـابـةَ الإسـلامِ قَـدْ
وافـتْ عسـاكـرُهـا مـع السلطـانِ
فهنـاكَ فـاخْتـرِقِ الصفـوفَ ولا تكـنْ
بـالعـاجـزِ الـوانـي ولا الفَـزْعـان[٤]

---

(١) وستجدهم متفرقين فاشغل بعضَهم ببعض حتىٰ ينشغلوا عنك بأنفسهم ويضعفون، لأنهم ولله الحمد متفرقون ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤] بخلاف أهل الحق فإنهم مجتمعون بقلوبهم وأبدانهم.

(٢) لأن حملتهم تضمحل، وإن ظهرت أنها قوية لأنها مبنية علىٰ باطل والباطل يتلاشىٰ.

(٣) لا تدخل في الميدان إلا ومعك سلاح تقاتل به، وهو الكتاب والسنة، ومعك أعوان من أهل الحقِّ وجند الله، ولا تدخل في الميدان وحدك.

(٤) يقول: انضم مع أهل الحق ولا تنفرد وتستقل برأيك، فما دام هناك جماعة من أهل الحق فانضم إليهم، وهذه حكمة عظيمة، لأن الاجتماع علىٰ الحق قوة، وهذا حَثٌّ علىٰ الجماعة وعدم الانفراد حتىٰ ولو كان الإنسان علىٰ الحق، لا ينفرد بل يكون مع الجماعة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا =

وتَعَـرَّ مِـنْ ثـوبيـنِ مَـن يَلْبَسْهُمـا
يلقـىٰ الـرَّدىٰ بِمَـذَمَّـةٍ وهـوانِ

ثـوبٌ مِـن الجهـل المـركَّـبِ فـوقَـهُ
ثـوبُ التعصُّـبِ بِئْسَـتِ الثـوبـانِ[١]

وتَحَـلَّ بـالإنصـافِ أفخـرِ حُلَّـةٍ
زِينَـتْ بهـا الأعطـافُ والكتفـانِ[٢]

واجعلْ شعارَكَ خشيةَ الرحمٰن مع
نُصْـحِ الـرسـولِ فحبـذا الأمـرانِ[٣]

= ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ [الأنفال: ٤٦] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ . . .﴾[آل عمران: ١٠٥]: ويستفاد من هذا أن الجهاد لا بد أن يكون مع إمام المسلمين.

(١) هذه نصيحة أخرىٰ، يقول تَعَرَّ من ثوب الجهل وثوب العصبية، بأن يكون مقصودك الحق، لا يكن مقصودك الانتصار لرأيك، وكذلك تَعَرَّ من الجهل بتعلم العلم، لأن الجهل داء قاتل، والجاهل لا يصلح لمجادلة أهل الباطل لأنه يفسد أكثر مما يصلح.

والجهل هو عدم معرفة الحق وهو ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: جهل مركب. والجاهل المركب: هو الذي يجهل، ويجهل أنه يجهل، بل يظن أنه عالم. وهذا أشد الجهل وهو مصيبة، وهذا ما يُسمَّىٰ في وقتنا بالتعالم. وهو أن الإنسان يدَّعي العلم وليس عنده علم.

الثاني: جهلٌ بسيط، وهو أن يجهل ويعلم أنه جاهل، فإذا كان يعلم أنه جاهل فإنه سيسعىٰ للتعلم.

(٢) لا تظلم الناس، بل أنصفْ وأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، وهذه وصية ثالثة.

(٣) إذا صار شعارك خشية الرحمٰن ونصحَ الرسول، فإنك لن تُغلب بإذن الله.

وتَمَسَّكَـــنَّ بحَبْلِـــهِ وبِـــوَحْيِـــهِ
وتَـــوَكَّلَـــنَّ حقيقَـــةَ التّكْـــلانِ
فالحَقُّ وصْفُ الرَّبِّ وهو صِرَاطُهُ الـ
ـهــادِي إليْـه لصَـاحِـبِ الإيمــانِ
وهْـوَ الصِّـراطُ عليه رَبُّ العَرْشِ أيـ
ـضــاً وذا قــد جــاءَ فــي القُــرْآنِ
والحـــقُّ منصـــورٌ ومُمْتَحَـــنٌ فـــلا
تَعْجَـبْ فهـٰذي سنـةُ الـرحمْـٰـن(١)

---

(١) يعني إذا حصل علىٰ أهل الحق نكبة ومصيبة فلا يكن هذا ناقضاً لعزمك أو مضيك، فالحق منصور وممتحن، فلو أن الحقّ دائماً ينتصر ما صار لأحدٍ فضل، لكن من سُنَّة الله جلَّ وعلا أنه يُداول بين العباد، فالرسول عليه السلام في حربه مع الكفار تارةً يَنتصر، وتارةً يحصل عليه ما يحصل من الامتحان كما في غزوة أحد وحنين وفي غير هاتين الوقعتين، فالحقّ قد يُصاب بسبب خلل في أهله لا بخللٍ في الحق، وإنّما الخلل في أهل الحق فيُصابون من عدوهم، فإذا حصل هذا فلا يكن ناقضاً لعزمك أو مُزَّهداً لك في الحق، بل اثبت، واصبر وأصلح ما فيك من خلل، لأنه ما أصابك هذا الشيء أو أصاب أصحابك إلا بخللٍ فيكم ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وهذه قاعدة، أنه ليس دائماً الحق منتصر، ولا تكون دائماً الغلبة لأهل الحق، وهذا من باب الابتلاء والامتحان، فعليك بالصبر وانتظار الفرج ولا تيأس ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

وبـذاكَ يظهـرُ حِـزْبُـه مِـن حَـرْبِـه
ولأجـلِ ذاك النـاسُ طـائفتـانِ[١]

ولأجلِ ذاكَ الحربُ بين الرُّسْلِ والْـ
ـكفـارِ مُـذْ قـامَ الـورىٰ سِجْـلانِ[٢]

لكِنَّمَـا العُقْبَـىٰ لأهـلِ الحَـقِّ إنْ
فـاتَـتْ هُنـا كـانـتْ لـدىٰ الـدَّيَّـانِ

واجعـلْ لقلبِـكَ هِجـرتَيْـنِ ولا تَنَـمْ
فهمـا علـىٰ كـلِّ امـرِئٍ فَـرْضـان[٣]

---

(١) هذه هي الحكمة ليظهر حزب الرحمٰن من حزب الشيطان وهم حرب الله بالراء المهملة، يتميز هذا من هذا، وإلا لو صار الانتصار للمسلمين دائماً لم يكن هناك ميزة، ولكان كل الناس يدخلون في الدِّين، يريدون هذا النصر وهذا العز.

(٢) سجلان يعني يكون يومٌ لهم ويومٌ عليهم، لكن العاقبة للمتقين، فظهور الكفار لا يستمر بل يضمحل، وتكون العاقبة للمتقين دائماً وأبداً.

(٣) الهجرة: ترك الشيء، والمراد هنا بالهجرة: ترك الباطل والانتقال إلىٰ الحق وهي نوعان:

- هجرة إلىٰ الله.
- وهجرة إلىٰ رسول الله ﷺ.

هجرة إلىٰ الله بالإخلاص والتوحيد، وهجرة إلىٰ الرسول بالاتباع والاقتداء، وهذه هجرة القلوب.

وهناك هجرة الأبدان: وهي الانتقال من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام، فالهجرة هجرتان:

=

فالهجرةُ الأولىٰ إلىٰ الرَّحْمٰنِ بالـ
إخـلاصِ فـي سـرٍّ وفـي إعـلانِ
فـالقَصْـدُ وجْـهُ الله بـالأقـوالِ والـ
أعمـالِ والطَّـاعَـاتِ والشُّكـرانِ
فبِـذاكَ يَنْجُـو العَبْـدُ مـن إشْـرَاكِـهِ
ويَصيـرُ حقّـاً عـابِـدَ الـرَّحمٰـنِ
والهجرةُ الأخرىٰ إلىٰ المبعوثِ بالـ
ـحَـقِّ المُبيـنِ وواضِـحِ البُـرهـانِ
فيَـدُورُ مـع قـولِ الـرَّسُـولِ وفِعْلِـهِ
نَفْيـاً وإثبـاتـاً بـلا رَوَغَـانِ
ويُحَكِّمُ الوحيَ المبينَ علىٰ الذي
قـالَ الشيـوخُ فعنـدَهُ حُكْمـانِ[1]

= هجرة بالقلب وهجرة بالبدن، فهجرة القلب هي من الكفر إلىٰ الإيمان بالإخلاص لله وإلىٰ رسوله بالاتباع، وهجرة بالبدن من بلاد الكفر إلىٰ بلاد المسلمين فراراً بالدين، ولا يسلم أحد إلا بهاتين الهجرتين، هجرة إلىٰ الله وهجرة إلىٰ الرسول ﷺ كما أنه لا يسلم إلا بالهجرة من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام.

(١) يُحكِّم الكتابَ والسنـةَ علىٰ أقوالِ الشيوخ بأن يعرضَ أقوالَ الشيوخ مهما كبر شأنهم علىٰ الكتاب والسنة، فما وافق الكتابَ والسنة يُقبل، وما خالفهما يُردّ، حتىٰ ولو كانوا من أكابر الشيوخ، فالقرآن والسنة فوق الجميع.

لا يَحكُمَــانِ ببــاطِــلٍ أبَــداً وكُــلْ
لُ العَـدْلِ قَـدْ جـاءَتْ بـه الحُكْمَـانِ

وهُمَـــا كتـــابُ الله أعــدَلُ حــاكِــمٍ
فيـــه الشِّفـــا وهـــدايَـــةُ الحَيْـــرانِ

والحــاكِــمُ الثــانــي كــلامُ رَسُــولِــهِ
مَــا ثَــمَّ غيــرُهُمــا لــذي إيمــانِ

فــإذا دَعَــوْكَ لغيــرِ حُكْمِهمــا فــلا
سمعــاً لــداعــي الكفــرِ والعصيــانِ[1]

قُــلْ لا كَــرَامــةَ لا ولا نُعْمَــىٰ ولا
طَــوْعــاً لمَــنْ يَــدْعُــو إلــىٰ طُغْيَــانِ

وإذا دُعيت إلىٰ الرسول فقل لهم
سَمْعــاً وطَــوْعــاً لســتُ ذا عصيــانِ[2]

وإذا تكــاثــرتِ الخصــومُ وصَيَّحُــوا
فــاثْبُــتْ فَصَيْحَتُهــمْ كمثــلِ دُخــانِ[3]

---

(١) إذ قالوا: تعالَ إلىٰ القواعد المنطقية وعلم الكلام وإلىٰ القوانين، فقلْ: لا سمع ولا طاعة، بل تعالوا إلىٰ الكتاب والسنة، لا إلىٰ قاعدة فلان وفلان وعلم المنطق وعلم الكلام وما تسمونه بالبراهين العقلية. هذه كُلُّها أباطيل، ونحن نرجع إلىٰ الكتاب والسنة، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] هذا هو سبيل النجاة.

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١].

(٣) صيحة أهل الباطل مثل الدخان يضمحل.

يَـرقـىٰ إلـىٰ الأوجِ الـرفيـعِ وبعـدَهُ
يهوي إلىٰ قَعْرِ الحضيضِ الداني[١]

هــذا وإنَّ قتــالَ حــزبِ اللهِ بــالْـ
أعمــالِ لا بكتــائـبِ الشُّجعــانِ[٢]

والله مــا فتحــوا البــلادَ بكثــرةٍ
أنَّــىٰ وأعــداهُــمْ بــلا حُسْبــانِ[٣]

وَكـذاكَ مـا فَتَحُـوا القُلـوبَ بهـذه الـ
آراءِ بــلْ بــالعِلْــمِ والإيمــانِ

---

(١) يتكاثف الدخان ويغطي السماء ويرتفع ثم سرعان ما ينخفض ويضمحل وكذلك أمر الباطل.

(٢) قتال حزب الله إنما هو بالإيمان وبالأعمال الصالحة لا بكثرة الجنود. وإنما الأعمال الصالحة هي سلاحهم.

(٣) يُحرِّضُ الشيخ رحمه الله في هذه الأبيات علىٰ جهاد أعداء الله بالسيف في المعركة وباللسان في المناظرة، فالمسلمون ما فتحوا المشارق والمغارب بكثرة الجنود، لأن خصومَهم من الفرس والروم أكثرُ منهم، وإنَّما فتحوها بالإيمان والعقيدة الصحيحة، ولم يفتحوا القلوب بالكلام والأقوال والآراء الكثيرة، وإنما فتحوها بالكتاب والسنة، وأثَّروا في القلوب فامتلأت بالعلم والإيمان، بالكتاب والسنة لا بقول فلان ولا بقول علاّن. إنما انتصروا بالعقيدة الصحيحة وبالعلم النافع، فنشروا العلم في المشرق والمغرب، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وانتشرت مملكة المسلمين بهذين السببين: الجهاد الصادق بالعدة وبالعلم النافع.

وشجاعَةُ الفرسانِ نفسُ الزُّهْدِ في
نَفْـسٍ وذا محـذورُ كـلِّ جَبـانِ(١)
وشَجـاعَـةُ الحُكّـامِ والعلمـاءِ زُهْـ
ـدٌ فـي الثَّنـا مِـنْ كُـلِّ ذي بُطـلانِ
فـإذا هُمـا اجْتَمَعَـا لقَلْـبٍ صَـادِقٍ
شُـدَّتْ رَكـائِبُـهُ إلـىٰ الـرَّحمٰـنِ
واقْصِـدْ إلـىٰ الأقـرانِ لا أطـرافِهـا
فـالعِـزُّ تحـتَ مَقـاتِـلِ الأقْـرَانِ
واسْمَـعْ نصيحـةَ مَـنْ لـهُ خَبَـرٌ بمـا
عنـدَ الـورىٰ مـن كثـرةِ الجَـوَلانِ

(١) بيَّن أن زُهد الشجعان، هو الزهد في الحياة، وهذا عزيزٌ علىٰ الجبان، يخاف الجبان من الموت، لكن الشجاع يُقدم ولا يخاف من الموت. إن قُتِلَ فهو شهيد، وإن انتصر فهو مجاهد في سبيل الله.

وزهد العلماء والحكّامِ الذين يحكمون بين الناس هو زهدهم في الثناء والمدح، فهم لا يريدون المدح والثناء من الناس، وإنّما يريدون كلمة الحق سواءً مُدِحوا أو ذُمُّوا، فهم يقصدون وجه الله تعالىٰ لا يقصدون رياءً ولا سمعة، فإذا اجتمعت هذه الصفات: قوة العقيدة، وقوة السلاح، والعلم النافع، والشجاعة وعدم الجبن، والزهد في الثناء، وعدم النظر إلىٰ كلام الناس، إذا اجتمعت هذه الأمور فإن الإنسان يُقدم علىٰ الجهاد وخوض المعركة؛ لأنه مسلَّح بالإيمان والعقيدة والعلم والزهد في الحياة وفي الثناء وبهذا تكون الغلبة لأهل الحق دائماً وأبداً، إذا اجتمعت هذه الأمور.

مـا عنـدَهُـمْ واللهِ خيـرٌ غيـرَ مـا
أخـذوهُ عَمَّـن جـاء بـالقـرآنِ[١]
والكـلُّ بعـدُ فبـدعـةٌ أو فِـرْيَـةٌ
أو بحـثُ تشكيـكٍ ورأيُ فـلانِ[٢]
فـاصْـدَعْ بـأمـرِ الله لا تَخْشَ الـوَرىٰ
فـي اللهِ واخْشـاهُ تفُـزْ بـأمـانِ
واهْجُـرْ ولَـوْ كـلَّ الـوَرَىٰ فـي ذاتِـه
لا فـي هَـواكَ ونَخْـوَةِ الشَّيطـانِ
واصْبِـرْ بغَيْـرِ تَسَخُّـطٍ وشِكـايـةٍ
واصفَـحْ بغيـرِ عِتَـابِ مَـنْ هـوَ جـانِ
واهْجُرْهُم الهجرَ الجميلَ بلا أذىً
إنْ لـم يكـنْ بـدٌّ مِـن الهِجـرانِ[٣]

---

(١) يقول: اسمع مقالة مَن عندَه خِبرةٌ بما عند الناس. ما عند الناس خير إلا ما كان من القرآن والسنة وما عداهُما فإنه ضلال واضمحلال، لا طائل تحته.

(٢) هذا الذي عند أكثر الناس إمّا بدعة وهي التقرُّب إلىٰ الله بما لم يشرعهُ، أو فرية: وهي الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله ﷺ كما عند الطوائف الضالة، وإمّا كلام لا فائدة من ورائه، هذا الذي عند أكثر الناس.

(٣) عندنا ثلاثة أشياء ذكرها الله في كتابه: الصبر الجميل، والصفح الجميل والهجر الجميل، يلزم طالب العلم والداعية إلىٰ الله أن يتحلَّىٰ بها. =

واننظُـرْ إلـىٰ الأقـدارِ جـاريـةً بمـا
قـد شـاء مِـن غَـيٍّ ومِـن إيمـانِ

واجعـلْ لقلبِـكَ مُقْلَتَيْـنِ كـلاهُمـا
بـالحـقِّ فـي ذا الخَلْـقِ نـاظـرتـانِ

فـانظـرْ بعيـنِ الحُكْـمِ وارحمْهُـمْ بهـا
إذْ لا تُـرَدُّ مشيئـةُ الـدَّيّـانِ

وانظـرْ بعيـنِ الأمـرِ واحمِلْهُـمْ علـىٰ
أحكـامِـهِ فهمـا إذاً نَظَـرانِ[1]

= والصبر الجميل: هو الذي ليس معه شكاية إلىٰ الناس، وإنما يشكو إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ولهذا يقول يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] مع أنه قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣] فالشكاية إلىٰ الله لا تنافي الصبر، إنما الذي يُنافي الصبر الشكاية إلىٰ الناس.

والصفح الجميل: هو الذي ليس معهُ عتاب، فإذا كان معه عتاب لم يكن صفحاً جميلاً.

والهجر الجميل: هو الذي ليس معه أذىٰ، ولا انتقام لنفسك. هذه ثلاثة الأمور كلها مذكورة في القرآن، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة في هذه الأمور الثلاثة، «الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل» رسالة مستقلة.

(١) يقول: انظر إلىٰ ما يجري من الناس بنظرين:

نظر من ناحية القضاء والقدر، فبذلك تعلم أنه لا بد من وقوع ما قدَّر الله تبارك وتعالىٰ من أفعالهم فلا تلمهم علىٰ القضاء والقدر. =

واجعلْ لوجهِكَ مُقلَتَيْنِ كلاهما
مِن خشيةِ الرحمٰنِ باكيتانِ
لو شاءَ ربُّكَ كنتَ أيضاً مثلَهُمْ
فالقلبُ بينَ أصابعِ الرحمٰنِ[١]
واحذرْ كَمائِنَ نفسِكَ اللاتي متىٰ
خرجَتْ عليكَ كُسِرْتَ كَسْرَ مُهانِ[٢]

= ونظر إلىٰ الشرع، وأن الله أمرهم بالخير ونهاهم عن الشر، فبذلك تلُومُهم علىٰ المعاصي والمخالفات، وتأمرُهم بالطاعات، أمّا من نظر النظرَ الأول إلىٰ القضاء والقدر فقط فهذا نظر الجبرية، ومن نظر النظر الثاني إلىٰ أفعال العباد ولم ينظر إلىٰ القضاء والقدر فهذا نظر القدرية، أمّا أهل السنة فينظرون النظرين، نظر إلىٰ القضاء والقدر، ونظر إلىٰ أنّ الله أمر ونهىٰ وشرع وأعطىٰ الناس قدرة واختياراً يفعلون بهما ما يشاءون، إمّا الخير وإمّا الشر باختيارهم وإرادتهم، فلا تنظر نظراً واحداً إلىٰ القضاء فقط أو إلىٰ الأمر فقط ولكن انظر إلىٰ الأمرين جميعاً.

(١) قوله: لو شاء ربك كنت أيضاً مثلهم، أي: مثل هؤلاء الكفرة والعصاة، فلا تُزكِّ نفسَكَ ولكن احمد الله أن عافاك ممّا أصابهم، واخش أنْ تنحرف مثلهم، لأن القلوب بين أصابع الرحمٰن، فالإنسان لا يأمن علىٰ نفسه من الضلال مهما بلغ من العلم والتقوىٰ، فلا يأمن علىٰ نفسه من الانحراف؛ لأنه إنْ أمنَ علىٰ نفسه فهو حَرِيٌّ أن يُصاب، فينظرُ إلىٰ المبتلين فيحمد الله علىٰ العافية، ويخشىٰ أن يصيبه مثل ما أصابهم، لأنّ ما أصابهم إنما هو بقضاء الله وقدره ولو شاء الله لجعلك مثلَهُم.

(٢) احذر شرور نفسك، فالإنسان أخطر ما عليه شرورُ نفسه، فإذا وقاهُ اللهُ شرور نفسه وقاه غيرها من باب أولىٰ، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: =

وإذا انتصرتَ لها فأنت كمن بغىٰ
طَفْيَ الدُّخانِ بمَوْقِدِ النيرانِ(١)
واللهُ أخبرَ وهو أصدقُ قائلٍ
أن سوف ينصُرُ عبدَهُ بأمانِ(٢)

= «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»(*) فالإنسان إذا وُقِي شرَّ نفسه فإنَّه يُوقَىٰ شرور غيرها من باب أولىٰ، فالنفس خطرها عظيم، ولهذا يقول جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

(١) يقول: لا تنتصر لنفسك أبداً، وإنَّما أنت انتصر للحقِّ، أمّا نفسك مهما ابتليت من الناس فاصبر علىٰ أذاهم، ولهذا كان النبي ﷺ يُؤْذىٰ ولا ينتصر لنفسه أبداً، وإنَّما ينتصر لله عزّ وجل، وكان لا يغضب لنفسه عليه السلام، يُقال فيه ويُواجه بالكلام والأذىٰ ولا ينتصر لنفسه، ولو شاء لانتصر؛ لأن الله أعطاهُ القوة والسُّلطة، ولكنه لا ينتصر لنفسه أبداً، وإنما يعفو ويتجاوز ويُحسِن إلىٰ من أساء إليه، هذه أخلاقه ﷺ، لكن إذا انتهكت حرمات الله فإنَّه يغضب وينتقم لمحارم الله، فأنت أيها المؤمن يجب أن تكون كذلك، لا تنتصر لنفسك وإنَّما انتصر لله عزَّ وجل.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١] وقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] فإذا لم تنتصر لنفسك فإن الله ينصرُك، أمّا إذا انتصرت لنفسك فإنّ الله يُخلِّي بينك وبين عدوك.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤/ ٤٧٧ (٢٧٤٩)، ومسلم (٢٦٨) (٤٦) من حديث ابن عباس.

مَـن يعمـلِ السُّـوْءَىٰ سيجـزىٰ مِثلَهـا
أو يعمـلِ الحُسنـىٰ يَفُـزْ بجِنـانِ[١]
هـذي وَصِيَّـةُ نـاصـحٍ ولنفسِـه
وصَّـىٰ وبعـد سـائـرَ الإخـوانِ[٢]

* * *

(١) قال تعالىٰ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦].

(٢) هذا الذي ذكر في هذا الفصل وصية ناصح لنفسه، وهكذا ينبغي للمؤمن أن يبدأ بنفسه أولاً، ثمّ ينصح إخوانه، فهو موجِّهٌ هذه النصائح إلىٰ نفسه أولاً، ثمّ ينصح بها كلَّ مؤمن.

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم(١)

فاجلسْ إذاً في مجلسِ الحَكَمَيْنِ للرْ
رَحمٰـــنِ لا للنفـــسِ والشيطـــانِ(٢)

---

(١) لأن هذه القصيدة المقصود منها الحكم بين الطوائف، وبيان من هو علىٰ الحقِّ منها ومن هو علىٰ الباطل، والتحكيم إنما يكون إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سنة رسوله، وهو يريد أن يعرض أقوال الطوائف علىٰ الكتاب والسنة ليتبين المحق من المبطل.

(٢) المراد بالحكمين: الكتاب والسنة، لأن الله جعل الكتاب والسنة حكمين في المُنازعات، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] إلىٰ الله: إلىٰ كتاب الله، والرسول: إليه في حياته وإلىٰ سُنته بعد وفاته، وقال ﷺ: «إنِّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»(*)، فكأنه موجودٌ بيننا ﷺ بما تركه لنا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكتاب الله لا يُغيَّر ولا يُبدَّل لأنه محفوظ، كذلك سنة الرسول ﷺ محفوظة لا تُبدَّل ولا تُغيَّر، فمن أراد معرفة الحق من الباطل فليرجع إليهما بصدق وإخلاص، وتجردٍ من الهوىٰ وطلب الحقِّ، وبذلك يعرف الحق من الباطل. ويكون القصد الرحمٰن لا الانتصار للنفس =

(*) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/ ١٧٢ (٣١٩)، وابن عبد البر في «الاستذكار» ٩/ ٥٥٦ بعد الحديث (٢٥٥٧)، من حديث أبي هريرة، وأخرجه الحاكم ١/ ١٧١ (٣١٨) من حديث ابن عباس.

الأولُ النقــلُ الصحيــحُ وبعــدَهُ الْـ

ـعَقْـلُ الصـريـحُ وفِطـرةُ الـرحمْـنِ[١]

واحْكُــمْ إذاً فــي رُفْقَــةٍ قــد ســافـروا

يبغــونَ فــاطــرَ هــذه الأكــوانِ[٢]

= والتعصُّب للرأي أو للمذهب أو لقول فلان وعلاّن، بل يكون القصد طلب الحق، فإذا تبين الحق فإنك تأخذ به ولو كان خلاف ما تقوله أنت، أو خلاف ما تهواه نفسك ورغبتك، فالحق ضالة المؤمن، فمن كان هذا هدفه فإنه يُهدىٰ إلىٰ الصراط المستقيم، أمَّا من يرجع للكتاب والسنة من أجل أن ينتصر لهواه أو لمذهبه أو لمذهب إمامه، فإن هذا لا يوفَّق للحق لأنه متعصب، ولهذا تجد هذا النوع إن وافق الكتاب والسنة هواه فرح بذلك، وإن خالف الكتاب والسنة هواه فإنه لا يقبل بل يُحرِّف ويؤوِّل النصوص، ولا يقبل ما جاءت به النصوص، بل يُحرِّفها ويؤولها حتىٰ توافق هواه، وهذه طريقة أهل الضلال.

(١) النقل الصحيح من الكتاب والسنة ويُسمىٰ «السمع والنقل والأثر» فالكتاب والسنة هما المأثور وهما المنقول وهما المسموع. هذه كُلُّها أسماء للكتاب والسنة، والثاني: العقل الصريح السالم من الهوىٰ والأغراض السيئة، فإذا اتفق الاثنان: العقل الصريح والنقل الصحيح حصل الحق، لأن النقل الصحيح لا يُخالف العقل الصريح أبداً وإن اختلفا، فإمّا أن النقل غير صحيح وإما أن العقل غير صريح، هذه هي القاعدة، فالنقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح.

(٢) هذه الطوائف التي قالت في الله المقالات، كلٌّ قال في ربه ما قال، وزعم أنه هو علىٰ الحق وأن غيرَه علىٰ الباطل.

فتــرافَقُــوا فــي سيــرِهــم وتفــارقــوا
عنــد افتــراقِ الطُّــرْقِ بــالحيــرانِ[١]

فــأتــىٰ فــريــقٌ ثــم قــال وجــدْتُــهُ
هــذا الــوجــودُ بعينِــهِ وعِيــانِ[٢]

مــا ثَــمَّ مــوجــودٌ ســواه وإنمــا
غلــطَ اللســانُ فقــال مــوجــودانِ[٣]

فهــو السمــاءُ بعينهــا ونجــومِهــا
وكــذلــك الأفــلاكُ والقمــرانِ

وهــو الغمــامُ بعينــه والثلــجُ والـ
أمطــارُ مــع بَــرْدٍ ومــع سُحْبــانِ

وهــو الهــواءُ بعينــه والمــاءُ والتْـ
ـتُرْبُ الثقيــلُ ونَفْسُ ذي النِّيــرانِ[٤]

---

(١) في البداية هم متفقون يوم كانوا علىٰ الفطرة السليمة، ولكن لما زاغت الفطر، وفسدت الفطر تفرقوا كلّ ذهب إلىٰ جهته.

(٢) جاء الفريق الأول وهم أهل وحدة الوجود، ابن عربي الطائي وأتباعه، فقالوا: الرب هو كل هذا الكون، ليس فيه انقسام ولا تعدد، وهؤلاء هم أهل وحدة الوجود، يعنون أن الكون كله، بما فيه الخالق والمخلوق، لا فيه رب وعبد، بل هذا الوجود كلُّه هو الرب، تعالىٰ الله عمّا يقولون.

(٣) ما فيه موجودان، إنّما هو موجودٌ واحد هو الرب فالقول بالتعدد غلط يقال باللسان.

(٤) عناصر الطبيعة الهواء والتراب والنار والماء فهي عناصر الكائنات، والله عندهم مجموع هذه الأشياء.

هــذي بســائطُــهُ ومنــهُ تــرَكَّبَــتْ
هــذي المَظــاهــرُ مــا هُنــا شَيئَــانِ
وهْــوَ الفَقيــرُ لهــا لأجْــلِ ظُهُــورِهِ
فيهــا كَفَقْــرِ الــرُّوحِ لــلأبــدَانِ
وهــي التــي افتقــرَتْ إليــه لأنــه
هــو ذاتُهــا ووجــودُهــا الحقّــانــي
وتظَــلُّ تَلْبَسُــهُ وتخلعُــهُ وذا الـ
إيجــادُ والإعــدامُ كــلَّ أوانِ[1]
ويَظَــلُّ يَلْبَسُهــا ويَخْلَعُهــا وذا
حُكْــمُ المَظــاهِــرِ كَــيْ يَــرىٰ بعِيَــانِ
وتُكَثِّرُ الموجودَ كالأعضاءِ في الـ
ـمَحْسوسِ من بشرٍ ومن حيوانِ[2]

---

(١) هذا قول ابن عربي: أن الكون كُلّه هو الله، ليس فيه انقسام. وهو قول ابن سبعين والتلمساني وابن الفارض، هؤلاء هم أبطال هذا المذهب ـ قبحهم الله ـ وابن الفارض هو صاحب القصيدة التائية في وحدة الوجود وابن عربي صاحب كتاب «فصوص الحكم» في هذا الموضوع.

(٢) هذا قول ابن عربي، وهو زعيم القائلين بوحدة الوجود، وهو أكفر أهل الأرض والعياذ بالله، لأن هذا القول ما قاله المجوس، ولا أحد من الكفرة، فالكفرة مقرون بأن هناك رب وهناك خلق، وإبليس مقر بأن هناك خالق ومخلوق.

=

أو كالقُوَىٰ في النفسِ ذلكَ واحدٌ
مُتكثِّـــرٌ قـــامَـــتْ بـــه الأمـــرانِ
فيكـــون كـــلاً هـــذه أجـــزاؤهُ
هــذي مقــالــةُ مُــدَّعــي العِــرفــانِ[١]
أو أنهـــا لِتكثُّـــرِ الأنـــواعِ فـــي
جنسٍ كمـا قـال الفـريـقُ الثـانـي[٢]

= وهذا جوابهم عن تعدد الأشياء، لما قيل لهم: نحن نشاهد الكون متعدد فيه حيوان وفيه إنسان وفيه جبال وفيه بحار وفيه أشجار، ليس شيئاً واحداً، كيف تقولون: إنه شيءٌ واحد؟ انقسموا في الجواب عنه إلىٰ أقسام:

ابن عربي يقول: هذا مثل تعدُّد أعضاء من الجسم، فالجسم واحد وله أعضاء يدانِ ورِجْلان، وسمع وبصر وشعر وجلد وعظم وعصب وعروق، فتعدد هذه الأشياء إنما هو تعدُّد أجزاء فقط لشيء واحد.

وابن سبعين: يقول: هذا من تعدد الأنواع تحت الجنس فمثلاً: الحيوان جنس تحته أنواع: إبل، وغنم، وبقر وظباء وأرانب.

والتلمساني يقول: هذا توهُّم، ما ثمّ إلا شيءٌ واحد وهذه التعدُّدات وَهْمٌ ليس حقيقة، وبعضهم يقول: هذا التعدد مثل خواطر النفس وهواجس النفس، النفس شيء واحد لها خواطر ولها هواجس ولها قوىٰ نفسانية، فهم اضطربوا في تفسير هذا التعدد وإلا فهم مُجمعون علىٰ أنه شيءٌ واحد، إنما اختلفوا في تفسير هذا التعدُّد وهذا التنوع.

(١) الذي هو ابن عربي، يُسمونه «العارف بالله» سيد العارفين.

(٢) هذا هو القول الثاني، وهو قول ابن سبعين.

فيَكــونُ كُلِّيــاً وجُــزْئيّــاتُــهُ
هــذا الــوُجُــودُ فهــذه قــولانِ
إحــداهمــا نــصُّ الفصــوصِ وبعــدَهُ
قــولُ ابــن سَبْعِيــنٍ ومــا القــولانِ[1]
عنــدَ العفيــفِ التِّلْمَسَــانــي الــذي
هــو غــايــةٌ فــي الكفــرِ والطغيــانِ[2]
إلاّ مِــنَ الأغــلاطِ فــي حِــسٍّ وفــي
وَهْــمٍ وتلــكَ طَبيعــةُ الإنســانِ
والكُــلُّ شَــيءٌ واحِــدٌ فــي نفسِــهِ
مــا للتَّعــدُّدِ فيــه مِــنْ سُلْطــانِ
فــالضيــفُ والمــأكــولُ شــيءٌ واحــدٌ
والــوهــمُ يُحْسَــبُ هــا هنــا شيئــانِ[3]
وكذلك المَوطُوء عينُ الوَطْء والْـ
ـــوَهْــمُ البعيــدُ يقــول ذا إثنــان
ولــربمــا قــالا مقــالتَــهُ كمــا
قــد قــالَ قــولَهُمــا بــلا فُــرْقــانِ[4]

---

(١) كتاب «الفصوص» لابن عربي.

(٢) يقول: هذا التعدد وهم، ليس فيه تعدد في الحقيقة وإنما هو شيءٌ واحد.

(٣) الضيف والطعام الذي يأكلُه شيءٌ واحد.

(٤) يعني الزوج والزوجة حين الوطء شيءٌ واحد، ما فيه موطوء ولا واطىء مثل: المأكول والآكل شيء واحد، وربما يوافق ابن عربي التلمساني في =

وأبىٰ سِـواهُـمْ ذا وقـال مَظَـاهـرٌ
تَجلُـوهُ ذاتُ تَـوَحُّـدٍ ومَثـانِ[١]

فـالظـاهـرُ المَجْلُـوُّ شـيءٌ واحـدٌ
لكـنْ مَظَـاهـرُه بـلا حُسْبَـان[٢]

هـذي عبـاراتٌ لهُـمْ مضمـونُهـا
مـا ثَـمَّ غَيْـرٌ قـطُّ فـي الأعيـانِ[٣]

فـالقـومُ مـا صـانـوهُ عـن إنْسٍ ولا
جِـنٍّ ولا شجـرٍ ولا حيـوانِ[٤]

كـلاّ ولا عُلْـوٍ ولا سُفْـلٍ ولا
وَادٍ ولا جَبَـلٍ ولا كُثْبَـانِ

= بعض الأحيان، بأن هناك تعدداً ولكن مذهبه المعروف ليس فيه تعدد وإنما هو توهم.

(١) هذا قولٌ رابع: يقول كل أقوالكم هذه خطأ، هذا التعدد مظاهر للرب يظهر بها وإلا ليس فيه تعدد، وإنما هي مظاهر فقط.

(٢) المظاهر كثيرة، لكن الظاهر شيءٌ واحد.

(٣) يقول: هذا حاصل مقالاتهم ومعناه أنها كُلَّها شيءٌ واحد، ما هناك غيرٌ وإنما هو شيءٌ واحد، ما هناك خالق ومخلوق ولا رب وعبد إنما هو شيءٌ واحد كلُّه رب.

(٤) بل جعلوا كل هذا الوجود هو الله، الشجر والحجر والجبل والبحر والخنزير والكلب والجمل والإنسان والثعلب والقط، كلٌّ هذه هي الرب.

كــــلاّ ولا طَعْــــمٍ ولا رِيــــحٍ ولا
صَــوْتٍ ولا لَــوْنٍ مِــن الألْــوانِ
لكنَّــه المطعــومُ والملبــوسُ والْـ
ـمَشْمــومُ والمَسمــوعُ بــالآذانِ[١]
وكــذاكَ قــالــوا إنــه المنكــوحُ والْـ
ـمذبوحُ بل عينُ الغَوِيِّ الزاني[٢]
والكفــرُ عنــدهــم هــدىً وَلَــوَ انَّــهُ
دينُ المجوسِ وعـابدي الأوثـانِ[٣]

---

(١) أي هذه الأشياء هي الله ـ تعالىٰ الله عما يقولون.

(٢) ما نزهوهُ حتىٰ عن الفواحش والزنا والقاذورات، قالوا: هذه كلُّها أفعال الرب سبحانه وتعالىٰ، تعالىٰ الله عمّا يقولون. وهذا يدل علىٰ أن الإنسان إذا لم يعصمه الله فإنه يسقط إلىٰ ما لا نهاية.

(٣) هذه ثمرة هذا المذهب الخبيث أنه ليس فيه كفرٌ علىٰ وجه الأرض، لأن كل الملل والعبادات متجهة إلىٰ الله، مَنْ عبد الشجر والحجر ومَنْ عبد الصنم والنار ومَنْ عبد الكواكب، ما عبد إلا الله لأن هذه هي الله عندهم، وإنما الخلل في التخصيص، وأن تُخصِّص شيئاً واحداً وتقول: إنه هو الله، أمّا إذا عمَّمت وقلت: إن الكون كلَّهُ هو الله فهذا هو التوحيد عندهم، فالشرك عندهم أن تقول: هناك خالق ومخلوق، لكن إذا قلت: الكون كله هو الله هذا هو التوحيد عندهم فليس هناك خالق ومخلوقٌ، ولذلك هم لا يُكفِّرون أحداً، لا يكفرون فرعون ولا يكفرون إبليس ولا يكفرون كل مشرك لأنهم كلهم يعبدون الله بزعمهم، ولهذا يقول أحدهم:

عَقَدَ الخلائقُ في الإلـٰهِ عقيدةً   وأنا اعتقدتُ جميعَ ما اعتقدوهُ

قـالـوا ومـا عبـدُوا سـواهُ وإنَّمـا
ضلُّـوا بمـا خَصُّـوا مـن الأعيـانِ[١]
ولـو أنَّهـم عمُّـوا وقـالـوا كُلُّهـا
معبـودةٌ مـا كـان مـن كُفـرانِ[٢]
فـالكفـرُ سَتْرُ حقيقـةِ المعبـودِ بـالتْـ
ـتَخْصيـصِ عنـدَ مُحَقِّـقٍ ربّـانـي[٣]
قـالـوا ولـم يـكُ كـافـراً فـي قـولـه
أنـا ربُّكُـمْ فـرعـونُ ذو الطغيـانِ
بـل كـان حقّـاً قـولُـه إذْ كـان عَيْـ
ـنَ الحـقِّ مضطلعـاً بهـذا الشـانِ
ولـذا غَـدا تَغـريقـهُ فـي البحـرِ تطـ
ـهيـراً مـن الأوهـام والحُسْبـانِ[٤]

---

(١) يعني كونهم خصصوا شيئاً معيناً يعبدونه دون غيره، هذا هو الضلال ولو أنّهم عبدوا كل الموجودات صارُوا موحدين.

(٢) لو قالوا: كل من عبد شيئاً فإنّما عبد الله صار هذا عندهم هو التوحيد.

(٣) المُحقق الرباني عندهم هو الذي يقول: كل المعبودات هي الله، والمنحرف عندهم هو الذي يقول: لا إلـه إلا الله.

(٤) قال أصحاب وحدة الوجود: إن فرعون مصيب في ادّعائه الربوبية لأنه هو جزء من هذا الكون فهو غير غالط حين قال: «أنا ربكم» ولذلك طهَّره الله بالماء تطهيراً؛ لأنه خصص العبادة بشخصه فقط، فالله طهَّرهُ بالماء من =

قالوا ولم يكُ منكراً موسىٰ لِمَا
عبدوهُ من عجلٍ لذي الخَورانِ[١]
إلاَّ علىٰ من كان ليس بعابدٍ
معهم وأصبحَ ضَيِّقَ الأعطانِ[٢]
ولذاك جرَّ بلحيةِ الأخِ حيثُ لَمْ
يَكُ واسعاً في قومه لِبطانِ
بل فرَّقَ الإنكارَ منه بينَهم
لمَّا سَرَىٰ في وَهْمِهِ غَيْرَانِ

= هذا القول حيث ظن أنه وحدَه هو الرب وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] ولو قال: كل شيء هو ربكم صار موحداً، لذلك لمّا غلط طهَّرَه الله وغسَّلَهُ فتغريقُه ليس تعذيباً له بل تطهير له لأنّه خصَّ الربوبية بشخصه فقط.

(١) يقولون: إنما أنكر موسىٰ علىٰ هارون، ولم ينكر علىٰ بني إسرائيل حين عبدوا العجل، بل أنكر علىٰ هارون وأخذ برأسه يجرُه إليه، لأن هارون أنكر عليهم الحق، وكان الواجب أن يسكت ولا ينكر عليهم؛ لأن عبادتهم العجل هي التوحيد، فهم قلبوا الحقيقة وجعلوا هارون هو المخطىء وجعلوا عبدة العجل مُصيبين، ولما قال السامري: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨] كان علىٰ صواب في هذا، وإنما الذي غلط هو هارون حيث أنكر عليهم، ولذلك عاقبَهُ موسىٰ وأخذ يجرهُ إليه.

(٢) يقولون: هارون ضيق عطن لا يفهم، ولو أنه اتسع فكرهُ ورأيه لقال: هؤلاء مصيبون لأنهم ما عبدوا إلا الله، لأن العجل هو الله.

ولقـد رأىٰ إبليسَ عـارِفُهُـمْ فـأهـ
ـوىٰ بالسجود هَوِيَّ ذي خُضْعانِ[١]

قالوا له ماذا صنعت؟ فقال: هلْ
غيـرُ الإلٰـه وأنتُمـا عُميـانِ؟[٢]

مـا ثـمَّ غيـرٌ فـاسجـدوا إن شئتُـمُ
للشمـسِ والأصنـامِ والشيطـانِ[٣]

فـالكـلُّ عيـنُ اللهِ عنـد مُحقِّـقٍ
والكـلُّ معبـودٌ لـذي عِـرْفـانِ[٤]

هـذا هـو المعبـودُ عنـدهـم فقـلْ
سُبحـانَـكَ اللهـمَّ ذا السُّبحـانِ[٥]

---

(١) يقول: إنّ واحداً من طائفة ابن عربي لما رأىٰ إبليس سجد له، فأنكر عليه إبليس فقال: لماذا سجدت؟ قال: «لأنك أنت الرب» عملاً بمذهب الموحدة لأن إبليس من هذا الوجود فهو الرب.

(٢) سألوه: لماذا سجدتَ لإبليس؟ قال: هل سجدت لغير الإلـه، لأن إبليس عنده هو الإلـه، لأنه من هذا الكون.

(٣) لأن هذه الأشياء من الوجود الذي هو الله عندهم.

(٤) ما يكون محقق عندهم إلا إذا رأىٰ أن هذا الكون كلّه هو الله، وأنه ليس فيه انقسام، فالذي يرىٰ أنّ فيه انقساماً ليس بمُحقق.

(٥) يعني إذا عرفت هذا المذهب وإغراقَه في الكفر والضلال فإنه يجب عليك أن تُنزه الله عن هذا القول، وأن تخاف أيضاً أن تضل مثل ما ضلُّوا، وتُصاب بفساد الفطرة والعقيدة والقلب، لأن هؤلاء آدميون ولهم =

يا أمةً معبودُها موطوؤُها
أينَ الإلٰهُ وثغرةُ الطَّعّانِ[(١)]
يا أمةً قد صارَ مِن كُفرانها
جزءٌ يسيرٌ جملةَ الكُفرانِ[(٢)]

* * *

= عقول ومعارف ولهم علوم ولهم ذكاء ولكنهم ـ والعياذ بالله ـ انسلخوا من فطرهم وعقولهم ووصلوا إلىٰ هذا الحضيض مع أنهم من بني آدم.

(١) يرد رحمه الله علىٰ أهل وحدة الوجود يقول: معبودكم الذي تطؤونه بالجماع، الزوج والزوجة كلهم رب، فالزوجة رب ومع ذلك يطؤها وهي ربه، ويأكل الطعام وهو رب.

(٢) يقول: كفر أهل الأرض يسير عند كفر أهل وحدة الوجود.

فصل

في قُدومِ رَكْبٍ آخرَ

وأتىٰ فريقٌ ثمَّ قال وجدتُه
بالذاتِ موجوداً بِكلِّ مكانِ

هو كالهواءِ بعينِه لا عينُهُ
ملأ الخلاءَ ولا يُرىٰ بعيانِ

والقومُ ما صانوهُ عن بئرٍ ولا
قبرٍ ولا حُشٍّ ولا أعطانِ[1]

---

(١) لما ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله مذهب الاتحادية «جماعة ابن عربي» الذين يقولون: إنّ الله هو هذا الكون كلُّه ذكر مذهب الحلولية الذين يقولون: إن الله ليس هو الكون ولكنه حالٌّ في مخلوقاته لذلك سمُّوا بالحلولية، ولما سُئلوا: كيف يكون حالاً في مخلوقاته، وهل يُتصوَّر هذا؟ قالوا: إنه يكون كالهواء لا يُرىٰ، وهو موجود، أو كالروح في البدن، يتحركُ ويحيا بها وهي لا تُرىٰ فيمكن هذا، كما تحل الروح في البدن وهي لا تُرىٰ ويحل الهواء في هذا الكون وهو لا يُرىٰ كذلك الله في زعمهم ـ تعالىٰ الله عمَّا يقولون ـ إنّ الله في هذا الكون حالٌّ فيه ـ وهم علىٰ قسمين:

القسم الأول: حلولية جزئية يقولون: إن الله ليس حالاً في كل الأشياء ولكنه يحل في بعض الأشياء مثل حلوله في المسيح عند النصارىٰ، ومثل الحلّاج الذي يزعم أنّ الله حالٌّ فيه، ويزعمون أن كل من وصل إلىٰ مرتبة في التصوف (عينوها ووضعوا لها شروطاً)، من وصل إلىٰ هذه المرتبة فإنه يكون محلاً للربّ «يحلُّ فيه» حلولية جزئية. =

بـلْ منْهُـمُ مَـنْ قَـدْ رأىٰ تَشْبِيهَـهُ
بـالـرُّوحِ داخـلَ هـذهِ الأبْـدَانِ
مـا فيهِـمُ مَنْ قـال: ليـسَ بـداخـلٍ
أو خـارجٍ عـن جملـةِ الأكـوانِ
لكنَّهُـم حـامُـوا علـىٰ هـذا ولـمْ
يَتَجَـاسَـرُوا مِـنْ عَسْكَـرِ الإيمـانِ
وعليهِـمُ ردَّ الأئمـةُ أحمـدٌ
وصِحـابُـه مـن كـلِّ ذي عِـرْفـانِ[1]

= القسم الثاني: أما الحلولية العمومية فيقولون: إن الله حالٌّ في كلِّ مكانٍ من هذا الكون، فردَّ عليهم ابن القيم رحمه الله: إنكم ما نزهتموه عن الحلول في الحشوش وعن المحلّات النجسة والقاذورات ـ تعالىٰ الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ فإذا كان حالاً في كل مكان فمعناه: أنه يحل حتىٰ في الأشياء النجسة والقذرة ولا يُنزهون الله تعالىٰ فهل بعد هذا الكفر كفر؟

(١) يقول: إن قول الحلولية هذا مع شناعته أخف من قول الجهمية الذين يقولون: إنّ الله ليس بداخل الأكوان ولا خارجها، هذا أشد في الكفر لأن معناه: أنه معدوم، وهؤلاء يقولون: إنه موجود ولكنه حالٌّ في المخلوقات، لكن الجهمية ـ وسيأتي ذكر مذهبهم ـ يقولون: لا داخل العالم ولا خارج العالم، إذن أين هو إنه «معدوم» وقصد الشيخ: إن الحيلولية أخف كفراً من الجهمية.

فَهُمُ الخُصُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ
وهُمُ الخُصُومُ لِمُنْزِلِ القُرآنِ

ولهم مقالاتٌ ذَكرتُ أُصولَها
لمَّا ذكرتُ الجهمَ في الأوزانِ[1]

* * *

(١) وقد رد الأئمة علىٰ الجهمية وبينوا بطلان مذهبهم مثل رد الإمام أحمد عليهم في كتابه الرد علىٰ الجهمية وهو مطبوع.

فصل

في قدوم ركب آخر

وأتــىٰ فــريــقٌ ثــم قــاربَ وصفَــهُ
هٰــذا ولكــنْ جَــدَّ فــي الكُفــرانِ

فــأسَــرَّ قــولَ مُعطِّــلٍ ومُكَــذِّبٍ
فــي قــالــبِ التنــزيــه للــرحمٰــنِ

إذْ قــال ليــس بــداخــلٍ فينــا ولا
هــو خــارجٌ عــن جملــةِ الأكــوانِ

بــلْ قــالَ ليْــسَ بِبَــائــنٍ عنْهَــا ولا
فيهــا ولا هُــوَ عيْنُهَــا بِبَيَــانِ

كــلا ولا فــوقَ السمٰــواتِ العُلــىٰ
والعــرشُ مــن ربٍّ ولا رحمٰــن[١]

---

(١) هذا هو مذهب الجهمية قالوا: إنه لا داخل الأكوان ولا خارج الأكوان فهم أشد كفراً من الحلولية، لأن الحلولية أثبتوا وجود الرب إلا أنهم قالوا: إنّه حالٌّ في مخلوقاته، وهؤلاء قالوا: إنّه ليس في مخلوقاته ولا في خارجها، فمعنىٰ هذا أنهم أشد كفراً لأن هذا معناهُ، أن الذي لا هو داخل العالم ولا خارجه يكون معدوماً.

والعرشُ ليس عليه معبودٌ سوىٰ الْـ
ـعَـدَمِ الـذي لا شـيءَ فـي الأعيـانِ
بـلْ حظُّـهُ مِـنْ ربِّـهِ حـظُّ الثَّـرىَ
منْـــهُ وحَــظُّ قـــواعِـــدِ البُنْيـــانِ
لو كان فوقَ العرشِ كان كهذه الْـ
أجسـامِ سُبحـانَ العظيـمِ الشّـانِ(١)
ولقـد وجـدتُ لفـاضـلٍ منهُـمْ مَقـا
مـاً قـامَـهُ فـي النـاسِ منـذُ زمـانِ
قـال: اسمعـوا يـا قـومُ إن نبيَّكُـم
قـد قـال قـولاً واضـحَ البـرهـانِ
لا تحكُموا بالفضلِ لي أصلاً علىٰ
ذي النـونِ يُـونُـسَ ذلـك الغضبـانِ

---

(١) هذه شبهتهم: قالوا: لو أثبتنا أنه فوق العرش لكان جسماً وهو مُنزَّه عن الجسم، فنقول لهم: هو فوق العرش سبحانه وتعالىٰ ولا يلزم من هذا أن يكون جسماً، فالجسم لم يُثبتهُ الله ولم ينفه، فنحن لا نُثبته ولا ننفيه، لأننا ندور مع الكتاب والسنة وليس فيهما لا نفي للجسم ولا إثبات للجسم، فنحن لا نثبته ولا ننفيه وإنّما نقول: إنّ الله فوق العرش كما أخبر بذلك عن نفسه، ومذهب الجهمية اعتنقهُ الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة، كلٌّ نحا منحىٰ الجهمية فأخذ من هذا المذهب بنصيب فمقلٌّ ومستكثر، وشيوخهم هم الجهمية، لكن أتباعهم تقَسَّموا هذا المذهب وكلٌّ أخذ منه ناحية.

هــذا يــردُّ علــىٰ المُجَسِّمِ قــولَــه
اللهُ فــــوقَ العـــــرشِ والأكـــــوانِ
ويــــدلُّ أنَّ إلٰهنــــا سُبحـــانَــــه
وبِحمـــدِهِ يُلْفــىٰ بكـــلِّ مكـــانِ(١)

---

(١) هذا واحد من زعمائهم، يُقال: إنه أبو المعالي الجويني، استدل لمذهبه الذي يسير علىٰ مذهب الجهمية بدليلٍ مُضحك وهو أن الرسول ﷺ قال: «لا تفضلوني علىٰ يونس بن متّىٰ»(*) وهذا يدل علىٰ نفي الاستواء وعلىٰ نفي العلو قالوا له: كيف ذلك؟

قال: لأن يونس بن متّىٰ كان في عمق بطن الحوت في البحار، والنبي ﷺ عُرِجَ به إلىٰ السماء، وصار فوق السماء السابعة ومع ذلك لا تفاضل بين محمد الذي فوق السماء السابعة ليلة المعراج ولا بين يونس الذي كان في عمق البحار، كلهم بالقرب إلىٰ الله سواء، فدلَّ علىٰ أنّ الله في كلِّ مكان ما دام أن يونس «الغضبان» الذي ذهب مغاضباً كما ذكر الله عنه، فالتقمه الحوت، وأصبح في قعر البحر، قريب من الله مثل محمد ﷺ وهو فوق السبع الطباق.

وهو استدلالٌ مُضحك في الحقيقة، فإن قصد النبي ﷺ في قوله: «لا تفضلوني علىٰ يونس» أن النبي ﷺ لا يريد التفضيل بين الأنبياء من =

(*) أخرجه البخاري (٣٤١٦) بنحوه عن أبي هريرة ولفظه: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ»، ومسلم (٢٣٧٦)، وهو في «مسند أحمد» ١٥/ ١٤٥ (٩٢٥٥)، وانظر «جامع الأصول» ٨/ ٥١٧-٥١٩ (٦٣١١-٦٣١٤).

وأخرجه البخاري (٢٤١٥) من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متىٰ»، وهو عند مسلم (٢٣٧٣).

. . . .

= باب العصبية؛ لأن هذا يؤدِّي إلىٰ النزاع والتفاخر، فلا يجوز التفضيل الذي يؤدِّي إلىٰ النزاع والتفاخُر، وإلا فلا شك أن محمداً ﷺ أفضل النبيين، وأنه أفضل من يونس عليه السلام وأفضل من غيره، لكن الرسول لا يريد العصبية ولا يريد الفخر؛ لأن الناس يختصمون، كلٌّ يقول: نبينا أفضل من نبيكم، وهذا لا يجوز، ولما فيه من تنقص المفضول، ولمّا كان أحد الصحابة تخاصم مع أحد اليهود في محمد وموسىٰ كليم الله أيُّهم أفضل؟ غضب النبي ﷺ وقال: «لا تُفاضلوا بين الأنبياء»(*) فالتفضيل الذي مصدرهُ الفخر والعصبية لا يجوز، أمّا أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض فهذا ممّا لا شكَّ فيه، قال تعالىٰ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣] فلا شك أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض عليهم السلام، ولكن هذا لا يقتضي نقيصة المفضول منهم عليهم الصلاة والسلام، فإذا كان تفضيله من باب الافتخار وتنقص المفضول فهذا حرام وقد يكون كفراً، أمّا إذا كان التفضيل من باب التحدُّث بنعمة الله وبيان مراتب الأنبياء من غير تعصب ومن غير تفاخر ومن غير تنقُّص للمفضول، فهذا لا بأس به، لأن الله أخبر بذلك فقال: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] والنبي ﷺ يقول: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(**) هذا من باب التحدُّث بنعمة الله عز وجل. والله جلَّ وعلا =

(*) أخرجه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣) (١٥٩) من حديث أبي هريرة.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٤/ ٣٣٠ (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس و١٧/ ١٠ (١٠٩٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري وهو حديث صحيح لغيره. انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

قــالــوا لــه بيِّــنْ لنــا هــذا فلَــمْ
يفعـــلْ فــأعطَــوْهُ مــن الأثمــانِ

= يقول لمحمد ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] يحمدهُ الأولون والآخرون، فالتفضيل الذي هو من باب التحدث بنعمة الله وبيان مراتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من غير افتخار ومن غير تنقصٍ للمفضول لا بأس به، أمّا ما كان عكس ذلك فإنه لا يجوز، فمُراد النبي ﷺ بقوله: «لا تفضلوني علىٰ يونس بن متىٰ» هو نفي التفاخر ونفي تنقص المفضول، فإن يونس عليه السلام جرىٰ عليه امتحان ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢] يعني آتٍ بما يُلام عليه، قال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فامتحن عليه الصلاة والسلام، ولكنه تاب إلىٰ الله عزّ وجل ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] والتائب إذا تاب من الذنب فهو كمن لا ذنب له، وتكون حالهُ بعد التوبة أحسن من حاله قبل الوقوع في الذنب، فالعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية، فلا يقع في خاطر مؤمن تنقصٌ ليونس عليه السلام، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أكمل الخلق ولا يجوز تنقصهم وإن حصل لبعضهم بعض الامتحان، فإن هذا لا يقتضي تنقصَه ولا ذمه أو الكلام فيه، لأن هذا كفر. من تنقَّص أحداً من الأنبياء كفر.

هذا هو مراد النبي ﷺ، فليس مُرادهُ ما يقوله هذا الضال من نفي العلو، وأن الله في كلِّ مكان. هذا زعمٌ باطل.

وقوله: «يونس ذلك الغضبان» أخذاً من قوله تعالىٰ: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] غضب علىٰ قومه ولم يصبر.

ألفـاً مـن الـذهـبِ العتيـق فقـال فـي
تِبيـــانِـــه فـــاسمـــعْ لِـــذا التِّبيـــانِ
قد كان يونسُ في قرارِ البحرِ تَحْـ
ـــتَ المـاءِ فـي قبـرٍ مـن الحيتـانِ
ومُحمَّـدٌ صَعِـدَ السَّمـاءَ وجَـاوَزَ السْـ
سَبْـعَ الطِّبـاقَ وجَـازَ كُـلَّ عَنَـانِ
وكِـلاهُمـا فـي قُـرْبِـهِ مِـنْ ربِّـهِ
سُبحـــانَـــهُ إذْ ذاكَ مُستَـــويـــانِ
فـالعُلْـوُ والسُّفْـلُ اللَّـذانِ كِـلاهُمـا
فـــي بُعْـدِهِ مِـــنْ ضِـدِّهِ طَـرفـانِ
إنْ يُنْسَبَـــا للهِ نُـــزِّهَ عنْهُمَـــا
بـــالإخْتصَـــاصِ بلـــىٰ هُمَـــا سِيَّـــانِ
في قُربِ مَنْ أضْحىٰ مُقِيماً فيهِمَا
مِـــنْ ربِّـــهِ فَكِـــلاهُمَـــا مِثْـــلانِ
فـلأجـل هـذا خـصَّ يُـونُـسَ دونَهُـمْ
بـالـذكـر تحقيقـاً لهـذا الشـانِ[1]

---

(١) يقول هذا الرجل: إن قصد الرسول ﷺ في هذا الحديث نفي العلو وأن الله في كلِّ مكان وأنه قريب من يونس وهو في قعر البحر وقريب من محمد وهو في السبع الطباق، فدلَّ علىٰ أنه في كلِّ مكان، هذا نظره، وكذب علىٰ الرسول ﷺ حيث زعم أن هذا هو قصد الرسول من هذا الحديث فانظر كيف يفعل الضلال بأصحابه.

فـأتـىٰ النَّثَّـارُ عليـه مـن أصحـابِـه
مـن كـلِّ نـاحيـةٍ بـلا حُسبـانِ[١]
فـاحْمَـدْ إلٰهَـكَ أيهـا السُّنِّـيُّ إذ
عـافـاكَ مـن تحـريـفِ ذي بهتـانِ[٢]
واللهِ مـا يَـرْضَـىٰ بهـذَا خَـائِـفٌ
مِـنْ ربِّـهِ أمْسَـىٰ علـىٰ الإيمـانِ
هـذا هـو الإلحـادُ حقـاً بـل هـو الْـ
ـتَّحـريـفُ مَحْضـاً أبْـرَدَ الهـذيـانِ
والله مـا بُلـيَ المُجَسِّـمُ قَـطُّ ذِي الْـ
ـبَلْـوَىٰ ولا أمسَـىٰ بـذي الخِـذلانِ[٣]
أمثـالُ ذا التـأويـلِ أفْسـدَ هـذهِ الـ
أدْيـانَ حيـنَ سَـرىٰ إلـىٰ الأدْيـانِ

---

(١) لمّا فسّر لهم هذا التفسير، أعطوه زيادة علىٰ الألف الذي طلب ونثروا عليه النقود نثراً، لأنهم فرحوا بهذا الضلال.

(٢) فأنت أيُّها السني احمد إلهك الذي عافاك من هذا الابتلاء:
١ ـ هذا الاعتقاد الكافر: وهو أن الله في كل مكان.
٢ ـ تحريفه للنصوص وكذبه علىٰ الرسول ﷺ.

(٣) هم يسمون السني «مجسماً» لأنه يعتقد إثبات الصفات لأن عندهم، أن الصفات لا تكون إلا للجسم والله ليس بجسم، فمن أثبت الصفات فهو مُجسِّم.

والله لـــولا اللهُ حـــافـــظُ دينِـــهِ
لتهـــدَّمَـــتْ منـــه قـــوىٰ الأركـــان[1]

* * *

(١) يعني مع هذه الضلالات وهذه التحريفات وهذه التهويلات، الله تعالىٰ حافظٌ دينه الذي يتمثل باتباع الكتاب والسنة ومذهب السلف الصالح؛ لأن هذه الأصول محفوظة من دخول التحريف إليها، وإنما هذه التحريفات باقية عند أهلها، كاسدة في أيديهم، لم تُقبل ـ والحمد لله ـ إلا من أمثالهم، أمّا أهل الحق فإنهم ثابتون، علىٰ ما جاء به الرسول ﷺ والله قد حفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ، وحفظ منهج السلف الصالح من دخول هذه التحريفات؛ لأنها لو دخلتها هذه التأويلات تهدَّمت، ولكن والحمد لله لم تدخُلها لأن عليها حُرَّاساً وحفظة من جند الله عزَّ وجل.

فصل

في قدوم ركبٌ آخر

وأتــىٰ فــريــقٌ ثــمَّ قــاربَ وصفَــهُ
هــذا وزاد عليــه فــي الميــزانِ
قــال اسمعــوا يــا قــومُ لا تُلهيكُــمُ
هـذي الأمـانـي هُـنَّ شرُّ أمـانـي[1]
أتعبــتُ راحلتــي وَكَلَّــتْ مُهجتــي
وبـذلْـتُ مجهـودي وقـد أعيـانـي[2]
فتَّشْــتُ فـوْقَ وتَحْـتَ ثُـمَّ أمـامَنَـا
ووراءَ ثُــمَّ يَسَــارَ مَــعْ أيْمَــانِ

---

(١) هذا الركب جاء وقال: أنا طوَّفت في الآفاق أبحث عن الرب سبحانه وتعالىٰ ولم أجد أقوالكم هذه صحيحة لا قول الجهمية ولا قول الحلولية، كلها ليس لها أصل، بل هي باطلة، ما وجدت أقرب إلىٰ الحق إلا قول أهل السنة، فلما قال هذه المقالة أنكروا عليه وصاحوا به وقالوا له: لا تعتقد هذا، هذا كفر وضلال، فعند ذلك قال: أنا علىٰ دين الفلاسفة وأتحلَّل من الأديان، إذا أنتم لم تقبلوا مذهب أهل السنة والجماعة. وأقوالكم كلها باطلة، فأنا أتحلل من الأديان كلها وأصير بلا دين، أحسن لي من أني أعتقد اعتقادكم، الذي ليس فيه إلا التناقض والهذيان.

(٢) يقصد بذلك: أنه تصوَّر المقالات كلَّها والمذاهبَ كلَّها ولم يجد فيها حقاً إلا قول أهل السنة والجماعة الذي يعتمد علىٰ الكتاب والسنة.

مــا دلَّنــي أحــدٌ عليــهِ هُنــاكُــمُ
كــلاَّ ولا بَشَــرٌ إليــهِ هــدَانــي
إلاَّ طـوائِـفُ بـالحـديـثِ تمسَّكَـتْ
تُعْــزىٰ مــذاهِبُهــا إلــىٰ القُــرآنِ
قــالــوا الــذي تَبغيــه فــوقَ عبــادِه
فـوقَ السمـاءِ وفـوقَ كـلِّ مكـانِ[١]
وهو الذي حقّاً علىٰ العرشِ استوىٰ
لكنــه استــولَــىٰ علــىٰ الأكــوانِ[٢]
وإليْــهِ يَصعَــدُ كُــلُّ قَــوْلٍ طَيِّــبٍ
وإليــهِ يُــرْفَــعُ سَعْــيُ ذي الشُّكْــرانِ
والــرُّوحُ والأمْــلاكُ مِنْــهُ تنــزَّلَــتْ
وإليــهِ تَعْــرُجُ عِنــدَ كُــلِّ أوانِ
وإليــهِ أيـدي السَّــائِلِيــنَ تَــوَجَّهَــتْ
نحــوَ العُلُــوِّ بِفِطْــرَةِ الــرَّحمٰــنِ

---

(١) يعني: أن أهل السنة والجماعة قالوا: الذي تبحث عنه هو الذي فوق السماء.

(٢) استوىٰ علىٰ العرش، بمعنى ارتفع وعلا عليه، واستولىٰ علىٰ الأكوان بمعنىٰ أن كل الأكوان في قبضته وملكه، أمّا العرش فلا يُقال استولىٰ عليه، وإنما يُقال استوىٰ عليه، أي: علا وارتفع عليه، أمّا الأكوان فيقال: استولىٰ عليها فهناك فرق بين الاستواء علىٰ العرش والاستيلاء علىٰ الأكوان.

وإليـهِ قـدْ عَـرَجَ الـرَّسُـولُ فقُـدِّرَتْ
مِـنْ قُـرْبِـهِ مِـنْ ربِّـهِ قـوْسَـانِ
وإليـه قـد رُفـع المسيـحُ حقيقـةً
ولسـوفَ ينـزلُ كـي يُـرىٰ بِعيـانِ[(١)]
وإليـه تَصْعَـدُ رُوْحُ كـلِّ مُصـدِّقٍ
عنـدَ الممـاتِ فتنثنـي بـأمـانِ[(٢)]

---

(١) قال الله تعالىٰ للمسيح: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨] وقول الشيخ: «حقيقة» ردٌّ علىٰ الذين يقولون: رُفع روحه وأمّا جسمه فدُفن في الأرض، وهذا كذب وباطل لأن قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يقتضي رفع روحه وجسمه عليه الصلاة والسلام، وأنه رُفع حياً، وأنه سينزل في آخر الزمان ونزوله من علامات الساعة ثمّ يموت بعد ذلك ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ [النساء: ١٥٩] يعني في آخر الزمان، فدلَّ علىٰ أنه يموت في آخر الزمان، أمّا التوفي الذي ذكرهُ الله فليس هو الموت، وإنّما هو القبض أو النوم. والناظم رحمه الله لما ذكر العلو ذكر أدلته.

(٢) أرواح المتوفين إن كانت أرواح مؤمنين فإنها تُرفع إلىٰ السماء، ثمّ إنّ الله جلَّ وعلا يقول: «أعيدوه إلىٰ الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم»[(*)] فينزل إلىٰ الأرض مكرماً، ويكون في نعيم في القبر مُعززاً مُكرماً إلىٰ البعث، لكن روحُه تصعد إلىٰ ربها عزّ وجل، ثمّ يأمر الله =

(*) قطعة من حديث البراء بن عازب، أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/ ٤٩٩ (١٨٥٣٤)، إسناده صحيح.

وإليـــه آمـــالُ العبـــادِ تـــوجَّهَـــتْ
نحـــو العلـــوِّ بـــلا تـــواصٍ ثـــانِ(١)
بـــلْ فِطْـــرَةَ اللهِ التـــي لـــم يُفْطَـــرُوا
إلاَّ عليْهـــا الخَلْـــقُ والثَّقَـــلاَنِ
ونظيـــرُ هـــذا أنهـــم فُطِـــروا علـــىٰ
إقـــرارِهـــم لا شـــكَّ بـــالـــدَّيّـــانِ(٢)
لكـــن أُولُـــو التعطيـــلِ منهـــم أصبحُـــوا
مـــرضَـــىٰ بـــداءِ الجهـــلِ والخِـــذلانِ(٣)
فســـألـــت عنهـــم رُفقتـــي وأحبتـــي
أصحابَ جَهْمٍ حِزبِ جِنْكيزْخانِ(٤)

= بنزولها إلىٰ الأرض فتكون في الأرض في القبر مع صاحبها، أمّا أرواح الكفار ـ والعياذ بالله ـ فإنّها لا تفتح لها أبواب السماء كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وإنما تطرح ويُذهب بها إلىٰ سجين ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

(١) هذا دليل الفطرة علىٰ علو الله؛ لأن كل الناس إذا دعوا يتوجهون إلىٰ جهة العلو بدون تواص، أي: بأن يكون أحد علَّمهم، فالعوام والبادية وكل الجهال والعلماء كلهم يتوجهون إلىٰ السماء.

(٢) كما أنهم فُطروا علىٰ الإقرار بالخالق فإنهم فُطروا علىٰ أنه في السماء.

(٣) أهل التعطيل أصل فطرتهم سليمة، لكن غُيِّرت وحُرِّفت بسبب التعطيل والعقائد الباطلة التي هي مرض عرض لها واستمر معها حتىٰ غيرها.

(٤) هذا الراكب يقول: سألت عن هذه الطائفة التي تعتقد هذا الاعتقاد أن الله فوق العرش، وأنه في السماء، وأن الأدلة علىٰ علوه هي ما ذُكر، سأل =

مَن هؤلاءِ، ومَنْ يُقال لهمْ فقد
جاؤوا بأمرٍ مالىء الآذانِ[١]
ولهم علينا صَوْلَةٌ ما صالَها
ذو باطلٍ بلْ صاحبُ البرهانِ[٢]
أو ما سمعتُمْ قولَهم وكلامَهم
مثلَ الصواعقِ ليس ذا لِجبانِ[٣]
جاؤوكم مِن فوقِكُم وأتيتُمُ
مِن تحتِهمْ ما أنتُمُ سِيَّانِ[٤]

= الجهمية عن هذه الطائفة، والجهمية هم الذين علىٰ مذهب جهم، فالجهمية علىٰ اعتقاد التتار.

(١) يقول السائل: أعجبني هؤلاء يعني أهل السنة وأخذوا بقلبي باستدلالتهم لأنها استدلالات تقبل بها العقول السليمة، أمّا أنتم فكلامكم لا يدخل العقل فمن هؤلاء؟

(٢) يقول السائل: إن استدلال أهل السنة وحججهم مبنية علىٰ أصولٍ صحيحة وإذا صالوا علينا لا نستطيع دفعهم، ولو أنهم أهل باطل ما صاروا بهذه القوة فهم أهل حق.

(٣) كلامهم قوي، وما يكون هذا الكلام لجبان أبداً هذا ما يكون إلاّ لشجاع صاحب حق.

(٤) يقول السائل للجهمية هم فوقكم بأدلتهم، وأنتم أسفل منهم بحججكم الباطلة، فلستم متكافئين أنتم وإيّاهم، فهم جاؤوا بالوحي وأنتم جئتم بأفكار بشر.

جـاؤوكـم بـالـوحْـيِ لكـنْ جِئْتُمُ
بِنُحـاتَـةِ الأفْكـارِ والأذْهـانِ

قـالـوا مشبِّهَـةٌ مجسمـةٌ فـلا
تسمَـعْ مقـالَ مُجَسِّـمٍ حيـوانِ(١)

والعَنْهُـمُ لعْنـاً كبيـراً واغْـزُهُـمْ
بِعسـاكـرِ التَّعْطيـلِ غَيْـرَ جبَـانِ

واحْكُـمْ بسفْـكِ دمـائِهِـمْ وبحبسهِـمْ
أَوْ لا فشـرِّدْهُـمْ عـن الأوطـانِ(٢)

حَـذِّرْ صِحـابَـكَ منهُـمُ فهـم أضـلُ
لُ مـن اليهـودِ وعـابـدي الصُّلبـانِ(٣)

---

(١) هذا جواب الجهمية للسائل أجابوا بألاّ تقبل من هؤلاء، هؤلاء مجسمة مشبهة لأنهم يثبتون الصفات لله عز وجل، وإثبات الصفات تشبيه وتجسيم.

(٢) هذه عادة المفلس من الحجة يلجأ إلىٰ القوة، فالمفلس إذا لم يكن عنده حجج وبراهين، فإنه يلجأ إلىٰ التهديد فقط، مثل ما قال فرعون: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] فالجهمية لما لم يملكوا دليلاً يردون به علىٰ هذا الذي يسألهم لجؤوا إلىٰ هذا التهديد فقط.

(٣) أي: حذر أهل بلدك من أهل السنة، لأن الجهمية ما عندهم غير السب والشتم، وهذه عادة المفلس من الأدلة، إن كان يقدر علىٰ البطش بطش، وإن كان لا يقدر فليس عنده إلا السب والشتم والكلام البذيء.

واحــذَرْ تُجــادلُهُــمْ بقــال اللهُ أوْ
قــالَ الــرســولُ فتنثنــي بهــوانِ[١]
أنَّــىٰ وهــم أولــىٰ بــه قــد أنفــذُوا
فيــه قُــوىٰ الأذهــانِ والأبــدانِ[٢]
فإذا ابتليتَ بهم فغالطْهُمْ علىٰ التْـ
ـتــأوِيــلِ لــلأخبــارِ والقــرآنِ
وكذاك غالطْهُمْ علىٰ التكذيبِ للْـ
آحــادِ ذانِ لصحبِنــا أصــلانِ
أوصــىٰ بهــا أشيــاخَنــا أشيــاخُهُــم
فــاحفظْهُمــا بيــديْــكَ والأسنــانِ[٣]
وإذا اجتمعتَ وهم بمشهدِ مجلسٍ
فــابْــدَرْ بــإيــرادٍ وشُغْــلِ زمــانِ[٤]

---

(١) يقولون: لا تجادل أهل السنة بأدلة الشرع لأنهم أعلم منك بها، إن جادلتهم بالقرآن والسنة خصموك، لأنهم أعلم منك بالكتاب والسنة، لكن خاصمهم باللجاج ولا تجعل لهم مجالاً، فإذا جلست معهم فبادر أنت وتكلَّم، لأنك لو سكت بدؤوا هم وسدُّوا عليك الطريق، لكن ابدأ أنت أولاً حتىٰ تسدَّ عليهم الطريق واشغل المجلس حتىٰ لا يكون لهم مجال، هذه طريقة المبطلين لا يريدون سماع الحق.

(٢) يقول الجهمي عن أهل السنة: إنّهم متخصصون بالكتاب والسنة، فلا تجادلهم فيما هو من اختصاصهم لكن جادلهم بالعقليات والجدليات.

(٣) هذه وصية أشياخهم لهم في التعامل مع أدلة الشرع وبئست الوصية.

(٤) يقول: لا تترك لأهل السنة مجالاً للكلام، لأنهم إذا تكلموا خصموك.

لا يملكُــوهُ عليْــكَ بــالآثــارِ والْـ
أخْبَــارِ والتَّفسِيــرِ للفُــرقَــانِ
فتصيــرَ إن وافقــتَ مثلَهُــمُ وإنْ
عــارضــتَ زِنـديقــاً أخــا كُفــرانِ(١)
وإذا سكــتَّ يُقــال هــذا جــاهــلٌ
فــابْـدَرْ ولــو بــالفَشْــرِ والهـذيــانِ(٢)
هــذا الــذي واللهِ أوصــانــا بــه
أشيــاخُنــا فــي ســالـفِ الأزمــانِ(٣)
فرجعتُ من سفري وقلت لصاحبي
ومطيَّتــي قــد آذنَــتْ بحِــرانِ(٤)

---

(١) يقولون: إن وافقت أهل السنة صرتَ مثلهم، وإن خالفتهم صرت زنديقاً، فأنت من أجل أن تسلم من هذا لا تجعل لهم مجالاً للكلام، فاشغل المجلس كما قال الكفار من قبل: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] لأن القرآن يغلب من سمعه.

(٢) الفشر: الكذب، والهذيان: الكلام الذي ليس له حقيقة، مثل كلام المجنون.

(٣) هذه حُجة المشركين: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] وهذا الذي أوصىٰ به أشياخ الجهمية تلاميذهم تشابهت أهواؤهم فتشابهت أقوالهم.

(٤) الجهمية وغيرهم من الفرق لمّا أن قالوا لهذا الراكب هذا الكلام قال لهم الراكب: كلكم بعيد عن الحق وما دام هؤلاء ما هم علىٰ حق، فأنتم أولىٰ ألاّ تكونوا علىٰ حق، إذن ليس هناك دين صحيح، فنرجع للإلحاد =

عطِّلْ ركابَكَ واسترِحْ من سيرِها
ما ثَمَّ شيءٌ غيرُ ذي الأكوانِ[١]
لو كان للأكوانِ ربٌّ خالقٌ
كان المُجَسِّمُ صاحبَ البرهانِ[٢]
أو كانَ ربٌّ بائنٌ عن ذي الورىٰ
كانَ المُجسِّمُ صاحبُ الإيمانِ
ولكان عِنْدَ النَّاسِ أولىٰ الخَلْقِ بالْـ
إسلَامِ والإيمانِ والإحْسَانِ
ولكانَ هذا الحِزْبُ فوقَ رؤوسِهِمْ
لَمْ يختَلِفْ مِنْهُمْ عليهِ اثْنَانِ
فدع التكاليفَ التي حُمِّلْتَها
واخلعْ عِذارَكَ وارْمِ بالأرسانِ[٣]

= والفلسفة ونعيش بلا شريعة وبلا حلال وبلا حرام؛ لأن كلامكم ما هو بمقبول أبداً، وتقولون: إن كلام أهل السنة، غير صحيح فهذا معناه: أنه لا يصلح شيء في الوجود.

(١) يقول: إنه يلزم علىٰ قول الجهمية أنه ليس هناك أديان، ولا ربّ وإنما هذه الأكوان كائنة من الطبيعة دون خالق.

(٢) يقول: إن كان للأكوان خالق فالذي يسمونه مجسم هو صاحب البرهان ومذهبُه هو الصحيح.

(٣) يقول هذا المجادل للجهمي: اترك الشريعة، وتحلَّل من الأديان إذا لم تقبلوا مذهب الذين تسمونهم مجسمة لأنه هو الصواب.

مـا ثـمَّ فـوقَ العـرشِ مـن ربٌّ ولـم
يتكلَّـمِ الـرحمٰـنُ بـالقـرآنِ[١]
لـو كـان فـوقَ العـرشِ ربٌّ نـاظـرٌ
لـزِمَ التحيُّـزُ وافتقـارُ مكـانِ[٢]
لـو كـانَ ذا القُـرآنُ عيْـنَ كـلامِـهِ
حـرْفـاً وصـوتـاً كـان ذا جُثْمَـانِ
فـإذا انتَفَـىٰ هـذا وهـذا مـا الـذي
يبقـىٰ علـىٰ ذا النَّفـيِ مِـنْ إيمـانِ
فـدع الحـلالَ مـع الحـرامِ لأهلِـهِ
فهمـا السيـاجُ لهـم علـىٰ البستـانِ[٣]
فاخْرِقهُ ثمَّ ادخُلْ ترىٰ في ضِمْنِهِ
قـد هُيِّئـتْ لـكَ سـائـرُ الألـوانِ
وتـرىٰ بهـا مـا لا يـراهُ مُحجَّـبٌ
مـن كـلِّ مـا تهـوىٰ بـه زوجـانِ

---

(١) هذا علىٰ مذهب الجهمية الذين ينفون الكلام عن الله.

(٢) هذا عند الجهمية، الذين ينفون الكلام عن الله، لأن الكلام عندهم لا يُنسب إلا للجسم، فالله لا يُنسب له الكلام فهو يحكي مذهب الجهمية الذين ينفون كلام الله وعلو الله علىٰ عرشه.

(٣) يقول: إنه يلزم علىٰ مذهب الجهمية أنه ليس هناك حلال ولا حرام ولا تشريع.

واقطعْ علائقكَ التي قد قَيَّدَتْ
هذا الورىٰ من سالفِ الأزمانِ
لتصيرَ حُرّاً لستَ تحتَ أوامرٍ
كلاَّ ولا نهيٍ ولا فُرقانِ[١]
لكنْ جعلتَ حِجابَ نَفسِكَ إذْ ترىٰ
فوقَ السَّما للنَّاسِ مِنْ دَيَّانِ
لوْ قُلْتَ ما فوقَ السَّماءِ مُدبِّرُ
والعرشَ نُخلِيهُ من الرحمٰنِ
واللهُ ليسَ مُكلِّماً لعبَادِهِ
كلاَّ ولا مُتكلِّماً بِقُرانِ
ما قالَ قَطُّ ولا يقولُ ولا لَهُ
قولٌ بدا مِنْهُ إلىٰ إنسانِ
لَحَلَلْتَ طَلْسَمَهُ وفزتَ بكنزِهِ
وعلمتَ أن الناسَ في هذيانِ[٢]

---

(١) يقول: دع الشريعة لأهل الإيمان الذين يؤمنون برب يتكلم ويأمر وينهىٰ ويثيب ويعذِّب.

(٢) يقول: لو أخذت بمذهب الإلحاد المترتب علىٰ مذهب الجهمية لزم عليه أن الشرائع السماوية هذيان لا حقيقة لها.

لكـــنْ زعمْـــتَ بـــأنَّ ربـــكَ بـــائـــنٌ

مـــن خلقِـــه إذ قلـــتَ مـــوجـــودانِ[1]

وزعمْـــتَ أَنَّ اللهَ فـــوقَ العَـــرْشِ والْـ

ـكُـــرسِـــيُّ حَقـــاً فـــوقَـــهُ القَـــدَمـــانِ

وزعمْـــــتَ أنَّ الله يسمـــــعُ خَلْقَـــــهُ

ويـــراهُـــمُ مِـــنْ فَـــوقِ سَبْـــعِ ثَمَـــانِ

وزعمْـــتَ أنَّ كـــلامَـــهُ منْـــهُ بـــدا

وإليـــهِ يـــرجـــعُ آخِـــرَ الأَزْمـــانِ

ووصَفْتَـــهُ بـــالسَّمـــعِ والبَصَـــرِ الـــذي

لا ينبغـــي إلا لـــــذي الجُثْمَـــــانِ

ووصَفْتَـــــهُ بـــــإرادَةٍ وبِقـــــدْرَةٍ

وكـــــراهَـــــةٍ ومحبَّـــــةٍ وحنَـــــانِ

وزعمْـــتَ أَنَّ اللهَ يعلـــمُ كُـــلَّ مـــا

فـــي الكـــوْنِ مِـــنْ سِـــرٍّ ومِـــنْ إعـــلاَنِ

والعِلْـــمُ وصْـــفٌ زائِـــدٌ عـــنْ ذاتِـــهِ

عـــرَضٌ يقُـــومُ بِغيـــرِ ذي جُثْمـــانِ

وزعمْـــــتَ أنَّ اللهَ كلَّـــــمَ عبْـــــدَهُ

مُـــوســـىٰ فـــأسْمَعَـــهُ نِـــدا الـــرَّحمٰـــنِ

---

(١) إذا قلت هناك موجودان خالفت مذهب أهل وحدة الوجود مذهب الاتحادية.

أفتَسْمعُ الآذانُ غَيْرَ الحَرْفِ والصْـ
صَوْتَ الذي خُصتْ بِهِ الأُذُنانِ
وكذا النداءُ فإنه صوتٌ بإجْـ
ـماعِ النحاةِ وأهلِ كلِّ لسانِ
لكنهُ صوتٌ رفيعٌ وهو ضدْ
دٌ للنَّجاءِ كلاهما صوتانِ[1]
فزعمْتُ أنَّ اللهَ ناداهُ ونَا
جَاهُ وفي ذا الزَّعْمِ محْذُورانِ
قُرْبُ المكانِ وبُعْدُهُ والصَّوتُ بلْ
نوعاهُ مَحْذُورانِ مُمْتنعانِ
وزعمت أن محمداً أسرىٰ به
ليلاً إليه فهو منه دانِ
وزعمت أن محمداً يومَ اللِّقا
يُدنيه ربُّ العرشِ بالرضوانِ
حتىٰ يُرىٰ المختارُ حقّاً قاعداً
مَعهُ علىٰ العرشِ الرفيعِ الشانِ[2]

---

(١) المناجاة: الصوت الخفي، والمناداة: الصوت المرتفع ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢] اجتمع لموسىٰ عليه السلام مع ربه المناجاة والمناداة. وهذا يقوله الجهمي للسني المتمسك بالأدلة.

(٢) كما ورد ذلك بالحديث أن الله يجلس محمداً علىٰ العرش وهو المقام المحمود.

وزعمـتَ أنَّ لعـرشِـهِ أطّـاً بـه
كـالـرَّحْـلِ أطَّ بـراكـبٍ عَجْـلانِ[(١)]

وزعمـتَ أن الله أبـدىٰ بعضَـهُ
للطّـورِ حتـىٰ عـاد كـالكُثبـانِ[(٢)]

لمـا تجلَّـىٰ يـومَ تكليـمِ الـرِّضـا
مُـوسـىٰ الكَلِيـمُ مُكلِّـمُ الـرَّحمٰـنِ

وزعمْـتَ للمعْبُـودِ وجهـاً بـاقيـاً
ولـهُ يَمِيـنٌ بـلْ زعَمْـتَ يَـدَانِ

وزعمـتَ أنَّ يـديـه للسبـعِ العُلـىٰ
والأرضِ يـومَ الحشـرِ قـابضتـانِ[(٣)]

وزعمـتَ أن يمينَـهُ مـلأىٰ مـن الـ
ـخيرات ما غاضَتْ علىٰ الأزمانِ[(٤)]

وزعمْتَ أن العدْلَ في الأُخرىٰ بِها
رفـعٌ وخَفْـضٌ وهـو بـالميـزانِ

---

(١) العرش علىٰ كبره وعظمه يئطُ بالرحمٰن كما يئط الرحل بالراكب، ممّا يدلُّ علىٰ عظمة الرب سبحانه وتعالىٰ هذا ورد في الحديث[(*)].

(٢) هذا في قصة موسىٰ وتجلّىٰ ربُه للجبل كما في سورة الأعراف.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] كما في القرآن.

(٤) قال تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

(*) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم.

وزعمــتَ أن الخلــقَ طُــرّاً عنــدَهُ
يهتــزُّ فــوقَ أصــابــعِ الــرحمٰــنِ(١)
وزعمـت أيضـاً أن قلبَ العبـدِ مـا
بيــن اثنتيــن مــن أصــابــعَ عَــانِ(٢)
وزعمْــتَ أنَّ الله يضحــكُ عنــدمــا
يتقــابَــلُ الصفّــانِ يَقْتَتِــلانِ
مِــنْ عبـدِهِ يــأتـي فيُبـدي نَحـرَهُ
لِعَــدُوِّهِ طلبــاً لِنَيْــلِ جِنَــانِ
وكـذاك يضحـكُ عندمـا يثبُ الفتـىٰ
مــن فَــرْشِــه لتــلاوةِ القــرآنِ(٣)
وكـذاكَ يضحـكُ مِـنْ قُنـوطِ عِبـادِهِ
إذ أجْــدَبــوا والغَيْــثُ مِنْهُــمْ دَانِ

---

(١) كما يدل عليه حديث: «إن الله يضع الأرضين علىٰ أصبع والجبال علىٰ أصبع ويضع الشجر علىٰ أصبع..»(*) كما أخبر النبي ﷺ.

(٢) كما في حديث: «إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمٰن»(**).

(٣) كما جاء في الحديث الذي فيه أن الله يضحك إلىٰ عبده عندما يترك فراشه ويقوم للصلاة(***).

(*) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

(**) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو في «مسند أحمد» ١١/ ١٣٠ (٦٥٦٩).

(***) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص٤٧٢ من حديث أبي سعيد الخدزي.

وزعمتَ أن الله يرضىٰ عن أُولي الْـ
حُسْنىٰ ويغضبُ عن أولي العصيانِ[1]
وزعمْـتَ أنَّ اللهَ يسمـعُ صـوتَـهُ
يـومَ المَعَـادِ بَعيـدُهُـمْ والـدَّانـي
لمَّـا يُنـاديهِـم أنَـا الـدَّيَّـانِ لا
ظُلْـمٌ لـديَّ فَيسمَـعَ الثَّقـلانِ
وزعمـتَ أن الله يُشـرِقُ نـورُه
في الأرضِ يومَ الفصلِ والميزانِ[2]
وزعمـتَ أن الله يكشـفُ سـاقَـه
فيخِـرُّ ذاكَ الجمـعُ لـلأذقـانِ[3]
وزعمـت أن يمينَـه تَطْـوي السمـا
طَـيَّ السِّجِـلِ علـىٰ كتـابِ بيـانِ[4]

---

(١) يعني إثبات صفة الغضب والرضا لله عزّ وجل كما جاء في الأدلة.

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

(٣) يعني إذا كشف الرب ساقَه خرَّ المؤمنون ساجدين لله عزَّ وجلَّ، ويريد المنافقون أن يسجدوا فلا يستطيعون لأنها تتصلب ظهورهم كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] كما صح بذلك الحديث(*) مع الآية المذكورة.

(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

(*) أخرجه البخاري (٤٩١٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

وزعمتَ أن اللهَ يَنْزِلُ في الدُّجىٰ
في ثُلُثِ ليلٍ آخرٍ أو ثانِ[١]
فيقُولُ هلْ مِنْ سائلٍ فأُجِيبَهُ
فأنا القَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَاداني
وزعمتَ أن لـه نزولاً ثانياً
يومَ القيامةِ للقضاءِ الثاني[٢]
وزعمتَ أن الله يبدو جَهْرةً
لعبادِهِ حتىٰ يُرىٰ بعيانِ[٣]
بلْ يسْمعُونَ كلامَهُ ويروْنَهُ
فالمُقْلتانِ إليهِ ناظرتانِ

---

(١) يعني ما جاء في الروايتين من نزوله سبحانه في الثلث الأول والثلث الأوسط والثلث الأخير، وأكثر الروايات وردت أنه ينزل في الثلث الأخير، أي: حين يبقىٰ ثلث الليل الآخِر[*]، وفي بعضها «الأوسط».
(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].
(٣) كما صح في الحديث «إنكم سترون ربكم»[**].

(*) ورد في «صحيح البخاري» (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، و«مسند أحمد» ٢١١/١٦ (١٠٣١٣) في حديث أبي هريرة ولفظه: «ينزل ربنا تبارك وتعالىٰ كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا...» الحديث.
(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٥٢٦/٣١ (١٩١٩٠)، والبخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) (٢١١) و(٢١٢).

وزعمــتَ أنَّ لــربِّنــا قَــدَمــاً وأنْ
نَ اللهَ واضعُهــا علــىٰ النيــرانِ[١]
فهُنـاكَ يـدْنُـو بعْضُهـا مـن بعْضِهـا
وتقـولُ قـطْ قـطْ حـاجَتي وكفـانـي
وزعمـت أن النـاسَ يـومَ مـزيـدِهـمْ
كــلٌّ يحــاضِــرُ ربَّــهُ ويُــدانــي[٢]
بـالحـاء مـع ضـادٍ وجـامـعِ صـادِهـا
وجهـانِ فـي ذا اللفـظِ محفـوظـان
فـي التـرمـذي ومسنـدٍ وسـواهمـا
مِــنْ كُتــبِ تجسيــمٍ بِــلا كتمــانِ
ووصَفْتَــه بصفــاتِ حَــيٍّ فــاعــلٍ
بــالاختيــارِ وذانــكَ الأصــلانِ

---

(١) كما جاء في حديث: «لا تزال جهنم يُلقىٰ فيها وهي تقول: هل من مزيد حتىٰ يضع رب العزة فيها رجله ـ وفي رواية «قدمه» ـ فينزوي بعضها إلىٰ بعض وتقول: قطِ قطِ»(*).

(٢) كما في حديث: «ما منكم إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»(**).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢١/ ١٢٤ (١٣٤٥٧)، والبخاري (٧٣٨٤) معلقاً، ومسلم (٢٨٤٨) (٣٨).

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/ ١٨٠ (١٨٢٤٦)، والبخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦) (٦٧).

أصلُ التفرُّقِ بين هذا الخلق في الْـ
ـباري فكُنْ في النفي غيرَ جبانِ(١)

أو لا فلا تلعبْ بدينكَ ناقضاً
نفياً بإثباتٍ بِلا فُرقانِ

فالناس بين مُعطِّلٍ أو مُثْبِتٍ
أو ثالثٍ متناقضٍ صِنفانِ(٢)

واللهِ لستَ برابعٍ لهم بلىٰ
إمَّا حِماراً أو من الثيرانِ(٣)

---

(١) هذا المعطل يخاطب السني ويقول له: إثبات هذه الأسماء والأوصاف فرّق الناس إلىٰ فريقين: مثبت لها ومعطل لها فكن مع المعطلة واعتمد علىٰ النفي والسلب.

(٢) يقول: إن الناس انقسموا في مسألة إثبات الأسماء والصفات إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: معطِّل، وهو الذي ينفي الأسماء والصفات، وهم الجهمية ومن سار في ركبهم.

القسم الثاني: مثبت للأسماء والصفات، وهم أهل السنة.

القسم الثالث: متذبذب، لا هو مع المعطلة ولا مع المثبتة، ينفي بعضاً ويثبت بعضاً ويتناقض، فإمّا أن يكون مع المعطلة فينفي الكل، أو يكون مع المثبتة ويثبت الكل، أمّا أن يكون مذبذباً فهذا لا يليق به.

ويقصد بذلك الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات وينفون بعضها.

(٣) إمّا أن تكون من الحمير المعطلة، أو من الثيران الذين ليس عندهم تمييز ويتذبذبون بين هذا وهذا.

فـاسمـعْ بـإنكـارِ الجميـعِ ولا تكُـنْ
مُتنـاقِضـاً رجُـلاً لـهُ وجهـانِ
أو لا ففـرِّقْ بيـنَ مـا أثبتَّـهُ
ونفيْتَـهُ بـالنَّـصِّ والبُـرهـانِ
فـالبـابُ بـابٌ واحـدٌ في النفي والْـ
إثبـاتِ فـي عَقْـلٍ وفـي ميـزانِ(١)
فمتـىٰ أقـر ببعـضِ ذلـكَ مُثْبِـتٌ
لـزِمَ الجميـعَ أو ائـتِ بـالفُـرقـانِ
ومتـىٰ نفـىٰ شيئـاً وأثبـتَ مثلَـه
فمُجَسِّـمٌ متنـاقـضٌ دَيْصَـانِ(٢)
فذروا المِراءَ وصَرِّحوا بمذاهبِ الْـ
ـقُـدمـاءِ وانْسَلِخُـوا مـن الإيمـانِ(٣)
أو قـاتلـوا مـع أئمـةِ التجسيـم والتْـ
تَشْبِيـهِ تحـتَ لـواءِ ذي القـرآنِ(٤)

---

(١) الباب واحد، إمّا أن يُثْبَتَ كلُّه وإمَّا أن يُنفَىٰ كلُّه، أمّا أن يُثبت بعضُه ويُنفىٰ بعضُه من غير دليلٍ علىٰ الفرق، فهذا لا يقول به عاقل.

(٢) ديصان: من الديصانية فرقة من الفرس.

(٣) يدعو الجهمية إلىٰ مذاهب القدماء: يعني قدماء الفلاسفة.

(٤) يقول للأشاعرة كونوا مع أهل السنة والجماعة، وقاتلوا الفرق المخالفة تحت راية القرآن، أو انحازوا إلىٰ المعطلة، أمّا أنكم تبقون مذبذبين لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء، لكم وجهان فهذا أمرٌ لا يليق بكم.

أو لا فــلا تتــلاعبــوا بعقــولِكُــمْ
وكتــابِكُــمْ وبســائــرِ الأديــانِ[١]
فجميعُهــا قــد صــرَّحَــتْ بصفــاتِــهِ
وكـــلامِـــهِ وعلـــوِّهِ ببيـــانِ[٢]
والنــاسُ بيــنَ مصــدِّقٍ أو جــاحــدٍ
أو بيـــنَ ذلـــك أو شبيـــهُ أتـــانِ[٣]
فــاصنَعْ مــن التنــزيــه تُــرْسـاً مُحكَمـاً
وانــفِ الجميــعَ بصنعَــةٍ وبيــانِ[٤]

---

(١) لا تتلاعبوا بعقولكم ولا بكتابكم: يعني «القرآن» لأنهم ينتسبون للإسلام، وأنهم من أمة القرآن فيقول: لا تتلاعبوا بالكتاب الذي تنتسبون إليه، فالكتاب ما فرَّق بين الصفات، بل أثبتها جميعاً لله عزَّ وجل.

(٢) القرآن والعقول والأديان كلُّها قد صرَّحت بأسماء الله وصفاته.

(٣) الناس بين مثبت، وهم المسلمون المؤمنون، وبين نافٍ، وهم المعطلة، وبين مُذبذب، لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء، يتظاهرون بالإسلام وهم علىٰ مذهب التعطيل في الباطن، أو من هو شبه الأتان، وهي الأنثىٰ من الحمير، لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء يشبه الحمار في البلادة، وهذا وصف ذم.

(٤) يقول: إن أردت أن تنحاز إلىٰ المعطلة: فخل حجتك: التنزيه وقل إن الأسماء والصفات لا تليق بالله، لأن فيها تشبيهاً بالمخلوقين، وأنا أنزهُه عن مشابهة المخلوقين، فاتخذ هذا الترس وقايةً لك تترس به، وهو التنزيه، دون سهام أهل الحق، هذه حجتهم أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التشبيه فنحن نُنزه الله عن مشابهة المخلوقين فننفي الأسماء والصفات، =

وكـذاك لَقِّـبْ مـذهـبَ الإثبـاتِ بـالتْـ
تَجْسيـمِ ثـمَّ احـمـلْ علـىٰ الأقـرانِ[١]
فمتـىٰ سمحـتَ لهـم بـوصـفٍ واحـدٍ
حملـوا عليـكَ بحملَـةِ الفـرسـانِ[٢]
فصُـرِعـتَ صَـرعَـةَ مـنْ غـدا مُتلبِّطـاً
وَسْـطَ العـريـنِ مُمـزَّقَ اللَّحْمـانِ
فلـذاك أنكـرنـا الجميـعَ التْـ
تَجْسِيـمِ أن صِـرنـا إلـىٰ القـرآنِ[٣]

= هذا مذهب المعطلة وهو الغلوّ في التنزيه، ولا شك أن الله يجب تنزيهُه عمّا لا يليق به، ولكن الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه لا تقتضي التشبيه بل تليق به ولا تشابه صفات وأسماء المخلوقين؛ لأنها خاصة به سبحانه وتعالىٰ، لكن المعطل اتخذ هذه الحجة «حجة التنزيه» سُترة له يستر بها إلحادَه وكفره.

فنقول: ما نزه الله نفسه عنه فهو التنزيهُ الحق، أمّا التنزيه الذي ينفي عن الله ما أثبتَه لنفسه فهذا تعطيل ولا يُسمىٰ تنزيهاً.

(١) يقول الجهمي: نفِّر عن مذهب أهل الإثبات وقل: إنّه تشبيه وإنه تجسيم وإنه حشو.

(٢) إن سمحت لهم بإثبات صفة واحدة أو اسم واحد حملوا عليك وقالوا: هذا تناقض، كيف تثبت بعضاً وتنفي بعضاً والباب واحد، فيصرعونك بهذه الحجة.

(٣) يقول الجهمية أنكرنا جميع الأسماء والصفات ولم نثبت بعضها وننفي بعضها كما تقول المعتزلة الذين يُثبتون الأسماء وينفون الصفات، أو الأشاعرة الذين يُثبتون بعض الصفات، وينفون بعضها لأن هذا تناقض.

ولــذا خلعنــا رِبقــةَ الأديــانِ مِــنْ
أعنــاقِنــا فــي ســالــفِ الأزمــانِ[١]

ولنـا ملـوكٌ قـاومـوا الـرُّسْـلَ الأُوْلَـىٰ
جـاؤوا بـإثبـاتِ الصفـاتِ كمـانـي[٢]

فــي آلِ فــرعــونَ وقــارونٍ وهــا
مــانٍ ونُمْــرودٍ وجَنْكيــزخــانِ[٣]

---

(١) أي: في زمن سلفنا من الفلاسفة القُدامىٰ الذين لا يثبتون ربّاً ولا خالقاً وإنما يدينون للطبيعة.

(٢) يقول الجهمي: لنا أسلاف وملوك وقفوا في وجه الرسل، وعاندوا مثل «ماني» وهو من أئمة المانوية المجوس ومثل فرعون ومثل هامان، حين قاموا في وجه موسىٰ وقال فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[القصص: ٢٨] ومثل: النمرود الذي وقف في وجه إبراهيم عليه السلام وقال: إنه هو الرب وغيرهم من رؤساء الكفر.

يفتخر بهؤلاء الذين جحدوا وجود الرب وأنكروا الربوبية، ويدعو الجهمية والمعتزلة ومن تابعهم أن يلحقوا بهم وينضموا إليهم في هذا المذهب، ويدخلوا مع هؤلاء ويصيروا مثلهم، أمّا هذا التناقض والتسمي بالدين والتلبس بالدين وهم يحرفون كلام الله وكلام رسوله عن مواضعهما فهذا لا يقوله عاقل.

(٣) أئمة الجهمية هم فرعون فقد ادَّعىٰ الربوبية، وقارون الرجل الذي كان من قوم موسىٰ فبغىٰ عليهم لما أعطاه الله المال والكنوز. حملهُ ذلك علىٰ الكبر، وجحد نعمة الله وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] =

ولنـا الأئمـةُ كـالفـلاسفـةِ الأُوْلَـىٰ
لَـمْ يَعبـؤُوا أصـلاً بـذي الأديـانِ[1]

منهـم أرِسْطُـو ثُـمَّ شِيعتُـه إلـىٰ
هـذا الأوانِ وعنـدَ كُـلِّ أوانِ[2]

مـا فيهـمُ مـن قـال: إن اللهَ فَـوْ
قَ العـرشِ خـارجَ هـذه الأكـوانِ[3]

= أنا الذي حصلت علىٰ هذا المال بخبرتي وقوتي ومعرفتي، وليس هو من الله عز وجل، وهامان: وزير فرعون ومساعده علىٰ الكفر، وجنكيزخان: هو ملك التتار الذين غزوا بلاد المسلمين، في آخر عهد الدولة العباسية، وقتلوا خليفة المسلمين من بني العباس، وقتلوا من المسلمين مئات الألوف، واستباحوا بلاد الإسلام، وأتلفوا كتب المسلمين وألقوها في دجلة حتىٰ تغيَّر ماء النهر، ولكن ـ الحمد لله ـ الإسلام لم يتأثر مما صنعوا، وبقي الإسلام، وإن كان قد أصيب المسلمون إصابة عظيمة ولكن الإسلام لم يتأثَّر بل بقي كما أنزلهُ الله.

(١) الفلاسفة جميع فيلسوف، وهو الحكيم، والجهمية اتخذوا الفلاسفة عوضاً عن الرسل، يقولون: إن الفلاسفة أعلم وأدرىٰ فاتبعوا الفلاسفة في أقوالهم وخالفوا الرسل.

(٢) أرسطو من فلاسفة اليونان وهو من تلاميذ أفلاطون اليوناني وهم ملاحدة الفلاسفة.

(٣) ما في الفلاسفة من يُقِرُّ بوجود الرب تبارك وتعالىٰ وإنما يقولون: هذا الكون ناشىء عن الطبيعة، وهو قديم ليس بمحدث ولا مخلوق، فهو قديم ويتفاعل مع الطبيعة وليس له ربٌّ يدبره.

كـــلاَّ ولا قـــالـــوا بـــأن إلٰهَنَـــا
متكلِّـــمٌ بـــالـــوحـــي والقـــرآنِ(١)
ولأجـــل هـــذا ردَّ فـــرعـــونٌ علـــىٰ
مـوسىٰ ولـم يقـدِرْ علـىٰ الإيمـانِ(٢)
إذ قـــال مـــوســـىٰ ربُّنـــا متكلِّـــمٌ
فـــوقَ السمـــاءِ وإنَّـــهُ نـــادانـــي(٣)
وكذا ابنُ سِينا لم يكنْ منكُمْ ولا
أتبـاعُـه بـل صَـانَعُـوا بـدهـانِ(٤)

---

(١) وجحدوا الوحي، قالوا: لم ينزل وحي علىٰ بشر، الرسل إنما هم كذبة، لم ينزل عليهم وحي، وإنما هذا شيء اخترعوه وافتروه.

(٢) واستمراراً في هذا المذهب، ردَّ فرعون علىٰ موسىٰ وأبىٰ أن يقبل دعوته فهم يعتبرونه من أئمتهم.

(٣) جحد رسالة موسىٰ وهارون وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي..﴾ الآية [القصص: ٣٨] فليس هناك رب ولا وحي، وموسىٰ كذَّاب لم يناده أحد ولم يُكلمْهُ أحد.

(٤) ابن سينا: هو الذي يُسمونه: «الرئيس» وهو من كبار الفلاسفة الذين ادعوا الإسلام، كان من باطنية الشيعة، وادّعىٰ الإسلام، وحفظ القرآن، ودرس شيئاً من الشريعة ولكنه انصبغ بالفلسفة، وقرأ كتب الفلاسفة فاعتقد بما فيها واقتنع بما فيها، وتظاهر بالإسلام، وإلا فهو ملحد، وأراد أن يجمع بين الفلسفة والإسلام، وهذا لا يمكن؛ لأن الفلسفة إلحاد والإسلام دينٌ إلهي، فابن سينا ملحد ومع هذا يسمونه الرئيس، ويقولون: إنه من مفكري الإسلام.

وكــذلــك الطــوسِــيُّ لمــا أن غــدا
ذا قُــدرةٍ ولــم يخشَ مــن سُلطـانِ[١]
قتـلَ الخليفـةَ والقُضـاةَ وحـاملـي الـ
ـقُــرآنِ والفقهــاءَ فــي البلــدانِ[٢]
إذْ هُـــمْ مُشبِّهَـــةٌ مُجسِّمَـــةٌ ومـــا
دانـــوا بـــديـــنِ أكـــابـــرِ اليـــونـــانِ
ولنــا المــلاحِــدةُ الفُحــولُ أئمــةُ التْـ
تعْطِيـــلِ والتَّسْكيـــنِ آلُ سِنـــانِ[٣]

---

(١) الطوسيّ هو الذي يُسمّىٰ نصير الدين والخواجة شيعي باطني وهو الذي قاد التتار إلىٰ بغداد، وهو الذي كاد للمسلمين، وهو الذي أشار بقتل المسلمين وإتلاف كتبهم، وفعل الأفاعيل؛ لأنه شيعي عدو للمسلمين، ولما جاء جنكيزخان بجيوشه الجرّارة فرح بذلك، وصار يدلُّه علىٰ عورات المسلمين، والشيعة كلهم كذلك لكن يتظاهرون بالإسلام، وإذا سنحت لهم الفرصة فتكوا بالمسلمين. هذا تاريخهم الأسود دائماً وأبداً، وهذا مذهبهم دائماً وأبداً كلّما سنحت لهم الفرصة فتكوا بالمسلمين.

(٢) قتل الطوسي المسلمين، وألغىٰ الحكمَ بالقرآن، وجاء بكتاب اسمه: «الإشارات» لابن سينا وجعله محلَّ القرآن، وفرض علىٰ الناس العمل بكتاب «الإشارات» بدلاً من القرآن.

(٣) آل سنان، المقصود بهم آل سنان بن سلمان، البصري، مقدم الإسماعيلية وصاحب دعوتهم في قلاع الشام، اشتهر باغتيال من يعاديه.

ولنـا تصـانيـفُ بهـا غـالبتُهُـمْ
مثـلَ الشِّفـا ورسـائـلِ الإخـوانِ[١]
وكـذا الإشـاراتُ التـي هـي عنـدكُـمْ
قـد ضُمِّنَـتْ لقـواطـعِ البـرهـانِ[٢]
قدْ صَرَّحَتْ بالضدِّ مما جاءَ في التْـ
تَـوراةِ والإنجيـلِ والفُـرقـانِ
هي عندكُم مثلُ النصوص وفوقَها
فـي حُجَّـةٍ قطعيـةٍ وبيـانِ[٣]
وإذا تحـاكَمْنـا فـإنَّ إليهِـمُ
يقـعُ التحـاكُـمُ لا إلـىٰ القـرآنِ[٤]

---

(١) الشفا: كتاب لابن سينا في الفلسفة، يتمدَّح به هذا الملحد، ورسائل الإخوان: المراد بهم إخوان الصفا وخلان الوفا، وهم الجماعة الذين اجتمعوا في عهد الدولة الشيعية من بني بويه، وكتبوا رسائل مضمونها: الخلط بين الأديان والفلسفة.

(٢) وهناك كتاب ثانٍ لابن سينا اسمه: «الإشارات» وهو كتاب فلسفة، وهو الذي جاء به الطوسي وجعله بدل القرآن لمّا تغلَّب علىٰ بغداد هو والتتر.

(٣) يقول: إنّها عندكم مثل القرآن عندنا، إنكم تحتجون بها كما أنّا نحتج بالقرآن، لأنها عندكم قطعية فوق القرآن.

(٤) نتحاكم إلىٰ هؤلاء الملاحدة وإلىٰ هذه الكتب الإلحادية لا إلىٰ القرآن.

إذ قـد تسـاعـدُنـا بـأنَّ نصـوصَـهُ
لفظيـةٌ عُـزِلَـتْ عـن الإيقـانِ[١]

فلـذاك حَكَّمْنـا عليـه وأنتُـمُ
قـولَ المعلـمِ أولاً والثـانـي[٢]

يا ويح جَهْمٍ وابنِ دِرْهَمَ والأُوْلَىٰ
قـالـوا بقـولهمـا مـن الخُـورانِ[٣]

بَقِيَـتْ مِـنَ التَّشبيـهِ فيـهِ بَقِيَّـةٌ
نَقَضـتْ قـواعِـدَهُ مِـنَ الأركـانِ

---

(١) يقولون: إنّ دلالة القرآن ظنية، أمّا هذه الكتب التي هي «الإشارات، والشفا، ورسائل إخوان الصفا» فهي قطعية؛ لأنها مبنية علىٰ العقل والحجج العقلية، فهي قطعية الدلالة، أمّا القرآن فإنه دليل سمعي دلالتُه ظنية، هذا اعتقادهم في الكتب السماوية، أنها ظنية الدلالة، وهذا موجود عند الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوَهم، يقولون: إن أدلة السمع ظنية بخلاف أدلة العقل فهي قطعية، لذلك: إذا تعارض نصٌّ من القرآن أو من السنة مع قواعدهم المنطقية أَوّلوا القرآنَ لقواعدهم وصرفوهُ عن مدلوله وظاهره من أجل أن يتوافق مع قواعدهم.

(٢) المعلم الأول: أرسطو معلم الفلسفة، والمعلم الثاني: أبو نصر الفارابي الملحد الخبيث.

(٣) عاد إلىٰ الجهمية يقول لهم: إنكم تتناقضون، مرة تكونون مع المعطلة ومرة تكونون مع المثبتة، يا ويحكم: يتأسف هذا الملحد عليهم من هذا التناقض، ويقول لهم: فإمّا أن تأتوا معنا معشر الملاحدة وإمّا أن تذهبوا مع أهل الإثبات الذين تسمونهم المجسمة. أمّا أنكم تبقون مذبذبين، تثبتون شيئاً وتنفون شيئاً والباب واحد فهذا تناقض.

ينفي الصفاتِ مخافةَ التجسيمِ لا
يَلْوي على خبرٍ ولا قُرآنِ[١]

ويقول: إن الله يسمعُ أوْ يَرىٰ
وكذاكَ يعلمُ سِرَّ كلِّ جَنانِ[٢]

ويقول: إنَّ الله قد شاءَ الذي
هو كائنٌ مِن هذه الأكوانِ[٣]

ويقول: إن الفعلَ مَقدورٌ لهُ
والكونَ يَنْسِبُه إلىٰ الحِدْثانِ[٤]

وبنفيه التجسيمَ يَصرُخُ في الوَرىٰ
واللهِ ما هذان مُتَّفِقانِ[٥]

لكننا قلنا محالٌ كلُّ ذا
حَذراً من التجسيمِ والإمكانِ[٦]

---

(١) وهذا من الإلحاد، لأن القرآن والحديث قد أثبتا ما نفوه.

(٢) يثبت بعض الأشياء: أن الله يسمع ويرىٰ ويعلم، هذه أثبتها بعض الجهمية، يثبت بعض الصفات: السمع والبصر والرؤية وينفي البقية.

(٣) لأن الجهمية جبرية أيضاً، يقولون: إن الله خلق فعل العبد، والعبد مجبور، وحركتُه حركة اضطرار لا اختيار، فالجهمية جبرية، يثبتون أفعال الله ويغلون فيها، ويقولون: إنّ العبد ليس له فعل مع الله تعالىٰ.

(٤) يقول: إن الفعل مقدور لله والكون مُحدَث، والفلاسفة يقولون: إن الكون قديم.

(٥) الجهمي ينفي التجسيم، وهو يثبت التجسيم في بعض أقواله، وهذا تناقض.

(٦) إننا معشر الملاحدة والفلاسفة قلنا: هذا محال وليس لله صفات مطلقاً خوفاً من التجسيم، يعني طردنا الباب كلَّه في النفي خوفاً من ذلك.

فصل

في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن(١)

وأتَىٰ فـريـقٌ ثُـمَّ قـال ألا اسمعُـوا
قـد جئتُكُـمْ مـن مَطلَـعِ الإيمـانِ
مـن أرضِ طيبـةَ مـن مهـاجِرِ أحمـدٍ
بـالحـقِّ والبـرهـانِ والتبيـانِ
سافرتُ في طلبِ الإلٰهِ فَدَلَّني الْـ
ـهـادي عليـه ومحكـمُ القـرآنِ
مـع فطـرةِ الـرحمٰـنِ جـلَّ جـلالُـه
وصـريـحِ عقلـي فـاعْقِلـي ببيـانِ
فتوافقَ الوحيُ الصريحُ وفطرةُ الْـ
ـرحمٰـنِ والمعقـولُ فـي إيمـانـي(٢)
شهـدوا بـأن اللهَ جـلَّ جـلالُـه
مُتفـرِّدٌ بـالملـك والسلطـانِ

---

(١) هذا الركب الأخير من الذين ذهبوا يبحثون عن الله، وهذا الركب ركب أهل السنة والجماعة، جاؤوا وقالوا عن الرب سبحانه وتعالىٰ ما قاله الله وقاله رسوله ﷺ.

(٢) لأن النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح، فالقرآن لا يخالف العقول الصحيحة أبداً، وكذلك السنة، بل إن القرآن حثَّ علىٰ العقل والتعقُّل والتدبُّر واستعمال العقل، فالقرآن لا يُلغي العقل وإنّما يُرشد العقلَ ويُعينُه.

وهـــو الإلٰــه الحــقُّ لا معبــودَ إلْـ
لا وجهُــهُ الأعْلــىٰ العظيــمُ الشــانِ
بــل كــلُّ معبــودٍ ســواه فبــاطــلٌ
من عرشِهِ حتىٰ الحضيضِ الداني
وعبــادةُ الــرحمٰــن غــايــةُ حُبِّــه
مــع ذُلِّ عــابــدِهِ هُمــا قُطبــانِ
وعليهمــا فلــكُ العبــادةِ دائــرٌ
مــا دار حتــىٰ قــامــتِ القطبــانِ(١)
ومــدارُهُ بــالأمــرِ أمْــرِ رســولِــه
لا بــالهــوىٰ والنفــسِ والشيطــانِ(٢)

---

(١) هذا تعريف العبادة: أنها غاية الذل مع غاية الحب، فالعبادة تدور علىٰ هذين القطبين.

(٢) مدار فلك العبادة علىٰ الأمر والنهي، لا علىٰ الهوىٰ والنفس والشيطان. فالعبادة لا بد أن تكون موافقة للقرآن والسنة، فما خالف القرآن والسنة فهو بدعة، قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(*). فالعبادة لا بد أن تكون مبنية علىٰ الكتاب والسنة، لا تؤخذ من الهوىٰ أو النفس أو الشيطان إنما تؤخذ من الكتاب والسنة، فما خالف السنة والقرآن فهو مردود علىٰ صاحبه وباطل، ولو تقرَّب به الإنسان إلىٰ الله وحسُنت نيتُه، فلا يكفي هذا بل لا بد من الاتباع.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٢/ ٦١ (٢٥١٢٨)، والبخاري قبل الحديث (٧٣٥٠) معلقاً، ومسلم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة.

فقيـــامُ ديـــنِ الله بـــالإخـــلاصِ والـ
إحْسَـــانِ أنَّهمـــا لـــه أصـــلانِ[١]

لـــم يَنـــجُ مـــن غضـــبِ الإلٰـــه ونـــارِهِ
إلا الـــذي قـــامَـــتْ بـــه الأصـــلانِ[٢]

والنـــاسُ بَعْـــدُ فمشـــركٌ بـــإلٰهـــه
أو ذو ابتـــداعٍ أوْ لـــه الـــوصفـــانِ[٣]

---

(١) الدين مبني علىٰ أصلين: الإخلاص لله عزّ وجلّ، والمتابعة للرسول ﷺ، هذا هو الدين الصحيح، الإخلاصُ لله ينفي الشركَ، والمتابعةُ للرسول ﷺ تنفي البدعةَ، فالدين هو ما قام علىٰ الإخلاص والمتابعة، هذا هو الدين الصحيح.

(٢) من لم يقم دينه علىٰ الإخلاص والمتابعة، فهو من أهل النار لأنه إما أن يكون مشركاً، وإمّا أن يكون مبتدعاً.

(٣) من اختل به أصل الإخلاص فهو مشركٌ بإلهه، ومن اختل فيه أصل المتابعة فهو مبتدع، فالمنتسبون إلىٰ الإسلام علىٰ أربعة أقسام:

القسم الأول: مخلصٌ لله، متبع للرسول ﷺ، هذا الذي نجا من النار ومن غضب الإله.

الثاني: من اختل فيه الإخلاص فصار عندَه شرك، هذا لا ينجو من النار.

الثالث: من اختل فيه أصل المتابعة فكان مبتدعاً، يعبد الله بالبدع والمحدثات وهو من أهل النار.

الرابع: من جمع بين الأمرين: عدم الإخلاص وعدم المتابعة، اجتمع فيه الشرك، والبدعة وهذا أشد من سابقيه.

والله لا يرضىٰ بكثرةِ فعلنا
لكنْ بأحسنِه مع الإيمانِ[1]
فالعارِفونَ مُرادُهُمْ إحسانُهُ
والجاهلونَ عمُوا عنِ الإحْسانِ
وكذاكَ قد شَهِدُوا بأنَّ الله ذُو
سَمعٍ وذُو بَصرٍ هُما صِفتَانِ
وهو العليُّ يرىٰ ويسمعُ خلقَهُ
من فوقِ عرشٍ فوقَ سِتٍّ ثمانِ[2]
فيرىٰ دَبيبَ النَّمْلِ في غَسَقِ الدُّجىٰ
ويرىٰ كذاكَ تَقلُّبَ الأجفانِ

---

(١) لا يرضىٰ الله بكثرة الفعل، لكن يرضىٰ بالعمل الذي توفر فيه الإخلاص والمتابعة، ولهذا قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، ولم يقل: «أكثركم عملاً» وإنما قال: «أحسن» لأن العبرة بالأحسن ولا يكون الأحسن إلا بالإخلاص والمتابعة، وكما في الآية الأخرىٰ: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] ولم يقل: «أيهم أكثر عملاً» فالعبرة بالأحسن لا بالأكثر، فالكثرة بدون الإحسان لا قيمة لها، والعمل القليل مع الإحسان يُضاعفُه الله أضعافاً كثيرة ويصير كثيراً.

(٢) يعني له العلو وله القرب والدنو سبحانه وتعالىٰ، فهو عليٌّ في دنوه، قريبٌ في علوه، كما قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وهو فوق عرشه وعرشه فوق المخلوقات كلها.

وضجيـجُ أصـواتِ العبـادِ بِسَمْعِـهِ
ولـديـه لا يَتَشـابَـهُ الصـوتـانِ[1]
وهـو العليـمُ بمـا يـوسـوسُ عبـدُه
فـي نفسِـه مـن غيـرِ نُطـقِ لسـانِ[2]
بل يستوي في علمه الداني مع الْـ
ـقـاصـي وذو الإسـرارِ والإعـلانِ[3]

---

(١) كلُّ الناس يدعونه في وقتٍ واحد، يضجون بالدعاء، وأصواتهم مختلفة، ولغاتهم مختلفة، وحاجاتهم مختلفة، ومع هذا يقضي حوائجهم، ويسمع أصواتهم سبحانه وتعالىٰ، ويعلم ما يُريدون، ولا يلتبس عليه هذا بهذا ولا هذا بهذا، فالله تعالىٰ لا يُعجزُه شيء، ولا تختلط عليه الأصوات. يرزق العباد كلهم في لحظةٍ واحدةٍ، ويسمع دعواتهم كلهم في أقطار الأرض في لحظةٍ واحدةٍ، سواء كانوا في أمكنة متفرقة أو في مكان واحد، كما في عرفات التي يجتمع فيها مئات الألوف من الحجاج كلهم يدعون الله تعالىٰ وبلغات مختلفة، وحوائج مختلفة، وكلهم يقضي حاجاتهم سبحانه إذا توفرت شروط الإجابة.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [قٓ: ١٦] الوسوسة التخيلات التي في النفس ولا ينطق بها اللسان يعلمها سبحانه وتعالىٰ.

(٣) لا يختلف في علمه وسمعه سبحانه وتعالىٰ القاصي والداني، ولا الإعلان ولا الإسرار كلُّه سواء، ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

وهـو العليـمُ بمـا يكـون غـداً ومـا
قـد كـانَ والمعلـومُ فـي ذا الآن(١)
وبكُـلِّ شـيءٍ لَـمْ يَكُـنْ لَـوْ كـانَ كَيْـ
ـفَ يكـونُ مـوجـوداً لـذي الأعيـانِ
وهـو القـديـرُ فكـلُّ شـيءٍ فهـو مَقْـ
ـدُورٌ لـه طـوعـاً بـلا عصيـانِ(٢)
وعمـومُ قـدرتِـه تـدلُّ بـأنَّـه
هـو خـالـقُ الأفعـالِ للحيـوانِ(٣)

---

(١) يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون في الماضي وفي المستقبل وفي الحاضر، لا يخفىٰ عليه شيء، يعلم ما كان في الماضي ويعلم ما يكون في المستقبل، ويعلم الحاضر. الأزمان الثلاثة بالنسبة إليه سواء، أمّا نحن فالماضي ننساه أو لا نعلمه، والمستقبل لا ندري ماذا سيكون فيه، وإنما نعلم الحاضر فقط يقول زهير بن أبي سلمىٰ في معلقته:

وأعلمُ ما في اليوم والأمسِ قبلَه ... ولكنني عن علم ما في غدٍ عمِ

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] فهو سبحانه يعلم الماضي والحاضر والمستقبل كلُّ الأوقات سواء عندهُ سبحانه وتعالىٰ.

(٢) هو القادر علىٰ كلِّ شيء سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨] علىٰ كل شيء، لا يُخصَّص بالمشيئة فيُقال: «علىٰ ما يشاء قدير» كما يقولُه بعضهم.

(٣) عموم قدرته تدل علىٰ أن أفعال العباد مخلوقة له سبحانه وتعالىٰ، هي أفعال العباد وهي خلقهُ سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ=

هــي خَلْقُــهُ حقّــاً وأفعــالٌ لهُــمْ
حقّــاً ولا يتنــاقــضُ الأمــرانِ[1]

لكــنَّ أهــلَ الجبرِ والتكـذيـبِ بـالـ
أقـدارِ مـا انفتحَـتْ لهـم عينـانِ[2]

= ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].
ومرادُه بالحيوان: يعني الحي، سواء كان من بني آدم أو من الجن أو من الحيوانات والدواب، كل ما فيه حياة يُسمَّىٰ حيواناً ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني الحياة الكاملة.

(١) هي خلقُه حقاً، وأفعالُهم حقّاً ولا يتناقض الأمران، أمّا الذين يقولون: هي خلقُه فقط وليست بأفعال العباد فهم الجبرية، والذين يقولون: هي أفعالهم فقط وليست خلق الله فهم القدرية المعتزلة، أمّا أهل السنة والجماعة فيجمعون بين الأمرين، يقولون: هي خلقُه وهي فعلهم، ولذلك يُثابون عليها أو يُعاقبون عليها، فالثواب والعقاب يدل علىٰ أنها أفعالهم باختيارهم وإرادتهم، وأنهم يقدرون علىٰ فعلها أو تركها. فالإنسان يطيع الله باختياره أو يعصي الله باختياره، أو يترك الصلاة باختياره، هو الذي يختار هذا، ولا يمنع هذا أن الله خالق كلّ شيء، فالله خالق كل شيء ومن خلقه فعل العبد.

(٢) بل أعماهم الله عن هذا وقالوا: هي أفعال الله فقط وليس للعباد فيها أيُّ اختيار، هذا قول الجبرية، أو قالوا: هي أفعالهم استقلالاً وليس لله فيها خَلْقٌ ولا تقدير، هذا قول القدرية المعتزلة ـ والعياذ بالله ـ، فالطائفة الأولىٰ، يُقال لهم: القدرية الغلاة الذين غلوا في إثبات القدر، والطائفة الثانية، يُقال لهم: القدرية النفاة الذين نفوا القدر وجعلوا العبد يخلق =

نظـــروا بعينـــي أعـــورٍ إذ فـــاتهُـــمْ
نظـــرُ البصيـــرِ وغـــارتِ العينـــانِ

فحقيقـــةُ القـــدرِ الـــذي حـــارَ الـــورىٰ
فـــي شـــأنـــه هُـــوَ قُـــدرةُ الـــرَّحمٰـــنِ

واستَحسَنَ ابنُ عقيلٍ ذا منْ أحمدٍ
لمَّـــا حكـــاهُ عـــن الـــرِّضـــا الـــرَّبـــانـــي

قـــالَ الإمـــامُ شفـــا القُلُـــوبَ بلفظـــةٍ
ذاتِ اختصـــارٍ وهـــيَ ذاتُ بيـــانِ

* * *

= فعل نفسه، وهو الذي يوجد فعل نفسه بدون تقديرٍ من الله، فأعماهم الله عن الجمع بين النصوص، حيث أخذوا بطرف من النصوص وتركوا الطرف الثاني، لأن النصوص ذكرت هذا وذكرت هذا، ذكرت أن الأشياء بتقدير الله وخلقه، وذكرت أن أفعال العباد بإرادتهم واختيارهم وكسبهم وباستطاعتهم فعلها وتركها، فأهل السنة جمعوا بين النوعين من النصوص، وهؤلاء أخذوا بطرف وغمَّضوا أعينهم عن الطرف الثاني، فهم ينظرون بعين أعور، وأهل السنة ينظرون بعينين، ينظرون إلىٰ أقدار الله وإلىٰ أفعال العباد فيجمعون بين هذا وهذا، أمّا أولئك فينظرون بعين واحدة عوراء، إمّا أن ينظروا إلىٰ أقدار الله فقط، وإمّا أن ينظروا إلىٰ أفعال العباد فقط، هذا نظر الأعور، وهذا يشمل كل من يأخذ ببعض النصوص ويترك بعضاً منها.

فصل

ولـهُ الحيـاةُ كمـالُهـا فـلأجْـل ذا
مـا للْممـاتِ عليـه مـن سُلطـانِ
وكـذلـك القيُّـومُ مِـن أوصـافِـه
مـا للمنـامِ لـديـه مـن غَشَيـانِ[1]

---

(١) من أسماء الله وصفاته: الحي القيوم كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ في آية الكرسي [٢٥٥] من سورة البقرة، وفي الآية [٢] أول سورة آل عمران، ولهذا ورد أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ـ الاسم الذي إذا دعي به أجاب.

الحي: هو المتصف بالحياة الكاملة التي لا يعتريها نقص، ولهذا قال: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوۡمٌۚ ﴾ السِّنة: النوم الخفيف، والنوم: هو النوم الكثير المستغرق، وفي الآية الأخرىٰ ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] فنفىٰ عن نفسه الموت، لأن هذه الأمور تتنافىٰ مع الحياة الكاملة فمن عرضت له هذه العوارض فإن حياتَه ناقصةٌ، أمّا حياة الله تعالىٰ فإنها كاملة لا يعتريها نقص بحالٍ من الأحوال فهو حيٌّ لا يموت، قيوم لا ينام.

القيوم صفة مبالغة، من القيام، ومعناه: القائم بنفسه والمقيم لغيره فهو سبحانه قائمٌ بنفسه لا يحتاج إلىٰ شيء، وهو مقيمٌ لغيره، فكلُّ شيءٍ فإنّ الله هو الذي يُقيمُه فهو محتاج، فلولا الله جلّ وعلا لم يقم هذا الشيء ولم يتحرك، فهذا معنىٰ القيوم: القائم في نفسه الذي لا يحتاج إلىٰ شيء المقيم لغيره الذي كل شيءٍ محتاجٌ إليه سبحانه وتعالىٰ، =

وكـذاك أوصـافُ الكمـالِ جميعُهـا
ثبتَـتْ لـه ومـدارُهـا الـوَصْفـانِ(١)

فمُصَحِّـحُ الأوصـافِ والأفعـالِ والْـ
أسمـاءِ حقّـاً ذانـك الـوصْفـانِ(٢)

ولأجـلِ ذا جـاءَ الحـديـثُ بـأنَّـهُ
فـي آيـةِ الكُـرسـيِّ وذي عِمْـرانِ

اسمُ الإلٰه الأعظمُ اشتملا علىٰ اسْـ
ـمِ الحـيِّ والقيـومِ مُقتـرِنـانِ(٣)

= وهذان الاسمان تدور عليهما الأسماء والصفات، فالحي صفة ذات، والقيوم صفة فعل فجميع صفات الذات ترجع إلىٰ الحي، وجميع صفات الأفعال ترجع للقيوم، ولهذا صار هذان الاسمان أعظم أسماء الله تعالىٰ؛ لأنهما يدورُ عليهما جميع الأسماء والصفات الربانية.

(١) الوصفان: يعني الحيّ القيوم، الحيّ تدور عليه صفات الذات، والقيوم تدور عليه صفات الأفعال.

(٢) كلها ترجع إلىٰ هذين الاسمين: الحي القيوم.

(٣) جاء في الحديث: «أنّ اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطىٰ، هو في هاتين الآيتين: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ١-٢]»(*).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٥/ ٥٨٤ (٢٧٦١١)، وأبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وابن ماجه (٣٨٥٥)، من حديث أسماء بنت يزيد.

فـالكـلُّ مـرجِعُهـا إلـىٰ الإسميـنِ يَـدْ
رِي ذاك ذو بَصَـــرٍ بهٰـــذا الشـــانِ(١)

ولـــه الإرادةُ والكـــراهـــةُ والـــرضـــا
ولـــهُ المحبَّـــةُ وهـــو ذُو الإحســـانِ(٢)

وله الكمالُ المطلقُ العاري عن التْـ
ـتَشبيـــهِ والتمثيـــلِ بـــالإنســـانِ(٣)

وكمـــالُ مـــن أعطـــىٰ الكمـــالَ لِنفســـه
أوْلَـــىٰ وأقـــدمُ وهـــو أعظـــمُ شـــانِ

أيكـــون قـــد أعطـــىٰ الكمـــالَ ومـــا لَـــهُ
ذاكَ الكمـــــالُ أذاكَ ذُو إمكـــــانِ(٤)

---

(١) أهل العلم المحققون يعرفون أن جميع الأسماء والصفات ترجع إلىٰ هذين الاسمين.

(٢) وهو سبحانه يحب ويكره، ويرضىٰ ويغضب، هذا ثابت من صفاته الفعلية سبحانه وتعالىٰ.

(٣) له الكمال المطلق، والعاري، أي: المنزَّه عن التشبيه بالإنسان، لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] فله أسماء وصفات وللمخلوقين أسماء وصفات تشابهُها في المعنىٰ واللفظ، لكنها تختلف عنها في الحقيقة والكيفية.

(٤) هذا دليلٌ عقلي علىٰ كماله سبحانه وتعالىٰ، لأنه إذا كان يعطي الكمال لغيره، فإنه أوْلَىٰ به سبحانه وتعالىٰ، فلا يُعطي الكمال إلا من هو كامل؛ لأن فاقد الشيء لا يُعطيه كما يقولون، فهذا محال أن يُعطي الكمالَ لغيره ويكون هو سبحانه وتعالىٰ معطلاً عن هذا الكمال وناقصاً، تعالىٰ عن ذلك.

أيكــونُ إنســانٌ سميعــاً مُبْصــراً
مُتكلِّمــاً بمشيئــةٍ وبيــانِ
ولــهُ الحيــاةُ وقُــدرةٌ وإرادةٌ
والعلــمُ بــالكُلِّــيِّ والأعيــانِ
والله قــد أعطــاهُ ذاك وليــس هـٰـ
ـذا وصْفَهُ فاعْجَبْ من البهتانِ[1]
بخــلاف نــومِ العبـدِ ثــمَّ جِمـاعِـهِ
والأكــلِ منــه وحــاجَـةِ الأبـدانِ[2]

---

(١) إذا كان الله تعالىٰ أعطىٰ صفات الكمال للمخلوقين وهي: السمع والبصر والإرادة والمشيئة فإنه أوْلىٰ سبحانه بذلك، فإن المخلوق الذي لا يسمع ناقص، والأعمىٰ الذي لا يُبصر ناقص، والذي ليس له إرادة ولا قدرة من الخلق ناقص، أمّا من له هذه الصفات فإنّه يُعدُّ كاملاً، والله جلَّ وعلا أولىٰ بذلك، فكلُّ كمالٍ ثبت للمخلوق لا يستلزم نقصاً فالله أولىٰ به، هذه قاعدة. والمعطلة يعدون هذه الأمور كمالاً في المخلوق ويسلبونها عن الخالق، ويعتبرون سلبها عن المخلوق نقصاً، ولا يعتبرون سلبها عن الخالق نقصاً، تعالىٰ الله عمّا يقولون.

(٢) قد تكون هناك أشياء هي كمال في المخلوق لكنها نقصٌ في حق الخالق ولهذا قلنا: كلُّ كمالٍ للمخلوق لا يستلزم نقصاً، خروجاً من الكمال الذي يستلزم النقص، كالنوم مثلاً فإنه في المخلوق كمال وعدم النوم نقص، لكن الله بالعكس: عدم النوم في حقه كمال، والنوم في حقه سبحانه نقص. فهذا لا يوصف الله به وإن كان كمالاً للمخلوق، وكذلك الأكل بالنسبة للمخلوق كمال، لأن الذي لا يأكل يعتبر مريضاً، لكن الله =

إذ تلكَ ملزوماتُ كونِ العبدِ مُحْـ
ـتاجاً وتلك لوازِمُ النقصانِ[١]

وكذا لوازمُ كونِه جسداً نعَمْ
ولوازمُ الأحداثِ والإمكانِ

يتقدَّسُ الرحمٰنُ جلَّ جلالُه
عنها وعن أعضاءِ ذي جُثمانِ[٢]

= منزَّهٌ عن الأكل فلا يُقال: هذا كمال للمخلوق ويكون كمالاً للخالق بل نقول: هذا يستلزم نقصاً فيُنزَّه الله عنه، والجماع: حاجة للمخلوق لكنه يستلزم النقص؛ لأن المخلوق محتاجٌ إليه، والله منزَّه عن ذلك، ليس بحاجة إلىٰ شيء، فهذا معنىٰ، قولهم: «كل كمال ثبت للمخلوق لا يستلزم نقصاً فالخالق أولىٰ به، أمّا الكمال الذي ثبت للمخلوق ويستلزم نقصاً فالخالق منزَّهٌ عنه».

(١) هذه كمالٌ في المخلوق لكنها تستلزم نقصاً، لأنه بحاجة إليها والله منزهٌ عن ذلك.

(٢) الجسم والجسد هذان لا يثبتان لله ولا ينفيان؛ لأنه لم يرد نفيها ولا إثباتهما لله عزّ وجل، وأسماء الله وصفاته توقيفية، وما سكت الله عنه ورسوله نحن نسكت عنه، ونحن نثبت لله صفات ذات وأفعال ولا يلزم من هذا لوازم الجثمانية والجسمية التي للإنسان، ولهذا فإن أهل الباطل يُسمون مثبتي الصفات وأهل الحديث: مجسمة؛ لأنهم أي أهل الباطل يقولون: يلزم من إثبات هذه الصفات: أنه جسم، فنقول: هذا في حق المخلوق، أمّا في حق الخالق فنحن لا نتدخل في هذا، ما جاءنا خبر عن الله ولا عن رسوله بنفي هذا أو إثباته ونحن لا ننفي ولا نثبت هذا الشيء.

والله ربِّي لم يزلْ متكلِّماً
وكلامُه المَسْموعُ بالآذانِ[١]

---

(١) الله جلَّ وعلا يوصف بأنّه مُتكلِّم كلاماً حقيقياً يُسمع منه سبحانه وتعالىٰ ويوحيه إلىٰ ملائكته ورسله ويُكلِّم من شاء مباشرة كما كلَّم موسىٰ عليه السلام، وكما كلَّم محمداً ﷺ مباشرة ليلة المعراج من غير واسطة، وفرض عليه الصلوات الخمس، ولهذا يُسمىٰ موسىٰ كليم الله؛ لأنّ الله كلَّمَه مباشرة بدون واسطة جبريل، وسمع موسىٰ كلامه وكلَّم موسىٰ ربَّه عزَّ وجل وسمع الله كلامَهُ وأجابه. وكلام الله تعالىٰ كسائر أفعاله، يفعله متىٰ شاء، إذا شاء سبحانه تكلّم في الأزل ويتكلم في المستقبل، وليس لكلامه نفادٌ ولا حد ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] فلا يُحصي كلامَه إلا هو سبحانه وتعالىٰ وكلامه يسمعه جبريل، وسمعه موسىٰ، وسمعه آدمُ، فآدم نبيٌّ مكلَّم، ويكلِّمه الله يوم القيامة؛ فالله سبحانه يتكلَّم إذا شاء كلاماً حقيقياً لا كلاماً مخلوقاً كما تقوله الجهمية، أو كلاماً نفسانياً لا يُسمع كما تقولُه الأشاعرة، بل هو كلام حقيقي يُسمع، والله يتكلَّم متىٰ شاء إذا شاء في الماضي وفي المستقبل وفي جميع الأوقات إذا شاء يأمر وينهىٰ ويدبر الخلائق ويقول للشيء: «كن فيكون». وكلام الله علىٰ نوعين:

الأول: كلامٌ كوني قدري.

الثاني: كلامٌ ديني شرعي: وهو الوحي المُنزَّل علىٰ الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والكلام القدري: هو الذي يتكلَّم الله به حين يُدبر الله سبحانه ويأمر وينهىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، =

صِـدْقـاً وعـدلاً أُحْكِمَـتْ كلمـاتُـه
طلبـاً وإخْبـاراً بـلا نُقصـانِ[١]

ورسـولُـه قـد عـاذ بـالكلمـاتِ مِنْ
لَـدْغٍ ومـن عَيْـنٍ ومـن شيطـانِ[٢]

= ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] قال للنار: كوني برداً وسلاماً علىٰ إبراهيم، فاستجابت.

(١) الشرع الذي أنزله الله، صدقاً في أخباره، عدلاً في أحكامه، لا يتطرق إليه كذبٌ، ولا يتطرق إليه جورٌ في أحكامه سبحانه وتعالىٰ.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «مَن نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرُّه شيء حتىٰ يرحل من منزله ذلك»[*] والاستعاذة بالمخلوق لا تجوز، فدلَّ علىٰ أنّ كلام الله غير مخلوق، وأنه صفة من صفاته، والاستعاذة بصفةٍ من صفات الله أو باسم من أسمائه مشروعة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فالاستعاذة بأسماء الله وصفاته والتوسل بها إلىٰ الله كل ذلك مشروع، أمّا المخلوق فلا تجوز الاستعاذة به، فهذا فيه ردٌّ علىٰ الجهمية الذين يقولون: إنّ كلام الله مخلوق، إذ لو كان كلام الله مخلوقاً لما جازَتِ الاستعاذة به، لأن الاستعاذة بالمخلوق شركٌ أكبر كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٥/٨٨ (٢٧١٢٢)، ومسلم (٢٧٠٨) (٥٤) من حديث خولة بنت حكيم.

أَيُعَــاذُ بــالمخلــوقِ حــاشــاهُ الْـ

إشــراكِ وهــو مُعلِّــم الإيمــانِ[١]

بـلْ عـاذَ بـالكلمـاتِ وهـي صفـاتُـه

سبحـانَـه ليسـت مـن الأكـوانِ[٢]

وكـذلـك القـرآنُ عيـنُ كـلامِـهِ الـ

ـمسمـوعِ منـه حقيقـةٌ ببيـانِ[٣]

هــو قــولُ ربِّــي كلُّــه لا بعضُــهُ

لفظـاً ومعنـىً مـا همـا خَلْقـانِ[٤]

---

(١) هذا ردٌّ على الذين يقولون: إنّ كلام الله مخلوقٌ كالجهمية، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، لأنها نوعٌ من أنواع العبادة، فإذا صُرفت للمخلوق صارت شركاً أكبر يُخرِج من الملة.

(٢) يعني أن الكلمات ليست من المخلوقات كما تقول الجهمية بل هي صفة من صفاته.

(٣) من كلام الله القرآنُ العظيمُ تكلَّم الله به وحياً، وبلَّغه جبريلُ إلىٰ الرسول وبلَّغه الرسولُ إلىٰ الأمة، وهو كلام الله، فقد ذكر الله في آياتٍ من كتابه أنه كلامه، وإضافته إلىٰ جبريل ومحمد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] والتكوير من إضافة التبليغ، لأن الرسول بلَّغه، وكون الرسول بلَّغه لا يمنع في الأصل أن يكون كلامَ الله تعالىٰ لأن الكلامَ يُضاف إلىٰ من قالَه مبتدئاً لا إلىٰ من قاله مبلغاً مؤدياً.

(٤) هذا ردٌّ علىٰ الذين يقولون: إن كلام الله النفساني غيرُ مخلوق، والكلام الذي بلغه الرسول مخلوق؛ لأنه حكاية أو عبارة عن كلام الله كما تقوله =

تَنْـــزِيـــلُ ربِّ العـــالميـــنَ وقـــولُـــه
اللفـــظُ والمعنَـــىٰ بـــلا رَوَغـــانِ(١)

لكـــنَّ أصـــواتَ العبـــادِ وفعلَهُـــمْ
كمِـــدادِهِـــمْ والـــرَّقِّ مخلـــوقـــانِ

فـــالصـــوتُ للقـــاري ولكـــنَّ الكـــلا
مَ كلامُ ربِّ العرشِ ذي الإحسانِ(٢)

= الأشاعرة وغيرهم، فيكون القرآن مركباً من شيءٍ مخلوق وشيءٍ غير مخلوق، فالحروف والأصوات مخلوقة، وأما المعنىٰ فهو قائم بالله تعالىٰ عبر عنه جبريل أو عبر عنه محمد ﷺ وحكاه، وهذا قول باطل، وهذا يشبه قول النصارىٰ في المسيح: أن بعضَه رباني وبعضَه بشري فهو مركب من اتحاد اللاهوت بالناسوت، فالقرآن إذن مركب من شي رباني ومن شيء إنساني وهذا باطل.

(١) ليس كلام الله المعنىٰ فقط، دون الحروف، ولا الحروف دون المعنىٰ، بل اللفظ والمعنىٰ كلُّه كلام الله جلّ وعلا، مهما كُتب ومهما قُرىء فهو كلام الله تعالىٰ ومهما حُفِظ فهو كلام الله، والقارىء إنما يقرأ كلام الله سبحانه وتعالىٰ، فالصوت صوت القارىء ولكن الكلام كلام البارىء.

(٢) صوت القارىء بقراءة القرآن مخلوق، وأمّا المقروء نفسُه فهو غير مخلوق، والورق والحبر مخلوقان، وكذلك فعل العبد وكتابته للحروف مخلوقة، أمّا نفس المكتوب فهو كلام الله تعالىٰ، فالكتابة فعل العبد والمكتوب هو كلام الله تعالىٰ، وصوت القارىء مخلوق، والمصوَّت به والمقروء هو كلام الله سبحانه وتعالىٰ.

هــذا إذا مــا كــانَ ثَــمَّ وَســاطَــةٌ
كقــــراءةِ المخلــــوقِ للقـــرآنِ[١]

فإذا انْتفَتْ تلْكَ الوساطَةُ مِثْلَ ما
قَــدْ كلَّــمَ المــوْلُــودَ مِــنْ عِمْــرانِ

فهُنـالِـكَ المخلُـوقُ نَفسُ السَّمْـعِ لا
شَــيءٌ مِــنَ المسمُــوعِ فــافْهَــمْ ذَانِ

هــذي مقــالَــةُ أحمــدٍ ومحمــدٍ
وخصــومُهُــمْ مِــنْ بعــدُ طــائفتــانِ[٢]

إحــداهمــا زعمَــتْ بــأن كــلامَــه
خَلْــقٌ لــه ألفــاظُــه ومعــانــي[٣]

---

(١) إذا كان هناك وساطة في تبليغ القرآن فالواسطة مخلوقة، وهي قراءة القارىء، وكتابة الكاتب، وتعليم المعلم، هذه كلها مخلوقة، لكن نفس المبلَّغ ونفسَ المَقْروء والمَكتوبِ هو كلام الله سبحانه وتعالىٰ، فنُفرِّق بين الواسطة وبين كلام الله عزَّ وجل، أمّا إذا لم يكن ثمَّ واسطة بين المخاطب وبين الله جلّ وعلا، مثل ما حصل لموسىٰ، فإنّه كلام الله سبحانه وتعالىٰ، وموسىٰ سمعه، فالسمع مخلوق والمسموع هو كلام الله تعالىٰ.

(٢) هذا الذي ذكرناه هو قول أحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري.
وخصومهم، يعني المخالفين لهم ولأهل السنة قسمان يذكرهما.

(٣) هذا القول الأول من قولي الطائفتين قول الجهمية الذين يقولون: القرآن مخلوق ألفاظُه ومعانيه خلقَه الله في غيره.

والآخــرون أبــوْا وقــالــوا شطــرُه
خَلْــقٌ وشطــرٌ قــامَ بــالــرحمٰــن[١]

زعمــوا القــرآنَ عبــارةً وحكــايَــةً
قلنــا كمــا زَعمــوهُ قُــرآنــانِ[٢]

هــذا الــذي نتلــوهُ مخلــوقٌ كمــا
قــال الــوليــدُ وبعــدَهُ الفئتــانِ

والآخــرُ المعنــىٰ القــديــمُ فقــائــمٌ
بــالنفــسِ لــم يُسمَــعْ مــن الــدَّيّــانِ[٣]

والأمــرُ عيــنُ النهــي واستفهــامُــهُ
هــو عيــنُ إخبــارٍ وذو وِخْــدانِ[٤]

---

(١) هذا كلام الطائفة الثانية وهم الأشاعرة الذين يقولون: المعنىٰ كلام الله ولكن الحروف والألفاظ من صنع البشر مخلوقة، فهو حكاية عن كلام الله أو عبارة عن كلام الله.

(٢) علىٰ قولهم يكون القرآن قرآنين، قرآن هو كلام الله، وقرآن هو كلام المخلوق، تعالىٰ الله عمّا يقولون.

(٣) يعني الوليد بن المغيرة لما قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] ومثل قول الوليد قول الفئتين الجهمية والأشاعرة. اتفق قول الفئتين مع قول الوليد.

(٤) يقولون: المعنىٰ النفساني لا يتنوع، فليس فيه أمر أو نهي أو استفهام لأنه شيء واحد، وإنما الأوامر والنواهي والإخبارات حكاية عن كلام الله.

وهـو الـزبـورُ وعيـنُ تـوراةٍ وإنـ
ـجيلٍ وعيـنُ الـذِّكْـرِ والفـرقـانِ[1]
الكُـلُّ شـيءٌ واحـدٌ فـي نفسِـهِ
لا يَقْبَـلُ التَّبعيـضَ فـي الأذهـانِ
مـا إنْ لـه كُـلٌّ ولا بعـضٌ ولا
حَـرْفٌ ولا عـربـي ولا عبـرانـي
ودليلُهُـمْ فـي ذاك بيـتٌ قـالَـهُ
فيمـا يُقـالُ الأخطـلُ النصـرانـي[2]

---

(١) يقولون: هذا المعنىٰ النفساني، إن عُبِّر عنه بالعربية صار قرآناً، وإن عُبِّر عنه بالسريانية صار إنجيلاً، وإن عُبِّر عنه بالعبرانية كان توراةً.

(٢) الأخطل شاعر من شعراء العرب في وقت بني أمية، كان شاعراً مشهوراً وله ديوان وهو من نصارىٰ بني تغلب يروون عنه أنه قال:

إن الكلامَ لفي الفؤاد وإنما ... جُعِلَ اللسانُ علىٰ الفؤادِ دليلاً

قالوا: هذا دليل من اللغة العربية علىٰ ثبوت الكلام النفساني، لأن الكلام في الفؤاد فقط، وأمّا اللسان فإنّه يُعبِّر عمّا في الفؤاد، قالوا: فدلَّ علىٰ أن ما في النفس يسمىٰ كلاماً، فالمعنىٰ القائم بذات الرب ولم يتكلم به يسمىٰ كلاماً بموجب اللغة العربية؛ لأن هذا الشاعر عربي فصيح وهو الذي قال هذا البيت. والجواب عن هذا من وجهين:

الوجه الأول: أن هذا البيت ما ثبت عن الأخطل، ولا هو في ديوانه ولهذا قال: «فيما يقال».

الوجه الثاني: أنه لو ثبت عن الأخطل، فالأخطل نصراني والنصارىٰ قالوا في حق الله أعظم من هذا، فالنصارىٰ قالوا: إنّ المسيح ابن الله وأنه =

يا قومُ قد غلطَ النصارىٰ قَبْلُ في
معنَىٰ الكلام وما اهتدوا لبيانِ
ولأجل ذا جعلوا المسيحَ إلٰهَهُمْ
إذ قيلَ كلمةُ خالقٍ رَحمانِ(١)
ولأجلِ ذا جعلوهُ ناسوتاً ولا
هوتاً قديماً بعدُ مُتَّحدانِ(٢)
ونظيرُ هذا من يقولُ كلامُه
معنىً قديمٌ غيرُ ذي حِدْثانِ(٣)

= مركب من شيئين: اتحاد اللاهوت بالناسوت، فالمسيح بعضُه إلٰه وبعضُه بشر، كذلك الأخطل لو ثبت عنه هذا البيت فهو من هذه الطائفة التي تقول هذا القول في حق المسيح فلا يؤخذ بكلامه.

(١) قالوا لما قال الله في المسيح: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ [النساء: ١٧١] فسمىٰ المخلوقَ كلمةً، فدلَّ علىٰ أنّ الكلام مخلوق، فنقول: هذا باطل ومعنىٰ أن المسيحَ كلمةُ الله: أنه خُلق بالكلمة، وليس هو الكلمة وإنما خُلق بالكلمة وهي قوله تعالىٰ: ﴿كُن﴾ قالوا: كل الأشياء تُخلق بالكلمة فنقول لهم: العادة أن الإنسان يكون من أب وأم ولكن المسيح لم يكن من أب، وإنما هو من أمٍّ فقط، فخلق بالكلمة من غير أب وهي الأمر الذي أمر الله به، لا أن الكلمةَ هي عيسىٰ نفسه.

(٢) اللاهوت: هو المعنىٰ الرباني، والناسوت: هو المعنىٰ الإنساني، فالمسيح مركب من هذين العنصرين عندهم.

(٣) نظير قول النصارىٰ في المسيح قول الأشاعرة أن القرآن مركَّب من المعنىٰ القديم الذي هو المعنىٰ القائم بالرب، والكلام والحروف التي هي من =

والشطـرُ مخلُـوقٌ وتلـكَ حُـروفُـهُ
نـاسُـوتُـه لكـنْ هُمـا غيـرانِ

فـانظـر إلـىٰ ذا الاتفـاقِ فـإنَّـه
عَجَـبٌ وطـالِـعْ سُنَّـةَ الـرحمٰـنِ[١]

وتكـايَسَـتْ أُخـرىٰ وقـالـت إنَّ ذا
قـولٌ محـالٌ وهـو خَمْـسُ معـانِ

تلـك التـي ذُكِـرتْ ومعنـىً جـامعٌ
لجميعهـا كـالأُسِّ للبنيـانِ

فيكـون أنـواعـاً وعنـدَ نظيـرِهِـمْ
أوصـافُـه وهمـا فمتفقـانِ

إن الـذي جـاءَ الـرسـولُ بـه لمخـ
ـلـوقٌ ولـم يُسمَـعْ مـن الـدَّيّـانِ[٢]

= صنع البشر، فهو مركب من شيءٍ رباني وشيءٍ بشري، هذا هو القرآن عندهم مخلوق وغير مخلوق.

وقال الجهمية: كلُّه مخلوق، وهؤلاء قالوا: بعضُه مخلوق وبعضه غير مخلوق، فهم وافقوا الجهمية من وجه، وخالفوهم من وجه.

(١) انظر إلىٰ هذا الاتفاق بين الأشاعرة وبين النصارىٰ في هذا الخلط الباطل، وهو جعل الشيء الواحد مخلوقاً وغير مخلوق.

(٢) أي هم وإن اختلفت أقوالهم فهم متفقون علىٰ أن القرآن الذي جاء به الرسول مخلوق، ليس مسموعاً من الله جلّ وعلا، وإنما هو مخلوق أو حكاية عن كلام الله.

والخُلْفُ بينهم فقيلَ محمدٌ
أنشَاهُ تعبيراً عن القرآنِ
والآخرون أبوْا وقالوا إنما
جبريلُ أنشاه عن المنّانِ(١)
وتكايسَتْ أُخرىٰ وقالت إنّهُ
نَقْلٌ من اللوحِ الرفيعِ الشانِ(٢)
فاللَّوْحُ مبْدُؤُهُ وربُّ اللَّوحِ قدْ
أنْشاهُ خلْقاً فيهِ ذا حِدْثانِ
هذي مقالاتٌ لهُمْ فانظرْ ترىٰ
في كُتْبِهِمْ يا مَنْ له عينانِ(٣)

---

(١) الذي حكاه عن الله عندهم اختلفوا فيه فقيل: هو جبريل، وقيل: هو محمد ﷺ.

(٢) هؤلاء قالوا: إن الله خلقه في اللوح المحفوظ، وإن جبريل نقله من اللوح المحفوظ ولم يسمعه من الرب سبحانه وتعالىٰ، يعني صار الذي يأمر وينهىٰ جبريل أو اللوح المحفوظ، تعالىٰ الله عمّا يقولون؛ كتبه اللهُ في اللوح المحفوظ بلا شك، لكن لم يخلقه خلقاً في اللوح وإنما كتبه، فهو تكلَّم به سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ وأوحاهُ إلىٰ رسوله ﷺ بواسطة جبريل، وجبريل لم يأخذه من اللوح المحفوظ وإنّما أخذه عن الله، كلَّمه الله به، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

(٣) كتب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومشتقاتهم كثيرة وفيها =

لكــنَّ أهــلَ الحــقِّ قــالــوا إنمــا
جبــريــلُ بلَّغــه عــن الــرحمٰــن

ألقــاه مسمــوعــاً لــهُ مِــن ربِّــه
للصــادقِ المَصــدوقِ بــالبــرهــانِ[1]

* * *

= ما نقله الشيخ عنهم فالاطلاع عليها من أجل معرفة ما هم عليه من الضلال لمن عنده علم وبصيرة أمر طيب.

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] هذا جبريل عليه السلام، ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١] مُطاع في الملأ الأعلىٰ تطيعُه الملائكة وأمينٌ علىٰ الوحي، ثمّ قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ٢٢-٢٦] فهذا هو سندُ القرآن، تلقته الأمةُ عن محمد، عن جبريل، عن الله سبحانه وتعالىٰ. وإضافته إلىٰ الرسول الملكي أو البشري، لأنه مُبلِّغ عن الله، وإلا فهو كلام الله، والكلام إنما يُضاف إلىٰ من قالَه مبتدئاً لا إلىٰ من قاله مبلغاً مؤدياً، ولا يمكن أن يكون القرآن كلامَ ثلاثة: كلام الله وكلام جبريل وكلام محمد، هذا لا يمكن إلا أنه كلامٌ واحد، فدلَّ علىٰ أن الأصل أنه كلام الله، وأمّا جبريل ومحمد فهما مُبلِّغان عن الله.

فصل

في مجامع طُرُق أهل الأرض واختلافِهِم في القرآن[1]

(١) لمّا ذكر الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله مذهبَ أهل السّنة والجماعة في كلام الله عزّ وجلّ، وذكر مذاهبَ مخالفيهم من الفرق، أراد أن يُجمل ما سبق، ولا تستغربوا من اهتمام ابن القيم رحمه الله بهذه المسألة وإطالته فيها، فإنها مسألة عظيمة يترتب عليها أمرٌ عظيم؛ لأن هؤلاء المخالفين في كلام الله يريدون أن ينفوا أن يكون لله كلامٌ أنزله إلىٰ رسوله، وبذلك تبطل الأوامر والنواهي سواء أرادوا ذلك ـ وقد أراده ملاحدتهم وقدماؤهم ـ أو أخذوه عن تقليدٍ وجهل وتعصُّب، فإنّ مُرادَهم ومُرادَ الشيطان الذي قادهم إلىٰ ذلك فيما يلي:

١ ـ أن يُعطِّلوا الله تعالىٰ من أعظم صفةٍ من صفاته، وهي الكلام، ويجعلوه بمثابة الجمادات التي لا تنطق، فالله تعالىٰ عاب علىٰ بني إسرائيل لما عبدوا العجل فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] يعني: لا يتكلم وهذا عيبٌ في الآلهة أنها لا تتكلم، وليس لها أوامر ولا نواهٍ ولا تدبير ولا إرادة ولا خلق، تعالىٰ الله عما يقولون. فهم أرادوا تعطيل الله عن هذه الصفة العظيمة.

٢ ـ أرادوا أن يقولوا: إن هذا الذي بين أيديكم ليس هو كلام الله وإنما هو قول البشر كما قال الوليد بن المغيرة، فلا يكون لله بيننا كلام، لا توراة ولا إنجيل ولا قرآن ولا زبور، وأن الذي يقول: هذا كلام الله يكون مُخطئاً، هذا ليس كلام الله؛ لأن الله لا يتكلّم ـ تعالىٰ الله عمّا يقولون ـ فالأمر عظيم جداً والخطر شديد. =

. . . .

= ولهذا وقف الأئمة من هذه المسألة موقف الحزم ولم يتساهلوا فيها، كالإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وهو قائد أهل السنة ـ الذين وقفوا بحزم أمام هذه المسألة حتىٰ سُجن وعُذِّب، وطال سجنه رحمه الله في خلافة المأمون والمعتصم والواثق، ثلاثة خلفاء تعاقبوا علىٰ تعذيب الإمام أحمد وسجنه، ولم يُطلقه إلا المتوكل رحمه الله الذي أظهر مذهب أهل السنة، وقُتِلَ في هذه المحنة من قُتل.

فالمسألة واجهها الأئمة بحزم ولم يلينوا أمامها؛ لأنهم يعلمون ما يترتب عليها من خطر علىٰ الأمة الإسلامية، فكان لموقفهم بقيادة الإمام أحمد إمام أهل السنة الفوائد العظيمة للأمة الإسلامية، وأخزىٰ الله خصومهم، ونصر الحقَّ وأهلَه، واندحر أهل الباطل ولله الحمد، وبقي الاعتقاد السليم في كلام الله، تحقيقاً لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقيّض الله هؤلاء الأئمة لإظهار الحق ودحض الباطل، ومنهم هذا الإمام العظيم ابن القيم رحمه الله، وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ومن سار علىٰ نهجهم من الأئمة، وفي عصرنا الآن من المتحذلقين الذين يدّعون العلم من يقول: المسألة لا تحتاج إلىٰ هذا، أُعطيت أكبر من حجمها، وحصل فيها فرقة بين المسلمين، وهي لا تستحق كلَّ هذا، إنما هي مسألة عادية، وكأن جهاد الإمام أحمد ومن معه من باب العبث، أو يكادون يقولون: إنهم مخطئون، ولا تستحق هذه العناية، وهناك من يقول: إن الإمام أحمد لم يُسجن من أجل مسألة خلق القرآن، وإنما لأنه =

وإذا أردْتَ مجامعَ الطُّرُقِ التي
فيها افتراقُ الناسِ في القرآنِ

فمدارُها أصلانِ قامَ عليهما
هذا الخلافُ هما لهُ رُكنانِ

هل قولُه بمشيئةٍ أم لا وهل
في ذاتِه أم خارجٌ هَذانِ

= عارض السياسة، هكذا يقول هؤلاء الحُثالات مع أن المسألة خطيرة جداً، إذا تصوَّرتها وتأمَّلتها عرفت فقه الإمام أحمد رحمه الله وإدراكَه وفقه الأئمة الذين وقفوا مع الإمام أحمد، ورأيت خطأ الذين تساهلوا وتخاذلوا في هذه المسألة.

إن المسألة تستحق العناية البالغة ليندحر هذا الباطل، لأن خُلاصتها: أنه لا كلام لله بيننا، وأن هذا القرآن ليس كلام الله فدوسوا عليه بالأقدام وأهينوه، لأنه ليس بكلام الله، واعتبروه مثل سائر الكلام - تعالىٰ الله عن ذلك -، هذه نتائجهم وآثارهم وباطلهم - تعالىٰ الله عمّا يقولون - كلّها أقوال تصبُّ في شيءٍ واحد: وهو أنه ليس لله كلامٌ نزل علىٰ الرسل لا علىٰ إبراهيم ولا علىٰ موسىٰ ولا علىٰ عيسىٰ ولا علىٰ محمد ﷺ ولا علىٰ داود، كلّ هذه إنما هي مخلوقة لفظاً ومعنى، أو مخلوقة لفظاً دون المعنىٰ، فالمسألة خطيرة جداً، فلا تتأثروا بأقوال المعاصرين، فهم إما جهال لا يعلمون بطلان هذا القول، وإمّا كتّاب حداثيون يريدون أن يفسروا الوقائع بغير تفسيرها ويُجهِّلوا الأئمة أو ينسبوهم للتعصُّب لآرائهم أو لأمورٍ سياسية.

أصلُ اختلافِ جميعِ أهلِ الأرض في الْـ

ـقرآنِ فـاطلـبْ مُقتضَـىٰ البـرهـانِ(١)

---

(١) هذان الأصلان هما أصل الاختلاف في القرآن وهما:

١ ـ هل صدر القرآن عن مشيئةٍ من الله وإرادة، أو صدر من غير مشيئة ولا إرادة؟

٢ ـ وإذا صدر عن مشيئة وإرادة، فهل هو خَلْقٌ خلقه الله أو هو كلام تكلَّم به، ذكر الناظم في هذا سبعة مذاهب أهمها ما يأتي:

١ ـ مذهب الأشاعرة الذين يقولون: إن القرآن حكاية عن كلام الله.

٢ ـ مذهب الكُلاَّبية الذين يقولون: إنه عبارة عن المعنىٰ القديم القائم بنفس الرب سبحانه وتعالىٰ، وفي الحقيقة لا فرق بين قولهم حكاية أو عبارة.

٣ ـ وتكايست طائفة منهم وقالت: ليس هو عبارة ولا حكاية وإنّما أنشأه الله في اللوح المحفوظ، وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ، ونزل به علىٰ محمد ﷺ؛ وتجدون رسالةً للسيوطي في هذا المعنىٰ ردَّ عليها الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي البلاد السعودية اسمها «الجواب الواضح المستقيم في كيفية نزول القرآن العظيم» ردَّ علىٰ هذا القول الذي يقول: إن جبريل أخذَ القرآن من اللوح المحفوظ، يعني لم يأخذه عن الله، هذا حاصل مذهب الذين يقولون: إنّه عبارة عن المعنىٰ النفسي وليس هو عن مشيئة وإرادة، وأمّا القائلون بأنّه عن مشيئةٍ وإرادة فهم أيضاً ثلاث طوائف.

٤ ـ الجهمية والمعتزلة الذين يقولون: إنّ القرآن مخلوق خلقه الله خارج ذاته، إمّا في جبريل وإمّا في محمد وإمّا في اللوح المحفوظ، المهم =

. . . .

= أنه مخلوق وإضافته إلىٰ الله إضافة مخلوق إلىٰ خالقه، كناقة الله، وبيت الله، وتسميته كلام الله من باب المجاز.

٥ ـ قول الكَرّامية الذين يقولون: إنّ القرآن كلام الله حقيقة، ولكن جنس الكلام مُحدَث كسائر الصفات عندهم منعاً للتسلسل في الماضي، فيقولون: جميع أفعال الله إنما هي محدثة وليست قديمة، بمعنىٰ أنه مضىٰ علىٰ الله وقت وهو غير متصف بها، ثمّ اتصف بها، ومنها: الكلام حذراً من تعدُّد القدماء، وهذا من أقبح الجهل، لأن الكلام صفة من صفات الله، والله جلَّ وعلا بصفاته قديمٌ أزليٌّ، ولا يلزم من هذا التعدد في الربوبية، لأن الصفات ليست ذواتاً أخرىٰ تُشارِك الله في القِدَم والربوبية، وإنّما هي صفاتٌ للموصوف، فإذا قلتُ مثلاً: هذا الإنسان كاتبٌ وخطيب ونحوي وفقيه، هل يلزم من هذه الصفات تعدد الأشخاص؟ لا يلزم منه ذلك، هو شخصٌ واحد وهذه صفاته، كذلك ـ الربّ جلَّ وعلا ـ ولله المثل الأعلىٰ فهو بصفاته قديمٌ أزلي لا بداية له، ولا يلزم من قدم صفاته ـ تبعاً لذاته تعدد الآلهة والقدماء، فهؤلاء الكرّامية يقولون: القرآن كلام الله حقيقة لفظاً ومعنىٰ، فهم يوافقون أهل السنة في ذلك تماماً، إلا أنهم خالفوا أهل السنة بأن كلام الله له بداية كسائر أفعاله عندهم، ونحن نقول: جنس أفعال الله ليس له بداية، ومن الذي يُحدِّد بداية أفعال الله عزّ وجل، هذا تقولٌ علىٰ الله بغير علم؟

٦ ـ قول أهل السنة والجماعة أن الله يتكلّم بكلام حقيقي لفظاً ومعنىً، وأن جنس الكلام قديمٌ أزلي لا بداية له كما أن ذاته ليس لها بداية، وكذلك سائر أفعاله، ولكنَّ أنواع الكلام تكون مُحدثة متىٰ شاء الله =

ثـمَّ الأُولَـىٰ قـالـوا بغيـر مشيئـةٍ
وإرادةٍ منـــه فطـــائفتـــانِ
إحـداهمـا جعلَتْـه معنـىً قـائمـاً
بـالنفسِ أو قـالـوا بخمسِ معـانِ[١]
والله أحـدثَ هـذه الألفـاظَ كَـيْ
تُبـديـه معقـولاً إلـىٰ الأذهـانِ[٢]
وكـذاك قـالـوا إنّهـا ليسـت هـي الْـ
ـقرآنَ بل مخلوقةٌ دلَّت، علىٰ القرآنِ[٣]

= أن يتكلَّم تكلم، فهو تكلَّم في الماضي، ويتكلّم في المستقبل، ويتكلّم إذا شاء، فجنس الكلام قديم، أمّا آحاد الكلام وأجزاء الكلام فإنّها تحدث شيئاً فشيئاً حسب مشيئة الله وإرادة الله عزّ وجل، لهذا يقولون كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، وكذلك أفعاله كلّها: قديمة النوع حادثة الآحاد، أي: أن الله يفعل ما شاء إذا شاء كيف يشاء في الماضي وفي المستقبل وفي الدنيا والآخرة.

(١) الذين قالوا: إن كلام الله معنىً قائم بنفسه انقسموا إلىٰ قسمين: قسمٌ يقول: هو شيءٌ واحد لا يتجزأ. وقسمٌ يقول: يتجزأ إلىٰ خمسة أقسام: أمرٌ ونهي وخبرٌ واستخبار ونداء.

(٢) هذا قول الأشاعرة والماتريدية القائلين بالكلام النفسي قالوا: ألفاظ القرآن محدثة ومخلوقة؛ لأن القرآن هو عبارة عن المعنىٰ القائم بالنفس الربانية، وليس هو هذا الذي في المصحف، وإنما الذي في المصحف قول جبريل، أو قول محمد، وهو حكاية عن كلام الله أو تعبير عن كلام الله.

(٣) يعني أن الألفاظ التي في المصحف ليست هي القرآن وإنّما هي دالة علىٰ القرآن.

ولـــربَّمـــا سُمِّـــي بهـــا القـــرآنُ تَسْـ
ـميـةَ المجـازِ وذاك وضـعٌ ثـانِ[١]
وكــذلــك اختلفــوا فقيــل حكــايــةٌ
عنـــه وقيـــلَ عبـــارةٌ لبيـــانِ[٢]
إذ كـــان مـــا يُحكَـــىٰ كمحكـــيٍّ وهـ
ـــذا اللفـظُ والمعنـىٰ فمختلفـانِ[٣]

---

(١) يقولون: إن هذه الألفاظ سُميت قرآناً من باب المجاز وإلا فهي ليست كلام الله، وإنما هي حكاية عن كلام الله أو عبارةٌ عنه.

(٢) الذين قالوا: حكاية، هم الأشاعرة، والذين قالوا: عبارة، هم الكلاّبية، واختُلف هل بينهما فرق أي الحكاية والعبارة، قالوا: بينهما فرق؛ لأن الحكاية لا بد أن تُطابق المحكي ولا تخالفه، والعبارة أخف؛ لأن العبارة تقريب المعنىٰ فقط، وقد توافق المُحكي أو تُخالفه شيئاً ما.

وبعض العلماء يقول: لا فرق في المعنىٰ بين الحكاية والعبارة، كلاهُما بمعنىً واحد، وكلاهما باطل.

وطائفة ثالثة منهم قالت: ليس هو بحكاية ولا عبارة وإنما خلقه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، ثمّ نقله جبريل من اللوح المحفوظ ولم يسمعه من الله جلَّ وعلا.

(٣) هذا المحذور عندهم قالوا: لو قلنا: إنّه حكاية، صار لا بد أن يتطابق المحكي مع الحكاية، وليس كذلك، ليس بين الكلام الذي هو معنىٰ قائم بذات الله واللفظ الموجود في المصحف، تطابُق تام، فلذلك الأسهل أن نقول: عبارة عن كلام الله وليس حكاية.

ولـذا يُقـالُ حكـيْ الحـديـثَ بعينـه
إذْ كـانَ أوَّلُـه نظيـرَ الثـانـي[١]
فلـذاك قـالـوا لا نقـولُ حكـايـةٌ
ونقـولُ ذاك عبـارةُ الفـرقـانِ
والآخـرون يَـروْنَ هـذا البحـثَ لفـ
ـظيّـاً ومـا فيـه كبيـرُ معـانِ[٢]

* * *

(١) يُقال: حكيْ الحديث: إذا جاء به بلفظه ومعناه، ويُقال: عبَّر عن الحديث: إذا جاء بمعناه فقط.

(٢) طائفة ثالثة يقولون: الحكاية والعبارة بمعنىً واحد فيجوز أن يقال: إن هذا حكاية وهذا عبارة.

فصل

في مذهب الاقترانية[١]

والفــرقــةُ الأُخــرىٰ فقــالــتْ إنَّــهُ
لفْظــاً ومعنــىً ليــس ينْفصِــلانِ

واللَّفــظُ كــالمعنــىٰ قــديــمٌ قــائــمٌ
بــالنَّفــسِ ليــسَ بِقــابــلِ الحِــدْثــانِ

فــالسِّيــنُ عنــدَ البــاءِ لا مسْبــوقَــةٌ
لكِــنْ هُمــا حــرفَــانِ مُقتَــرِنــانِ

والقــائلــونَ بــذا يقــولــوا إنمــا
تــرتيبُهــا بــالسمــعِ بــالآذانِ[٢]

ولهــا اقتــرانٌ ثــابــتٌ لــذواتِهــا
فــاعْجَــبْ لــذا التخليــطِ والهَــذيــانِ

لكــنَّ زاغــونِيَّهُــم قــد قــال إن
ذواتَهــا ووجــودَهــا غيــرانِ

---

(١) الاقترانية يقولون: المعنىٰ واللفظ كلاهما قديم، ليس منهما شيءٌ حادث، وحروف كلام الله مقترنة لا يسبق بعضُها بعضاً، فالباء لا تسبق السين في «بسم الله» مثلاً.

(٢) يعني أن كون بعضها يسبق بعضاً إنما هو في أسماع الناس، وإلا فهي بالنسبة لله مقترنة ليس بينها سبق، وحَذَفَ النون من «يقولوا» لضرورة الشعر.

فتــرتَّبَــتْ بــوجــودهــا لا ذاتِهــا
يــا للعقــولِ وزَيْغَــةِ الأذهــانِ[1]
ليسَ الوجودُ سِوىٰ حقيقتِها لذي الْـ
أذْهــانِ بــلْ فــي هــذهِ الأعيــانِ
لكــنْ إذا أخــذَ الحقيقــةَ خــارِجــاً
ووُجُــودَهَــا ذِهنــاً فمُختلِفــانِ
والعكسُ أيضاً مِثْلُ ذا فإذا هُما اتْـ
ـتَحــدا اعتبــاراً لَــمْ يكُــنْ شيئَــانِ
وبــذا يــزولُ جميــعُ إشكــالاتِهِــمْ
فــي ذاتِــه ووجــودِه الــرحمٰــن

* * *

---

(١) هذا قول ابن الزاغوني الحنبلي وهو قول لا معنىٰ له، وابن القيم يستغيث للعقول، التي ابتُليت بهذا الشيء، بأنها عقول مريضة.

فصل

في مذاهب القائلين بأنه متعلِّق بالمشيئة والإرادة

والقــائلــون بــأنــه بمشيئــةٍ
وإرادةٍ أيضــاً فُهــمْ صِنفــانِ
إحــداهمــا جعلَتْــهُ خــارجَ ذاتِــه
كمشيئــةٍ للخَلْــقِ والأكــوانِ[1]
قــالــوا وصــارَ كـلامُـهُ بـإضـافـة التْـ
تَشْريفِ مثلَ البيتِ ذي الأركانِ[2]

---

(١) هذا قول الجهمية والمعتزلة القائلين بأن القرآن مخلوق خارج ذات الله تعالىٰ.

(٢) يقول الجهمية والمعتزلة: كلام الله مخلوق لفظاً ومعنىً خارجَ ذات الربِّ سبحانه وتعالىٰ، خلقه في جبريل أو في محمد أو الهواء، كما أن كلام الله لموسىٰ خلقه الله في الشجرة فالذي كلَّم موسىٰ هي الشجرة، وهل الشجرة تقول لموسىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١٢] تعالىٰ الله عما يقولون.

والرد عليهم أن تقول المضاف إلىٰ الله قسمان:

١ ـ إضافة مخلوق إلىٰ خالقه كبيت الله وناقة الله وعبد الله.

٢ ـ إضافة صفة لموصوفها مثل: كلام الله، سمع الله، حياة الله، هذه إضافة صفة إلىٰ موصوف، أمّا الخلط بأن يُقال: المضاف إلىٰ الله كلُّه إضافة مخلوق إلىٰ خالقه فهذا باطل.

مـا قـال عنـدَهـم ولا هـو قـائـلٌ
والقـولُ لـم يُسمـعْ مِـن الـدَّيّـانِ(١)
فـالقـولُ مفعـولٌ لـديْهِـمْ قـائِـمٌ
بـالغَيـرِ كـالأعـراضِ والأكـوانِ
هـذي مقـالـةُ كـلِّ جَهْمـيٍّ وهُـمْ
فيهـا الشيـوخُ مُعلِّمـو الصبيـانِ(٢)
لكـن أهـلَ الاعتـزالِ قـديمَهُـمْ
لم يذهبوا ذا المذهبَ الشيطاني(٣)
وهم الأُولَى اعتزلوا عن الحسنِ الرِّ
ضَا البَصريِّ ذاكَ العالمِ الرَّبّاني(٤)

---

(١) فعندهم ما قال الله في الماضي ولا يقول في المستقبل، وإنما كلام الله خَلْقٌ خلقه الله.

(٢) الذين تبنوا هذا المذهب هم الجهمية، ومن قلّدهم، كتقليد الصبيان الذين يُقلِّدون المعلم، فمن قلَّد الجهمية فهو صبيٌّ في عقله وتلميذٌ لهم.

(٣) هذا قول الجهمية قديمهم وحديثهم، أمّا المعتزلة فإنّ قدماءَهم لا يقولون بهذه المقالة وإنما قال بها متأخروهم.

(٤) سبب تسميتهم بالمعتزلة: أن إمامهم واصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري رحمه الله، فجاء سائل ووقف على حلقة الحسن البصري لما كثر الاختلاف في حكم مرتكب الكبيرة، فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة، والمرجئة يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان، وحصل ارتباك عند الناس في ذلك، فجاء هذا السائل يسأل الحسن عن مرتكب الكبيرة؟ فأجاب الحسن البصري رحمه الله بأنه مؤمن ناقص الإيمان. فقال واصل بن عطاء: =

وكـــذاكَ أتْبــاعٌ علــىٰ منهــاجِهِــمْ
مِـنْ قبْـلِ جَهْـمٍ صـاحِـبِ الحِـدْثـانِ
لكنّمـــا متـــأخِّـــروهـــم بعـــدَ ذٰ
لـك وافقـوا جَهْمـاً علـىٰ الكفـرانِ[1]
فهُـــمُ بـــذا جَهْمِيّـــةٌ أهـــلُ اعتـــزا
لِ ثَـوْبُهُـمْ أضحـىٰ لَـهُ عَلَمـانِ[2]
ولقـد تقلَّـدَ كفـرَهُـم خمسـون فـي
عشـرٍ مـن العلمـاءِ فـي البلـدانِ[3]
والـــلالكـــائـــيُّ الإمـــامُ حكـــاهُ عنـــ
ـهم بل قد حكاه قبلَه الطَّبراني[4]

= أنا لا أقول: ليس بمؤمن كامل الإيمان كما تقوله المرجئة، وهو ليس بكافر كما تقوله الخوارج، ولكنه في المنزلة بين المنزلتين: ليس بمؤمن ولا كافر. وعند ذلك اعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن واجتمع عليه أصحابه، وصار يُقرِّر مذهب المعتزلة، فمن ذلك الوقت سُمُّوا بالمعتزلة، لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمه الله.

(١) متأخرو المعتزلة اعتنقوا مذهبَ الجهمية في أن القرآن مخلوق.

(٢) العلم في الثوب هو الطراز، فالمعتزلة لهم عَلمان: عَلَمُ اعتزالٍ، وعَلَمُ تجهُّمٍ حيث جمعوا بين المذهبين.

(٣) كَفَّرَ الجهمية ومن ذهب مذهبهم في أنّ القرآن مخلوق خمسمائة عالم من علماء أهل السنة، فالذي يقول بخلق القرآن كافر بالله عزّ وجل.

(٤) حكىٰ هذا عن هؤلاء الأئمة الإمام اللالكائيُّ في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، وحكاه عنهم قبلَه الإمام الطبراني.

فصل

في مذهب الكَرّاميّة

والقــائلــون بــأنَّــه بمشيئــةٍ
فــي ذاتِــه أيضــاً فَهُــمُ نــوعــانِ
إحــداهُمــا جعلَتْــه مَبــدوءاً بــه
نــوعــاً حَــذارِ تَسلسُــلِ الأعيــانِ[1]
فَيَسُــدُّ ذاك عليهِــمُ فــي زعمِهِــمْ
إثبــاتُ خــالــقِ هــذه الأكــوانِ[2]
فلــذاك قــالــوا إنّــه ذو أوّلٍ
مــا لِلفنــاءِ عليــه مــن سُلطــانِ[3]

---

(١) هذا مذهب الكرّامية في كلام الله كسائر أفعاله لها بداية عندهم، وليست أزلية، والكرّامية هم أتباع ابن كرام، وهذا قولٌ علىٰ الله بلا علم، وتعطيلٌ لله من صفاته في الأزل، تعالىٰ اللهُ عمّا يقولون.

وأهل السنة يقولون: كلام الله كسائر أفعاله، قديمُ النوع حادثُ الآحاد، قال تعالىٰ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢].

(٢) يعني هذا هو السبب في أنهم يقولون: كلام الله كلُّه جنسُه ونوعُه محدثٌ لأجل أن يسدوا القولَ بتسلسل الحوادث في الماضي.

(٣) أي وبعد حدوث الكلام لا ينقطع أبداً، فهو له بداية لكن ليس له نهاية.

وكـــلامُـــه كفعـــالِـــه وكـــلاهمـــا
ذو مَبـــدأٍ بـــل ليـــسَ يَنْتَهيـــانِ[١]
قالوا ولَمْ يُنْصِفْ خُصومٌ جعجعُوا
وأتَـــوْا بتشنيـــعٍ بـــلا بُـــرهـــانِ
قُلْنـــا كمـــا قـــالُـــوهُ فـــي أفعـــالِـــهِ
بـــلْ بينَنَـــا وبَـــوْنٌ مـــن الفُـــرْقـــانِ
بـل نحـن أسعـدُ منهُـمُ بـالحـقِّ إذْ
قُلنـــا هُمـــا بـــاللهِ قـــائمتـــانِ[٢]
وَهُـــمُ فقـــالـــوا لـــم يقـــمْ بـــاللهِ لا
فِعْـــلٌ ولا قـــولٌ فتعطيـــلانِ[٣]
لِفعـــالِـــهِ ومَقـــالِـــهِ شـــرّاً وأبْـ
ـطَـلُ مِـنْ حُلُـولِ حـوادثٍ ببيَـانِ

---

(١) يقولون: كلام الله كأفعال الله لها بداية لكن ليس لها نهاية.

(٢) يقول الكرّامية للجهمية والطوائف المخالفة لهم: نحن أحسن منكم، وقولُنا مطابقٌ للكتاب والسنة، فنحن أقرب إلىٰ الحق منكم في أوصاف الله بالأفعال، وأنه يفعل ما يشاء، ومن ذلك: الكلام فإنّ كلامَه من جملة أفعاله سبحانه وتعالىٰ، فنحن أحسنُ منكم، أمّا أنتم فتعطلون الله من أفعاله ومن الكلام، فأيُّنا أقرب للحق، من عطَّل الله أو من وصف الله بما وصف به نفسه.

(٣) يعني أن الجهمية ومن أخذ بقولهم عطَّلوا الله من أفعاله ومن كلامه فجمعوا بين تعطيلين.

تعْطِيلُـــهُ عـــنْ فِعْلِـــهِ وكـــلامِـــهِ
شَــرٌّ مِــنَ التَّشْنيـعِ بـالهَـذَيَـانِ

هــذي مقــالاتُ ابــنِ كــرَّامٍ ومــا
رَدُّوا عليـــه قـــطُّ بـــالبـــرهـــانِ[١]

أنّــىٰ ومــا قــد قــال أقــربُ منهُــمُ
للعقـــلِ والآثـــارِ والقـــرآنِ[٢]

لكنَّهُـــمْ جـــاؤوا لـــه بجعـــاجـــعٍ
وفـــراقـــعٍ وقعـــاقـــعٍ بشِنـــانِ[٣]

* * *

(١) يقول: إنّ ابن كرّام ردَّ عليهم وهم عجزوا أن يردُّوا عليه.

(٢) قول ابن كرّام أقرب إلىٰ العقل وإلىٰ الآثار من قول الجهمية وإن كان عندَه خطأً من ناحية منع أفعال الله في الماضي.

(٣) يعني أن الجهمية ومن نحا نحوَهم ما جاؤوا في ردِّهم علىٰ خصومهم بحجج صحيحة.

فصل

في ذكر مذهب أهل الحديث(١)

والآخرونَ أُوْلُوا الحديثِ كأحمدٍ
ومحمـــدٍ وأئمـــةِ الإيمـــانِ

قــالــوا بــأنَّ اللهَ حقّــاً لــم يــزَلْ
متكلّمـــاً بمشيئـــةٍ وبيـــانِ

إنّ الكـلامَ هـو الكمـالُ فكيـف يَخْـ
ـلُـو عنـهُ فـي أزلٍ بـلا إمكـانِ(٢)

---

(١) هذا هو القول السادس من الأقوال التي ذكرها أو السابع إذا اعتبرنا أن القول بأنه أنشأه في اللوح المحفوظ قولاً مستقلاً، فتصير الأقوال التي ذكرها سبعة.

(٢) لما ذكر الناظم رحمه الله مذاهبَ الفرق الضالة في كلام الله من جهمية وأشاعرة وغيرهم، شرع يبيِّن مذهبَ أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحديث، سُمُّوا بأهل الحديث؛ لأنهم يتمسكون بالحديث، وسُمُّوا بأهل السنة؛ لأنهم يعملون ويتمسكون بسُنة النبي ﷺ، والسّنّة والحديث بمعنىً واحد، إلا أن السّنة قد تكون أعمَّ لأنها تعني الطريقة المحمدية، وسُمُّوا بالجماعة؛ لأنهم لم يفترقوا كما افترقت الفرق الأخرىٰ وإنما هم جماعةٌ واحدةٌ، منهجُهم واحدٌ، ومذهبهم واحد، لم يختلفوا ولله الحمد، فلذلك سُمُّوا أهل السنة والجماعة، وسمُّوا أهل الحديث، =

ويصيـــرُ فيمـــا لـــم يـــزلْ متكلِّمـــاً
مـــاذا اقتضـــاهُ لـــه مـــن الإمكـــانِ[١]

وتعـــاقُـــبُ الكلمـــاتِ أمـــرٌ ثـــابـــتٌ
للـــذاتِ مثـــلَ تعـــاقـــبِ الأزمـــانِ[٢]

واللهُ ربُّ العـــرشِ قـــال حقيقـــةً
حَـــم مـــع طَـــهَ بغيـــرِ قِـــرانِ[٣]

= ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل البخاري وأئمة الإيمان ممن سار علىٰ منهجهم واقتفىٰ أثرهم.

فقالوا: إنّ الله يتكلم بمشيئة وليس لكلامه بداية ولا نهاية، بل هو يتكلَّم متىٰ شاء إذا شاء سبحانه وتعالىٰ فالكلام من الكمال والله تعالىٰ موصوف بالكمال.

وهذا البيت ردٌّ علىٰ الكرّامية الذين وافقوا أهل الحديث في أن الله يتكلَّم بمشيئة، ولكنهم خالفوهم في القول بالبداية حيث جعلوا كلام الله له بداية.

(١) يقول: إذا كان الكلام ممتنعاً عن الله في وقتٍ كما تزعمون فما الذي جعله ممكناً بعد أن كان ممتنعاً ومستحيلاً. فالمستحيل يستمر مستحيلاً وغير ممكن، وإذا كان ممكناً وغير مستحيل فما الذي يُحدِّده في زمان دون زمان، هذا تحكُّم منكم.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ الاقترانية الذين يقولون: إنّ الحروف مقترنة لم يسبق بعضُها بعضاً، فيُقال: إذا كان الزمان يتعاقب فله ماضٍ وحاضر ومستقبل، فكذلك الكلام يكون حاضراً وماضياً ومستقبلاً.

(٣) الحاء في «حم» سابقة للميم، والطاء سابقة للهاء في طه من غير اقتران.

بــل أحــرفٌ مُتــرتِّبــاتٌ مثـلَ مــا
قــد رُتِّبــتْ فــي مَسْمَــعِ الإنســانِ[١]

وقتــانِ فــي وقــتٍ محــالٌ هكــذا
حــرفــانِ أيضــاً يــوجــدا فــي آنِ[٢]

مــن واحــدٍ متكلِّــمٍ بــل يــوجــدا
بــالــرســمِ أو يتكلَّــمُ الــرجــلانِ[٣]

هــذا هُــوَ المعقُــولُ أمــا الاقتــرا
نُ فليــس معقــولاً لــذي الأذهــانِ

وكــذا كــلامٌ مِــن سِــوىٰ متكلِّــمٍ
أيضــاً محــالٌ ليــس فــي إمكــانِ[٤]

---

(١) فنحن نسمعُها مرتبة، نسمع الحاء قبل الميم في «حم» فهي مرتبة في الكلام كما هي مرتبةٌ في الاستماع.

(٢) لا يجتمع وقتان: ماضٍ ومستقبل، وكذلك الكلام لا يوجد كلامانِ في آن واحد، ولا حرفان في آنٍ واحد، هذا لا يمكن، وهذا أيضاً رد علىٰ الاقترانية.

(٣) يوجد الحرفان المقترنان في الكتابة، فأنت تنظر إليهما مقترنين في الكتابة، ويوجدان أيضاً مقترنين من شخصين، لأنهما من متكلمين، أمّا من المتكلِّم الواحد فلا يمكن.

(٤) هذا ردٌّ علىٰ الجهمية والأشاعرة، فالجهمية يقولون: إنّ الكلام مخلوق لفظه ومعناه خارجَ ذاتِ الله عزَّ وجل، والأشاعرة يقولون: معناه غير مخلوق، وأمّا حروفه وألفاظه فهي مخلوقة كما سبق، فيُقال للفرقتين: الكلام لا يُسند إلا إلىٰ المتكلِّم، وكلام غيره لا يُسند إليه، ولو كان =

إلاَّ لمــن قــامَ الكــلامُ بــه فــذا
لَكَ كـلامُـه المعقـولُ فـي الأذهـانِ[1]

أيكــونُ حَيّــاً ســامعــاً أو مُبصِــراً
مـن غيـرِ مـا سمـعٍ وغيـرِ عِيـانِ[2]

والسمــعُ والإبصــارُ قــامَ بغيــرِه
هــذا المحــالُ وواضــحُ البُهتــانِ[3]

وكــذا مــريــدٌ والإرادةُ لــم تكُــنْ
وصفــاً لــه هــذا مــن الهَــذيــانِ[4]

= القرآن مخلوقاً كما تقولون للزم أن يُسند الكلام إلىٰ غير المتكلِّم، فإذا كان كما تقولون: كلام محمد أو كلام جبريل فكيف يُضاف إلىٰ الله عزّ وجل ويُقال: كلام الله؟ هذا غير صحيح.

(١) هو كلامُ الله بدايةً، وكلام جبريل ومحمد إبلاغاً، أمّا أن يُقال كلام محمد أو جبريل حقيقة ويُسند إلىٰ الله مجازا فهذا مخالف للعقول.

(٢) كذلك بقية الصفات. هل يُقال: الله سميع أو بصير وهو غير ذي سمع وغير ذي بصر كما تقولون، وإنّما خلق السمع والبصر فيُضاف السمع والبصر إليه علىٰ أنه خالقه، هذا كلامٌ باطل.

(٣) فهم يقولون: سميع بصير، معناهُ أنه خالق السمع والبصر في غيره، هذا محال فلا يُقال: سميعٌ بصير إلا لمن قامت به الصفة واتصف بها، حتىٰ في الخلق، لا تقول: فلان بصير بمعنىٰ أن ولده بصير، فإذا استحال هذا في الخلق ففي الخالق من باب أوْلَىٰ.

(٤) كذلك لا يقال: مريد لأنّه خلق الإرادة في غيره.

وكـــذا قـــديـــرٌ مـــا لـــه مـــن قـــدرةٍ
قـامـتْ بـه مـن أوضـحِ البُطـلانِ[١]
واللهُ جـــلَّ جـــلالـــه متكلِّـــمٌ
بـالنقـلِ والمعقـولِ والبـرهـانِ[٢]
قـد أجمعَـتْ رُسُـلُ الإلٰـه عليـه لَـمْ
ينكـرهُ مـن أتبـاعِهِـمْ رجـلانِ[٣]
فكـلامُـه حقّـاً يقـوم بـه وإلْـ
لا لَـمْ يكـن متكلمـاً بقُـرانِ[٤]

---

(١) الصفات لا تقوم إلا بالموصوف، لا تقوم بغير الموصوف، ومنها الكلامُ لا يقوم إلا بالمتكلِّم.

(٢) دل العقل والنقل علىٰ أنّه متكلِّم، ودلالة العقل من حيث إن الذي لا يتكلَّم ناقص، والذي يتكلَّم هذا كمال فيه واللهُ مُنزَّه عن النقص، والله تعالىٰ عاب علىٰ اليهود لمّا عبدوا العجل لأنه لا يتكلَّم فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] فلو كان الله غيرَ متكلِّم، لقال اليهود لموسىٰ: ربُّك غيرُ متكلِّم. فالله عابهم لأنهم يعبدون مَن لا يُكلِّمهم ولا يهديهم سبيلاً، فدَلَّ علىٰ أن الرب سبحانه وتعالىٰ متكلِّم.

(٣) أجمعت رسل الإلٰه علىٰ أنّ الله متكلِّمٌ، وأنّ الذي نزل عليهم هو كلام الله عزَّ وجل، وبلَّغوه لأممهم لم يختلف في هذا واحد منهم.

(٤) كلامه يقوم به خلافاً لما يقوله الجهمية: إنّه يقوم بغيره؛ لأن الله خلق الكلام فيه.

والله قـالَ وقـائـلٌ وكـذا يقـو
لُ الحـقَّ ليس كـلامُـه بـالفـانـي[(١)]

ويكلِّـمُ الثقليـنِ يـومَ معـادِهِـمْ
حقّـاً فيَسمـعُ قـولَـه الثقـلانِ[(٢)]

وكـذا يكلِّـم حـزبَـه فـي جَنَّـةِ الـ
ـحيـوانِ بـالتسليـمِ والـرضـوانِ[(٣)]

وكـذا يكلِّـم رُسْلَـهُ يـومَ اللِّقـا
حقّـاً فيسـألُهُـمْ عـن التِّبيـانِ[(٤)]

---

(١) الله جلَّ وعلا لم يزل قائلاً في الماضي وفي المستقبل والكلام منه سبحانه وتعالىٰ يكون فيما شاءهُ وأرادهُ منه في أيِّ وقت، فهو قال في الماضي ويقول في المستقبل ولا يزال قائلاً إذا شاء.

(٢) يكلمهم وهم في عرصات القيامة، ويكلم أهل الجنة، ويُكلِّم أهل النار فيقول لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

(٣) الحيوان: الحياة الكاملة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني الحياة الكاملة، سُمِّيت الآخرةُ حيواناً، لأنها لا موت فيها.

(٤) كما قال تعالىٰ: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ . . .﴾ [المائدة: ١٠٩] وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥] يُكلِّم الأمم؛ ويقول جلّ وعلا: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] يسأل الله الرسل ويسأل المرسل إليه يُكلِّم هؤلاء وهؤلاء.

ويُـراجـعُ التكليـمَ جـلَّ جـلالُـه
وقـتَ الجـدالِ لـه مـن الإنسـانِ(١)
ويكلِّـمُ الكفـارَ فـي العَـرَصَـاتِ تَـوْ
بيخـاً وتقـريعـاً بـلا غُفـرانِ(٢)
ويكلِّـمُ الكفـارَ أيضـاً فـي الجحيـ
ـم أنِ اخسؤوا فيها بكلِّ هـوانِ(٣)
والله قـد نـادىٰ الكليـمَ وقبلَـهُ
سَمِـعَ النـدا فـي الجنَّـةِ الأبـوانِ(٤)

---

(١) أي: يكون فيه محاورة ومحاضرة بين العبد وربه يوم القيامة.

(٢) وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤] فمعناه أن الله لا يكلمهم كلام إكرام.

(٣) كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

(٤) كلم الله موسىٰ فقال له: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ [طه: ١٢] فالله تعالىٰ خاطبَ موسىٰ وسمعَ موسىٰ كلامَه بدون واسطة، وقال له: ﴿فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] إلىٰ آخر الآيات، ولذا يُسمَّىٰ موسىٰ كليمَ الله لما اختصّه الله به من هذه الميزة العظيمة حيث قال: ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] ناداه وناجاه، والمناداة: الصوت المرتفع، والمناجاة هي: الصوت الخفي، فاللهُ جمع لموسىٰ بين هذا وهذا، المناداة والمناجاة كما كلَّم الأبوين: آدم وحواء فقال لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وأتـىٰ النِّـدا فـي تسـعِ آيـاتٍ لـه
وصْفـاً فـراجِعْهـا مـن القـرآنِ(١)

وكــذا يُكلِّــم جبـريـلَ بـأمـرِه
حتـىٰ يُنفِّــذَهُ بكــلِّ مكــانِ(٢)

واذكُـرْ حـديثـاً فـي صحيـحِ مُحمَّـدٍ
ذاكَ البُخــارِيِّ العظيــمِ الشَّــانِ

فيــهِ نــداءُ اللهِ يــومَ مَعــادِنَـا
بـالصَّـوتِ يبلُـغُ قَـاصِيـاً والـدَّانـي

هـبْ أنَّ هـذا اللَّفـظَ ليسَ بِثابـتٍ
بـلْ ذِكـرُهُ مـعَ حـذْفِـهِ سِيَّـانِ

---

(١) كما ذكر الله ذلك في تسع آيات فيها أنّ الله نادىٰ ويُنادي راجعها من القرآن تجدها.

(٢) كما في حديث النّواس بن سمعان: «إذا تكلّم الله بالوحي أخذت السمٰوات رجفة شديدة، فإذا سمع الملائكة ذلك صعقوا وخرُّوا لله سجداً، فيكون أوّل من يرفع رأسه جبريل فيُكلمه الله من وحيه بما شاء، ويسمع جبريلُ كلامَه وينفذ به إلىٰ حيث أمرهُ الله ويُبلِّغَه»(*).

(*) أخرجه الطبري في «التفسير» ١٠/ ٣٧٣ (٢٨٨٤٩)، وابن كثير في «التفسير» ٦/ ٥١٦ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

ورواهُ عنــدَكُــمُ البخــاريُّ المُجَسْـ
سِــمُ بـلْ رواهُ مُجَسِّــمٌ فَـوْقـانـي(١)
أيصــحُّ فــي عقـلٍ وفـي نقـلٍ نــدا
ءٌ ليـس مسمــوعــاً لنــا بــأذانِ(٢)
أم أجمــعَ العلمــاءُ والعقــلاءُ مِــن
أهـلِ اللســانِ وأهـلِ كُـلِّ لســانِ(٣)
أن النِّــدا الصــوتُ الــرفيـعُ وضِـدُّهُ
فَهْـوَ النَّجَـاءُ كـلاهُمـا صـوتـانِ(٤)
واللهُ مــوصُــوفٌ بــذاكَ حقيقــةً
هــذا الحــديــثُ ومُحكَـمُ القُـرآنِ
واذكُـرْ حـديثـاً لابـن مسعـودٍ صَـرِيـ
ـحـاً أنّــه ذو أحــرفٍ ببيــانِ

---

(١) أي: روىٰ حديثَ التكلُّم الإمامُ البخاريُّ(*) الذي تقولون: إنه مُجسِّم؛ لأنه يصف الله بالصفات، والذي يصف الله بالصفات عندهم مُجسِّم، ورواه مَن قبلَه، وهناك أدلةٌ أخرىٰ ماذا تصنعون بها؟

(٢) أي: لا يُسمَّىٰ نداء إلا إذا كان مسموعاً، فالذي لا يُسمع لا يُسمّىٰ نداءً وإذا سُمع فإنّه كلام.

(٣) النداء لا يكون إلا كلاماً مسموعاً، هذا في وضع اللغة العربية.

(٤) كلاهما وردا، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] هذا فيه إثباتُ المناداة والمناجاة لله عز وجل، وهما صوتان مسموعان.

(*) في «صحيحه» تعليقاً قبل الحديث (٧٤٨١)، وفي «الأدب المفرد» (٩٧٠).

الحرفُ منه في الجزا عَشْرٌ مِنَ الـ

ـحَسَنـاتِ مـا فيهِـنَّ مِـن نُقصـانِ(١)

وانظرْ إلىٰ السُّورِ التي افْتُتِحَتْ بأحْـ

ـرُفِهـا تـرىٰ سِـرّاً عظيـمَ الشّـانِ(٢)

---

(١) هذا حديث صحيح «مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، فالحسنة بعشرِ أمثالها، لا أقول: الٓمٓ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(*) فأثبت أن القرآنَ حروفٌ، كلُّ حرفٍ بحسنة، وكلُّ حسنة بعشر أمثالها والحروف لا تكون إلا للكلام.

(٢) أي: الحروف المقطعة في أوائل السور مثل «الٓمٓ ـ حٓمٓ ـ صٓ ـ قٓ ـ نٓ»، وقد اختلف العلماء فيها: هل تُفسَّر أو لا تُفسَّر؟ وشيخ الإسلام ابن تيمية له فيها كلامٌ جيد يقول: «إن السر في افتتاح هذه السور بهذه الحروف هو إظهار إعجاز القرآن» أي: أنّ هذا القرآن مركَّبٌ من مثل هذه الحروف التي تتكلّمون بها، ومع هذا عجزتم عن الإتيان بشيءٍ من مثله، ولذلك يأتي بعد هذه الحروف ذكر القرآن ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢] ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] ﴿حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الزخرف: ١-٢] دلَّ علىٰ أنّ السرَّ فيها التنبيه علىٰ إعجاز القرآن وأنّه مركبٌ من مثل هذه الحروف التي تنطقون بها.

(*) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) من حديث عبد الله بن مسعود، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

لــم يــأتِ قــطُّ بســورةٍ إلاَّ أتــىٰ
فــي إثـرِهـا خبـرٌ عـن القـرآنِ[١]

إذْ كــانَ إخْبـاراً بــهِ عَنْهـا وفـي
هــذا الشِّفـاءُ لِطـالـبِ الإيمـانِ

ويــدلُّ أنَّ كــلامَــه هــو نفسُهـا
لا غيــرُهـا والحــقُّ ذو تبيــانِ[٢]

فانظرْ إلىٰ مبدا الكتابِ وبعدَها الْـ
أعــرافُ ثــمَّ كــذا إلــىٰ لُقمــانِ

مـع تِلْـوِهـا أيضـاً ومـع حَـم مَـعْ
يَـس وافهَـمْ مُقتضَـىٰ الفـرقـان[٣]

---

(١) كل الحروف المقطّعة يأتي بعدها ذكرٌ للقرآن ممّا يشير إلىٰ الإعجاز في القرآن وبعض العلماء يقول: هذه الحروف المقطعة الله أعلم بمراده منها ويتوقفون عن تفسيرها.

(٢) يدل ذلك علىٰ أن كلام الله مركَّب من مثل هذه الحروف التي ينطقون بها.

(٣) انظر إلىٰ مبدأ الكتاب وهو: سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [١-٢] والأعراف: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١-٢] ولقمان: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾[١-٢] والسجدة تِلْوُها ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [١-٢] و﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يسٓ: ١-٢] و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشورىٰ: ١-٣] فكل الحروف المقطعة سواء كانت حرفاً واحداً مثل ﴿نٓ﴾ أو ﴿صٓ﴾ أو كانت حرفين أو أكثر يأتي بعدها حديث عن القرآن وعظمته وإنزاله من الله عز وجل، ففيها إشارة إلىٰ الإعجاز في القرآن.

فصل

في إلزامهم القول بنفي الرسالة

إذا انتفت صفة الكلام[١]

واللهُ عــــزَّ وجـــلَّ مُــــوصٍ آمــــرٌ
نــــاهٍ مُنَــــبٍّ مُــــرسِــــلٌ لِبيــــانِ[٢]

ومخــــاطــــبٌ ومحــــاســــبٌ ومُنَبِّــــىءٌ
ومحــــدِّثٌ ومخبــــرٌ بــــالشــــانِ[٣]

---

(١) إذا انتفت صفة الكلام عن الله تعالىٰ لزم تشبيه الله تعالىٰ بالجمادات الناقصة التي لا تتكلم، وإذا انتفت صفة الكلام عن الله انتفت الرسالات، لأنه بماذا يُرسَل الرسل، إذا لم يكن لله كلامٌ يأتون به ويُبلغونه للناسِ، فبماذا يُرسَل الرسل إذاً؟! فالرسول إنَّما مهمته تبليغ كلام المُرسِل، فإذا لم يكن للمُرسِل كلامٌ فماذا يُبلِّغ الرسول؟!

(٢) يرسل الرسل بهذه الأشياء، يأمر وينهىٰ، ويُحلِّل ويُحرِّم، ويوصي بالطاعة، وينهىٰ عن المعصية، ويرسل الأنبياء والرسل لبيان شرائعه، هذا موضوع كلام الله عزّ وجلّ، فإذا لم يكن له كلامٌ فكيف يأمر، وكيف ينهىٰ، وكيف يُحلِّل، وكيف يُحرِّم، وكيف يُرسل الرسول؟!

(٣) أي: إذا انتفت صفة الكلام عن الله كيف يحاسب الخلق، وكيف يُكلِّم عباده؟ إذا لم يكن متكلِّماً تعذَّرت هذه الأشياء.

ومُكَلِّـمٌ مُتكلِّـمٌ بـلْ قـائلٌ
ومُحـذِّرٌ ومُبشِّـرٌ بِـأمـانِ
هـادٍ يقـولُ الحـقَّ يُـرشِـدُ خلقَـهُ
بكـلامِـهِ للحـقِّ والإيمـانِ(١)
فـإذا انتفَـتْ صفـةُ الكـلامِ فكـلُّ هـٰ
ـذا مُنْتَـفٍ مُتَحَقِّـقُ البُطـلانِ(٢)
وإذا انتفتْ صفةُ الكلامِ كذلكَ الْـ
إرسـالُ مَنفِـيٌّ بـلا فـرقـانِ(٣)
فـرسـالـةُ المبعـوثِ تبليـغٌ كـلا
مَ المُـرسِـلِ الـدَّاعـي بـلا نُقصـانِ(٤)

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] أخبر أنه يقول سبحانه وتعالىٰ، وأن قولَه هو الحقّ، وأنّه يهدي السبيل، كيف يهدي إذا لم يكن يتكلَّم؟!

(٢) كل هذه المعاني تنتفي إذا انتفىٰ كلام الله عزّ وجلّ، فلا أمر ولا نهي ولا تحليل ولا تحريم ولا إرسال ولا تبشير ولا إنذار، فإذا انتفت صفة الكلام انتفت الرسالات، وإذا انتفت الرسالات بطلت الشرائع.

(٣) فلا يُقال رسول إلا إذا كان مُرسَلاً، والإرسال لا يكون إلا بكلام من المُرسِل، يرسله به ليُبلِّغه إلىٰ المُرسَل إليهم، فعندنا مُرسِل ورسول ومرسَلٌ إليهم فلا بُدَّ لتُحقق هذه المعاني من كلام المُرسِل.

(٤) لأن الرسول من يحمل رسالة، والرسالة هي كلام المُرسِل.

وحقيقــةُ الإرســالِ نفــسُ خطــابِــهِ
للمــــرسليــــنَ وأنَّـــــهُ نـــوعـــانِ
نــــوعٌ بغيــرِ وَسَــاطَــةٍ ككــلامِــهِ
موسىٰ وجبريلَ القريبِ الداني(١)

---

(١) الله جلَّ وعلا يتكلَّم بالكلام الذي يسمعه مَن يرسله به، إمّا من وراء حجاب بدون واسطة، كما حصل لموسىٰ ويحصل لجبريل ولنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج، كلّهم كلّمهم من غير واسطة وهو من وراء حجاب، أو يُكلِّمهم بواسطة الرسول المَلَكي إلىٰ الرسول البشري، فالله تعالىٰ يُكلِّم الرسولَ البشري بواسطة الرسول الملكي بكلامه سبحانه وتعالىٰ بأنه ينزل به جبريل علىٰ محمد ﷺ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥] وقد يكون كلام الله وحياً بدون واسطة وهو ما يُسمَّىٰ بالإلقاء في الروع، أي: في روع النبي ﷺ بدون واسطة جبريل عليه السلام، ويجمع هذه المعاني قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٥١] فهذه ثلاثة أنواع.

النوع الأول: الوحي: وهو الإلهام والإلقاء في الروع بدون واسطة، أو الكلام بدون واسطة.

النوع الثاني: الكلام مباشرة من وراء حجاب.

النوع الثالث: الكلام بواسطة بين الرب وبين المُرسَل إليه.

وكل الأنواع الثلاثة فيها كلام الله سبحانه وتعالىٰ.

منـــه إليـــه مـــن وراءِ حِجـــابِـــهِ
إذْ لا تَــراهُ هــا هنــا العينــانِ[١]

والآخــرُ التّكْلِيــمُ منــه بــالــوَسـا
طَــةِ وهــو أيضــاً عنــدَه ضَــرْبــانِ

وحَــيٌ وإرســالٌ إليــه وذاك فــي الشّـ
ـــورَىٰ أتــىٰ فــي أحســنِ التِّبيــانِ[٢]

* * *

(١) لا ترىٰ العينان الربَّ ها هنا: يعني في الدنيا، وإنّما يُرىٰ في الآخرة، أمّا في القلب فيُرىٰ سبحانه وتعالىٰ ويُقال لها: الرؤية القلبية.

(٢) يشير إلىٰ ما جاء في آخر سورة الشورىٰ من قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

فصل

في إلزامهم التشبيه للرب بالجماد الناقص إذا انتفت صفة الكلام

وإذا انتفَتْ صفةُ الكلامِ فضدُّها
خَرَسٌ وذلكَ غايةُ النُّقصانِ[١]

فلئن زعمتُمْ أنَّ ذلك في الذي
هو قابلٌ مِن أُمَّةِ الحيوانِ

والربُّ ليس بقابلٍ صفةَ الكلا
م فنفيُها ما فيه مِن نُقصانِ[٢]

فيُقال سَلْبُ كلامِهِ وقَبُولُه
صِفةَ الكلامِ أتمُّ للنقصانِ[٣]

---

(١) الذي لا يتكلم أخرس، والخَرسُ صفة نقصٍ، والربُّ جلَّ وعلا منزَّهٌ عن صفات النقص.

(٢) يمكن أن يجيبوا فيقولوا: إن عدم الكلام إنّما يكون نقصاً في الذي يقبل الكلام، فالذي يقبل الكلام إذا لم يقدر على الكلام فهذه صفة نقص فيه؛ لأنه قابل للكلام وسلبُه منه صفة نقص، أمّا الربُّ جلَّ وعلا فغير قابلٍ للكلام، فلا يلزم من نفيه عنه النقص، فنقول لهم: أنتم وقعتم في خطأ أعظم من الأول، حيث شبهتموه بالجمادات، ولا شك أن التشبيه بالجمادات أقبح من التشبيه بالحيوان.

(٣) يعني إذا كان لا يقبل الكلام فهذا أشدّ نقصاً من التشبيه بالذي يقبل الكلام.

إذْ أخـرَسُ الإنسـانِ أكمـلُ حـالـةً
مـن ذا الجمـادِ بـأوضـحِ البُـرهـانِ[١]

فجحدْتَ أوصافَ الكمالِ مخافةَ التـْ
تَجْسِيـم والتشبيـه بـالإنسـانِ

ووقعـتَ فـي تشبيهـه بـالجـامـدا
تِ النـاقصـاتِ وذا مِـن الخِـذلانِ[٢]

اللهُ أكبـرُ هُتِّكَـتْ أستـارُكُـمْ
حتـىٰ غـدَوْتُـمْ ضُحْكَـةَ الصبيـانِ[٣]

---

(١) الإنسان الأخرس الذي يقبل الكلام أكمل من الحجر أو الجدار الذي لا يقبل الكلام.

(٢) الذي يقبل الكلام أكمل من الذي لا يقبل الكلام وأنتم شبهتم الله بالأنقص.

(٣) لأنهم قالوا في حق الله ما لا يليق به، وما حملهم علىٰ هذا إلا تضليل الناس وإفساد العقائد، وإلا لو أرادوا الحقّ لالتزموا بالكتاب والسنة، لأنهما كلام الله ووحيه، والله أعلم بنفسه سبحانه وتعالىٰ، ورسوله هو أعلم الخلق بربه عزّ وجلّ، فالواجب التزام الكتاب والسنة، وعدم اتباع التخرصات والأهواء والافتراضات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فإنّها متاهات ومهالك لا تنتهي إلىٰ غاية، ولذلك لا يزال المتخبطون يتخبطون إلىٰ يوم القيامة من ضلال إلىٰ ضلال، يكُفِّر بعضهم بعضاً، ويرد بعضهم علىٰ بعض، ويُبدِّع بعضهم بعضاً؛ لأنهم في ضلال وعَمَهٍ، انعزلوا عن الكتاب والسنة، وصار كلٌّ يذهب إلىٰ طريق ويقول: الحقُّ معي وليس معكم وهكذا، أمّا أهل الحق وأهل العلم الذين ثبتوا علىٰ الكتاب والسنة فلا تزال كلمتهم واحدة، وطريقهم واحد، واستراحوا من هذا العناء ومن هذا التخبُّط ومن هذا التناقض.

فصل

في إلزامهم بالقول بأنَّ كلام الخلق حقُّهُ وباطلُه عينُ كلام الله سبحانه[١]

أو ليسَ قد قامَ الدليلُ بأنَّ أفْـ
ـعالَ العبادِ خَليقَةُ الرحمٰنِ[٢]
مِنْ ألْفِ وجْهٍ أو قَريبِ الألْفِ يُحْـ
ـصِيها الذي يُعنىٰ بهذا الشَّانِ

---

(١) هذا إلزامٌ آخر بأن يُقال: إذا قُلتم إنّ كلامَه هو ما خلَقَه في المخلوقات فنُسب الكلام إليه لأنّه خَلَقَه فيها، فيقال: إذاً يلزم شرٌّ أشد وهو أن يكون كل كلام المخلوقات هو كلام الله، حتىٰ نباح الكلاب وكلام المجانين والفُسَّاق كلُّهُ كلامُ الله تعالىٰ الله عن ذلك، وقد التزموا بهذا، ولهذا يقول شاعرهم:

وكلُّ كلام في الوجود كلامُه   سواءٌ علينا نثرهُ ونظامُه

أي: كل كلام المخلوقات عين كلام الله لماذا؟ قال: لأن الله خالقُه، فما دام هو الذي خلق هذا الكلام فيها فكلامها هو كلام الله، هل أبعد من هذا الضلال شيء والعياذ بالله، حتىٰ السب والشتم والغيبة والنميمة والكلام المُحرَّم كله عندهم كلام الله، انظر كيف ينتهي الإلحاد بالإنسان إذا أفلت من الكتاب والسنة.

(٢) يعني أن الله خلق أفعال العباد كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

فيكـون كُـلُّ كـلامِ هـذا الخَلْـقِ عيـ
ـنَ كـلامِـه سبحـانَ ذي السلطـانِ[١]

إذْ كــانَ منْســوبــاً إليــهِ كــلامُــهُ
خلْقــاً كَبَيْـــتِ اللهِ ذي الأرْكـــانِ

هـــذا ولازمُ قَــولِكُــم قــد قــالَــه
ذو الاتحـــادِ مُصَــرِّحـــاً ببيـــانِ[٢]

حَـذَرَ التَّنـاقُـضِ إذْ تَنـاقَضْتُـمْ ولَـ
ـكِــنْ طـرْدُهُ فــي غـايـةِ الكُفْـرانِ

---

(١) يقول: يلزم علىٰ قولكم إن كلام الخلق ينسب إلىٰ الله، يُنسب إليه لأنّه خالقُه، كما يُنسب بيت الله والكعبة إلىٰ الله لأنّه ربُّها، نسبة تشريف، فنسبة الكلام إليه علىٰ قولكم نسبة تشريف لأنه خالقُه، فيلزم أن كل ما في المخلوقات من كلام أنّه كلام الله حقّه وباطله.

(٢) الاتحادية هم الذين يقولون: إن وجود الخلق هو عين وجود الخالق ليس هناك انقسام، ولذا يسمون أهل وحدة الوجود، فالجهمية اجتمعوا مع أهل وحدة الوجود في أنّ كلام الموجودات هو كلام الله؛ لأن الموجودات هي الله لا فرق بينها وبين الله، حتىٰ إنّ بعضهم يقول للكلب: هذا ربي، ويقولون: ما ضلَّ فرعون إلا لأنّه حصر الربوبية فيه وإلا لو عمَّمها في الخلق ما صار ضالاً، لكنه قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] مع أنه ليس هو كلّ الخلق، فهو ضلَّ لأنه حصر الربوبية فيه، وأنكر موسىٰ عليه هذا التخصيص.

فلئِـنْ زعمتُـمْ أنَّ تخْصيـصَ القُـرَا
نِ كبيْتِـهِ وكِـلاهُمـا خَلْقَـانِ

فيُقالُ ذا التَّخْصيصُ لا يَنْفي العُمُو
مَ كـربٌ ذي الأكْـوانِ

ويُقـال ربُّ العـرشِ أيضـاً هكـذا
تخصيصُـهُ لإضـافَـةِ القـرآنِ

لا يمنـعُ التعميـمَ فـي البـاقـي وذا
فـي غـايـةِ الإيضـاحِ والتِّبيـانِ[1]

* * *

(١) فكون الله رب العرش العظيم لا يمنع أنه ربُّ كل شيء، ولكنه خصَّص العرش لعظمة العرش، وإلا فهو ربُّ كلّ شيء، فقوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] لا يعني أن ربوبيته خاصة بالعرش، وإنما ذكر العرش لعظمته، وفي هذا مدحٌ للعرش وثناءٌ عليه وتمجيدٌ لخلقته، واختصاصه من بين سائر المخلوقات تشريف، وإلا فالرب سبحانه عامّةٌ ربوبيته لكل شيء، وعند الجهمية أن تخصيص القرآن بأنه كلام الله وإضافته إليه مثل تخصيص العرش بالربوبية ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ من باب التشريف.

فصل

في التفريق بين الخَلْقِ والأمْر[١]

ولقد أتىٰ الفرقانُ بين الخَلْقِ والْـ
أمْرِ الصريح وذاك في الفرقانِ

وكلاهُما عندَ المُنازعِ واحدٌ
والكلُّ خَلْقٌ ما هُنا شيئانِ[٢]

والعطفُ عندَهُمُ كعطفِ الفردِ مِنْ
نَوْعٍ عليه وذاك في القرآنِ[٣]

---

(١) هذا ممّا يُردُّ به علىٰ القائلين بأن القرآن مخلوق: بأنّ الله فرَّق بين الخَلْق والأمر في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤] فعطف الأمرَ علىٰ الخَلْق، والعطف يقتضي المغايرة، فدلَّ علىٰ أنّ الأمرَ غيرُ الخَلْق وأنتم تقولون: هما سواء، كلاهما مخلوق، فكون الله عطف الأمرَ علىٰ الخَلْق وغاير بينهما، دليلٌ علىٰ أنّ الأمرَ الذي هو كلام الله غيرُ الخلقِ؛ لأن الأمرَ من كلام الله، ولأن كلام الله يشتمل علىٰ أمر ونهي، وخبر وقصص.

(٢) هم يقولون: كلاهما شيء واحد، ومعنىٰ هذا: أنه لا فائدة من العطف.

(٣) يقولون: إنّه قد يُعطف الشيء علىٰ نفسه مثل: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥] فالأعمال داخلة، في حقيقة الإيمان وإنّما عطفها لأهمية الأعمال، فعطفُ الأمرِ علىٰ الخَلْق هو من باب عطف الخاصّ علىٰ العامّ، ونقول لهم: الأصل المغايرة، وأن المعطوفَ غير المعطوف عليه، هذا هو الأصل إلا أن تأتوا بدليل يدل علىٰ الخصوص والعموم وليس معكم دليل.

فيُقَــالُ هــذا ذو امتنــاعٍ ظــاهــرٍ
فــي آيــةِ التَّفــريــقِ ذُو تِبْيــانِ
فــاللهُ بعــدَ الخَلْــقِ أخبــرَ أنَّهــا
قــد سُخِّــرتْ بــالأمــرِ للجــريــانِ(١)
وأبــان عــن تسخيــرِهــا سُبحــانَــه
بــالأمــرِ بعــدَ الخَلْــقِ بــالتِّبيــانِ(٢)
والأمــرُ إمَّــا مصــدرٌ أو كــان مَفْـ
ـعُــولاً هُمــا فــي ذاكَ مُستــويــانِ

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق بين الخلق وبين التسخير بالأمر، فلم يقل: «مسخرات بخلقه» بل قال: «بأمره» فدلَّ علىٰ أنّ الأمر غير الخلق فيكون العطف هنا للمغايرة، فأول الآية يبطل قولكم إن العطف فيها للخصوص والعموم، بل هو للمغايرة لأن الله غاير بينهما في أول الآية، فكذلك في آخرها.

(٢) حيث قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] ثم قال: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وهذا واضح في أنّ الأمر غير الخلق، فيحمل آخر الآية علىٰ أولها، ويكون العطف للمغايرة، وليس هو للعموم والخصوص كما تقول الجهمية، فالعطف للمغايرة وهذا هو الأصل.

مـأمُـورُهُ هـو قـابِـلٌ لـلأمْـرِ كـالْـ
ـمَصْنُـوعِ قـابِـلُ صَنْعَـةِ الـرَّحمٰـنِ
فإذا انتفَىٰ الأمرُ انتفَىٰ المأمورُ كالْـ
ـمَخْلُـوقِ يُنْفـىٰ لانتفـا الحِـدْثَـانِ
وانْظُـرْ إلـىٰ نَظْـمِ السِّيـاقِ تَجِـدْ بـه
سِـرّاً عجيبـاً واضـحَ البُـرهـانِ
ذَكَـرَ الخصـوصَ وبعـدَه مُتقـدِّمـاً
والـوصـفَ والتعميمَ فـي ذا الثـانـي
فـأتـىٰ بنـوعَـيْ خَلْقِـهِ وبـأمـرِه
فعـلاً ووصفـاً مُـوجـزاً ببيـانِ
فتـدبَّـرِ القـرآنَ إن رُمْـتَ الهُـدَىٰ
فـالعلـمُ تحـتَ تَـدَبُّـرِ القـرآنِ[1]

* * *

(١) يقول: إنّه يجب علىٰ الإنسان أن يتدبر السياق، وإذا تدبَّر السياق عرف المقصود، والسياقات تختلف، كلُّ سياقٍ له مقصد وله معنىٰ، ولا يُحمل بعضُه علىٰ بعض إلا إذا كان لذلك سبب، وإلا فالأصل أنّ كل معنىً مستقلٌّ عن الآخر. وتدبر القرآن هو سبيل الهداية والعلم النافع.

فصل

في التفريق بين ما يُضاف إلىٰ الرب سبحانهُ وتعالىٰ من الأوصاف والأعيان[1]

والله أخبَرَ في الكتَابِ بأنَّهُ
مِنْهُ ومجْرورٌ بِهِ مِنْ نوْعانِ

عَينٌ ووصْفٌ قائِمٌ بالعيْنِ فالْ
أعيانُ خلْقُ الخَالِقِ الرَّحمٰنِ

والوصْفُ بالمجرورِ قامَ لأنَّهُ
أولىٰ بِهِ في عُرْفِ كُلِّ لسانِ

ونظيرُ ذا أيضاً سواءٌ ما يُضا
فُ إليهِ مِنْ صِفَةٍ ومِنْ أعيانِ

---

(١) ما يُضاف إلىٰ الله قسمان:

١ ـ إضافة أوصاف.

٢ ـ وإضافة أعيان، فالأوصاف لا تقوم بنفسها، وإنّما تقوم بالموصوف كالسمع والبصر والعلم والإرادة والكلام، هذه أشياء لا تقوم إلا بالموصوف لأنها معانٍ، والمعاني لا تقوم بنفسها فإضافتها إلىٰ الله إضافة صفة إلىٰ الموصوف، والأعيان قائمة بنفسها مثل: ناقة الله، بيت الله، عبد الله فإضافتها إلىٰ الله إضافة المخلوق إلىٰ خالقه.

فـإضـافـةُ الأوصـافِ ثـابتـةٌ لِمَـنْ
قـامَـتْ بـه كـإرادةِ الـرحمٰـن[١]
وإضـافـةُ الأعيـانِ ثـابِتَـةٌ لَـهُ
ملْكـاً وخَلْقـاً مـا هُمـا سِيَّـانِ
فـانظـرْ إلـىٰ بيـتِ الإلٰـه وعلمِـه
لمَّـا أُضيـفَ كيـف يفتـرقـانِ[٢]
وكـلامُـهُ كحيـاتِـهِ وكعلْمِـهِ
فـي ذي الإضـافـةِ إذْ هُمَـا وصْفَـانِ
لكـنَّ نـاقَتَـهُ وبَيْـتَ إلٰهنـا
فكَعَبْـدِهِ أيضـاً هُمـا ذاتَـانِ
فـانظرْ إلىٰ الجَهْمِيِّ لمّا فـاتَـهُ الْـ
ـحـقُّ المبيـنُ وواضـحُ البـرهـانِ
كـان الجميـعُ لـديـه بـابـاً واحـداً
والصبـحُ لاحَ لمـن لـه عَينـانِ[٣]

---

(١) الإرادة والعلم والقُدرة والسمع والبصر، هذه كلّها معانٍ وأوصافٌ لا تقوم بنفسها، إنّما تقوم بالموصوف كالألوان: الحمرة والصفرة والبياض والسواد هذه لا تقوم بنفسها وإنما تقوم بالموصوف.

(٢) العلم معنىٰ، فإضافته إليه إضافة صفة إلىٰ موصوف والبيت عين فإضافته إليه إضافة مخلوق إلىٰ خالقه.

(٣) لا يُفرِّق الجهميُّ بين الوصف والعين، يقول: كلُّه من إضافة المخلوق إلىٰ خالقه وهذا من أعظم الجهل، ولكنَّ الصبح واضح ولله الحمد وإن كان بعض الناس لا يرونه.

فصل

وأتىٰ ابنُ حزمٍ بعدَ ذاك فقال ما
للنـــاس قـــرآنٌ ولا إثْنـــانِ

بـــل أربـــعٌ كـــلٌّ يُسَمَّـــىٰ بـــالقـــرا
نِ وذاكَ قـــولٌ بيِّـــنُ البُطـــلانِ

هـــذا الـــذي يُتلـــىٰ وآخـــرُ ثـــابـــتٌ
في الرسمِ يُدعىٰ المصحفَ العثماني

والثـالـثُ المحفـوظُ بيـن صـدورِنـا
هـذي الثـلاثُ خليقـةُ الـرحمٰـنِ

والـرابـعُ المعنـىٰ القـديـمُ كعِلْمِـهِ
كـــلٌّ يُعبَّـــرُ عنـــه بـــالقـــرآنِ[1]

(١) لما ذكر الشيخ رحمه الله أقوال الناس في القرآن خصوصاً، وفي كلام الله عموماً أراد أن يستوفي كلَّ ما قيل في هذه المسألة من حقٍّ وباطل وخطأٍ وصواب؛ ليكون طالب العلم علىٰ معرفة بهذه الأمور؛ لأنّ من لا يعرف الشرَّ يوشك أن يقع فيه، فكما أنّ الإنسان يجب عليه أن يعرف الحق بتفاصيله وأدلّته، فكذلك يجب عليه أن يعرف ما يناقضه من باطل من أجل أن يَحذَرَه ويُحذِّر منه، لا سيّما إذا كان هذا الخطأ منسوباً إلىٰ من هو من أئمة العلم، وقال قولاً مخالفاً للصواب، فإن خطر هذا أشد، =

. . . .

= ولذلك ذكر قول ابن حزم وخطَّأه مع أن ابن حزم رحمه الله إمامٌ جليل لكنه أخطأ في مسائل ومنها هذه المسألة، وابن حزم هو: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي من أكابر علماء الأندلس وحُفاظ الحديث، وله مشاركة في علوم كثيرة كالفقه والحديث والتاريخ والأصول وغير ذلك، فمقامه في العلم لا يُنكر ولكن يؤخذ عليه أشياء، وكان شافعياً، ثمّ إنّه اعتنق المذهب الظاهري فصار ظاهرياً، والمذهب الظاهري هو الأخذ بظاهر النصوص دون نظر إلىٰ العلل والقياس والمقاصد، وهو مذهب داود بن علي الظاهري الإمام المعروف، وتبعه علىٰ هذا المذهب طوائف يُسمُّون بالظاهرية، لأنهم يأخذون بظواهر النصوص فقط، ولهم شطحات وقعوا فيها بسبب هذا المذهب، فاعتنقَه هذا الإمام ودافع عنه بما أوتي من قوة البيان والحجة والفصاحة، وله كتابٌ مشهور في الفقه والحديث اسمه «المُحلَّىٰ شرح المُجلَّىٰ»، وهو كتابٌ مشهور وفيه علمٌ غزير، ولكن فيه حدَّةٌ في نقد خصومه، وتهجُّمٌ علىٰ أصحاب المذاهب الأربعة شوَّهت كتابَه هذا، وإلا ففيه علمٌ غزير لو خلا من حدة اللهجة وشدة الطعن في خصومه، لو خلا من ذلك لكان كتابُه مفيداً جداً، هذا الإمام غلط في مسألة القرآن، وجمع بين مذهب الأشاعرة ومذاهب أخرىٰ خلط فيها، فيقول: القرآن ليس قرآناً واحداً، هناك أربعة قرآنات: بعضها مخلوق وبعضها غير مخلوق، فالقرآن يطلق علىٰ أشياء:

يطلق علىٰ ما في المصاحف من المكتوب، ويطلق علىٰ ما يُتلىٰ بالألسن.

وأظنُّــه قــد رامَ شيئــاً لــم يَجِــدْ
عنــه عبــارةَ نــاطــقٍ ببيــانِ
إنَّ المُعيَّــنَ ذو مــراتــبَ أربــعٍ
عُقِلَــتْ فــلا تَخفــىٰ علــىٰ إنســانِ
فــي العيــنِ ثــمَّ الــذِّهْــنِ ثــمَّ اللفــظِ
ثــمَّ الــرســمِ حيــن تخُطُّــه بِبَنــانِ

= ويُطلق علىٰ ما يحفظ في الصدور، والمخلوق منها هو المحفوظ في الصدور، والمكتوب في المصاحف والمتلو بالألسنة، كلٌّ هذه مخلوقة.

والمعنىٰ الرابع: وهو المعنىٰ القائم بالنفس الإلهية، الذي قالت به الأشاعرة والكُلّابية، المعنىٰ القائم بنفس الرب سبحانه وتعالىٰ، يقول: هذا غير مخلوق، وهذا كلامٌ باطل؛ لأن كل هذه الأشياء التي ذكرها كلُّها غير مخلوقة، لا القرآن المكتوب في المصاحف، ولا القرآن المتلو بالألسن، ولا القرآن المحفوظ في الصدور، كلّ هذه غير مخلوقة، كيفما عُبِّر عنها تُسمَّىٰ كلام الله سبحانه وتعالىٰ، فكلام الله مكتوبٌ في المصاحف، وكلام الله محفوظٌ في الصدور، وكلام الله متلوٌّ بالألسنة، فهو غير مخلوق بأيِّ اعتبار، إنّما المخلوق أدوات الخَلْق، كأصواتهم في التلاوة، فالأصوات مخلوقة لكن المتلو غير مخلوق، والكتابة التي هي عبارة عن رسم الحروف هي عمل البشر، فالبشر هو الذي يُخط ويكتب ولكن المخطوط والمكتوب غير مخلوق؛ لأنه كلام الله سبحانه وتعالىٰ.

وعلىٰ الجميعِ الاسمُ يُطلَقُ لكنِ الْـ
أوْلَـىٰ بـه المـوجـودُ فـي الأعيـانِ[(١)]

بخـلافِ قـولِ ابـنِ الخطيـبِ فـإنَّـه
قـد قـال إنَّ الـوضـعَ لـلأذهـانِ[(٢)]

فـالشـيءُ شـيءٌ واحـدٌ لا أربـعٌ
فَـدَهَـىٰ ابـنَ حـزمٍ قِلَّـةُ الفـرقـانِ[(٣)]

---

(١) هذا المعنىٰ الذي ذكرهُ ابن حزم من القرآنات الأربعة بزعمه لا يختص بالقرآن وإنّما يعمّ كلَّ الموجود، فكلّ موجود له اعتباراتٌ أربعة، مثلاً زيد من الناس يكون له وجودٌ في الخارج وهو ذاتُه وجسمُه القائم المشاهد، وله وجودٌ في الذهن، تتصورهُ أنه شخص، وأنه كذا وكذا في ذهنك.

وله وجودٌ في اللفظ، تتلفظ به وتقول: زيد، وله وجودٌ في الكتابة، حين تكتب اسم زيد.

هذه وجودات أربعة، إنّما يُطلق منها حقيقة علىٰ الموجود في الأعيان، أما ما كان موجوداً في الذهن أو في الكتابة أو في اللفظ فهذا ليس وجودٌ حقيقيّ وإنّما هي أشياء يعبّر عنها الشخص، فابن حزم نقل هذا الذي علىٰ الأعيان وجعله علىٰ القرآن وهذا غير صحيح.

(٢) ابن الخطيب هو فخر الدين الرازي محمد بن عمر يقول الموجود: هو ما كان في الأذهان، وهذا غلطٌ ظاهر.

(٣) الذي سبّب لابن حزم هذا الغلط أنّه ما فهم هذه المسألة، ولذلك غلط فيها، ولذلك يجب علىٰ الإنسان ألا يتسرّع في شيءٍ لا يعرفه حتىٰ يُتقنه =

والله أخبـــرَ أنَّـــه سبحـــانَـــه
متكلِّـــمٌ بـــالـــوحـــي والفـــرقـــانِ[١]
وكـــذاكَ أخبـــرنـــا بـــأن كتـــابَـــهُ
بصُـــدورِ أهـــلِ العلـــمِ والإيمـــانِ[٢]
وكـــذاكَ أخبـــرَ أنـــه المكتـــوبُ فـــي
صُحُـــفٍ مطهَّـــرةٍ مـــن الـــرحمٰـــنِ[٣]

= وإلا فإنّه يقع في الغلط، فهذا إمامٌ جليل ومع ذلك وقع في هذا الخطأ؛ لأنه لم يتصوّر هذه المسألة، وتكلّم فيها بدون تصورٍ لها فكيف بغيره. فقوله: «دهىٰ ابنَ حزمٍ قلّةُ العرفان» أي: قلة العرفان في هذه المسألة.

(١) هذا ردٌّ علىٰ ابن حزم في مقالته التي سبق ذكرها.

(٢) أخبر الله أنّه تكلّم بالقرآن فقال: «كلام الله» ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥] فسمّاه كلامه، وأخبرنا أن كلامَه محفوظٌ في الصدور ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] يعني القرآن، فدلَّ علىٰ أنّ المحفوظَ في الصدور كلامُ الله عزّ وجلّ، وليس كما يقول ابن حزم: إنّه مخلوق.

(٣) وكذلك أخبر الربُّ أن كلامَه هو المكتوب في المصاحف، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١١-١٦] فأخبر أن كلامَه مكتوبٌ في هذه الصُّحف التي مع الكرام البررة من خلقه، وأن هذا الكلام هو كلامه.

وكــذلــك أخبــرَ أنَّــه المتلُــوُّ والْـ

ـمَقــروءُ عنــدَ تــلاوةِ الإنســانِ(١)

والكـــلُّ شـــيءٌ واحـــدٌ لا أنَّـــهُ

هـــو أربـــعٌ وثـــلاثـــةٌ واثنـــانِ(٢)

وتـــلاوةُ القـــرآنِ أفعـــالٌ لنـــا

وكـذا الكتـابـةُ فهـي خـطُّ بنـانِ(٣)

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢-٣] يتلو ما في هذه الصحف، فدلّ علىٰ أن المكتوب في هذه الصحف الذي يتلوه الرسول هو كلامُ الله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) الكلُّ شيءٌ واحد هو القرآن سواءٌ كُتِب أو حُفِظ أو قرىء هو كلامُ الله جلّ وعلا.

(٣) انتهىٰ من الرد علىٰ ابن حزم وانتقل إلىٰ مسألةٍ ثانية جرىٰ فيها النزاع بين أهل السنة، كالإمام البخاري ومحمد بن يحيىٰ الذهلي والإمام أحمد وغيرهم، وهي هل يجوز أن يُقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو لا يجوز؟ هذه مسألة حصل فيها نزاع، وحصل بسببها هجر بين الإمام البخاري وشيخه محمد بن يحيىٰ الذُّهلي رحمهما الله، فالإمام الذهلي يرىٰ أنه لا يُقال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، بل يتوقف في هذا الأمر، والإمام البخاري وابن القيم يرون التفصيل.

فاللفظ يُراد به المصدر، أي: التلفظ، وهذا مخلوق؛ لأنه عبارة عن أداء وصوت، والصوت مخلوق، ولذلك يختلف القرّاء بعضهم صوته حسن، وبعضهم صوته غير حسن، بعضهم يلحن في القرآن وبعضهم =

لكنَّمـــا المتلُـــوُّ والمكتـــوبُ والْـ
ـمَحْفُـوظُ قـولُ الـواحـدِ الـرحمٰـنِ
والعبـــدُ يقـــرؤُهُ بصـــوتٍ طَيِّـــبٍ
وبِضِـــدِّهِ فهُمَـــا لـــه صـــوتـــانِ
وكـــذاك يكتبُـــه بخـــطٍّ جيّـــدٍ
وبضـــدِّهِ فهُمـــا لـــهُ خَطّـــانِ

= يقرأ القرآن جيداً، لو كان اللفظ الذي هو التلفظ هو القرآن لم يختلف هذا الاختلاف من حسنٍ إلىٰ ما دونه، وإلىٰ خطأ وصوابٍ في اللفظ، لأن كلامَ الله شيءٌ واحد، فالتفاوت هذا يدل علىٰ أن الصوت مخلوق، وعلىٰ أن التلفظَ فعلُ الإنسان، وأنّه مخلوق، أمّا الملفوظ به ـ اسم المفعول ـ وهو القرآن فهو غير مخلوق.

فلا بد أن نفرّق بين اللفظ والملفوظ، اللفظ الذي هو المصدر بمعنىٰ التلفُّظ هذا مخلوق، وأمّا الملفوظ به فهذا غير مخلوق، فلا يجوز أن تقول: لفظي بالقرآن مخلوق مطلقاً، ولا يجوز أن تقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق مطلقاً، بل لا بدَّ من التفصيل. تقول: إن أريد باللفظ الملفوظ فهو غير مخلوق، وإن أُريد باللفظ التلفظ فهذا مخلوق.

كذلك الكتابة هل كتابة القرآن مخلوقة أو غير مخلوقة؟ تقول: نفس الكلام الذي في اللفظ، إن كان المراد بالكتابة معنىٰ الكتب والخط فهذا مخلوق؛ لأنه عمل الإنسان، لذلك يختلف من خطٍّ جيد إلىٰ خطٍّ غير جيد، فهو عمل الإنسان، أمّا المخطوط والمكتوب فهذا كلام الله غير مخلوق.

أصـــواتُنــا ومِــدادُنـــا وأداؤنـــا
والـــرَّقُّ ثـــمَّ كتـــابَـــةُ القـــرآنِ(١)
ولقـد أتـىٰ فـي نظمِـه مَـن قـال قـوْ
لَ الحـقِّ والإنصـافِ غيـرَ جبـانِ
إنَّ الذي هُو في المصاحفِ مُثبتٌ
بـــأنـــامـــلِ الأشيـــاخِ والشُّبّـــانِ
هـــو قـــولُ ربِّـــي آيُـــهُ وحُـــروفُـــه
ومِـــدادُنـــا والـــرَّقُّ مخلـــوقـــانِ(٢)
فشفَـــىٰ وفَـــرَّقَ بيـــن مَتْلُـــوٍّ وَمَصْـ
ـنـــوعٍ وذاكَ حقيقـــةُ العِـــرفـــانِ(٣)

---

(١) هذه كلها مخلوقة، الصوت مخلوق، وورق المصحف مخلوق، والمداد الذي يُكتب به القرآن مخلوق، وعمل الإنسان وهو الرسم مخلوق، لكن المكتوبَ كلامُ الربِّ سبحانه وتعالىٰ.

(٢) يعني الإمام القحطاني، وله قصيدة نونية مشهورة، وذكر منها ابن القيم رحمه الله هذين البيتين، وأثنىٰ علىٰ القحطاني لأنه أتىٰ بالتفصيل الذي هو مذهب الإمام أحمد والبخاري وأئمة الحديث، ففصّل بين الورق وبين المكتوب في الورق، فالمكتوب في الورق هو كلام الرحمٰن، والكتابة والورق مخلوقان.

(٣) أي: يشفىٰ الصدور بهذا التفصيل، وهذا دليل علىٰ معرفته؛ لأن التفصيل لا بد منه، أمّا الإجمال فلا يحصل به المقصود ولا يتبين به الحق.

الكـلُّ مخلـوقٌ وليـس كـلامُـه الْـ
ـمَتلُـوُّ مَخلـوقـاً هُنـا شيئـانِ[١]

فعليـكَ بـالتفصيـلِ والتمييـزِ فـالْـ
إطــلاقُ والإجمــالُ دونَ بيــانِ[٢]

قـد أفسـدا هـذا الـوجـودَ وخَبَّطـا الـ
أذهــانَ والآراءَ كــلَّ زمــانِ[٣]

وتــلاوةُ القــرآنِ فــي تعـريفهــا
بــالــلام قـد يُعنَـىٰ بهـا شيئـانِ

يُعنَـىٰ بهـا المتلُـوُّ فهـو كـلامُـه
هُـوَ غيـرُ مخلـوقٍ كـذي الأكـوانِ

---

(١) هناك فرق بين المتلوِّ والتلاوة والمكتوب والكتابة كما سبق بيانه.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ الذين أجملوا في اللفظ بالقرآن وقالوا: لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق، فالإجمال لا يحصل به المقصود ولا يتبين به الحق، وهذا البيت قاعدة ينبغي أن يتخذها طالب العلم في بحثه.

(٣) فلا بد من التفصيل، فالذي لا يُحسن أن يُفصِّل فإنه يسكت؛ لأنه لا يحصل بكلامه فائدة، فكل ما يحصل من الأخطاء سببهُ عدم التفصيل بين الحق والباطل، فلا بد من التفصيل والتميز وعدم الخلط، فقد يكون في كلام الخصم شيءٌ من الحق وفيه شيء باطل، فلا تجعله كلَّه باطلاً، ولا تجعله كلَّه حقاً، بل ميّز بين حقِّه وباطله، فلا تردَّهُ كلَّه ولا تقبله كلَّه، بل ميّز بين ما فيه حقٌّ وصواب وما فيه من باطلٍ وخطأ، وإذا كنت لا تُحسن التفصيل فلا تدخل هذا الميدان.

ويــرادُ أفعــالُ العبــادِ كصــوتِهِــمْ
وأدَائِهِــمْ وكــلاهمــا خَلْقــانِ[١]
هــذا الــذي نصَّــتْ عليــهِ أئمَّــةُ الْـ
إسْــلامِ أهْــلُ العلْــمِ والعــرفــانِ
وهــو الــذي قصــد البُخــاريُّ الــرِّضــا
لكــن تقــاصــرَ قــاصِــرُ الأذهــان[٢]
عــن فهمِــه كتقــاصُــرِ الأفهــامِ عَــنْ
قــولِ الإمــامِ الأعظــمِ الشيبــانــي
في اللفظ لمّا أنْ نفىٰ الضِّدَّينِ عنـ
ـــهُ واهتــدىٰ للنفــي ذو عــرفــانِ[٣]

---

(١) إذا قيل: هل التلاوة للقرآن مخلوقة أو غير مخلوقة فلا بد أن تفصل بين المتلوِّ والتلاوة، أمّا المتلو فهو كلام الله سبحانه وتعالىٰ، وأمّا التلاوة بالصوت والأداء فهو فعل البشر، وهو مخلوق، فلا بد من التفصيل فتقول للسائل: ما مرادك بالتلاوة، هل مرادك المتلوّ فهذا غير مخلوق، أو مُرادك اللفظ والصوت والأداء فهذا مخلوق.

(٢) الذي قصد الإمام البخاري في قوله: إنّ التلاوة أو القراءة أو الكتابة فيها تفصيل، شيء مخلوق وشيء غير مخلوق، فأنكروا عليه بدون تفهم لكلامه ومعرفة مقصوده، ورموه بالقول بخلق القرآن ـ والعياذ بالله ـ وهذا اتهام شنيع لإمام جليل.

(٣) قصروا في فهم كلام الإمام البخاري كما قصروا في فهم كلام الإمام أحمد في مسألة اللفظ بالقرآن حيث نفىٰ الضدين عنه، فلم يقل: إنه =

فـاللَّفـظُ يَصْلُـحُ مَصْـدراً هُـوَ فِعْلُنـا
كتلفُّـــظٍ بتـــلاوةِ القُـــرآنِ
وكـذاكَ يَصْلُـحُ نَفْـسَ ملْفـوظٍ بِـهِ
وهْـــوَ القُـــرَانُ فــذانِ مُحْتَمــلاَنِ
فلــذاك أنكـرَ أحمـدُ الإطـلاقَ فـي
نفـــيٍ وإثبـــاتٍ بـــلا فُـــرقـــانِ[١]

* * *

= مخلوق ولا غير مخلوق مطلقاً، بل فصّل فقال: اللفظ الذي هو بمعنىٰ التلفظ مخلوق، واللفظ الذي هو بمعنىٰ الملفوظ غير مخلوق. وعرف ذلك من كلامه أهل التحقيق من العلماء.

(١) أنكر الإمام أحمد أن يُقال: لفظي بالقرآن مخلوق مطلقاً، وأنكر أن يقال: لفظي بالقرآن غير مخلوق مطلقاً، لأنه لا بُدَّ من التفصيل بين اللفظ والملفوظ.

فصل

في الفلاسفة والقرامطة في كلام الربّ جلَّ جلاله[(١)]

(١) لما انتهىٰ من بيان أقوال المتكلمين وقول أهل السنة في كلام الله والتفصيل في هذه المسألة، أراد أن يُتمم البحث في ذكر كلام غير الإسلاميين (في كلام الرب عموماً) من الفلاسفة والقرامطة والاتحادية، وهذه طوائف كفرية. والفلاسفة: جمع فيلسوف، وفيلسوف كلمة يونانية يقولون: إنها مركبة من كلمتين، فيلا وسوفا، فيلا: معناها المحب، وسوفا: معناها الحكمة، فالفيلسوف معناه عندهم: مُحب الحكمة.

واليونان دولة قديمة نشأ فيها فلاسفة كأرسطو وأفلاطون، وجاء بعدهم فلاسفة تتلمذوا عليهم وفلاسفة يُنسبون إلىٰ الإسلام كالفارابي وابن سينا، ونصير الكفر الطوسي. هؤلاء فلاسفة ينسبون إلىٰ الإسلام وقد تلقوا مذهبَهم عن فلاسفة اليونان.

والسبب في سريان فلسفة اليونان إلىٰ المسلمين واعتناق هؤلاء لها: هو المأمون العباسي ـ غفر الله لنا وله ـ فإنه هو الذي نقل كتب الروم وعرّبها، وجعلها بأيدي المسلمين بما فيها من شر، وبما فيها من فتنة، وما فيها من ضلال، فأثّرت علىٰ كثير من المسلمين فيتحمل هو وزرها وإثمها. والسبب في هذا: أنه استوزر أُناساً خونة من المعتزلة وعلماء الكلام فأثروا عليه في نقل هذه العلوم، فلمّا عُرِّبت هذه الكتب دخل الشر علىٰ المسلمين.

ولهذا يقول الإمام أحمد: لا أظن أن الله يغفل عن المأمون فقد أدخل في الإسلام ما ليس منه. وعلىٰ كل حال هذا هو السبب الذي وصّل هذا الضلال وهذا الكفر وهذا الإلحاد إلىٰ من تأثّر به من المسلمين، =

وأتىٰ ابنُ سِينا القرمطيُّ مُصانعاً
للمسلمينَ بإفكٍ ذي بُهتانِ(١)
فرآهُ فَيضاً فاضَ من عقلٍ هو الْـ
ـفَعَّالُ عِلَّةُ هذه الأكوانِ(٢)

= وحمىٰ الله الأئمة وحمىٰ الله علماء المسلمين المتمسكين بالكتاب والسنة، لكن حصل عليهم محنة بسبب ذلك، كما حصل للإمام أحمد وغيره من الأئمة بسبب تعريب هذه الكتب وإدخالها إلىٰ بلاد الإسلام.

(١) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، ويلقب بالرئيس؛ لأنه متقدّمٌ في الفلسفة والطبّ، وهو من الشيعة الباطنية. اعتنق هذا المذهب الإلحادي، وأراد أن يجمع بين الفلسفة ودين الإسلام، فألبس الفلسفة ثوباً دينياً، وزعم أنها لا تتعارض مع نصوص الإسلام، فجمع بين التلبيس والتضليل لخداع المسلمين. إذا رأىٰ النصوص تُخالف ما يريد أوّل النصوصَ وحرّفها حتىٰ تتوافق مع ما يريده.

(٢) هذا الملحد يرىٰ أنه ليس لله كلام وإنما هو: فيضٌ فاض من العقل، الفعّال الذي هو أحد الأفلاك، الذي تنشأ عنه الحوادث، فاض منه وصادف أن محمداً له فطرة صافية وذكاء، فهذا الفيض أثّر في نفسه وتصوره كأن أُناساً يُخاطبونه ويُكلّمونه، يظنهم ملائكة، فتكلّم بهذا الذي يسمىٰ القرآن تخيلاً منه، وأراد بذلك التأثير علىٰ العوام، أمّا العقلاء فإنّهم لا يتأثرون بهذا، ولذلك يرىٰ بزعمه أن القرآن ليس فيه براهين، وإنّما هو خطب ومواعظ، ليس فيه براهين عقلية، هذا رأي ابن سينا في القرآن، أنه صاغه محمد بناء علىٰ ما تخيّله في ذهنه، يريد بذلك إصلاح العوام الذين لا يحتاجون إلىٰ براهين، بل يكفيهم الوعظ والخطابة والتأثير.

حتـــىٰ تلقَّـــاهُ ذكـــيٌ فـــاضـــلٌ
حَسَـــنُ التخيُّـــلِ جيّـــدُ التِّبيـــانِ[١]
فـــأتـــىٰ بـــه للعـــالميـــنَ خطـــابَـــةً
ومـواعظـاً عَـرِيـت عـن البُـرهـانِ[٢]
مـا صـرَّحَـتْ أخبـارُه بـالحـقِّ بـل
رمـــزَتْ إليـــه إشـــارةً لِمَعـــانِ[٣]
وخطابُ هذا الخَلْقِ والجمهورِ بالـ
ـحَـقِّ الصَّـريـح فغيـرُ ذي إمكـانِ
لا يقبلـــون حقـــائـــقَ المعقـــولِ إلـ
ـلا فـــي مثـــالِ الحِـــسِّ والأعيـــانِ[٤]

---

(١) يقول: ليس محمد نبياً إنما هو إنسان ذكي وصافي الذهن، فخيّل للناس هذه الأمورَ تخيلاً، وإلا فإنه لم يأته مَلَك ولا نزل عليه قرآن، إنّما هو ذكي فخيّل للناس هذه التخيُّلات، وقال: إنّ الرب أرسلني، وأنزل عليّ القرآن، وأنّه كلام الله. . . وهو شيءٌ حدث في نفسه وتخيُّله، وأصدره للناس كلاماً علىٰ حسب عقول العوام. هذا اعتقاد ابن سينا في القرآن والنبيِّ ـ والعياذ بالله ـ.

(٢) يقول: إنّ القرآن مجرد خطابة ومواعظ، ما فيه براهين عقلية تُقنع العقول.

(٣) يقول: إن محمداً يعلم أنّ هذا القرآن ليس بحقيقة، ولكنه يريد أن يُخيِّل للناس لأجل مصلحتهم فقط.

(٤) يقول: إن محمداً لو خاطب الناس بالذي هو يعرف ما قبلوا منه، لكنه خاطبهم بالذي يصلح لهم فقط.

ومشـــارِبُ العقـــلاءِ لا يـــرِدُونَهـــا
إلاَّ إذا وُضِعَـــتْ لهـــم بـــأوانـــي[(١)]

مِنْ جِنْسِ ما أَلِفَتْ طِباعُهُمُ مِنَ الْـ
ـمَحْسُوسِ في ذا العالَمِ الجُثْماني

فـــأتـــوا بتشبيـــهٍ وتمثيـــلٍ وتَجْـ
ـسِيـــمٍ وتَخْيِيـــلٍ إلـــىٰ الأذهـــان[(٢)]

ولـــذاك يحـــرُمُ عنـــدَهـــم تـــأويلُـــه
لكنَّـــه حِـــلٌّ لـــذي العـــرفـــانِ[(٣)]

فـــإذا تـــأوَّلْنـــاهُ كـــانَ جِنَـــايَـــةً
منَّـــا وخَـــرْقَ سيـــاجِ ذا البُستَـــانِ

لكـــنْ حقيقـــةُ قـــولِهـــمْ أن قـــد أتَـــوْا
بـــالكِـــذْبِ عنـــدَ مصـــالـــحِ الإنســـانِ[(٤)]

---

(١) يقول: إن عامة الناس لا يصلون إلىٰ معارف العقلاء، فلا بد أن يخاطبوا بما يعرفونه ولو كان مخالفاً للحقيقة، وهذا الذي فعله محمد معهم.

(٢) كل الرسل عند الفلاسفة، مُخيِّلةٌ ومشبِّهةٌ، ما أتوا بالحقائق التي يعرفها العقلاء.

(٣) يقولون: العوام لا يصلح أن يفسر لهم القرآن علىٰ حقيقته بل يفسر لهم علىٰ ظاهره، أمرٌ ونهيٌ ووعدٌ ووعيدٌ وأخبار، لكن لو فُسِّر القرآنُ التفسيرَ الصحيح علىٰ منهج الفلاسفة ما قبلوه، لأنه لا تتحمله أذهانهم.

(٤) حقيقة قول ابن سينا وأمثاله أن الرسل جاؤوا بالكذب من أجل مصلحة الناس.

والفيلسوفُ وذا الرسولُ لديهِمُ
مُتفاوتانِ وما هُما عِدْلان[١]

أمَّا الرسولُ ففيلسوفُ عوامِّهِمْ
والفيلسوفُ نبيُّ ذِي البرهانِ[٢]

والحقُّ عندهُمُ ففيما قالَه
أتباعُ صاحبِ منطقِ اليونانِ[٣]

ومضىٰ علىٰ هذي المقالةِ أُمةٌ
خَلْفَ ابنِ سينا فاغتذَوْا بِلِبانِ[٤]

منهم نصيرُ الكفرِ في أصحابِه
الناصرين لملّةِ الشيطانِ[٥]

فاسألْ بهِمْ ذا خبرةٍ تلقاهُمُ
أعداءَ كلِّ مُوَحِّدٍ رباني

---

(١) الفيلسوف عندهم أفضل من الرسول، لأنه لا يتكلّم إلا عن برهان وعن حقيقة، أمّا الرسول فإنه يُخيِّل ويكذب من أجل المصلحة.

(٢) يقولون: الفيلسوف نبي العقلاء، وأمّا الرسول فهو نبي العوام.

(٣) الحق عندهم ما جاء به منطق اليونان والفلسفة، وأمّا ما جاءت به الرسل فإنّه مجرد تخييل فقط لا حقيقة له.

(٤) تأثر بابن سينا طوائف أخذوا مذهبه، كالفارابي والطوسي وغيرهم.

(٥) نصير الكفر: هو نصير الدين الطوسي شيعي باطني جرّ التتار علىٰ بلاد المسلمين، وهو متأثر بفلسفة ابن سينا ومعه سائر الشيعة الباطنية.

واســأَلْ بِهِــمْ ذا خبــرةٍ تلقــاهُــمُ
أعــداءَ رُسْــلِ اللهِ والقــرآنِ(١)

صــوفِيُّهُــمْ عَبْدُ الـوجـودِ المطلـقِ الْـ
ـمَعْدومِ عندَ العقلِ في الأعيانِ(٢)

أو مُلحِـدٌ بـالإتحـادِ يَـديـنُ لا التَّـ
ـوحيــدِ مُنسلِــخٌ مــن الأديــانِ

معبــودُهُ مــوطــوؤُهُ فيــه يَــرىٰ
وَصْفَ الجمالِ ومظهرَ الإحسانِ(٣)

---

(١) هذه حقيقة الباطنية: أنهم أعداء الرسل، وأعداء المسلمين، وأعداء الموحِّدين، وإن كانوا يتسمون بالإسلام.

(٢) لما ذكر أقوال هذه الفرق الفلسفية انتقل إلىٰ قول الصوفية الذين انحدروا من مذهب الفلاسفة وهم قسمان:

صوفية معطلة علىٰ مذهب الجهمية، ينفون الأسماء والصفات، ويعبدون رباً ليس له أسماء ولا صفات فهو رب معدوم؛ لأن الذي ليس له أسماء ولا صفات معدوم.

وصوفية اتحادية ويأتي ذكرها.

(٣) هذا هو القسم الثاني من الصوفية الملاحدة وهم أهل وحدة الوجود أتباع ابن عربي الطائي الذين يقولون: إن الله هو الكون كله، ليس هناك خالق ومخلوق ولا تعدد ولا انقسام، ولا ينزه الله عن الأشياء المستقذرة؛ لأنها عين الله عنده، فالله عندهم هو الموطوء بالجماع وهو المأكول وهو الكلب والخنزير وهو كل شيء ـ تعالىٰ الله عما يقولون علوّاً كبيراً ـ، وهذا انسلاخ من الأديان كلها حيث لا يقول بهذا القول القبيح غيرهم.

اللهُ أكبرُ كمْ علىٰ ذا المذهب الـ
ـملعونِ بينَ الناسِ من شِيخانِ
يبغُون منهمْ دعوةً ويُقَبِّلو
نَ أياديـاً منهُمْ رَجَا الغُفرانِ
ولـو أنَّهم عرفوا حقيقةَ أمرِهِمْ
رجموهُمُ لا شكَّ بالصَّوانِ[1]
فابذُرْ لهم إن كنتَ تبغي كشفَهُمْ
وافرِشْ لهم كفّاً من الأتبانِ
واظهَرْ بمظهرِ قابلٍ منهُمْ ولا
تظهَرْ بمظهرِ صاحبِ النُّكرانِ
وانظرْ إلىٰ أنهارِ كفرٍ فُجِّرتْ
وتَهِمُّ لولا السيفُ بالجريانِ[2]

---

(١) أي كم علىٰ مذهب أهل وحدة الوجود من مشائخ الضلال الذين يعظمهم الناس لعدم معرفتهم بحقيقة مذهبهم؛ لأنهم يظهرون التقىٰ والتقشف والزهد، ويتظاهرون بتعظيم الرسول والقرآن والسُّنة، فلهذا التبس أمرهم علىٰ الناس فصاروا يعظمونهم ويطلبون منهم الدعاء، ويقبلون أيديهم تعظيماً لهم، ولو علموا حقيقة قولهم في الله، وأنه هو الكون كله بما فيه من كل قبيح لرجموهم بالحجارة.

(٢) يعني إذا كنت تريد معرفة مذهبهم فأظهر لهم الموافقة والتعظيم لهم، ولا تنكر عليهم ليبوحوا لك بما عندهم إذا وثقوا منك فإنهم أهل تقية ونفاق.

فصل

في مقالات طوائف الاتحادية

في كلام الرب جل جلاله

وأتَـتْ طـوائـفُ الاتحـادِ بِمِلَّـةٍ
طَمَّتْ علىٰ ما قال كلُّ لسانِ[١]

قـالـوا كـلامُ الله كـلُّ كـلامِ هـ
ـذا الخلقِ من جنٍّ ومن إنسانِ

نظمـاً ونثـراً زُوْرَهُ وصحيحَـهُ
صدقاً وكذباً واضحَ البُطْلانِ[٢]

فالسبُّ والشتمُ القبيحُ وقذفُهُمْ
للمحصنـاتِ وكـلُّ نـوعِ أغـانِ

والنَّوْحُ والتعزيمُ والسحرُ المبيـ
ـنُ وسائرُ البُهتانِ والهَذيانِ

---

(١) أي أن اعتقادهم في كلام الله هو أقبح أقوال العالم، والاتحادية هم القائلون بوحدة الوجود.

(٢) قالوا كل الكلام كلام الله الكذب والصدق والشعر والنثر والزور والبهتان والسب والشتم كلُّه كلام الله عندهم؛ لأنه ليس هناك انقسام بين الخالق والمخلوق بل كل الوجود هو الله عندهم.

هــو عيــنُ قــولِ اللهِ جــلَّ جــلالُــه
وكــلامُــه حقــاً بــلا نُكــرانِ[١]

هــذا الــذي أدَّىٰ إليــه أصلُهُــمْ
وعليــه قــامَ مُكَسَّــحُ البُنيــانِ[٢]

إذ أصلُهُــمْ أنَّ الإلٰــهَ حقيقــةً
عيــنُ الــوجــودِ وعيــنُ ذي الأكــوانِ

فكــلامُهــا وصفــاتُهــا هــو قــولُــه
وصفــاتُــه مــا هــا هنــا قــولانِ[٣]

وكذاك قالوا إنَّه الموصوفُ بالضْـ
ـضِدَّيْنِ مــن قُبْــحٍ ومــن إحســانِ[٤]

---

(١) كل هذه الأنواع القبيحة من الكلام هي كلام الله عندهم تعالىٰ الله عمّا يقولون.

(٢) هذا الذي أدّىٰ إليه أصل وحدة الوجود حيث قالوا: إن الكونَ كلّه هو الله، ليس فيه انقسام بين خالق ومخلوق، فكل ما في الكون من كلام فهو كلام الله.

(٣) إذا كان الوجود كلُّه هو الله عندهم فكل كلام الكائنات هو كلام الله؛ لأنها هي الله عندهم.

(٤) ويترتب علىٰ هذا المذهب الخبيث أيضاً: أنّ كلّ الكائنات هي الله حسنها وقبيحها، الكلب والخنزير كلّها عندهم هي الله، تعالىٰ الله عمّا يقولون.

وكـذاك قـد وصفـوهُ أيضـاً بـالكمـا
لِ وضِـدِّهِ مـن سـائـرِ النُّقصـانِ[1]

هــذي مقـالاتُ الطـوائـفِ كُلِّهـا
حُملَـتْ إليـكَ رخيصـةَ الأثمـانِ[2]

وأظـنُّ لـو فتَّشـتَ كُتْـبَ النـاسِ مـا
ألفيتَهــا أبــداً بــذا التِّبيــانِ[3]

زُفَّـتْ إليـكَ فـإن يكـنْ لـك نـاظـرٌ
أبصـرتَ ذاتَ الحُسْـنِ والإحسـانِ[4]

---

(١) وبناء على مذهبهم وصفوه بالضدين، بالكمالات وبالنقائص؛ لأنّ هذا كلّه متفرِّع عن القول بوحدة الوجود، فإذا كان الوجود فيه كمالات وفيه نقائص، وفيه مدح وفيه ذم، وفيه خير وفيه شر، وفيه حسن وفيه قبيح، فيلزم أن يوصف الله بالمتضادات، تعالىٰ الله عمّا يقولون.

(٢) لما انتهىٰ من سياق أقوال الفرق في كلام الله، وجمعها لك قال: إنّ هذا الجمع وهذا الحصر وهذا التقسيم الذي ذكرَه نادرٌ أن تجده في كتابٍ من الكتب، إلا متفرقاً، فافهمه واعتنِ به حتىٰ يكون عندك إلمام بمقالات الطوائف في كلام الله سبحانه وتعالىٰ.

(٣) يقول: لو أنّك فتشت الكتبَ تطلب هذه المقالات ما وجدتها مجموعة، لكن تجدها متفرقة يصعب عليك حصرها.

(٤) لا بد أن تعرف الحقّ وتعرف الضلال، ومقالات الضالين من أجل أن تحذَر منها وتُحذِّر منها، فليست معرفة هذه الأقوال محبة لها، وإنما ذلك من أجل الحذر منها، ولئلا يغتر الإنسان بها، لأنها مُزوَّرة ومزوقة، =

فاعطِفْ علىٰ الجهميةِ المُغْلِ الأُوْلَىٰ
خرقوا سياجَ العقلِ والقرآنِ[(١)]
شرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلفَهُمْ واكسِرْهُمُ
بل نادِ في ناديهمُ بأذانِ[(٢)]

= لأنّ كل قول خالف الكتاب والسنة فهو باطل دون نظرٍ إلىٰ من قاله، فالحق يعرف بالدليل دون أن يُعرف بالرجال.

(١) لما انتهىٰ من هذه المقالات في كلام الله، وبيّن الحق والصواب والباطل منها قال: «اعطف علىٰ الجهمية»؛ لأن الجهمية هم أصل الضلال، وهذه الفرق كُلُّها متفرّعة عنها وناشئة منها، فهم أول من طرق باب الضلال ـ والعياذ بالله ـ وكما ذكر العلماء: أنّ أصل مقالتهم موروثة أو مروية عن اليهود، فلذلك أعاد الكلام فيهم؛ لأنهم هم أصل البلاء، والجهمية أتباع الجهم بن صفوان رأس المذهب، والمُغل: لعله يقصد بهم المغول وهم طائفة من البشر يُقال لهم: التتار حصل منهم ما حصل علىٰ المسلمين في غزوهم لبلاد المسلمين، وتقتيلهم للمسلمين، وإتلافهم كتب المسلمين. يزعمون بذلك أنهم يقضون علىٰ الإسلام، ولكن والحمد لله الإسلام محفوظ، وما نقصوا الإسلام قيد شعرة مع ما بذلوه من الفتك والقتل والكيد، ولكن الإسلام لم يتأثَّر بهم ـ والحمد لله ـ. فالناظم كأنه شبه الجهمية بالمغول في كيدهم للإسلام.

(٢) يعني لا تتهاون مع الجهمية أبداً؛ بل عليك أن تُحذِّر منهم، وأن تكسر حججهم وأقوالهم وتبين بطلانها، ولا تتهاون بشأنها، لأنه لا بد من حربها ومضادتها، ولا يمكن هذا إلا بمعرفة هذه المذاهب وهذه الأقوال الخبيثة، لأنّ الجاهل بالشيء لا يمكن أن يُحذِّر منه ويتجنبه حتىٰ يعرفه =

أفســدتُـمُ المعقــولَ والمنقــولَ والـ

ـمَسْمُـوعَ مـن لغـةٍ بكـلِّ لِسـانِ[١]

أيصحُّ وصفُ الشيء بالمُشْتَقِّ والْـ

ـمَسْلـوبِ معنـاهُ لـذي الأذهـانِ[٢]

= لئلا يقع فيه وهو لا يدري، فالعناية بمحاربة هذه الأفكار أمرٌ واجبٌ لا يجوز التساهل فيه، ولا الغفلة عنه، لأن لها دعاة وأتباعاً، وإذا غُفِل عنهم نشروها، فلا بد أن يكون المسلمون دائماً على حذر ودائماً في جهاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣] الكفار يُجاهدون بالسلاح، وأمّا المنافقون والزنادقة فيُجاهدون بالحجة والبيان.

(١) يُخاطب الجهمية يقول لهم: أفسدتم المعقول، يعني الأدلة العقلية، وأفسدتم المنقول الذي هو الكتاب والسنة.

(٢) هل يصح أن يُقال: الله سبحانه وتعالىٰ متكلِّم، لأنه خلق الكلام، وأنه سميعٌ، لأنه خلق السمع، لا، لأنّ الله متصف بهذه الأمور، ولكن لأنّه خالقها فيُقال عندهم: الله متكلِّم بمعنىٰ: أنه خالقٌ للكلام، ويُقال: الله سميع؛ لأنه خالقٌ للسمع، وبصير لأنّه خالقٌ للبصر، هل هذا يصح في العقل أو في النقل؟! إنّ الشيء يوصف بما هو خارجٌ عنه، بل لا يوصف بالشيء إلا من هو متصفٌ به حقيقة، فلا يوصف الله بالكلام إلا لأنّه متكلِّم حقيقة، ولا يوصف بأنه سميعٌ وبصير إلا لأنّه ذو سمعٍ وذو بصر، ولا أنه عليم إلا لأنه ذو علم، كما لا يُقال: زيدٌ كاتب إلا إذا كان هو يكتب بالفعل.

أيصــــحُّ صبَّــــارٌ ولا صَبْــــرٌ لــــه
ويَصِــحُّ شَكَّــارٌ بــلا شُكــرانِ[١]

ويَصِــحُّ عــلاَّمٌ ولا علــمٌ لــه
ويصــحُّ غفَّــارٌ بــلا غُفــرانِ[٢]

ويقــال هــذا ســامــعٌ أو مبصــرٌ
والسَّمــعُ والإبصــارُ مفقــودانِ[٣]

هـذا مُحالٌ فـي العقـول وفـي النقـو
لِ وفي اللغاتِ وغيرِ ذي إمكانِ[٤]

---

(١) هل يصحُّ أن يُقال: فلان صبَّار وهو لا يصبر، هذا لا يمكن، هل يُقال: شكَّار للنعم وهو لا يشكر وإنما غيره الذي يشكر، هذا غير صحيح.

(٢) يقول الجهمية: غفَّار؛ لأنّه خلق المغفرة، وعلاَّم؛ لأنّه خلق العلم في غيره، هذا باطل بل يُقال: غفَّار؛ لأنه يغفر، ويُقال: علام؛ لأنه يعلم الغيب سبحانه وتعالىٰ فلا يُطلق الوصف إلا علىٰ من اتصف به ولا يوصف بما هو خارج عنه.

(٣) أي: لا يقال هذا لمن ليس عنده سمعٌ ولا بصرٌ، بل لأنه هو الذي خلق الأسماع والأبصار في المخلوقين، بل يُقال: الله سميع لأنّه ذو سمع، وبصير لأنّه ذو بصر، يرىٰ ويُبصر، والمخلوق أيضاً يرىٰ ويُبصر ويسمع ولكن لا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فليس سمع المخلوق مثل سمع الخالق، وليس علم المخلوق مثل علم الخالق، وهكذا في سائر الصفات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ثمّ قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

(٤) محال أن يوصف الشيء بما هو قائمٌ في غيره، هذا محال في العقول وفي النقول وفي اللغات، عند جميع العالم إلا عند الجهمية.

فلئـــن زعمتُـــمْ أنَّـــه متكلِّـــمٌ
لكـــن بقـــولٍ قـــامَ بـــالإنســـانِ[١]

أو غيـــرِه فيُقـــالُ هـــذا بـــاطـــلٌ
وعليكُـــمُ فـــي ذاكَ محـــذورانِ

نفـيُ اشتقـاقِ اللفـظِ للمـوجـودِ مَعْـ
ـنـــاهُ بـــهِ وثبـــوتُـــه للثـــانـــي

أعنـــي الـــذي مـــا قـــامَ معنـــاهُ بـــه
قَلْـــبُ الحقـــائـــقِ أقبـــحُ البُهتـــانِ[٢]

ونظيـــرُ ذا أخـــوانِ هـــذا مبصـــرٌ
وأخـــوه معـــدودٌ مـــن العُميـــانِ[٣]

---

(١) فلئن زعمتم أيها الجهمية أن الله يوصف بالكلام؛ لأنّه خلق الكلام في غيره، ويُقال: مُتكلِّم من باب المجاز؛ لأنه خلق الكلام فهذا باطل؛ لأنه لا يوصف بالكلام إلاّ من هو متكلِّمٌ به.

(٢) ويلزمكم فيما قلتم محذوران:

المحذور الأول: أن تُنسب الصفة إلىٰ غير من هو متصف بها مع أنها لا تُشتق من صفة قائمة بغيره فهذا محال.

والمحذور الثاني: أنكم سلبتم الصفة ممن هو متصف بها وأثبتموها لغيره ممن هو ليس متصفاً بها، وهذا كذب قبيح.

(٣) هذا مثال يوضح بطلان قولهم: إذا كان أخوان، أحدهما مبصرٌ والآخر أعمىٰ فلا يُقال للأعمىٰ: إنّه مبصر؛ لأنّ أخاهُ مبصر، هذا محال؛ لأن البصر قام بغيره، هذا خلاف مقتضىٰ اللغة، ومقتضىٰ القرآن، ومقتضىٰ السنة، ومقتضىٰ العقول، ومقتضىٰ كلّ الأدلة؛ لأنه جعل في خلقه الكلام.

سَمَّيْتُمُ الأعمىٰ بصيراً إذْ أخُو
ہُ مُبْصِرٌ وبِعَكْسِهِ في الثَّاني

فلئن زعمتُمْ أنَّ ذلك ثابتٌ
في فعلِه كالخَلْقِ للأكوانِ

والفِعلُ ليس بقائمٍ بإلهنا
إذ لا يكون مَحَلَّ ذي حِدْثانِ[1]

ويصحُّ أن يُشتَقَّ منه خالقٌ
فكذلك المتكلِّمُ الوَحْداني

هو فاعلٌ لكلامِه وكتابِه
ليس الكلامُ له بوصفِ معاني

ومخالفُ المعقولِ والمنقولِ والْـ
ـفِطراتِ والمسموعِ للإنسانِ

---

(١) يمكن أن يحتج الجهمية فيقولون: يُوصف الله سبحانه وتعالىٰ بأنه خالق، لأنه خلق الموجودات، وليس معنىٰ ذلك أن الخلق حالٌّ في ذاته، فيقال لهم: هناك فرق بين هذا وهذا، هناك فرق بين الشيء الموجود خارجاً عن ذات الله سبحانه وتعالىٰ والشيء الموجود في ذات الله سبحانه من الصفات، فالأعيان موجودة خارج ذات الرب سبحانه وتعالىٰ، أمّا صفة الخلق والإيجاد والتقدير فهي قائمة بذات الله سبحانه وتعالىٰ.

مَـنْ قـال إنَّ كـلامَـه سبحـانـه
وصـفٌ قـديـمٌ أحـرفٌ ومعـانـي[١]
والسينُ عنـدَ البـاءِ ليسَـتْ بعـدَهـا
لكـن همـا حـرفـانِ مقتـرنـانِ[٢]
أو قـال إنَّ كـلامَـه سبحـانَـهُ
معنـىً قـديـمٌ قـامَ بـالـرحمٰـن
مـا أنْ لـه كـلٌّ ولا بعـضٌ ولا الْـ
ـعـربـي حقيقتُـه ولا العبـرانـي[٣]

---

(١) يقولون: إذا كان الله يُقال له: خالق وليس في ذاته شيء من الخلق، فكذلك يُقال: الله متكلِّم وليس في ذاته شيءٌ من الكلام فنقول: فرقٌ بين المعاني والأعيان، المعاني يتصف الرب سبحانه وتعالىٰ بها، فيتصف بالكلام والسمع والبصر والإرادة والخلق، وأمّا الأعيان المخلوقة فهي خارجة عن ذات الرب سبحانه وتعالىٰ.

(٢) هذا قول الاقترانية الذين سبق ذكرهم، وهم يرون أن كلام الله قديم، لا يتجدد، وأن حروفَه مقترنة لا يسبق بعضها بعضاً، وهذا كلامٌ باطل، لم يقله أهل السنة وإنما قاله طائفة تنسب إلىٰ السنة ولكنها أخطأت في هذا، لأن هذا غير معقول فلا يحتج به الجهمية علىٰ أهل السنة، لأنّ أهل السنة يُنكرون هذا القول.

(٣) هذا ردٌّ علىٰ الأشاعرة، الذين يقولون: إن كلام الله هو المعنىٰ القائم في نفسه فقط كما سبق بيانه، فيحتج الجهمية علىٰ أهل السنة بذلك، فالجواب عن ذلك أن هذا ليس بقول أهل السنة، وإنما هو قول الأشاعرة وقد أنكره أهل السنة.

والأمـرُ عيـنُ النهـي واستفهـامُـه
هـو عيـنُ أخبـارٍ بـلا فُـرقـانِ
وكـلامُـهُ كحَيـاتِـهِ مـا ذاكَ مَقْـ
ـدُورٌ لَـهُ بـلْ لازِمُ الـرَّحمْـنِ
هـذا الـذي خـالـفَ المعقـولَ والْـ
ـمنقـولَ والفطـراتِ لـلإنسـانِ[1]
أمَّـا الـذي قـد قـال إنَّ كـلامَـه
ذُو أحـرفٍ قـد رُتِّبـتْ ببيـانِ
وكـلامُـه بمشيئـةٍ وإرادةٍ
كـالفعـلِ منـهُ كـلاهُمـا سِيَّـانِ
فهـو الـذي قـد قـالَ قـولاً يعلَـمُ الْـ
ـعُقَـلاءُ صِحَّتَـهُ بـلا نُكـرانِ[2]

---

(١) يقول الجهمية: إن قول الأشاعرة مخالف للفطر والعقول، نقول: نعم هو مخالف ولهذا أنكرناه عليهم.

(٢) يقول الجهمية: نحن أحسن من هؤلاء لأننا نرىٰ أن كلام الله بحروف مرتبة بخلاف من قال: إنه بحروف مقترنة، وإنّه بإرادة منه سبحانه وتعالىٰ، وأمّا الأشاعرة ومن ذهب مذهبهم فيرون أن كلامه معنى قائم بذاته لا يتعلق بالإرادة والمشيئة، نقول لهم: هذا الذي ذكرتم صحيح من ناحية لكنه باطلٌ من ناحية، فقولكم: إنّه بحروف وألفاظ وبإرادة هذا صحيح، لكنكم تقولون: إنّه مخلوق وهذا باطل.

فـلأيِّ شـيءٍ كـانَ مـا قـدْ قُلْتُـمُ
أولـىٰ وأقـربَ مِنْـهُ للبُـرهـانِ
ولأي شـيءٍ دائمـاً كَفَّـرْتُـمُ
أصحـابَ هـذا القـولِ بـالعُـدوانِ[١]
فدَعُوا الدَّعاوىٰ وابحثوا معنىً بِتَحْـ
ـقيـقٍ وإنْصـافٍ بِـلا عُـدوانِ
وارْفُـوا مـذاهبَكُـمْ وسُدُّوا خَـرْقَهـا
إن كـان ذاكَ الـرَّفْـوُ فـي الإمكـانِ[٢]
فـاحكُـمْ هـداكَ اللهُ بينهـم فقـد
أدلَـوْ إليـكَ بحُجـةٍ وبيـانِ[٣]
لا تنصـرَّن سـوىٰ الحـديـثِ وأهلِـهِ
هُـمْ عسكـرُ القـرآنِ والإيمـانِ[٤]

---

(١) يقول الجهمية: فلماذا كفرتمونا ونحن أحسن قولاً من أولئك.

(٢) يقول الجهمية لأهل السنة: أصلحوا مذاهبكم في كلام الله إنْ كان يمكن إصلاحُها، ولا تعيبوا علينا مذهبنا، وهذا غير صحيح لأن ما تنتقدونه ليس مذهب أهل السنة.

(٣) يقول: إن الجهمية أدلوا علىٰ أهل السنة بهذه الحُجج، فما هو الجواب عنها، هذا ما سيأتي قريباً.

(٤) إذا أردت أن تعرف الصحيح من هذه الأقوال وتردَّ الباطلَ فالزم حديثَ الرسول ﷺ ففيه الحقُّ، وفيه البيان، وفيه النور، فالذي يرد علىٰ الطوائف بغير القرآن والسنة لا يستطيع ذلك، وإن كان يظن ذلك، فالردُّ إنما يكون =

وتَحَيَّــزَنَّ إليهِــمُ لا غيــرُهُــمْ
لتكــونَ منصــوراً لــدىٰ الــرحمٰــنِ[1]
فتقــولُ هــذا القَــدْرُ قــد أعيــا علــىٰ
أهــلِ الكــلامِ وقــادَةُ أصــلانِ
إحــداهمــا هــل فعلُــهُ مفعــولُــهُ
أو غيــرُهُ فهُمــا لهُــمْ قــولانِ[2]
والقــائلــون بــأنّــهُ هــو عينُــه
فــرُّوا مــن الأوصــاف بــالحِــدْثــانِ

= بالكتاب والسنة لأن الكتاب ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢] وما جاء عن الرسول ﷺ فإنه ممن (لا ينطق عن الهوىٰ. إن هو إلا وحي يوحىٰ)، لكن الشأن في أنك لا بد أن تفهم الكتاب والسنة، لأنه ليس كل من يرد بالكتاب والسنة يكون قد فهم الكتاب والسنة، وأهل السنة «هم عسكر القرآن والإيمان» أي: هم الجيش الذي لا يُهزم، إذا تسلَّحوا بالقرآن والسنة فلا يمكن أن يُهزموا أبداً، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الصافات: ١٧٣] وقال: ﴿إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

(١) لا ترد عليهم بالمنطق أو بعلم الكلام أو بالفلسفة، لأنهم يتقنون هذه الأشياء أكثر منك، ولأنها باطل ليس فيها شيءٌ من الحق، وإنّما هي زبد، فلا ترد عليهم بغير القرآن والسنة أبداً إلا من باب الإلزام لهم.

(٢) أي: هناك فرقٌ بين الفعل والمفعول، لأن الفعل معنىً قائم بالفاعل، وأمّا المفعول فهو شيءٌ خارجٌ عن الفاعل، فإذا قُلت: فلانٌ كاتب، فالكتابة وصفٌ قائمٌ بالكاتب، أمّا المكتوب فهو شيءٌ خارجٌ عن الكاتب.

لكـنْ حقيقـةُ قـولِهـم وصـريحُـهُ
تعطيـلُ خـالـقِ هـذه الأكـوانِ
عـن فعلِـه إذْ فعلُـهُ مفعـولُـهُ
لكنَّـهُ مـا قـامَ بـالـرَّحمٰـن
فعلىٰ الحقيقـةِ مـالـه فِعـلٌ إذِ الْـ
ـمفعـولُ منفصـلٌ عـن الـدَّيّـانِ[1]
والقـائلـون بـأنّـهُ غيـرٌ لَـهُ
متنـازعـونَ وهُـمْ فطـائفتـانِ
إحـداهمـا قـالـت قـديـمٌ قـائـمٌ
بـالـذاتِ وهـو كقُـدْرَةِ المَنّـانِ
سَمَّـوْهُ تكـوينـاً قـديمـاً قـالَـهُ
أتبـاعُ شيـخِ العـالَـمِ النُّعمـانـي
وخصـومُهُـمْ لـم يُنصِفُـوا فـي رَدِّه
بـل كـابـروهُـم مـا أتـوا ببيـانِ

---

(١) الذين لم يفرقوا بين الفعل والمفعول علىٰ ما ذكرنا فروا من حلول الحوادث بذات الرب إذ قالوا: إن الفعل والمفعول شيء واحد، وهو خارج عنه، والحقُّ أنّ فيه فرقاً بين الفعل والمفعول، فالفعل معنىً قائمٌ بالفاعل، وأمّا المفعول فهو خارجٌ عنه، فلا يُخلط بينهما، فيُقال: الفعل هو المفعول، لأن هذا الخلط هو الذي أوقع الناس في الضلال.

والآخـــرون رأوهُ أمـــراً حـــادثـــاً
بـــالـــذاتِ قـــامَ وإنَّهـــم نـــوعـــانِ
إحـــداهمـــا جعلتْـــهُ مُفْتَتَحـــاً بـــه
حَـــذَرَ التسلســـلِ ليـــس ذا إمكـــانِ
هـــذا الـــذي قـــالَتْـــهُ كـــرَّاميّـــةٌ
ففعـــالُـــهُ وكـــلامُـــهُ سِيَّـــانِ(١)

---

(١) المعنىٰ القائم بالله سبحانه وتعالىٰ، هو الخلق والرزق والكلام وغير ذلك، ولكن القائلون بهذا انقسموا إلىٰ قسمين:

قسمٌ يقولون: هو معنىً قديم لا يتجدد.

وقسمٌ يقولون: هو حادث وهؤلاء انقسموا إلىٰ قسمين:

القسم الأول: أهل الحديث يرونه قديم النوع حادث الآحاد، فاللهُ جلّ وعلا يوصف بأنه متكلِّم، فالكلام صفةٌ له سبحانه وتعالىٰ، لكنّ كلامه يتجدد، إذا أراد سبحانه وتعالىٰ أن يتكلّم فإنّه يتكلّم في الماضي والمستقبل، يتكلَّم متىٰ شاء إذا شاء، وكل صفات الأفعال كذلك فإنّها قديمة النوع حادثة الآحاد، مثل: الخلق والرزق والإحياء والإماتة والكلام والنزول والاستواء، هذه كلها صفات الأفعال وهي قديمة النوع حادثة الآحاد.

القسم الثاني من يقول: ليس هو قديم النوع لئلا يُشارك الله تعالىٰ في القدم، وهؤلاء هم الذين يرون منع التسلسل في الماضي، وهم الكرّامية، والصواب: أن صفات الأفعال قديمةُ النوع لا بداية لنوعها كما أنّ الله تعالىٰ لا بداية له، فهو الأول ليس قبله له سبحانه وتعالىٰ، وهو الآخر ليس بعده شيء، فكذلك صفاته، نوعها قديمٌ بقدمه سبحانه.

والآخـرون أُوْلُـو الحـديـثِ كـأحمـدٍ
ذاكَ ابـنُ حنبـلِ الـرِّضـا الشيبـانـي
قـــد قـــالَ إنَّ الله حقـــاً لـــم يَـــزَلْ
متكلمـــاً إن شـــاء ذو إحســـانِ[1]
جعـلَ الكـلامَ صفـاتِ فعـلٍ قـائـمٍ
بـالـذاتِ لـم يُفْقَـد مـن الـرحمٰـنِ[2]
وكـذاك نـصَّ علـىٰ دوامِ الفعـلِ بـالْـ
إحســـانِ أيضـــاً فـــي مكـــانٍ ثـــانِ[3]
وكـذا ابـنُ عبـاسٍ فـراجـعْ قـولَـه
لمَّـــا أجـــابَ مَســـائِـــلَ القـــرآنِ

---

(١) يعني لم يكن لأفعاله بداية أبداً، كما أن ذاته سبحانه وتعالىٰ لا بداية لها فكذلك أفعاله وصفاته.

(٢) فاتصافه بصفة الكلام ليس له بداية، وكذلك اتصافه بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ليس له بداية، فلا يزال متصفاً بذلك، أمّا أنواع أفعاله سبحانه وتعالىٰ فإنّها متجددة تتعلّق بمشيئته وإرادته متىٰ شاء فعل سبحانه وتعالىٰ.

(٣) أي: نص الإمام أحمد علىٰ أن الله دائم الإحسان، فدلَّ علىٰ أنّ اتصافه بالإحسان أزلي أبدي لا بداية له ولا نهاية، أمّا أفراد الإحسان فهي متجذدة، فالله لا يزال يُحسن سبحانه وتعالىٰ إلىٰ عباده، ويخلق ويرزق ويُدبر.

وكـذاك جعفـرٌ الإمـام الصـادقُ الْـ
ـمَقبـولُ عنـدَ الخلـقِ ذو العـرفـانِ
قـد قـال لـم يَـزَلِ المهيمـنُ محسنـاً
بَــرّاً جــواداً عنــدَ كــلِّ أوانِ[1]
وكــذا الإمــامُ الــدارمــيُّ فــإنَّــهُ
قــد قــال مــا فيــه هُــدىٰ الحيــرانِ
قــال الحيــاةُ مــع الفعــالِ كــلاهمــا
مُتــلازمــانِ فليـــس يفتـــرقـــانِ

---

(١) ابن عباس لمّا أجاب الرجل الذي جاء يسأله عن آيات أشكلت عليه من القرآن مثل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦] وما أشبهها مما قد يفهم منه أنه كان في الماضي ثم انتهىٰ، فأجابه ابن عباس بأنه كان ولا يزال غفوراً رحيماً وكذلك ما شابهها فإنه كان ولا يزال كذلك[*]. وكذلك جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب من أهل البيت أجاب بهذا الجواب مَنْ سأل عن ذلك كما أجاب به ابن عباس، وكما أجاب الإمام أحمد رحمه الله وأئمة السنة: أن أفعال الله جلّ وعلا قديمة النوع، فهو متصفٌ بها في الأزل الذي ليس له بداية، وأمّا أفراد الأفعال فإنّها تتجدد، لأنها متعلقة بالمشيئة، إذا شاء وأراد فإنّها توجد هذه الأشياء.

(*) انظر الحديث في «صحيح البخاري» كتاب التفسير، سورة حم السجدة (فصلت) بعد الحديث (٤٨١٥)، وانظر «تفسير ابن كثير» ٧/ ١٦٥-١٦٦ سورة فصلت تفسير الآيات ٩-١٢ منها.

صدقَ الإمامُ فكلُّ حيٍّ فهو فَعْـ
عَالٌ وذا في غايةِ التِّبيانِ[١]
إلاَّ إذا كانَ ثَمَّ موانعٌ
مِن آفةٍ أو قاسرِ الحيوانِ
والربُّ ليس لفعلِه من مانعٍ
ما شاءَ كانَ بقدرةِ الدَّيّانِ[٢]
ومَشيَئةُ الرَّحمٰنِ لازِمَةٌ لَهُ
وكذاكَ قُدْرَةُ رَبِّنا الرَّحمٰنِ

---

(١) أي أن الإمام عثمان بن سعيد الدارمي قال في رده على المرّيسي: إن كل حي فإنّه يكون فاعلاً لما يشاء، فالله جلّ وعلا يوصف بالحياة أزلاً وأبداً، فكما لا تفارقه الحياة سبحانه وتعالىٰ، فإنه لا تفارقه الأفعال، فالحي لا بد أن يفعل، فالفعل ملازمٌ له، أما الميت فليس له فعل، فالله جلّ وعلا يوصف بالحياة أزلاً وأبداً، فيلزم من هذا أن يوصف بالأفعال أزلاً وأبداً، لا بداية لأفعاله سبحانه وتعالىٰ ولا نهاية، كما أنّه لا بداية لحياته سبحانه وتعالىٰ فالله لم يزل حياً، إذاً لم يزل فعّالاً، هذا ردٌّ علىٰ الذين يقولون: إنّ أفعال الله لها بداية لئلا يلزم التسلسل في الماضي.

(٢) قد يكون الشيء حَيّاً لكنه لا يستطيع أن يفعل لمانعٍ يمنعُه، هذا في المخلوقين فهم فيهم حياة، لكن قد لا يستطيعون بعض الأفعال لمانع، لكن لو زال هذا المانع لصار يفعل، أمّا اللهُ جلّ وعلا فإنّ أفعاله لا يعتريها موانع أبداً، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

هــذا وقــد فطــرَ الإلٰــهُ عبــادَه
أنَّ المهيمــنَ دائــمُ الإحســانِ
أو لستَ تسمعُ قولَ كلِّ موحِّدٍ
يــا دائــمَ المعــروفِ والسلطــانِ[١]
وقَـدِيـمَ الاحسـانِ الكثيـرِ ودائـمَ الْـ
جُـودِ العَظِيـمِ وصـاحِـبَ الغُفْـرانِ
مــن غيــرِ إنكــارٍ عليهِــمْ فطــرةً
فُطـروا عليهـا لا تَـواصـيَ ثـانِ[٢]
أوَ ليـسَ فعـلُ الـربِّ تـابِـعَ وَصْفِـهِ
وكمـالِـه أفـذاكَ ذوُ حِـدْثـان[٣]

---

(١) أي: أن الله فطر العباد حتىٰ العوام أن يقولوا في دعائهم: يا دائم الإحسان، يعني أنه جلّ وعلا لا يزال متصفاً بالإحسان أزلاً وأبداً، كذلك صفاته سبحانه وتعالىٰ كلها دائمة.

(٢) أي: يقولون هذا من غير إنكار عليهم من أهل العلم، ولو كانوا أخطؤوا لردَّ عليهم أهل العلم ولما أقرُّوهم علىٰ هذا، فدلَّ علىٰ أنّ هذا حق، والسبب أنهم فُطروا علىٰ هذا، ما عُلِّموا إيّاه ولا دُرِّسوه وإنما هو فطرة فطرهم الله عليها.

(٣) وما دام وصفه قديماً ولا يزال فكذلك أفعاله قديمة ولا تزال تتجدد، ليس ليها حدٌّ بدأت منه، فما دام أنّ وصفَه ليس له بداية فكذلك أفعاله جلّ وعلا ليس لها بداية، ولكن هذا بالنسبة للجنس، أما الأفراد فإنّها تتجدد.

وكمـالُـهُ سبـبُ الفعـالِ وخَلْقُـهُ
أفعـالَهُـمْ سببُ الكمـالِ الثـانـي[١]

أوَ مـا فِعـالُ الـربِّ عيـنُ كمـالِـهِ
أفــذاك ممتنــعٌ علــىٰ المَنّــانِ

أزلاً إلـىٰ أن صـار فيمـا لـم يـزلْ
متمكنــاً والفعــلُ ذو إمكــانِ[٢]

تــاللهِ قَــدْ ضلَّــتْ عُقــولُ القــومِ إذْ
قــالــوا بهــذا القَــولِ ذي البُطــلانِ

---

(١) اللهُ جلّ وعلا له الكمال المطلق، وهذا يقتضي أنّه لا حدَّ لأفعاله سبحانه، ولا بداية لها ولا نهاية، هذا يقتضيه كمال الرب، لأننا لو قلنا: إنّ أفعالَه لها بداية للزم أن يكون في وقت فاقداً للكمال، لأنّ عدم الفعل نقص وإمكان الفعل كمال، وكمال الله ليس له بداية فكذلك أفعاله ليس لها بداية.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ الذيـن يمنعـون قدم أفعال الرب جلّ وعلا بأنّه يلزم علىٰ هذا وصف الله بالنقص فـي المدة التي كان فيهـا ممتنعاً عليه الفعل حسب زعمهم، وأيضاً: إذا كانت أفعاله ممتنعة في البداية فما الذي جعلها ممكنة فيما بعد؟ كيف تكـون فـي وقت ممتنعـة ثمّ تكون في وقت ممكنة؟ فالممتنع لا يتحول إلىٰ ممكن لذاته، فدلَّ علىٰ أنّ أفعال الله كمال، وكمال الله ليس له بداية فيلزم من هذا أن أفعالَه ليس لها بداية.

مــاذا الــذي أضحــىٰ لــه مُتجـدِّداً
حتــىٰ تمكَّــنَ فــانْطِقــوا ببيــانِ[1]

والــربُّ ليــس مُعطَّــلاً عــن فعلِـهِ
بــلْ كــلَّ يــومٍ ربُّنــا فــي شــانِ

والأمْــرُ والتَّكْـويـنُ وصْـفُ كمـالِـهِ
قــدْمــا فــذا ووُجُــودُهُ سِيَّــانِ

وتخَلُّـفُ التَّــأْثيـرِ بَعْـدَ تمــامِ مُـو
جِبِــهِ مُحَــالٌ ليـسَ فـي الإمكــانِ

واللهُ ربِّـــي لَـــمْ يـــزَلْ ذا قُـــدْرةٍ
ومشيئـــةٍ ويليهمَـــا وصفـــانِ

العلْــمُ مَــعْ وصــفِ الحيــاةِ وهــذهِ
أوصــافُ ذاتِ الخــالــقِ المنَّــانِ

وبِهَــا تَمــامُ الفعْــلِ ليـسَ بِـدُونِهـا
فعْــلٌ يَتِــمُّ بــواضِــحِ البُــرْهــانِ

فــلأيِّ شـيءٍ قــدْ تــأخَّــرَ فِعْلُــهُ
مَــعْ مُــوجِــبٍ قَــدْ تَــمَّ بــالأرْكَــانِ

مــا كــانَ مُمْتنِعــاً عليــهِ الفِعْــلُ بَــلْ
مـــا زالَ فِعْـــلُ اللهِ ذا إمْكـــانِ

---

(١) أي: إذا كان الفعل ممتنعاً عليه فيما مضىٰ ـ حسب زعمكم ـ فما الذي جعله ممكناً فيما بعد.

واللهُ عَابَ المُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ
عَبَدُوا الحجارةَ في رِضَا الشَّيْطانِ
ونَعَىٰ عليْهِمْ كوْنَهَا ليْسَتْ بِخَا
لِقَةٍ وليْسَتْ ذاتَ نُطقٍ بيَانِ
فأبانَ أنَّ العَقْلَ والتَّكْلِيمَ مِنْ
أوْثانِهِمْ لا شكَّ مَفْقُودانِ
وإذا هُما فُقِدا فما مَسْلُوبُها
بإلَٰهِ حَقٍّ وهوَ ذُو بُطْلانِ
واللهُ فهوَ إلَٰهُ حقٍّ دائماً
أفعَنْهُ ذا الوصفَانِ مسْلُوبانِ
أزلاً وليسَ لفقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ
هذا المُحالُ وأعظَمُ البُطلاَنِ
إنْ كانَ ربُّ العَرْشِ حقّاً لم يزلْ
أبداً إلَٰهُ الحَقِّ ذا سُلطانِ
فكذاكَ أيضاً لمْ يَزَلْ مُتكلِّماً
بَلْ فاعِلاً ما شاءَ ذا إحْسانِ
واللهِ ما في العَقْلِ ما يَقْضِي لِذا
بالرَّدِّ والإبطالِ والنُّكْرانِ
بَلْ ليسَ في المَعْقُولِ غيْرُ ثُبُوتِهِ
للخَالِقِ الأزَلِيِّ ذي الإحْسَانِ

هـــذا ومــا دُونَ المُهَيْمِــنِ حــادِثٌ
لَيسَ القَــدِيـمُ سِــوَاهُ فــي الأكــوانِ

واللهُ ســابــقُ كــلِّ شــيءٍ غيــرِه
مــا ربُّنــا والخلــقُ مُقتــرنــانِ[1]

واللهُ كــانَ وليــس شــيءٌ غيــرُهُ
سبحــانَــه جــلَّ العظيــمُ الشــانِ[2]

لسنا نقـولُ كمـا يقـولُ الملحـدُ الـزْ
نـديـقُ صـاحـبُ منطـقِ اليـونـانِ[3]

---

(١) هذا ردٌّ علىٰ الذين يقولون: إنّ قولكم بقِدَم أفعال الله مثل قول الفلاسفة بقدم العالم، فنقول لهم: ليس الأمر كذلك؛ لأن الله قبل كلِّ شيء، وكلُّ شيءٍ فإنّه مخلوقٌ له سبحانه وتعالىٰ، ولا شك أن الفعل يتأخر عن الفاعل، وهذا خلاف قول الفلاسفة.

(٢) هـذا كما في الحديث الصحيح من حديث عمران بن حصين «كان الله ولا شيء معـه»(*)، فالله تعالىٰ هو الأول الذي لا يُشاركـه غيره في الأولية.

(٣) منطق اليونان معناه: «علم الكلام والجدل».

(*) أخرجه البخاري (٣١٩١) بلفظ «كان الله ولم يكن شيء غيره» و(٧٤١٨) بلفظ «كان الله ولم يكن شيء قبله». وهو في «مسند أحمد» ٣٣/ ١٠٧-١٠٨ (١٩٨٧٦) بلفظ «كان الله قبل كل شيء» وانظر تمام تخريجه في «المسند»، و«كشف الخفاء» ٢/ ١٧١ (٢٠١١).

بـدوامِ هـذا العـالَـمِ المشهـودِ والْـ
أرواحِ فـــي أزلٍ وليـــس بفـــانِ[١]

هـذي مقـالاتُ المـلاحـدةِ الأُوْلَـىٰ
كفــروا بخـــالــقِ هــذه الأكـوانِ[٢]

وأتـىٰ ابـنُ سِينـا بعـدَ ذاك مُصـانِعـاً
للمسلميـــنَ فقـــال بـــالإمكـــانِ[٣]

---

(١) المشهود، أي: المشاهد، أمّا جنس العالم فإنه قديم؛ فالفلاسفة يقولون: إنّ هذا العالم المشاهد قديم، وهذا باطل، فنحن لا نزال نرىٰ الأشياء توجد بعد أن لم تكن.

(٢) حاصل هذه الأبيات أنّ الإمام ابن القيم رحمه الله يُقرِّر أنّ أفعال الرب سبحانه وتعالىٰ قديمةٌ بقدم ذاته وباقية ببقائه سبحانه وتعالىٰ، فلا بداية لأفعاله ولا نهاية لها، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وإذا كان كذلك فإنّ أفعاله ملازمةٌ لذاته سبحانه وتعالىٰ قديمةٌ وباقيةٌ بدوامه سبحانه وتعالىٰ، فهو الفعّال لما يريد في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ زمان في الماضي وفي المستقبل، هذا الذي دلَّ عليه القرآن والسُّنة وإجماع المسلمين.

(٣) ابن سينا هو الحسين بن عبد الله، أبو علي ابن سينا الذي يُسمونه الرئيس، وهو من ملاحدة الفلاسفة من الباطنية الشيعة، وادَّعىٰ الإسلام وتظاهر به وقال: إنّ هذه الكائنات ممكن أنها قديمة وليس قدمها بلازم أو واجب كما تقوله الفلاسفة، فقال بالإمكان من أجل مصانعة المسلمين، لأن الفلاسفة يقولون: إنها واجبة القدم، وابن سينا أراد أن يُصانع المسلمين فقال: بأن قدمها ليس بلازم ولكنه ممكن، ولا فرق بينه وبين الفلاسفة. =

لكنَّــهُ الأزلــيُّ فليــس بمُحــدَثٍ
مـا كـانَ معـدومـاً ولا هـو فـانِ[١]
وأتــىٰ بِصُلْــحٍ بيــن طــائفتيــنِ بَيْـ
ـنَهما الحروبُ وما هُما سِلْمَانِ[٢]
أنَّــىٰ يكــون المسلمــونَ وشيعــةُ الْـ
ـيونـانِ صلحـاً قـطُّ فـي الإيمـانِ[٣]
والسيــفُ بيــنَ الأنبيــاءِ وبينهُــمْ
والحــربُ بينهُــمُ فحــربُ عــوانِ[٤]
وكذا أتىٰ الطوسيُّ بالحربِ الصريـ
ـحِ بصــارمٍ مِنــه وسَــلِّ لســانِ[٥]

---

(١) لكن ابن سينا يقول: قدم العالم ممكن أزلي، وليس بفانٍ، وهذا هو قول الفلاسفة، ولكنه غيَّر اللفظ.

(٢) يريد ابن سينا بهذا القول أن يعقد الصلح بين المسلمين وبين الملاحدة وهذا ليس بممكن فبينهما الحروب من قديم الزمان وهي مستمرة إلىٰ قيام الساعة، لا صلح بين المسلمين وبين الملاحدة.

(٣) شيعة اليونان هم فرقة الفلاسفة، لأن أصل الفلسفة من اليونان.

(٤) الحرب بين الأنبياء وبين الملاحدة قديمة من عهد نوح عليه السلام إلىٰ أن تقوم الساعة.

(٥) الطوسي، هو نصير الدين الطوسي علىٰ مذهب ابن سينا، الباطني الخبيث، ويزيد علىٰ ابن سينا في شدته علىٰ المسلمين وعداوته للمسلمين، والشيعة كلهم أعداء لأهل السنة، ولكن هذا الخبيث ظهرت عداوته =

وأتىٰ إلىٰ الإسلامِ يَهْدِمُ أصْلَهُ
مِنْ أُسِّهِ وقواعِدِ البُنْيانِ
عمَرَ المدارس للفلاسفة الأُوْلىٰ
كفروا بدينِ اللهِ والقرآنِ[١]
وأتىٰ إلىٰ أوقافِ أهلِ الدينِ يَنْـ
ـقُلُها إليهِمْ فِعْلَ ذي أضغانِ[٢]

= وظهر حقده في حرب التتار لما جاء التتار قادهم علىٰ المسلمين وأغراهم بقتل المسلمين فقتلوا من المسلمين مقتلةً عظيمة في بغداد، وقتلوا الخليفة، وأتلفوا كتب المسلمين وألقوها في نهر الفرات، وغزوا بلاد المسلمين في مصر والشام وفي غيرها، وهذا الخبيث يفتح لهم الطرق، ويدلُّهم علىٰ أماكن المسلمين، بل إنّه أخذ أوقاف المسلمين وجعلها لمدارس أنشأها تُدرِّس الفلسفة، وأراد أن يستبدل القرآن بكتاب ابن سينا المُسمَّىٰ «بالإشارات»، يريد أن يجعله بديلاً عن القرآن فهو عمل أعمالاً شنيعة ـ والعياذ بالله ـ لمّا سنحت له الفرصة علىٰ يد التتار.

(١) بنىٰ الطوسيُّ مدارس للفلسفة في بلاد المسلمين، بدلاً من مدارس الإسلام التي تعلم علوم الإسلام، هؤلاء هم الشيعة، في كلِّ زمان ومكان، إذا تمكنوا قضوا علىٰ الإسلام والمسلمين، لكنّ الله تعالىٰ قد أهانهم وأذلهم، وإلا لو وجدُوا فرصة لقضوا علىٰ الإسلام والمسلمين كما حصل من القرامطة وغيرهم.

(٢) أخذ الطوسيُّ أوقافَ المساجد والمدارس الإسلامية وجعلها علىٰ مدارس الفلاسفة والإلحاد يصرف غلاّتها عليها.

وأراد تحــويــلَ الإشــاراتِ التــي
هــي لابــنِ سينـا مـوضـعَ الفـرقـانِ[١]

وأرادَ تحــويــلَ الشــريعــةِ بــالنـوا
ميسِ التـي كـانـت لـذي اليـونـانِ[٢]

لكنَّـــه عَلِـــمَ اللعيـــنُ بـــأنَّ هـٰ
ـذا ليس في المقدورِ والإمكانِ[٣]

إلاَّ إذا قتـــلَ الخليفـــةَ والقُضـــا
ةَ وســائـرَ الفقهـاءِ فـي البلـدانِ[٤]

---

(١) أراد الطوسيُّ أن ينزع القرآن من أيدي المسلمين ويجعل محلَّهُ «الإشارات» لابن سينا وهو علىٰ مذهب الملاحدة والفلاسفة.

(٢) وأراد الطوسيُّ أن يُغيِّر المحاكم الشرعية فينزع تحكيم القرآن منها ويجعل محلَّهُ قوانين التتار، كل هذه مشاريع للطوسي الخبيث، ولكنَّ الله جلَّ وعلا غالبٌ علىٰ أمره وناصرُ دينه، فأظهر الله هذا الدين، ولم يتأثَّر بأفعال هذا الملحد وتصرفاته، فأعاد الدولة للمسلمين، وأعاد العزة للمسلمين، وبطل كيد هذا الملحد وأمثاله.

(٣) علم الطوسي أنها لا تُنفَّذ هذه الأفكار التي أرادها إلا إذا قتل المسلمين، ولذلك شرع في قتل المسلمين وسلَّط عليهم التتار، وأغراهم بقتلهم حتىٰ ذبحوا منهم مذبحةً عظيمة في بغداد، وقتل مئات الآلاف في يوم واحد.

(٤) وقد فعل الطوسي ذلك فقتل الخليفة العباسي وقتل العلماء وقتل مع ذلك كثيراً من المسلمين.

فسعىٰ لذلك وساعدَ المقدورُ
بالأمرِ الذي هو حكمةُ الرحمٰن[١]
فأشار أن يضعَ التتارُ سيوفَهُمْ
في عسكرِ الإيمانِ والقرآنِ[٢]

---

(١) فعل الطوسي ذلك بالمسلمين قضاءً وقدراً وعقوبةً للمسلمين في تفريطهم ومعاصيهم، فاللهُ جلَّ وعلا انتقم من المسلمين وعاقبهم بسبب أفعالهم، ولكنّه جلَّ وعلا من رحمته ورأفته أنه لا يستأصل الإسلام والمسلمين، وإنما يُبقي منهم بقايا لتعود العزة لهم بعد ذلك، ويكون هذا الذي جرىٰ عليهم مصلحةً لهم ليتوبوا إلىٰ الله، ويرجعوا إلىٰ الله، ويعترفوا بخطئهم وذنوبهم، فالمصائب فيها مصالح للمسلمين وإن كانت تؤلمهم، ولكن فيها مصالح لهم في العاقبة، فالله تعالىٰ أجرىٰ ما أجرىٰ علىٰ يد التتار وعلىٰ يد هذا الملحد الشيعي لحكمة عظيمة، والإسلام ما تضرَّر ولله الحمد بل بقي القرآن، وبقيت السُّنة، وبقي من كلام أهل العلم ما حفظ الله به هذا الدين رغم هذه الهزة العظيمة، والمكيدة الكبيرة التي زعم هذا الملحد أنه يقضي بها علىٰ الإسلام والمسلمين.

(٢) التتار جند جاؤوا، من بدو المشرق، وكانوا كثيرين وأقوياء، وزحفوا علىٰ المسلمين، وذلك بإشارة الشيعة كابن العلقمي وزير المستعصم العباسي وصاحب الجريمة النكراء في ممالأة هولاكو علىٰ غزو بغداد، والطوسي وغيرهم جذبوا التتار إلىٰ بلاد المسلمين وأشاروا عليهم بالغزو ليتشفوا بهم من المسلمين، وليقضوا علىٰ الإسلام بزعمهم، لأن الشيعة صنيعة يهودية، واليهود دائماً يريدون أن يقضوا علىٰ الإسلام، ولكنّ الله منكفلٌ ببقاء الإسلام مهما عمل أعداؤه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

لكنَّهم يُبقونَ أهلَ مصانعِ الدْ
دُنيا لأجلِ مصالحِ الأبدانِ[١]
فغدا علىٰ سيفِ التتارِ الألفُ في
مثلٍ لها مضروبةً بوزانِ
وكذا ثمانِ مئينها في أَلْفِها
مضروبةً بالعَدِّ والحُسبانِ[٢]
حتىٰ بكىٰ الإسلامُ أعداهُ اليَهُو
دُ كذا المجوسُ وعابدو الصُّلبانِ[٣]
فشفىٰ اللعينُ النفسَ من حزبِ الرسو
لِ وعسكرِ الإيمانِ والقرآنِ[٤]

---

(١) قال الشيعة للتتار: اقتلوا كل من وجدتم من المسلمين إلا أهل الحرف والصناعات، هؤلاء أبقوهم لأجل المصالح، لأنكم لو قتلتم أهل الحرف لتعطلت الصناعات، اتركوهم واستخدموهم للصناعات والحرف، وأمّا العلماء وعامة الناس فضعوا السيف في رقابهم.

(٢) يعني أن مقدار ما قتل التتار من المسلمين يبلغ مليوناً وثمانمائة ألف.

(٣) حتىٰ إنّ الكفار تألّموا لما أصاب المسلمين، من فعل التتار، وهذا الملحد الشيعي يفرح ويمرح ويسرح في غيِّه وطغيانه، فالشيعة أشد حقداً من اليهود، وهذا شيءٌ واقع، الشيعة أشد حقداً علىٰ الإسلام من سائر الكفرة.

(٤) أي أن الطوسيّ شفىٰ حقده بما أصاب المسلمين، لكنه ما شفىٰ حقده من الإسلام، لأن الإسلام بقي رغم أنفه.

وبِسُودِّهِ لــو كــان فــي أُحُــدٍ وقَــدْ
شهــدَ الــوقيعــةَ مــع أبــي سفيــانِ
لأقَــرَّ أعينَهُــم وأوفــى نــذرَهُ
أو أن يُــرىٰ مَتمــزِّقَ اللُّحمــانِ(١)
وشــواهــدُ الأحــداثِ ظــاهــرةٌ علــىٰ
ذا العــالَــمِ المخلــوقِ بــالبــرهــانِ(٢)

---

(١) يتمنّىٰ الطوسي أنه قاتل الرسولَ ﷺ والصحابةَ، وأنه حضر في أُحد حتىٰ ينفذ ما في نفسه من الحقد، وهذا ليس في نفس هذا الرجل فقط، بل في نفوس الشيعة كلِّهم، فكلُّهم يغلون حقداً وكيداً علىٰ المسلمين، وفي هذا رد علىٰ هؤلاء الجهلة الذين يقولون: إنهم إخواننا، وأنّه لا خلاف بيننا وبينهم إلا في الفروع، وهؤلاء لم يعرفوا حقيقتهم.

(٢) هذا عود علىٰ الرد علىٰ الفلاسفة القائلين بقدم العالم بأن الشواهد دالة علىٰ أن هذا العالم مخلوقٌ مُحدَثٌ بعد أن لم يكن، وأنّه لا كما يقول الفلاسفة قديم، بل هو مخلوق وموجود من عدم، بدليل أنّكَ ترىٰ الأشياء تتغير، وأنه يوجد شيء لم يكن موجوداً من قبل، ويُعدَم شيء كان موجوداً، فهذا دليل علىٰ أنَّ هذا الكون يتعاقب، ليس هو بقديم، ولا هو بأبدي في المستقبل، بل يتجدد، يُخلَق شيءٌ ويفنىٰ شيء، يوجد شيء ويُعدم شيء، هذا الكون دائماً هكذا، فهذا دليل علىٰ أنّ له خالقاً يتصرَّف فيه، لا كما يقول الملاحدة: إنّه ناتجٌ عن الطبيعة، ويجحدون وجود الخالق، والواقعُ يُكذِّب هذه النظرية، فهناك أشياء توجد بعد أن لم تكن، وهناك أشياء تعْدم بعد أن كانت موجودة وهكذا، فهذا يدل علىٰ أنّ هناك من يتصرَّف فيها وهو الخالق سبحانه وتعالىٰ الفعَّال لما يُريد.

وأدلــةُ التــوحيــدِ تشهــدُ كلُّهــا
بحدوثِ كُلِّ ما سوىٰ الرحمٰن[١]
لــو كــان غيــرُ اللهِ جــلَّ جــلالُــهُ
معــهُ قــديمــاً كــان ربّــاً ثــانــي[٢]
إذا كــان عــن رَبِّ العُلَــىٰ مستغنيــاً
فيكـــون حينئـــذٍ لنـــا رَبّـــانِ[٣]
والـــربُّ بـــاستقـــلالـــه مُتـــوحِّـــدٌ
أفَممكِـــــنٌ أن يستقِـــلَّ اثنـــانِ
لـــو كـــان ذاك تَنــافَيــا وتَســاقَطــا
فــإذا هُمــا عَــدَمــانِ ممتنعــانِ[٤]

---

(١) الأدلة تدل علىٰ أن كل ما سوىٰ الرحمٰن فهو حادث بعد أن لم يكن، وأمّا الله جلَّ وعلا فليس له بداية، وهذه المخلوقات لها بدايات ولها نهايات بالنسبة لأفرادها، وأمّا نوعها وجنسها فإنه قديمٌ ومستمرٌ في المستقبل، لأن الله جلَّ وعلا يخلق ويرزق ويفعل ما يشاء بدون بداية وبدون نهاية، ليس لأفعاله بداية وليس لأفعاله نهاية.

(٢) هذا رد علىٰ الفلاسفة القائلين بقدم العالم بأن الله جلَّ وعلا بأسمائه وصفاته هو المنفرد بالقدم والأزل، لا يُشاركه في ذلك أحد، ولو شاركه في ذلك أحد لكان مثلَه تعالىٰ الله عن ذلك.

(٣) لو كان أحد يشارك الله في الأزل، لكان مستغنياً عن الله فيكون رباً، وليس هناك أحدٌ مستغنٍ عن الله جلّ وعلا، بل كل مخلوق فإنه مفتقرٌ إلىٰ خالقه، وليس هناك إلا الخالق والمخلوق.

(٤) لا يمكن أن يكون لهذا الكون ربان، كلّ واحد مستقل عن الآخر، لأنه يلزم علىٰ هذا فساد العالم كما قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن =

والقهـرُ والتـوحيـدُ يشهـدُ منهُمـا
كـلٌّ لصـاحبِـه هُمـا عِـدْلانِ[(١)]

ولـذلـك اقتـرنـا جَميعـاً فـي صفـا
ت اللهِ فـانظـرْ ذاك فـي القـرآنِ

فـالـواحـدُ القهـارُ حقـاً ليس في الْـ
إمكـانِ أن تَحظَـىٰ بـه ذاتـانِ[(٢)]

= وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢] هذا برهان علىٰ بطلان أن يكون مع الله أحدٌ يشاركه في الربوبية وفي الخلق وفي التدبير؛ لأنّه لو كان معه أحدٌ لحصل النزاع، وإذا حصل النزاع فإما أن يتغلب أحدُهما علىٰ الآخر ويقهره، فالمتغلب هو الرب وحدَه، أو يستقل كلُّ واحد منهما بملكه، وهذا لم يحصل في هذا الكون، لم يحصل فيه فساد، ولم يحصل فيه انقسام، فدلَّ علىٰ أنّ خالقه واحد وهو الله جلَّ وعلا.

(١) من أسماء الله تعالىٰ: الواحد القهار، قال تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فهو واحدٌ سبحانه ليس له شريك، قهارٌ لا أحد يغلبه جلَّ وعلا، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا أحد ينازع الله أو يُغالبه.

(٢) أي اقتران الواحد بالقهار هذا خاصٌّ بالله جلَّ وعلا، فهو الواحد القهار، ليس هناك أحدٌ يُطلق عليه هذان الوصفان مقترنين إلا الله جلَّ وعلا. فدل ذلك علىٰ انفراده بالملك وتصرفه فيه وحدَه لا شريك له.

فصل

في اعتراضهم علىٰ القول بدوام فاعلية الرب تعالىٰ وكلامه والانفصال عنه[١]

فلئــــن زعمتُـــمْ أنَّ ذاك تَسلســـلٌ
قلنــا: صــدقتُــمُ وهــو ذُو إمكــانِ[٢]

كتسلســلِ التــأثيــرِ فــي مُسْتقبَــلٍ
هــل بيــنَ ذلــك قــطٌّ مــن فُــرقــانِ

---

(١) اعترضت الجهمية ومن قال بقولهم من الفرق علىٰ أهل السنة القائلين بقدم أفعال الله جلَّ وعلا، بقولهم: أنتم شابهتم الفلاسفة القائلين بقدم العالم.

(٢) لئن زعمتم أيها المعارضون للقول بقدم أفعال الله بأن هذا تسلسل يشبه قول الفلاسفة بقدم العالم مشارك للرب ومقارن له، فإننا نقول: هو تسلسل مسبوق بوجود الرب سبحانه وتعالىٰ، أما الفلاسفة فإنهم يقولون: هو تسلسلٌ مشارك للرب، مقارنٌ للربِّ، وهذا باطل، أمّا أهل السنة فيقولون: هو تسلسلٌ ولكنه مسبوقٌ بوجود الرب سبحانه وتعالىٰ، ففرقٌ بين هذا وهذا، لأن هذا تسلسل في الآثار وليس تسلسلاً في المؤثرين.

فأهل السنة يقولون: لا مقارنة بل الله جل وعلا الأول الذي ليس قبله شيء، ومفعولاته مقارنة لأوليته ليست سابقة عليها.

والله ما افترقا لذي عقلٍ ولا
نَقْلٍ ولا نظرٍ ولا بُرهانِ
في سَلْبِ إمكانٍ ولا في ضدِّهِ
هذي العُقُولُ ونحنُ ذُو أَذهانِ
فليأتِ بالفرقانِ من هو فارقٌ
فَرْقاً يَبِينُ لصالحِ الأذهانِ[١]
وكذاكَ سَوَّىٰ الجهمُ بينهما كذا الْـ
ـعَلَّافُ في الإنكارِ والبطلانِ[٢]
ولأجلِ ذا حكَما بحكمٍ باطلٍ
قطعاً علىٰ الجَنَّاتِ والنيرانِ[٣]
فالجَهْمُ أفنىٰ الذاتَ والعلَّافُ للْـ
ـحَركاتِ أفنىٰ قالَهُ الثَّورانِ[٤]

---

(١) هذا رد آخر بأن يقال: إذا جاز التسلسل في المستقبل كما يقوله الأشاعرة وغيرهم، جاز التسلسل في الماضي إذ لا فرق بينهما.

(٢) أبو الهذيل العلّاف، والجهم بن صفوان سوَّيا بين المستقبل والماضي فقالا: بمنع التسلسل فيهما، فعطَّلوا الله عن أفعاله في الماضي وعطَّلوا الله عن أفعاله في المستقبل.

(٣) ولأجل قولهما بمنع التسلسل في الماضي والمستقبل قالا بفناء الجنة والنار، وهذا قولٌ باطل، لأنّ الله أخبر أن الجنّة باقية، وأنّ أهلها خالدون فيها أبداً، وأن النار باقية وأنّ أهلها خالدون فيها أبداً.

(٤) الجهم يقول بانقطاع التسلسل في الماضي وفي المستقبل للحركات والذوات فلا يبقىٰ شيء من هذه المخلوقات، وأمّا العلّاف فيقول: تبقىٰ =

وأبــو علــيٍّ وابنُـــهُ والأشعــرِيْ
يُ وبعـدَهُ ابـنُ الطيِّـبِ الـرَّبّـانـي[1]

وجميـعُ أربـابِ الكـلامِ البـاطـلِ الْـ
ـمَــذمــومِ عنــدَ أئمــةِ الإيمــانِ

فَـرَقُـوا وقـالـوا ذاك فيمـا لـم يـزلْ
حــقٌّ وفــي أزلٍ بــلا إمكــانِ

قـالـوا لأجْـلِ تنـاقُـضِ الأزلـيِّ والْـ
أحــداثِ مــا هــذانِ يجْتَمعــانِ

لكــنْ دوامُ الفعــلِ فــي مُستقبَــلٍ
مــا فيـه مَحـذورٌ مـن النُّكـرانِ[2]

= المخلوقات في المستقبل لكن ليس لها حركات بل تبقىٰ مُعطَّلة، ويبقىٰ عند العلاّف أهل الجنة وأهل النار ولكن دون حركات.

(١) أبو علي الجُبَّائي شيخ المعتزلة وابن الجُبَّائي أبو هاشم، وأبو الحسن الأشعري، وأبو بكر بن الطيب الباقلاني، وهو علىٰ مذهب الأشاعرة وإن كان له مواقف جيدة في الإسلام والرد علىٰ الملاحدة، ولذا وصفه بالرباني لأنّ له مواقف جيدة.

(٢) ومع هؤلاء المذكورين علماء الكلام فرّقوا بين التسلسل في الماضي فمنعوه، وبين التسلسل في المستقبل فأثبتوه، وهذا تحكُّم، لا دليل عليه ولا فرق بينهما، فإذا جاز في أفعال الله أن تستمر في المستقبل بلا نهاية جاز أن تكون في الماضي بلا بداية.

فانظر إلىٰ التلبيسِ في ذا الفَرْقِ تَرْ
وِيجاً علىٰ العُورانِ والعُميانِ(١)

ما قالَ ذو عقلٍ بأنَّ الفردَ ذو
أزلٍ لذي ذِهنٍ ولا أعيانِ

بل كلُّ فردٍ فهو مسبوقٌ بِفَرْ
دٍ قبلَه أبداً بلا حُسْبانِ(٢)

ونظيرُ هذا كلُّ فردٍ فهو مَلْـ
ـحُوقٌ بفردٍ بعدَهُ حُكمانِ(٣)

النَّوعُ والآحادُ مَسْبوقٌ وملْـ
ـحُوقٌ وكُلٌّ فهو مِنْها فانِ

---

(١) حيث إنهم فرقوا بين التسلسل في المستقبل فأثبتوه، وفي الماضي فنفوه، فهذا تلبيس علىٰ العُميان والعوران الذين يُصدقونهم في هذا التناقض، لأنهم قصيرو النظر، أمّا أهل العلم والبصيرة فهم يُكذِّبون هذا الفرق ويقولون: لا فرق.

(٢) أعيان هذا الكون ما قال أحد: إنها قديمة إلا الفلاسفة الملاحدة، أمّا الجنس فهو قديم وأزلي بقدم أفعال الله، لكن أفراد المخلوقات حادثة بعد أن لم تكن وليست أزلية، فكل فرد هو مسبوق بفردٍ مثله، مثل الوالد والولد والحفيد، أفراد متعاقبة بعضها سابق لبعض، كذلك المخلوقات من هذا النوع.

(٣) كما أن الفرد مسبوق بفرد فهو أيضاً ملحوق بفرد، فالأب مسبوقٌ بالجد وجد الجد، وملحوقٌ بالابن وابن الابن... إلىٰ آخره.

والنـــوعُ لا يفنـــىٰ أخيـــراً فهـــو لا
يَفْنَـــىٰ كـــذلـــكَ أوّلاً بِبيـــانِ(١)
وتعـــاقُـــبُ الآنـــاتِ أمـــرٌ ثـــابـــتٌ
في الذِّهنِ وهو كذاكَ في الأعيانِ(٢)
فـــإذا أبيتُـــمْ ذا وقلْتـــمْ أوّلُ الـ
آنـــاتِ مُفْتَتَـــحٌ بـــلا نُكـــرانِ
مـــا كـــان ذاك الآن مسبـــوقـــاً يُـــرىٰ
إلاّ بسلـــبِ وجـــودِه الحَقّـــانـــي(٣)

---

(١) أمّا النوع والجنس من أفعال الله فإنه قديمٌ وأزليٌّ بقدم الرب سبحانه، أمّا الأفراد فإنها متجددة وحادثة ومسبوقة بعدم وتصير إلىٰ فناء كالأزمان.

(٢) الآنات: هي الأزمان، فأفراد المخلوقات متعاقبة، كذلك أفراد الزمان، من السنين والشهور والأيام والساعات كلها متعاقبة هذا بعد هذا، أما جنس الزمان فهو قديم، أمّا أفراده وهي السنين والشهور والأسابيع والساعات والثواني فهي أفراد توجد ثمّ تُعدم ويأتي بعدها خلفٌ لها.

(٣) إذا قالوا: إن هذا الزمان حادث جنسه وأفراده بعد أنْ لم يكن، ما كان في الأول زمان، وإنما وجد الزمان بعد أن لم يكن، قلنا: هذا باطل.

الله خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام، فدلّ علىٰ وجود الزمان في الأزل، وإذا كان الزمان كذلك قديم النوع حادث الآحاد، فكذلك سائر المخلوقات، قديمة النوع لكنها حادثة الأفراد والآحاد مثل الأزمان، فإذا كابروا وأنكروا وقالوا: الزمان مسبوق بعدم فهذا قولٌ باطل، يرده القرآن حيث جاء فيه ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] فدلّ علىٰ وجود الزمان قبل خلق السمٰوات والأرض.

فيُقَـال: مـا تعنـون بـالآنـات هـلْ
تَعنُـــونَ مـــدَّةَ هـــذه الأزمـــانِ[١]

مِـنْ حيـنِ إحْداثِ السَّمٰواتِ العُلَىٰ
والأرضِ والأفـــلاكِ والقَمَـــرَانِ

ونَظُنُّكُـــمْ تعنُـــونَ ذاكَ ولـــمْ يكُـــنْ
مِـــنْ قَبْلِهـــا شـــيْءٌ مِـــنَ الأكـــوانِ

هل جاءكم في ذاكَ من أثرٍ ومنْ
نـصٍّ ومـن نظـرٍ ومـن بُـرهـانِ؟[٢]

هـــذا الكِتَـــابُ وهـــذهِ الآثـــارُ والْـ
ـمعْقُـولُ فـي الفِطْـراتِ والأذْهـانِ

إنَّـــا نُحـــاكمُكُـــمْ إلـــىٰ مـــا شئْتُمُـــو
مِنْهـــا فكُـــلُّ الحـــقِّ فـــي تبيـــانِ

أو ليسَ خَلْقُ الكونِ في الأيامِ كا
نَ وذاكَ مـــأخـــوذٌ مِـــن القـــرآنِ[٣]

---

(١) ويقال لهم أيضاً: ما تعنون بالزمان؟ هل تعنون الجنس، أو تعنون الأفراد؟ إن عنيتم الجنس فهذا باطل، وإن عنيتم الأفراد فهذا صحيح، ولكن ليس هذا هو المقصود.

(٢) هل عندكم دليل علىٰ: أنّ الزمان كان غير موجود في الأزل فوجد؟

(٣) فقوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤] دلَّ علىٰ أنّ الزمان موجود قبل خلق السمٰوات والأرض، وبداية هذه الأيام التي خلق الله فيها السمٰوات والأرض يوم الأحد ونهايتها يوم الجمعة.

أو ليـــسَ ذلِكُــمُ الــزَّمــانُ بِمُــدَّةٍ
لِحُـدُوثِ شـيْءٍ وهـوَ عَيـنُ زمَـانِ
فحَقيقَــةُ الأزمــانِ نِسْبــةُ حَـادثٍ
لِســواهُ تلْــكَ حقيقَــةُ الأزمــانِ
واذكُرْ حديثَ السَّبْقِ للتقديرِ والتْـ
تَـوْقيـتِ قبـلَ جميـعِ ذي الأعيـانِ
خمسيـن ألفـاً مـن سنينٍ عَـدَّهـا الْـ
ـمُختـارُ سـابقـةً لـذي الأكـوانِ[١]
هـذا وعـرشُ الـربِّ فـوقَ المـاءِ مِـنْ
قَبْـلِ السنيــنَ بمُــدّةٍ وزمــانِ[٢]

---

(١) يعني حديث عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشهُ علىٰ الماء»(*) دل علىٰ أنّ جنس الزمان قديم، وأمّا الشهر واليوم والليلة فهذه تحدث وتنتهي، لكن هؤلاء لا يتكلمون من منطلق الكتاب والسنة، وإنما يتكلمون من منطلق عقولهم وأفكارهم الفاسدة، ويقولون علىٰ الله بلا علم، أو ينقلون كلام الملاحدة والفلاسفة ويجعلونه دليلاً وبديلاً عن كتاب الله وسنة رسوله.

(٢) يشير إلىٰ حديث كتابة مقادير الخلائق قبل خلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة.

(*) أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، وهو في «مسند أحمد» ١١/ ١٤٤ (٦٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو.

والنـاسُ مختلفـونَ فـي القلـمِ الـذي
كُتِـبَ القضـاءُ بـه مـن الـدَّيّـانِ
هَـلْ كـانَ قبـلَ العرشِ أو هُـوَ بعـدَهُ
قـولانِ عنـد أبـي العَـلا الهَمَـذانـي
والحــقُّ أن العــرش قَبْــلُ لأنَّــه
قَبْـلَ الكتـابـةِ كـان ذا أركـانِ[1]
وكتـابـةُ القلـمِ الشـريـفِ تعقَّبَـتْ
إيجـادهُ مـن غيـرِ فصـلِ زمـانِ[2]

---

(١) فقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] يدل علىٰ أنّ العرشَ هو أول المخلوقات، وأنّه سابق للقلم، وبعض العلماء يرىٰ العكس أن القلم قبل العرش، لحديث «إن أوّل ما خلق الله القلم قال له: اكتب. . .»(*).

والصحيح أن العرش قبل القلم، وأمّا الأولية للقلم فهي بالنسبة للكتابة، أي: أنّه من حين خلقه الله قال له: اكتب، فالكتابة مقارنة لخلق القلم، هذا معنىٰ الحديث، وليس معناهُ: أنّه قبل العرش.

(٢) فقوله ﷺ: «إنّ أوّل ما خلق الله القلم: قال له: اكتب» المراد بالحديث: أن الكتابة مقارنة لوجود القلم وليس معناه: أنّ القلم قبل العرش، بل العرش قبله لقوله ﷺ في آخر الحديث ـ حديث عبد الله بن عمرو الذي تقدم ـ: «وكان عرشه علىٰ الماء»(**) فهو مطابق للآية الكريمة.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ٣٧٨ (٢٢٧٠٥)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥) و(٣٣١٩)، وهو حديث صحيح.

(**) سلف تخريجه ص٢٦٣.

لمَّا بـرَاهُ اللهُ قـالَ اكتُـبْ كـذا
فغـدا بـأمْـرِ اللهِ ذا جـريـانِ
فجـرىٰ بِمـا هـو كـائـنٌ أبـداً إلـىٰ
يـوم المعـادِ بِقُـدْرةِ الـرَّحمٰـنِ
أفكـانَ ربُّ العـرشِ جـلَّ جـلالُـهُ
مِـن قَبْـلُ ذا عجـزٍ وذا نُقصـانِ[1]
أم لـم يَـزلْ ذا قُـدرةٍ والفعـلُ مَقْـ
ـدُورٌ لـهُ أبـداً وذُو إمكـانِ[2]
فَلئِـنْ سـألْـتَ وقُلْـتَ هـذا الـذي
أدّاهُـمُ لخِـلافِ ذَا التِّبْيـانِ
ولأيِّ شـيْءٍ لـمْ يقُـولـوا إنَّـهُ
سُبحـانَـهُ هـو دائِـمُ الإحسـانِ
فـاعلـمْ بـأنَّ القـومَ لمـا أسَّسُـوا
أصـلَ الكـلامِ عَمُـوا عـن القـرآنِ[3]

---

(١) هذا رد علىٰ الجهمية والأشاعرة الذين يقولون: إنّ أفعال الله لها بداية، إذ معناه: أنّه قبل هذه البداية عاجز؛ لأنّ الذي لا يفعل عاجز، فهذا وصفٌ لله بالنقص، تعالىٰ الله عن ذلك.

(٢) هذا هو الحق، أنه لم يزل ذا قدرة علىٰ الفعل، وأنّه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن بدون تحديد لبداية ولا نهاية.

(٣) أي: أن السبب في ضلال الجهمية والأشاعرة ومن قال بقولهم في تعطيل أفعال الله في الماضي أو في الماضي والمستقبل السبب في هذا ـ مع =

وعن الحديثِ ومُقتضىٰ المعقُولِ بلْ
عَـنْ فِطْـرَةِ الـرَّحمْـنِ والبُـرهـانِ

وبَنَـوْا قـواعِـدَهُـمْ عليـهِ فقـادَهُـمْ
قسْـراً إلـىٰ التَّعْطيـلِ والبُطـلاَنِ

نفـيُ القيـامِ لكُـلِّ أمـرٍ حـادثٍ
بـالـربِّ خـوفَ تَسلسُـلِ الأعيـانِ(١)

فَيَسُـدُّ ذاك عليهِـمُ فـي زعمِهِـمْ
إثبـاتُ صـانـعِ هـذه الأكـوانِ

= أنهم ينتسبون إلىٰ الإسلام ـ: أنهم لا يستدلون بالقرآن وإنما يستدلُّون بما يسمونه أدلة العقل من علم المنطق وكلام الفلاسفة، وهذه سنة الله أنّ من ترك القرآن والسنة واعتمد علىٰ غيرهما من أقوال الناس أنّه يؤول إلىٰ الضلال، فهذا ممّا يوجب علىٰ طالب العلم وعلىٰ كلِّ مسلم أن يلزم الكتاب والسنة، ولا يتكلَّم إلا بدليل من الكتاب والسنة خصوصاً في مسائل العقائد وأمور الغيب، لا يجوز للإنسان أن يتكلَّم فيها بعقله ورأيه وبقول فلان، وإنّما يتكلم بموجب الكتاب والسنة فإن كان معه دليل من الكتاب والسنة قال به وإلا فإنّه يسكت ولا يتدخَّل في أمورٍ لا يعلمها، قال جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فهؤلاء لما أعرضوا عن القرآن والسنة واستدلوا بأقوال الرجال وبقوانين الكلام والمنطق، وقعوا في هذا الضلال العظيم.

(١) نفوا أزلية الأفعال عن الله جلّ وعلا منعاً لتسلسل الحوادثِ في الأزل.

إذْ أثْبتُـوهُ بكـوْنِ ذي الأجسـادِ حَـا
دِثَـةً فـلاَ تنْفـكُّ عـنْ حِـدْثـانِ
فـإذا تسلسلَـت الحـوادِثُ لـمْ يَكُـنْ
لِحُـدُوثهـا إذْ ذاكَ مِـنْ بُـرهـانِ
فـلأجـلِ ذا قـالـوا التسلسـلُ بـاطـلٌ
والجسـمُ لا يخلـو عـن الحِـدْثـانِ[1]
فَيَصِحُّ حينئذٍ حُدُوثُ الجِسمْ مِنْ
هـذا الـدَّليـلِ بَـواضـحِ البُـرْهـانِ
هـذي نهـايـاتٌ لإقـدامِ الـورىٰ
فـي ذا المقـامِ الضَّيِّـقِ الأعْطَـانِ
فمَـنِ الـذي يـأتـي بفتـحٍ بيِّـنٍ
يُنجِـي الـورَىٰ مـن غَمـرةِ الحَيْـرانِ
فـالله يجـزيـه الـذي هـو أهلُـهُ
مِـن جنَّـةِ المـأوىٰ مـع الـرِّضـوانِ[2]

---

(١) هذا مقتضىٰ قواعد المنطق التي بنوا عليها أصلَهم في نفي أفعال الرب سبحانه وتعالىٰ؛ لأن إثباتها بزعمهم يلزم منه حلولُ الحوادث في ذات الربّ سبحانه، وما تحله الحوادث فهو حادث، وهذا يفسد إثباتَ وجود الخالق.

(٢) يقول: إنّ الذي يُبيِّن للناس الهدىٰ من الضلال والحقَّ من الباطل ويُقيم الدليلَ من الكتاب والسنة، فإنّ جزاءَه عند الله عظيم، لقوله ﷺ: «من =

. . . .

= دعا إلىٰ هُدىً له من الأجر مثل أُجور من تبعه لا ينقص ذلك من أُجورهم شيئاً، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»(*)، فهذا فيه الحثُّ علىٰ بيان الحقّ للناس ودعوتهم للكتاب والسنة، وتحذيرهم من الباطل، كالاستدلال بالمقاييس العقلية والقواعد المنطقية وعلم الكلام لأنها ضلال، ومن دعا إليها فهو داعٍ إلىٰ ضلال.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥/ ٨٣ (٩١٦٠)، ومسلم (٢٦٧٤) (١٦)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة.

فصل

فـاسمـعْ إذاً وافهـمْ فـذاكَ مُعَطِّـلٌ
ومُشبِّـــهٌ وهَـــداكَ ذُو الغُفـــرانِ

هـذا الـدليـلُ هـو الـذي أرادهُـمُ
بـل هَـدَّ كُـلَّ قـواعـدِ القـرآنِ

وهـو الـدليـلُ البـاطـلُ المـردودُ عنـ
ـدَ أئمـةِ التحقيـقِ والعـرفـانِ

مـا زالَ أمـرُ النـاسِ معتـدلاً إلـىٰ
أن دارَ فـي الأوراقِ والأذهـانِ

وتمكَّنَـتْ أجـزاؤُهُ بقلـوبِهـمْ
فـأتَـتْ لـوازمُـهُ إلـىٰ الإيمـانِ

رُفِعـتْ قـواعـده وحُـتَّ أسـاسُـه
فهـوىٰ البنـاءُ وخَـرَّ لـلأركـانِ

وجَنَـوْا علـىٰ الإسـلامِ كُـلَّ جنـايـةٍ
إذ سَلَّطـوا الأعـداءَ بـالعُـدوانِ

حَمَلـوا بـأسلحـةِ المُحـالِ فخـانَهُـمْ
ذاك السـلاحُ فمـا اشتفَـوْا بِطعـانِ[1]

---

(١) يقول الناظم رحمه لله: إنّ فرق الضلال، من الجهمية وغيرهم لمّا أعرضوا عن أدلة القرآن الدالّة علىٰ توحيد الله سبحانه وتعالىٰ وأسمائه =

. . . .

= وصفاته سبحانه وتعالىٰ، لمّا أعرضوا عن ذلك، واعتاضُوا عنه بقواعد المنطق، وعلم الكلام الذي أسّسوا عليه عقيدتهم، ضلوا ولم يهتدوا إلىٰ الحقّ، لأنهم يسيرون في طريقٍ مُظلم، وطريق ضلال، والذي يسير في طريقٍ غير صحيح يقع في الهلاك، فهؤلاء لمّا أعرضوا عن الطريق الصحيح الذي هو الاستدلال بالوحي المنزل علىٰ النبي المُرسل من القرآن، والسنة، وأخذوا أسلوب اليونان وأهل الجدل أفضىٰ بهم ذلك إلىٰ الضلال والكفر والهلاك، وأرادوا بذلك إبطال القرآن، وإبطال السنة لأنهما لا يُفيدان اليقينَ بزعمهم، لما فعلوا ذلك وقعوا في الضلال والحيرة، وهذه نتيجة الإعراض عن الكتاب والسنة والاستدلال بغيرهما، لا سيّما في أمور العقيدة، نتيجته أنه يهلك نفسه ولا يصل إلىٰ حق، وأنّه أيضاً إذا أوردت عليه شبهات من أعداء الإسلام، من الملاحدة والكفار لا يستطيع الرد عليها، لأن سلاحه هذا داثر لا يقتل صيداً ولا ينكأ عدواً، فيتسلَّط أعداء الإسلام علىٰ المسلمين من هذا الطريق، فإذا أرادوا الانتقام من المسلمين ولم يكن معهم سلاح يصدهم ويردّهم فإنهم ينالون ما أرادوا من المسلمين.

أما لو أنّ هؤلاء تمسكوا بالكتاب والسنة، وتعلموا الكتاب والسنة، وتسلَّحوا بهما لم يقف في وجههم أحدٌ، لأن الكتاب والسنة وحيٌ من الله سبحانه وتعالىٰ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يمكن الدفاع عن الإسلام إلا بالكتاب والسنة، أمّا الدفاع عنه بقواعد أهل المنطق وعلم الكلام، فإنّ هذا يُفرح الأعداء حيث إنّه سلاحٌ فاسد لا يصدُّ العدو، والدليل علىٰ ذلك: أنّ المسلمين ما زالوا في خيرٍ وفي استقامة يوم أن كانوا متمسكين بالكتاب والسنة، ولم يدخل عليهم هذا العلم الباطل علم الجدل. =

وأتــىٰ العــدُوُّ إلــىٰ سِــلاحِهِــمُ فقـا
تلَهُـمْ بِـهِ فـي غيْبَـةِ الفُـرسـانِ
يـا محنــةَ الإِســلامِ والقُــرآنِ مِـنْ
جَهْلِ الصَّدِيقِ وبغيِ ذي طُغيانِ[1]

= وإنما حصل الخلل، لمّا جُلب هذا العلم الباطل وهذا الجدل العقيم، وبنيت عليه العقائد عند كثير من المنتسبين للإسلام، وذلك في وقت المأمون العباسي، حينما تُرجمت كتب الروم واليونان ونُشرت في الأوراق، وقُرِّرت، في الدروس والمجالس، واشتغل الناس بها، حصل علىٰ الإسلام والمسلمين من أعدائهم ما حصل من الهزيمة والنكبة، ولا نجاة لهم من ذلك إلا بالرجوع إلىٰ الكتاب والسنة، لأنّ الله جلَّ وعلا يقول: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ. . . ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤] فبيَّن الله تعالىٰ أنّ من أعرض عن الكتاب والسنة فإنّه يهلك في الدنيا والآخرة، في الدنيا يكون علىٰ ضلال، وفي الآخرة يكون مصيره إلىٰ النار.

هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة، فالواجب علىٰ المسلمين عموماً أن يعتنوا بدراسة الكتاب والسنة، وألا يلتفتوا إلىٰ هذه المناهج الباطلة، فإنها لا تُروي غليلاً ولا تشفي عليلاً، بل إنها تُشغلهم عن الحق، فإذا تسلَّحوا بالكتاب والسنة فلا مانع من أن يطلعوا علىٰ هذه الأمور للردِّ عليها، والتحذير منها، والوقوف في وجوه من يُروجونها.

(١) يصاب الإسلام بأمرين: جهل أهله واعتداء أعدائه عليه، إذا اجتمع الأمران: صديق جاهل، وعدوٌّ حاقد، حصلت النكبة والمصيبة، فإذا =

والله لولا الله ناصرُ دينه
وكتابِه بالحقِّ والبرهانِ
لتخطَّفتْ أعداؤنا أرواحَنا
ولقُطِّعتْ منّا عُرَىٰ الإيمانِ[1]

= كان المسلمون علىٰ جهلٍ بأمور دينهم، وعدوُّهم يتربص بهم الدوائر، فإنه لا يبقىٰ أمامَه مدافع، إذا غاب العلماء وانقرضوا واشتغل مَن بعدَهم بهذه العلوم الفاسدة، وهذه العلوم الباطلة، فإنّ العدوَّ لا يبقىٰ أمامَه مدافعٌ عن الإسلام، فلا نجاة ولا قوة للمسلمين، إلا بما أنزل الله عليهم من الكتاب والسنة، ومهما ابتغوا الهدىٰ من غيرهما فإنّ الله سبحانه وتعالىٰ يوقعهم في الضلال، لأنهم تركوا السبب الذي به نجاتهم من الضلال.

(١) يقول رحمه الله لأهل الحق: لا تيأسوا، فإنّ الله يقيِّض للإسلام من يقوم به، لأنّ الإسلام لا يعدم من يقوم به، ويُدافع عنه، فالله جلَّ وعلا يُقيِّض له من ينصره، لكن نخشىٰ أن يرحل من عندنا ويعطىٰ لغيرنا كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨] فإنّ الله متكفل بحفظ هذا الإسلام وهذا القرآن إلىٰ أن يأتي أمرُ الله سبحانه وتعالىٰ، فهو متكفلٌ بأن يوجد لهذا الإسلام وهذا القرآن من يقوم به، قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أمتي علىٰ الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله تبارك وتعالىٰ»(*). =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ٨٨ (٢٢٤٠٣)، ومسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان.

أيكــون حَقّـاً ذا الـدليـلُ ومـا اهتـدىٰ

خيــرُ القــرونِ، لَــهُ محــالٌ ذانِ(١)

= وقال: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كلّ مائة سنة من يُجدد لها دينها»(*) فليس المراد من ذكر المصائب والمحن القنوط واليأس من رحمة الله تعالىٰ، ولكن المراد من هذا الخوف من أن ينحرف الإنسان، ويضل ولا يجد من يهديه، أمّا الإسلامُ نفسُه فإنه محفوظ، وإنما الخوف علىٰ أهل الإسلام، ولهذا لمّا تسلّط أهل الضلال علىٰ الإسلام من الصوفية والقبورية والملاحدة، أظهر الله شيخَ الإسلام ابنَ تيمية رحمه الله، فقاوم هؤلاء وقارعهم بالحُجة والبرهان، فقضىٰ علىٰ شُبهاتهم وأباطيلهم، وقيّض الله له أتباعاً وتلاميذ قاموا بالمهمة من بعده كابن القيم ناظم هذه المنظومة، وابن كثير والذهبي، وغيرهم ولا تزال كتبهم وكتب شيخهم تضيء للناس ولله الحمد، ثمّ قيّض الله لهذه البلاد وغيرها الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الذي قرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه خصوصاً ابن القيم فقام بهذا الواجب، ودافع عن الإسلام، ونفع الله بدعوته في المشارق والمغارب، ولا تزال ولله الحمد هذه الدعوة قائمة، فهذا من نعمة الله، وأنّه مهما كثر الشر واشتد العِداء والخصوم للإسلام فإنّ الله يُقيِّض لهذا الدين من يقوم به وينصره.

(١) يقول للجهمية: دليلكم هذا الذي بنيتم عليه عقيدتكم، هل يكون حقاً وقد غفل عنه السلف الصالح، هذا محال لا يمكن أن يكون حقاً ولا =

(*) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة، وهو حديث صحيح إن شاء الله. ورواه الحاكم في «المستدرك» ٤/ ٥٦٧ (٨٥٩٢)، وانظر تعليق ابن الأثير علىٰ هذا الحديث في «جامع الأصول» ١١/ ٣١٩-٣٢٤ (٨٨٨١).

وفُقْتُمُ للحقِّ من بابٍ وما
أصلُ اليقين ومقعَدِ العِرفانِ
وهدَيتُمونا للذي لم يهتدوا
أبداً به وَاشدَّةَ الحِرْمَانِ[1]
ودخلتُمُ للحقِّ من بابٍ وما
دخلوه واعجباً لذا الخِذلانِ
وسلكتُمُ طُرُقَ الهدىٰ والعلمِ دُو
نَ القومِ واعجباً لذا البُهتانِ[2]

= يعرفه الصحابة والتابعون والقرون المفضلة، هذا محال أن يكون به حق ثم يجهله هؤلاء، فلما لم يعلمه سلف هذه الأمة، والقرون المفضلة، دلَّ علىٰ أنه باطل وحادث، ولا خير فيه، إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه.

(١) هل يُحرم صحابة الرسول وأتباعهم، من هذا الحق الذي تزعمونه وتختصّون به أنتم، هذا مُحالٌ فإنّ القرون المفضلة هم أفضل هذه الأمة علماً وعملاً من المتأخرين، وهذا عكس ما يقوله الضُلّال من أنّ طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، هذا باطل، بل طريقة السلف هي الأعلم والأحكم والأسلم، إذ لا تكون السلامة إلا مع العلم فهم الأعلم وهم الأسلم وهم الأحكم، وأما الخلف فمن اقتدىٰ منهم بالسلف فهو علىٰ منهجهم وحكمُه حكمُهم، ومن خالفهم فإنه يكون بمعزلٍ عن الحق والهُدىٰ، شاء أم أبىٰ.

(٢) لو كان الأمر كذلك لكان السلف مخذولين، حيث إنكم وُفِّقْتُم للحق وهم قد حُرموا منه، هذا هو الخُذلان، لأنّ من حُرم العلم الصحيح فهو مخذول. =

وعـرفتُـمُ الـرحمٰـنَ بـالأجسـامِ والْـ
أعـراضِ والحـركـاتِ والألـوانِ[١]
وَهُـمُ فمـا عَـرَفُـوهُ منهـا بـل مـن الْـ
آيـاتِ وَهْـيَ فغيـرُ ذي بُـرهـانِ[٢]
اللهُ أكبـــرُ أنتُـــمُ أوْ هُـــمْ علـــىٰ
حــقٍّ وفــي غــيٍّ وفــي خُســرانِ[٣]

= وإذا رجعت إلىٰ كلام السلف وجدتهم يقولون: قال الله، وقال رسوله، ولا يقولون بعلم الكلام ولا بالقواعد المنطقية والجسم والعرض والجوهر، التي هي مباني علم الكلام، ليس في كلام السلف حرفٌ واحد من هذا، فدلَّ علىٰ أنّه حادث، وكل حادثٍ لا يوافق الكتاب والسنة فإنّه باطل، ولهذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله في هؤلاء:

حكمي في أهل الكلام أن يُطاف بهم في الأسواق، ويُضربوا بالجريد والنعال، ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة. هذا حكم الإمام الشافعي في هؤلاء، أنهم يُقادون بحبال، تجعل في رقابهم كالبهائم، ويُطاف بهم في الأسواق، ويُضربون بالجريد والنعال، نكالاً لهم، ويُقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل علىٰ علم الكلام.

(١) هذه مباني أدلتهم الجسم والعَرَض والجوهر، وما أشبه ذلك من مصطلحاتهم، وهذه ما عرفها الإسلام، ولا نزل بها الوحي، ولا تعلَّمها الصحابة ومن جاء بعدهم، وإنما كانوا مقبلين علىٰ الكتاب والسنة.

(٢) السلف ما عرفوا هذه القواعد التي أنتم عليها، لأنها ليست براهين، وإنما عرفوا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، هذا الذي عرفوه.

(٣) لا بد من أحد الأمرين: إمّا أنتم علىٰ حقّ والسلف علىٰ الباطل، أو العكس، فانظروا: أيُّ الفريقين أحقّ؟ فلا يمكن خلط الحق بالباطل.

دَعْ ذا أليسَ اللهُ قد أبدىٰ لنا
حقَّ الأدلةِ وهي في القرآنِ(١)
متنوعاتٌ صُرِّفَتْ وتظاهرَتْ
في كلِّ وجهٍ فهي ذو أفنانِ(٢)
معلُومةٌ للعَقْلِ أو مشهودَةٌ
لِلْحِسِّ أوْ في فِطْرَةِ الرَّحمٰنِ
أسمعتُمُ لدليلكُمْ في بعضِها
خبراً أَوَ احْسَسْتُمْ له ببيانِ(٣)

---

(١) الله جلّ وعلا يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ويقول: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] فدلَّ علىٰ أنّ القرآن كاملٌ صالح لكلّ زمانٍ ومكان ولجميع الأمور وأهمُّها العقيدة، فمن ظن أنّ علم المنطق، وعلم الكلام هو الدليل الصحيح والقرآن لم يذكره، ولم يُحل عليه، ولم يأمر به، فهذا يتهم القرآن بأنه ناقص، وأنّ هؤلاء عثروا علىٰ شيءٍ من الحق لم يذكر في القرآن، وهل هناك حقّ ليس في القرآن؟! هذا دليلٍ علىٰ بطلان ما هُم عليه.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] وقال جل جلاله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] الله شهد لهذا القرآن بالكمال، وأنّه صُرِّفت فيه الأدلة ونُوِّعت، ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٤٦] الله جلَّ وعلا صرَّف الآيات وفصَّلها وبيَّنها وأحكمها.

(٣) الشيخ يتحداهم، ويقول: هذا القرآن موجود بين أيدينا هاتوا دليلاً من القرآن ينص علىٰ هذا الذي أنتم عليه أنّه صحيح وأنّه حق، ما في القرآن ولا آية واحدة تدلُّ علىٰ هذا الشيء.

أيكـونُ أصـلُ الـدِّيـنِ مـا تَـمَّ الهُـدىٰ
إلاَّ بـــهِ وبِـــهِ قُـــوَىٰ الإيمـــانِ
وسواهُ ليسَ بِموجِبٍ مَنْ لمْ يُحَطْ
علْمـاً بِـهِ لـمْ ينـجُ مِـنْ كُفْـرانِ
واللهُ ثـــمَّ رســـولُـــه قـــد بيَّنـــا
طُرُقَ الهُـدىٰ، فـي غـايـةِ التبيـانِ[١]
فـلأيِّ شـيءٍ أعـرضـا عنـه ولـم
نسمَعْـــهُ فـــي أثـــرٍ ولا قُـــرآنِ[٢]
لكـــنْ أتـــانـــا بعـــد خيـــرِ قُـــرونِنـــا
بظهـــورِ أحـــداثٍ مـــن الشيطـــانِ
وعلـىٰ لسـانِ الجَهْـمِ جـاؤوا حـزبُـه
مِـن كـلِّ صـاحـبِ بـدعـةٍ حيـرانِ[٣]

---

(١) ليس بعد بيان الله وبيان رسوله بيان، فما ذكره اللهُ في كتابه، أو رسولُه في سنته فهو الحق، وما سواه فهو باطل.

(٢) لماذا الكتاب والسنة أعرضا عن هذا الدليل الذي أنتم تتشدقون به؟ ما أعرضا عنه إلا لأنّه باطل، لو كان حقاً لتضمناه ولبيناه.

(٣) منشأ الضلال إنّما حدث بعد القرون المفضلة حينما انتشرت الفرق من جهمية ومعتزلة وقدرية وشيعة بمختلف فرقها، حدث هذا الخلل، وأما وقت القرون المفضلة وهي التي أثنىٰ عليها رسول الله ﷺ بقوله: «خيركم قرني ثمّ الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(*) فما عُرفت هذه =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٧/ ٢٣٥ (٤١٧٣)، ومسلم (٢٥٣٣) (٢١١) من حديث عبد الله بن مسعود.

ولـــذلـــك اشتـــدَّ النكيـــرُ عليهِـــمُ
مـــن ســـائـــرِ العُلمـــاءِ فـــي البُلـــدانِ
صاحوا بهم مِن كلِّ قطرٍ بل رَمَوْا
فـــي إثـــرِهِـــمْ بشـــواقـــبِ الشُّهبـــانِ(١)

= الأشياء، ما كان المسلمون يشتغلون إلا بالكتاب والسنة، وما حدث علم المنطق وعلم الكلام وعلم الجدل، إلا بعدما عُرِّبت كتب الروم واليونان على يد المأمون بسبب الوزراء الذين حوله حيث أشاروا عليه وضلّلوه فحصل ما حصل، ولكن والحمد لله، القرآن والسنة محفوظان، والحقّ موجودٌ لمن أراده، وإنما هذا ابتلاء وامتحان من الله سبحانه وتعالىٰ للعباد ليتميز المؤمن من المنافق، وطالب الحق من طالب الضلال. وما وُجد شيء، إلا بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالىٰ ولحكمة، فوجود هذه الحوادث لحكمةٍ إلهية، من أجل الاختبار والامتحان، وأيضاً: هي عقوبة عُوقب بها من أعرض عن الكتاب والسنة، لأنّ من ترك الحقَّ ابتُلي بالباطل ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

(١) لمّا ظهرت هذه المقالات وهذه العلوم اليونانية لم يسكت علماء الإسلام بل أنكروا وصاحوا بها وبأهلها، وهذه ردودُهم وهذه كتبهم موجودة تشهد بذلك، فهذا دليل علىٰ حفظ الله لهذا الدين وأنّه يُقيِّض له من يُدافع عنه، ويصدُّ أعداءَه.

ودليل ذلك: هذه الكتب التي بأيدينا ترد علىٰ علماء الكلام وتُفنِّد أقوالهم، هذا دليل علىٰ أنّ العلماء لم يسكتوا عن هذا الباطل، بل أنكروه وبيّنوا بُطلانه.

عـرَفُـوا الـذي يُفضِـي إليـه قـولُهـمْ
ودليلُهــمْ بحقيقــةِ العِــرفــانِ[١]
وأخُـو الجهـالَـةِ فـي خَفـارةِ جهلِـه
والجهـلُ قـد يُنجـي مـن الكُفـرانِ[٢]

---

(١) العلماء ما فعلوا هذا إلا لمّا عرفوا ما يُفضيٰ إليه قول هؤلاء من الباطل، فلذلك فَنَّدوهُ وردُّوه وعارضوا وشنَّعوا علىٰ من قاله، فالإمام أحمد وقف موقفَه المشهور من الفتنة فتنة خلق القرآن، وقف في وجهها، وصبر علىٰ المحنة، وعلىٰ الضرب، وعلىٰ السجن، حتىٰ أظهر الله الحق وخذل الباطل، وشيخ الإسلام ابن تيمية صبر علىٰ السجن، والتغريب حتىٰ إنّه مات في السجن رحمه الله، ومُنعت عنه الكتب والحبر والأقلام يخافون أن يكتب وهو في السجن، لكن كتبه الآن تتألق وتظهر والناس يقبلون عليها، هذا من نُصرة الله لهذا الدين ولهذا الحق.

(٢) أخو الجهالة، يعني صاحب الجهالة، في خَفارة جهله، يعني قد قيده جهله، بخلاف العلماء فإنّهم قد قاموا بالواجب، أمّا الجاهل، فإنّه سلبي لم يفعل شيئاً، لكن الجهل بهذه الأمور قد يسلم بسببه الإنسان، فالجاهل الذي ما اطَّلع علىٰ كتب هؤلاء وشبهاتهم سلم منها ولم يقع فيها، وإن كان الأولىٰ والأفضل، بل الواجب أن يطلع الإنسان عليها وينقضها ويردها ويخاصم أهلها، لكن إذا لم يكن عنده تمكن فإنه يجب عليه الابتعاد، والقاعدة: أن الجاهل الذي ليس عنده بصيرة ولا تعلّم علماً يتسلَّح به، الواجب عليه أن يبتعد عن كتب أهل الضلال ولا يُطالعها ولا يقرأ فيها، لأنّه مثل الذي لم يتعلَّم السباحة، إذا أراد أن يسبح ولم يتقن السباحة يغرق، فلا يمكن أن يدخل في هذه المجالات إلا أهل الاختصاص وأهل العلم.

فصل

في الرد علىٰ الجهمية المعطلة القائلين بأنَّهُ ليس علىٰ العرش إلٰهٌ يُعبد ولا فوق السمٰوات إلٰهٌ يُصلَّىٰ لهُ ويُسجد وبيان فساد قولهم عقلاً ونقلاً ولغة وفطرة[١]

والله ُ كــان وليــس شــيءٌ غيــرَهُ
وبــرىٰ البـريــةَ وهــي ذُو حِـدْثـانِ[٢]

---

(١) هذا الباب وما بعدَه في إثبات علو الله علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه، كما دلّت علىٰ ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، والرد علىٰ من ينفي العلو أو ينفي الاستواء كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن سار علىٰ دربهم، والشيخ ردَّ عليهم بأدلةٍ عقلية ثمّ أتبعها بأدلةٍ نقلية من الكتاب والسنة تدل علىٰ إثبات العلو لله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) كان الله جلَّ وعلا وليس شيءٌ غيرَه، فهو الأول بلا بداية ولا يُشاركه أحدٌ في أوليته سبحانه وتعالىٰ، يقول الرسول ﷺ في دعائه: «أنت الأول فليس قبلك شيء»(*) فالله ليس قبلَه شيء، ولا معه شيء، وإنما سبحانه وتعالىٰ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكلّ شيءٍ =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/ ٥٢٠ (٥٩٦٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢١٢)، ومسلم (٢٧١٣) (٦١) و(٦٢)، وأبو داود (٥٠٥١)، وابن ماجه (٣٨٧٣) والترمذي (٣٤٠٠) من حديث أبي هريرة.

فسَـلِ المعطِّـلَ هـل بَـراهـا خـارجـاً
عــن ذاتــه أم فيــه حَلَّــتْ ذانِ
لا بُــدَّ مــن إحــداهمــا أوْ أنَّهــا
هــي عينُــه مــا ثَــمَّ مــوجــودانِ
مــا ثَــمَّ مخلــوقٌ وخــالقُــه ومــا
شــيءٌ مغــايــرُ هــذه الأعيــانِ
لا بُـدَّ مـن إحـدىٰ ثـلاثٍ مـا لهـا
مـن رابـعٍ خِلْـواً عـن الـرَّوَغـانِ[1]

= إلىٰ حديث عمران بن حصين «كان الله ولم يكن شيءٌ قبله» وفي رواية «ولا شيء معه»(*) وأمّا الخلق فإنهم مخلوقون مُحدَثون بعد أن لم يكونوا، والبرية: يعني الخلق، وذو حِدثان: الحدثان: الوجود بعد العدم، فالله أوجد المخلوقات من العدم، ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ١١] أي: موجدهما علىٰ غير مثال سابق ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فكل شيء فهو مخلوق من العدم، وأمّا الله جلَّ وعلا فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء سبحانه وتعالىٰ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص: ٣-٥].

(١) هذا دليل عقلي أورده الشيخ رحمهُ الله، علىٰ علوِّ الله سبحانه وتعالىٰ، وهو أنه يقول: هل تقولون: إنّ هذا الوجود شيءٌ واحد ليس فيه انقسام وأنّه هو الله؟! ما هناك خالق ولا مخلوق، فهذا قول الاتحادية، أهل =

(*) سلف تخريجه ص٢٤٧.

ولـذاك قـال محقـقُ القـومِ الـذي
رفـعَ القـواعـدَ مُـدَّعـي العِـرفـانِ[١]

هـو عيـنُ هـذا الكـونِ ليـس بغيـرِهِ
أنّـىٰ وليـس مُبـايـنَ الأكـوانِ[٢]

= وحدة الوجود، وهم أكفر الخلق، أو تقولون: إنّ هناك خالقاً ومخلوقاً، وإذا قلتم: إن هناك خالقاً ومخلوقاً، هل الله حالٌّ في هذه المخلوقات أو خارجٌ عنها، فإن قلتم: إنّه حالٌّ فيها فهذا قول الحلولية وهو قريب من قول الاتحادية. وإن قلتم: إنّه خارجٌ عنها فأين هو؟ إن قلتم: إنه فوقها فهذا هو المطلوب، ويكون الله عزّ وجل بائناً من خلقه فوق سماواته عالٍ علىٰ مخلوقاته سبحانه وتعالىٰ، وإن نفيتم علوّه فهذا باطل مخالف للأدلة السمعية والعقلية، هذه ثلاثة أقوال لا بدّ منها، أمّا القول بوحدة الوجود فهذا كفر وإلحاد، أو القول بالحلول، فهذا كفر وإلحاد أيضاً، أو القول بالعلو وأنّ الخالق جلَّ وعلا بائنٌ من خلقه وهذا هو الحق، أو تقولون بنفي العلو وتقعون في الباطل، فإن قلتم: نحن، نقول: لا هو داخل العالم ولا هو خارج العالم، قلنا: هذا محال، لأن الشيء الذي غير داخل في العالم ولا خارج عنه غير موجود، كلُّ موجود فلا بُدَّ إمّا أن يكون داخل العالم أو خارج العالم، أمّا افتراض شيء، لا داخل العالم ولا خارج العالم فهو مُحال، لأن هذا هو المعدوم.

(١) وهو ابن عربي قال: لا انقسام بين الخالق والمخلوق، كلُّه هو الله، وقوله: «رفع القواعد» أي: قواعد الكفر والإلحاد.

(٢) يقول ابن عربي: هذا الكون ليس فيه خالق ولا مخلوق، لأننا إن قلنا: فيه خالق ومخلوق صار هذا شركاً، والله لا شريك له.

كـلاَّ وليـس مُجـانبـاً أيضـاً لهـا
فهـو الـوجـودُ بعينـه وعِيـانِ
إنْ لـم يكـنْ فـوقَ الخـلائـق ربُّهـا
فـالقـولُ هـذا القـولُ فـي الميـزانِ
إذ ليـس يُعقـلُ بعـدُ إلاَّ أنَّـهُ
قـد حـلَّ فيهـا وهـي كـالأبـدانِ
والـروحُ ذاتُ الحـقِّ جـلَّ جـلالُـهُ
حلَّـت بهـا كمقـالـة النصـرانـي[1]
فاحْكُمْ علىٰ من قال ليس بخارجٍ
عنهـا ولا فيهـا بحُكـمِ بيـانِ
بخـلافِـهِ الـوحيـنِ والإجمـاعَ والـ
ـعقـلَ الصـريـحَ وفِطـرةَ الـرحمٰـنِ
فعليـه أوقـعَ حـدَّ معـدومٍ وذا
حـدُّ المُحـالِ بغيـرِ مـا فُـرقـانِ
يـا للعُقُـولِ إذا نفيْتُـمْ مُخْبـراً
ونَقِيضَـهُ هـلْ ذاكَ فـي إمكـانِ

---

(١) يقول للجهمية الذين ينفون العلو: إن لم تقولوا بوحدة الوجود كابن عربي فلا بد أن تقولوا بقول الحلولية: إن الله حالّ في المخلوقات كحلول الروح في البدن فيكون هذا مثل قول النصارىٰ بحلول الله في المسيح ابن مريم.

إن كـان نفـيُ دخـولـه وخـروجِـه
لا يَصْـدُقـانِ معـاً لـذي الإمكـانِ
إلاّ علـىٰ عَـدَمٍ صَـريـحٍ نفيُـهُ
متحقِّـقٌ ببـداهـةِ الإنسـانِ[١]
أيصحُّ فـي المعقـولِ يـا أهـلَ النُّهـىٰ
ذاتـانِ لا بـالغيـرِ قـائمتـانِ
ليسـتْ تُبـايِـنُ منهمـا ذاتٌ لأخـ
ـرىٰ أو تُحـاسِيهـا فيجتمعـان[٢]
إن كـانَ فـي الـدُّنيـا مُحـالٌ فهـوَ ذا
فـارْجـعْ إلـىٰ المعقُـولِ والبُـرهـانِ
فلئـن زعمتُـمْ أنَّ ذلـك فـي الـذي
هُـو قـابِـلٌ مـن جسـمٍ أو جِمسـانِ[٣]

---

(١) وإما أن تقولوا: إنّ الله ليس بداخل العالم فراراً من الحلول، ولا خارج العالم فراراً من إثبات العلو، فإنكم تقعون في المحال، ولا يُعقل أن يكون هناك شيء موجود لا داخل العالم ولا خارج العالم إنما يُقال للمعدوم، أمّا الموجود فإنّه لا بُدَّ: إمّا أن يكون داخل العالم أو خارج العالم.

(٢) إذا كان هناك موجودان في الخارج، فلا بُدَّ إما أن يكون أحدهما داخلاً في الآخر، أو يكون خارجاً عنه، أمّا أن يُقال: شيئان موجودان ليس أحدهما دخلاً في الآخر ولا خارجاً عنه، فهذا محال.

(٣) يقولون: هذا الذي ذكرتم أنه محال إنما يكون في الشيء القابل، أمّا ذات الرب سبحانه وتعالىٰ فلا توصف بأنها قابلة لهذا الشيء بحيث إذا =

والـربُّ ليـسَ كـذا فَنَفْـيُ دخـولِـه
وخـروجِـه مـا فيـه مـن بُطـلانِ
فيُقـالُ هـذا أوَّلاً مـن قـولِكُـم
دعـوىٰ مجـرَّدَةٌ بـلا بُـرهـانِ
ذاك اصطلاحٌ من فريقٍ فارقوا الْـ
ـوَحْـيَ المبيـنَ بحكمـةِ اليـونـانِ
والشـيءُ يَصْـدُقُ نفيُـهُ عـن قـابـلٍ
وسـواهُ فـي معهـودِ كـلِّ لسـانِ
أنسيتَ نفيَ الظلمِ عنه وقولُكَ الظْـ
ظُلْـمُ المحـالُ وليـس ذا إمكـانِ[١]

= نُفي عنها لزم المحال، فنقول لهم: هذا أشدُّ من الأول، فإنّ الشيء القابل أحسنُ حالاً من الشيء غير القابل، فإنسان أعمىٰ، هو قابل للبصر أحسن من الجماد الذي ليس بقابلٍ للبصر، فأنتم شبهتم الله بالجماد الذي هو غير قابل، ففررتم من شيءٍ ووقعتم في شيءٍ شراً منه، وهكذا الذي يسير علىٰ غير دليل من الكتاب والسنة يفرُّ من شيء ويقع في شيءٍ شرّاً منه ولا عصمة إلا بالكتاب والسنة.

(١) يرد عليهم فيقول:

أولاً: هذا الذي تقولونه ليس عليه دليل، وإنما هو اصطلاحٌ اصطلحتموه أنتم، ولا دليل عليه لا من الكتاب ولا من السنة ولا من لغة العرب، ولا من الفِطر ولا من العقول السليمة. =

ونسيتَ نفي النوْم والسِّنَةِ التي
ليستْ لربِّ العرشِ في الإمكانِ[1]
ونسيتَ نفي الطُّعْمِ عنهُ وليس ذا
مقبولةً والنفيُ في القرآنِ[2]

= وثانياً: ما ذكرنا من أنّ الشيء القابل أحسن من الشيء غير القابل.

وثالثاً: الله جلّ وعلا نزّه نفسه عن الظلم فقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وأنتم تقولون: الظلم محالٌ في حق الله وليس في مقدوره، ثم نفيتموه عنه، فأنتم نفيتم الظلم عن الله مع أنكم تقولون: إنّه محالٌ عليه؟ إذاً لا حاجة أن تنفوا عنه الظلم لأنّه محال عندكم فلا حاجة إلىٰ نفيه عنه، وأيضاً أنتم تنفون عن الله أنه داخل أو خارج العالم مع أنه محالٌ عندكم، فأنتم وقعتم في شر مما فررتم منه.

(١) الله نزّه نفسه عن النوم والسِّنَة، فهل معناه: أنّه محالٌ عليه النوم والسِّنَة أو معناه أنه ممكن ولكن نزه نفسه عنه، لأنه لا يليق به سبحانه وتعالىٰ لكمال حياته وقيوميته.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] نزّه نفسه عن أكل الطعام؛ لأنّ أكل الطعام نقص فلا يأكل الطعام إلا مَنْ هو محتاجٌ إليه، والله جلّ وعلا غنيٌ عن خلقه، فنفي الطعم عنه سبحانه لكماله، ولهذا استدلّ علىٰ بُطلان إلهية المسيح وأمّه بقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] فكيف يكون المسيح وأمه إلهين وهما يأكلان الطعام، والذي يأكل الطعام محتاج، والله جلَّ وعلا منزّهٌ عن الحاجة وهو الغني عن خلقه سبحانه وتعالىٰ.

ونسيــــتَ نفـــيَ ولادةٍ أو زوجـــةٍ
وهمــا علـىٰ الــرحمٰـنِ ممتنعــانِ[١]
واللهُ قــد وصــفَ الجمــادَ بــأنَّــهُ
مَيْــتٌ أصَـــمٌ ومــا لــه عَينــانِ
وكــذا نفــىٰ عنــهُ الشُّعُــورَ ونُطْقَــهُ
والخَلْــقَ نَفْيــاً واضِــحَ التِّبْيــانِ
هــذا وليــس بهــا قبــولٌ للــذي
يَنْفــي ولا مِــن جملــةِ الحيــوانِ[٢]

---

(١) نزه نفسه عن الولد والزوجة لأنّ الوالد محتاجٌ إلىٰ الولد، والله غني عن خلقه سبحانه، ليس بحاجة إلىٰ الولد، وكذلك الإنسان محتاجٌ إلىٰ الزوجة، أمّا الله جلَّ وعلا فإنه غنيٌّ عن خلقه ليس بحاجة إلىٰ زوجة، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] لأنّه غني عن ذلك سبحانه وتعالىٰ، والولد شبيه لأبيه وجزءٌ منه كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥] فالولد جُزء عن الوالد وشبيه له، والله تعالىٰ ليس له شبيه، فلو كان له ولد لكان له شبيه من خلقه، ولو كان له ولد لكان محتاجاً إلىٰ خلقه، والله غني عن ذلك كُلِّه.

(٢) يقول الجهمية: أنتم تقولون: إنّه لا يُنفىٰ الشيء عن الشيء إلا إذا كان له ملكة وقابلية، نقول: هذا باطل، لأن الله نفىٰ السمع والبصر والحياة عن الجماد مع أنّ الجماد غير قابل لهذه الأمور، قال تعالىٰ: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١] فنفىٰ عن الأصنام الحياة مع أنّها جمادات لا روح فيها وغير قابلة للحياة ليُبيِّن بُطلان عبادتها، وقال =

ويُقالُ أيضاً ثانياً لَوْ صَحَّ هـٰ
ـذا الشرطُ كان لِما هما ضِدّانِ

لا في النقيضينِ اللذين كلاهما
لا يَثْبُتانِ وليس يَرتفعانِ

ويُقالُ أيضاً نفيكُمْ لِقَبُولِه
لَهُما يُزيلُ حقيقةَ الإمكانِ

بل ذا كنفي قيامِه بالنفسِ أوْ
بالغيرِ في الفِطراتِ والأذهانِ

فإذا المعطّلُ قال إنَّ قيامَه
بالنفسِ أو بالغيرِ ذو بُطلانِ

إذ ليس يَقبلُ واحداً من ذَيْنِكَ الْـ
أمرينِ إلا وهْوَ ذو إمكانِ

جسمٌ يقومُ بنفسِه أيضاً كذا
عَرَضٌ يقومُ بغيرِه أَخَوانِ

في حُكْمِ إمكانٍ وليس بواجبٍ
ما كانَ فيه حقيقةُ الإمكانِ

= سبحانه وتعالىٰ في الأصنام: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥] فنفىٰ عن هذه الأشياء هذه الصفات مع أنها جمادات، فدلَّ علىٰ أنّ الشيء قد يُنفىٰ عن الشيء ولو كان المنفي عنه غير قابل له.

فكــلاكُمــا ينفــي الإلٰــهَ حقيقــةً
وكــلاكُمــا فــي نفيــه سِيّــانِ
مــاذا يَــرُدُّ عليــه مَــن هــو مِثْلُــه
فـي النفـيِ صِـرْفـاً إذْ هما عِـدْلانِ
والفـرقُ ليس بممكـنٍ لـك بعـدَما
ضـاهَيْـتَ هـذا النفـيَ فـي البُطـلانِ
فـوِزانُ هـذا النفـي مـا قـد قلتُـمُ
حــرفــاً بحــرفٍ أنتُمــا صِنــوانِ
والخَصْـمُ يـزعُـمُ أن مـا هـو قـابـلٌ
لكليهمــا فكقــابــلٍ لمكــانِ
فـافْـرُقْ لنـا فـرقـاً يُبِيـنُ مـواقـعَ الـ
إثبــاتِ والتعطيــلِ بــالبــرهــانِ
أوْ لا فـأعـطِ القـوسَ بـاريهـا وخَـلْ
لِ الفَشْـرَ عنـكَ وكثـرةَ الهَـذَيـانِ(١)

* * *

(١) قال الشيخ ابن عيسىٰ رحمه الله: إذا نفيتم قبوله سبحانه لأن يكون داخل العالم أو خارجه، فهذا كنفي قيامه بالنفس أو بالغير، فإذا قال المعطل: إن قيامه بنفسه أو بغيره باطل، فعلىٰ هذا يستحيل وجوده تعالىٰ وتقدس. ومعلوم أن الخلو عن النقيضين ممتنع، كما أن الجمع بين النقيضين ممتنع.

فصل

في سياق هذا الدليل من وجهٍ آخر

وَسَلِ المعطِّلَ عن مسائلَ خمسةٍ
تُـردي قـواعـدَهُ مـن الأركـانِ[١]

---

(١) حاصل الدليل من وجهٍ آخر أن يُقال:

أولاً: هل ترون أنّ الله سبحانه وتعالىٰ موجودٌ في الأذهان فقط، أو موجودٌ خارج الأذهان؟ فإن قالوا: إنه موجود في الأذهان فقط عطلوا.

ثانياً: إذا قالوا: هو موجودٌ خارج الأذهان فلا بُدَّ أن يُقال مثل ما قيل في الأول، هل ترون أنّه هو هذا العالم، أو هو غير هذا العالم، فإن قالوا: هو هذا العالم، فهذا هو قول أهل وحدة الوجود، وإن قالوا: هو غير هذا العالم يُقال لهم: هل هو داخل العالم أو العالم داخلٌ فيه؟ فإن قالوا: بأحد الأمرين: إنّه داخلُ العالم أو العالم بداخله، يُقال: هذا مذهب الحلولية الذين يقولون: إنّ الله حالٌّ في الكائنات، وهذا أخبث من مذهب النصارىٰ، لأنّ النصارىٰ إنّما قالوا بحلوله في شخص واحد وهو المسيح، وأنتم تقولون: إنّه حالٌّ في كلِّ شيء، وهذا من أبطل الباطل، فإن قالوا: إنّه ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته فهذا هو الحق، فإذاً: يكون مبايناً لخلقه، فيُقال لهم: إذا أقررتم بهذا وأنّه ليس حالاً في خلقه ولا خلقُه حَالٌّ فيه، هل تقولون: إنّه عَرَضٌ لا يقوم بنفسه، كالألوان من البياض والحُمرة والصُفرة فإذا قالوا: إنّه عَرَضٌ لزمهم القول بالحلول، وإن قالوا: إنّه غير عَرَضٍ، إنما هو =

قـلْ للمُعطِّـلِ هـل تقـول إلٰهنـا الـ
ـمَعْبُـودُ حقـاً خـارجَ الأذهـانِ
فـإذا نفـىٰ هـذا فـذاك مُعَطِّـلُ
للـرَّبِّ حقّـاً بـالـغُ الكُفـرانِ[1]
وإذا أقـرَّ بـه فَسَلْـهُ ثـانيـاً
أتُـراهُ غيـرَ جميـعِ ذي الأكـوانِ
فـإذا نفـىٰ هـذا وقـال بـأنَّـهُ
هـو عَينُهـا مـا هـا هنـا غيـرانِ
فقـد ارتـدَىٰ بـالإتحـادِ مُصـرِّحـاً
بـالكفـرِ جـاحِـدَ ربِّـهِ الـرحمٰـنِ[2]
حـاشـا النَّصـارىٰ أنْ يكـونُـوا مثْلَـهُ
وهُـمُ الحَميـرُ وعـابِـدُو الصُّلْبَـانِ

= ذات، ووجودٌ مستقل، فهذه هي النتيجة المطلوبة، أنّ الله جلّ وعلا كائنٌ قبل كلِّ شيء وأنّه بائنٌ من خلقه فيلزم إثبات العلو، لأنّ أليق الجهات في حقِّه سبحانه هو العلو، والمخلوقات كلُّها تحته سبحانه وتعالىٰ، فحصل حينئذٍ في نهاية هذا الدليل المطلوب، وإن قالوا: إنّه لا داخل العالم ولا خارج لعالم ولا فوق ولا تحت لزمهم الباطل، لأنّ هذا ليس له وجود، وهو العدم.

(١) إذا قال: إنّه موجود في الأذهان لا في الأعيان، فهذا تعطيل.

(٢) إذا أقرّ بأنّه خارج الأذهان فتقول: هل وجودُه وجودُ هذه الكائنات فهذا قول أهل وحدة الوجود.

هُـمْ خَصَّصُـوهُ بـالمَسيـحِ وأُمِّـهِ
وأُولاءِ مـا صـانُـوهُ عـنْ حيـوانِ

وإذا أقـرَّ بـأنَّـهُ غيـرُ الـورَىٰ
عَبْـدٌ ومَعبـودٌ همـا شيئـانِ

فـاسألْـهُ هـل هـذا الـورَىٰ في ذاتـه
أم ذاتُـهُ فيـه هنـا أمـرانِ

وإذا أقـرَّ بـواحـدٍ مـن ذَيْنِـكَ الْـ
أمـريـنِ قَبَّـلَ خـدَّه النصـرانـي

ويقـولُ أهـلاً بـالـذي هـو مِثْلُنـا
خشـداشُنـا وحبِيبُنَـا الحقَّـانـي

وإذا نفـىٰ الأمـريـنِ فـاسـألْـهُ إذاً
هـلْ ذاتُـهُ استغنَـتْ عـن الأكـوانِ

فلـذاك قـامَ بنفسِـه أم قـامَ بـالـ
أعيـان كـالأعـراضِ والأكـوانِ[1]

فـإذا أقـرَّ وقـالَ بـلْ هـو قـائِـمٌ
بـالنَّفْـسِ فـاسـألْـهُ وقُـلْ ذاتـانِ

---

(١) إذا أقرَّ بوجود خالق ومخلوق فيُسأل سؤالاً آخر.

هل يقول: إنّه حالٌّ في المخلوقات أو المخلوقات حالَّةٌ فيه فهذا قول الحلولية الذين منهم النصارىٰ القائلين بأن الله حالٌّ في المسيح. فإذا قال هذا وافقهم فقبلوا رأسه رضاً عنه.

بـالنَّفْـسِ قـائمتَـانِ أخْبِـرْنِـي هُمـا
مَثَـــلانِ أو ضِـــدَّانِ أو غيـــرانِ
وعلـىٰ التقـاديـرِ الثـلاثِ فـإنَّـهُ
لـولا التَّبـايُـنُ لـمْ يكـنْ شيئـانِ
ضـدَّيْـنِ أو مِثْلَيْـنِ أو غيـريـنِ كـا
نـا بـلْ هُمـا لا شـكَّ مُتَّحِـدانِ
فلـذاكَ قُلنـا إنَّكُـمْ بـابٌ لِمَـنْ
بـالإتحـادِ يقُـولُ بـلْ بـابـانِ
نَقَّطْتُـمُ لهُـمُ وهُـمْ خَطُّـوا علـىٰ
نُقَـطِ لكُـمْ كمُعَلِّـمِ الصِّبيـانِ

* * *

فصل

في الإشارة إلىٰ الطُّرُقِ النقلية الدالة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ فوق سماواته علىٰ عرشه[١]

ولقد أتانا عَشْرُ أنواعٍ من الْـ
ـمنقولِ في فَوْقيَّةِ الرحمٰنِ[٢]

مع مِثْلِها أيضاً تزيدُ بواحدٍ
ها نحنُ نسرُدُها بلا كِتمانِ[٣]

منها استواءُ الربِّ فوقَ العرشِ في
سَبْعٍ أتَتْ في مُحَكمِ القرآنِ[٤]

---

(١) لما انتهىٰ من الأدلة العقلية الدالة علىٰ علو الله علىٰ خلقه والرد علىٰ المعطلة نفاة العلو، انتقل إلىٰ الأدلة السمعية، والمراد بالسمعية: أدلة الوحي من الكتاب والسنة، وأدلة الوحي كافية بلا شك، ولكن أورد الأدلة العقلية من باب الردِّ عليهم بمذهبهم وسلاحهم، لمّا كانوا لا يستدلون بالأدلة النقلية، أراد أن يسدَّ عليهم الطريق وأن يُناقشهم بمثل سلاحهم فأورد الدليلين السابقين.

(٢) في القرآن، عشرة أدلة علىٰ إثبات العلو، وسيسوقها، وكُلُّها تدل علىٰ فوقية الرحمٰن علىٰ مخلوقاته.

(٣) يعني عشرة مع عشرة المجموع: عشرون دليلاً تزيد بواحد فتكون واحداً وعشرين دليلاً، سيبينها.

(٤) الدليل الأول: «أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ أخبر أنّه استوىٰ علىٰ العرش في سبعة مواضع من كتابه يقول فيها: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] =

وكــذلــك اطَّــرَدَتْ بــلا لامٍ ولَــوْ
كـانـتْ بمعنـىٰ الـلامِ فـي الأذهـانِ
لأتتْ بها في موضعٍ كي يُحْمَلَ الـ
ـبـاقـي عليهـا بـالبيـانِ الثـانـي[1]
ونَظيـرُ ذا إضمـارُهُـم فـي مَـوْضـعٍ
حمْـلاً علـىٰ المـذكُـورِ فـي التِّبْيَـانِ

= والعرش، هو أعلىٰ المخلوقات ليس فوقه مخلوقات، والله جلّ وعلا فوق العرش، فهذا فيه إثبات العلو لله عزّ وجل فوق مخلوقاته.

(١) يقول: كل آيات الاستواء جاءت بلفظ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، بلا لام «استولىٰ» إذ لو حذفت لام «استولىٰ» أصبحت «استوىٰ»، وليس في واحدةٍ منها «استولىٰ» علىٰ العرش باللام حتىٰ تكون هذه الآية مفسَّرةً، فلمّا اطَّردت كلُّها بلا لام «استولىٰ» دلَّ علىٰ أنّ الاستواء غير الاستيلاء، وإنما هو: الارتفاع والعلو كما فسَّرها بذلك السلف، فتفسير الاستواء بالاستيلاء باطلٌ، لأنّه لم يأت به دليل وإنّما زاد المعطلة هذه اللام كما زاد اليهودُ النون في «حطة» فقالوا: «حنطة» فهذه زيادة تُشبه زيادة اليهود لما قيل لهم: قولوا: «حطة» يعني حُطَّ عنّا ذنوبنا، قالوا: «حنطة» وهي الطعام المعروف، فغيَّروا اللفظ وقالوا: «حنطة» لأن الذي يهمهم الأكل فقط ولا يهمهم الاستغفار وطلب المغفرة، وأيضاً: هذا من باب العبث بكتاب الله عزّ وجل، كذلك الأشاعرة علىٰ نفس الخط، عبثوا بكتاب الله فزادُوا هذه اللام، فقالوا بدل «استوىٰ» «استولىٰ».

لا يُضْمِــرُونَ مــع اطِّــرادِ دُونَ ذكْـ
ــرِ المُضْمَـرِ المحـذُوفِ دُونَ بيـانِ
بَـلْ فـي محـلِّ الحـذف يَكْثُـرُ ذِكْـرُهُ
فــإذا هُـــمُ أَلِفُــوهُ إلــفَ لِسَــانِ
حــذفُــوهُ تَخْفيفــاً وإيجَــازاً فــلا
يَخْفَـىٰ المُـرادُ بِـهِ علـىٰ الإنسـانِ
هـذا ومـن عشـريـنَ وجهـاً يبطـلُ الْـ
ـتَفسيـرُ بـاستـولـىٰ لـذي العِـرفـانِ
قــد أُفــرِدت بمُصنــفٍ لإمــام هـٰ
ـذا الشأنِ بحرِ العالَمِ الرَّبّاني[١]

* * *

---

(١) يعني أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، له رسالة في الرد علىٰ تفسير الاستواء بالاستيلاء من عشرين وجهاً وهذه الرسالة موجودة في مجموع الفتاوىٰ.

فصل

هــذا وثــانيهــا صــريــحُ عُلُــوِّهِ
ولــه بحُكــمٍ صــريحِــه لفظــانِ

لفـظُ العلـيِّ ولفظـة الأعلـىٰ مُعَـرْ
رَفَــةً أتــت فيــه لقصــدِ بيــانِ[1]

إنَّ العُلُــوَّ لَــهُ بمُطْلَقِــهِ علــىٰ التْـ
تَعْمِيــمِ والإطــلاقِ بــالبُــرهــانِ

ولـهُ العلـوُّ مـن الـوجـوهِ جميعِهـا
ذاتــاً وقَهْــراً مــع عُلُــوِّ الشــانِ[2]

لكــن نُفَــاةُ عُلُــوِّه سلبُــوهُ إكْـ
ـمَــالَ العلُــوِّ فصــارَ ذا نقصــانِ[3]

---

(١) الدليل الثاني: تصريحُ الله جلَّ وعلا بالعلو علىٰ مخلوقاته، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالعليُّ: معناه العالي علىٰ خلقه بذاته وبقهره وبقدرته سبحانه وتعالىٰ، فالعلو له ثلاثة أنواع: علوُّ الذات فوق مخلوقاته، وعلوُّ القهر، وعلوُّ القدر، كلُّها ثابتةٌ له سبحانه وتعالىٰ.

(٢) عُلوُّ الذات، وعلوُّ القهر وعلوُّ القدر، أمّا من فسَّر العلوَّ بأنّه علوُّ القدر أو علوُّ القهر، فقط، وأنكر عُلوَّ الذات فهو معطّلٌ.

(٣) حيث يُفسرونه بالمعينين فقط، علو القهر والقدر، ويجحدون علو الذات، فصار تفسيرهم ذا نُقصان، وليس هو المطلوب.

حـاشـاهُ مـن إفـكِ النُّفـاةِ وسلبِهِـمْ
فلَـهُ الكمـالُ المطلـقُ الـرّبّـانـي[١]
وعلُــوُّهُ فــوقَ الخليقــةِ كُلِّهــا
فُطِـرَتْ عليـه الخَلْـقُ والثقـلانِ[٢]
لا يستطيـــعُ مُعطِّــلٌ تبــديلَهــا
أبــداً وذلــك سُنَّــةُ الــرَّحمٰــنِ[٣]
كُــلٌّ إذا مــا نــابَــهُ أمــرٌ يُــرىٰ
مُتَـــوَجِّهـــاً بضـــرورةِ الإنســـانِ
نحــو العُلُــوِّ فليـس يطلـبُ خلْفَـهُ
وأمَــامَــهُ أو جــانـبَ الإنســانِ[٤]

---

(١) هذا تنزيه لله تعالىٰ عن هذا التفسير، حاشاهُ، يعني الرب سبحانه وتعالىٰ عن إفكِ هؤلاء، والإفك: معناهُ الكذب، لأنّهم كذبُوا علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ حيث فسَّرُوا علُوَّه بغير معناه الصحيح.

(٢) هذا دليلُ الفطرةِ علىٰ العلوِّ، فالعوام والمتعلمون والجُهَّال والحضر والبدو كلُّهم إذا دعوا الله يتجهون إلىٰ العُلوِّ، ويرفعون أيديهم إلىٰ السماء، وجُوهُهم وقلوبهم تتجه إلىٰ السماء فطرةً، ما تعلَّمُوا ولا درسُوا هذا، وإنما فِطرتُهم هي التي وجَّهتهم إلىٰ جهة العلوّ هذا من أكبر الأدلة علىٰ علوِّ الله سبحانه وتعالىٰ.

(٣) لا يستطيع المُعطِّلةُ تغيير هذه الفِطرة وأن يردُّون هؤلاء عن اتجاههم إلىٰ السماء أبداً ولو عملوا ما عملوا، الفطرة تأبىٰ هذا، قال تعالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

(٤) هذا مطّرد في الناس كلّهم، عند الدعاء يتوجهون إلىٰ العلو ويرفعون =

ونهـــايــةُ الشُّبهــاتِ تشكيــكٌ وتَخْـ
ـمِيـــش وتغبيـــرٌ علـــىٰ الإيمـــانِ
لا يستطيــع تعــارضُ المعلــومِ والْـ
ـمَعقــولِ عنـدَ بـدائِـه الإنسـانِ[١]
فَمِنَ المُحالِ القَدْحُ في المعلُومِ بالشْـ
ـشُبُهـــاتِ هـــذا بيِّـــنُ البُطْـــلانِ
وإذا البــدائــهُ قــابلَتْهــا هــذه الشْـ
ـشُبهـاتُ لـم تحتـجْ إلـىٰ بُطـلانِ
شتــانَ بيــن مقــالــةٍ أوصــىٰ بهــا
بعـــضٌ لبعـــضٍ أوَّلٌ للثـــانـــي
ومقـــالـــةٍ فَطَـــرَ الإلٰـــهُ عبــادَهُ
حقــاً عليهــا مــا هُمــا عِــدْلانِ[٢]

= أيديهم ووجوههم، هذا دليلٌ واضح علىٰ علو الله علىٰ خلقه، لا أحد يتجه يمنة ولا يسرة ولا خلف ولا أمام، وإنما يتجهون إلىٰ العلوّ.

(١) يعني أن المعطلة في شبهاتهم وفي تلبيساتهم لا يستطيعون أن يُغيِّروا هذه الفطرة في الناس وفي المخلوقات، فشبهاتهم تبقىٰ دائرةً عليهم فقط مُحاصرةً فيهم ليس لها سريان في الخلق.

(٢) يعني أنّ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لا تستوي مع مذهب من المذاهب التي أحدثوها وتواصوا بها، وأوصوا بها تلاميذهم، هذه لا تُعطِّل الفطرة أبداً، وإن درَّسُوها لتلاميذهم وزوَّقُوها بالحُجج الداحضة فإنها لا تتعدَّىٰ مكانها.

فصل

هذا وثالثُها صريحُ الفَوْقِ مصـ
ـحوباً بـ«من» وبدونها نوعانِ[١]

إحداهُما هو قابِلُ التأويلِ والْـ
أصْلُ الحقيقةُ وحدَها ببَيانِ

فإذا ادَّعىٰ تأْويلَ ذلك مُدَّعٍ
لمْ تُقْبَلِ الدَّعوىٰ بلا بُرهانِ

لكنَّما المجرورُ ليس بقابلِ التْـ
تَأويلِ في لغةٍ وعُرْفِ لسانِ[٢]

وأصِخْ لفائدةٍ جَليلٍ قَدْرُها
تَهْديكَ للتَّحْقيقِ والعرفانِ

إنَّ الكلامَ إذا أتىٰ بسياقِهِ
يُبْدي المُرادَ لِمَنْ لهُ أُذُنانِ

---

(١) الدليل الثالث علىٰ علوِّ الله أنّ الله وصف نفسه بالفوقية مسبوقة بـ«من» وبدونها، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٥٠]، والفوقية: معناها العلو، فهو فوق كلّ شيءٍ سبحانه وتعالىٰ.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ جاءت بـ«مِنْ» مجرورة ففي ذلك إثبات علو الله سبحانه علىٰ خلقه، وإن أوّلوا «فوقهم» التي بدون «من» بأنه فوقهم بالقدر والقهر لا بالذات، فإنهم لا يستطيعون تأويل المجرور بـ«من» في ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ فإنه لا يحتمل غير علوِّ الذات.

أضحىٰ كنصٍّ قاطعٍ لا يَقبلُ التْـ
تَأويلَ يَعْرِفُ ذا أُولُو الأذهانِ
فسياقَةُ الألفاظِ مِثْلُ شواهدِ الْـ
أحوالِ إنَّهما لنا صِنوانِ
إحداهُما للْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا
لكِنَّ ذاكَ لِمَسمَعِ الإنسانِ
فإذا أتىٰ التَّأويلُ بعدَ سياقةٍ
تُبدي المُرادَ أتىٰ علىٰ استهجانِ
وإذا أتىٰ الكتْمانُ بعدَ شواهدِ الْـ
أحوالِ كان كأقبَحِ الكتْمانِ
فتأمَّلِ الألفاظَ وانظُرْ ما الذي
سيقَتْ لَهُ إنْ كُنْتَ ذا عِرْفانِ
والفَوْقُ وصفٌ ثابتٌ بالذَّاتِ مِنْ
كُلِّ الوجوهِ لفاطِرِ الأكْوانِ
لكنْ نُفاةُ الفوقِ ما وافَوْا بهِ
جَحَدُوا كمالَ الفَوقِ للدَّيَّانِ
بل فَسَّروهُ بأنَّ قَدْرَ الله أعْـ
ـلَىٰ لا بفوقِ الذاتِ للرحمٰنِ[1]

---

(١) يقول: إنّ المعطلة يُفسِّرون الفوقية بفوقية القَدْر لا بفوقية الذات كما تقول: الذهب فوق الفضة، أي: في القَدْر فنقول: هذا ليس فيه مدح، =

قـالـوا وهـذا مثـلُ قـوْلِ النَّـاسِ فـي
ذَهَـبٍ يُـرىٰ مِـنْ خَـالِـصِ العِقْيَـانِ
هـو فـوقَ جنْـسِ الفِضَّـةِ البيْضـاءِ لا
بـالـذَّاتِ بـلْ فـي مُقتَضـىٰ الأثْمـانِ
والفـــوقُ أنـــواعٌ كُلُّهـــا
لله ثـــابتـــةٌ بـــلا نُكـــرانِ[1]
هـذا الـذي قـالـوا وفـوقَ القَهْـرِ والْـ
ـفـوْقِيَّـةُ العُليـا علـىٰ الأكـوانِ

* * *

= فأنت إذا قلت: السيف فوق العصا، لم يكن في هذا مدح للسيف، قال الشاعر:

ألم تر أنّ السيفَ ينقص قَدْرُهُ إذا قيل إنّ السيف أمضىٰ من العصا

فهذا ليس فيه مدحٌ، وصفاتُ الله إنما جاءت بالمدح والثناء علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، فالنفاة جحدوا معنىً من معاني الفوقية، وهو فوقية الذات.

(١) وهذه الثلاث التي هي فوقية الذات وفوقية القَدْر وفوقية القهر كلها ثابتة لله.

فصل

هــذا ورابعُهــا عــروجُ الــروحِ والْـ
أمــلاكِ صــاعــدةً إلـىٰ الـرحمٰــنِ[١]
ولقد آتىٰ في سورتين كلاهما اشْـ
ـتَمـلا علـىٰ التقـديـرِ بـالأزمـانِ
فــي ســورةٍ فيهــا المعــارجُ قُــدِّرت
خمسيـنَ ألفـاً كـامـلَ الحُسبـانِ[٢]
وبسجــدةِ التنــزيــلِ ألفــاً قُــدِّرَتْ
فــلأجـلِ ذا قــالــوا هُمــا يــومــانِ
يــومُ المعــادِ بـذي المعــارجِ ذكـرُهُ
واليـومُ فـي «تنـزيـلِ» فـي ذا الآنِ[٣]

---

(١) الرابع من أدلة العلو إخبارُهُ سبحانه وتعالىٰ أنّه تعرُج إليه الملائكة والروح، والعروج معناهُ: الصعُود إلىٰ أعلىٰ، ومنه: معراجُ النبيِّ ﷺ في الإسراء، أي: رفعُه إلىٰ السماء قال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وهذا فيه إثبات علو الله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) في سورة السجدة قُدِّر العروج بألف سنة، وفي سورة المعارج قُدِّر بخمسين ألف سنة؟ وهذا فيه إشكال وللعلماء عنه أجوبةٌ كثيرة.

(٣) قيل: هذا محمول علىٰ أن هناك عروجين عروج في الدنيا وعروج في يوم القيامة؛ فالعروج الذي يكون في يوم القيامة مقدارُه خمسون ألف سنة، أمّا العروج الذي في الدنيا فهو في ألف سنة، فهما يومان مختلفان ليس =

وكــلاهُمــا عنــدي فيــومٌ واحــدٌ
وعُــروجُهــم فيــه إلــىٰ الــدَّيَّــانِ[1]

فــالألــف فيــه مســافــةٌ لنــزولهــم
وصعــودِهِــمْ نحــو الــرفيــعِ الــدانــي

هــذي السمــاء فــإنَّهــا قــد قُــدِّرَتْ
خمسيــنَ فــي عَشْــرٍ وذا صِنْفــانِ

لكنمــا الخمســونَ ألــفَ مسافــةِ السْـ
ـسَبْعِ الطبــاق وبُعْــدُ ذي الأكــوانِ[2]

= العروج الذي في سورة المعارج(*) هو العروج الذي في سورة السجدة(**)، بل هما عروجان مختلفان، هذا في وقت وهذا في وقت، ولا تنافي بينهما.

(١) لا يرضىٰ ابن القيم هذا التفريق فيقول: هما يومٌ واحد ما بينهما فرق.

(٢) الجواب الذي ارتضاه أنّ اختلاف الآيتين في التقدير إنما هو اختلاف السرعة في الصعود، فالصعود مختلف فمنه نوعٌ يكون في ألفِ سنةٍ، ومنه نوعٌ يكون في خمسين ألف سنة، فهذا الاختلافُ لاختلاف نوع الصعود، مثلاً: السائرون في الطريق منهم من يقطعه في يوم، ومنهم من يقطعه في عشرة أيام، لاختلاف السير، فالمُسرع يقطعُه بسرعة، والمتباطىء يقطعه =

(*) المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

(**) المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

من عرشِ ربِّ العالمينَ إلىٰ الثَّرَىٰ
عندَ الحضيضِ الأسفلِ التحتاني[١]
واختارَ هذا القولَ في تفسيره الْـ
ـبغويُّ ذاك العالمُ الرباني[٢]
ومجاهدٌ قد قالَ هذا القولَ لـ
ـكنَّ ابْنَ إسحاقَ الجليلَ الشانِ[٣]
قالَ المسافةُ بيننا والعرشِ ذا الْـ
ـمقدارُ في سيرٍ من الإنسانِ
والقولُ الأولُ قولُ عكرمةٍ وقَوْ
لُ قَتادةٍ وهُما لنا عَلَمانِ[٤]
واختارَهُ الحسنُ الرِّضا ورواه عن
بحرِ العلومِ مُفسِّرِ القرآنِ

= ببطْءٍ فهو راجعٌ إلىٰ اختلاف السير، وقيل: إنّ المراد بالألف: من الأرض إلىٰ السماء الدنيا، والمراد بخمسين ألف: من تخوم الأرض السابعة إلىٰ السماء السابعة فيكون اختلاف العروج لاختلاف المسافات.

(١) يقول: المسافة التي هي خمسون ألف سنة من الثرىٰ إلىٰ العرش، أما مسافة الألف فهي من الثرىٰ إلىٰ السماء الدنيا فقط.

(٢) البغوي هو الحسين بن مسعود البغوي، إمام جليل، يسير علىٰ مذهب السلف، وتفسيره قيّم.

(٣) ومجاهد بن جبر التابعي الجليل تلميذ الصحابي الجليل عبد الله بن عباس.

(٤) يقول ابن إسحاق: اختلاف التقدير بخمسين ألف أو بألف، إمّا لاختلاف المسافة طولاً وقِصراً، وإمّا لاختلاف السير.

ويُـرَجَّـحُ القـولَ الـذي قـد قـالَـه
سـاداتُنـا فـي فَـرْقِهـم أمـرانِ[1]
إحـداهُمـا مـا فـي الصحيحِ لمـانـعٍ
لـزكـاتـه مـن هـذه الأعيـانِ
يُكـوَىٰ بهـا يـومَ القيـامـةِ ظهـرُه
وجبينُـه وكـذلـك الجَنْبـانِ
خمسـون ألفـاً قَـدْرُ ذاك اليـومِ فـي
هـذا الحـديـثِ وذاك ذو تِبْيَـانِ
فالظاهرُ اليومانِ في التوجهيْنِ يَوْ
مٌ واحـدٌ مـا إن همـا يـومـانِ[2]

---

(١) اختار القول الذي رجحه الناظم جماعة منهم الحسن وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) يعني قوله تعالىٰ في مانع الزكاة: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ ﴾ [التوبة: ٣٥] يعني أن الذهب والفضة التي لا تخرج زكاتها فإنها تُحضر يوم القيامة وتحمىٰ في نار جهنم، وتكوىٰ بها جباههم وظهورهم وجنوبهم ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ ﴾ [التوبة: ٣٥]، يعني لم تُخرجوا زكاتَه، وكم المدة التي يُكوىٰ بها؟ ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] كما في الحديث الصحيح(*). =

(*) ورد في «صحيح مسلم» (٩٨٧) (٢٤) عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صُفِّحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوىٰ بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتىٰ يقضىٰ بين العباد، فيرىٰ سبيله إما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار».

قــالــوا وإيــرادُ السِّيــاقِ يُبيِّــنُ الـْ
ـمضْمُــونَ منْــهُ بــأوضَــحِ التِّبيــانِ

فـانظُـرْ إلىٰ الإضمـارِ ضِمْـنَ يـرَونَـهُ
ونـــراهُ مـــا تفسيـــرُهُ بِبَيـــانِ

فـاليـوْمُ بـالتَّفْسيـرِ أولـىٰ مِـنْ عـذا
بِ واقـــعٍ للقُـــرْبِ والجيـــرانِ

ويكونُ ذكرُ عُرُوجِهِمْ في هذِهِ الدْ
دُنْيــا ويــوْمَ قيــامَــةِ الأبــدانِ

فنـزُولُهُـمْ أيضـاً هُنـالِـكَ ثـابِـتٌ
كنُــزُولِهِــم أيضــاً هُنَــا للشَّــانِ

وعُــرُوجُهُــمْ القَضَــا كعُــرُوجِهِــمْ
أيضـــاً هُنـــا فلَهُـــمْ إذاً شـــأْنـــانِ

ويـزولُ هـذا السقـفُ يـومَ معـادِنَـا
فعُــروجُهُــمْ للعَــرشِ والــرَّحمٰــنِ

هذا وما اتضحَتْ لديَّ وعلمُها الْـ
ـمــوكــولُ بَعْــدُ لِمُنْــزِلِ القــرآنِ[1]

= يقول فالظاهرُ أن اليومين المذكورين في الآية والحديث يوم واحد هذا مقداره.

(١) لما ذكر الأقوال في الاختلاف في تقدير المسافة في الآيتين، توقَّف وقال: ما ترجح عندي شيءٌ من هذه الأقوال، لكن الآيات بقطع النظر =

وأعـوذُ بـالـرَّحمٰـنِ مِـنْ جـزْمٍ بِـلا
عِلْـمٍ وهـذا غـايـةُ الإمكـانِ

واللهُ أعلَـمُ بـالمُـرادِ بقـوْلِـهِ
ورسُـولُـهُ المبعُـوثُ بـالفُـرقـانِ

* * *

= عن اختلاف المدة فيها، تدل علىٰ علوِّ الله؛ لأن فيها العروج، والعروج: هو الصعود، أمّا مسألة تقدير العروج بخمسين ألف سنة أو بألف سنة، فهذا يُردّ علمُه إلىٰ الله، واللهُ أعلم بمُراده منه، وهذا هو الجواب السليم.

فصل

هـذا وخـامِسُهـا صعـودُ كـلامِنـا
بـالطيبـاتِ إليـه والإحسـانِ[1]
وكـذا صُعُـودُ البـاقيـاتِ الصّـالحَـا
تِ إليـهِ مِـنْ أعمـالِ ذي الإيمـانِ
وكـذا صُعـودُ تَصَـدُّقٍ مِـن طيِّـبٍ
أيضـاً إليـه عنـدَ كُـلِّ أوانِ[2]
وكـذا عـروجُ مـلائـكٍ قـد وُكِّلُـوا
مِنّـا بـأعمـالٍ وهُـمْ بـدلانِ[3]

---

(١) الدليل الخامس من أدلة العلو، أنّ الله أخبر بصعود الكلم الطيب والعمل الصالح، فقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] والصعود معناه: الارتفاع إلىٰ أعلىٰ، فدلَّ علىٰ علوِّ الله علىٰ مخلوقاته، وأنّه تصعد إليه الأقوال الصالحة والأعمال الصالحة.

(٢) وكذا صعود الصدقة إلىٰ الله، يدل علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه، لأنّ الصعودَ لا يكون إلاّ من أسفل إلىٰ أعلىٰ.

(٣) يعني تصعد إليه ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ينزلون ويصعدون كما أخبر النبيُّ ﷺ أنهم ينزلون إلينا ويصعدُون إلىٰ الله، ملائكةٌ بالليل يأتون في صلاة العصر ويستمرون إلىٰ الفجر، وملائكة بالنهار يأتون في الفجر ويبقون إلىٰ العصر، يُحصون أعمال بني آدم خيرها وشرّها، ويصعدون =

فـإليـه تَعْـرُجُ بُكْـرَةً وعشيَّـةً
والصبـحُ يَجمعُهـم علىٰ القـرآنِ(١)
كـيْ يشهـدُونَ ويعـرُجُـونَ إليـهِ بـالْـ
أعمـالِ سُبحـانَ العظيـمِ الشَّـانِ
وكذاك سَعْيُ الليلِ يرفعُهُ إلىٰ الرْ
رَحْمٰـن مِـن قَبْـلِ النهـارِ الثـانـي(٢)

= بها إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ(*).

(١) بكرةً: يعني في الفجر، وعشيةً: يعني في العصر، ولهذا قال الله جلّ وعلا في صلاة الفجر: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] يعني تحضُرُه ملائكة الليل وملائكة النهار ويجتمعون في صلاة العصر كذلك، ولذلك صارت صلاة العصر الصلاة الوسطىٰ، والله جُلَّ وعلا يقول: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وهي صلاة العصر، لفضلها ولشهود الملائكة لها، وصلاة الفجر سميت قرآناً؛ لأنها تُطَوَّل فيها القراءة، وقوله: «مشهوداً» يعني تحضُره الملائكة.

(٢) ومن أدلة علوِّ الله أنه «يُرفَعَ إليه عملُ الليل قَبْلَ عملِ النهارِ وعملُ النهارِ قبلَ عملِ الليل» كما في الحديث(**)، والرفعُ يكون إلىٰ الأعلىٰ.

(*) ورد ذلك في حديث أخرجه أحمد في «المسند» ٢٠٩/١٦ (١٠٣٠٩) وهو في البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، من حديث أبي هريرة، وأوله: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر...» الحديث.

(**) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٣) (١٧٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري.

وكــذاك سعــيُ اليــومِ يَـرْفَعُــهُ لــه
مِــن قَبْـلِ ليـلِ حــافِــظُ الإنســانِ
وكـذاك مِعـراجُ الـرسـولِ إليـه حَـقْ
قٌ ثـابــتٌ مــا فيــه مِــنْ نُكــرانِ(١)
بـل جـاوزَ السبـعَ الطبـاقَ وقـد دنـا
منــهُ إلــىٰ أن قُــدِّرَتْ قــوســانِ(٢)

---

(١) ومن أدلة علو الله أنه قد ثبتَ في القرآنِ وفي الأحاديث الصحاح(*) عروجُ النبيِّ ﷺ من بيتِ المقدس إلىٰ الربِّ سبحانَه وتعالىٰ، وهذا في سورة النجم قال تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٥-٩] فدلَّ هـذا علىٰ أن الرسول ﷺ صعد إلىٰ الأفق الأعلىٰ، والأحاديث الصحيحة تثبت عروج النبي ﷺ، وأمّا الإسراء وهو ذهاب الرسول ﷺ ليلاً من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، فالإسراء بالنبي ﷺ هو الذهاب به ليلاً من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ، وأمّا المعراج فهو الصعود به من المسجد الأقصىٰ إلىٰ السمٰوات العُلىٰ في ليلة واحدة.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، يعني فهو قد قرب من الله.

(*) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/ ٥-٤٥ أول تفسير سورة الإسراء حيث أورد الحافظ ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج.

بـل عـادَ مِـن مـوسـىٰ إليـه صـاعـداً
خمساً عِدَادَ الفرضِ في الحُسبانِ[١]

وكذاك رَفْعُ الرُّوْحِ عيسىٰ المُرتضىٰ
حقـاً إليــه جـاء فــي القــرآنِ[٢]

وكــذاك تصعَــدُ رُوْحُ كـلِّ مصــدِّقٍ
لمّــا تفــوزُ بفُــرقــةِ الأبــدانِ[٣]

---

(١) كان ﷺ ينزل من عند الله إلىٰ موسىٰ، ثم يسألُه موسىٰ: ما فرض الله علىٰ أمتك فيقول: خمسون صلاةً في اليوم والليلة فيأمره موسىٰ أن يسأل ربه التخفيف عن أمته فما يزال يتردد بين موسىٰ وربه يصعد وينزل حتىٰ خفَّف الله عنه الخمسين إلىٰ خمس صلوات(*) فهذا يدل علىٰ علو الله علىٰ خلقه.

(٢) من أدلة العلو أن الله جلّ وعلا صرّح بالرفع إليه، والرفع إنّما يكون إلىٰ أعلىٰ قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] فالرفع يقتضي أنّه رُفع من الأرض إلىٰ الله في السماء، فدل هذا علىٰ علو الله، لأنّ الرفع لا يكون إلا إلىٰ أعلىٰ.

(٣) كذلك من أدلة العلو أنّ أرواح المؤمنين عندما تقبض بالموت تُرفَع إلىٰ السماء وتُفتح لها أبواب السماء ثم يأمر الله بها فتُعاد إلىٰ الأرض بعد إكرامها، وأمّا أرواح الكفار فإنّها تصعدُ ولكن تُغلق دونها أبواب السماء وتُطرح إلىٰ الأرض(**)، كما قال تعالىٰ: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ =

(*) انظر حديث أنس بن مالك في «صحيح البخاري» (٣٢٠٧)، و«صحيح مسلم» (١٦٢) وفيه قصة فرض الصلاة.

(**) ورد ذلك في جديث أبي هريرة، أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/ ٣٧٧-٣٧٨ (٨٧٦٩) وهو حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

حقـــاً إليـــهِ كَـــيْ تَفُـــوزَ بِقُـــرْبِـــهِ
وتعُـــودَ يـــومَ العـــرضِ للجُثمـــانِ
وكـذا دُعـا المُضْطَـرِّ أيضـاً صـاعِـدٌ
أبـــداً إليـــه عنـــد كـــلِّ أوانِ[١]
وكـذا دُعـا المظلُـومِ أيضـاً صـاعِـدٌ
حقـــاً إليـــهِ قـــاطِـــعَ الأكـــوان

* * *

= [الأعراف: ٤٠] يعني عند موتهم ولا تدخل أرواحهم إلىٰ السماء لخبثها، فدلَّ هذا علىٰ علوِّ الله سبحانه وتعالىٰ.

(١) كذلك ارتفاع دعوات الداعين، فإنها تُرفع إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ولا سيما دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب[*]، وهذا من أدلة العلو أيضاً.

(*) ورد ذلك في حديث ابن عباس، أخرجه أحمد في «المسند» ٣/٤٩٨ (٢٠٧١) والبخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩) (٢٩).

فصل

هـذا وسـادِسُهـا وسَـابعُهـا النـزو
لُ كـذلـكَ التنـزيـلُ للقـرآنِ[١]

واللهُ أخبـرنـا بـأنَّ كتـابَـهُ
تنـزيلُـهُ بـالحـقِّ والبُـرهـانِ

أيكـونُ تنـزيـلاً وليس كـلامَ مَـنْ
فـوق العبـادِ أذاكَ ذو إمكـانِ[٢]

أيكُـونُ تنـزيـلاً مـن الـرَّحمٰـنِ والـرْ
رَحْمٰـنُ ليـسَ مُبَـايِـنَ الأكْـوانِ

وكـذا نـزولُ الـرَّبِ جـلَّ جـلالُـه
في النصفِ من ليلٍ وذاك الثاني[٣]

---

(١) السادس والسابع من أدلة العلو: النزول والتنزيل منه سبحانه وتعالىٰ، والتنزيل والنزول إنما يكون من أعلىٰ إلىٰ أسفل، فأخبر الله جلّ وعلا أنّه يُنَزِّل الملائكة ويُنزِّل الوحي من عنده إلىٰ أنبيائه ورسله قال تعالىٰ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٢] يعني الرسل عليهم الصلاة والسلام، والنزول يكون من أعلىٰ إلىٰ أسفل، فدلَّ علىٰ علو الله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ الجهمية الذين يقولون: إن القرآن مخلوق وليس منزلاً، وكيف يكون مخلوقاً وهو مُنزَّل من الله.

(٣) كذلك من أدلة العلو ما صحَّ في الحديث: في قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلىٰ سماء الدنيا كلَّ ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر فيقول: من يسألني فأعطيه =

فيقُـولُ لسـتَ بسـائـلٍ غيـرِي بـأحْـ
ـــوالِ العبـادِ أنـا العظيـمُ الشَّـانِ
مَـنْ ذاكَ يسـألُنـي فيُعطَـىٰ سُـؤْلَـهُ
مَـنْ ذا يَتُـوبُ إلـيَّ مِـنْ عِصْيَـانِ
مـن ذاكَ يسـألُنِـي فـأغْفِـرَ ذنْبَـهُ
فـأنـا الـودُودُ الـواسِـعُ الغُفـرانِ
مَـنْ ذا يُـريـدُ شِفـاءَهُ مِـنْ سُقْمِـهِ
فـأنَـا القَـرِيـبُ مُجيـبُ مَـنْ نـادانـي
ذا شـأنُـهُ سُبحـانَـهُ وبحمـدِهِ
حتـىٰ يكـونَ الفجـرُ فجـراً ثـانـي[1]
يـا قـومُ ليـس نـزولُـهُ وعلُّـوهُ
حقّـاً لـديكُـمْ بـلْ هُمـا عـدمـانِ[2]

= من يستغفرني فأغفر له، من يدعوني فأستجيب له، إلىٰ أن يطلع الفجر» [*]
فنزوله جل وعلا يدلُّ علىٰ علوه، لأن النزول لا يكون إلا من أعلىٰ.

(١) يعني أنه سبحانه لا يزال يقول: «من يدعوني»، إلخ حتىٰ يطلع الفجر الثاني.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ نفاة العلو، يقول: هذا عندكم ليس بحق، يعني كلام الله وكلام الرسول ليس بحقٍّ عندكم، لأنكم إذا نفيتم العلو معناه أنكم رددتم علىٰ الله وعلىٰ رسوله، وأبطلتم كلام الله وكلام رسوله، تعالىٰ الله عن ذلك.

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ١٥/ ٢٥٦ (٩٤٣٦)، والبخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، والترمذي (٤٤٦) من حديث أبي هريرة.

وكـــذا يقُـــولُ ليـــسَ شيئـــاً عنـــدَكُـــمْ
لا ذا ولا قـــــولٌ سِـــــواهُ ثـــــانـــــي

كـــــلٌّ مجـــــازٌ لا حقيقـــــةَ تحتَـــــهُ
أوِّلْ وَزِدْ وانْقُـــصْ بـــلا بُـــرهـــانِ[1]

* * *

(١) هذا مذهبهم، إذا أعجزهم تكذيب النص، ذهبُوا يؤوّلونه ويُفسرونه بغير تفسيره، وهذا باطل فهم يقولون: هذا مجاز ليس بحقيقة فنفي الحقيقة عنه تكذيبٌ له بطريقة ملتوية، بدل أن يقولوا: هذا كذب، وهذا غير صحيح، احتالوا وذهبوا يؤولون بمعانٍ غير مُرادة لله ولا رسوله، وهذا هو التكذيب، فيقولون: ينزل ربنا إلىٰ سماء الدنيا، يعني ينزل أمرهُ، نقول لهم: هل أمرُه يقول: مَن يسألني فأُعطيه، من يستغفرني فأغفر له، من يدعوني فأستجيب له؟ هل الأمر يتكلّم ويقول هذا؟ أم الله جلّ وعلا.

فصل

هــذا وثــامِنُهــا بســورةِ غــافــرٍ
هُــوَ رِفْعَــةُ الــدرجـاتِ للــرحمٰــن[١]
درجــاتُــهُ مــرفــوعــةٌ كمعــارجٍ
أيضــاً لــه وكــلاهمــا رَفْعَــانِ[٢]
وفعيــلُ فيهــا ليس معنــىٰ فــاعــلٍ
وسِيــاقُهــا يــأبــاهُ ذو التِّبيــانِ[٣]
لكنَّهــا مَــرفــوعــةٌ درجــاتُــهُ
لكمــالِ رفْعَتِــه علــىٰ الأكــوانِ
هـذا هـو القـولُ الصحيحُ فـلا تَحِـدْ
عنــه وخُــذْ معنــاهُ فــي القــرآنِ
فنظيــرُهــا المُبْــدي لنـا تفسيــرُهــا
فــي ذي المعــارجِ ليس يفتــرقــانِ

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ [غافر: ١٥]، أخبر أنّه رفيع الدرجات، فهذا يدل علىٰ العلو، لأنّ الرفعة معناها: «العلو».

(٢) كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] جمع معراج: وهو الصعود.

(٣) رفيع اسم مفعول بمعنىٰ مرتفع، أي أن «فعيل» بمعنىٰ «مفعول» لا بمعنىٰ «فاعل». والمعطلة يقولون: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ يعني رافع درجات المؤمنين، وهذا غلط، بل رفيع معناه: مرتفع.

والـرُّوْحُ والأمـلاكُ تَصْعَـدُ فـي معـا
رِجِـــه إليـــه جـــلَّ ذو السلطـــانِ
ذا رِفْعَـةُ الـدَّرجـاتِ حقـاً مـا هُمَـا
إلا ســـــواءً أو هُمـــــا شبْهَـــانِ
فخُـذِ الكتـابَ ببعضِـه بعضـاً كـذا
تفسيـــرُ أهـــلِ العلـــمِ للقـــرآنِ(١)

* * *

(١) تفسير (رفيع) بمعنىٰ (مرتفع) هو التفسير الصحيح الذي يدل عليه القرآن لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً عند أهل العلم. فيرد بعضه إلىٰ بعض حتىٰ يتضح معناه. ولا يؤخذ بعضه دون بعض كما هي طريقة أهل الضلال.

فصل

هـذا وتـاسعُهـا النصـوص بـأنَّـهُ
فـوقَ السمـاءِ وذا بـلا حُسبـانِ
فاستحضِرِ الوحْيَيْنِ وانظرْ ذاكَ تلْـ
ـقـاهُ مُبينـاً واضـحَ التبيـانِ
ولسوف نذكر بعض ذلك عن قريـ
ـبِ كـي تقـومَ شـواهـدُ الإيمـانِ
وإذا أتتـكَ فـلا تكُـنْ مستـوحِشـاً
منهـا ولاتَـكُ عنـدَهـا بجَبـانِ[1]

---

(١) الدليل التاسع علىٰ علوِّ الله علىٰ مخلوقاته: ما جاء في القرآن من أنّ الله جلَّ وعلا في السماء، كما قال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك: ١٦-١٧]، وقال ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين مَن في السماء»(*) وقال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء(**) فهذه نصوص من القرآن ومن السنة علىٰ وصف الله جلّ وعلا أنّه في السماء، والسماء يُفسَّر بتفسيرين: =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٧/ ٤٦ (١١٠٠٨)، والبخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٩/ ١٧٥-١٧٦ (٢٣٧٦٢)، ومسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السُّلَمي.

....

= الأول: السماء بمعنىٰ: العلو فكلُّ ما علا وارتفع يقال لهُ: سماء، فعلىٰ هذا تكون «في» ظرفية علىٰ بابها، ويكون «من في السماء» يعني مَنْ في العلو.

الثاني: أن المراد بالسماء: السبع الطباق المبنية، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [الطلاق: ١٢]. وتكون «في» بمعنىٰ «علىٰ» فمعنىٰ ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك:١٦] علىٰ السماء و«في» في اللغة العربية تأتي بمعنىٰ: «علىٰ» كما في قوله: ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] يعني: علىٰ الأرض، وقوله تعالىٰ فيما حكاه عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾[طه: ٧١] يعني: علىٰ جذوع النخل، وعلىٰ كلا التفسيرين فالآيات فيها إثبات العلو لله تعالىٰ فوق سماواته. قوله: «بلا حسبان»: يعني بلا عدد، بل هي أدلة كثيرة، لكن من أظهرها هذه الآيات وهذه الأحاديث.

وقوله: «فاستحضر الوحيين» المراد بالوحيين: الكتاب والسنة، لأنّهما وحيٌ من الله سبحانه وتعالىٰ، القرآن وحيٌ من الله، والسنة وحيٌ من الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، والله جلَّ وعلا أخبر أنّ السنة وحيٌ يُوحىٰ من الله سبحانه وتعالىٰ، وليس هي من عند الرسول ﷺ، إنّما الذي من عند الرسول هو اللفظ.

أمّا معنىٰ الأحاديث: فوحيٌ من الله سبحانَه وتعالىٰ، أمّا القرآن، فإنّه من الله لفظُه ومعناه.

إذا سمعت هذه النصوص وجب عليك الإيمان بها وإثباتُها من غير تشكك وحيرة؛ لأنها كلام الله سبحانه وتعالىٰ وهو حق لا شك فيه، فلا تفعل مثل ما تفعل الفرق الضالة إذا سمعت هذه النصوص حصل عندها حيرة واضطراب ونفور؛ لأنّ فِطرها قد تغيَّرت وتكدَّرت بالشبهات، فهم إذا سمعوا النصوص المُحكمة استوحشوا وتهيبُوا لفسادِ فِطرتهم، أمّا أهل =

ليســتْ تَــدُلُّ علــىٰ انحصــارِ إلٰهِنــا
عقــلاً ولا عُــرفــاً ولا بلســانِ[١]
إذ أجمــعَ السلــفُ الكــرامُ بــأنَّ مَعْـ
ـنــاهــا كمعنــىٰ الِفــوقِ بــالبــرُهــانِ
أو أنَّ لفــظَ سَمــائِــهِ يُعْنــىٰ بِــهِ
نَفْــسُ العُلُــوِّ المُطْلــقِ الحقَّــانــي

= الإيمان فإنّهم يُقابلون هذه النصوص بالرضا والتسليم ولا يشكون فيها؛ لأنّها كلام الله سبحانه وتعالىٰ، وهو أعلم بنفسه سبحانه، ورسوله وهو أعلم الخلق بربه عزّ وجلّ، فالذي يكون عنده شك فيها معناه: أنّه لا يثق بكلام الله ولا بكلام الرسول ﷺ، وهو دليلٌ علىٰ ضلاله وانحرافه.

(١) هذا ردٌّ علىٰ أهل الضلال الذين يقولون: لو أثبتنا ما في هذه النصوص لصار الله في جهة تحويه من المخلوقات، فنقول: كلاّ، فالله جلَّ وعلا أعظم من ذلك، ولا يلزم من العلو أن يكون حالاً في سمواته؛ لأنّه أعظم من كلِّ شيء، وهذه المخلوقات بالنسبة له ليست بشيء، وكيف تُقِلُّه أو تُظِلُّهُ، ولهذا يقول شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: «من ظنَّ، أنّ معنىٰ قول الله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أن السماء تُظلُّه أو تُقِلُّه فهذا باطلٌ بإجماع أهل العلم والدين». فليس معنىٰ أنّه في السماء أنّ السماءَ تقلّه كما يُقل الراكب مركوبه، أو تُظلُّه كما يكون الإنسان محوياً في منزلٍ أو تحت سطح، حاشا وكلا بالنسبة لله عز وجل، فليس هو حالاً في مخلوقاته، وليست مخلوقاته بالنسبة إليه بشيء، وليست تُمسِكُه أو هو محتاجٌ إليها، بل هو الذي يُمسِكُها وهي المُحتاجة إليه، فليس معنىٰ أنّه في السماء: أنّه محتاجٌ إلىٰ السماء، بل السماء محتاجةٌ إليه، وهو الذي يُمسكُها سبحانه وتعالىٰ بقدرته وعلمه، فالعقل لا يتصور بأنّ السماء تُقلُّه أو تُظِلُّه.

والـربُّ فيـه وليـس يحصُـرُهُ مِـن الْـ
ـمخلـوقِ شـيءٌ عـزَّ ذُو السطـانِ
كـلُّ الجهـات بـأسـرهـا عَـدَميّـةٌ
فـي حقّـه هـو فـوقَهـا ببيـانِ[١]
قـد بـانَ عنهـا كُلَّهـا فهـو المحيـ
ـطُ ولا يُحـاطُ بخـالـقِ الأكـوانِ[٢]
مـا ذاك ينقِـمُ بَعْـدُ ذو التعطيـلِ مِـنْ
وَصْـفِ العُلُـوِّ لـربِّنـا الـرحمٰـنِ[٣]

---

(١) هو أعظم من كل شيء، فكيف تحصره المخلوقات؟ سبحانه وتعالىٰ، بل هي بالنسبة إليه ليست بشيء، والله جلّ وعلا يقبض الأرض ويطوي السمٰوات بيمينه، كما جاء في الحديث[*]، فهو أعظم من كلِّ المخلوقات فكيف تحويه وهو أعظم منها.

والجهات المعروفة التي هي: الشمال والجنوب والشرق والغرب عدمية بالنسبة إليه، هو في جهة العلو سبحانه وتعالىٰ، في غير جهةٍ مخلوقة، فهو خارج الجهات المعروفة وفوق مخلوقاته سبحانه من جهات وغيرها، فهو في جهة غير مخلوقة، ليست من الجهات المخلوقة.

(٢) هو المحيط بجميع مخلوقاته، ولا تحيط به سبحانه وتعالىٰ.

(٣) ما دام أنه قد تبين هذا المعنىٰ وتوضَّح من كلام الله وكلام رسوله ومن لغة العرب، فما الذي ينقمُه المعطل الذي ينفي العلو ممن يثبت العلو كما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله؟ وما هي شُبهتُه، ليس له شُبهة.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/ ٤٥١-٤٥٢ (٨٨٦٣)، والبخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة.

أيَـــرُدُّ ذو عقـــلٍ سليـــمٍ قـــطُّ ذا
بعـدَ التصـوُّرِ يـا أولـي الأذهـانِ(١)

واللهِ مـــا رَدَّ امـــرؤٌ هـــذا بغيـ
ـــرِ الجهـلِ أو بحَمِيَّـةِ الشيطـانِ(٢)

* * *

(١) لا يَردُّ إثباتَ العلو أصحاب العقول السليمة، وإنّما يردُّهُ أصحاب العقول غير السليمة المُتلوثة بفكرة التعطيل والتشبيه، أمّا من يؤمن بعظمة الله وإحاطته، وأن المخلوقات كلها بالنسبة إليه ليست بشيء، وأنها محتاجةٌ إليه، وهو ليس محتاجاً إليها، إذا تصوَّر الإنسان هذا زالَ عنه الإشكال، لكن حينما لا يتصوَّر هذا، ويظن أنه إذا قيل: إنه فوق الخلق صار محتاجاً إلىٰ أنّ السمٰوات تُقلّه أو تُظلُّه فهذا فاسد التصوُّر، وإنّما أُتي من فساد تصوُّره ومن أنه لم يُقدِّر الله حقَّ قدره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ . . .﴾ الآية [الأنعام: ٩١] فلمّا لم يقدروا الله حق قدره عطَّلوا أسماءَه وصفاته ومنها: العلو.

(٢) ما ردَّ نصوص العلو إلا أحد شخصين:

إما جاهل لا يعرف معنىٰ النصوص ولا يعرف لغة العرب، والجاهل لا عبرة بكلامه.

وإمّا مُعاند أو مُغرض ذو طغيان يعرف الحق لكنه لا يريده، فهذا لا حيلة فيه مهما بينت له فهو لا يقبل، أمّا أهل العلم الذين اتَّبعوا الوحي فليس عندهم شك في كلام الله ولا في كلام رسوله، فالمدار علىٰ الخبر، فما دامت قد صحت الأخبار عن الله وعن رسوله فيجب التسليم لها.

فصل

هذا وعاشرُها اختصاصُ البعضِ مِنْ
أمــلاكِــهِ بــالعِنْــدِ للــرحمْــنِ[(١)]

وكـذا اختصـاصُ كتـابِ رحمتِـهِ بعنـ
ـدِ اللهِ فـوقَ العـرشِ ذو تِبيـانِ[(٢)]

---

(١) العاشر من أدلة العلو أنّ الله وصف بعض الملائكة بأنّهم عنده. قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] يعني: الملائكة المُقرَّبين منه سبحانه وتعالىٰ، وكون الله اختص هؤلاء بأنّهم عنده، دليلٌ علىٰ علوِّه سبحانه وتعالىٰ، وإلا لم يكن لهؤلاء مزية علىٰ غيرهم من الملائكة لو كان المراد بقوله: «عنده» أنّ الله خلقهم أو أنّهم في مُلكه لم يكن لهم مزية، فالحيوانات والبشر والجن والإنس كلهم مخلوقات لله تعالىٰ وكلهم في ملكه، فإذا فُسِّرت «العندية» بالخلق، فهذا باطل، لأنّ هذا لا يختص بالملائكة المُقربين، لأنّ كلَّ الخلق خَلَقَهم الله سبحانَه وتعالىٰ، لا مزية لبعضهم علىٰ بعض.

(٢) جاء في الحديث «إنّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»[(*)]، فقوله: «عنده فوق العرش»: دليل علىٰ أن الله سبحانه فوق العرش، وأنه خصَّ هذا الكتاب بكونه عنده هناك.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥/ ٨٢ (٩١٥٩)، والبخاري (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١) (١٤) من حديث أبي هريرة.

لَوْ لَمْ يكُنْ سُبحانَهُ فوق الوَرَىٰ
كانوا جميعاً عند ذي السُّلطانِ(١)

ويكونُ عندَ اللهِ إبليسُ وجبـ
ـرِيلُ هُما في العندِ مُستويانِ

وتمامُ ذاك القولِ أن محبَّة الرْ
رَحْمٰنِ عينُ إرادةِ الأكوانِ

وكلاهما محبوبُه ومرادُه
وكلاهما هو عندَه سِيّانِ(٢)

إن قلتُمُ عِنْدِيَّةُ التكوينِ فالذْ
ذاتانِ عندَ اللهِ مخلوقانِ

أو قلتُمُ عنديَّةُ التقريبِ تَقْـ
ـريبِ الحبيبِ وما هما عِدْلانِ

فالحبُّ عندكُمُ المشيئةُ نفسُها
وكلاهما في حكمِها مِثلانِ

---

(١) لو كان جميع الخلق عنده بمعنىٰ أنهم في ملكه لم يختص بذلك بعض الملائكة أو هذا الكتاب الذي كتبه سبحانه وتعالىٰ، إذ كلُّ الخلق في ملكه، وهم خلقه سبحانه وتعالىٰ، ولا مزية لبعضهم علىٰ بعض.

(٢) ويكون أقرب الخلق إليه وهو جبريل عليه السلام كما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] فيكون هو وإبليس الذي لعَنه الله وطردَه وأبعدَه سواء؛ لأنهم كلُّهم في مُلك الله فلا مزية لجبريل علىٰ إبليس علىٰ كلام هؤلاء.

لكــن مُنــازِعُكُــمْ يقــولُ بــأنَّهــا
عنــديَّــةٌ حقّــاً بــلا رَوَغــانِ(١)

جمعَــتْ لَـهُ حُـبَّ الإلٰـهِ وقُــربَـهُ
مِــنْ ذاتــهِ وكــرامَــةَ الإحســانِ

والحــبُّ وصــفٌ وهــو غيــرُ مشيئــةٍ
والعِنْــدُ قــربٌ ظــاهــرُ التبيــانِ(٢)

* * *

(١) فجبريل وإبليس كلاهما مُكوَّن وكلاهما مخلوق فلا مزية لبعضهما علىٰ بعض علىٰ هذا التفسير، ومنازعوكم وهم أهل السنة يقولون: هي عندية حقيقية بمعنىٰ القرب منه سبحانه.

(٢) الحب والقرب منه سبحانه يجتمعان في حقِّ الذين ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] القرب منه ومحبتُه لهم سبحانه وتعالىٰ، لولا أنّه يُحبهم ما قرّبهم، أما عند الجهمية فالمحبة عندهم بمعنىٰ المشيئة، وعلىٰ هذا كلُّ المخلوقات محبوبة له لأنّه شاءَها وقدَّرها، فلا فرق، بين إبليس وغيره، لأنّ الكلَّ شاء الله إيجادَهم وقدَّر خلقهم، فعندهم لا فرق بين المشيئة والمحبة، فمعنىٰ محبة الله: مشيئةُ الله عندهم، وهذا يلزم منه أنّه يُحب جميع المخلوقات لأنه شاءها ـ تعالىٰ الله عن ذلك ـ ولا يختصّ بعضهم بالمحبة دون بعض.

فصل

هـــذا وحـــادِي عَشْـــرُهُـــنَّ إشـــارةٌ
نحـــوَ العلُـــوِّ بـــإصبَـــعٍ وبنَـــانِ
للهِ جَـــلَّ جـــلالُـــهُ لا غيْـــرِهِ
إذْ ذاكَ إشْـــراكٌ مِـــنَ الإنْسَـــانِ
ولقـد أشـار رسـولُـهُ فـي مجمـعِ الْـ
ـحَـجِّ العظيـمِ بمـوقـف الغُفـرانِ[١]
نحـوَ السمـاءِ بـإصبـعٍ قـدْ كُـرِّمـتْ
مُسْتَشْهِـداً للـواحـدِ الـرَّحمٰـنِ

---

(١) الدليل الحادي عشر من الأدلة النقلية علىٰ علوِّ الله إشـارةُ النبي ﷺ إليه ـ إلىٰ الله في جهة العُلو ـ كما في خطبة حجة الوداع لمّا خطبهم ﷺ بعرفة الخُطبة العظيمة وقال: «ألا هل بلغت» قالوا: «نعم» فأشار بإصبعه إلىٰ السماء وقال: «اللهم اشهد»(*) فإشارتُه إلىٰ ربه في السماء دليلٌ علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه، حيث لم يُشر إلىٰ يمين، أو إلىٰ شمال ولا إلىٰ تحت وإنما أشار إلىٰ العلوِّ فدلَّ علىٰ أن الله جلَّ وعلا في العلو.

(*) قطعة من حديث جابر بن عبد الله في خطبته ﷺ يوم عرفة، أخرجه مسلم (١٢١٨) (١٤٧)، وأبو داود (١٩٠٥).

يــا ربِّ فــاشهــدْ أننــي بلَّغتُهُــمْ
ويشيــرُ نحــوَهُــمُ لقصــدِ بيــانِ
فغــدا البنــانُ مُــرَفَّعــاً ومُصَــوَّبــاً
صلَّــىٰ عليــك اللهُ ذُو الغُفــرانِ
أدَّيْــتَ ثــمَّ نصحْــتَ إذْ بلغتَنــا
حــقَّ البـلاغِ الـواجـبِ الشُّكـرانِ[١]

* * *

(١) أشار إلىٰ السماء مستشهداً علىٰ الأمة أنّه بلَّغها وأنها أقرّت بأنّه بلّغها.

حيث يشيرُ إلىٰ الله جلَّ وعلا، في جهة العلو ثم يُشير إلىٰ الحاضرين يستشهده عليهم، يرفع إصبعَه إلىٰ السماء ثمّ يَنْكُبُها إليهم ويُشيرُ إليهم ويقول: «اللهم اشهد علىٰ هؤلاء».

فصل

هذا وثاني عَشْرَها وصفُ الظهو
ر لَـهُ قـد جـاءَ فـي القـرآنِ

والظـاهـرُ العـالـي الـذي مـا فـوقَـهُ
شـيءٌ كمـا قـد قـال ذُو البُرهـانِ(١)

حقّـاً رسـولُ اللهِ ذا تفسيـرُهُ
ولقـد رواهُ مسلـمٌ بضمـانِ

فـاقْبَلْـهُ لا تقبَـلْ سـواهُ مـن التفـا
سيـرِ التـي قيلـت بـلا بُـرهـانِ(٢)

---

(١) الدليل الثاني عشر من أدلة العلو أن الله وصف نفسه بقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ﴾ [الحديد: ٣]، والظاهر معناه: الذي ليس فوقه شيء كما فسره النبي ﷺ بقوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»(*)، فالظاهر معناه: العالي على خلقه الذي ليس فوقه شيء، وهذا تفسيرٌ من النبي ﷺ، فهو حجةٌ قاطعة، أمّا من يُفسر ظهور الله بأنّه الذي قامت الأدلة علىٰ وجوده، فهذا تفسيرٌ يخالف النصَّ فهو تفسير مردود.

(٢) الرسول ﷺ لمّا فسّر الظاهر بأنّه الذي ليس فوقَه شيء، تعين القول به؛ لأن التفسير إذا جاء من الرسول ﷺ فلا قول لغيره معه، وقد ورد في حديث صحيح رواه مسلم.

(*) أخرجه مسلم (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، والترمذي (٣٤٠٠) من حديث أبي هريرة، وهو في «مسند أحمد» ١٤/ ٥٢٠ (٥٩٦٠).

والشــيءُ حيــن يَتِــمُّ منــهُ عُلــوُّهُ
فظهــورُهُ فــي غــايــةِ التّبيــانِ[١]
أو مـا تـرىٰ هـذي السَّمَـا وعُلُـوَّهـا
وظهــورَهــا وكــذلــك القمــرانِ[٢]
والعكــسُ أيضــاً ثــابــتٌ فَسُفُــولُــهُ
وخفــــاؤُهُ إذ ذاك مُصْطَحِبــــانِ[٣]

---

(١) يقول: إن الشيء إذا كان عالياً علىٰ غيره فإن ظهوره يكون بيّناً واضحاً ولذا قال الرسول ﷺ: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»(*) وذلك لكمال علوه سبحانه.

(٢) الكون ينقسم إلىٰ قسمين: قسمٌ ظاهر، وهو العالي كالسماء وقسمٌ باطن: وهو التحتاني، والله سبحانه وتعالىٰ يوصف بأشرف القسمين، وهو «العلو»، ولا يوصف بالسفل.

(٣) يعني أن الخفاء ملازم للسفول، وأن الظهور ملازم للعلو فالله سبحانه لما كان عالياً فوق مخلوقاته كان ظاهراً، انظر إلىٰ المخلوقات، تجد أنّ السماء عالية وتجد الأرض تحتها وتجد الأفلاك والكواكب فوق الأرض تدور عليها، فالشمس والقمر والنجوم كلُّها تدور علىٰ الأرض، عكس ما يقولُهُ المنحرفون الآن، أنّ الأرض وسائر الكواكب تدور علىٰ الشمس يسمونها «المجموعة الشمسية» هذا انتكاس، وعدم إقرار بالسمٰوات، وأنه ما هناك إلا أفلاك وكواكب فقط، ما فيه سماوات ولا فيه عرش عندهم، وهذا يؤول إلىٰ أنّه ليس فيه رب وإنّما هي طبيعة، هذا كلام =

(*) سلف تخريجه ص٣٢٩.

فـانظُـرْ إلـىٰ عُلْـوِ المُحيـطِ وأخْـذِهِ
صِفَـةَ الظُّهُـورِ وذاكَ ذو تبْيَـانِ(١)
وانظُـرْ خفـاءَ المـرْكَـزِ الأدنـىٰ وَوَصْـ
ـفَ السُّفْـلِ فيـهِ وكـونَـهُ تَحْتـانِـي(٢)

= الملاحدة، هذا القول يؤول إليه، وأمّا الأدلة والفطرة والواقع أنّ الأرض هي المركز وأنّ الأفلاك تدور عليها، ومنها فلك الشمس والقمر، والنجوم كلُّها تدور علىٰ الأرض بالأفلاك، هذا شيء مشاهد ومن البدائه، كما يدلُّ عليه ظاهر القرآن أيضاً أنّ الشمس تدور علىٰ الأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] والقمر والنجوم تطلع من المشرق وتغيب من المغرب، هذا يدل علىٰ أنها تدور علىٰ الأرض، فإذا جاءت من المشرق ظهرت لنا، وإذا غربت من المغرب معناها: أنها دارت علىٰ النصف الثاني من الكرة الأرضية فظهرت علىٰ أُناسٍ غيرنا، وغابت عنّ النصف الذي نحنُ فيه، وهكذا دواليك إلىٰ أن تقوم الساعة، والأرض مستقرة كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ [النمل: ٦١] ثابتة، لكن هؤلاء لا يحتجون بالوحي ولا بالقرآن، وإنما يحتجون بأقوال الفلاسفة والملاحدة ويقولون: هذه حقائق ثابتة.

(١) وانظر إلىٰ محيط الأشياء ومركزها، فإن المحيط لتمام عُلُوِّهِ في غاية الظهور، والمركز لسفوله في غاية الخفاء، وكذلك الكون.

(٢) هذا من جهة اللغة: أنّ الظاهر يُطلق علىٰ الذي ليس فوقه غيره، تقول: ظاهر الثوب كذا وكذا، وباطنه كذا وكذا: فظاهر الشيء أعلاه، وباطنُه أسفله، وهكذا الكون محيطه أعلاه ومركزه أسفله.

وظُهُــورُهُ سُبحــانَــهُ بــالــذاتِ مثـ

ــلُ عُلُــوِّه فهُمــا لــهُ صِفتــانِ[١]

لا تَجْحَــدَنَّهُمــا جُحــودَ الجَهْــمِ أوْ

صَــافَ الكمــالِ تكــونُ ذا بُهتــانِ[٢]

وظُهــورُهُ وهــو مُقْتَــضٍ لِعُلُــوِّهُ

وعلـــوُّهُ لظهـــورِهِ ببيـــانِ[٣]

وكـذاكَ قـد دخلَـتْ هُنـاك الفـاء للتْـ

ـتَسبيــبِ مُــؤْذِنــةً بهــذا الشــانِ[٤]

فتــأمَّلَــنْ تفسيــرَ أعلــمِ خَلْقِــهِ

بصفــاتِــهِ مَــن جــاء بــالقــرآنِ

---

(١) يقول إن الله سبحانه هو الظاهر بذاته فوق مخلوقاته كما أنه العالي بذاته فوق مخلوقاته فظهوره وعلوه بمعنىً واحد.

(٢) يقول: لا تجحد الظهور والعلو لله سبحانه فوق مخلوقاته تكن مثل الجهم بن صفوان المعطّلِ لأسماء الله وصفاته.

(٣) الظهور والعلو بمعنىً واحد، فالظهور هو العلو، والعلو هو الظهور لا فرق بينهما.

(٤) دخلت الفاء في قوله ﷺ: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء»(*) والفاء هنا سببية يعني: فبسبب ظهورك ليس فوقك شيء وهذا واضح.

(*) سلف تخريجه ص٣٢٩.

إذ قــال أنــت كــذا فليــسَ لضــدِّهِ
أبــداً إليــكَ تَطَــرُّقُ الإتيــانِ[١]

* * *

(١) يقول: إن تفسير الظهور بالفوقية علىٰ جميع المخلوقات هو تفسير من النبي ﷺ الذي هو أعلم بما يليق بالله سبحانه فهو التفسير الحق فلا تقبل سواه من تفاسير الناس.

فصل

هــذا وثــالــثَ عَشْــرَهــا إخبــارُهُ
أَنَّــا نــراهُ بجَنَّــةِ الحيــوانِ[١]

فَسَلِ المعطِّلَ هل نَرىٰ مَنْ تحتنا
أمْ عــن شَمــائلنــا وعــن أيمــانِ

أمْ خلفَنــا وأمــامَنــا سُبحــانَــهُ
أمْ هــل نَرىٰ مَنْ فــوقَنــا ببيــانِ[٢]

---

(١) الدليل الثالث عشر علىٰ علو الله علىٰ خلقه إخبارُ النبي ﷺ أننا نرىٰ ربنا بجنة الحيوان: يعني الحياة الكاملة، فجنة الحيوان: يعني جنة الحياة الكاملة التي لا يعتريها موت، ولا مرض ولا هَمّ أخبر النبي ﷺ في الأحاديث المتواترة أننا نرىٰ ربنا يوم القيامة في الجنة، والرؤية تقتضي أننا نراهُ جلَّ وعلا من أعلىٰ، لا من شمال ولا من فوق ولا من تحت، وهذا من أدلة العلو أيضاً، حيث شبَّه رؤيته سبحانه برؤية الشمس والقمر حيث قال: «كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب»(*) ونحن نرىٰ الشمس والقمر من فوقنا.

(٢) الحق أنّه يُرىٰ من الفوق؛ لأنه يليق به، وأن يُرىٰ من العُلو، لأنَّ العلو هو الكمال.

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ١٣/ ١٤٣ (٧٧١٧)، والبخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

وانظر أحاديث رؤية الله عز وجل في «جامع الأصول» ١٠/ ٥٥٧ لابن الأثير.

يا قومُ ما في الأمرِ شيءٌ غيرُ ذا
أوْ أنَّ رُؤْيَتَهُ بلا إمكانِ[1]

إذ رؤيةٌ لا في مُقابلةٍ من الرْ
رائي مُحالٌ ليس في الإمكانِ[2]

ومن ادَّعىٰ شيئاً سِوىٰ ذا كان دَعْـ
ـواه مكابرةً علىٰ الأذهانِ[3]

ولذاك قال مُحققٌ منكُمُ لأهـ
ـلِ الإعتزالِ مقالةً بأمانِ

ما بيننا خُلْفٌ وبينكُمُ لذي التْـ
ـتَحْقيقِ في معنىٰ فيا إخواني

شُدوا بأجمَعنا لنحمِلَ حَمْلَةً
نَذَرُ المُجسِّمَ في أذلِّ هوانِ[4]

---

(١) لا يمكن أن يُرىٰ من غير جهة الفوقية والعلو، إذ هذا هو اللائقُ به سبحانه وتعالىٰ. فرؤيته من غير الجهة العلوية لا تمكن؛ لأن هذا لا يليق به سبحانه.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ الأشاعرة الذين يقولون: إنّه يُرىٰ، لا في جهة، وهذا محال لأنه ليس هناك شيء يُرىٰ وهو ليس في جهة، فهم أثبتوا رؤية مستحيلة، والله جلّ وعلا يُرىٰ من جهة العلو، وهي جهة غير مخلوقة، لأنه فوق المخلوقات، أمّا الجهمية فإنّهم نفوا الأمرين، نفوا العلو ونفوا الجهة وهذا معناه: المعدوم فهم لا يُقرُّون بوجود الله سبحانه وتعالىٰ.

(٣) من ادَّعىٰ أنّه لا يرىٰ أو أنه يرىٰ بلا جهة فهذه مُكابرة للمعقول والمنقول.

(٤) يقول أحد الأشاعرة الذين يثبتون الرؤية لا في جهة للجهمية والمعتزلة الذين ينفون الرؤية مطلقاً: تعالوا نعقد صلحاً بيننا وبينكم نقوم بموجبه =

إذ قـــال إنَّ إلهنـــا حَقّـــاً يُـــرىٰ

يـومَ المعـادِ كمـا يُرىٰ القمـرانِ(١)

= بمحاربة أهل السنة الذين يقولون بإثبات الرؤية في جهة العلو، إذ لا فرق بيننا وبينكم فنحن إخوان فدعونا نحارب أعداءنا أهل السنة لأنهم يثبتون الرؤية في جهة العلو، وهذا تجسيم لأنه لا يُرىٰ إلا الأجسام، فهم يصفون أهل السنة بالمُجسمة، لأنّ هذه الصفات عندهم لا تثبت إلا لجسم، والله منزّهٌ عن الجسم فلذلك نفوا الصفات، والتجسيم لفظ ابتدعوه هم، لأن الجسم لم يرد نفيه ولا إثباتُه في الكتاب والسنة، فنحن لا ندخل في ذلك لا نفياً ولا إثباتاً إلا أننا نُثبت الصفات لله سبحانه وتعالىٰ.

فيقول هذا الأشعري للمعتزلة: دعونا نتعاون علىٰ أهل السنة المجسمة الذين يُثبتون الصفات، وهذا يُشبه القاعدة الذهبية التي يُرددها بعض الجماعات الحزبية الآن، ويقولون: نتعاون فيما اجتمعنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

(١) يقولون: إن الذي يقول: إن الله يرىٰ يوم القيامة مجسم، والذي قال هذا هو الرسول ﷺ فمعناه أنّ الرسول ﷺ مُجسّم لأنّه هو الذي قال: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تُضامُونَ في رؤيته»(*) الحديث، بل الله جلَّ وعلا أثبت هذه الرؤية فقال: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] الزيادة فسَّرها النبي ﷺ بأنّها رؤية الله في الجنة =

(*) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) (٢١١) و(٢١٢).

وتصيـرُ أبصـارُ العبـادِ نـواظِـراً
حقّـاً إليـه رؤيـةً بِعِيـانِ
لا ريـبَ أنَّهُـمُ إذا قـالـوا بـذا
لـزمَ العلـوُّ لفـاطـرِ الأكـوانِ
ويكـونُ فـوقَ العـرشِ جَـلَّ جـلالُـهُ
فلـذاكَ نَحـنُ وحـزْبُهُـمْ خَصْمـانِ
لكننـا سِلْـمُ وأنتُـمْ إذْ تَسَـا
عَدْنا علىٰ نفي العلوِّ لربنا الرحمٰنِ
فعلـوُّهُ عَيْـنُ المُحـالِ وليـسَ فَـوْ
قَ العَـرشِ مِـنْ ربٍّ ولا ديَّـانِ
لا تَنْصِبـوا معنـا الخـلافَ فمـا لَـهُ
طَعْـمٌ فنحـنُ وأنتُـمُ سِلْمَـانِ(١)

= كما في صحيح مسلم(*)، وقولـه: «القمران»: الشمس والقمر سُمِّيا بذلك من باب التغليب، كما يُقال: العُمران لأبي بكر وعمر.

(١) يقول هذا الأشعري للمعتزلة: قد اتفقنا وإياكم علىٰ نفي العلو فلا تكون مخالفتنا لكم في الرؤية مسببة للفرقة بيننا وبينكم ما دمنا اتفقنا علىٰ نفي العلو فدعونا نقاتل عدونا المشترك وهم أهل السنة.

(*) أخرجه مسلم (١٨١) من حديث صهيب، وانظر «تفسير ابن كثير» ٤/ ٢٦٢-٢٦٣ تفسير الآية ٢٦ من سورة يونس. ولفظ حديث صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، . . . ، فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئاً أحب من النظر إلىٰ ربهم عز وجل» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

هــذا الــذي واللهِ مُــودَعُ كُتْبِهِــمْ
فــانظُـرْ تَـرىٰ يـا مَـنْ لـهُ عينـانِ[1]

* * *

(١) يقول: هذا الباطل الذي ذكرنا هو الذي في كُتب المعتزلة والأشاعرة، اقرأها ترىٰ ما ذكرناه، وهذا في حقِّ مَنْ عندَه تمكُّن من العلم أمّا الذي ليس عنده تمكُّن فلا ينبغي له أن يقرأ كتبهم لئلا ينخدع بها.

فصل

هــذا ورابــعَ عَشْــرَهــا إقــرارُ سَــا
ثلــةٍ بلفــظِ الأيْــنِ للــرحمْــنِ[١]

ولقــدْ رواهُ أبــو رُزَيْــنٍ بعــدمــا
ســألَ الــرســولَ بلفظــةٍ بــوِزانِ

ورواهُ تبليغــــاً لَــــهُ ومُقــــرِّراً
لمَّــا أقــرَّ بــه بــلا نُكــرانِ[٢]

---

(١) الدليل الرابع عشر: علىٰ أن الله في جهة العلو، أنّ الرسول ﷺ قال للجارية: «أين الله؟» أي في أيِّ جهةٍ «هو» سبحانه وتعالىٰ قالت الجارية: «في السماء» أي: في جهة العلو، فقال ﷺ لمالِكها: «أعتقها فإنّها مؤمنة»(*) لمّا أثبتت أنّ الله في العلو وصفها بأنّها مؤمنة فدل علىٰ أن الذي ينفي علو الله علىٰ خلقه ليس بمؤمن.

(٢) وأبو رزين العُقيلي أيضاً سأل النبي ﷺ فقال: أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السمٰوات والأرض، أو قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء»(**)، والعماء معناه: الجهة غير المخلوقة لأنّه سبحانه فوق الخلق.

ولم ينكر الرسول ﷺ علىٰ أبي رزين العُقيلي: أنّه قال: «أين كان =

(*) سلف تخريجه ص٣١٩.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٠٨/٢٦، ١١٧-١١٨ (١٦١٨٨) و(١٦٢٠٠)، والترمذي (٣١٠٩) وابن ماجه (١٨٢) من حديث أبي رزين العقيلي.

هذا وما كانَ الجوابُ جوابَ مَنْ
لكنْ جوابُ اللفظِ بالميزانِ[١]
كلاَّ وليس لـ«مَنْ» دخولٌ قطُّ في
هذا السياقِ لمنْ لهُ أُذُنانِ[٢]
دعْ ذا، فقد قالَ الرسولُ بنفسِه
أينَ الإلهُ؟ لعالِمٍ بلسانِ[٣]
واللهِ ما قصدَ المُخاطَبُ غيرَ مَعْـ
ـنَاها الذي وُضِعتْ لهُ الحقّاني
واللهِ ما فَهِمَ المُخاطِبُ غيرَهُ
واللَّفْظُ موضوعٌ لِقَصْدِ بيانَ

= ربنا؟» بل أخبرَه وأجابَه ولم ينكر عليه فدل، علىٰ أنه يجوز أن يُقال: «أين الله؟» وهذا يلزم منه إثبات الجهة لله.

(١) هذا ردٌّ علىٰ الذين أوّلُوا الحديث فقالوا: «أين الله» معناها: «مَنْ الله» فيكون السائل يسأل: «من الله؟» وهذا لم يأتِ في اللغة، أنّ «أين؟» معناها: «مَنْ؟» والسائل لم يسأل: من الله؟ وإنّما سأل: أين الله؟ فبينهما فرق، لأن السؤال بـ«من»؟ له جواب غير جواب السؤال بـ«أين»؟ كما قال فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩-٥٠] وأما السؤال بأين الله فيُجاب عنه بأنّه في السماء، فجواب «أين» يختلف عن جواب «مَنْ».

(٢) لفظ «مَنْ» ليس له مناسبة في هذا السياق أبداً، فلا يصح التفسير به.

(٣) الرسول ﷺ هو الذي قال: «أين الله؟» حين سأل الجارية بلفظ الأين فدلَّ علىٰ أنه يُقال: «أين الله؟».

يا قَوْمُ لفْظُ الأيْنَ مُمتَنعٌ علىٰ الرْ
رَحمٰـنِ عنـدكُـمُ وذُو بُطـلانِ
ويكـادُ قـائِلُكـم يُكفِّـرُنـا بـه
بـل قـدْ وهـذا غـايـةُ العُـدوانِ[١]
لفظٌ صريحٌ جاءَ عن خيرِ الورىٰ
قـولاً وإقـراراً هُمـا نـوعـانِ[٢]
واللهِ مـا كـان الـرسـولُ بعـاجـزٍ
عن لفظِ «مَنْ» مع أنَّها حرفانِ[٣]
«والأيـنَ» أحـرُفُهـا ثـلاثٌ وهـي ذو
لَبْسٍ و«مَـنْ» هـي غـايـةُ التِّبيـانِ[٤]

---

(١) بعض نفاة العلو يقول من قال: أين الله؟ فهو كافر مع أن الرسول قال: «أين الله» انظر كيف ينتهي الضلال بأصحابه.

(٢) فالرسول ﷺ قال: «أين الله» وأقر من قال ذلك، وأهل الضلال ينكرونه.

(٣) لا يعجز الرسول أن يقول للجارية «من الله؟» مع أن لفظة «مَنْ» أيسر من لفظة «أين» لأن لفظة «أين» ثلاثة حروف، ولفظة «مَنْ» حرفان فقط، فكيف يأتي الرسول بكلام من ثلاثة حروف ويترك الكلام الذي هو من حرفين مع أنّه أيسر.

(٤) هذا فرقٌ ثانٍ، أنّ «مَنْ» أوضح من «أين» فكان المناسب أن يأتي الرسول ﷺ بالواضح ويترك الذي فيه لبس.

والله مــا الملكــانِ أفصــحُ مِنْــهُ إذ
في القبرِ مَنْ رَبُّ السَّما؟ يَسَلانِ[(١)]

ويقــولُ أيــنَ اللهُ يعنــي مَــنْ فــلا
واللهِ مــــا اللَّفظــــانِ مُتَّحِــــدانِ

كــلاَّ ولا معنــاهُمــا أيضــاً لِــذي
لُغَــــةٍ ولا شَــــرْعٍ ولا إنســــانِ

* * *

(١) الملكان يسألان الميت في القبر فيقولان له: «مَنْ ربك»(*) ولا يقولان: أين ربك؟ وليس الملكان بأفصح من الرسول. لكن المقام يختلف وكل مقام له مقال.

(*) قطعة من حديث البراء بن عازب أخرجه أحمد في «مسنده» ٣٠/٤٩٩-٥٠٣ (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وهو حديث إسناده صحيح.

فصل

هذا وخامسَ عَشْرَها الإجماعُ مِنْ
رُسُلِ الإلٰهِ الواحدِ المَنّانِ
فالمرسلونَ جميعُهُمْ مع كُتْبِهِمْ
قد صرَّحُوا بالفَوْقِ للرحمٰنِ(١)
وحكىٰ لنا إجماعَهُمْ شيخُ الورَىٰ
والدِّينِ عبدُ القادرِ الجيلاني(٢)
وأبو الوليدِ المالكي أيضاً حكىٰ
إجماعَهُمْ أعني ابنَ رُشدِ الثاني(٣)

---

(١) والدليل الخامس عشر من أدلة العلو إجماع الرسل عليهم الصلاة والسلام علىٰ علو الله علىٰ خلقه، وكذلك الكتب المنزلة عليهم من الله، جاء فيها كلها وصف الله بالفوقية مثل ما جاء في القرآن مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] والفوقية معناها: العلو ففيها دليلٌ علىٰ علوِّ الله علىٰ خلقه سبحانه.

(٢) حكىٰ ذلك الإجماع عن الرسل: عبد القادر الجيلاني الإمام الحنبلي المشهور بعلمه وفقهه وورعه وزُهده رحمه الله، وله كتابٌ مشهور اسمه «الغُنية» في الفقه ذكر في أوله العقيدة، ومن جملة ما ذكره: إجماع الرسل علىٰ علو الله سبحانه.

(٣) وحكىٰ إجماعهم أيضاً: أبو الوليد بن رُشد صاحب «بداية المجتهد» المتوفىٰ سنة ٥٩٥هـ، ويُلقَّب بالحفيد فرقاً بينَه وبين جده أبي الوليد =

وكـذا أبـو العبـاسِ أيضـاً قـد حكـىٰ
إجمـاعَهُـمْ عَلَـمُ الهُـدىٰ الحَـرَّانـي
ولـهُ اطـلاعٌ لـم يكـن مِـن قَبْلِـه
لِسِـواهُ مِـنْ متكلِّـمٍ بلسـانِ[1]
هـذا ونقطـعُ نحـنُ أيضـاً أنَّـهُ
إجمـاعُهُـمْ قطعـاً علـىٰ البُـرهـانِ[2]
وكـذاك نقطـعُ أنَّهـم جـاؤوا بـإثْـ
ـبـاتِ الصفـاتِ لخـالـقِ الأكـوانِ[3]
وكـذاك نقطـعُ أنَّهـم جـاؤوا بـإثْـ
ـبـاتِ الكـلامِ لـربنـا الـرحمٰـنِ[4]

= محمد بن أحمد بن رشد المتوفىٰ سنة ٥٢٠هـ، صاحب «البيان والتحصيل» في مذهب المالكية.

(١) وممن حكىٰ هذا الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وله اطلاعٌ علىٰ مذاهب الناس لم يكن لمثله من العلماء، حيث أعطاهُ الله سبحانَه وتعالىٰ سعة الاطلاع وسعة الفهم حتىٰ إنّه كان يعرف من المذاهب ما لا يعرفُه أتباعُها، وكان يُناظرهم ويأتي من مذاهبهم بأشياء لم يكونوا يعرفونها هم، وذلك لسعة اطلاعه.

(٢) يعني مع حكاية هؤلاء الأئمة إجماعَ الرسل علىٰ علوِّ الله تعالىٰ فنحنُ نقطعُ بذلك ونعتقدُه ونَدينُ الله به لتواتر الأدلة به.

(٣) كذلك نقطع بأنّ الرسل عليهم الصلاة والسلام جاؤوا بإثبات الصفات لله عز وجل فنحن نؤمن بها ونثبتها لله عز وجل كما يليق بجلاله.

(٤) ونقطع بأنّ الرسل جاؤوا بإثبات الكلام لله فنحن نثبت ذلك.

وكــذاكَ نقطــعُ أنهــم جــاؤوا بــإثـ
ـبــات المعــادِ لهــذه الأبــدانِ(١)

وكــذاك نقطــع أنهــم جــاؤوا بتَــوْ
حيـد الإلٰـهِ ومـا لَـهُ مـن ثـانـي(٢)

وكــذاك نقطــعُ أنَّهــم جــاؤوا بــإثْـ
ـبــاتِ القضــاءِ ومــالَهُــمْ قــولانِ(٣)

---

(١) وكذلك نقطع بأنّ الرسل جاؤوا بإثبات البعث والنشور وهو المعاد، فالبعث بعد الموت حقٌّ والإيمان به ركنٌ من أركان الإيمان، قد ذكره الله سبحانه وتعالىٰ مقروناً بالإيمان به، في آيات كثيرة مثل قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢] ذكر الإيمانَ باليوم الآخر مقروناً بالإيمان بالله تعالىٰ، وتارة يذكره مقروناً ببقية أركان الإيمان.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] فذكر الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله والملائكة والرسل فنحن نؤمن بكل ذلك.

(٢) نقطع بأن الرسل جاؤوا بإثبات التوحيد ونفي الشرك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] كل الرسل جاؤوا بإثبات التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة والنهي عن الشرك وهو عبادة غير الله.

(٣) وكذلك نقطع بأنّهم جاؤوا بإثبات القضاء والقدر. والإيمان به ركنٌ من أركان الإيمان، وهو الإيمان بأنّ ما جرىٰ وما يجري في هذا الكون فهو بقضاء الله وقدره، وأنّ الله علمَه وكَتَبَه وقدَّرَه وأوجده.

فالرُّسْلُ متفقونَ قطعاً في أصو
لِ الدينِ دُونَ شرائعِ الإيمانِ[(١)]
كلٌّ له شرعٌ ومنهاجٌ وذا
في الأمرِ لا التوحيدِ فافْهَمْ ذانِ[(٢)]
فالدِّينُ في التوحيدِ دينٌ واحدٌ
لم يختلفْ منهم عليهِ اثنانِ[(٣)]

---

(١) الرسل مُجمعون على التوحيد ونفي الشرك وأصول الإيمان، وأمّا الشرائع العملية فإنها مختلفة، فالله تعالى يشرع لكلِّ أمة ما يُناسبُها كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فالشرائع العملية مختلفة لكن كلُّها تشريعٌ من الله سبحانَه وتعالى، يشرعُ لكل أمةٍ ما يُناسبُها وينسخ منها ما يشاء، وأمّا أصول الإيمان بالله والملائكة واليوم الآخر والكتاب والنبيين فهذه ليست محل اختلاف بينهم، هم متفقون عليها.

(٢) فالتوحيد محلُّ اتفاق لا اختلاف فيه بين الرسل وأتباعهم، وأمّا الشرائع فهي تختلف، يشرع الله لكلِّ أمةٍ ما يُناسبُها ثمّ ينسخُهُ بشريعةٍ أخرى وهكذا إلى أن نُسخت الأديان بشريعة الإسلام التي جاء بها محمدٌ ﷺ، وهي شريعةٌ باقية لا تُنسخ ولا تُبدَّل ولا تُغيَّر إلى أن تقوم الساعة.

(٣) كلهم جاؤوا بالتوحيد وهو إفرادُ الله بالعبادة، وعبادة الله تكون باتباع ما شرعه في كلِّ زمان بحسبه، فكل الأمم التابعة للرسل يعبدون الله بشرائعهم التي شرعها الله لهم، فإذا نسخت فإنّ العمل يكون بالناسخ دون المنسوخ مثلاً: الاتجاه في الصلاة كان إلى بيت المقدس، وصلاتُهم إلى بيت المقدس عبادةٌ لله سبحانه وتعالى، فلمّا نُسخت وحوِّلت إلى الكعبة، صارت العبادة هي الاتجاه إلى الكعبة، ومن اتجه =

دِيـنُ الإلـٰهِ اختـارَهُ لعبـادِهِ
ولنفْسِـهِ هُـوَ قَيِّـمُ الأديـانِ
فمِـنَ المُحـالِ بـأن يكـونَ لِـرُسْلِـهِ
فـي وَصْفِـهِ خبـرانِ مُختلفـانِ[1]
وكـذاكَ نقطـعُ أنَّهـم جـاؤوا بِعَـدْ
لِ اللهِ بيـنَ طـوائـفِ الإنسـانِ[2]

= إلىٰ بيت المقدس بعد ذلك فإنّ صلاتَه غيرُ صحيحة، لأنّه شرعٌ نسخ وانتهىٰ، فالشرع المنسوخ لا يجوز العمل به، بل يجب العمل بالناسخ، فالإنسان يدور مع أمر الله سبحانه وتعالىٰ، ولذا قال: ﴿۞لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]. فالبر: هو اتباع ما أمر الله به في كل وقت بحسبه.

(١) فالتوحيد لا يمكن أن يختلف فيه الرسُل أبداً، لأن دينهم واحد وهو الإسلام الذي وصف الله به جميع الرسل، فهم كلُّهم مسلمون بمعنىٰ: أنّهم يوحدون الله ويُفردونه بالعبادة وينقادون لأمره، هذا محلُّ إجماع ومحلُّ اتفاق، ولهذا يقول النبي ﷺ: «الأنبياء إخوةٌ لِعَلّات»[*] والإخوة لعلّات: هم الذين أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة، فكذلك الرسل عقيدتُهم واحدة وشرائعُهم مختلفة.

(٢) كما أنّ الرسل جاؤوا بالعدل الذي هو ضدُّ الجور وضد الظلم، فكل ما جاء به الرسل فإنّه عدل وصلاح، وكُلُّهم نهوا عن الظلم والجور والفساد، هذا محل اتفاق بين الرسل وهو الأمر بالعدْل والنهي عن الظلم والجور والطغيان.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥/ ١٥٣ (٩٢٧٠)، والبخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة.

وكـذاك نقطـعُ أنَّهـم أيضـاً دَعَـوْا
للخَمْـسِ وهـيَ قـواعـدُ الإيمـانِ
إيمـانُنـا بـالله ثـمَّ بِـرُسْلِـهِ
وبكُتْبِـهِ وقيـامـةِ الأبـدانِ
وبجنـدِهِ وهـم المـلائكـةُ الأُوْلَـىٰ
هُـمْ رُسْلُـهُ لمصـالـحِ الأكـوانِ(١)
هـذي أُصـولُ الـدِّيـنِ حقـاً لا أصـو
لُ الخمسِ للقاضي هُوَ الهَمَذاني(٢)

---

(١) أركان الإيمان الستة محلُّ إجماع الرسل وهي: «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» محل اتفاق بين الرسل لم يخالف فيها منهم أحد.

(٢) هذه الأصول الستة أجمعت عليها الرسل والكتب الإلهية. بخلاف أصول المعتزلة الخمسة التي أحدثوها وهي: التوحيد والعدل وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه أصول المعتزلة التي جعلوها بدل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، والتوحيد يريدون به نفي الصفات، والعدل عندهم نفي القدر لأنّ إثبات القدر عندهم جورٌ وظلم، وإنفاذ الوعيد: هو تخليد أصحاب الكبائر في النار خلاف أهل السنة الذين يقولون: أهل الكبائر لا يخرجون من الإيمان وهم مُعرَّضون للوعيد، إن شاء الله أنفذه فيهم وإن شاء عفا عنهم، فإنهم لا يخرجون من الإيمان ولا يُخلَّدُون في النار، =

تلـكَ الأصـولُ لـلاعتـزالِ وكَـمْ لَهـا
فَـرْعٌ فمنـهُ الخَلْـقُ للقـرآنِ
وجحـودُ أوصـافِ الإلٰـهِ ونفيُهُـمْ
لِعُلُـوِّهِ والفـوقِ للـرحمٰـنِ[1]

= والمعتزلة يقولون: أصحاب الكبائر خارجون من الإيمان وغير داخلين في الكفر، هم بمنزلة بين المنزلين وإذا ماتُوا علىٰ ذلك فهم مُخلَّدُون في النار.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يريدون به: الخروج علىٰ ولاة المسلمين إذا ظلموا أو جارُوا مع أنّ الرسول ﷺ نهىٰ عن ذلك، وأمر بطاعتهم والتزام بيعتهم ما لم يرتكبوا كفراً بواحاً، فما داموا لم يرتكبوا كفراً مخرجاً من الملة وإنما ارتكبوا كبائر دون الكفر فإنّ طاعتهم واجبة وباقية، ويجب الصبر علىٰ ظلمهم وجورهم لأجل جمع الكلمة ودرء المفسدة ومنع حدوث الفتن، لكن المعتزلة يقولون: الخروج عليهم إذا ظلموا أو فسقُوا هو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا باطل وهو المنكر بعينه، لأنّه هو الذي نهىٰ عنه الرسول ﷺ وأمر بالسمع والطاعة وإن جارُوا وظلموا وارتكبوا ما يقتضي فسقاً، وذلك لأنّ الخروج عليهم في هذه الحالة يُسبِّب شروراً علىٰ المسلمين وضياعاً للدين، ويفرق الكلمة ويسلّط الأعداء، فالمفسدة التي تحصل في الخروج عليهم أعظم من المفسدة التي في طاعتهم والصبر علىٰ ظلمهم وفسقهم وجورهم، وجاء الدّينُ بارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهُما، هذه قاعدة عظيمة مجمعٌ عليها.

(١) مما ترتب علىٰ هذه الأصول الباطلة: القول بخلق القرآن، الذي هو فرع عن الأصل الأول الذي هو عندهم التوحيد، فالتوحيد عندهم نفي الصفات، =

وكـــذا نفيُهُـــمْ لـــرؤيتنـــا لَــهُ
يــومَ اللقــاءِ كمــا يُــرىٰ القمــرانِ[١]

ونفـوا قضـاءَ الـربِّ والقـدرَ الـذي
سبـقَ الكتـابُ بـه هُمـا حتمـانِ[٢]

من أجلِ هاتيكَ الأصولِ وخلَّدُوا
أهـلَ الكبـائـرِ فـي لَظَـىٰ النيـرانِ[٣]

ولأجلِهـا نَفَـوُا الشفـاعـةَ فيهِـمُ
ورمَـوْا رواةَ حـديثِهـا بِطِعـانِ[٤]

= ومن ذلك نفي الكلام فقالوا: إنّ الله ليس له كلام وإنّما كلامُه مخلوق مثل سائر مخلوقاته.

(١) كل هذا متفرع عن الأول وهو نفي الصفات ومنها الرؤية.

(٢) هذا معنىٰ العدل عندهم: وهو نفي القضاء والقدر، لأنّ إثبات القضاء والقدر يقتضي الظلم عندهم، يقولون: كيف يقدر الكفر علىٰ العبد ثم يعذبه عليه؟ ونحن نقول: إن الثواب والعقاب يتعلقان بفعل العبد لا بمجرد القضاء والقدر.

(٣) هذا هو إنفاذ الوعيد عندهم ومعناه: تخليد أصحاب الكبائر في النار، خلافاً للنصوص الدالة علىٰ أن أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار إذا دخلوها، بل يخرجون منها بإيمانهم وتوحيدهم، وقد يعفو الله عنهم فلا يدخلونها أصلاً.

(٤) ترتَّب علىٰ قولهم بإنفاذ الوعيد نفي الشفاعة التي ثبتت بالكتاب والسنة فقالوا: إنّ من دخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها، مع أنّه =

ولأجلِهــا قــالــوا بــأنَّ الله لَــمْ
يَقْـدِرْ علىٰ إصـلاح ذي العصيـانِ(١)
ولأجلِهــا قــالــوا بــأنَّ الله لَــمْ
يَقْـدِرْ علـىٰ إيمـانِ ذي الكُفـرانِ(٢)

= ثبت في الحديث: أنّ النبي ﷺ يشفع لبعض العُصاة(*)، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون، فالشفاعة حق وهي لا تكون إلا للمؤمن العاصي، أمّا الكافر فإنّها لا تنفعُهُ شفاعة الشافعين.

(١) ولأجل نفيهم القدر قالـوا: إنّ الله لا يقدر علىٰ إصلاح ذي العصيان؛ لأنّ العبد يستقل بفعلـه بدون تقدير الله عزّ وجل فهو يطيع ويعصي بفعله، دون تقدير الله، هذا من ثمار هذه الأصول الخبيثة التي أصَّلُوها من عند أنفسهم، خلاف الأصول التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام.

(٢) ولأجل هذه الأصول الباطلة يقولون: إن الله لا يقدر علىٰ هداية الضال، ولا يقدر علىٰ إصلاح الفاسد، وإنما العبد هو الذي يصلح ويفسد بدون أن يكون لله مشيئة أو إرادة أو تدخلٌ فيه، وكفىٰ بهذا ضلالاً ـ والعياذ بالله ـ لأن الله جلَّ وعلا يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو القادر علىٰ إصلاح الفاسد وإفساد الصالح لحكمةٍ منه سبحانه وتعالىٰ.

(*) انظر أحاديث الشفاعة في «جامع الأصول» ١٠/ ٤٧٥-٤٩٠ ومنها، حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» أخرجه أحمد في «المسند» ٢٠/ ٤٣٩ (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم ١/ ١٣٩ (٢٢٨) وصححه علىٰ شرط الشيخين.

ولأجلها حَكَمُوا علىٰ الرَّحمٰنِ بالشْـ
شَـرْعِ المُحـالِ شـريعَـةِ البُهْتَـانِ
ولأجلهـا هُـمْ يـوجبـون رعـايـةً
لـلأصلـحِ المـوجـودِ ذي الإمكـانِ
حقـاً علـىٰ ربِّ الـورىٰ بعقـولهـمْ
سبحـانَـكَ اللهـمَّ ذي السُّبحـانِ(١)

* * *

(١) ومن تفريعاتهم الباطلة علىٰ هذه الأصول أنهم يوجبون علىٰ الله فعل الأصلح، والله جلّ وعلا لا يجب عليه شيء إلا ما أوجبَه هو علىٰ نفسه تفضلاً منه كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] هذا حقٌّ أوجبَه علىٰ نفسه، أمّا الناس فلا يوجبون علىٰ الله شيئاً، تعالىٰ الله عن ذلك، وسبحانه عمّا يقولون من هذه الأباطيل، والذي أوصلهم إلىٰ هذا: أنّهم اعتمدُوا علىٰ عقولهم وأفكارهم وتركوا أدلة الكتاب والسنة، ولا هداية إلا باتباع الكتاب والسنة، فمن تركهما واعتمد علىٰ أدلة العقل وقواعد المنطق وقع في الضلال.

فصل

هـذا وسـادسَ عَشْـرَهَـا إجمـاعُ أهـ
ـــلِ العلـمِ أعنـي حُجَّـةَ الأزمـانِ
مِـنْ كُـلِّ صـاحـبِ سُنَّـةٍ شهـدتْ لَـهُ
أهــلُ الحـديــثِ وعسكَـرُ القُـرْآنِ
لا عبــرةً بمُخــالــفٍ لهــم ولَــوْ
كــانُــوا عــديــدَ الشــاءِ وَالبُعـرانِ
أنَّ الــذي فــوق السمٰــواتِ العُلــىٰ
والعــرشِ وهــو مبــايــنُ الأكــوانِ
هــو ربُّنــا سبحــانَــهُ وبحمــدِه
حقاً علىٰ العرشِ استوىٰ الرحمٰنِ(١)

---

(١) الدليل السادس عشر علىٰ إثبات العلو: إجماع أهل العلم في كلّ زمان، وهم أهل الحديث، وأهل السنة، من الصحابة والتابعين وأتباعهم وكلُّ من سار علىٰ نهجهم كلهم مُجمعون علىٰ إثبات علوِّ الله علىٰ عرشه، والإجماعُ حُجةٌ قاطعة، ولا عبرة بمن خالفهم من أهل الضلال، ولو كانوا عدد الشياه والإبل؛ لأنّها مخالفةٌ بالباطل فلا عبرة بها، فالإجماع تامٌّ بدونهم، فالذين نفوا العلوَّ لا عبرة بهم ولا يُعتدُّ بخلافهم؛ لأنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة، وليسوا من أهل الحديث فلا عبرة بمخالفتهم في مسائل الاعتقاد، والخلاف الذي له وجه: هو الخلاف في المسائل الفقهية التي تُستنبط من الأدلة، فالعلماء يختلفون فيها بحسب =

فـاسمَـعْ إذاً أقـوالَهُـمْ واشهَـدْ عَلَيْـ
ـهِمْ بعـدَهـا بـالكفـرِ والإيمـانِ[١]
واقـرأ تفـاسيـرَ الأئمـة ذاكـرِي الـ
إسنـادِ فهـي هـدايـةُ الحيـرانِ[٢]

= اجتهادهم ومدارِكهم. وهذا خلافٌ غير مذموم إلا إذا ظهر الدليل فالواجب اتباعه وترك ما خالفه من الاجتهادات، أمّا العقيدة فليست مجالاً للاختلاف؛ لأنّها ليست محلاً للاجتهاد، وإنّما هي اتباع وتسليم وانقياد لما ثبت في الكتاب والسُّنة، فهي توقيفية ليست محلاً للاجتهاد، فمن خالف فيها فلا عبرة لمخالفته، فالذي يُعتبر قولهم وإجماعُهم أهل الحديث والقرآن، مثل الأئمة الأربعة والأوزاعي والثوري وابن المبارك وأئمة العلم والحديث ومن جاء من بعدهم من الأئمة. فهم مجمعون من أولهم إلىٰ آخرهم علىٰ أن الله فوق السموات العُلىٰ.

قوله: «وهو مباين الأكوان» أي: منفصلٌ عن الأكوان، ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته سبحانه وتعالىٰ، هذه هي المباينة، وهذا ردٌّ علىٰ أهل الحلول، الذين يقولون: إنّ الله في كلِّ مكان، وعلىٰ أهل الاتحاد الذين يقولون بوحدة الوجود.

(١) اسمع أقوال أهل العلم، حتىٰ تحكم علىٰ هذه الأقوال: هل هي حقٌّ أو باطل؟ لأنه لا يحكم الإنسان علىٰ الشيء قبل سماعه وقبل تصوُّره، كما يقولون: الحكم علىٰ الشيء فرعٌ عن تصوُّره، فاسمع أقوالهم واسمع حججهم وأدلتهم وبعد ذلك احكم عليهم بالصواب أو الخطأ.

(٢) التفسير بالإسناد هو الذي يعتمد عليه بخلاف التفسير الذي ليس له إسناد فإنه لا يعتبر، وهناك كتب تعتني بالإسناد والرواية كتفسير ابن جرير وابن كثير والبغوي.

وانظـرْ إلـىٰ قـولِ ابـنِ عبـاسٍ بتفـ
سيـرِ استوىٰ إنْ كنتَ ذا عِـرفـانِ[1]

وانظـرْ إلـىٰ أصحـابـه مِـن بعـدِه
كمجـاهـدٍ ومُقـاتـلٍ حَبْـرانِ[2]

وانظُـرْ إلـىٰ الكلبِـيِّ أيضـاً والـذي
قـدْ قـالَـهُ مِـنْ غيْـرِ مـا نُكـرانِ

وكـذا رفيـعُ التّـابعـيُّ أجلُّهُـمْ
ذاك الـرِّيـاحِـيُّ العظيـمُ الشّـانِ

كـم صـاحـبٍ ألقـىٰ إليـهِ علمَـهُ
فلـذاكَ مـا اختلفَـتْ عليـهِ اثْنَـانِ

فلَيَهُـنَ مَـنْ قَـدْ سَبَّـهُ إذْ لـمْ يُـوا
فِـقْ قـولَـهُ تحـرِيـفُ ذي البُهتَـانِ

فلهُـمْ عبـاراتٌ عليهـا أربـعٌ
قـد حُصِّلَـتْ للفـارسِ الطَّعّـانِ

وهـي استقـرَّ وقـد عـلا وكـذلـك ارْ
تفـعَ الـذي مـا فيـه مِـن نُكـرانِ

---

(١) حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] ارتفع إلىٰ السماء.

(٢) تلاميذ ابن عباس فسَّروا الاستواء بأنّه العُلو علىٰ العرش، ولم يُفسِّروه باستولىٰ؛ لأن تفسيره بالاستيلاء تفسيرٌ مُحدَث وليس له سند، وليس له أصلٌ عند السلف الصالح.

وكـذاك قـد صَعِـدَ الـذي هُـو أرْبَـعٌ
وأبـو عُبيـدَةَ صـاحـبُ الشيبـانـي
يختـارُ هـذا القـولَ فـي تفسيـرِهِ
أدرىٰ مـن الجَهْمِـيِّ بـالقـرآنِ[١]
والأشعـريُّ يقـولُ تفسيـرُ استـوَىٰ
بحقيقـةِ استـولـىٰ مـن البُهتـانِ[٢]
هـو قـولُ أهـلِ الاعتـزالِ وقـولُ أتـ
ـبـاعِ لجهـمٍ وهـو ذُو بُطـلانِ[٣]

---

(١) أبو عبيدة هو معمر بن المثنىٰ البصري والشيباني هو أبو عمرو، إسحاق ابن مِرار.

هذا تفسير السلف للاستواء بأربعة تفاسير ومعناها واحد وهي: استقرَّ وعلا وارتفع وصعد.

(٢) الإمام أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ ينكر تفسير الاستواء بالاستيلاء وهو الذي ينتسب إليه الأشعرية وهو بريء منهم، فنسبة هذا القول إليه من البُهتان فهو يكذِّب هذا وينفيه ويوافق السلف علىٰ تفسير الاستواء بما سبق من المعاني الأربعة، فمن نسب إليه تفسير استوىٰ بـ«استولىٰ» فهو كذّاب، لأنه يخالف ما في كتابيه «الإبانة عن أصول الديانة» و«مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» لما ذكر الأقوال ذكر أنّه علىٰ مذهب أهل السنة، وأنه متبعٌ للإمام أحمد، وصرَّح بهذا، فهذه الوثيقةُ في هذه الكُتب تُبرىء أبا الحسن الأشعري من هذا القول.

(٣) يقول: إنّ تفسير الاستواء بالاستيلاء هو مذهب المعتزلة ومذهب الجهمية، وأبو الحسن بريء منه.

فــي كُتْبِـهِ قـد قـالَ ذا مِـنْ مُـوجـزٍ
وإبــانـــةٍ ومقـــالـــةٍ ببيـــانِ[١]

وكـذلـك البغـويُّ أيضـاً قـد حَكـا
هُ عنْهُـــمُ بمعـــالـــمِ القـــرآنِ[٢]

وانظـرْ كـلامَ إمـامِنـا هـو مـالـكٌ
قـد صـحَّ عـن قـولٍ لـذي إتقـانِ

فــي الاستــواءِ بــأنّــهُ المعلــومُ لـ
ـكِـنْ كَيْفُـهُ خـافٍ علىٰ الأذْهـانِ[٣]

---

(١) هذه ثلاثة كتب لأبي الحسن الأشعري صرَّح فيها برجوعه وهي «الموجز» و«الإبانة في أصول الديانة»، وكذلك «مقالات الإسلاميين».

(٢) الإمام الحسين بن مسعود البغوي الملقَّب بمحي السنة، وهو إمام جليل وله تفسير جليل اسمه: «معالم التنزيل»، يذكر عن السلف الصالح تفسير الاستواء بهذه المعاني الأربعة وهو حُجةٌ في هذا.

(٣) ومن الأئمة العظام الذين صرَّحوا بإثبات الاستواء علىٰ العرش علىٰ حقيقته الإمام مالك بن أنس رحمه الله إمام الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، لما سأله سائل فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟ فأطرق الإمام مالك وعرق من قبح هذا السؤال وسوء أدب السائل مع الله سبحانه وتعالىٰ، ثمّ رفع رأسه وقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً ثمّ أمر به فأُخرج. فهو يقول: إن معنىٰ الاستواء معلوم وهو: العلو والارتفاع، وأمّا كيفيتُه فهي مجهولة، والسؤال عنها بدعة، ولا يعلم الكيفية إلا الله سبحانه وتعالىٰ فالكيف مجهول لا يعلمُه إلا الله سبحانه وتعالىٰ.

وروىٰ ابنُ نافعٍ الصدوقُ سَمَاعَهُ
منهُ علىٰ التحقيقِ والإتقانِ
الله حقاً في السماءِ وعلمُهُ
سبحانَه حقّاً بكلِّ مكانِ
فانظُرْ إلىٰ التفريقِ بين الذاتِ والْـ
ـمَعلومِ من ذا العالِمِ الرَّبّاني
فالذاتُ خُصَّتْ بالسماءِ وإنما الْـ
ـمَعلومُ عمَّ جميعَ ذي الأكوانِ
ذا ثابتٌ عن مالكٍ مَن ردَّهُ
فلسوف يلقىٰ مالكاً بهوانِ(١)
وكذاك قال الترمذيُّ بجامعٍ
عنْ بعضِ أهلِ العلمِ والإيمانِ

---

(١) أي: روىٰ ابن نافع قال: قال الإمام مالك: الله جلَّ وعلا فوق السمٰوات وعلمه في كل مكان، وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة: أنّ الله سبحانَه بذاته فوق سماواته عالٍ علىٰ مخلوقاته، أمّا علمه سبحانه فهو في كلِّ مكان، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ . . .﴾ الآية [المجادلة: ٧] فهو معهم بعلمه سبحانه، ليس مختلطاً بالناس، ولكنه بعلمه مع خلقه سبحانه وتعالىٰ لا يخفون عليه، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه استوىٰ علىٰ العرش، وأنّه يعلم ما في السمٰوات وما في الأرض لا يخفىٰ عليه شيء فهو بذاته فوق مخلوقاته، وأمّا علمه فهو في كل مكان.

اللهُ فـــوقَ العـــرشِ لكـــنْ علمُـــهُ
مـــع خلْقِـــهِ تفسيـــرُ ذي الإيمـــانِ
وكـــذاك أوزاعِيُّهُـــمْ أيضـــاً حكـــىٰ
عـن سـائـرِ العُلمـاء فـي البلـدانِ(١)
مِـــنْ قَـــرْنِـــهِ والتـــابعيـــنَ جَميعِهِـــمْ
مُتـــوافـــريـــنَ وهُـــمْ أولُـــوا العـــرفـــانِ
إيمـــانُهُـــمْ بِعُلُـــوِّهِ سبحـــانَـــهُ
فـــوقَ العبـــادِ وفـــوقَ ذي الأكـــوانِ
وكـــذاك قـــال الشـــافعـــيُّ حكـــاهُ عنــ
ـــهُ البيهقـــيُّ وشيخُـــهُ الـــرَّبّـــانـــي
حقـــاً قضـــىٰ اللهُ الخـــلافـــةَ ربُّنـــا
فـــوقَ السمـــاءِ لأصْـــدَقِ العُبـــدانِ(٢)
حِـــبُّ الـــرســـولِ وقـــائـــمٌ مِـــنْ بعـــدِه
بـــالحـــقِّ لا فَشَـــلٌ ولا مُتـــوانِ(٣)

---

(١) هذان الإمامان الترمذي والأوزاعي حكيا عن أهل العلم أن الله في السماء وعلمه في كل مكان.

(٢) قال الإمام الشافعي فيما رواه عنه الإمام البيهقي هذه الكلمة: أن خلافة أبي بكر الصديق حقّ قضاهُ الله من فوق سبع سماوات.

(٣) يعني أبا بكر فهو حبيب الرسول والقائم بعدَه بالحق وهو الذي وقف الموقف العظيم من أهل الردة بعد وفاة الرسول حتىٰ ثبَّت الله به الإسلام.

فانظرْ إلىٰ المَقْضيِّ في ذي الأرض لـ
ـكِنْ في السماءِ قضاءُ ذي السُلطانِ[(١)]
وقضاؤُهُ وصفٌ له لم ينفصِلْ
عنهُ وهذا واضحُ البُرهانِ[(٢)]
وكذلك النُّعمانُ قال وبعدَهُ
يعقوبُ والألفاظُ للنُّعمانِ[(٣)]
منْ لَمْ يُقِرَّ بعرشِه سُبحانَهُ
فوقَ السماءِ وفوقَ كلِّ مكانِ
ويُقرَّ أنَّ الله فوقَ العرشِ لا
يخفىٰ عليه هواجسُ الأذهانِ
فهو الذي لا شكَّ في تكفيرِهِ
للهِ دَرُّكَ من إمامِ زمانِ[(٤)]

---

(١) قال الشافعي: الله سبحانه قدَّر وقضىٰ استخلاف أبي بكر بعد النبي ﷺ فوق العرش، وهذا يدل علىٰ أن الشافعي يرىٰ مثل ما يرىٰ الأئمة في إثبات العلو.

(٢) قضاء الله صفةٌ من صفاته، وفعلٌ من أفعاله ملازم لذاته سبحانه وتعالىٰ.

(٣) النعمان: اسم أبي حنيفة فهو النعمان بن ثابت، هو أيضاً قال بما قال به الأئمة من علوِّ الله علىٰ عرشه وقاله من بعده: صاحبه أبو يوسف حاكياً هذا القول عن أبي حنيفة.

(٤) لما سُئل الإمام أبو حنيفة عن الذي يقول: لا أدري ربي في السماء أو في الأرض، قال: هو كافر؛ لأنّ الله جلَّ وعلا يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ =

هذا الذي في الفقه الأكبرِ عندَهُمْ
ولـــهُ شـــروحٌ عِـــدَّةٌ لبيـــانِ[١]
وانظـرْ مقـالـةَ أحمـدٍ ونصـوصَـهُ
فـــي ذاكَ تَلْقـــاهـــا بـــلا حُسْبـــانِ
فجميعُهـــا قـــد صـــرَّحَـــتْ بعلـــوِّهِ
وبـــالاستـــوا والفـــوقِ للـــرحمٰـــنِ
ولـــهُ نصـــوصٌ واردات لـــم تَقَـــعْ
لســـواهُ مـــن فُـــرسـانِ هـــذا الشـانِ
إذ كـــان مُمْتَحنـــاً بـــأعـــداءِ الحـــديـ
ـــثِ وشيعَـــةِ التعطيـــلِ والكُفـــرانِ[٢]

= عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨] ويقول: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] من لم يؤمن بهذا يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل هذا معنىٰ ما قالَه الإمام أبو حنيفة رحمه الله.

(١) هذه العبارة التي قالها أبو حنيفة موجودة في رسالته المسماة الفقه الأكبر، وهذه الرسالة مشهورةٌ عن أبي حنيفة وثابتةٌ عنه، بخلاف من يُشكك فيها، فقد رواها عنه أصحابه وشرحوها، وعليها شروح كثيرة لهم.

(٢) الإمام أحمد ابتلي بأهل البدع والزيغ وامتُحن، فهو ردَّ عليهم بردود واضحة وموجودة في كتب أصحابه وفي كتب مستقلة قد أملاها رحمه الله ذكر فيها علو الله فوق مخلوقاته واستواءه علىٰ عرشه.

وإذا أردتَ نصوصَهُ فانظرْ إلىٰ
ما قَدْ حكىٰ الخلّالُ ذو الإتقانِ[١]

وكذاك إسحاقُ الإمامُ فإنَّهُ
قَدْ قالَ ما فيه هُدىٰ الحَيرانِ[٢]

وابنُ المباركِ قالَ قولاً شافياً
إنكارُهُ عَلَمٌ علىٰ البُهتانِ

قالوا لهُ ما ذاك نَعْرِفُ ربَّنا
حقّاً به لِنَكُونَ ذا إيمانِ

فأجاب نَعرِفُهُ بوصفِ عُلُوِّه
فوقَ السماءِ مُبايِنَ الأكوانِ[٣]

وبأنَّهُ سبحانَهُ حقّاً علىٰ الْـ
ـعَرْشِ الرَّفيعِ فَجَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

وهو الذي قد شَجَّعَ ابنَ خُزيمةٍ
إذا سَلَّ سيفَ الحقِّ والعِرْفانِ

---

(١) إذا أردت الوقوف علىٰ أقوال الإمام أحمد في العلو وغيره فانظر إلىٰ كتاب «الجامع» للخلال فإنه جمع كلَّ ما صدر عن الإمام أحمد من فتاوىٰ ورسائل من مختلف الأقطار، جمعها في كتاب اسمه: «جامع الخلّال».

(٢) إسحاق بن راهويه عالم المشرق قد قال بإثبات العلو لله.

(٣) عبد الله بن المبارك الإمام الجليل، لما سئل بماذا نعرف ربنا؟ أجاب بأننا نعرفه بأنه فوق مخلوقاته مستو علىٰ عرشه.

وقضىٰ بقتلِ المنكرينَ عُلُوَّه
بعد استتابتِهِمْ من الكُفرانِ
وبأنهم يُلْقَوْنَ بعد القتلِ فَوْ
قَ مزابلِ المَيْتاتِ والأنتانِ[1]
فشفىٰ الإمامُ العَالِمُ الحَبْرُ الذي
يُدْعىٰ إمامَ أئمَّةِ الأزمانِ
ولقد حكاهُ الحاكمُ العدلُ الرضا
في كُتْبِه عنه بلا نُكرانِ[2]
وحكىٰ ابنُ عبد البَرِّ في تمهيده
وكتابِ الاستذكارِ غيرَ جَبانِ
إجماعَ أهلِ العلمِ أنَّ الله فَوْ
قَ العرش لم ينكرهُ ذو إيمانِ

---

(١) أبو بكر محمد بن خزيمة إمام الأئمة رحمه الله ألّف كتابه المشهور «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب سبحانه وتعالىٰ» بالأسانيد الصحيحة، حكىٰ علو الله واستواءَه علىٰ عرشه في هذا الكتاب.

(٢) ذكر الإمام الحاكم أنه لما سُئل الإمام أبو بكر محمد بن خزيمة رحمه الله عمن ينكر العلو، فقال: أرىٰ أن يقتل ويُلقىٰ علىٰ مزبلة حتىٰ لا يتأذىٰ بنتنه المسلمون وأهل الكتاب، يعني لا يدفن في مقابر المسلمين وإنما يُلقي في مزبلة كالجيفة القذرة.

وأتىٰ هُناكَ بما شفىٰ أهلَ الهُدىٰ
لكنَّهُ مَرَضٌ علىٰ العُميانِ[١]
وكذا عليُّ الأشعريُّ فإنَّهُ
في كُتْبِهِ قد جاءَ بالتِّبيانِ
مِنْ موجزٍ وإبانةٍ ومقالةٍ
ورسائلٍ للثغرِ ذاتِ بيانِ[٢]
وأتىٰ بتقريرِ استواءِ الربِّ فَوْ
قَ العرشِ بالإيضاحِ والبُرهانِ
وأتىٰ بتقرير العُلُوِّ بأحسنِ التْـ
تقريرِ فانْظرْ كُتْبَهُ بعيانِ[٣]

---

(١) كذلك الإمام: يوسف بن عبد البر النمري الإمام المشهور صاحب المؤلفات الضخمة مثل: شرح الموطأ المسمىٰ بـ«التمهيد» ومثل كتاب «الاستذكار في فقه علماء الأمصار» ذكر في هذين الكتابين إجماع أهل السنة والجماعة علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه.

(٢) وكلام ابن عبد البر هو في الحقيقة. كلامٌ يفرح به أهل الإيمان ولكن المعطلة يغضبون منه وينفرون منه لأنّه لا يوافق أذواقهم الفاسدة.

(٣) كذلك الإمام أبو الحسن الأشعري في كتبه التي ألفها في آخر حياته، والتي رجع فيها إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة ككتاب «الإبانة عن أصول الديانة» و«مقالات الإسلاميين» وكتاب: «الموجز» وكذا رسائلُه لأهل الثغر هذه أربعة كتب كلُّها رجع فيها إلىٰ الحق وأثبت علوَّ الله علىٰ عرشه هذا الإمام الذي تنتسب له الأشعرية الآن وهم يخالفونه في عقيدته، فانتسابُهم إليه ظلمٌ وعدوان.

والله مـا قـالَ المُجَسِّـمُ مثـلَ مـا
قَـدْ قَـالَـهُ ذا العـالِـمُ الـربَّـانـي[١]
فـارمُـوهُ وَيْحَكُـمُ بمـا تَـرْمُـوا بـهِ
هـذا المُجَسِّـمَ يـا أُولـي العُـدوانِ[٢]
أو لا فقـولـوا إنَّ ثَـمَّ حـزازةً
وتَنَفُّـسَ الصُعـداءِ مِـنْ حَـرَّانِ
فسلُـوا اللهَ شفـاءَ ذا الـداءِ العُضـا
لِ مُجـانِـبِ الإسـلامِ والإيمـانِ[٣]

---

(١) انظر كُتُبَ الأشعري الأربعة تجد أنّه مُصرِّحٌ بعلوِّ الله واستوائه علىٰ عرشه، وأنّه علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، وهذا رجوعٌ منه عن مذهبه الأول الذي هو مذهب الكلاّبية.

(٢) المعطلة يُسمُّون الذي يُثبت العلوَّ مُجسِّماً فالحنابلة عندهم مُجسِّمةٌ؛ لأنّهم يُثبتون الصفات كالعلوِّ، وإثباتُ الصفاتِ عندهم يقتضي التجسيمَ، فلذلك يسمُّون الحنابلةَ بالمُجسِّمة، فالشيخ يقول: إنّ أبا الحسن الأشعري قد قال مقالةً هي أوضح من مقالة المجسمة كما تسمونهم وهم الحنابلة، فليكن إمامُكم الذي تنتسبون إليه من المجسمة.

(٣) إذا لم تعترفوا بهذا فهذا يدلُّ علىٰ أنّ الذي عندكم هو حقدٌ وحرارة شديدة علىٰ أهل الإيمان وتنفُّس الصُعداء يُقال: تنفَّس الصُعداء، يعني أظهر ما في صدره من الحرارة والكتم الذي فيه، وتنفَّس تنفُّس مهموم، فأنتم كذلك تريدون أن تُظهروا ما في صدوركم من الحقد علىٰ من أثبت ذلك.

وانْظُـرْ إلـىٰ حَـرْبٍ وإجمـاعٍ حكـىٰ
لله دَرُّكَ مِـن فتًـىٰ كَـرمـانـي(١)

وانظرْ إلىٰ قولِ ابن وهبٍ أوْحِدِ الْـ
ـعُلماءِ مثلَ الشمسِ في الميزانِ(٢)

وانظـرْ إلـىٰ مـا قـال عبـدُ الله فـي
تلـكَ الـرسـالـةِ مُفصِحـاً ببيـانِ

مِـنْ أنَّـهُ سُبحـانَـهُ وبحمـدِه
بـالـذاتِ فـوقَ العـرشِ والأكـوانِ(٣)

وانْظـرْ إلـىٰ مـا قـالَـه الكَـرْخِيُّ فـي
شـرحٍ لتصنيـفِ امـرِىءٍ ربّـانـي(٤)

وانظرْ إلىٰ الأصـلِ الذي هـو شـرحُهُ
فَهُمـا الهـدَىٰ لِمُلَـدَّدٍ حيـرانِ

---

(١) هو حرب الكَرماني من أصحاب الإمام أحمد، حكىٰ الإجماع علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه، فهو من جملة الأئمة الذين حكوا الإجماع.

(٢) عبد الله بن وهب صاحب الإمام مالك المشهور من أكابر الأئمة في مصر، حكىٰ إجماع أهل العلم علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه.

(٣) عبد الله: هو أبو محمد بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة المشهورة علىٰ مذهب الإمام مالك وهي في الفقه، وبدأها بالتوحيد، وقرّر فيها علوَّ الله علىٰ عرشه، وأثبت فيها الأسماء والصفات لله عز وجل، فهي رسالة قيمة ومرجع من مراجع أهل الإسلام.

(٤) وكذلك الإمام الكرخي ألف شرحاً علىٰ رسالة الإمام أبي حنيفة وحكىٰ فيها الإجماع علىٰ علوِّ الله علىٰ خلقه.

وانظـرْ إلـىٰ تفسيـرِ عَبْـدٍ مـا الـذي
فيـه مـن الآثـارِ فـي ذا الشـانِ(١)

وانظرْ إلىٰ تفسيرِ ذاك الفاضلِ الثْـ
ـثَبْتِ الـرِّضـا المُتضلِّـعِ الـربّـانـي

ذاك الإمـامُ ابـنُ الإمـامِ وشيخُـهُ
وأبـوهُ سُفيـانٌ فـرازيّـانِ(٢)

وانظـرْ إلـىٰ النَّسـائـي فـي تفسيـرِه
هـو عنـدَنـا سِفْـرٌ جليـلُ مَعـانـي(٣)

واقـرأْ كتـابَ العـرشِ للعَبْسـي وهـ
ـوَ محمـدُ المـولـودُ مِنْ عثمـانِ(٤)

---

(١) لعله يقصد عبد بن حميد المشهور من أئمة المفسرين.

(٢) أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس بن المنذر وابنه: ابن أبي حاتم، عبدالرحمٰن بن محمد بن إدريس الرازي، وأبو محمد هو صاحب التفسير من أئمة أهل الحديث ولهم كلام في هذا الأصل في إثبات علوّ الله علىٰ عرشه ولا نعلم المراد من قوله: «وأبوه سفيان».

(٣) أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن الكبرىٰ والمجتبىٰ المشهور بـ«سنن النسائي» وهي إحدىٰ السنن الأربع، هذا الإمام أثبت علوَّ الله علىٰ عرشه، في كتاب التفسير له، لمّا جاء علىٰ آيات الاستواء أثبت علوَّ الله واستواءَه علىٰ عرشه.

(٤) محمد بن عثمان بن أبي شيبة أبو جعفر العبسي، له كتاب: اسمه «العرش» ذكر فيه الآيات التي في العرش وعلوَّ الله عليه.

واقــرأ لمُسنــدِ عَمِّـــه ومُصنَّـــفٍ
أتــراهُمــا نجميــنِ بــل شمســانِ[١]
واقـرأ كتــابَ الاستقـامَـةِ للـرِّضَـا
ذاكَ ابــنُ أصــرمَ حــافِـظٌ ربَّـانــي
واقـرأ كتـابَ الحـافـظِ الثقـةِ الـرضـا
فــي السُّنَّــة العُليـا فتـىٰ الشيبـانـي
ذاك ابـنُ أحمـدَ أوْحَـدُ الحفـاظِ قـدْ
شهـدَتْ لـهُ الحُفـاظ بـالإتقـانِ[٢]
واقـرأ كتـابَ الأثـرمِ العـدلِ الـرضـا
فــي السُّنَّــة الأُولــىٰ إمـامَ زمـانِ[٣]

---

(١) المسند والمُصنَّف لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أبي بكر العبسي، عم محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أبي جعفر العبسي.

(٢) هو عبد الله بن الإمام أحمد له كتاب «السنة» مشهور ومطبوع، أثبت هذه المسألة ووضَّحها أتمّ إيضاح، وهو الحافظ الثقة وأبوه: إمام أهل السنة: أحمد بن حنبل رحمهما الله.

(٣) أبو بكر الأثرم صاحب الإمام أحمد له كتاب: «السنة» لأنّ هناك مصنفات كثيرة يسمونها «السنة»[*] مثل: السُّنَّة لعبد الله بن أحمد والسنة لابن أبي عاصم والسنة للمَرْوَزِيّ والسنة للأثرم إلىٰ غير ذلك، يسمون كتب العقيدة كتب «السنة» لأنها علىٰ مذهب أهل السنة.

(*) انظر «الرسالة المستطرفة» ص٣٧-٣٩ الكتب التي تعرف بكتب السنة.

وكـذا الإمـامُ ابـن الإمـامِ المـرتضىٰ
حقـاً أبــي داودَ ذي العــرفــانِ
تصنيفُــه نظمــاً ونثــراً واضــحٌ
فـي السُّنَّـةِ المُثْلَـىٰ همـا نجمـانِ(١)
واقــرأ كتـابَ السُّنَّـةِ الأولـىٰ التـي
أبـــداه مُضطَلِـعٌ مِـــن الإيمـــانِ
ذاك النبيــلُ ابــنُ النبيــلِ كتــابُـهُ
أيضــاً نبيــلٌ واضــحُ البـرهــانِ(٢)
وانْظُرْ إلىٰ قولِ ابنِ أَسْباطِ الرِّضا
وانظـرْ إلـىٰ قـولِ الـرضـا سفيـانِ(٣)
وانْظُـرْ إلـىٰ قـولِ ابـن زيـدٍ ذاك حَمْـ
ـمَــادٌ وحمــادُ الإمــامُ الثــانــي(٤)

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث له منظومة حائية في العقيدة علىٰ مذهب السلف وله مصنف آخر في ذلك.

(٢) النبيل ابن النبيل، هو ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، أبو بكر، له كتاب «السُّنَّة» الكبير.

(٣) ابن أسباط، يوسف بن أسباط الشيباني الزاهد الواعظ، له ترجمة في «سير أعلام النبلاء» ٩/١٦٩-١٧١، و«لسان الميزان» ٨/٥٤٨. وسفيان هو ابن عيينة.

(٤) الحمادان: حماد بن زيد وحماد بن سلمة إمامان مشهوران، يُقرران علوَّ الله واستواءه علىٰ عرشه.

وانظـرْ إلـىٰ مـا قـالَـهُ علـمُ الهـدَىٰ
عُثمـانُ ذاك الـدارِمـيُّ الـربّـانـي[١]
فـي نَقْضِــهِ والـردِّ يـا لهُمـا كِتَـا
بَـا سُنَّــةٍ وهمــا لنــا عَلَمَــانِ
هُـدِمَـتْ قـواعـدُ فِـرْقَـةٍ جَهْمِيَّـةٍ
فَخَـرَّتْ سُقُـوفُهُـمُ علىٰ الحيطـانِ[٢]
وانظـرْ إلـىٰ مـا فـي صحيـحِ محمـدٍ
ذاك البخــاريُّ العظيــمُ الشــانِ
مِـنْ رَدِّهِ مـا قـالَـهُ الجهْمِـيُّ بـالنْـ
نَقْـلِ الصَّحِيـحِ الـواضِـحِ البُـرهـانِ

---

(١) عثمان بن سعيد الدارمي له كتابان: أحدهما: الرد علىٰ المريسي اسمه «نقض عثمان بن سعيد علىٰ المريسي العنيد»، والثاني: «الرد علىٰ الجهمية» وكلاهما مطبوع والمريسي هو بشر بن غياث المريسي الذي ناصب الإمام أحمد العداوة، هو والقاضي ابن أبي دُواد، وهما اللذان أساءا إلىٰ الإمام أحمد ووَشيا به وكانا سبباً في محنته.

(٢) كُتُب الدارمي هدمت أصول الجهمية حتىٰ خرّت سقوفُها من الحيطان، وذلك لأنّ الحقَّ يُزلزل الباطل، ولا ينفع البهرج والكذب بل يبقىٰ الحقُّ وأهل الحق، فالإمام أحمد امتحن وأُوذي، وخصومه اعتزوا بالسلطان والقوة لكن سرعان ما زالت قوتهم وبهرجهم وبقي الإمام أحمد وبقي الحق، والآن إذا ذُكر الإمام أحمد يُثنىٰ عليه ويُستغفر له ويُدعىٰ له، وإذا ذُكر أولئك فإنّهم يُسبّون ويُشتمون.

وانظرْ إلىٰ تلك التراجمِ ما الذي
في ضمنِها إن كنتَ ذا عِرفانِ[(١)]

وانظرْ إلىٰ ما قالَهُ الطبريُّ في الشْـ
ـشَرْحِ الذي هو عندَكُم سِفرانِ

أعني الفقيهَ الشافعيَّ اللاّلَكا
ئيَّ المُسدَّدَ ناصرَ الإيمانِ[(٢)]

وانظرْ إلىٰ ما قالَه علم الهدىٰ التْـ
ـتَيْمِي في إيضاحِه وبيانِ

ذاك الذي هو صاحبُ الترغيب والتْـ
ـتَرهيبِ ممدوحٌ بكلِّ لسانِ[(٣)]

وانظر إلىٰ ما قاله في السُّنةِ الْـ
ـكبرىٰ سليمانُ هو الطبراني[(٤)]

---

(١) انظر إلىٰ الجامع الصحيح للإمام البخاري وهو أصح كتاب بعد كتاب الله وفيه كتاب التوحيد وانظر إلىٰ تراجمه وما فيها من العلم الغزير.

(٢) يعني «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي الطبري، كتاب مشهور وطُبع محققاً.

(٣) كتاب «الترغيب والترهيب» للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الطلحي.

(٤) هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وله كتاب السنة في أصول الإيمان صرح فيه بعلو الله علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه.

وانظـرْ إلـىٰ مـا قـالـهُ شيـخُ الهُـدىٰ
يُـدعـىٰ بِطَلْمَنْكِيهِـمُ ذو شـانِ[١]
وانظـر إلـىٰ قـولِ الطّحـاوي الـرضـا
وَأجِـرْهُ مـن تحـريـفِ ذي بُهتـانِ[٢]
وكـذلـك القـاضـي أبـو بكـرٍ هـو ابْـ
ـنُ البـاقـلاّنـي قـائـدُ الفـرسـانِ
قـد قـال فـي تمهيـده ورسـائـلٍ
والشـرحِ مـا فيـه جلـيٌّ بيـانِ[٣]
في بعضِها حقّاً علىٰ العرش استوىٰ
لكنّـهُ اسْتَـوْلَـىٰ علـىٰ الأكـوانِ[٤]

---

(١) الإمام الطلمنكي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي أيضاً: له كتاب «الوصول إلىٰ معرفة الأصول» قرر فيه علو الله علىٰ خلقه واستواءه علىٰ عرشه ومعيته لخلقه بعلمه.

(٢) يعني عقيدة الإمام الطحاوي المشهورة التي عليها شرح ابن أبي العز، قد قرّر فيها علوَّ الله علىٰ عرشه، ونقل عن الإمام أبي حنيفة في هذا وصاحبيه.

(٣) أبو بكر بن الباقلاني: إمام مشهور وهو من الأشاعرة لكنه يُقرِّر «العلو» أتمّ تقرير وبأوضح عبارة. كما في كتابه: «التمهيد في أصول الدين».

(٤) أي: صرح في كتبه بأن الله استوىٰ علىٰ العرش حقيقةً بمعنىٰ علا وارتفع، واستولىٰ علىٰ الأكوان، أي: المخلوقات لأنها في ملكه، فيُقال: استولىٰ علىٰ الأكوان و﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأتـــىٰ بتقــريـــرِ العُلــوِّ وأبطــل الْـ
لام التـــي زيــدَتْ علــىٰ القُــرآنِ[١]

مِـــنْ أوجُـــهٍ شتَّـــىٰ وذا فـــي كُتْبِـــهِ
بـــادٍ لِمَـــنْ كـــانَـــتْ لـــهُ عيْنـــانِ

وانظـرْ إلـىٰ قـولِ ابـنِ كُـلاّبٍ ومـا
يقضِـــي بـــه لِمُعطِّـــلِ الـــرحمٰـــنِ

أخـرِجْ مِـنَ النَّقْـلِ الصَّحِيـحِ وعقْلِـهِ
مَـــنْ قـــال قـــوْلَ الـــزُّورِ والبُهتَـــانِ

ليـــس الإلٰـــهُ بـــداخـــلٍ فـــي خلْقـــه
أو خـــارجٍ عـــن جملـــةِ الأكـــوانِ[٢]

وانظر إلىٰ ما قالهُ الطبريُّ في التْـ
تفسيـــرِ والتهـــذيـــبِ قـــولَ مَعـــانِ

وانظـر إلـىٰ مـا قـالَـهُ فـي سُـورة الْـ
أعـراف مـع طٰـه ومـع سبحـانِ[٣]

---

(١) أبطل ابن الباقلاني قولهم: «استوىٰ» بمعنىٰ: «استولىٰ» أبطل هذه اللام، وهو إمامٌ جليل مشهور بقوة الحجة والذكاء والفطنة.

(٢) هو عبد الله بن سعيد بن كُلاّب، إمام الكُلاّبية المشهور، لكن مع أنه يؤول كثيراً من الأسماء والصفات إلا أنّه يثبت العلو.
وردَّ مقالة المعطلة: إنّ الله لا داخل ولا خارج العالم.

(٣) الطبري هو أبو جعفر الإمام الطبري شيخ المفسرين قال هذا في كتابه: «التفسير»، المشهور بتفسير الطبري، وكتاب «تهذيب السنن والآثار». =

وانظـرْ إلـىٰ مـا قـالـهُ البغـويُّ فـي
تفسيـــرِه والشـــرحِ والإحســـانِ[١]

فـي سُـورةِ الأعـرافِ عنـدَ الإستـوىٰ
فيهـا وفـي الأُولـىٰ مـن القُـرآنِ

وانظـرْ إلـىٰ مـا قـالـهُ ذو سُنَّـةٍ
وقـراءةٍ ذاك الإمـامُ الـدانـي[٢]

وكـذاك سُنَّـةُ الأصبهـانـيِّ أبـي الشْـ
ـشَيْخِ الرضا المُسْتَلِّ من حَيانِ[٣]

وانظر إلىٰ ما قالَهُ ابنُ سُريجٍ الـ
ـبَحْرُ الخِضَـمُّ الشـافعيُّ الثـانـي[٤]

وانظُـر إلـىٰ مـا قـالَـهُ عَلَـمُ الهُـدىٰ
أعنـي أبـا الخَيْـرِ الـرِّضـا النُّعمَـانِ

= وعندما فسَّر الآيات التي في الاستواء والعلو من هذه السور أثبت استواء الله علىٰ عرشه حقيقة من غير تأويل ومن غير تحريف.

(١) هو الإمام الحسين بن مسعود البغوي محي السنة إمامُ جليل، له كتاب في التفسير مختصر وهو فيه علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة.

(٢) المقرىء الإمام المشهور بالداني قال بإثبات علوِّ الله علىٰ عرشه وله في ذلك كتاب مشهور.

(٣) هو أبو الشيخ بن حيان له كتاب «العظمة» يُقرِّر هذه المسألة كغيره من الأئمة.

(٤) ابن سُريج من أئمة الشافعية ويُلقَّب: بالشافعي الثاني لإلمامه بالمذهب حتىٰ صار حجةً في مذهب الشافعي، وقد حكىٰ هذا القول أيضاً.

وكتَـابُـهُ فـي الفقـهِ وهـوَ بيـانُـهُ
يُبـدي مكـانتَـهُ مِـنَ الإيمـانِ
وانظر إلىٰ السُّنَنِ التي قد صنفَّ الْـ
ـعُلَمـاءُ بـالآثـارِ والقـرآنِ
زادتْ علـىٰ المـائتيـنِ منهـا مُفـردٌ
أَوْفَىٰ من الخمسينَ في الحُسْبانِ(١)
منهـا لأحمـدَ عِـدَّةٌ مـوجـودةٌ
فينـا رسـائلُـهُ إلـىٰ الإخـوانِ(٢)
واللائي في ضِمْنِ التصانيف التي
شُهِـرَتْ ولـم تَحْتَـجْ إلـىٰ حُسبـانِ
فكثيـرةٌ جـداً فمـن يـكُ راغبـاً
فيهـا يَجِـدْ فيهـا هُـدىٰ الحيْرانِ(٣)

---

(١) انظر إلىٰ الكتب التي صُنِّفت باسم السنة مثل: «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد، أو «الاعتصام بالسنة» لابن أبي عاصم، أو «السنة» للمَرْوَزِيّ وهذه الكتب، تزيد علىٰ المائتين، كلُّها تُسمىٰ «بالسنة» منها خمسون أو أزيد من خمسين مُفردة ومنها البقية مذكورة مع غيرها من أبواب العلم.

(٢) من كتب السنة رسائل: «السنة» للإمام أحمد التي أرسلها إلىٰ السائلين الذين سألوه وأجابهم، جمعها الخلاّل في كتابه: «جامع الخلاّل» كُلُّها تقرر هذا الأصل.

(٣) لما ذكر أسماء هؤلاء العلماء ومؤلفاتهم، أحال علىٰ بقيتها، ومن أراد المزيد فللناظم كتاب اسمُه «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية» ذكر فيه أقوال أهل العلم وكتبهم المصنفة في ذلك.

أصحـابُهـا هُـمْ حـافِظُـو الإسـلامِ لا
أصحـابُ جَهْـمٍ حـافظُـو الكُفـرانِ[١]

وهُـمُ النجـومُ لكـلِّ عبـدٍ سـائـرٍ
يبغـي الإلٰـه وجنَّـةَ الحيَـوانِ[٢]

وسِـواهُـمُ واللهِ قُطَّـاعُ الطـريـ
ـقِ أئمـةٌ تـدعـو إلـىٰ النيـرانِ

مـا فـي الـذيـن حكيـتُ عنهـم آنفـاً
مِـن حَنْبَلـيٍّ واحـدٍ بضمـانِ[٣]

---

(١) أصحاب هذه الكتب هم حافظو الإسلام وحُراسُه والمدافعون عنه لا أصحاب جهم الضُلّال حافظوا الكفر والمدافعون عن الكفر والإلحاد ـ والعياذ بالله ـ.

(٢) العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء يهتدي بهم الناس في الظلمات كما يهتدون بالنجوم في الليل، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وشبّه النبيُّ ﷺ العلماء بالنجوم يُهتدىٰ بها في ظلمات البر والبحر، هؤلاء هم النجوم الذين يُتهدىٰ بهم لا علماء الضلال الذين يُضللون الناس ويصرفونهم عن الحق.

(٣) وما عدا أعلام الهُدىٰ وعلماء أهل السُّنة والجماعة فإنّهم قطّاع طريق، يعني يقطعون الطريق إلىٰ الله عزّ وجل، ويصدون الناس عن السير إلىٰ الله، ويدعونهم إلىٰ جهنّم كما قال تعالىٰ في فرعون وآله: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١] فأئمة =

بـــل كلُّهُـــمْ واللهِ شيعـــةُ أحمـــدٍ
فـــأصـــولُــه وأصـــولُهُـــمْ سِيَّـــانِ[(١)]

= الضلال يدعون إلىٰ النار بتحريفهم وتزييفهم وصدهم الناس عن الحق، وقد وصفهم النبيُّ ﷺ لمّا ذكر الفتن وما يحدث في آخر الزمان قال: «دعاةٌ علىٰ أبوابِ جهنّم من أطاعهم قذفوهُ فيها»[(*)]، فما كل من يدعو يُستجاب له حتىٰ يُنظر ماذا يدعو إليه، وما هو علمه، وما هي سيرته، وإلا فالانسياق وراء كلِّ داعية فيه خطرٌ عظيم، خصوصاً في هذا الزمان، لأن اسم الدعوة إلىٰ الله صار مظلة دخل تحته ما هب ودب، من الشيعة والباطنية والملاحدة، كلهم يَدَّعون الدعوة إلىٰ الله، لكن لننظر من يدعو إلىٰ الله حقيقة ونكون معه، ونتجنَّب هؤلاء الدعاة المتسمين بالدعوة لأنهم وإن قالوا: إنّهم يدعون إلىٰ الله فهم يدعون إلىٰ النار، الآن كثُرت الأحزاب والفتن، وكلّ ينتسب للدعوة إلىٰ الله، وكلّ له مؤسسة جماعية وتنظيم ومنهج ويتسمون باسم: الدعوة إلىٰ الله، فيجب علينا أن نُميِّز الحقَّ من الباطل ولا ننساق وراء كل أحد، ولا ننخدع بالمظاهر والكلام المعسول حتىٰ نُميِّز.

(١) يقول رحمه الله: هؤلاء الذين حكىٰ عنهم من البداية إلىٰ الآن، وهم لا يُحصون عدداً من الأئمة وأتباعهم، يقول: هؤلاء كلُّهم ليسوا بحنابلة، لأن أهل الضلال يقولون: إنه لا يثبت الصفات إلا الحنابلة، ويُسمونهم المجسمة، وهؤلاء الذين حكىٰ عنهم إثبات الصفات أغلبهم ليسوا حنابلة، بل إنهم يجتمعون مع الحنابلة علىٰ الحق. =

(*) قطعة من حديث حذيفة بن اليمان أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

وبـذاك فـي كتـبٍ لهـم قـد صرَّحـوا
وأخـو العَمـايـةِ مـا لَـهُ عينـانِ[١]
أتظنُّهُـــم لَفْظيَّـــةً جَهْليَّـــةً
مثـلَ الحميـرِ تُقـادُ بـالأرسـانِ[٢]
حـاشـاهُـمُ مِـنْ ذاكَ بـلْ واللهِ هُـمْ
أهـلُ العُقـولِ وصحَّـةِ الأذهـانِ
فـانظُـرْ إلـىٰ تَقْـريـرِهِـم لِعُلُـوِّهِ
بـالنَّقْـلِ والمعْقُـولِ والبُـرْهـانِ

= وإنما هم من شيعة أحمد يعني من مُناصريه، وإن كانوا حنفية ومالكية وشافعية أو مَنْ قبلهم من الأئمة الذين لا ينتسبون لمذهب معين، كلّهم اتفقوا مع الإمام أحمد ومع الحنابلة علىٰ هذا الأصل وهو إثبات علوِّ الله علىٰ عرشه فكيف تذمّون الحنابلة وتصفونهم بالمُجسِّمة والحشوية إلىٰ غير ذلك من الألقاب، ما ذنبهم في هذا؟!

(١) هؤلاء الأئمة صرَّحوا في كتبهم بهذه المسألة ووافقوا الحنابلة، أو الحنابلة اتفقوا معهم، لكن الذي ليس له عينان لا يُبصر الحق، وإنّما يُغمض عن الحق، ويتكلَّم عن الشخص الذي يحقد عليه ويُبغضه فقط.

(٢) أتظنون أن هؤلاء الأئمة مُقلِّدة، وأنّهم عُبّاد ألفاظ يتقيدون بالألفاظ دون فقهٍ بالمعاني، كما هو قول أهل الضلال في أئمة الهُدىٰ؛ أنّهم لا يفهمون، يحفظون الألفاظ ولكن لا يفهمون معانيها، فهم مثل الحمير التي تحمل الكتب، وهي لا تفهم ما فيها، هذا ما يقولونه في أئمة الهُدىٰ يسمونهم: حشوية، مُجسمة، لفظية.

عقـلانِ عقـلٌ بـالنصـوص مُـؤيَّـدٌ
ومُـؤيَّـدٌ بـالمنطـقِ اليـونـانـي
واللهِ مـا استـويـا ولـن يتـلاقيـا
حتـىٰ تشيـبَ مَفَـارِقُ الغِـربـانِ[1]
أفتقـذِفُـونَ أُولاءِ بَـلْ أضْعـافَهُـمْ
مِـنْ سـادَةِ العُلَمـاءِ كُـلَّ زمـانِ
بـالجَهْـلِ والتَّشْبِيـهِ والتَّجْسِيـمِ والتْـ
تَبْـدِيـعِ والتَّضْليـلِ والبُهتـانِ

---

(١) يقول: هناك عقلان: عقل مؤيَّدٌ بالنصوص من الوحي المُنزَّل من كتاب الله وسنة رسوله، والعقل الثاني: عقل مؤيد بالمنطق اليوناني وعلم الكلام، لا يستويان ولن يجتمعا أبداً، فلا بُدَّ أن يختلفا، ولن يجتمعا حتىٰ تشيب مفارق الغِربان، لأن الغراب لا ينقلب أبيض، فكذلك لا يجتمع الذي عقيدتُه مبنية علىٰ علم الكلام والمنطق مع الذي عقيدتُه مبنية علىٰ الكتاب والسنة، فالذين يقولون الآن: نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، هذا يبطله كلام ابن القيم، يقول: والله لن يجتمعا حتىٰ تشيب مفارق الغربان، لا نتفق نحن وإياهم أبداً، ما دام الخلاف علىٰ الأصول وعلىٰ العقيدة، فلا يمكن أن نجتمع مهما قُلتم، ولو كان الخلاف في مسائل فقهية لها محل من النظر أمكن الاجتماع مع بقاء الاختلاف في مسائل الفقه، لكن الخلاف في الأصول، لا يمكن الاجتماع بين المختلفين فيه أبداً.

يـا قـومَنـا أَللهَ فـي إسـلامِكُـمْ
لا تُفسِـدُوهُ لنخـوةِ الشيطـانِ[1]

يا قوْمَنا اعتبِروا بِمصرَعِ مَنْ خلا
مِـنْ قبلِكُـمْ فـي هـذه الأزمـانِ

لَـمْ يُغْـنِ عنهُـمْ كِـذْبُهُـمْ ومِحـالُهُـمْ
وقِتـالُهُـمْ بـالـزُّورِ والبُهْتـانِ

كـلّا ولا التـدليـسُ والتلبيـسُ عنـ
ـدَ النـاسِ والحُكّـامِ والسلطـانِ[2]

---

(١) يقول: ارجعوا إلىٰ الصواب، لا يمكن أن يكون هؤلاء الأئمة وإجماعهم واتفاقُهم علىٰ خطأ، قال ﷺ: «لا تجتمع أمتي علىٰ ضلالة»(*) قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] والذي يتبع غير سبيل المؤمنين مصيره إلىٰ جهنَّم.

(٢) ولا ينفعهم أنّهم يذمون أهل الحق عند الناس وفي المجالس وعند السلاطين ويُغرُون السلاطين، ماذا صنع خصوم الإمام أحمد به عند السلطان؟! وماذا كانت العاقبة؟ وماذا صنع خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية؟ =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٥/ ٢٠٠ (٢٧٢٢٤) من حديث أبي بصرة الغفاري، وهو حديث صحيح لغيره، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» ١/ ١٩٩-٢٠٣ (٣٩١-٤٠٠) من حديث ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك. وانظر «كشف الخفاء» ٢/ ٤٧٠ (٢٩٩٩)، وبالجملة فالحديث مشهور المتن، وله أسانيد كثيرة، وشواهد عديدة في المرفوع وغيره.

وبـدا لهـم عنـد انكشـافِ غِطـائِهـم
مـا لَـمْ يَكُـنْ للقـومِ فـي حُسبـانِ
وبدا لهم عندَ انكشافِ حقائقِ الْـ
إيمـــانِ أَنَّهُـــمُ علـــىٰ البُطــلانِ[1]
مــا عنــدَهُــمْ واللهِ غيــرُ شكــايــةٍ
فــأْتُــوا بعلــمٍ وانْطِقُــوا ببيــانِ[2]

= ووشاتهم بـه عنـد السلطان حتىٰ أودع فـي السجن، لكن انكشف فيما بعد أن الحق مع الشيخ وأنّهم علىٰ الباطل ولله الحمد، فالشيخ الآن ذكره يلمع وكتبه يتسابق النـاسُ إليهـا ويقرؤونهـا بلهف، وأمّا كتب أولئك فإنها ذهبت معهم مغمورة لا قيمة لها، إلا أنّها سوّدت الأوراق فقط.

(١) لما ماتوا ورأوا مصيرهم بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، والإمام أحمد يوم مات خرجت بغداد كلُّها معه تشيعه وضاقت الشوارع حتىٰ حُزر الذين حضروا جنازته بمئات الألوف، وابن أبي دُواد لما مات ما وجد من يحمل جنازته إلا بعض شرطة السلطان.

(٢) ما عند أهل الضلال حجة إلا أنّهم يلجؤون للقوة، ويشكون إلىٰ السلاطين الذين يوافقونهم كما فعلوا مع المأمون والمعتصم والواثق وكما فعل خصوم شيخ الإسلام عندما وشوا به للسلاطين ما عندهم إلا اللجوء إلىٰ القوة، مثل فرعون لمّا أفحمه موسىٰ بالحجة قال: ﴿ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩].

مـا يشتكـي إلاَّ الـذي هُـو عـاجـزٌ
فـاشكُـوا لِنَعْـذُرَكُـمْ إلـىٰ القـرآنِ[١]
ثمَّ اسمعوا ماذا الذي يقضي لكُمْ
وعليكُـمُ فـالحـقُّ فـي الفُـرقـانِ[٢]
لَبَّسْتُـمُ معنـىٰ النصـوصِ وقُـولِنـا
فغـدا لكُـمْ للحـقِّ تَلبيسـانِ[٣]
مَنْ حرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فكيفَ لا
لا يـأتـي بتحـريـفٍ علـىٰ إنسـانِ
يـا قـومُ واللهِ العظيـمِ أسـأتُـمُ
بـأئمـةِ الإسـلامِ ظـنَّ الشـانـي
مـا ذنبُهُـمْ ونبيُّهُـمْ قـد قـالَ مـا
قـالـوا كـذاكَ مُنـزِلُ الفُـرقـانِ[٤]

---

(١) لا يلجأ إلىٰ القوة إلا العاجز عن الحُجّة، فالشيخ يقول: إن كنتم ستشكون فاشكوا إلىٰ القرآن، لننظر أيُّنا الذي علىٰ الحق، أمّا إنكم تشكون إلىٰ مخلوق لا يعرف الحقيقة وتُغرِّرون به وتخدعونه، فهذه ليست طريقة علم ولا طريقة مناظرة.

(٢) يقول: تعالوا نتحاكم وإيّاكم إلىٰ القرآن فننقاد لحكمه.

(٣) يقول: ليس تحريفُكم لكلامنا وكذبكم علينا فقط، بل أنتم لبَّستم معاني النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، تطاول شرُّكم حتىٰ بلغ النصوص، تناولتموها بالتحريف والتلبيس فليس شرُّكم مقصوراً علينا.

(٤) ما ذنب أهل العلم والسلف إذا قالوا: قال الله وقال رسوله، ماذا تُقابلون قولهم إلا بقولكم قال الفيلسوف فلان، وقال المتكلِّم فلان، ما عندكم =

مَـا الـذنْـبُ إلاَّ للنصـوصِ لـديكُـمُ
إذ جَسَّمَـتْ بـل شَبَّهَـتْ صِنْفـانِ[١]

ما ذَنْبُ مَن قد قال ما نطقَتْ به
مـن غيـرِ تحـريـفٍ ولا عُـدوانِ[٢]

هــذا كمــا قــال الخبيــثُ لصَحْبِـهِ
كلــبُ الـروافـضِ أخبـثُ الحيـوانِ

لمَّا أفاضُوا في حديثِ الرفضِ عنـ
ـدَ القبـرِ لا يخشـوْنَ مـن إنســانِ

يـا قـومُ أصـلُ بـلائِكُـمْ ومُصـابِكُـمْ
مـن صـاحـبِ القبـرِ الـذي تَـريـانِ[٣]

= غير هذا، ما عندكم غير المنطق العقلي والأقيسة العقلية، ما عندكم غير هذه الحُجج، تقابلون بها النصَّ الوارد في القرآن والسنة.

(١) قال بعضهم: القرآن ليس فيه إلا الشرك، لأنّه يُثبت الصفات، وإثبات الصفات عندهم شرك.

(٢) الذي قد قال ما قالت به النصوص من غير تحريف ولا تأويل ما ذنبه؟ هو متبعٌ للوحي فكيف تعيبونه؟ إن كان عندكم عيب فعيبوا مُنزل الوحي وهو الله سبحانَه وتعالىٰ، وعيبُوا مُبلّغ الوحي وهو الرسول ﷺ أمّا هؤلاء فهم متبعون للوحي فلا تعيبوهم وإنّما عيبوا الأصل، الذي هُم عليه.

(٣) الروافض اجتمعوا عند القبر النبوي ومعهم شيخهم يسبون أهل السنة، قال لهم: لا تسبوا أهل السنة، صاحب هذا القبر هو أصل البلاء؛ لأنّهم يأخذون بكلامه ويُخاصمونكم به، وهو إمامهم وقائدهم.

كَـمْ قـدَّمَ ابـنُ أبـي قُحـافَـةَ بـل غـدا
يُثنــي عليــه ثنــاءَ ذي شُكــرانِ
ويقـولُ فـي مـرضِ الـوفـاة يـؤمُّكُـمْ
عنِّــي أبــو بكــرٍ بــلا رَوَغــانِ
ويظــلُّ يمنَـعُ مِـن إمـامـةِ غيـرِه
حتــىٰ يُـرىٰ فـي صُـورةِ الغضبـانِ
ويقـولُ لـو كنـتُ الخليـلَ لـواحـدٍ
في الناسِ كان هُوَ الخليلَ الدَّاني
لكنــهُ الأخُ والـرفيـقُ وصــاحبـي
ولــهُ علينــا مِنَّــةُ الإحســانِ
ويقــولُ للصِّــدِّيـقِ يــومَ الغـارِ لا
تَحــزَنْ فنحــنُ ثـلاثــةٌ لا اثنــانِ
اللهُ ثــالِثُنـــا وتلـــك فضيلـــةٌ
مــا حــازهــا إلاَّ فتــىٰ عُثمــانِ[1]

---

(١) يقول الرافضي لأصحابه عند قبر الرسول ﷺ: لا تذموا أبا بكر بل ذموا صاحب هذا القبر كيف تبغضون أبا بكر وتلعنونه، وصاحب هذا القبر هو الذي يُقدِّمه في الصلاة، وهو الذي أشار إلىٰ استخلافه من بعده، وهو الذي قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً» (*) =

(*) أخرجه مسلم (٢٣٨٣) من حديث عبد الله بن مسعود.

يـا قـومُ مـا ذنـبُ النـواصـبِ بعـد ذا
لـــم يُــذْهِكُــمْ إلاَّ كبيــرُ الشــانِ[١]

= فلا تلوموا أبا بكر وتقولوا: صنم قريش، لكن لوموا صاحب هذا القبر هو الذي قدّمه علىٰ الصحابة، كذلك لا تَسُبُّوا عمر وعثمان والصحابة لأن الذي قدَّمهم وفضَّلهم هو صاحب هذا القبر.

وفي غار ثور لمّا خرجا مختفيين عن المشركين، وخرج المشركون يطلبونهما ووقفوا علىٰ الغار، قال أبو بكر: يا رسول الله: لو نظر أحدُهم إلىٰ موضع قدمه لأبصرنا، فقال ﷺ لأبي بكر: «ما ظنك باثنين الله ثالثُهما»(*) فأنزل الله في ذلك قرآناً، ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] الرسول ﷺ وأبو بكر، ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] فهو معهما بإعانته وتوفيقه سبحانه، ليس معناه أنّه حالٌّ معهما في الغار تعالىٰ الله عن ذلك، لأنّه فوق سماواته عالٍ علىٰ عرشه، لا يحلُّ في شيءٍ من خلقه أبداً، وفتىٰ عثمان هو أبو بكر الصديق لأن اسمه: عبد الله ابن عثمان.

(١) يقول الرافضي لأصحابه: ما ذنب النواصب ـ يعني أهل السنة ـ تسميهم الرافضة نواصب؛ لأنّهم ناصبُوا أهل البيت العدواة بزعمهم، ليس لهم ذنب إذا أحبوا أبا بكر، والرسولُ قد أحبه. فأنتم ما ضرّكم إلا هذا الرسول الذي مدحه وأثنىٰ عليه وأحبه.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١/١٨٩-١٩٠ (١١)، والبخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

فتفـرَّقَـتْ تلـك الـرزوافـضُ كُلُّهُـمْ

قــد أطبقــتْ أسنَــانَــهُ الشفتــانِ[١]

وكــذلــكَ الجهمــيُّ ذاكَ رَضيعُهُــمْ

فهمُــا رَضيعــا كُفــرِهــم بِلِبــانِ[٢]

ثـوبـانِ قـد نُسجـا علـىٰ المنـوالِ يـا

عُــريــانُ لا تَلْبَــسْ فمــا ثــوبــانِ

واللهِ شَــرٌّ منهُمــا فَهُمُــا علــىٰ

أهــلِ الضــلالــةِ والشَّقــا عَلمــانِ[٣]

* * *

---

(١) كلُّهم ندموا لمّا سمعوا كلام هذا الخبيث، وأصابهم الندم والحسرة فصمتوا ولم يتكلَّموا من شدة الحسرة.

(٢) والجهمية رضِعُوا من مذهب الرافضة الخُبث والكفر والإلحاد، فهما شبيهان.

(٣) ما علىٰ وجه الأرض أخبث من الرافضة والجهمية لتشابههم في الكفر والإلحاد ـ والعياذ بالله ـ فهما ثوبان منسوجان من الكفر والإلحاد. والشيخ يُحذِّر من لبس هذين الثوبين، ثوب الرفض وثوب التجهم.

فصل

هـذا وسـابـعَ عَشْـرَهـا إخبـارُهُ
سُبْحـانَـهُ فـي مُحْكَـمِ القـرآنِ
عـن عبدِه مـوسـىٰ الكليـمِ وحَـرْبِـهِ
فـرعـونَ ذي التكـذيـبِ والطُّغيـانِ
تكـذيبِـهِ مـوسـىٰ الكليـمِ بقـولـه
اللهُ ربِّـي فـي السمـا نبَّـانـي(١)
ومـن المصـائـبِ قـولُهُـمْ إنَّ اعتقـا
دَ الفـوقِ مـن فـرعـونَ ذي الكُفـرانِ
فـإذا اعتقـدْتُـمْ ذا فـأشيـاعٌ لـهُ
أنتُـمْ وذا مـن أعظـمِ البُهتـانِ(٢)

---

(١) الدليل السابع عشر علىٰ إثبات علوِّ الله فوق سماواته: إخبار الله في القرآن عن موسىٰ وفرعون حيث إن فرعون لمّا أراد أن يتظاهر بتكذيب موسىٰ أمام الناس قال لهامان وزيره: ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦] والصرح البناء المرتفع، ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] فهذا يدل علىٰ أنّ موسىٰ عليه السلام أخبر فرعون أنّ ربّه في السماء فقال فرعون هذا من باب الجحود والمكابرة وإلا فهو يعرف في قلبه صدق موسىٰ عليه السلام، ولكن من باب المكابرة والعناد والخوف علىٰ مُلكه بزعمه قال هذا الكلام.

(٢) المعطلة قلبوا هذا الدليل وقالوا: هذا يدل علىٰ أنّ اعتقاد علوِّ الله فوق مخلوقاته هو مذهب فرعون، فأنتم إمامكم فرعون المعطل، يقولون هذا =

فـاسْمَعْ إذاً مَنْ ذا الـذي أولىٰ بِفِـرْ
عَـوْنَ المُعَطِّـلِ جـاحِـدِ الـرَّحمٰـنِ
فانظُرْ إلىٰ ما جاءَ في القَصصِ التي
تَحْكـي مَقـالَ إمـامِهِـمْ بِبيـانِ
واللهُ قـد جعـلَ الضـلالَـةَ قُـدوةً
بـأئمـةٍ تـدعُـو إلـىٰ النيـرانِ[١]
فـإمـامُ كُـلِّ مُعطِّـلٍ فـي نَفْسِـه
فـرعـونُ مـع نمـرودَ مـع هـامـانِ
طلـبَ الصُّعُـودَ إلىٰ السمـاءِ مُكـذِّباً
مـوسـىٰ ورامَ الصَّـرْحَ بـالبُنْيـانِ

= لأهل السنة وكذبوا في ذلك، لأنّ ذلك خلاف مدلول الآية، لأن مدلولها: أنّ موسىٰ هو الذي أخبر بذلك فكذبه فرعون، وأراد أن يُظهر تكذيبه أمام الناس بزعمه فيكون إمامهم هم فرعون علىٰ الحقيقة، وإمامنا موسىٰ عليه السلام كغيره من النبيين.

(١) الله جلَّ وعلا أخبر أنّ فرعون، وملأه أئمة يدعون إلىٰ النار، ففي آخر هذه القصة لمّا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] الآيات إلىٰ قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[القصص: ٤١] فصار فرعون إماماً للجهمية يدعوهم إلىٰ النار؛ لأنّهم اتبعوه في إنكار العُلو، وإنكار العُلو يلزم منه إنكار الرب سبحانه وتعالىٰ، فهم أشبه بفرعون، وهم جند فرعون وشيعته، أمّا المسلمون فإمامهم موسىٰ عليه السلام الذي دعاهم إلىٰ الجنة هو وغيره من الأنبياء.

بـلْ قـالَ مـوسـىٰ كـاذِبٌ فـي زعمِـهِ
فـوقَ السَّمـاءِ الـرَّبُّ ذُو السُّلطـانِ
فـابنـوا لِـيَ الصَّرْحَ الـرَّفيـعَ لعلَّنـي
أرقـىٰ إليـهِ بحيلَـةِ الإنسـانِ
وأظـنُّ مـوسـىٰ كـاذبـاً فـي قـولـه
اللهُ فـوقَ العـرشِ ذو سلطـانِ
وكـذاك كـذَّبَـه بـأن إلٰهَـهُ
نـاداهُ بـالتكليـمِ دونَ عَيـانِ[1]
هُـوَ أنكـرَ التَّكْليـمَ والفـوْقِيَّـةَ الْـ
ـعُلْيـا كقـوْلِ الجهْـمِ ذي صَفـوانِ
فمـنِ الـذي أولـىٰ بفـرعـونَ إذاً
مِنَّـا ومنكـم بعـدَ ذا التِّبيـانِ
يـا قـومَنـا والله إن لقـولِنـا
أَلْفـاً تـدلُّ عليـه بـل ألفـانِ
عقـلاً ونقـلاً مـع صـريـحِ الفِطـرةِ الْـ
أُوْلَـىٰ وذوقِ حـلاوةِ القُـرآنِ

---

(١) فرعون هو الذي أنكر أنّ الله فوق السمٰوات وأنه كلّم موسىٰ عليه السلام وكذلك الجهمية أنكروا كلام الله وأنكروا علو الله، فهم علىٰ مذهب فرعون في هاتين الخصلتين القبيحتين: إنكار علو الله علىٰ عرشه، وإنكار تكليم الله لموسىٰ عليه السلام.

كــلٌّ يــدلُّ بــأنَّــهُ سُبحــانَــهُ
فــوقَ السمــاءِ مُبــايــنُ الأكــوانِ(١)
أتــرونَ أنَّــا تــاركُــوا ذا كُلِّــه
لجعــاجــعِ التعطيــلِ والبُهتــانِ(٢)
يــا قــومُ مــا أنتــمُ علىٰ شــيءٍ إلــىٰ
أن تَــرْجِعُــوا للــوحــي بــالإذعــانِ
وتُحَكِّمُــوهُ فــي الجليــلِ وَدِقِّــهِ
تحكيــمَ تسليــمٍ مــع الــرضــوانِ(٣)

---

(١) من الذي هو أولىٰ بفرعون، نحن أو أنتم بعد هذا البيان.

إنّ لقولنا في إثبات علوِّ الله سبحانه وتعالىٰ ألف دليل بل أكثر، من الوحي ومن العقل ومن الفطرة أدلة كثيرة تدل علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه.

فالدليل العقلي والدليل النقلي ودليل الفطرة كلُّها تدلُّ علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه، هذا مجملها وتفاصيلها تبلغ ألف دليل.

ومباين الأكوان: يعني أن الله ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته تعالىٰ الله عن ذلك، هذا معنىٰ المباينة، وهذا نفي للحلول ونفي للاتحاد.

(٢) أترون يا معشر المُعطلة أننا نترك ألف دليل علىٰ علو الله علىٰ عرشه من أجل جعاجع وهذيان لديكم، لأنّه ليس معكم دليلٌ واحدٌ صحيح إلا جعاجع وكذب وهذيان.

(٣) لا بد عند النزاع بين الناس أن يرجعوا إلىٰ الوحي المُنزَّل من السماء، قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال =

قــد أقســمَ اللهُ العظيــمُ بنفسِــه
قسمــاً يُبيِّــنُ حقيقــةَ الإيمــانِ

أن ليس يُؤمنُ مَن يكونُ مُحكِّماً
غيرَ الرسولِ الواضحِ البُرهانِ[١]

بل ليس يؤمنُ غيرُ مَن قد حَكَّمَ الْـ
ـوَحْيَيْنِ حسبُ فذاكَ ذُو إيمانِ

هــذا ومــا ذاكَ المُحَكِّــمُ مــؤمنــاً
إن كــان ذا حــرجٍ وضيــقِ بطــانِ

هــذا وليــس بمــؤمــنٍ حتــىٰ يُسَلْـ
ـلِمَ للـذي يقضـي بـه الـوَحْيـانِ[٢]

= تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠] فالذي يفصل النزاع هو الوحي وإذا رجعنا إلىٰ الوحي وجدناه يثبت العلو.

(١) يشير الناظم إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] وهذا قسمٌ من الله أقسم بنفسه سبحانه وتعالىٰ، وهو الصادق وإن لم يحلف، لكن هذا لأهمية تحكيم رسوله ﷺ في كل نزاع يحدث بينهم حتىٰ يكونوا مؤمنين.

(٢) فدلَّت الآية علىٰ أنّه لا يؤمن إلا من قد حكَّم الوحيين، أمّا من حكَّم غيرهما فقد حكَّم الطاغوت سواء سمّاه قانوناً أو سمّاه نظاماً أو أي اسم فهو الطاغوت، فالأسماء لا تُغيِّر الحقيقة.

ولا يكفي التحكيم أيضاً، لصحة الإيمان حتىٰ يضيف إلىٰ التحكيم نفي الحرج من نفسه، لأنه يمكن أن يتحاكم إلىٰ القرآن وهو كاره من =

يـا قـوْمُ بـاللهِ العظيـمِ نشـدْتُكُـمْ
وبِحُــرْمَــةِ الإيمــانِ والقُــرآنِ

هـلْ حـدَّثَتْكُـمْ قـطُّ أنفُسُكُـمْ بِـذا
فسلُـوا نُفُـوسَكُـمُ عَـنِ الإيمـانِ

لكــنَّ ربَّ العـالميــنَ وجُنــدَهُ
ورســولَــهُ المبعــوثَ بــالقُــرآنِ

هُـمْ يشهـدونَ بـأنَّكـم أعـداءُ مَـنْ
ذا شــأنُــهُ أبــداً بكــلِّ زمــانِ(١)

ولأيِّ شـيءٍ كـانَ أحمـدُ خَصْمَكُـمْ
أعني ابنَ حنبلِ الرضا الشيباني(٢)

= باب المجاملة أو من باب المخادعة، وليس في قلبه انشراح لحكم الله ورسوله، فهذا وإن تحاكم إلىٰ الشرع ولم ينشرح صدرُه بذلك فإنّه لا يكون مؤمناً، فلا بد لصحة الإيمان من ثلاثة أشياء: الأول: تحكيم الشرع. الثاني: عدم الحرج من ذلك. الثالث: التسليم والانقياد، فإن فُقِد شرطٌ من هذه الثلاثة لم يكن الإنسان مؤمناً.

(١) لكن الله يشهد والنبي يشهد والمؤمنون يشهدون أنكم لستم كذلك، وأنكم أعداء لمن هذه صفاته، لأنكم لا ترجعون إلىٰ الكتاب والسنة في أهمِّ الأمور وهو العقيدة بل تُحكِّمون القوانين الكلامية والقواعد المنطقية، ولا تُحكِّمون القرآن في عقيدتكم.

(٢) لماذا عاديتم الإمام أحمد لما أعلنتم القول بخلق القرآن ورفض هو ذلك وأبىٰ، صبر علىٰ المحنة لماذا عاديتموه؟ ما عاديتموه إلا لأنّه يدعوكم =

ولأيِّ شـيءٍ كـان بعـدُ خصـومَكُـم
أهـلُ الحـديـثِ وعَسْكَـرُ القـرآنِ(١)

ولأيِّ شـيءٍ كـان أيضـاً خصمَكُـمْ
شيـخُ الـوجـودِ العـالـمُ الحـرَّانـي(٢)

= إلىٰ المحاكمة إلىٰ كتاب الله. كانوا يضربونه ويعذبونه وهو يقول: ايتوني بشيءٍ من كتاب الله، لا يزيد علىٰ هذا، فهذا دليل علىٰ أنّهم ما عادوه إلا لأنّه يدعوهم للحكم بما أنزل الله.

(١) لماذا تُلقبون أهل الحديث وعسكر القرآن بالمجسّمة والمشبهة والحشوية وغير ذلك، إلا لأنّهم يدعونكم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، لأنّ الحكم بالشريعة ليس قاصراً علىٰ الحكم في خصومات الدماء والأموال والنزاعات بين الناس، بل أعظم من هذا تحكيم الشريعة في العقيدة، لكن تحكيم الشريعة لا يدعو إليه إلا أهل السُّنة، أما بقية الفرق وأصحاب العقائد الباطلة فإنّها تُعرض عن تحكيم الشريعة في ذلك وهذا موجود في عصرنا هذا. ولهذا تجد كثيراً من هذه الطوائف والفرق والجماعات من جهمية ومعتزلة وحزبية يقولون: حكِّموا الشريعة، فنقول لهم: دعونا نُحكِّمها في الأصل، وهو العقيدة قبل كل شيء لأن تحكيمها فيما دون العقيدة فقط لا ينفع.

(٢) أيضاً كما عاديتم الإمام أحمد رحمه الله لأنه دعاكم إلىٰ تحكيم الشريعة في الأصول والعقائد، عاديتم من بعده العالم الحرّاني شيخ الإسلام ابن تيمية لمّا دعاكم إلىٰ الرجوع إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله في العقيدة والإيمان وأصول الدين، لمّا دعاكم إلىٰ هذا ضللتموه أو كفرتموه، وما ذنبه إلا أنّه مثل سلفه من السلف الصالح يدعوكم إلىٰ تحكيم كتاب الله =

أعنـي أبـا العبـاسِ نـاصـرَ سُنَّـةِ الْـ
ـمُختـارِ قـامـعَ سُنَّـةِ الشيطـانِ[١]
واللهِ لـمْ يَـكُ ذنبُـه شيئـاً سـوىٰ
تجـريـدِهِ لحقيقـةِ الإيمـانِ
إذ جـرَّدَ التـوحيـدَ عـن شـركٍ كـذا
تجـريـدُهُ للـوحـي عـن بُهتـانِ[٢]

= وسنة رسوله في أصول الدين وفروعه، فكيف تدّعون الإسلام وأنتم لا تَدْعُون إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، وقوله: «شيخ الوجود». يعني شيخ الإسلام ابن تيمية فهو شيخ الوجود في وقته رحمه الله، فهو أعلم أهل زمانه، يدلُّ علىٰ هذا غزارة علمه ومؤلفاته، وأنه فاق أقرانَه في وقته في العلم والتحقيق والإدراك، وكذلك من باب أولىٰ من جاء بعده، لا أحد يُساويه ولا أحد يُقاربه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وقوله: «الحراني»: نسبةً إلىٰ حران شمالي الشام لأنّه وُلد فيها.

(١) فشيخ الإسلام هو ناصر سنة المختار، وقامع سنة الشيطان التي هي الشرك والإلحاد والكفر والبدعة، لقد قام بمقاومة هذه الأمور وأُوذي في هذا وسُجن ومُنع عنه المِداد والقِرطاس لئلا يكتب وهو في السجن، وتوفّاه الله وهو في السجن، كان يكتب رحمه الله العلم وهو في السجن حتىٰ لمّا رأوا ذلك منعوا عنه القلم والقرطاس فصار يكتب بالفحم علىٰ الجدران رحمه الله، وذلك من حرصه علىٰ بيان الحق وإظهاره.

(٢) هذا شيء معلوم من كتبه التي أصبحت ولله الحمد منارةً يُهتدىٰ بها، وأمّا خصومه فماتُوا وماتت أخبارهم، وكتبهم عليها الآن الغبار لأنّه ليس فيها خير.

فتجـرَّدَ المقصُـودُ عَـنْ قصْـدٍ لَـهُ
فلـذاكَ لَـمْ يُنْصِـفْ إلـىٰ إنسـانِ
مـا مِنْهُـمُ أحـدٌ دَعَـا لِمقـالـةٍ
غيـرِ الحـديـثِ ومُقتضـىٰ الإيمـانِ
فالقومُ لم يدعُوا إلىٰ غيرِ الهُدىٰ
ودعـوتُـمُ أنتُـمْ لـرأي فُـلانِ
شتـانَ بيـن الـدعـوتيـنِ فَحَسْبُكُـمْ
يـا قـومُ مـا بكُـمُ مِـن الخُـذلانِ[١]

---

(١) انتساب النّاس إلىٰ مذهب الحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية ليس من التعصب، لأنّ هؤلاء الأئمة يتبعون الكتاب والسنة، فنحنُ نستفيد من علمهم وكلامهم، لكن لا نعتقد لهم العصمة من الخطأ، فإذا أخطأ واحدٌ منهم عن اجتهاد فإننا لا نأخذ عنه الخطأ بل نأخذ عنه الصواب فقط، فنحن نتبعهم لأجل أن نستفيد من علمهم وفقههم ودرايتهم، ولكن القدوة لنا هو الرسول ﷺ.

وهؤلاء الأئمة لا يدعون إلاّ إلىٰ الكتاب والسنة، ويقولون: إذا خالف كلامنا كلام الرسول ﷺ فاتركوا كلامنا، وخذوا قول الرسول ﷺ، أمّا أنتم أيّها الضُلاّل فتدعون إلىٰ الأخذ بقول جهم وبقول فلان وفلان من أئمتكم وتقولون: من خالفهم فهو ضال.

وهذا هو الخُذلان ـ والعياذ بالله ـ فالذي يدعو إلىٰ غير سنة الرسول ﷺ، مخذول لأنّه يدعو إلىٰ باطل، وهم كذلك يدعون إلىٰ تقليد أئمتهم، ويصفون من خالف مذاهبهم الباطلة بالضلال والتشبيه والتجسم إلىٰ آخر هذه الألقاب المُنفِّرة، والسبب في هذا: أنهم يرون عصمة قادتهم، وأما =

قــالــوا لنــا لمَّــا دعَــوْنــاهُــمْ إلــىٰ
هــذا مقــالــةَ ذي هَــوىً مَــلآنِ
ذهبَتْ مقـاديـرُ الشيـوخِ وحُـرَمـةُ الْـ
ـعُلمـاءِ بـل عَبَـرَتْهُـمُ العينـانِ[1]
وتــرَكْتُــمُ أقــوالَهُــمْ هــدراً ومــا
أصغَــــتْ إليهــا مِنْكُــمُ أُذُنَــانِ
لكــن حفظنــا نحــنُ حُــرمَتَهُــمْ ولــم
نَعْــدُ الــذي قــالــوهُ قَــدْرَ بَنــانِ[2]

= أهل السنة ـ ولله الحمد ـ فلا يرون عصمة أئمتهم وقادتهم، إذا أخطؤوا تركوا خطأهم وأخذوا بالصواب، ولذلك فإن سوق الترجيح بالدليل قائم ـ ولله الحمد ـ بين أهل السنة ويُنادون به ويحُثون عليه.

(١) إذا قيل لهؤلاء: اتركوا الخطأ وخُذوا بالصواب من قول فلان وفلان، قالوا: يا أسفىٰ ذهب قدرُ الشيخ وقدر الإمام، لأننا إذا تركنا قوله إذا كان مخطئاً فمعنىٰ هذا: أنّه حط من قدره، وهذا كذب، فليس في ترك الخطأ حط من قدر الشيخ الذي أخطأ إذا كان هذا الشيخ متبعاً للكتاب والسنة، لأنه هو يقول لنا: إذا خالف قولي قول الرسول ﷺ فخذوا بقول الرسول فليس معنىٰ أننا إذا تركنا مسألة اجتهد فيها أحد الأئمة وما تركناها إلا لأنه لم يكن الدليل واضحاً عليها، ليس معنىٰ هذا: الحط من قدر هذا الإمام، لأننا نعظم الحق ولا نُعظِّم الرجال، مع أنّهم ولله الحمد صوابهم كثير، وأخطاؤهم قليلة.

(٢) المعطلة يقولون: نحنُ الذين نُعظّم الشيوخَ ونُقدِّرهم لأننا نأخذ أقوالهم ونعمل بها حتىٰ ولو كانت خطأً تقديراً لهم، فنقول: بل والله أنتم الذين =

يـا قـومُ واللهِ العظيـمِ كَـذَبْتُـمُ
وأتيتُـمُ بـالـزّورِ والبُهتـانِ
ونَسبتُـمُ العلمـاءَ لـلأمـرِ الـذي
هُـمْ منـه أهـلُ بـراءةٍ وأمـانِ[1]
واللهُ مـا أوصُـوكُـمُ أن تتـركـوا
قـولَ الـرسـولِ لقـولِهـمْ بلسـانِ
كـلّا ولا فـي كُتْبِهِـمْ هـذا بلـىٰ
بـالعكـسِ أوْصُـوكُـمْ بـلا كِتمـانِ
إذ قـد أحـاطَ العلـمُ منهـم أنهُـمْ
ليُسـوا بِمعصُـوميـنَ بـالبُـرهـانِ
كـلّا ومـا منهُـمْ أحـاطَ بكـلِّ مـا
قـد قـالَـهُ المبعُـوثُ بـالقـرآنِ

= أهنتم الشيوخ ولم تعرفوا قدرهم، فليس معنىٰ تعظيم الشيوخ أننا نأخذ بالخطأ من أقوالهم، هم لا يرضون بذلك، إذا كانوا متبعين للكتاب والسنة وعباراتهم في ذلك مشهورة ومن ذلك قول الإمام الشافعي: «أجمع المسلمون علىٰ أنّ من استبانت له سنة النبيِّ ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد. فليس معنىٰ تعظيمنا لهم ومحبتنا لهم: أن نأخذ كلّ أقوالهم ولو كانت خطأ، هذا ليس بتعظيم ولا إجلال بل هذا غُلو ومبالغة ـ والعياذ بالله ـ.

(١) العلماء يتبرؤون مما تقولون، لم يقولوا لنا: خذوا أقوالنا علىٰ التسليم بل قالوا: مَحِّصُوا الأقوال، وانظروا فيها، فما وافق الحقَّ فخذوا به وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط كما يقول الإمام الشافعي.

فلـذاكَ أوصُـوكُـمْ بـأن لا تجعلـوا
أقـوالَهُـم كـالنـصِّ فـي الميـزانِ[١]

---

(١) ما أوصوكم أن تتركوا قول الرسول بل أوصوا بالعكس.
وراجعوا كتبهم تجدون عباراتهم وما نُقل عنهم، ليس فيها كلمة واحدة يدعون فيها إلىٰ التعصب لأقوالهم وذلك لأمور:
أولاً: هم يعترفون أنّهم غير معصومين، وغير المعصوم لا يؤخذ كلامه حتىٰ يُعرض علىٰ كلام المعصوم ﷺ.
ثانياً: أنّهم لم يُحيطوا بكل ما جاء عن الرسول ﷺ، وإذا قُدِّر أنّ أحداً منهم يُخطىء فله عُذرُهُ كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» ومُجامعُ الأعذار لهم:
أولاً: ألا يكون النص قد بلغهم، لأنّهم لم يُحيطوا بكلِّ النصوص، مهما بلغوا من الحفظ، لا أحد يدعي ذلك.
ثانياً: أن تكون هذه النصوص قد بلغتهم ولكن خالفوها لأنّهم يرون أنها لم تثبت عندهم بحسب اجتهادهم وقد ثبتت عند غيرهم، وهذه فائدة عظيمة: أنّه ليس كل حديث يقول فيه عالم من العلماء: إنه ضعيف يجب أن يكون ضعيفاً في نفس الأمر، قد يكون صحيحاً لكن لم يتوصّل هو إلىٰ تصحيحه، ويكون العالم الآخر قد توصَّل إلىٰ تصحيحه بالطرق المعروفة، ومن ثبت عنده النص لم يجز له أن يُخالفه.
ثالثاً: أن يكون قد بلغهم النص وثبت عندهم ولكن يرون أنّه لا يتناول هذه المسألة التي أخطؤوا فيها، لأنّ عمومه قاصر عنها، فلا يرون أنها داخلة في النص، في حين أنّها ظهرت لبعض العلماء أنّها داخلة وأنّ النص يتناولها.
رابعاً: أن يكون النص قد بلغهم وثبت عندهم ورأوا أنّه عام لهذه المسألة، ولكن بدا لهم أنه منسوخ بدليلٍ آخر، أو أنّه مُطلق وهناك دليل =

لكـنْ زِنُـوهـا بـالنصـوصِ فـإنْ تُـوا
فِقْهــا فتلــكَ صحيحــةُ الأوزانِ[١]

لكنَّكُــمْ قَــدَّمْتُــمُ أقــوالَهُــمْ
أبـداً علىٰ النـصِّ العظيـمِ الشـانِ[٢]

واللهِ لا لـــوصيَّـــةِ العُلمـــاءِ نَفْـ
ـفَـذْتُـمْ ولا لـوصيَّـةِ الـرحمٰـنِ[٣]

= يُقيده، ولم يظهر للآخرين نسخُه ولا تقييدُه، فلذلك اختلفوا، فالعبرة بما قام عليه الدليل من أقوالهم، وهذه أعذارُهم التي يُعتذَر لهم بها، وقد يكونون مصيبين في نفس الأمر، وقد يكونون مُخطئين والصواب مع غيرهم، والعصمة إنما هي في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيجب علىٰ طالب العلم أن يكون عنده تبصُّر في خلاف العلماء والتماس الأعذار لهم، لكن لا يجوز له أبداً أن يأخذ بقولٍ يرىٰ أنّه غير صحيح، بل يأخذ بالقول الصحيح حتىٰ وإن خالف قول إمامه الذي ينتسبُ إليه، فالحقُّ أحبُّ إلىٰ النفس من كل شيء.

(١) هذا كلامُهم رحمهم الله، يقولون: لا تأخذوا أقوالنا علىٰ التسليم ولكن زنوها بالكتاب والسنة، لأنّ الذي يؤخذ بالتسليم هو الكتاب والسنة، فإن وافقت فالحمد لله، وإن خالفت فاتركوها وخذوا بالدليل، هذه وصاياهم.

(٢) لكنكم أيها المخالفون عكستم فقدَّمتم أقوالهم علىٰ النصوص حتىٰ في أعظم شيء وهو العقيدة وهذا ضلال مبين.

(٣) لم تأخذوا بوصية العلماء بأن تأخذوا ما قام عليه الدليل، وتتركوا ما خالفه من أقوالهم، ولم تأخذوا بوصية الرحمٰن: في قوله: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣] فالله أوصىٰ بأن =

وركبتُـمُ الجهلَيْـنِ ثـمَّ تـركتُـمُ النُـ
ـنَصَّيْـنِ مـع ظُلـمٍ ومـع عُـدوانِ[١]
قلنـا لكـمْ فتعلمَّـوا قلتُـمْ أمَـا
نَحْـنُ الأئمـةُ فـاضِلُـوا الأزمـانِ[٢]
مـن أيـن والعلمـاءُ أنتُـمْ فـاستَحُـوا
أين النجومُ من الثرىٰ التحتاني[٣]

= يُتبع كتابُه ومن بعد كتابه سُنة رسوله ﷺ فإنها من كتاب الله لأنّها مُنزَّلة من عند الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤] هذا الذي أوصىٰ به الله تعالىٰ، والعُلماء المحققون لا يُوصون إلا بوصية الله تعالىٰ.

(١) الجهل علىٰ قسمين: جهل بسيط، وجهل مركَّب، فالجهل البسيط: هو الذي لا يعرف صاحبُه الحق لكنه لو بُيّن له الحق لأخذ به، لأنّه لا يُزكي نفسه، وهذا أمرُه سهل، وهذا قلَّ من يسلم منه، أمّا الجهل المركب: فهو، أنّ الإنسان يجهل ولا يدري أنّه يجهل، بل يظن أنه عالم، هذا هو الجهل المركب، وهذا أشد، وهذا قلَّ أن يرجع صاحبُه؛ لأنّه يرىٰ أنّه علىٰ الحق، وأنّ غيره هو المُخطىء، هذه آفة كثير من الناس اليوم، وهي آفة التعالم، وادعاء العلم والإعجاب بالنفس وعدم القبول للحق الذي يُخالف رأيه وقوله، وهذا الذي أصاب كثيراً من الناس.

(٢) هذا هو الجهل المركب: إذا قيل لصاحبه: تعلَّم قال: أنا فوق هذا، أنا أعلم الناس، كيف أتعلم علىٰ من هو دوني. أما الجهل البسيط فهو الذي إذا قيل لصاحبه: تعلَّم فإنّه يتعلَّم، ويعرف قدر نفسه.

(٣) يقول لهؤلاء المتعالمين: أين أنتم والعلماء؟ أنتم بعيدون عن العلماء مثل بُعد الثرىٰ عن الثُريا، لأنّ هذا القول يدلُّ علىٰ جهلكم.

لـــم يُشْبِـــهِ العلمـــاءَ إلا أنتُـــمُ
أشبَهْتُـــمُ العُلمـــاءَ فـــي الأذقـــانِ(١)
والله لا عِلْـــمٌ ولا دِيـــنٌ ولا
عَقْـــلٌ ولا بِمُـــرُوءةِ الإنســـانِ
عـــامَلْتُـــمُ العلمـــاءَ حيـــن دعَـــوْكُـــمُ
للحـــقِّ بـــالبغـــي والعُـــدوانِ(٢)

---

(١) أي أنكم تشبهون العلماء في صوركم فقط، من اللحىٰ والعمائم والملابس الواسعة، لكن ليس العبرة في المظهر بل بالمخبر، وكم ممن يتزيا بزي أهل العلم لكنه في الحقيقة ليس من أهل العلم، وكم من إنسان لا يظهر بمظهر العُلماء في ملابسه وثيابه وعنده علم غزير، فالعبرة ليست في المظهر، بل بما يعطيهم الله من العلم، والعلماء والأولياء ليس لهم زيّ خاص وإنما هذا اصطنعه المتأخرون، اصطنعوا هذه الأزياء، والعلماء لا يحبون أن يظهروا بمظهر يُميزُهم عن الناس، بل يلبسون كما يلبس الناس، ويتكلمون كما يتكلَّم الناس، وإنما يُخفون أعمالهم ويُخلصونها لله عزَّ وجل ولهذا يقول ﷺ: «ربَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم علىٰ الله لأبرَّه»(*)، كلما كثُر علم الإنسان كثُر تواضُعه وكُلَّما قلَّ علم الإنسان كثر تعاظمه في نفسه والمبالغة في زيِّه حتىٰ يراه الناس، ويقولوا: هذا عالم.

(٢) عاديتم العلماء لما دعوكم إلىٰ اتباع الحق ونبذ ما أنتم عليه من التعصب والإعجاب بآرائكم.

(*) أخرجه مسلم (٢٦٢٢) و(٢٨٥٤) من حديث أبي هريرة.

إن أنتُـــمُ إلاَّ الـــذُبـــابُ إذا رأىٰ
طُعْمـــاً فيـــا لِمَسَـــاقـــطِ الـــذِّبّـــانِ[(١)]
وإذا رأىٰ فَـــزَعـــاً تطـــايـــرَ قلبُـــهُ
مِثْـــلَ البُغـــاثِ يُســـاقُ بـــالعِقبـــانِ[(٢)]
وإذا دعـــونـــاكُـــمْ إلـــىٰ البُـــرهـــانِ كـــا
ن جـــوابُكُـــمْ جهـــلاً بـــلا بُـــرهـــانِ

---

(١) همكم تحصيل الدنيا، تتكالبون علىٰ الوظائف والمناصب وعلىٰ جمع الأموال، كالذبان التي تتهافت علىٰ الطعام، أمّا العلماء فليسوا كذلك، لكن إذا وُكل إليهم ما فيه نفعٌ للمسلمين وقيام بالحق قبلوه، لا من أجل الطمع ولكن تحرياً للأجر، وليس همُّهم الأموال ولا الأرصدة، أمّا الذي همُّهُ الأموال والوظيفة فهذا من الذين يطلبون الدنيا بعمل الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١٥-١٦]، فالعبرة بالمقاصد، فالذي يطلب الدنيا بعمل الآخرة هذا خاسر، وأمّا الذي يطلب الآخرة فهذا هو المقبول عند الله، وإذا رزقه الله رزقاً حلالاً أخذه واستعان به علىٰ طاعة الله.

(٢) هذه صفة علماء السوء، أنّهم إذا رأوا طُعْماً تهافتوا عليه وتساقطوا عليه مثل الذِّبّان التي تتساقط علىٰ الأطعمة، وإذا رأوا خوفاً تقطعت قلوبهم وأصابهم الرعب لضعف إيمانهم، أما أهل الإيمان فإنّهم يثبتون عند الرعب ثبات الجبال ويدافعون ويُقاومون، لا يُرهبهم الخوف، لأنهم يتوكلون علىٰ الله سبحانه.

نحــنُ المقلِّــدَةُ الأولــىٰ أَلْفَــوْا كــذا
آبــاءَهُــمْ فــي ســالــفِ الأزمــانِ(١)
قلنــا فكيــف تُكَفِّــرون ومــا لكُــمْ
علــــمٌ بتكفيــــرٍ ولا إيمــــانِ(٢)
إذْ أجمــــعَ العُلمــــاء أنَّ مُقلِّــــداً
للنــاسِ كــالأعمــىٰ هُمَــا أخَــوَانِ(٣)

---

(١) إذا دعوناكم إلىٰ الحق قلتم: نحنُ نُقلِّد مَن قبلنا، فلا تقبلون الحق كما قال من قبلكم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ . .﴾ [الزخرف: ٢٢] هذه طريقة أهل الضلال، أنهم لا يقبلون الحق، وإنما يحتجون بما عليه الناس وما عليه أسلافهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة: ١٧٠] هذه حجة المُقلِّدة.

(٢) كيف تُكفِّرون أهل الحق الذين يُثبتون الأسماء والصفات وتقولون: هؤلاء مُجسمة مُشبهة وهذا كفر، وأنتم لا تعرفون أسباب الكفر ولا أنواع الردة، ولا يجوز للإنسان أن يحكم علىٰ آخر بالكفر والردة إلا بعد أن يعرف أنواع الردة والضلال، أمّا التكفير بالهوىٰ فقط فهذه طريقة أهل الضلال.

(٣) أجمع العلماء كما قال ابن حزم وغيره، أنّ المُقلد ليس بعالم، وإنما العالم هو العارف بالكتاب والسُّنّة الذي يعرف مدارك الأحكام من الكتاب والسُّنّة، وأمّا الذي يُقلِّد الناس فلا يُقال له: عالم بل هو مُقلِّد مثل الأعمىٰ الذي لا يعرف الطريق ويحتاج إلىٰ من يأخذ بيده، فمشي الأعمىٰ في الطريق ليس عن معرفة وإنما هو تقليدٌ لمن يأخذ بيده. أنتم كذلك ليس عندكم من العلم شيء وإنما تُقلِّدون غيركم، ومن كانت هذه حاله فكيف يعتبر نفسه من العلماء.

والعلـمُ معـرفـةُ الهُـدىٰ بـدليلـه

مـا ذاكَ والتقليـدُ مُستـويـانِ[١]

حِـرْنـا بكـمْ واللهِ لا أنتُـمْ مـع الْـ

ـعُلمـاءِ تنقـادُون للبُـرهـانِ

كـلاَّ ولا مُتعلِّمـون فمَـن تُـرىٰ

تُـدْعَـوْن نَحْسَبُكُـمْ مِـن الثيـرانِ[٢]

لكنَّهـا واللهِ أنفـعُ منكُـمُ

لـلأرضِ فـي حـرْثٍ وفـي دوَرانِ

نـالَتْ بهـم خيراً ونـالَتْ منكُـمُ الْـ

ـمَعْهُـودَ مـن بَغْـيٍ ومِـن عُـدوانِ

---

(١) هذا هو العلم الصحيح أنه معرفة الحق بدليله من الكتاب والسنة، وليس هو مجرد القول بلا دليل، فالذي لا يعرف الحق بدليله ليس من أهل العلم وإنّما هو مُقلِّد، والمُقلِّد لا يعرف الهُدىٰ ولا يعرف دليله، وإنما يقول: سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقُلتُه، وهذا مثل الببغاء الذي يُحاكي أصوات الناس ولا يعرف معانيها.

(٢) يقول: حِرنا بكم يا هؤلاء المقلدة، لستم من العُلماء الذين يعرفون الهُدىٰ بدليله، ولستم من العوام الذين ليس عندهم إمكانية للتعلُّم، أنتم لستم علماء ولا متعلمين، فماذا تكونون؟ ما لكم شبيه إلا الثيران، التي لا تعرف شيئاً إلا أنّها تُساق وتُدرب علىٰ العمل.

فمـــن الـــذي خيـــرٌ وأنفـــعُ للـــورىٰ
أنتُـــمْ أم الثيـــرانُ بـــالبُـــرهـــانِ[١]

* * *

(١) لكن الثيران أنفع منكم لأنّ الثيران يُستفاد منها في الحرث وفي مصالح كثيرة، أما أنتم فليس فيكم نفع، وإنّما تُضيقون المكان وتأكلون ما كان، فالثيران يُحرث عليها وتدير الدالوب لاستنباط الماء، أما أنتم فالأرض تتأذىٰ منكم؛ لأنكم من المفسدين في الأرض بالكفر والضلال والإلحاد، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]، فالثيران أنفع منكم للناس وللأرض.

فصل

هــذا وثــامِــنَ عَشْـرَهــا تنـزيهُــهُ
سُبحــانَــهُ عــن مــوجــبِ النُّقصــانِ
وعن العيوبِ ومُوجِبِ التمثيلِ والتْـ
ـتَشْبيــهِ جــلَّ اللهُ ذو السلطــانِ[1]
ولــذاكَ نَــزَّهَ نفسَــهُ سُبحــانَــهُ
عــن أن يكــونَ لــه شــريــكٌ ثــانِ
أوْ أنْ يكــونَ لــهُ ظهيــرٌ فــي الــورَىٰ
سُبحــانَــهُ عــن إفــكِ ذي بُهتــانِ

---

(١) الثامن عشر من أدلة العلو: أنّ الله نزَّه نفسه عن النقائص ووصف نفسه بالكمال، فإذا جئنا لمسألة العُلو: هل هو نقص أو كمال؟ وجدنا أن العُلو كمال، ونفي العلو عنه سبحانه نقص، إذاً فهذا من أدلة إثبات العُلو؛ لأنّه كمالٌ في حقِّه سبحانه وتعالىٰ، والله نزَّه نفسَه عن النقائص في كثيرٍ من الآيات، حيث سبّح نفسه والتسبيح معناه: التنزيه، كقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١] ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الطور: ٤٣] إلىٰ غير ذلك، فنزَّه نفسَه عن الشرك وعن الكفر وعن النقائص، ونفي العُلو من النقص فيُنَزَّهُ عنه الله جل وعلا، وما دام الأمرُ كذلك فالعُلوُّ صفة كمال ونفيه صف نقص، فمن نفىٰ علوَّ الله علىٰ عرشه وفوق مخلوقاته فقد تنقصّه.

أو أنْ يُــوَلّــي خَلْقَــهُ سُبحــانَــهُ

مِــن حــاجــةٍ أو ذِلّــةٍ وَهَــوانِ(١)

أو أنْ يكــونَ لــديــه أصــلاً شــافــعٌ

إلاّ بــإذنِ الــواحــدِ المَنّــانِ(٢)

---

(١) نَزَّهَ نفسَه عن الشريك وعن الظهير وهو المُعين، ونزَّهَ نفسَه عن أن يتخذ ولياً من الذُّل، كما في قوله سبحانَه وتعالىٰ في آخر سورة الإسراء: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]. فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ يعني: لا يحتاج إلىٰ وليّ يُعينه ويُدافع عنه كما يحتاج المخلوق إلىٰ من يدفع عنه الذل، ولكن له أولياء من عباده بمعنىٰ: أنّه يُحبهم ويُقرِّبُهم، وهذا كمالٌ وفضل منه سبحانه وتعالىٰ، لا أنّه بحاجةٍ إليهم فأولياؤُه في المحبة والنصرة والموالاة والتأييد، لا لأنه بحاجةٍ إليهم، ولكنهم هم المحتاجون إليه سبحانه وتعالىٰ، فلا يجوز أن تقول: ليس لله وليٌّ مطلقاً، بل تقول: ليس لله وليٌّ من الذل بهذا القيد كما في القرآن، فالله تعالىٰ له من عباده أولياء يُحبهم ويحبونه ويُكرمهم سبحانه وتعالىٰ، لكن ليس لحاجته إليهم وإنّما هذا تفضلٌ منه سبحانه وتعالىٰ وتكرمٌ منه سبحانه وتعالىٰ، لمّا أطاعوه وتقرَّبوا إليه تقرَّب إليهم وأحبهم، وهذا من باب الجزاء علىٰ أعمالهم، لأنّه سبحانه عدلٌ لا يظلمُ أحداً، بل هو متفضلٌ، يزيد علىٰ ما يستحقُّه العامل أضعافاً مُضاعفة، يعطي علىٰ العمل القليل الشيء الكثير سبحانه وتعالىٰ، يُضاعفُ لمن يشاء تكرماً منه سبحانه وتعالىٰ.

(٢) ولا أحد يشفعُ عندَه إلا بإذنه بخلاف غيره من الملوك والرؤساء فإنّ الشُفعاء يتقدمون ويشفعون عندهم، ولو لم يرضوا شفاعتهم، ولو لم =

وكـــذاك نَـــزَّهَ نفسَـــهُ عـــن والـــدٍ
وكـذاكَ عـــن ولـدٍ هُمَـــا نَسَبــانِ[١]

وكـــذاكَ نَـــزَّهَ نفسَـــهُ عـــن زوجـــةٍ
وكـذاكَ عـن كُفُؤٍ يكُـونُ مُـدانـي[٢]

ولقـد أتـىٰ التنـزيـهُ عمَّـا لـمْ يقُـل
كـي لا يـدور بخـاطـرِ الإنســانِ

فـانظـرْ إلـىٰ التنـزيـه عـن طُعْـمٍ ولـم
يُنْسَـبْ إليـه قـطُّ مـن إنســانِ[٣]

وكـذلـكَ التنـزيـهُ عـن مـوتٍ وعـن
نـومٍ وعـن سِنَـةٍ وعـن غِشْيـانِ[٤]

= يأذنوا لهم؛ لأنهم يضطرون إلىٰ تشفيعهم لأنهم بحاجة إليهم، أمّا الله جلَّ وعلا فليس كذلك، لا يشفع أحدٌ عندَه إلا بإذنه، ولا يأذن بالشفاعة إلا فيمن يستحق الشفاعة من أهل الإيمان، أمّا الكُفَّار والمشركون فإنّه ليس فيهم شفاعة.

(١) ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] نزّه نفسَه عن الوالد والولد. الله مُنزَّهٌ عن ذلك.

(٢) نزّه نفسَه عن الصاحبة وهي الزوجة لأنّ اتخاذ الزوجة والولد من علامات النقص، والله غنيٌّ عن الزوجة وعن الولد، ليس بحاجة إلىٰ ذلك.

(٣) نزّه نفس عما قيل من النقص والعيب ونزّهَ نفسه عمّا لم يُقل، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] فلا أحد قال من الخلق إنّ الله يُطعَم ولكنه نزّهَ نفسه عن ذلك.

(٤) قال تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، السِّنَةُ: أول النوم، =

وكـذلـك التنـزيـهُ عـن نِسْيـانِـهِ
والـربُّ لـم يُنْسَـبْ إلـىٰ نسيـانِ[1]

وكذلك التنزيهُ عن ظلمٍ وفي الْـ
أفعـالِ عـن عبـثٍ وعـن بُطـلانِ[2]

وكـذلـك التنـزيـهُ عـن تَعَـبٍ وعَـنْ
عَجْـزٍ يُنـافـي قُـدرةَ الـرحمٰـنِ[3]

= والنوم هو المستغرق فنزه نفسَه عن النوم بجميع أنواعه، الخفيف والثقيل، ونزَّه نفسَه عن الموت، فقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] وذلك لكمال حياته، أمّا الحي الذي ينام، أو تأخُذُه السِّنَةُ فهذا دليل علىٰ نقص حياته، كذلك من باب أولىٰ الحي الذي يعتريه الموت والفناء، هذا دليل علىٰ نقص حياته.

(١) هذه أمور لم يقل أحدٌ بها في حقِّ الله، لم يقل أحدٌ: إنّ الله يموت وإنّ الله ينام لا من الأولين ولا من الآخرين، ومع هذا نزَّهَ نفسه عن هذه الأشياء، وكذلك النسيان لم يقل أحدٌ من الخلق: إنّ الله ينسىٰ، وذلك لكمال تنزيهه سبحانه وتعالىٰ من كلِّ نقص، سواء قيل في حقِّه أو لم يُقَل.

(٢) كل هذه الأمور ما قال أحد بإضافتها إلىٰ الله، فلم يقل أحد: إنّ الله يظلم ولم يقل أحد: إنّ الله يفعلُ أفعالاً عبثاً، ومع هذا نزَّهَ نفسَه عن هذه الأمور.

(٣) أمّا التعب فقد وصفته اليهود به حين قالوا: إنّ الله جلَّ وعلا استراح يوم السبت يقولون: خلق الخلق في ستة أيام بدايتُها يومُ الأحد ونهايتها يوم الجمعة، واستراحَ يوم السبت، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [قَ: ٣٨] اللغُوب: هو التعب.

ولقد حكىٰ الرحمٰنُ قولاً قالَهُ
فِنْحاصُ ذو البُهتان والكفرانِ
أنَّ الإلٰهَ هو الفقيرُ ونحنُ أصْـ
ـحابُ الغِنىٰ ذو الوُجْدِ والإمكانِ
وكذاك أضحَىٰ ربُّنا مُستقْرِضاً
أموالَنا سُبحانَ ذي الإحْسَانِ(١)
وحكىٰ مقالةَ قائلٍ من قومِهِ
أنَّ العزيرَ ابنٌ مِن الرحمٰنِ(٢)

---

(١) فنحاص من أحبار اليهود، لمّا سمع قوله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال قبّحه الله: إنّ الله فقير يطلب منّا القرض ونحن أغنياء، وهو يعلم أنّ الله مُنزّهٌ عن ذلك، لكن يريد أن يطعن في القرآن، وهو يعلم أنّه كاذب، لكن هذه صفة اليهود، يريدون أن ينتصروا ولو بالباطل، والله تعالىٰ أنزل قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨١-١٨٢] فالله ذكر هذه المقالة مع أنّه ما قالها إلا واحد من اليهود فدلَّ ذلك علىٰ تنزيه الله سبحانه عن كلِّ نقص ولو لم يقل به إلا واحد من الناس.

(٢) كذلك قالت اليهود: عزيرٌ ابن الله، مثل ما قالت النصارىٰ المسيح ابنُ الله، فنسبوا الابن إلىٰ الله، والله نزَّهَ نفسَه عن الولد، لأنّ الولد جزءٌ من الوالد، يُشبه الوالد، والله لا شبيه له سبحانه وتعالىٰ، ولأنّ الوالد يحتاج =

هــذا ومــا القــولانِ قــطُّ مَقــالَــةٌ
منصــورةٌ فــي مــوضــعٍ وزمــانِ(١)
لكــنْ مَقــالَــةُ كَــوْنِــهِ فــوقَ الــورىٰ
والعــرشِ وهــو مُبــايــنُ الأكــوانِ
قَــدْ طَبَّقَــتْ شــرقَ البــلادِ وغَــرْبَهــا
وغَــدَتْ مُقَــرَّرَةً لِــذي الأذهــانِ(٢)

= إلىٰ الولد، وأمّا الله جلَّ وعلا فهو غنيٌّ عن خلقه ليس بحاجة إلىٰ الولد، ولا غيره، لكن اليهود يقولون علىٰ الله البُهتان، وعُزير قيل: إنّه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقيل: إنّه عبدٌ صالح من صالحي بني إسرائيل، فلمّا رأوا صلاحه قالوا: إنّه ابن الله، تعالىٰ الله عمّا يقولون، وهذا من الغلو في الصالحين، وهو يوصِّل إلىٰ الشرك ـ والعياذ بالله ـ، ولهذا لا يجوز الغلو في الأشخاص حتىٰ الأنبياء والملائكة، لا يجوز الغلو فيهم.

(١) هذه أقوال غريبة، لم يقلها إلا القليل، ومع هذا نزَّهَ الله نفسَه عنها، فدلَّ علىٰ أن الله منزَّهٌ عن كلِّ نقص سواء كان هذا النقص مشتهراً علىٰ الألسنة، أو كان هذا النقص لم يقل به إلا بعض الخلق، أو كان هذا النقص لم يقل به أحد، فالله منزَّهٌ عن النقص مطلقاً، لأنّ له الكمال المطلق سبحانه وتعالىٰ.

(٢) الآن توصَّل إلىٰ النتيجة: يقول إذا كان الله نزَّهَ نفسه عن هذه النقائص وأنتم تقولون: إنّ العُلوَّ نقص لأنّه يدل علىٰ الجهة، والله منزَّهٌ عن الجهة، لأنّه إذا كان في جهة فهو محتاجٌ إليها، يقول الشيخ: لماذا لم يُنزه نفسَه عن العُلو، إذا كان نقصاً كما تقولون، فكونُه لم يُنزه نفسَه عن ذلك دليلٌ =

فـــلأيِّ شـــيءٍ لـــم يُنَـــزِّه نفْسَـــهُ
سبحـــانَـــهُ فـــي مُحْكَـــم القـــرآنِ

عـن ذي المقـالـةِ مـع تفـاقـمِ أمـرِهـا
وظهُـورِهـا فـي سـائـرِ الأديـانِ[١]

بـــل دائمـــاً يُبـــدي لنـــا إثبـــاتَهـــا
ويُعيـــدُهُ بـــأدلـــةِ التِّبيـــانِ[٢]

= علىٰ اتصافِهِ به، لأنه كمالٌ، هذا من حيث العقل، أمّا من حيث النقل فإنّ الله وصف نفسَه بالعلو وبالفوقية كما يأتي، لكن من حيث الدلالة العقلية: إذا كان العُلو والفوقية نقصاً عندكم فلماذا لم يُنزِّه اللهُ نفسَه عنه، مع أنّه نزَّهَ نفسَه عن كلِّ نقصٍ حتىٰ النقص الذي لم يُقل به أحدٌ من الخلق، ولا وجدنا في آيةٍ واحدة أو في حديث عن الرسول ﷺ تنزيه الله عن العلوّ وعن الفوقية.

(١) وقد اشتهر علىٰ ألسنة العالم أنّ الله في العُلو، ولا يتجهون بدعائهم وسؤالهم إلا إلىٰ العُلو فطرةً فطرهُم الله عليها، فلو كانت نقصاً، لماذا لم يُنزِّه الله نفسَه عنها؟ كما نزَّه نفسَهُ عن مقالة اليهود وغيرهم.

وكل الأديان السماوية تصفُ الله بأنّه في العُلو، كذلك فِطَرُ الناس تتجه دائماً إلىٰ العُلو، لا تتجه إلىٰ الشمال أو اليمين أو الأسفل، وإنما تتجه إلىٰ العُلو وتشير إلىٰ العُلو، فِطرةً من الله فَطَرَ الناس عليها.

(٢) هذا من حيث الدليل النقلي: وهو أنّ القرآن مملوءٌ من وصف الله بالعُلو والفوقية والاستواء علىٰ العرش، كذلك أحاديث الرسول ﷺ مشتهرة بوصف الله بالعُلو واستوائه علىٰ العرش والفوقية، فكيف يكون هذا باطلاً =

لا سيمـا تلـكَ المقـالَـةُ عنـدَكُـم
مقـــرونـــةٌ بعبـــادةِ الأوثـــانِ[١]
أو أنَّهـــا كمقـــالـــةِ لمُثَلِّـــثٍ
عَبَـدَ الصليـبَ المُشـركِ النَّصـرانـي
إذ كـان جِسمـاً كـلُّ موصـوفٍ بهـا
ليـــس الإلٰـــهُ مُنـــزِّلُ الفـــرقـــانِ
فالعابِدونَ لمن علىٰ العرشِ استوىٰ
بـالـذاتِ ليسُـوا عـابـدي الـدَّيَّـانِ[٢]

= يُنَزَّهُ الله عنه كما تقولون؟ إذن يكون القرآن والسنة لم يدُلّا علىٰ الحق، وإنّما دلاّ الناس علىٰ الباطل بزعمكم وليسا كتابا هداية، وإنما هما كتابا إضلال. وهم كذلك يقولون: إنّ القرآن مملوء من الشرك والتضليل لأنّه يصفُ الله، ويسمي الله بالأسماء والصفات، وهذا يقتضي التشبيه، فغلاتُهم يُصرحون بهذا.

(١) عندهم الذي يصف الله بالصفات، فإنّما يعبدُ الصنم لأنّ هذه الصفات لا تكون إلا للمخلوق ـ تعالىٰ الله عن ذلك ـ فعندهم لا تدل الصفات علىٰ كمال وإنما تدل علىٰ نقص، وأنّ الذي يعتقدها فإنّه يعبد صنماً.

(٢) يقولون: إن إثبات الصفات يقتضي الشرك، كالتثليث عند النصارىٰ، ولهذا يُنزهون الله تعالىٰ عن الأسماء والصفات، وقصدُهم بزعمهم التنزيه، لكن لمّا كان هذا التنزيه مبنياً علىٰ هذا التصور الفاسد صار ضلالاً، ولو كان هذا التنزيه مبنياً علىٰ دلالة الكتاب والسُّنّة لكان تنزيهاً حقاً. =

لكنَّهُـــمْ عُبَّـــادُ أوثـــانٍ لـــدىٰ
هـذا المُعطِّـلِ جـاحـدِ الـرحمٰـن[١]
ولـذاك قـدْ جعَـلَ المُعَطِّـلُ كُفْـرَهُـمْ
هـو مُقْتضـىٰ المعقـولِ والبُـرهـانِ[٢]
هـــذا رأينـــاهُ بكُتْبِكُـــمْ ولـــمْ
نكـذبْ عليكـمُ فِعـلَ ذي البُهتـانِ[٣]

= ويقولون: هذه الصفات: السمع والبصر واليد والوجه والعُلو والاستواء والنزول، لا تكون إلا لجسم، والأجسام متشابهة، فإثباتُها يدلُّ علىٰ التشبيه، لأنها لا تكون إلا للأجسام والأصنام ـ تعالىٰ الله عما يقولون ـ.

ويعتبرون الذين يقولون: إنّ الله استوىٰ علىٰ العرش، إنما يعبدون رباً متحيزاً في جهة، وهذا غير الله ، كذا يقولون.

(١) هذا علىٰ القاعدة عندهم: أنّ الصفات لا تكون إلا لجسم، والأجسام متشابهة، فيلزم من إثبات الصفات تشبيهُ الله بخلقه فإثباتها يقتضي أنّ الله جلَّ وعلا يكون مثل أوثان المشركين، هكذا يقولون، ولذلك قالوا: ليس لله اسم ولا صفة فالله منزَّهٌ عن الأسماء والصفات، ومسلكهم في النصوص إما التأويل أو التفويض.

(٢) وجعلوا التعطيل هو الإيمان والتنزيه، وجعلوا إثبات الأسماء والصفات هو الكفر والتضليل، هذا من مغالطة العقول، إذ يكون القرآن جاء ليُضلِّل الناس لا ليهديهم.

(٣) إذا أردت أن تعرف ما ذكرناه عنهم فراجع كتبهم، وهذه قاعدة في كل ما ينسب إلىٰ الناس والأشخاص والعلماء، فإنه لا يُكتفىٰ بالنقل عنهم. إذا =

ولأي شــــيءٍ لـــم يُحَـــذِّرْ خَلْقَـــهُ
عَنْهـــا وهـــذا شَـــأْنُهـــا ببيـــانِ[١]

= أردت أن تحكُم عليهم فراجع كلامَهم الذي صدر منهم في كتبهم التي ألَّفُوها. قالوها بأفواههم وكتبوها بأيديهم فإنك إذا رجعت إلىٰ كتبهم تجد أن هذه المقالات الشنيعة في كتب الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم، تجدها مشحونة بهذه الأباطيل التي يزعمون أنّهم يُنزهون الله بها عن أسمائه وصفاته، وهي موجودة في عقائدهم التي تُدرَّس في مدارسهم الآن وفي كلياتهم، يُدرِّسون أولادَهم هذا الباطل، راجع ما يُدرَّس في مدارس المعتزلة يميناً وشمالاً تجد مقرراتهم تدور علىٰ هذه الأمور، وليس فيها آية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله ﷺ، وإنّما فيها قواعد يزعمون أنها عقلية، وليست عقلية بل هي جهلية، لأن القواعد العقلية الصحيحة لا تُخالف الكتاب والسُّنة، لكن يسمُّونها عقليات وهي جهليات، ويسمونها: يقينيات وهي ضلالات، لا تجد في كتبهم الاستدلال بآيةٍ قرآنية، ولا تجد فيها الاستدلال بحديثٍ نبوي ولا بقول إمام من أئمة السلف، وإنما كلُّها قواعد منطقية وأساليب كلامية يُلقنونها لأولادِهم ويُنشِئُونهم عليها، حتىٰ كتب التفسير التي ألَّفها هؤلاء تجدها مشحونة من التحريف والتأويل، وهم يزعمون أنّهم يُفسرون كلام الله عزّ وجل، لم ينج من هذا الباطل إلا تفاسير السلف مثل: تفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير وتفسير البغوي ومن درج علىٰ سبيلهم.

(١) يقول: لماذا لم يُحذِّر الله خلقَه من أسمائه وصفاته، لو كانت كما تقولون: إنها كفر وإلحاد، فهل يليق بالله سبحانه أن يتركها، وأن يترُكَ الناسَ علىٰ ضلال، وهي مشهورة ومتواترة عند الناس، هذا لو فرضنا أنّه ما نزل بها =

هــذا وليــسَ فسَــادُهَــا بمُبيَّــنِ
حتــىٰ يُحــالَ لنــا علــىٰ الأذهــانِ
ولِـذاكَ قـد شَهِـدَت أفـاضِلُكُـم لهـا
بظهــورِهــا للــوَهْـمِ فــي الإنسـانِ
وخفاءِ ما قالوهُ مِن نفيٍ علىٰ الْـ
أذهــان بــل تَحتــاجُ للبُــرهــانِ[1]

* * *

= آياتٌ قرآنية ولا أحاديث نبوية، لو فرضنا أنها مقالة عند الناس منتشرة فسكوت الله عنها دليلٌ علىٰ أنها حق، مع أنّه ليس الأمر مجرد إقرار من الله لهذه المقالة، بل إنّ الله أثبتها لنفسه في نصوصٍ كثيرة، ومدح نفسه بأنّه القاهر فوق عباده، وأنّه العليُّ العظيم، وأنه استوىٰ علىٰ العرش، وأنّه في السماء، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] في آيات كثيرة.

(١) يقول: إن هذه المقالة وهي إثبات الأسماء والصفات ليست خفية، بل هي مقالةٌ ظاهرةٌ منتشرة ومع هذا فالله جلَّ وعلا لم يُنكر علىٰ مَنْ قالها، بل إنّه أثبتها وأيّدها، فدل ذلك علىٰ أنّها حق وليست باطلاً كما تقولون، فيلزم علىٰ قولكم: أنّ الله أقرَّ الناس علىٰ باطل، وأنّ الله أيّد الباطل في كتابه وسُنَّة نبيه وكفىٰ بذلك إثماً مبيناً.

وأفاضل هؤلاء الضلال شهدوا بظهور مقالة الإثبات في الكتاب والسنة وخفاء ما قالوه من النفي والتعطيل.

فصل

هذا وتاسِعَ عَشْرَهَا إلزامُ ذي التْـ

ـتَعْطيـــلِ أفســدَ لازمِ ببيـــانِ[1]

وفســادُ لازمِ قــولِــهِ هــو مُقْتضــيً

لفســادِ ذاك القــولِ بــالبُـرهــانِ[2]

فَسَـلِ المُعطِّـلَ عـن ثـلاثِ مسـائـلٍ

تَقْضِـي علـىٰ التعطيـلِ بـالبُطـلانِ

مــاذا تقــولُ أكــانَ يعــرِفُ ربَّــهُ

هــذا الـرســولُ حقيقـةَ العِـرفـانِ

أم لا وهــل كــانَـتْ نصيحتُــهُ لنـا

كــلَّ النصيحــةِ ليــسَ بـالخَــوَّانِ

أم لا وهــل حــازَ البـلاغَــةَ كُلَّهــا

فــاللفــظُ والمعنــىٰ لــهُ طَـوْعــانِ

فـإذا انتهـتْ هـذي الثـلاثـةُ فيـه كـا

مِلَـــةً مُبـــرّأةً مـــن النُّقصـــانِ

---

(١) الدليل التاسع عشر من أدلة العُلو قضية الإلزام. وهي كما يأتي.

(٢) هذه قاعدة: وهي أن فساد اللازم دليل علىٰ فساد الملزوم، ذلك أنَّهُ يلزم علىٰ قولهم بنفي العُلو، أن الله في كلِّ مكان، وهذه مقالة الحلول، فإذا كان لازم قولهم هذا الباطل، دل علىٰ بُطلانه.

فــلأيِّ شــيءٍ عــاشَ فينــا كــاتمــاً

للنفــيِ والتَّعطيــلِ فــي الأزمــانِ[١]

---

(١) يقول: إنَّ الرسول ﷺ أثبت علوَّ الله علىٰ عرشه، هذا متواترٌ عنه فنسألُكم ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل كان هذا الرسول يعرف ربه، أو كان جاهلاً به؟ فإن قلتم: إنه يعرف ربَّهُ حصل المقصود، وإن قلتم: إنَّهُ جاهل به كفرتم.

السؤال الثاني: هل كان الرسول ﷺ ناصحاً لأمته أو كان غير ناصح فإن قلتم إنه كان ناصحاً وقد بيَّن علوَّ الله علىٰ عرشه فهذا حق لأنَّهُ كلام ناصح، وإن كان غير ناصح فقد وصفتم الرسول ﷺ بالخيانة، وهذا كفر.

السؤال الثالث: إذا كان الرسول ﷺ يعرف ربَّهُ وكان ناصحاً في بيان ذلك، هل كان يقدرُ علىٰ البيان أو كان غير قادرٍ علىٰ البيان؟ فإن قلتم: إنَّهُ غير قادر علىٰ البيان فقد كفرتم، كيف يرسل الله رسولاً لا يقدرُ علىٰ البيان، وإن قلتم: إنَّهُ قادرٌ علىٰ البيان، وقد بيَّن وأثبت أنَّ الله فوق سماواته، فهذا حق وحصل المقصود، فلا بُدَّ من هذه اللوازم الثلاثة، إمَّا أن يقولوا: إنَّ الرسول لا يعرف ربه أو يقولون: يعرف ربه لكن لم يُبيِّن هذا للناس، فيكون هذا من الخيانة، أو يقولون: إنَّهُ يُعرف ربه وأراد البيان لكنه عاجزٌ لم يُبيِّن، مثل الأخرس والأعجمي لا يستطيع أن يُبيِّن، ليس عندَهُ لغة يُبيِّن بها للناس، فيكون الرسول ﷺ موصوفاً بالنقص، ولا يمكن أن يرسل الله رسولاً عاجزاً عن البيان لأمته، بل إنَّ الله يختار الرسل من خيرة الخلق وأعلمهم وأنصحهم وأقدرهم علىٰ البيان، ولهذا كلُّ رسولٍ يقول لقومه: «إنيِّ لكم ناصحٌ أمين» وإذا كان الرسول ﷺ عارفاً بربه، ناصحاً لأمته، قادراً علىٰ البيان بما أعطاه الله من=

بـلْ مُفْصِحـاً بـالضِّـدِّ منْـهُ حقيقـةَ الْـ
إفْصـــاحِ مُـــوضَحَـــةً بِكُـــلِّ بيـــانِ
ولأيِّ شـــيءٍ لـــم يُصـــرِّح بـــالـــذي
صَـــرَّحْتُـــمُ فـــي ربنـــا الـــرحمٰـــنِ
ألِعجـــزِهِ عـــــن ذاكَ أم تقصيـــرِهِ
في النُّصْحِ أمْ لخفاءِ هذا الشّانِ(١)
حـاشَـاهُ بـل ذا وصفُكُـمْ يـا أُمَّـةَ التْـ
ـتَعْطيـلِ لا المبعـوثِ بـالقـرآنِ(٢)
ولأيِّ شـــيءٍ كـــان يَـــذْكُـــرُ ضـــدَّ ذا
فـــي كـــلِّ مجتمـــعٍ وكُـــلِّ زمـــانِ(٣)

= البلاغة واللغة العربية الفصيحة، فكيف يعيش ولم يُبيِّن للناس أنَّ العُلوَّ باطل، وأنَّهُ لا يجوز وصفُ الله به كما تقولون، بل صرَّح بخلاف ذلك.

(١) إذا كان عارفاً بربه ناصحاً لأمته قادراً علىٰ البيان فلا يمكن أن يترك الناس يعتقدون الباطل، وهو قد أرسلَهُ الله للهداية وإرشاد الناس للحق.

(٢) هذا تنزيه للرسول ﷺ عن هذه الأوصاف، وخلعها عليهم «هم» فهم الجهلة بربهم وهم الخونة وهم الأعاجم، الذين لا يقدرون علىٰ البيان، فهذه صفات الجهمية ـ قبحهم الله ـ فهم خليط من سلالة اليهود والنصارىٰ ومن المجوس تقمصوا الإسلام وقالوا هذه المقالة وغيرها من الضلال، إمَّا تعمداً للتضليل وإما جهلاً بالله سبحانَهُ وتعالىٰ وإما عُجمة لا يعرفون معاني القرآن ولا يعرفون معاني السُّنة.

(٣) لأيِّ شيءٍ كان رسولُ الله ﷺ يُكرِّر إثبات علوِّ الله علىٰ عرشه في أحاديث كثيرة طول حياته ﷺ، ومات ولم يأت بخلاف ذلك حتىٰ يُقال: إنّ ما سبق =

أتراهُ أصبحَ عاجزاً عن قولِهِ اسـ
ـتولَى وينزِلُ أمْرُهُ وفُلانِ[(١)]

ويقولُ: أينَ اللهُ يعني مَنْ بلَفْـ
ـظِ الأينَ هل هذا مِن التِّبيانِ[(٢)]

= منهُ كان منسوخاً، وهو يصرِّح بعلوِّ الله علىٰ عرشه، معَ أنَّ الأخبار لا يدخُلُها النسخ.

(١) أترون الرسول عاجزاً عن أن يقول ما تقولون، استوىٰ معناهُ: استولىٰ، لماذا لم يقل مرةً من المرات: استولىٰ، حتىٰ يكون هذا تفسيراً لبقية النصوص، بل اطّرَد قوله: استوىٰ بدون لام وفي النزول أنتم تقولون: ينزلُ أمرُهُ، والرسول يقول: «ينزل ربنا»[(*)] فهل كان عاجزاً عن أن يقول: ينزلُ أمر ربنا إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر فيقول: «هل من داع فأستجيب له، هل من سائلٍ فأُعطيه، هل من مستغفرٍ فأغفر له»[(*)]، وأيضاً: فهل يمكن أنَّ المَلَك الذي ينزل علىٰ حسب زعمكم، أو أنَّ أمره علىٰ حسب زعمكم، هل المَلَك أو الأمر يغفر الذنوب ويُعطي السائلين ويستجيب، أو هذه أوصافُ الله سبحانَهُ وتعالىٰ.

(٢) الرسول ﷺ يقول للجارية: «أين الله»[(**)]؟ بهذا اللفظ فتقول: في السماء، وأنتم تقولون: أين الله؟ معناه: مَن الله، ما قالَ أحد من العرب هذا التفسير، ثمَّ لو فُرض أنَّ «أين» بمعنىٰ «مَنْ» فلماذا لم يقل الرسول: =

(*) سلف تخريجه ص٣١٥.

(**) سلف تخريجه ص٣١٩.

والله ما قالَ الأئمةُ غيرَ ما
قد قالَهُ مِن غيرِ ما كِتمانِ
لكنْ لأنَّ عقولَ أهلِ زمانِهِمْ
ضاقَتْ بحَمْلِ دقائقِ الإيمانِ(١)

= «من الله»؟ لماذا قال: «أين الله»؟ بدل «من الله». هذا من الكتمان والتضليل، حيث عدل عن كلمة «مَنْ» إلىٰ «أين»، لأن «أين» اسم استفهام تدل علىٰ المكان، و«من» اسمُ استفهام تدل علىٰ حقيقة الشيء فبينهما فرق، فكيف يترك رسول الله ﷺ اللفظ الواضح ولا يقول: «من الله» حسب زعمكم.

(١) يقول: إنَّ الرسول ﷺ قال أحاديثَ كثيرة في صفات الله عزَّ وجل، والأئمة لم يُبيِّنوها كُلَّها للناس خشيةً عليهم من الافتتان لقصور عقولهم، وإنَّما يُحدّثون الناسُ بحسب ما يعرفون كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: حدِّثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله(*). فإذا جئت عند أُناس مبتدئين في طلب العلم أو عوام، أو أنصاف متعلمين فلا تذكر لهم كلَّ العلم، لأنَّ هذا يحملهم علىٰ الاستغراب، ولكن أعطهم علىٰ قدر عقولهم ولا تحمِلْهم علىٰ الفتنة، يقول عبد الله بن مسعود رضي ما أنت بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلاَّ كان لبعضهم فتنة(**). =

(*) رواه البخاري عن عليٍّ موقوفاً (١٢٧) بعد أن ذكره تعليقاً ثم عقبه بالإسناد، وانظر «فتح الباري» ١/ ٢٩٧ كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

(**) رواه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع من حديث عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود وإسناده منقطع، فإن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود روايته عن عم أبيه عبد الله بن مسعود مرسلة.

وغَـدَتْ بصـائِـرُهُـم كخُفَّـاشٍ أتـىٰ
ضـوءُ النهـارِ فكَـفَّ عـن طيـرانِ(١)

= فالواجب على المُعلِّم والعالم أن يُعطي الناس على قدر عقولهم ولا يأتي لهم بالغرائب والأشياء التي لا تتحملها عقولهم؛ لئلا يضلوا ويفتتنوا، وإذا حدثت العلماء والراسخين في العلم اذكر لهم ما ورد عن الرسول ﷺ لأنَّ عقولَهم تتحمل هذه الأُمُور، هذه هي الطريقة التعليمية الناجحة، وهي التدُّرج في التعليم.

وكان أبو هريرة راوية الإسلام الذي روىٰ عن رسول الله ﷺ من الأحاديث ما لم يماثله فيه غيره، يقول: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءَيْنِ فأما أحدهما فبَثَثْتُهُ، وأما الآخر فلو بَثَثْتُه قُطِعَ هذا البلعوم(*). والمراد بالذي لم يبثه: الأحاديث التي فيها تشويش على الناس وإن كانت حقاً ولما كانوا لا يُدركون معناها، لم يذكرْها لهم، وهي أحاديث الفتن والملاحم التي تأتي في آخر الزمان والتي فيها ذكر الولاة ووجوب الصبر عليهم، لم يُبينها أبو هريرة لكل الناس خشية أن يفتتنوا، وإن كان قد بنيَّها لبعض الخواص، هذه هي الحكمة، فالعالم لا يقول كلَّ ما يعلم، إلاَّ إذا وجد له حملة فحينئذٍ يُبين لهم.

(١) هذا وصف للمُعطِّلة يقول: إنَّهمُ مثل الخُفَّاش، الذي يطير في الليل لأنه لا يُناسبه إلا الظلام، وهؤلاء الجهمية مثل الخُفَّاش، إذا جاءت الشُبهات والتضليلات نشِطوا، وإذا سمعُوا النصوص والقرآن والأدلة الصحيحة كذبَّوا بها وحرَّفُوها وطَعنُوا فيها، لأنه لا يُناسبهم العلم الصحيح وإنَّما =

(*) أخرجه البخاري عن أبي هريرة موقوفاً (١٢٠)، وانظر «فتح الباري» ١/ ٢٨٥-٢٨٦.

حتىٰ إذا ما الليلُ جاءَ ظلامُهُ
أبصَرْتَهُ يسعىٰ بكُلِّ مكانِ[1]

وكذا عُقُولُكُمُ لَوِ اسْتَشْعَرْتُمُ
يا قومِ كالحشراتِ والفيرَانِ

= يُناسبُهم الشبهات والشكوك، وينشطون عند ذلك، وهذه صفة لكلِّ مضلِّل، قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٧]، والمتشابه هو الكلام المحتمل الذي يحتاج إلىٰ تفسير وإلىٰ توضيح بأدلةٍ أُخرىٰ. أهل الضلال يأخذونه ولا يرجعون فيه إلىٰ المُحكم، والراسخون في العلم يردُّون المتشابه إلىٰ المُحكم، ويفسرون كلام الله وكلام رسوله بعضَهُ ببعض، ويقولون: كلٌّ من عند ربنا، المُحكَمُ والمتشابهُ، أمَّا أهل الزيغ فيأخذون طرفاً ويتركون الطرف الثاني من أجل الفتنة وتضليل الناس، ويقولون: نحنُ نستدل بالقرآن والسنة، فتقول لهم كذبتم: لم تستدلوا بالقرآن والسنة لأنكم قطعتم النصوص بعضها عن بعض. ولم تفسروا كلام الله بكلام الله ولم تفسروه بكلام النبي ﷺ، فالاستدلال بالمتشابه ليس استدلالاً لا بكلام الله ولا بكلام رسوله.

(١) هذا الخُفَّاش، إذا جاء الليل وحلَّ الظلام رأيته يطير، وأمَّا إذا جاء النهار وانتشر النور فلا ترىٰ منهُ شيئاً لأنه لا يناسبُه النور، كذلك الجهمية وأضرابُهم، لا يُناسبُهم الحق وإنما يُناسبهم الباطل فهم إنما ينشطون إذا جاء الباطل.

أَنِسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلامِ وما لَهَا
بمطَالِعِ الأنوارِ قطُّ يَدَانِ(١)
لَو كانَ حقّاً ما يقولُ مُعطِّلٌ
لِعُلُوِّهِ وصفاتِهِ الرحمٰنِ
لَزِمَتْكُمُ شِنَعٌ ثلاثٌ فارْتَؤُوا
أو خُلَّةٌ مِنهُنَّ أو ثِنتانِ
تقديمُهُمْ في العلمِ أو في نُصْحِهِمْ
أو في البيانِ أذاكَ ذو إمكانِ(٢)
إن كان ما قد قُلتُمُ حقّاً فقد
ضَلَّ الورىٰ بالوحي والقُرآنِ(٣)

---

(١) فأنتم مثل الخُفاش ومثل الحشرات والفئران إنما تخرج في الليل، وأمّا في النهار فتختفي في جُحُورها لأنَّ النور يبهرها ولا تستطيع الخروج، فهذا شبه أهل الضلال مع الحق والباطل.

(٢) يقول: لو كانَ حقاً ما تقولُون أيُّها الجهمية ومن تبعكم للزم أنكم أعرف بالله من رسوله، أو أنكم أنصح للأمة من الرسول، أو أنكم أقدر علىٰ البيان من رسول الله ﷺ، ومن قال هذه المقالة كفر؛ لأنَّ الرسول ﷺ هو أعلم الخلق، وهو أنصح الخلق، وهو أقدر الخلق علىٰ البيان.

(٣) الشناعة الثانية إن كان ما تقولون حقاً، فالرسُل كلُّهم إما جهلة، وإمّا كذبة، وإمّا عجزة عن بيان الحق، لأنَّ ما جاؤوا به علىٰ خلاف ما تقولون، فلا بُدَّ أنّ الحقَّ معكم أو معهم، لا يجتمع قولكم وقولهم أبداً.

إذ فيهمـا ضِـدُّ الـذي قُلتُـمْ ومـا
ضِـدَّان فـي المعقـول يجتمعـانِ[١]

بـل كـان أولـىٰ يُعطَّـل منهمـا
ويُحـالَ فـي علـمٍ وفـي عِـرفـانِ

إمَّا علىٰ جَهْـمٍ وجَعْـدٍ أو علىٰ النْـ
ـنَظَّـامِ أوْ ذِي المـذهـبِ اليـونـانـي[٢]

وكـذاك أتبـاعٌ لهُـم فَقْـعُ الفـلاَ
صُـمٌّ وبُكْـمٌ تـابعـو العُميـانِ[٣]

ذاك أفـراخُ القـرامطـةِ الأُولـىٰ
قـد جـاهـرُوا بعـدَاوةِ الـرحمٰـنِ

---

(١) هذه قاعدة، وهي أنه لا يجتمع الحقُّ والباطل ولا النور والظلام ولا يجتمع الهدىٰ والضلال.

(٢) الشناعة الثالثة لو كان ما تقولون حقاً ما احتجنا إلىٰ الوحي وإلىٰ الرسُل، وكنا نُحال إلىٰ الجهم بن صفوان أو الجعد بن درهم أو النظام إمام المعتزلة أو غيرهم من فلاسفة اليونان ولا نحتاج إلىٰ وحي ولا إلىٰ رسل.

(٣) يعني إذا كان الكتاب والسنة لا يصلحان للاتباع بزعمكم فإن الناس يجب عليهم اتباع أئمة أهل الضلال وأتباعهم علىٰ الباطل ممن لا يسمعون الحق ولا يبصرونه فهم كالعميان.

وقوله: «فَقع الفلا»، الفَقع: الكمأة، وهذا النوع هو أردؤها، والجمع فِقَعَةٌ ـ ويقال للذليل: هو أذل من فَقْع بقرقرة، لأنه لا يمتنع علىٰ من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

كـالحـاكِميَّـة والأُولـىٰ وَالُـوهُـمُ
كـأبـي سَعيـدٍ ثـمَّ آلِ سِنـانِ[١]
وكـذا ابـنُ سِينـا والنَّصِيـرُ نَصيـرُ أهْـ
ـلِ الشركِ والتكذيبِ والكفرانِ[٢]
وكـذاكَ أفـراخُ المجـوسِ وشِبْهُهُـمْ
والصـابئيـنَ وكـلُّ ذِي بُهتـانِ[٣]
إخـوانُ إبليـسَ اللعيـنِ وجُنـدُهُ
لا مـرحبـاً بعسـاكـرِ الشيطـانِ[٤]
أفَمَـنْ حِـوالتُـهُ علـىٰ التنـزيـلِ والْـ
ـوَحْـي المُبيـنِ ومُحْكَـمِ الفُـرقَـانِ

---

(١) يقول: أو يتبع الناس علىٰ قولكم ملاحدة الباطنية الإسماعيلة من القرامطة والفاطميين أتباع الحاكم العبيدي ومن سار علىٰ نهجهم من الملاحدة، وآل سنان طائفة من الإسماعيلية، وهؤلاء يُقال لهم: الباطنية وهم أكفر الخلق ـ والعياذ بالله ـ بقولون علىٰ الله ورسوله ودينه من الكفر والإلحاد ما لم يقله غيرهم، ويقولون: السنة والقرآن لهُما ظاهر وباطن وهم يأخذون بالباطن بزعمهم ويتركون ظاهر القرآن والسنة.

(٢) تقدم الكلام عن هذين الملحدين بما فيه كفاية ـ إن شاء الله ـ.

(٣) المجوس هم الذين يعبدون النار، وأمَّا الصابئة فهم الذين يقدسون الكواكب والنجوم ويعبدونها.

(٤) كل الذين مر ذكرهم من القرامطة والباطنية وغيرهم من طوائف الضلال علىٰ اختلاف نحلهم لا مرحباً بهم لأنَّهم أعداءُ الله وأعداء الدين في كلِّ زمانٍ ومكان.

كمُحَيَّـرٍ أضحـتْ حِـوالَتُـهُ علـىٰ
أمثـالِـه أمْ كيـف يستـويـانِ[١]

أم كيـف يَشعُـرُ تـائـهٌ بِمُصـابِـهِ
والقلـبُ قـد جُعِلَـتْ لـهُ قُفْـلانِ

قُفْـلٌ مـن الجهـلِ المـركَّـبِ فـوقَـهُ
قُفْـلُ التَّعَصُّـبِ كيـف يَنفتحـانِ[٢]

---

(١) هل يستوي من عمدتُه الوحي المُنزَّل من الله عزَّ وجل وهم أهل السنة والجماعة ومن عمدتُه ضلالات البشر، لا يستويان عند الله سبحانَه وتعالىٰ.

(٢) من ابتُلي بالضلال فإنَّه لا رجاءَ في رجُوعه، لأنه إذا فسد القلب فإنَّه لا رجاءَ في صاحبه، وما دام القلب فيه حياة ولو قليلة ففيه رجاء أنَّهُ يقبل الحقَّ ويرجع، لكن إذا انطمس القلب ولم يبق فيه حياة ولا قبول للحق فإنَّهُ لا فائدةَ فيه، وهذه قلوب أهل الضلال ـ والعياذ بالله ـ قال الله تعالىٰ ـ في المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧]، فهذا مثلُ هؤلاء المعطلة، هم من الذين طبع الله علىٰ قلوبهم وختم الله علىٰ قلوبهم بسبب أنَّهمُ رفضوا الوحي، وإذا أعرض الإنسان عن الوحي ابتُلي بفساد القلب، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥] وهذا يكون علىٰ قلبه قُفلان: قُفْلٌ من الجهل المركَّب وهو: الذي صاحبه لا يدري ولا يدري أنَّهُ لا يدري. والقُفل الثاني: هو التعصب، وهذا هو المصيبة. إن الإنسان يتعصب للباطل مع علمه أنّه ليس علىٰ حق وهذا يُبتلىٰ بالزيغ.

ومَفاتِحُ الأقفالِ في يدِ مَنْ لهُ التْـ
تَصْـرِيـفُ سُبحـانَ العظيـمِ الشـانِ(١)
فاسْألْهُ فَتْحَ القُفلِ مجتهداً علىٰ الْـ
أسْنَـــانِ إنَّ الفَتْـــحَ بـــالأسنَـــانِ(٢)

---

(١) هذه الأقفال لا يقدر علىٰ فتحها إلاَّ الله سبحانَهُ وتعالىٰ فهو الذي بيده القلوب يُقَلِّبُها كيف يشاء سبحانَهُ وتعالىٰ، ولكنه من حكمته ورحمته أنَّ من أعرض عن الحقِّ رغبةً عنه وزهداً فيه أنَّ الله يُعاقبه فلا يقبل الحق ولا يهديه الله للحق عقوبةً له.

(٢) فاسأل الله أن يفتح قلبك لقبول الحق وأكثر من الدعاء، وكان النبي ﷺ يُكثر أن يقول: «يا مُقلِّب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك»(*) فالإنسان يسأل الله أن يهدي قلبه إلىٰ الحق، ولهذا كان ﷺ يفتتح تهجدَهُ بالليل فيقول في استفتاحه «اللهمَّ ربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ فاطرَ السمٰواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ. أنتَ تحكم بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنكَ إنك تهدي من تشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيم»(**) فدلَّ علىٰ الحاجة إلىٰ الدعاء في طلب الهداية وقوله: إن الفتح بالأسنان، معناه: أن الدعاء لا بد معه من عمل صالح فالأعمال الصالحة هي أسنان المفتاح. ومفتاح بدون أسنان لا يفتح.

(*) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤) من حديث أنس بن مالك، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(**) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٤٢/ ١٢٧ (٢٥٢٢٥)، ومسلم (٧٧٠)، وأبو داود (٧٦٧)، والترمذي (٣٤٢٠)، والنسائي ٣/ ٢١٢-٢١٣، وابن ماجه (١٣٥٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فصل

هـذا وخـاتَـمُ العِشْـريـنَ وجهـاً
وَهْـوَ أقـربُهـا إلـىٰ الأذهـانِ
سَـرْدُ النصـوصِ فـإنَّهـا قـدْ نَـوَّعَـتْ
طُـرْقَ الأدلَّـةِ فـي أتَـمِّ بيـانِ
والنَّظْـمُ يَمنعُنـي مـن اسْتيفـائهـا
وسِيـاقَـةُ الألفـاظِ بـالميـزانِ(١)
فـأُشيـرُ بعـضَ إشـارةٍ لمـواضِـعٍ
منهـا وأيـنَ البحْـرُ مِـنْ خُلْجـانِ
فـاذْكُـرْ نصـوصَ الاستـواءِ فـإنَّهـا
فـي سَبْـعِ آيـاتٍ مـن القـرآنِ(٢)
واذكـرْ نصـوصَ الفَـوْقِ أيضـاً فـي ثـلا
ثٍ قـد غَـدَتْ معلـومـةَ التِّبيـانِ(٣)

---

(١) يقول: الدليل العشرون من أدلة العلو: سوق النصوص الدالة علىٰ العُلو في القُرآن، وفي السنة وهي كثيرة لا أستطيع حصرها بالنظم لأنَّ النظم ضيق.

(٢) نصوص الاستواء في سبعة مواضع من القرآن، في سورة الأعراف [٥٤]، وفي سورة يونس [٣]، وفي سورة الرعد [٢]، وفي سورة طٰه [٥]، وفي سورة الفرقان [٥٩]، وفي سورة الم السجدة [٤]، وفي سورة الحديد [٤].

(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، في آيتين من سورة الأنعام [١٨ و٦١]: وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [٥٠] من سورة النحل.

واذكـرْ نصـوصَ عُلُـوِّهِ فـي خمسـةٍ
معلـومـةٍ بَـرِئَـتْ مِـن النُّقصـانِ(١)

واذكر نُصوصاً في الكتاب تضمَّنت
تنـزيلَـهُ مـن ربِّنـا الـرحمٰـنِ

فَتَضَمَّنَـتْ أصليـن قـام عليهمـا الـ
إسـلامُ والإيمـانُ كـالبُنيـانِ

كـونُ الكتـاب كـلامَـهُ سُبحـانَـهُ
وعلُـوُّهُ مـن فـوقِ كُـلِّ مكـانِ(٢)

وعـدادُهـا سبعـون حيـن تُعَـدُّ أوْ
زادَتْ علىٰ السبعينَ في الحُسبانِ(٣)

---

(١) في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] و [الشورىٰ: ٤]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. وقوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩] وقوله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢]. وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١].

(٢) ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] والتنزيل والنزول إنما يكون من أعلىٰ.

(٣) ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ دلَّ علىٰ مسألتين:

الأولىٰ: علوِّ الله، فإنَّ التنزيل لا يكون إلاَّ من العُلو.

الثانية: أنَّ القرآن كلامُ الله منزلٌ غير مخلوق.

واذكرْ نُصوصاً ضُمِّنت رفعاً ومعـ
ـراجاً وإصعاداً إلىٰ الدَّيَّانِ[١]

هيَ خمْسَةٌ معلُومَةٌ بالعَدِّ والْـ
ـحُسْبانِ فاطْلُبها مِنَ القُرآنِ

ولقد أتىٰ في سورةِ المُلكِ التي
تُنجي لقارئها مِن النيرانِ

نَصّانِ أنَّ الله فوقَ سمائه
عند المُحَرِّفِ ما هُما نَصّانِ[٢]

---

(١) النصوص التي فيها: العُروج، والعُروج هو الصعود، قال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] والآيات التي فيها الرفع إليه فقال تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] يعني: المسيح عليه السلام.

(٢) ورد في سورة الملك أنها تشفع لصاحبها، فقد روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن سورة من القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتىٰ غُفر له، وهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]»(*). وقد ورد فيها نصان صريحان أن الله عز وجل في السماء وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وقوله جل وعلا: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٣/ ٣٥٣ (٧٩٧٥)، والترمذي (٢٨٩١)، وأبو داود (١٤٠٠) من حديث أبي هريرة، وهو حديث حسن لغيره، انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

ولقد أتىٰ التخصيصُ بالعِنْدِ الذي
قُلنا بِسَبْعٍ بل أتىٰ بثمانِ
منها صريحٌ موضعانِ بسورةِ الْـ
أعراف ثمَّ الأنبياءِ الثاني(١)
فتدبَّرَ التَّعْيينَ وانظُرْ ما الذي
لِسِوَاهُ ليسَتْ تقْتَضي النَّصَّانِ
وبسورةِ التحريمِ أيضاً ثالثٌ
بادِي الظهورِ لمَنْ لهُ أُذنانِ(٢)
ولديه في مُزَّمِّلٍ قد بيَّنَتْ
نفسَ المُرادِ وقَيَّدَتْ ببيانِ(٣)
لا تنْقُضِ الباقي فما لِمُعطِّلٍ
مِنْ راحةٍ فيها ولا تِبْيانِ

---

(١) في. قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وفي سورة الأنبياء ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]، فالعندية تقتضي العلو، لأنَّهُ لو لم يكن المراد به العلو لصار كل الخلق عنده وهذا باطل، فالعندية تقتضي الخاصية.

(٢) وهو قول امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ...﴾ [التحريم: ١١] يدل علىٰ علوِّ الله سبحانه وتعالىٰ.

(٣) قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] يقتضي الخصوصية لهذا العمل.

وبسورةِ الشورىٰ وفي مُزمِّلٍ
سِرٌّ عظيمٌ شَأنُهُ ذُو شانِ

في ذِكْرِ تفطيرِ السماءِ فَمَنْ يُرِدْ
عِلْماً بِه فهو القريبُ الداني(١)

لَمْ يسمحِ المتأخِّرونَ بنقلِهِ
جُبْناً وضَعْفاً عنه في الإيمانِ

بل قالَهُ المتقدِّمون فوارسُ الْـ
إسلام هُمْ أُمراءُ هذا الشانِ

ومحمدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ في
تفسيرِه حُكِيَتْ بِهِ القولانِ(٢)

* * *

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورىٰ: ٥] وقوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨] ذلك لعظمة الخالق سبحانَهُ وتعالىٰ.

(٢) وهذا الاستدلال علىٰ علوِّ الله من هاتين الآيتين من سورة الشورىٰ وسورة المزمل فقد قال ابن جرير: وقوله: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورىٰ: ٥] يقول تعالىٰ ذكره: تكاد السمٰوات يتشققن من فوق الأرضين من عظمة الله وجلاله. أما الآية المذكورة من سورة المزمل فإن الضمير في (به) عائد إلىٰ الله تعالىٰ وهذا المعنىٰ نصَّ عليه الأئمة القُدماء، أمَّا المتأخرون فإنهم سكتوا عنه من باب عدم الجُرأة علىٰ ذلك وخوفاً من أهل زمانهم، والحق يجب أن يُقال في كل زمان، ولا نُخشىٰ في الله لومة لائم. .

فصل

هـذا وحـاديَهـا وعِشْـرونَ الـذي
قـد جـاءَ فـي الأخبـارِ والقُـرآنِ

إتيـانُ ربِّ العـرشِ جـلَّ جـلالُـهُ
ومجيئُـهُ لِلْفَصْـلِ بـالميـزانِ

فانظرْ إلىٰ التقسيمِ والتنويع في الْـ
ـقُـرآنِ تُلْفيـهِ صـريـحَ بيـانِ(١)

---

(١) الحادي والعشرون من أدلة علوِّ الله علىٰ عرشه: إخبارُهُ سبحانَهُ أنَّهُ يأتي يوم القيامة لفصل القضاء قال تعالىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] وكذلك مجيئُهُ في قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] والإتيان والمجيء بمعنىً واحد، وهذا الإتيان وهذا المجيء حقيقي. يأتي سبحانَهُ وتعالىٰ بذاته كما يليق بجلاله، ليس كمجيء وإتيان المخلوقين، وإنما هو إتيانٌ ومجيء لا يعلم كيفيتهما إلاّ الله تعالىٰ، ووجه الدلالة من ذلك علىٰ العلو: أنَّهُ لا يمكن أن يأتيهم من يمين أو من شمال أو من أمام أو من خلف فهو منزه عن ذلك، لأنَّهُ لو كان كذلك لزم الحلول، فلا بُدَّ أن يأتيهم من فوقهم، فدلَّ علىٰ إثبات العُلو، وأمَّا من يقول: يأتي ويجيء أمره فهو تأويلٌ باطلٌ ويلزم عليه أن يُقدِّر كلمة في القرآن من عنده فيقول: يأتي ويجيء أمره، وأمره سبحانه وتعالىٰ يأتي في كلِّ وقت وينزل في كلِّ وقت فلماذا يختصُّ بيوم القيامة.

إنَّ المَجِــيءَ لــذاتِــه لا أمــرِهِ
كــلاَّ ولا مَلِــكٍ عظيــمِ الشــانِ
إذْ ذَانِــكَ الأمــرانِ قــدْ ذُكــرا وبَيْـ
ـنَهُمــا مَجِــيءُ الــرَّبِّ ذي الغُفْــرانِ
واللهِ ما احتمَلَ المجيءُ سِوىٰ مَجِي
الــذَّاتِ بعــدَ تبيُّــنِ البُــرْهــانِ
مِنْ أين يأتي يا أُولي المعقولِ إنْ
كُنتُــمْ ذوي عَقْــلٍ مــع العِــرفــانِ
مِــنْ فــوقنــا أو تحتنــا أوْ عــن شمــا
ئلنــا ومِــنْ خلــفٍ وعــن أيمــانِ(١)

---

(١) أي يأتي بذاته سبحانه وليس المراد يأتي أمره، أمَّا الذين أوَّلُوا المجيء بأنَّهُ مجيءُ أمرِهِ فهذا تأويلٌ باطلٌ لا دليل عليه، وهذا يلزم منه حمل القرآن علىٰ المجاز ونفي الحقيقة وهذا باطل، فالقرآن حقيقة وليس فيه مجاز، خصوصاً في حقِّ الرب سبحانَهُ وتعالىٰ.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ذكر مجيء الملائكة ومجيء الربِّ ومجيء الأمر، أي: مجيء بعض آيات الربِّ وهو طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان، وعطف هذا علىٰ هذا فدلَّ علىٰ المغايرة، فقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ لا يحتمل غير مجيء الربِّ بذاته تعالىٰ، لأن مجيء الملائكة قد تقدم، ومجيء الأمر ـ وهو بعض الآيات ـ تأخر، ومجيء الربِّ بينهما.

والله لا يتــأتيهُــمُ مِــن تحتِهِــمْ
أبــداً تعــالــىٰ اللهُ ذو السلطــانِ
كــلاَّ ولا مِــن خلفِهِــمْ وأمــامِهِــمْ
وعــن الشمــائـلِ أو عــن الأيمــانِ
والله لا يـــأتيهُــمُ إلاَّ مـــن الْـ
ـعُلْـوِ الـذي هـو فـوقَ كـلِّ مكـانِ(١)

* * *

(١) هل تقولون: إنّه يأتي من يمين أو من شمال أو من خلف أو من أمام، فيلزم الباطل والحُلول، بل لا بد أنّه يأتي من أعلىٰ، وهذا يدل على عُلُوِّه سبحانه وتعالىٰ.

فصل

في الإشارة إلىٰ ذلك في السُنة[(١)]

وَاذكُرْ حديثاً في الصحيح تضمَّنَتْ
كلمـاتُـهُ تكـذيـبَ ذي البُهتـانِ

لمَّـا قضـىٰ اللهُ الخليقـةَ ربُّنـا
كَتَبَـتْ يـداهُ كتـابَ ذي الإحسـانِ

وكتـابُـهُ هـو عِنـدَهُ وَضْـعٌ علـىٰ الْـ
ـعَـرْشِ المجيـدِ الثـابـتِ الأركـانِ

إنـي أنـا الـرحمٰـنُ تَسْبِـقُ رحمتـي
غضبـي وذاك لـرأفتـي وحَنـانـي[(٢)]

---

(١) لمَّا فرغ من ذكر أدلة القرآن علىٰ علو الله علىٰ عرشه، أراد أن يذكر أمثلةً من السنة تدلُّ علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه، لأنَّ السنة وحيٌ من الله تعالىٰ، وهي في المرتبة الثانية بعد القرآن، فيُستدلُّ بها كما يستدلُّ بالقرآن، لأنَّ الكُلَّ من عند الله سبحانَهُ وتعالىٰ.

(٢) هذا الدليل الأول من السنة وهو ما جاء في الحديث: «إنَّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخَلْقَ: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عندَهُ فوق العرش»(*) فدلَّ علىٰ عُلُوِّهِ سبحانَهُ وتعالىٰ، لأنَّ اختصاص هذا الكتاب =

(*) سلف تخريجه ص٣٢٤.

ولقـــد أشـــار نبيُّنـــا فـــي خُطبَـــةٍ
نحـــوَ السمـــاءِ بـــأُصْبَـــعٍ وبنـــانِ
مُسْتشهِـــداً ربَّ السمٰـــواتِ العُلـــىٰ
ليـــرىٰ ويَسمـــعَ قـــولَـــهُ الثقـــلانِ[(١)]
أتـــراهُ أمســـىٰ للسمـــا مُستشهِـــداً
أم للـــذي هـــو فـــوقَ ذي الأكـــوانِ[(٢)]

= بأنَّه (عنده) كاختصاص بعض الملائكة بأنَّهم عنده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ولو كان المراد بالعندية هنا عنديَّة المُلكِ لم يكن للملائكة ولا لهذا الكتاب ميزة إذ الجميع في مُلك الله سبحانَهُ وتعالىٰ، فتخصيص هذا الكتاب بأنَّهُ عنده، يدل علىٰ مباينته لخلقه سبحانَهُ وتعالىٰ، وكذلك الإخبار عن بعض الملائكة بأنَّهم عندَّهُ، أيضاً يدلُّ علىٰ مباينته لخلقه.

(١) هذا الدليل الثاني: وهو أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا خطب المسلمين في عرفة ـ يوم حجة الوداع ـ قال: «هل بلغت» قالوا: نشهدُ أنك بلَّغت ونصحت، فرفع أصبعه إلىٰ السماء إشارةً إلىٰ ربِّه يستشهدهُ، وقال: «اللهم اشهد، اللهم اشهد»[(*)] فهذا دليل علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه، لم يُشر إلىٰ اليمين أو الشمال أو إلىٰ الخلف أو إلىٰ الأمام بل أشار إلىٰ العلو وهذا واضح.

(٢) إشارتُهُ للسماء: هل يستشهد السماء المخلوقة أو يستشهد الذي خلق السمٰوات وهو الله سبحانَهُ وتعالىٰ، هذا هو الحق أنه يستشهد الله جلَّ وعلا، فدل علىٰ أنَّ الله في العُلو.

(*) سلف تخريجه ص٣٢٧.

ولقد أتىٰ في رُقْيَةِ المرضىٰ عن الْـ
ـهـادي المُبيـن أتَـمُّ مـا تِبيـانِ
نَـصٌ بـأنَّ الله فـوقَ سَمـائِـهِ
فاسْمَعْهُ إنْ سَمِعَتْ لكَ الأُذنانِ[1]
ولقـد أتـىٰ خبـرٌ رواه عمُّـه الـ
ـعباسُ صِنْـوُ أبيـه ذو الإحسـانِ[2]

---

(١) النبي ﷺ لمَّا رقىٰ المريض قال: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك...»(*) فقوله: «ربنا الله الذي في السماء» هذا إثبات للعلو، والسماء المراد بها العلو، وتكون في ظرفية، يعني في العلو، وإن أريد السماء المبنية فـ«في» بمعنىٰ «علىٰ»، قال جل وعلا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] أي: من علىٰ السماء، كقوله تعالىٰ: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] يعني: علىٰ الأرض، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: علىٰ، فـ«في» تأتي بمعنىٰ «علىٰ».

(٢) هذا من أدلة السُّنة علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه وهو حديث العباس بن عبدالمطلب عمِّ النبي ﷺ «حديث الأوعال المشهور»(**)، الذي ذكر فيه النبي ﷺ صفة السمٰوات وما بينها من المسافات، وذكر العرش. ثمَّ ذكر البحر الذي فوق السماوات وذكر حملة العرش، وذكر أنَّ الله فوق =

(*) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢) من حديث أبي الدرداء.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٢٩٢ (١٧٧٠)، وأبو داود (٤٧٢٣)، وابن ماجه (١٩٣)، والترمذي (٣٣٢٠).

أنَّ السمٰـواتِ العُلَـىٰ مِـنْ فـوْقِهَـا الْـ

ـكُـرْسـي عليـهِ العـرشُ لِلـرَّحمٰـنِ

واللهُ فــوقَ العــرْشِ ينْظُــرُ خَلْقَــهُ

فـانْظُـرْهُ إن سمَحَـتْ لـكَ العَيْنـانِ

واذكرْ حديثَ حُصَينِ بن المُنذرِ الثْـ

ـقَـةِ الـرضـا أعنـي أبـا عمـرانِ

إذ قـال ربـي فـي السمـاء لـرغبتـي

ولـــرهبتـــي أدعـــوه كــلَّ أوانِ

فـأقـرَّه الهـادي البشيـرُ ولـم يَقُـلْ

أنــتَ المُجَسِّــمُ قــائــلٌ بمكــانِ

حَيَّـزْتَ بـل جَيَّهْـتَ بـل شَبَّهـتَ بـل

جَسَّمْـتَ لسـتَ بعـارفِ الـرحمٰـنِ

هـذي مقـالتُهُـمْ لمـن قـد قـالَ مـا

قــدْ قــالَــهُ حقّــاً أبــو عِمــرانِ[1]

= ذلك كُلِّه، فهذا دليل علىٰ إثبات العلو لله تعالىٰ. الصنو معناه: القرين، قال تعالىٰ: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤] يعني: أن العباس رضي الله عنه صنو أبي النبي ﷺ وهذا مدح للعباس.

(١) لمَّا جاء حصين والد عمران بن حصين قبل أن يسلم إلىٰ النبي ﷺ فقال لهُ: «يا حصينُ، كم تعبد اليوم إلٰهاً؟» قال: أعبدُ سبعة آلهة، ستةٌ في الأرض وواحد في السماء، قال: «أيُّهم الذي تعدُّ لحاجتك وضرورتك =

فـالله يـأخُـذُ حَقَّـهُ منهُـمْ ومِـنْ
أتبـاعِهِـمْ فـالحـقُّ للـرحمٰـنِ
واذكـر شهـادَتَـهُ لِمـنْ قـد قـال رَبْـ
ـبي فـي السَّمَـا بحقيقـةِ الإيمـانِ(١)
وشهـادةَ العـدلِ المُعَطِّـلِ للـذي
قَـدْ قـال ذا بحقيقـةِ الكُفـرانِ(٢)

= قال: «الذي في السماء» فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فأسلم(*).
والشاهد أنَّ الذي يُعدّهُ لحاجته وضرورته هو الذي في السماء فهذا فيه إثبات أنَّ الله في السماء، وأقرَّهُ ﷺ علىٰ ذلك، ولم يُقل له: أنت المُجسِّم كما تقولهُ الجهمية لمن يثبت العُلو. لم يقل النبي ﷺ لحصين هذه التشنيعات التي تقولها الجهمية لمن يُثبت العُلو، يُنفِّرون بها من الحق، وهكذا أشباهُهم في كلِّ زمان يُنفِّرون من الحق بألقابٍ يأتون بها لأهل الحق.

(١) هذا دعاءٌ عليهم، بأنّ الله يأخذ حقَّ أهل الحقِّ من هؤلاء الذين يؤذونهم ويُشنِّعون عليهم.

(٢) يشير إلىٰ حديث الجارية التي جاء بها سيدُّها يريد أن يُعتقها، فجاء إلىٰ النبي ﷺ بها فقال لها: «أين الله»؟ قالت: «في السماء» قال: «من أنا» قالت: «أنت رسول الله» قال: «أعتقها فإنَّها مؤمنة»(**). فأقرَّها علىٰ قولها: «إنَّ الله في السماء» وشهد لها بالإيمان فهذا دليل علىٰ إثبات أنَّ الله جلَّ وعلا في السماء.

(*) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) من حديث عمران بن الحصين.

(**) سلف تخريجه ص٣١٩.

واحكُمْ بأيِّهما تشاءُ وإنَّني
لأراكَ تَقْبَلُ شاهِدَ البُطلانِ
إن كنتَ مِن أتباعِ جَهْمٍ صاحبِ التْـ
ـتَعطيلِ والبُهتان والعُدوانِ[١]
واذكر حديثاً لابن إسحاق الرضا
ذاك الصدوقُ الحافظُ الرّبّاني
في قِصَّةِ اسْتِسقائِهم يَسْتَشْفِعُو
نَ إلىٰ الرسولِ بربِّه المَنّانِ
فاستعظَمَ المُختارُ ذاك وقال شَأْ
نُ اللهِ ربِّ العرشِ أعظمُ شانِ[٢]
اللهُ فوْقَ العَرْشِ فوقَ سمائِهِ
سُبحانَ ذِي المَلَكوتِ والسُّلْطانِ
ولعرشِهِ منهُ أطيطٌ مثلَ ما
قَدْ أطَّ رَحْلُ الراكبِ العجلانِ[٣]

---

(١) وفرق بين شهادة الرسول ﷺ بالإيمان لمن أثبت أن الله في السماء، ومن أثبت له الكفر وهم الجهمية. فقولهم ضدُّ قول الرسول ﷺ، فهم أولىٰ بالكفر ـ والعياذ بالله ـ لأنَّهم أنكروا ما أثبتهُ الرسول ﷺ.

(٢) فهل تتبع مقالة الرسول ﷺ أو تتبع مقالة الجهم، فإن أثبتَّ العُلو فأنت متبعٌ للرسول ﷺ وإن نفيتَ العُلوّ فأنت متبع لقول الجهم بن صفوان ويكون هو قدوتَك وإمامك وبئس الإمام وبئس القُدوة.

(٣) يشير إلىٰ حديث رواهُ ابن إسحاق صاحب السيرة ـ وهو الإمام المشهور ـ في قصة الذي جاء إلىٰ النبي ﷺ يشكو إليه امتناع المطر وطلب من النبي =

لله مـا لقـي ابـنُ إسحـاقَ مـن الْـ
ـجَهْمـيِّ إذ يـرميـهِ بـالعـدوانِ
ويَظـلُّ يمـدحُـهُ إذا كـان الـذي
يَـروِي يُـوافـقُ مـذهـبَ الطَّعّـانِ
كَـمْ قَـدْ رأينـا منْهُـمُ أمثـالَ ذا
فـالحُكْـمُ للهِ العلـيِّ الشَّـانِ

= ﷺ أن يستسقي لهم، وهذا لا بأس به، لكن في النهاية قال: فإنا نستشفع بك علىٰ الله ونستشفع بالله عليك. فعند ذلك غضب النبي ﷺ وأنكر ذلك عليه، وقال: «إنَّه لا يُستشفع بالله علىٰ أحدٍ من خلقه» لأنَّ هذا تنقصٌ لله تعالىٰ، فكأن المخلوق صار أعلىٰ من الخالق لأن المشفوع عنده أعظم من الشافع. والشاهد من الحديث: ـ أنَّ الرسول ﷺ قال لهُ: «ويحك، أتدري ما الله؟» ثمَّ إنَّهُ عليه السلام أشار إلىٰ أنَّ الله فوق العرش وفوق مخلوقاته، فهو أعظم من كل شيء، وهذا فيه إثبات العُلو لله عزَّ وجل، وفي الحديث نفسه أخبر ﷺ أن العرش يئطُّ من عظمة الله واستوائه عليه، كما يئط الرحل بالراكب(*)، فكذلك العرش يئط من استواء الله، مع أنَّ العرش أعظم المخلوقات، فدلَّ علىٰ عظمة الله، ومن كان كذلك فإنَّهُ لا يُستشفع به إلىٰ أحدٍ من خلقه الضعفاء.

(*) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) من حديث جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده.

هذا هو التطفيفُ لا التطفيفُ في
ذَرْعٍ ولا كَيْلٍ ولا ميزانِ[١]

واذكرْ حديثَ نُزُولِهِ نصفَ الدُّجَىٰ
في ثُلْثِ ليلٍ آخرٍ أو ثاني

فنزولُ ربٍّ ليسَ فوقَ سمائهِ
في العقلِ مُمتنعٌ وفي القُرآنِ[٢]

---

(١) صار الجهمية يُشنعون علىٰ ابن إسحاق، راوي هذا الحديث ويصفونَهُ بالأوصاف القبيحة كعادتهم مع غيره من أهل الحق، وما ذنب ابن إسحاق إلاَّ أنَّهُ روىٰ حديث رسول الله الذي يُخالف رأيهم ويُخالف مذهبهم.

أمَّا لو روىٰ ابن إسحاق ما يوافق مذهب الجهمية فإنهم يفرحون بذلك، فهذا دليلٌ علىٰ أنهم يتبعون أهواءهم ولا يتبعون ما جاء عن رسول الله ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ...﴾ الآية [القصص: ٥٠].

وقوله: هذا هو التطفيف، التطفيف: هو النقص، قال تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، وكذلك البخس، وهو نقص المكاييل والموازين، فالجهمية وأضرابُهم من أعظم المطففين، ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝﴾ [المطففين: ٢-٣] فما وافق أهواءَهم فرحوا به ومدحوه، وما خالف أهواءَهم كذَّبُوه وذَمّوه، فهذا هو التطفيف وهو تطفيف معنوي.

(٢) من أدلة علوِّ الله علىٰ عرشه: حديث النزول المتواتر: «ينزل ربُّنا إلىٰ سماء الدنيا كلَّ ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر فيقول: من يسألُني =

واذكر حديثَ الصادقِ ابن رواحَةٍ
في شـأنِ جـاريَـةٍ لـدىٰ الغَشيـانِ
فيـه الشهـادةُ أنَّ عـرشَ الله فـو
قَ المـاءِ خـارجَ هـذه الأكـوانِ
واللهُ فـوقَ العَـرشِ جـلَّ جـلاَلُـهُ
سُبْحـانَـهُ عَـنْ نَفْـي ذي البُهْتَـانِ
ذكـر ابـنُ عبـد البَـرِّ فـي استيعـابـه
هــذا وصَحَّحَــهُ بــلا نُكــرانِ[1]

= فأُعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يستغفر فأغفر له، وذلك كل ليلة حتىٰ يطلع الفجر»(*) والنزول يلزم منه العُلوُّ، لأن النزول لا يكون إلاَّ مِنْ عُلوٍّ، ولكن هذا النزول ليس كنزول المخلوق ولكنه نزول الخالق فهو يليق بجلاله وعظمته ولا نعلم كيفيته، لكن نُثبته ونؤمن به، ونزول الله إلىٰ السماء الدنيا ليس ممتنعاً عليه، لأنَّهُ يفعل ما يشاء سبحانَهُ وتعالىٰ، وأما كيفية النزول فلا نعلمها.

(١) عبد الله بن رواحة الأنصاري شاعر الرسول ﷺ صحابي جليل ومجاهد بطل استُشهد يوم مؤتة رضي الله عنه، كان له جارية وكان يتسرىٰ بها بملك اليمين، فدخلت زوجتهُ، فرأتْهُ معها فغضبت عليه، لأنَّ النساء عندهن غيرة علىٰ أزواجهن مع أنَّهُ أمرٌ أباحَهُ الله له، فغضبت عليه وكلَّمته، فأنكر أنَّهُ يأتي الجارية، وهذا من الكذب للمصلحة لأنهُ يجوز للزوج أن يكذب علىٰ زوجته من أجل بقاء العِشرة، فقالت لهُ: لا =

(*) سلف تخريجه ص٣١٥.

وحـديـثُ مِعـراجِ الـرسـولِ فثـابـتٌ
وهُـو الصـريـحُ بغـايـةِ التِّبيـانِ
وإلـىٰ إلٰـه العـرشِ كـان عُـروجُـهُ
لـم يَختلِفْ مـن صحبِـهِ رَجُـلانِ(١)

= أُصدقك حتىٰ تقرأ القرآن، لأن الجنب لا يقرأ القرآن. قال رضي الله عنه ـ وكان شاعراً ـ:

شهدتُ بأنَّ وعد الله حقّ وأنَّ النار مثوىٰ الكافرينا
وأنَّ العرش فوق الماء طافٍ وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا

فحسبت زوجتُه أنَّ هذا قُرآن، وكانت لا تحفظ القرآن ولا تقرؤه، فقالت: صدق الله وكذَّبتُ عيني. فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ ضحك ولم ينكر عليه(*)، وفيه قوله: «وفق العرش ربُّ العالمينا» فهذا دليل علىٰ عُلوِّ الله علىٰ عرشِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ.

وابن عبد البر وهو الإمام الجليل حافظ المغرب صاحب الكتب المشهورة ومنها، كتاب: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لمَّا جاء علىٰ ترجمة عبد الله بن رواحة ذكر هذه القصة، وأثبتها.

(١) من الأدلة علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه، حديث الإسراء والمعراج(**) وهو الصُعود بالنبي ﷺ إلىٰ السماء، والمعراج مشهور ومتواتر، من أنكرَهُ =

(*) انظر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر ٣٩٧-٣٩٨، ترجمة عبد الله ابن رواحة الأنصاري، قال ابن عبد البر: رويناها من وجوه صحاح.

(**) انظر «تفسير ابن كثير» ٥/ ٥-٤٥ أول تفسير سورة الإسراء حيث أورد الحافظ ابن كثير الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج.

واذكـرْ بقصـةِ خنـدقٍ حُكمـاً جـرىٰ
لقــريظــةٍ مــن سعــدِ الــرَّبّــانــي
شَهِـدَ الـرسـولُ بـأنَّ حُكْـمَ إلٰهِنـا
مِـن فـوقِ سَبْـعٍ وفِقْـهُ بِـوزانِ[1]

= فهو كافر لأنَّ الله ذكر المعراج في أول سورة النجم، وذكر الإسراء في أول سورة بني إسرائيل (الإسراء)، والمعراج من بيت المقدس إلىٰ السماء، والإسراء والمعراج حصلاً في اليقظة ليس رؤيا كما يقولهُ بعضهم، فعروجُهُ ﷺ إلىٰ السماء يدلُّ علىٰ علوْ الله علىٰ عرشه، لأنَّ العروج هو الصعود، إلىٰ أعلىٰ وهذا مثل قوله جلّ جلاله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] يعني تصعد، فالعروج هو الصعود إلىٰ العُلو. وعُرج به عليه السلام بروحه وببدنه يقظةً لا مناماً، وهذا يدلُّ علىٰ علوِّ الله.

(١) لمَّا تألبَّ المشركون علىٰ رسول الله وذلك بإيعاز من اليهود الذين في المدينة وهم حلفاء الرسول ﷺ، في المدينة إلاّ أنَّهم خانُوا العهد وذهبوا يُحرِّضون القبائل علىٰ الرسول ﷺ فجاءت القبائل بقيادة أبي سُفيان بن حرب، ولما علم رسول الله بقدومهم استشار أصحابه، ماذا يعمل؟ فأشار عليه سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ بأن يحفر خندقاً حول المدينة، يمنع الخيل والرجال من الوصول للمدينة فأمر أصحابه بحفر الخندق، وشارك معهم عليه السلام بنفسه حتىٰ أتمَّ حفر الخندق، فلمَّا رأىٰ المشركون هذا الخندق، قالوا: إنها لمكيدة ما كانت العرب تعرفُها، فنفع الله بهذا الخندق ومنع المشركين من الوصول إلىٰ المدينة، =

واذكــر حــديثــاً للبــراء رواهُ أصْـ

ـحــابُ المســانِـدِ منهُـمُ الشيبــانـي

وأبـو عـوانـةَ ثـمَّ حـاكمُنـا الـرضـا

وأبــو نُعَيْــمِ الحــافــظِ الــرَّبَّــانــي

= وخانت قريظة من داخل المدينة وقد كانت محالفة ومُبايعة للرسول ﷺ في الدفاع عنها فأحاط الأعداء بالمسلمين من الداخل والخارج، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ...﴾ [الأحزاب: ١٠] فبلغ بالمسلمين من الكرب الشيء العظيم، لأنَّ العدو يحيط بالمسلمين من الخارج ومن الداخل، فعند ذلك أرسل الله في ليلةٍ من الليالي ريحاً حصبت المشركين وكفأت قدورهم واقتلعت خيامهم وضاقت صدورهم فرجعوا خائبين، وكفىٰ الله المؤمنين القتال، وبقيت قريظة الخائنة فأمره الله تعالىٰ بغزوهم، فغزاهُم رسول الله وحاصرهم في حصنهم أياماً، ثمَّ طلبوا النزول علىٰ حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان جريحاً فجيء به علىٰ حمار وحكم «بأن تُقتل مقاتلتُهم وتُسبىٰ نساؤهم وذراريهم، فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعةٍ»(*) وهذا محل الشاهد من الحديث، حيث دل هذا علىٰ عُلوِّ الله علىٰ عرشه وأنَّ الله فوق السماوات، فالله هو الذي حكم بهذا الحكم الذي وُفِّقَ لهُ سعد ابن معاذ رضي الله عنه.

(*) ورد هذا اللفظ في «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/١٨٩ عن علقمة بن وقاص الليثي.

قــد صَحَّحُــوهُ وفيــه نــصٌّ ظــاهِــرٌ
مــالَــمْ يُحَــرِّفْــهُ أُوْلُــو العُــدوانِ

فــي شــأنِ رُوحِ العبـدِ عنـدَ وداعِهـا
وفِــراقِهــا لمســاكــنِ الأبــدانِ

فتظــلُّ تصعــدُ فــي سمــاءٍ فــوقَهــا
أُخــرىٰ إلــىٰ خــلاَّقِهــا الــرحمٰــنِ

حتــىٰ تصيــرَ إلــىٰ سمــاءِ ربِّهــا
فيهــا وهــذا نصُّــهُ بــأمــانِ[١]

---

(١) هذا الحديث الذي أشار إليه رواهُ أصحاب الكتب المعتمدة في الحديث، ومنهم الإمام أحمد الشيباني، وأبو عبد الله الحاكم في كتابه «المستدرك» وهو أنَّ الروح عندما تُقبض عند وفاة الإنسان يُصعدُ بها إلىٰ السماء، فإن كانت روح مؤمن فُتحت لها أبواب السماء، وإن كانت روح كافر أُغلقت دونها أبواب السماء، ثمَّ تُطرح إلىٰ الأرض وإلىٰ سجين[*]. وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴾ [الأعراف: ٤٠] الشاهد منه: صعُود الروح إلىٰ الله جلَّ وعلا، والصعود لا يكون إلاّ إلىٰ أعلىٰ.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/٤٩٩-٥٠٣ (١٨٥٣٤)، والحاكم في «المستدرك» ١/٩٣-٩٥ (١٠٧) من حديث البراء بن عازب، وهو حديث إسناده صحيح، وانظر تمام تخريجه في «المسند». وانظر ما سلف ص٣١٢.

واذكـر حـديثـاً فـي الصحيـح وفيـ
ـهِ تحذِيرٌ لذاتِ البَعْل مِنْ هُجرانِ

مِنْ سُخْطِ ربٍّ في السماء علىٰ التي
هَجَـرَتْ بـلا ذَنْـبِ ولا عُـدوانِ(١)

واذكــر حــديثــاً رواهُ جــابــرٌ
فيــه الشفــاءُ لطــالــبِ الإيمــانِ

فـي شـأنِ أهـلِ الجنَّـةِ العُليـا ومـا
يَلْقَـوْنَ مِـنْ فضـلٍ ومِـنْ إحســانِ

بَيْنـا هُـمُ فـي عَيْشِهِـمْ ونعيمِهِـمْ
وإذا بنـــورٍ ســـاطـــعِ الغَشيـــانِ

لكنَّهُـــمْ رَفَعُـــوا إليـــه رؤوسَهُـــمْ
فــإذا هــو الــرحمٰــنُ ذُو الغُفــرانِ

فيُسلِّـــم الجبَّـــارُ جَـــلَّ جـــلالـــهُ
حَقّـاً عليهِـمْ وهــو ذو الإحسـانِ(٢)

---

(١) وهو حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده! ما من رجل يدعُو امرأته إلىٰ فراشها، فتأبىٰ عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتىٰ يرضىٰ عنها»(*) ويُراد بالذي في السماء الله سبحانَهُ وتعالىٰ، فهذا فيه دليلٌ علىٰ أن الله في السماء.

(٢) من الأدلة علىٰ علوِّ الله علىٰ عرشه، حديث جابر بن عبد الله، قال: =

(*) أخرجه مسلم (١٤٣٦) (١٢١) من حديث أبي هريرة.

واذكــرْ حــديثــاً قــد رواهُ الشــافعــيْ
يُ طــريقُــهُ فيــه أبــو اليقظــانِ
في فضلِ يومِ الجُمُعَةِ اليومِ الذي
بــالفَضْــلِ قــد شهــدَتْ لــهُ النَّصَّــانِ
يــومَ استــواءِ الــرَّبِّ جــلَّ جــلالُــهُ
حقاً علىٰ العرشِ العظيمِ الشانِ(١)
واذكــر مقــالتَــهُ ألســتُ أميــنَ مَــنْ
فــوقَ السمــاءِ الــواحــدِ المَنَّــانِ(٢)

= قال رسول الله ﷺ «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم فإذا الربُّ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم، يا أهل الجنة»(*) فهذا فيه إثبات العلو لله وأنَّهُ يُشرفُ عليهم من فوقهم».

(١) يشير إلىٰ الحديث الذي ذكره الذهبي في كتاب العلو وفيه: (وهو اليوم الذي استوىٰ فيه الربُّ علىٰ العرشِ)(**) وقد رواه الشافعي في مسنده.

(٢) يشير إلىٰ حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه البخاري ومسلم وفيه: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»(***) ففيه إثبات أن الله في السماء وهو يدل علىٰ علو الله.

(*) أخرجه ابن ماجه (١٨٤) من حديث جابر.

(**) وأورده الإمام الشافعي في كتاب الجمعة من «الأم» ١/ ١٨٥، من حديث أنس بن مالك، وأورده الطبري في «التفسير» ١١/ ٤٣٠-٤٣١ (٣١٩٣٨) وابن كثير في «التفسير» ٧/ ٤٠٧ في سورة (قٓ) تفسير الآية ٣٥.

(***) سلف تخريجه ص٣١٩.

واذكر حديث أبي رَزِينٍ ثمَّ سُقْـ
ـهُ بطولِهِ كمْ فيه مِنْ عِرفانِ[1]

واللهِ ما لِمُعَطِّلٍ بسماعِهِ
أبداً قُوىً إلاَّ علىٰ النُّكرانِ[2]

فأُصُولُ دِينِ نبيِّنا فيهِ أتَتْ
في غايَةِ الإيضاحِ والتِّبْيانِ

وبطُولِهِ قدْ سَاقَهُ ابنُ إمامِنَا
في سُنَّةٍ والحافِظُ الطَّبراني

وكذا أبو بَكْرٍ بتاريخٍ لَهُ
وأبُوهُ ذاكَ زُهَيْرٌ الرَّبَّاني

---

(١) يعني حديث أبي رزين العقيلي: أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء ثم خلق عرشه علىٰ الماء»(*) رواه الترمذي وابن ماجه وفيه إثبات علو الله علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه. والعماء هو السحاب.

(٢) المُعطِّلُ لعلوِّ الله علىٰ خلقه لا يُطيق سماع حديث أبي رزين لأنه يُخالفُ مذهبه، كذلك أهل الباطل لا يُطيقون سماع الحق الذي يُخالفُ مذهبهم وأهواءهم.

(*) سلف تخريجه ص٣٢٩.

واذكـر كـلامَ مُجـاهـدٍ فـي قـولـهِ
أقِـمِ الصـلاةَ وتلـك فـي سُبحـانِ
فـي ذكـرِ تفسيـرِ المقـامِ لأحمـدٍ
مـا قيـل ذا بـالـرأيِ والحُسبـانِ[١]
إن كـان تجسيمـاً فـإنَّ مجـاهـداً
هـو شيخُهُـمْ بـل شيخُـهُ الفـوقـانـي
ولقـد أتـىٰ ذِكْـرُ الجلـوسِ بـه وفـي
أثـرٍ رواه جعفـرُ الـرَّبَّـانـي
أعنـي ابـنَ عَـمِّ نبينـا وبغيـرِه
أيضـاً أتـىٰ والحـقُّ ذو التِّبيـانِ[٢]

---

(١) يعني قوله تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ...﴾ [الإسراء: ٧٨] إلىٰ قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: المقام المحمود: أن الله يجلس محمداً ﷺ معه علىٰ العرش.

فهذا دليل علىٰ علو الله علىٰ عرشه سبحانه وتعالىٰ، وهذا حديث صحيح وإن كان يُشوِّش علىٰ ضعاف الإدراك فلا عبرة بهم لأنه لا يمكن أن يُقال هذا الكلام من جهة الاجتهاد أو الرأي بل لهُ حكم الرفع.

(٢) إن كان هذا الذي ورد عن مجاهد تجسيماً فإنَّ مجاهداً يعتبر شيخ المجسمة عندكم، بل يكون أيضاً ابن عباس شيخُهُ شيخ المجسمة علىٰ زعمكم لأنَّهُ أخذَهُ عن ابن عباس. =

والـــدارَقُطْنِـــيُّ الإمـــامُ يُثْبِـــتُ الْـ
آثــارَ فــي ذا البــابِ غيــرَ جَبــانِ
ولـــهُ قصيـــدٌ ضُمِّنَـــتْ هــذا وفيـ
ـهــا لســتُ للمــرويِّ ذا نُكــرانِ[1]
وجَــرَتْ لــذلــك فتنــةٌ فــي وقتِــهِ
مــن فــرقــةِ التعطيــلِ والعُــدوانِ[2]
واللهُ نـــاصِـــرُ دينِـــهِ وكتَـــابِـــهِ
ورسُــولِــهِ فــي ســائِــرِ الأزمــانِ
لَكــنْ بمحنَــةِ حِــزْبِــهِ مِــنْ حــرْبِــهِ
ذا حِكْمَـــةٍ مُـــذْ كـــانــت الفِئَتــانِ

= وقد روي هذا التفسير عن جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول ﷺ وله طرق أخرىٰ فلم ينفرد به مجاهد(*).

(١) الإمام الدارقطني يثبت هذه الآثار التي في جلوس النبي ﷺ علىٰ العرش، وقد نظم الدارقطني معنىٰ هذه الآثار في قصيدةٍ وأقرَّها ولم يُنكرها وهو الإمام الجليل الحافظ الثقة.

(٢) يعني أن خصومه أنكروا هذا عليه في وقته وشنَّعوا عليه لكنه لم يُبالِ بهم بل روىٰ هذه الآثار وأظهرها ونظمها ونشرها ولم يُبال بخصومه لأنَّهُ لا تأخذه في الله لومةُ لائم.

(*) انظر ما ورد في «الدر المنثور» للسيوطي ٤/٣٥٨-٣٥٩ [الإسراء: ٧٩].

وقـد اقتصـرتُ علـىٰ يسيـرٍ مِـنْ كثيْـ
ـــرٍ فَـــائِـــتٍ للعـــدِّ والحُسبـــانِ
مـا كُـلُّ هـذا قـابـلُ التـأويـلِ بـالتْـ
ـتَحْرِيفِ فاسْتَحْيُوا من الرحمٰنِ[1]

* * *

(١) يقول: إنِّي لم أستقص كلَّ الأدلة من الكتاب والسنة علىٰ العُلو، وإنَّما أتيتُ ببعضها، وقد ذكر فيما سبق أنها تبلغ ألف دليل أو أكثر.

فصل

في جناية التأويل علىٰ ما جاءَ به الرسول والفرقُ بين المردودِ منه والمقبول[1]

---

(١) بعد أن فرغ رحمه الله من ذكر أدلة العلو وأطال في ذلك، لأنَّ مسألة العُلوِّ مسألةٌ عظيمة، وإنكارُها يقتضي الكفر؛ لأنَّهُ إمَّا أن يقتضي الحُلول وهذا كفر، أو يقتضي نفي وجودِ الرَّبِّ سبحانَهُ وتعالىٰ إذا قيل أنَّهُ لا داخل العالم ولا خارج العالم فهذا تعطيلٌ محض، وكفر صريح، وإن كان نُفاةُ العُلوِّ قد لا يريدون ذلك فهو يلزم علىٰ قولهم، وهو مقتضىٰ قولهم، فإن كانوا قد تعمَّدوه فلا شكَّ في كفرهم، وإن لم يتعمَّدوه فلا شكَّ أنَّ هذا كفرٌ وقعوا فيه من حيث لا يشعرون. لمَّا فرغ من بيان ذلك ذكر سبب نفي العُلوِّ وهو التأويل الباطل، وأنَّ التأويل الباطل اتُخذ مطيةً لكلِّ ضلال، فكلُّ ملحد وضال يستخدم التأويل للنصوص التي تُخالفُ مذهبه، فعندهم التأويل مَرْكَبٌ للإلحاد، والتأويل علىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهو التفسير وهو الذي في عرف السلف الصالح، ولهذا فإن ابن جرير الطبري يقول: القول في تأويل قوله تعالىٰ، يعني في تفسير الآية.

القسم الثاني: التأويل بمعنىٰ صرف اللفظ عن ظاهره إلىٰ معنىً آخر غير مراد باللفظ، وهذا هو التأويل الباطل، وهو الذي استخدمَهُ أهل الضلال، إذا ورد دليل يخالف مذهبهم استخدموا فيه التأويل وقالوا: ليس علىٰ ظاهره.

القسم الثالث: التأويل الذي هو بمعنىٰ ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، وهذا حق وهو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ =

هـــذا وأصـــلُ بليَّـــةِ الإســـلام مِـــنْ
تـأويـلِ ذي التحـريـفِ والبُطـلانِ[(١)]
وهـــو الـــذي فـــرَّقَ السبعيـــنَ بَـــلْ
زادَتْ ثـلاثـاً قَـوْلَ ذي البُـرهـانِ[(٢)]

= [آل عمران: ٧]، علىٰ أحد القولين أي: ما يؤول إليه الأمر من بعد، فمثلاً النصوص التي جاءت في وصف المستقبل الذي لم يحصل بعد، وهو وقوع ما أخبرت عنه، ونصوص الآخرة التي جاءت فيما يكون في الآخرة تأويلُها لا يحصُلُ في الدنيا، وإنَّما يكون إذا وقعت في وقتها، لهذا قال يوسف لمّا سجد له أبواه وإخوته ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ﴾ [يوسف: ١٠٠] يعني قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] ثم حدث ما حدث ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ﴾ [يوسف: ١٠٠] فلم يقع تأويلها إلاّ بعد مدة، ومثل قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي ما ينتظر هؤلاء إلا وقوع ما أخبرت به النصوص وحينذاك لا ينفعهم الإيمان.

(١) أصل بلية الإسلام هو من هذا التأويل الفاسد الذي أوَّلُوا به النصوص عن ظاهرها وفسَّروها بتفسيرٍ باطل ليس هو تفسيرها الحق.

(٢) التأويل هو الذي فرَّق الأُمة الإسلامية إلىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقة، كُلّها في النار إلا واحدة، كما أخبر به الصادق المصدوق عليه السلام «إن هذه الأمة ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين مِلَّةً ـ يعني الأهواء ـ كلّها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»(*)، وهذه الثلاث والسبعين هي أصول الفرق =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ١٣٤-١٣٥ (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وهو حديث حسن، بل صحيح بشواهده، انظر تمام تخريجه في «المسند».

وهـو الـذي قَتَـلَ الخليفـةَ جـامِـعَ الْـ
ـقُـرآنِ ذا النـورَيْـنِ والإحسـانِ(١)
وهــو الــذي قَتَـلَ الخليفـةَ بعـدَهُ
أعنــي عليّــاً قــاتــلَ الأقـرانِ(٢)

= وإلاّ فهي أكثر من ذلك بكثير لكنما زاد علىٰ الثلاث والسبعين فهو متفرعٌ عنها.

(١) والتأويل هو الذي قتل الخليفة الثالث: عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، فإنَّما قتلَهُ مَنْ قتلَهُ بسبب التأويل الفاسد حتىٰ ظنُّوا أنَّه يسوغ لهم قتلُهُ فقتلوه، فهذه أول جناية جناها التأويل علىٰ الإسلام وهو قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه.

(٢) الجناية الثانية من جنايات التأويل قتل الخليفة الرابع: علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتله الخوارج وقالوا: إنَّهُ كافر لأنَّهُ حكَّم الرجال، والحكمُ إنَّما هو لله تعالىٰ، ففسَّرُوا الآية بتفسيرٍ باطل فتآمروا علىٰ قتل الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم علياً ومعاوية وعمرو بن العاص وانتُدب لذلك ثلاثة من الخوارج، أمَّا صاحب علي فقد تمكن من قتله، وأمَّا صاحب معاوية فإنَّهُ طعنَهُ وهو يصلي بالناس لكن كانت طعْنَتُه في غيرِ مقتلٍ ونجاهُ الله من القتل، وأُصيب بحراجةٍ لم تُضرَّهُ، وأمَّا الذي انتدب لقتل عمرو بن العاص فصادَف أنَّ عمراً رضي الله عنه لم يخرج للصلاة بالمسلمين في الفجر، وإنَّما خلَّف خارجة بن حُذافة، فقتلهُ الخارجي وهو يظنُّهُ عمرو بن العاص، ولهذا لمَّا تبين لهُ ذلك قال: «أردتُ عمراً وأراد الله خارجة» فقتل الصحابي الجليل خارجة بن حُذافة، هؤلاء هم من الخوارج، وسبب هذه الجرائم هو التأويل الباطل، لأنَّهم تأوَّلُوا النصوص، وكفَّروا الصحابة، ورأوا أنَّ قتلهم جائز، وذلك بسبب =

وهــو الــذي قَتَــلَ الحُسيــنَ وأهلَــهُ
فَغَــدَوْا عليــه مُمَــزَّقــي اللُّحْمــانِ[١]
وهــو الــذي فــي يــومِ حَــرْبِهِــمُ أبــا
حَ حِمــىٰ المــدينــةِ مَعْقــلِ الإيمــانِ[٢]

= تأويلهم الفاسد، وكذلك التأويل الآن هو سبب ضلال من يضل من هذه الأمّة، بسبب عدم فهم النصوص علىٰ حقيقتها وتنزيلها في غير منازلها.

(١) كذلك من جناية التأويل: قتل الحُسين بن علي بن أبي طالب سبط الرسول ﷺ، فإنَّ الحسين استدرجَهُ أهل العراق وزعموا أنَّهم سيناصرونه، فخرج من المدينة علىٰ موعدٍ مع هؤلاء الذين استدرجوه، فوقع في جيش عُبيد الله بن زياد، وخذلَهُ أهل العراق فلم ينصروه فقُتل ـ رضي الله عنه ـ ظلماً وعدواناً بسبب التأويل الباطل، لأنَّهم زيَّنُوا لهُ الخروج علىٰ يزيد بن معاوية بتأويلهم، وزعموا أنَّهمُ سينصرونه وخذلُوه، فقُتل رضي الله عنه بسبب هذه الخديعة والتأويل الفاسد للنصوص التي تدل علىٰ أنه لا يجوز الخروج علىٰ وليٍّ أمر المسلمين ولو كان فاسقاً.

(٢) كذلك من جرائم التأويل التي وقعت في الإسلام «وقعة الحرة» وهي المكان القريب من المدينة بسبب أنَّ أهل المدينة أرادُوا الخروج علىٰ يزيد بن معاوية فنهاهم عقلاء الصحابة كابن عمر وغيره وأمروهم بالتزام السمع والطاعة وأنَّ هذا الرجل وهو يزيد تمَّت لهُ البيعة لا يجوز الخُروج عليه وإن كان فاسقاً، لكن أمر الله نافذ، فخرجوا عليه فجهَّزَ لهم يزيد جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة فغزا المدينة والتقىٰ الفريقان في الحرَّة وخرج إليه أهل المدينة، فقتل في الحرة عدداً كثيراً واستباح المدينة ثلاثة أيام وحصل بالمسلمين نكبة عظيمة بسبب التأويل الخاطىء الذي وقع من أهل المدينة عفا الله عنهم.

حتىٰ جَرَتْ تلك الدماءُ كأنَّها
في يومِ عيدٍ سُنَّةُ القُربانِ(١)

وغدا له الحجاجُ يَسفِكُهَا ويقـ
ـتُلُ صاحبَ الإيمانِ والقُرآنِ(٢)

وجرىٰ بِمَكَّة ما جرىٰ مِنْ أجلِهِ
مِنْ عَسْكَرِ الحجَّاجِ ذي العُدْوانِ

وهُو الذي أنشأ الخوارجَ مِثلَ إنْـ
ـشَاءِ الروافضِ أخبثِ الحيوانِ(٣)

ولأجلِهِ شتمُوا خِيَارَ الخَلْقِ بَعْـ
ـدَ الرُّسْلِ بالعُدْوانِ والبُهتانِ

---

(١) وقعة الحرَّة نكبةٌ عظيمة وذلك بسبب الخروج علىٰ يزيد بن معاوية، ولو أنَّهم صبروا وأخذوا بمشورة أكابر الصحابة والتزموا بقول الرسول ﷺ بالصبر علىٰ أئمة الجور لما حصلت هذه الفتنة.

(٢) والتأويل الفاسد جعل الحجاج بن يوسف يسفك الدماء ويقتل الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير، ويضرب الكعبة بالمنجنيق.

(٣) أي التأويل الفاسد هو الذي أنشأ الفرق كُلَّها، ومن أخبث الفِرق: الخوارج وهم الذين يخرجون علىٰ ولي أمر المسلمين بتأويل غير سائغ لأنَّهم يستبيحون دماء المسلمين ويقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، كما أخبر النبيُّ ﷺ، ومن أخبث الفرق التي أنتجها التأويل الروافض الذين يزعمون أنَّهمْ يتشيعُون لأهل البيت والسبب في ظهورهم وخروجهم هو التأويل الفاسد.

ولأجلِـه سَـلَّ البُغـاةُ سُيُـوفَهُـمْ
ظَنّـاً بـأَنَّهُـمُ ذَوُو إحسـانِ[١]

ولأجلـه قـد قـال أهـلُ الاعتـزا
لِ مقـالـةً هـدَّت قُـوَىٰ الإيمـانِ[٢]

ولأجلـه قـالـوا بـأنَّ كـلاَمَـهُ
سبحـانَـهُ خَلْـقٌ مـن الأكـوانِ[٣]

---

(١) ولأجل التأويل الباطل سلَّ البُغاة سيوفَهم وخرجوا علىٰ الأئمة، والبُغاة: هم الذين يخرجون علىٰ وليِّ الأمر المسلم، بتأويل سائغ هؤلاء يُقال لهم: البُغاة، فالبغي معناه: التعدي علىٰ الناس بغير حق، سواء كان علىٰ ولاة الأُمور أو علىٰ غيرهم.

(٢) ولأجل التأويل الباطل نشأت المعتزلة، أتباع واصل بن عطاء الغزَّال، وكان من تلاميذ الحسن البصري، ثمَّ اختلف علىٰ شيخه في مسألة مرتكب الكبيرة، فالحسن البصري يقول: هو مؤمن ناقص الإيمان ولا يخرج من الإسلام كما يقُولُهُ أهل العلم، فخالفه تلميذُهُ واصل وقال: مرتكب الكبيرة ليس بمسلم ولا كافر بل هو بالمنزلة بين المنزلتين، فمن ثمَّ سُمي هؤلاء بالمعتزلة لأنَّهم اعتزلُوا الحسن بالبصري إمام التابعين رحمهُ الله.

فإن قلتُ: لماذا ترك الناظم الجهمية ولم يذكرهم؟ قلنا: الجهمية ليس لهم دليل، كلُّ الفرق لها شُبهة إلاَّ الجهمية فإنَّهمُ ليس لهم أيُّ شُبه فلا يُحسبون من الفرق الإسلامية.

(٣) قال المعتزلة كما قال الجهمية القرآن مخلوق خلقَهُ الله ولم يتكلَّم به، وسُمِّي كلامَ الله؛ لأنَّ الله خلقه في غيره، فسُمِّي كلامَ الله من باب المجاز =

ولأجلـه قـد كـذَّبـتْ بقضـائِـهِ
شِبْهُ المجوسِ العـابـدي النيـرانِ[1]

= فالقرآن كلام الله حقيقة تكلَّم به وسمعهُ منه جبريل، وبلَّغهُ بأمر الله إلىٰ محمد ﷺ، وبلَّغَهُ محمد ﷺ إلىٰ الأُمة، فهو كلام الله منزلٌ غيرُ مخلوق، منهُ بدأ وإليه يعود، هٰذا مذهب أهل السنة والجماعة.

(١) ولأجل التأويل الفاسد نفىٰ القدرية القدر وأنكروا الركن السادس من أركان الإيمان وهو القضاء والقدر وذلك بالنسبة لأفعال العباد. قالوا: إنَّ الله لم يُقدِّرها وإنَّما العباد هم الذين فعلوها استقلالاً ولم تكن بمشيئة الله وإرادته وخلقه سبحانَهُ وتعالىٰ، فأفعال العباد عندهم ليست من خلق الله وإنما هي من خلق البشر، وليس لله فيها مشيئة ولا إرادة، فشابهوا المجوس الذين يقولون بإثبات خالقين هما النور والظُّلمة، والمعتزلة قالوا بإثبات خالقين متعددين كلٌّ يخلق فعل نفسه، فلذلك صارُوا شراً من المجوس هذا وجه تسميتهم بمجوس هذه الأمة؛ لأنَّهمْ أثبتُوا خالقين مع الله تعالىٰ وشبهتهم: نفي الظلم عن الله تعالىٰ، قالوا: لو قلنا: إنَّ الله شاءَها وأرادها وخلقها وعذَّبُهم عليها لكان ذلك ظلماً، والله مُنزَّهٌ عن الظلم، فنقولُ: كلَّا، لا يلزم هذا، الله شاءَها وأرادَها وخلقها لكن هُم فعلوها باختيارهم ومشيئتهم، وعندهم القُدرةُ علىٰ فعلها أو تركها، فهم فعلوها بقدرتهم واختيارهم ومشيئتهم، والثواب والعقاب إنَّما يتعلقان بفعلهم هم ومشيئتهم وإرادتهم ولا يتعلَّقان بقضاء الله وقدره، فليس في هذا ظلم وإنَّما هو عدل، وإلاّ فيلزم أن يسوي الله بين أهل الإيمان وأهل الكفر، لأنهم كُلَّهم فعلوا أفعالهم بقضاء الله وقدره، فيلزم التسوية بين المؤمن والكافر، والله تعالىٰ يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ =

ولأجلـه قـد خَلَّـدُوا أهـلَ الكبـا
ئـرِ فـي الجحيـمِ كعـابـدي الأوثـانِ
ولأجلـه قـد أنكـرُوا لشفـاعـةِ الـ
ـمُختـارِ فيهـم غـايـةَ النكـرانِ(١)

= [القلم: ٣٥-٣٦] هذا هو الذي أضل المعتزلة إنه التأويل الباطل، ولو أنَّهم جمعوا بين النصوص ولم يضربُوا الأدلة بعضها ببعض لما حصل لهم هذا الضلال ولما حصل لهم نفي القدر الذي الإيمان به هو الركن السادس من أركان الإيمان.

(١) ولأجل التأويل الباطل خلَّدَ الخوارجُ والمعتزلةُ أصحابَ الكبائر من المؤمنين في النار، كُلُّ ذلك بسبب التأويل الباطل؛ لأنَّهمُ أخذُوا بجانب الوعيد وتركوا جانب الوعد والرحمة والمغفرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وأخذوا بمثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] فأخذوا بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد، ولو جمعوا بين النصوص وفسَّرُوا بعضَها ببعض، وقيدُّوا المطلقَ، وخصصُّوا العامَّ لما حصل لهم هذا الضلال، ومن فروع هذا الضلال: أنَّهم نفوا شفاعة الرسول ﷺ التي تواترت بها الأدلة فيشفع الرسول ﷺ لأهل الكبائر من هذه الأُمة فإمَّا ألاَّ يدخلوا النار، وإمَّا إنْ دخلُوها فإنهم يخرجون منها بشفاعته ﷺ أو بشفاعة غيره من الشافعين الذين يأذن الله لهم بالشفاعة. وقعوا في هذا الضلال من أجل التأويل الباطل، فأنكروا الشفاعة وهي ثابتة بالكتاب والسنة والأدلة المتواترة عن الرسول ﷺ، وهي لأهل الإيمان.

ولأجلـه ضُـرِبَ الإمَـامُ بسَـوْطِهِـمْ
صِـدِّيـقُ أهـلِ السُّنّـةِ الشيبـانـي[١]
ولأجلـه قـد قـال جَهْـمٌ ليـس رَبْ
بُ العـرشِ خـارجَ هـذه الأكـوانِ
كـلاَّ ولا فـوقَ السمٰـواتِ العُلـىٰ
والعـرشِ مـن ربٌّ ولا رحمٰـنِ[٢]
مـا فـوقَهـا ربٌّ يُطـاعُ جِبـاهُنـا
تهـوي لـهُ بسجُـودِ ذي خُضْعَـانِ[٣]
ولأجلـه جُحِـدَتْ صِفـاتُ كمـالِـهِ
والعـرشَ أخْلَـوْهُ مـن الـرحمٰـنِ[٤]

---

(١) ولأجل التأويل الباطل عُذِّب الأئمةُ علىٰ يد ولاة الجور، منهم من قُتل، ومنهم من سُجِن وضُرب كالإمام أحمد رحمه الله، فإنَّهُ ضُرِبَ بالسياطِ حتىٰ سالت منه الدماء، وحتىٰ أُغمي عليه مراتٍ عديدة لمَّا امتنع من القول بخلق القرآن في وقت المأمون والمعتصم والواثق، وقُتل بعض الأئمة في هذه الفتنة لمَّا أبوا أن يقولوا بخلق القُرآن ظلماً وعدواناً، وهذا كُلُّهُ بسبب التأويل الباطل.

(٢) ولأجل التأويل الباطل نشأ مذهب الجهمية، والجهمية أهلُ ضلالٍ بعيدٍ لأنَّهم ليس لهم دليل ولا شبهة علىٰ مذهبهم فهم أَضلُّ الفرق ـ والعياذ بالله ـ نفوا علوَّ الله علىٰ عرشه فوق مخلوقاته وقالوا: إنَّهُ لا داخل العالم ولا خارجه، وليس لهُ مكان ولا جهة ولا ولا . . إلىٰ آخره. وهذا كفرٌ بالله تعالىٰ، وقال بهذه المقالة من تأثَّر بمذهب الجهمية كالأشاعرة والمعتزلة.

(٣) هذا مقضىٰ كلام الجهمية.

(٤) ولأجل التأويل الباطل جُحِدَت الصفاتُ، وأُوِّلَت عند الفرق الضالة.

ولأجلِهِ أفنىٰ الجحيمَ وجَنَّةَ الْـ
ـمأوَىٰ مَقالةَ كاذبٍ فَتَّانِ[١]

ولأجْلِه قالوا الإلٰهُ مُعَطَّلٌ
أزلاً بغيرِ نهايةٍ وزمانِ[٢]

ولأجلِهِ قد قالَ ليس لِفعلِهِ
مِن غايةٍ هي حكمةُ الديَّانِ[٣]

---

(١) لأجلِ التأويل الباطل قالت الجهمية بفناء الجنة والنار ولا يبقىٰ شيء إلا الله تعالىٰ، وهذه مقالةٌ باطلة، لأنَّ الجنة تبقىٰ والنار تبقىٰ، وأصحاب الجنة خالدون مُخلَّدُون فيها وأصحاب النار خالِدُون فيها، فالقول بفناء الجنة والنار من أقوال أهل الباطل وسببهُ التأويل الفاسد، يقولون: لئلا تشاركان الله في البقاء، فإنَّ الباقي هو الله وحدَهُ، فنقول: بقاء الله يختلف عن بقاء المخلوق لأنَّ بقاء الله ذاتي، وأمَّا بقاء المخلوق فهو بإبقاء الله لهُ وإرادتِهِ ومشيئته لذلك وليس ذاتياً ففرقٌ بين البقائين.

(٢) أي لأجل التأويل الباطل منعوا التسلسل في المستقبل فقالوا بفناء الجنة والنار وفناء العالم وأنَّهُ لا يبقىٰ إلا الله، ونفوا التسلسل في الماضي فقالوا: إنَّ الله كان ولم يكن لهُ صفات ولا أفعال ولا خلق، ثمَّ حدث له بعد ذلك الفعل والخلق لئلا تُشارك الصفات الله في قدمه وأزليته، فهم منعوا التسلسل في الماضي وفي المستقبل، وهذا كفرٌ بالله عزَّ وجل وتعطيلٌ لله من الصفات.

(٣) ولأجل التأويل الباطل نفيت الحكمة في أفعال الله تعالىٰ فقيل: إنَّ الله يفعل لا لحكمة؛ لأنَّنا لو أثبتنا الحكمة لصارت مؤثرة في الله تعالىٰ، وأنَّ =

ولأجلـه قَـدْ كَـذَّبُـوا بنـزُولـهِ
نحـوَ السمـاءِ بنصـفِ ليـلٍ ثـانِ[١]
ولأجْلِـهِ زعمـوا الكتـابَ عبـارةً
وحكـايـةً عـن ذلـك القـرآنِ[٢]

= الله يفعل لا لحكمة ويقولون: إنَّ الله يفعل لا لغرض ولا لحكمة وإنَّما يفعل لمجرد المشيئة فقط تعالىٰ الله عمَّا يقولون، والله تعالىٰ في غالب الأفعال يذكر حكمتَهُ سبحانَهُ وتعالىٰ، حيث نص علىٰ أنه «حكيم» والحكيم: هو الذي يضع الأُمور في موضعها.

(١) ولأجل التأويل الباطل نفوا النزول الإلهي إلىٰ سماء الدنيا الذي تواترت به الأدلة مثل قوله ﷺ: «ينزل ربَّنا إلىٰ سماء الدنيا كُلَّ ليلةٍ حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر»(*) قالوا: هذا يلزم منهُ الانتقال، والله مُنزَّهٌ عن الحركة والانتقال لئلا يُشابه المخلوقين. فنقول: نحنُ نثبت النزول كما جاء، وأمَّا كيفية النزول فإنَّها لا يعلمُها إلا الله سبحانَهُ وتعالىٰ، فنقول: ينزل نزولاً لا يشبه نزول المخلوقين بل يليق بجلاله، وأهل الحق فيقولون: نزول كلِّ شيءٍ بحسبه، فالنزول بالنسبة لله كما يليق بجلاله لا يعلم كيفيتَهُ إلاَّ الله جُلَّ وعلا، وأمَّا نزول المخلوق فهو لائق بالمخلوق.

(٢) هذا مذهب الأشاعرة والماتريديه في القرآن، يقولون: الله جلَّ وعلا لا يوصف بالكلام الذي يُسمع وإنما يوصف بالكلام النفسي الذي لا يُسمع، وهذا القرآن أو التوراة أو الإنجيل، حكاية أو عبارة عن كلام الله عزّ وجل، حكاهُ أو عبَّر عنهُ جبريل فليس لله كلام يُسمع وإنَّما هو المعنىٰ =

(*) سلف تخريجه ص٣١٥.

ما عندنا شيءٌ سوىٰ المخلوقِ والْـ
ـقُرْآنُ لم يُسْمَعْ مِن الرحمٰنِ[1]
مــا ذا كـــلامُ اللهِ قَــطُّ حقيقــةً
لكــنْ مَجَــازٌ وَيْــحَ ذا البُهتَـــانِ

= القائم بنفسه، وهذا الكلام الموجود مخلوق لأنَّهُ إمَّا كلام الملك أو كلام البشر، تعالىٰ الله عمَّا يقولون علواً كبيراً. والفرق بين الحكاية والعبارة، أنهم يقولون: إنَّ الحكاية أدقُّ من العبارة، لأن الحكاية معناها: المشابهة للمحكي من كل وجه، وأمَّا العبارة فلا يلزم منها مشابهةً تامّةً للمعبر عنه، والمآل واحد: وهو أنهم يقولون هذا القرآن الذي بين أيدينا هو من كلام البشر أو كلام جبريل وهو عبارةٌ أو حكاية عن كلام الله، وهل في لغة الأمم كلهم العجم أو العرب أو غيرهم: أنَّ ما في النفس يسمىٰ كلاماً. إنما الكلام ما تُلُفِّظَ به وتُكلِّم به.

(١) المعتزلة والجهمية يقولون: هذا القرآن مخلوق خلقهُ الله إمَّا في جبريل أو محمد ﷺ، وسمي كلام الله من باب المجاز، والأشاعرة يقولون: هو المعنىٰ القائم بالنفس، ولكن هذا القرآن الذي بين أيدينا من كلام جبريل أو محمد فهو مخلوق، فالقرآن يجتمع فيه عند الأشاعرة الصفتان: أنَّهُ مخلوق وأنَّهُ غير مخلوق فهم مترددون بين مذهب أهل السنة الذين يقولون: القرآن غير مخلوق ومذهب الجهمية الذين يقولون: إنَّهُ مخلوق، فالجهمية والمعتزلة أصرح منهم، قالوا: إنَّهُ مخلوق وانتهوا، فهؤلاء شابهوا النصارىٰ في قولهم في المسيح: إنَّهُ عبارة عن شيئين: هما اللاهوت والناسوت، فكذلك القرآن عند الأشاعرة اجتمع فيه الأمران: الخلق وعدم الخلق فهذا القول من جنس قول النصارىٰ الذين يقولون: بحلول اللاهوت في الناسوت.

ولأجلـه قُتِـل ابـنُ نصـرٍ أحمـدٌ
ذاكَ الخُـراعـيُّ العظيـمُ الشـانِ
إذ قـال ذا القـرآنُ نفسُ كـلامِـهِ
مـا ذاك مخلـوقٌ مِـن الأكـوانِ[١]
وهـو الـذي جَـرَّ ابـنَ سينـا والأُولىٰ
قـالـوا مقـالَتَـهُ علـىٰ الكُفـرانِ[٢]
فتـأولُـوا خلـقَ السمٰـواتِ العُلـىٰ
وحُـدُوثَهـا بحقيقـةِ الإمكـانِ[٣]

---

(١) أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي من أقران الإمام أحمد رحمهُ الله، امتنع من القول بخلق القرآن فقتله الواثق بإملاء من المعتزلة، لأنَّهُم أثَّروا علىٰ الواثق كما هي عادة بطانة وجلساء السوء، لأنَّ الخلفاء لما جعلوا بطانتهم من المعتزلة أثَّروا عليهم فاعتنقوا مذهب المعتزلة وعادَوا أهل السنة.

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الذي يُسمونَهُ الرئيس، وكان من الباطنية، الإسماعيلية، وأبوه كان يهودياً، وكان مشتهراً بالطب واشتهر بالفلسفة، والتأويل الباطل هو الذي جرَّأهُ علىٰ القول بجواز قدم العالم، والفلاسفة الذين قبله صرَّحُوا بوجوب قدم العالم، وأمَّا هو فقال: هو ممكن، وهذا كفرٌ، لأن الواجب أنَّ يعتقد أنَّ الله هو القديم الأزلي الذي ليس قبلَهُ شيء، فمن قال: إنَّ العالم قديم فهو كافر، أو قال: إنه يجوز القول بقدم العالم فهو كافر أيضاً.

(٣) يعني يقولون: يمكن القول بقدم العالم، وإنَّما قالوا: يمكن من باب المخادعة للمسلمين؛ لأنَّ ابن سينا يدعي الإسلام وأراد أن يجمع بين الإسلام والفلسفة فجاء بهذه الكلمة مخادعة للمسلمين.

وتــأَوَّلُــوا عِلْــمَ الإلٰــهِ وقــولَــهُ
وصِفــاتِــهِ بــالسلــبِ والبُطــلانِ[١]
وتـأولـوا البعـثَ الـذي جـاءتْ بـه
رُسُـــلُ الإلٰـــهِ لهـــذه الأبـــدانِ
بفــراقِهــا لعنــاصــرٍ قــد رُكِّبَـتْ
حتــىٰ تعــودَ بسيطــةَ الأركــانِ[٢]
وهـو الـذي جـرَّ القـرامطـةَ الأُولـىٰ
يتــأوَّلُــون شــرائــعَ الإيمــانِ[٣]

---

(١) نفوا الصفات عن الله جلَّ وعلا، والسلب: هو النفي، وصفوا الله بالصفات السلبية، فقالوا: لا داخل ولا خارج ولا فوق ولا تحت ولا يمين ولا . . . كلّ وصفهم لله بالنفي المحض.

(٢) وتأولوا البعث بأنَّهُ: ليس معناه أنَّ الله يُحيي الموتىٰ ويُعيدُهم كما كانُوا في الدار الدنيا بعد قيام الساعة والنفخ في الصور كما دلَّت عليه الكتب السماوية، وإنما: بعثُها تغيُّرها من حالٍ إلىٰ حال.

(٣) والتأويل الفاسد هو الذي جرَّ القرامطة: وهم قومٌ من الشيعة الباطنية وهم شر طوائف الشيعة، وحصل منهم علىٰ المسلمين النكبات، وهم أتباع حمدان قرمط من أهلِ الأحساء، وهذا الخبيث القرمطي جاء إلىٰ مكة، وقتل الحُجاجَ في المسجد الحرام حتىٰ سالت الدماء في المسجد الحرام، وسحب الجُثث وألقاها في بئر زمزم، واقتلع الحجر الأسود، وذهب به إلىٰ هجر «الأحساء»، وأقام هناك مدة طويلة، وخلت منه الكعبة، وكان المسلمون يشيرون إلىٰ مكانه إذا حاذوه في الطواف، ولهذا لمَّا =

فتـأوَّلُـوا العَمَلِـيَّ مِثْـلَ تـأوُّلِ الْـ
ـعِلْمِـيِّ عِنْـدَكُـمُ بِـلا فُـرقـانِ

وهـو الـذي جـرَّ النَّصيـرَ وحِـزْبَـهُ
حتـىٰ أتـوا بعسـاكِـرِ الكُفْـرانِ(١)

= صنفَّ الخرقي «مختصره» وكان في زمن فقد الحجر، وجاء علىٰ ذكر الطواف قال: «وإذا حاذىٰ مكان الحجر يشير إليه» لأنَّهُ في وقته غير موجود؛ ثمَّ ردَّهُ الله بعد ذلك إلىٰ مكانه، هؤلاء هم القرامطة، وسبب ضلالهم وكفرهم وإلحادِهم: هو التأويل، ينتسبون إلىٰ الإسلام ويُفسرون النصوص بتأويلات باطلة. فيُفسرون الصلاة بأنَّها الدعاء، والصيام بأنَّهُ كتم الأسرار، والحج بأنَّهُ قصد المشاهد، فمن ذهب إلىٰ أيِّ مشهد أو إلىٰ أيِّ قبر فقد حجَّ عندهم، وهكذا تأويلات القرامطة مشهورة.

(١) وكذلك هذا التأويل الباطل هو الذي جرَّأ نصير الدين الطوسي الشيعي وزير الخليفة العباسي. هذا الخبيث كاتب التتارَ في المشرق، وهم بدو المشرق، وكانوا أشداء، وكانوا كفرة وملاحِدة، وزيَّن لهم غزو المسلمين، فغزوا بلاد العراق، وداهَمُوا بغداد، وقتلوا الخليفة، وقتلوا العُلماء، وأخذوا الكتب وطرحُوها في نهر دجلة، حتىٰ تغيَّر الماء مِنْ مِداد هذه الكُتب، وزحفوا علىٰ الشام ومصر، وذاق المسلمون منهم بلاءاً عظيماً، كلُّ هذا بسبب التأويل الباطني الذي هو مذهَب نصير الدين، وهو في الحقيقة نصير الكفر، ومعه ابن العلقي الشيعي.

فجرىٰ علىٰ الإسلامِ أعظمُ محنةٍ
وخُمارُهما فينا إلىٰ ذا الآنِ[١]

وجميعُ ما في الكون من بدعٍ وأحْـ
ـداثٍ تُخالفُ مُوجِبَ القرآنِ

فأساسُها التأويلُ ذو البُطلانِ لا
تأويلُ أهلِ العلمِ والإيمانِ[٢]

إذ ذاك تفسيرُ المُرادِ وكَشْفُهُ
وبيانُ معناهُ إلىٰ الأذهانِ[٣]

قدْ كان أعلمُ خَلْقِهِ بكلامِهِ
صلَّىٰ عليه اللهُ كلَّ أوانِ

يتأوَّلُ القرآنَ عندَ رُكوعِهِ
وسجودِه تأوِيلَ ذي بُرهانِ

---

(١) خُمارُها: يعني آثارُها السيئة فينا معشر المسلمين، إلىٰ ذا الآن يعني: إلىٰ وقت الإمام ابن القيم فإنَّهم كانوا لا يزالون في ذلك الوقت لهم بقايا وشر، إلىٰ وقت شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه.

(٢) كلُّ ضلالٍ وشر فسببهُ التأويل الباطل، والتأويل الصحيح الذي عليه أهل العلم هو تفسير النصوص بمعناها الصحيح الذي تدل عليه حقيقة بحسب وضعها الشرعي واللغوي.

(٣) هذا هو التأويل الصحيح: كشف معاني الألفاظ وتفسيرُها المطابق لما تدل عليه.

هــذا الــذي قــالَتْــهُ أمُّ المــؤمنيـ
ـــن حكــايــةً عنــهُ لهــا بلســانِ[1]

فــانظـرْ إلـىٰ التـأويـلِ مـا تَعْنـي بـه
خَيْـــرُ النســـاء وأفقَـــهُ النســـوانِ

أتظُنُّهــا تعنــي بــه صَــرْفــاً عــن الـ
ـمَعْنىٰ القويِّ لغيرِ ذي الرُّجحانِ[2]

وانظرْ إلىٰ التأويلِ حينَ يقولُ عَلْـ
ـلَمَـــهُ لعبـــدِ الله فـــي القـــرآنِ

مـــاذا أرادَ بـــه ســـوىٰ تفسيـــرِهِ
وظهـــورِ معنـــاهُ لـــهُ بِبَيَـــانِ

---

(١) قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ بعدما نزل عليه قولُهُ تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ . . .﴾ [النصر: ١] إلىٰ آخر السورة يقول: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن[*]»، يعني: يُفسِّر القرآن ويُبيِّن معنىٰ هذه الآية يفسرها عملياً. فدل علىٰ أن التأويل هو بيـان المعنىٰ لا صرف اللفظ عن ظاهره ومدلوله.

(٢) عائشة رضي الله عنها لا تعني التأويل الباطل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلىٰ معنىٰ مرجوح؛ لأنها أفقه النساء، وهو تأويل باطل متأخر الحدوث، وإنَّما تعني تفسير اللفظ وبيان معناه.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٠/ ١٩٢-١٩٣ (٢٤١٦٣)، والبخاري (٤٩٦٧) و(٤٩٦٨) ومسلم (٧٨٤) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

قـولُ ابـنِ عبـاسٍ هـو التـأويـلُ لا
تـأويــلُ جَهْمِــيٍّ أخــي بُهتـــانِ[١]

وحقيقـةُ التـأويـلِ معنـاهُ الـرجـو
عُ إلـىٰ الحقيقـةِ لا إلـىٰ البُطـلانِ[٢]

وكـذلـك تـأويـلُ المنـامِ حقيقـةُ الْـ
ـمَـرئـيِّ لا التحـريـفُ بـالبُهتـانِ[٣]

---

(١) والتأويل الذي دعا به الرسول ﷺ لعبد الله بن عباس قال: «اللهم فَقِّهْهُ في الدين وعلِّمْهُ التأويلَ»(*) المراد به: تفسير القرآن. فكان ابن عباس رضي الله عنهما، بسبب هذه الدعوة يُسَّمىٰ ترجمان القرآن ببركة دعوة الرسول ﷺ، والشاهد: أنَّ مُراد الرسول ﷺ بالتأويل هو التفسير، فكان ابن عباس من أعلم الناس بالتفسير واشتهر بذلك، أمَّا تأويل الجهمي فإنَّه ليس هو التفسير وإنَّما هو تحريف الكلم عن مواضعه، وتفسيره بمعنىً غير مُراد الله منه.

(٢) ويراد بالتأويل أيضاً: ما يؤول إليه الشيء، يعني يرجع عليه، والمراد بيان حقائق ما جاءت به الأخبار في المستقبل حين تقع مدلولاتها.

(٣) وتأويل الرؤيا: بيان حقيقة المرئي حينما يقع، فالإنسان يرىٰ في منامه شيئاً فإذا وقع هذا الشيء فهو تأويل الرؤيا كما قال يوسف عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤/٢٢٥ (٢٣٩٧) من حديث ابن عباس، والحديث إسناده قوي علىٰ شرط مسلم، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

وكـذاك تـأويـلُ الـذي قـد أخبـرَتْ
رُسْـلُ الإلٰـهِ بـه مـن الإيمـانِ(١)

لا خُلْـفَ بيـنَ أئمـةِ التفسيـرِ فـي
هـذا وذلـكَ واضـحُ البـرهـانِ

نفْسُ الحقيقَـةِ إذْ تُشاهـدُها لـدىٰ
يَـوْمِ المَعَـادِ بِـرُؤْيَـةٍ وعِيَـانِ

هـذا كـلامُ الله ثُـمَّ رسـولِـهِ
وأئمـةِ التفسيـرِ للقُـرآنِ(٢)

تـأويلُـه هـو عنـدَهُـمْ تفسيـرُهُ
بـالظـاهـرِ المفهـومِ لـلأذهـانِ

---

(١) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] يعني: لا ينتظر الكافر إلا وقوع ما أخبرت به الرسل في يوم القيامة، حينذاك ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] اعترفُوا بصحة ما جاءت به الرسل، وكانوا في الدنيا يكذبونهم ويقولون: هذا مُحال، ليس هناك بعثٌ ولا نشور ولا جنَّة ولا نار، يكذبون الرسل، فإذا عايَنُوا ذلك يوم القيامة اعترفوا أنَّ الرسل علىٰ الحقِّ والصدق لكن لا ينفعهم الاعتراف، حينذاك.

(٢) وهو أن التأويل الحق الذي دل عليه القرآن والسنة وكلام أئمة التفسير يطلق علىٰ معنيين:

تفسير اللفظ وبيان معناه.

ما يؤول إليه الشيءُ والخبر في المستقبلِ هذان التأويلان حَقٌّ، وهُما المُراد في القُرآن، لا تأويل الجهمية والقرامطة والشيعة.

مـا قـالَ منهـم قـطُّ شخـصٌ واحـدٌ
تـأويلُـهُ صَـرْفٌ عـن الـرُّجْحـانِ

كـلّا ولا نفـيُ الحقيقـةِ لا ولا
عَـزْلُ النصـوصِ عـن اليقيـنِ فَـذانِ

تـأويـلُ أهـلِ البـاطـلِ المـردودِ عنْـ
ـدَ أئمـةِ العِـرفـانِ والإيمـانِ

وهـو الـذي لا شـكَّ فـي بطـلانِـهِ
واللهُ يقضـي فيـه بـالبُطـلانِ(١)

فجَعلْتُـمُ لِلَّفـظِ معنـىً غيـرَ معـ
ـنَـاهُ لـديهِـمْ بـاصطـلاحٍ ثـانِ

وحَمَلْتُـمُ لفـظَ الكتـابِ عليـه حَتْـ
ـتَـىٰ جـاءَكـم مـن ذاكَ مَحـذورانِ

---

(١) التأويل عند المتقدمين هو تفسير اللفظ بالمعنىٰ الذي يدل عليه، أما التأويل عند المتأخرين: فهو صرف الكلام عن المعنىٰ المراد إلىٰ معنىٰ غير المراد. والسلف ما أرادوا هذا أبداً وإنما أرادُوا المعنىٰ المراد، فلم يقل هذا أحدٌ من السلف.

ولم يقل أحد منهم بعزل النصوص عن اليقين، وأنَّها تُفيد الظن لا اليقين كما يقوله أهل التأويل الباطل، لأن الذي يُفيد اليقين عندهم هو القواعد المنطقية. ولو كان ما يقولونَهُ حقاً لكان القُرآن كُلُّهُ للتعمية والأحاجي والألغاز، والله أثنىٰ علىٰ القرآن، ومدحَهُ بأنَّهُ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وأنَّهُ ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١].

كذبٌ علىٰ الألفاظِ مع كذبٍ علىٰ
مَـن قـالَهـا كـذبـانِ مَقْبـوحـانِ
وتـلاهُمـا أمـرانِ أقبـحُ مِنهُمـا
جَحْـدُ الهُـدَىٰ، وشهـادةُ البُهتـانِ
إذْ يشهـدونَ الـزُّورَ أنَّ مُـرادَهُ
غَيـرُ الحقيقـةِ وهـي ذُو بُطـلانِ(١)

* * *

(١) يقول الشيخ للجهمية أحدثتم للقرآن والسنة معانٍ غير المعاني التي أُنزلت من أجلها، فيلزم من هذا محذوران:

الأول: أنَّ القرآن ما نزل للهداية، وإنَّما نزل للتعمية.

الثاني: أنَّ الرسل ما أخبرت بالحقيقة، وإنَّما أخبرت بأشياء غير حقيقية، وكلا القولين كفر. ويلزم من هذا محذوران عظيمان هما: الكذب علىٰ الألفاظ، والكذب علىٰ من قالها، ويتلو هذين المحذورين محذوران أقبح منها، وهما جحد أن القرآن جاء للهداية، والشهادة الكاذبة عليه بذلك.

فصل

فيما يلزمُ مُدَّعي التأويل لتصحيح دعواه[١]

وعليكُمُ في ذا وظائفُ أربعٌ
والله ليس لكُمْ بهِنَّ يدانِ[٢]

منها دليلٌ صارفٌ لِلَّفظِ عن
موضوعِهِ الأصليِّ بالبرهانِ

---

(١) يلزم مُدِّعي التأويل أربعة أُمور إذا تمت صار التأويل صحيحاً، وإلاَّ فهو تأويل باطل، وهذه الأربعة مستحيلٌ وجودها في تأويل أهل الباطل:

الأول: إقامة الدليل علىٰ أنَّ هذه النصوص ليست علىٰ ظاهرها، وإنَّما لها معنىٰ آخر.

الثاني: إقامة الدليل علىٰ صحة الاحتمال الذي صُرِف اللفظ إليه.

الثالث: إقامة الدليل علىٰ أنَّ المُتكلِّم أراد هذا المعنىٰ الذي صُرِف إليه اللفظ، تقول: ولماذا لا يكون أرادَ غيره؟ إذا صار اللفظ محتملاً لعدَّة معان، وأنت أيها المؤول تقول: يريد هذا المعنىٰ، فما الدليل علىٰ هذا التحديد؟ وقد يكون أمراً تعبدياً، لأنَّ بعض النصوص تعبدية لا تُعرَف حكمتُها وعلَّتُها، فما الذي يؤمِنُك من كونها تعبدية.

الرابع: الجواب عن قول المعارض الذي يقول صرفتم اللفظ إلىٰ غير مراد المتكلِّم، لأن الأصل هو العمل بالظاهر، والنصوص علىٰ ظاهرها مالم يدل دليل علىٰ صرفها عنه.

(٢) يعني ليس لكم علىٰ الإتيان بالأربعة المذكورة قوة.

إذْ مُـدَّعـي نفـسِ الحقيقـة مُـدَّعٍ
لـلأصـلِ لـم يَحْتَـجْ إلىٰ بُـرهـانِ[١]
فـإذا استقـام لكـم دليـلُ الصرف يـا
هيهـاتَ طُـولبتُـمْ بـأمـرٍ ثـانِ
وهـو احتمـالُ اللفـظِ للمعنىٰ الـذي
قُلْتُـمْ هُـوَ المقصـودُ بـالتِّبيـانِ[٢]
فـإذا أتيتُـمْ ذاك طُـولبتُـمْ بـأمـ
ـرٍ ثـالـثٍ مِـنْ بَعْـدِ هـذا الثـانـي
إذْ قلتُـمُ أنَّ المُـرادَ كـذا فمـا
ذا دَلَّكُـمْ أتخـرُّصُ الكُهَّـانِ؟
هَـبْ أنَّـهُ لـم يَقْصِـدِ المـوضـوعَ لـ
ـكِـنْ قـد يكـونُ القصـدُ معنىً ثـانِ
غيـرَ الـذي عَيَّنْتُمُـوْهُ وقـد يكـو
نُ اللفـظُ مقصـوداً بـدونِ معـانِ

---

(١) الأمر الأول: أن يقال لمدعىٰ التأويل: أين الدليل علىٰ أنَّ ظاهر اللفظ غير مراد، لأن الأصل: أنَّ الكلام علىٰ ظاهره، إلاَّ أن تأتُوا بدليل يصرف عن هذا الأصل، وأنَّىٰ لكم الدليل.

فالذي يدعي أنَّ اللفظ علىٰ ظاهِره مُدعٍ للأصل، وأنتم تدَّعون أنَّهُ علىٰ خلاف الأصل فما هو دليلكم؟.

(٢) إذا جئتم بالدليل علىٰ صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا بعيدٌ جداً طولبتم بشيءٍ آخر وهو إقامة الدليل علىٰ تعيين الاحتمال الذي فَسَّرْتُم اللفظ به وإلا كنتم كاذبين.

كتعبُّـــدٍ وتـــلاوةٍ ويكـــونُ ذا

ك القصـدُ أنفـعَ وهـو ذو إمكـانِ[١]

مِـنْ قَصْـدِ تحْـريـفٍ لهـا يُسمـىٰ بِتَـأْ

وِيـلٍ مـع الإتْعـابِ لـلأذهـانِ

واللهِ مـا القَصْـدانِ فـي حـدٍّ سـوا

فـي حِكْمَـةِ المُتكلِّـمِ المَنَّـانِ

بَلْ حِكْمَةُ الرَّحمٰنِ تُبْطِلُ قصدَهُ التْـ

تَحْـرِيـفَ حـاشَـا حِكْمـةَ الـرَّحمٰـنِ

وكـذاكَ تُبْطِـلُ قصـدَهُ إنْـزالَهـا

مِـنْ غَيْـرِ معنـىً واضـحِ التِّبْيـانِ

وهُمَـا طـريقـا فـرْتَيْـنِ كِـلاهُمـا

عَـنْ مقْصِـدِ القُـرآنِ مُنحَـرِفـانِ

---

(١) إذا أتيتم بالدليل علىٰ صحة هذا الاحتمال الذي صرفتم اللفظ إليه نقول لكم: ما الدليل علىٰ أنَّ الشارع ما أراد إلاَّ هذا الذي تقولون ولم يُرد غيره، ما دام أن اللفظ له احتمالات وأنتم صرفتموه إلىٰ واحدٍ من هذه الاحتمالات، فما دليل الحصر عندكم؟ ولماذا لا يكون الشارع أراد الاحتمال الثاني؟ فليس عندكم إلا تخرّص الكُهّان الذين يدعون علم الغيب ويقولون: سيقع كذا وكذا، وليس عندهم علم وإنّما هو تخرُّص وكذب. وقد يكون اللفظ ليس له معنىٰ معلوم وإنّما هو تعبدي، فهناك نصوص كثيرة لم يظهر للعلماء معناها، مما يُسَمّونه التعبدي.

فصل

في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل[1]

وأتـىٰ ابـنُ سينـا بعـد ذا بطـريقـةٍ
أُخـرىٰ ولـم يـأنـفْ مـن الكُفـرانِ
قـال المـرادُ حقـائـقُ الألفـاظِ تَخْـ
ـييـلاً وتقـريبـاً إلـىٰ الأذهـانِ[2]

---

(١) لمَّا كان علماء الكلام هم الذين فتحوا باب التأويل في نصوص الصفات جاءهم الفلاسفة وقالوا لهم: نحنُ أولىٰ بالتأويل منكم فتأويلنا أولىٰ من تأويلكم ما دام أنكم أوَّلتم نصوص الصفات فلماذا تنكرون علينا تأويل يوم القيامة وتأويل الأوامر والنواهي؟ ما دام جاز لكم التأويل فنحنُ أولىٰ بالجواز، لماذا تُنكرون علينا؟ فانفتح الباب لأهل الباطل وأوَّلوا كلَّ شيء، حتىٰ ادَّعوا أنَّ القرآن والسنة ليس لهما معاني حقيقية وإنَّما هي من باب تقريب الحقائق للناس، أو هي من باب التخييل لأجل مصلحة الناس، وانفتح الباب لأهل التجهيل والتضليل، فتحه علماء الكلام لما أوَّلوا نصوص الصفات، انفتح لأهل الضلال تأويل الأوامر الشرعية، فأوَّلوا الصيام والصلاة والحج بأنَّها ليست علىٰ ظاهرها، فالحج يقولون فيه: القصد إلىٰ المشائخ، والزكاة يُراد بها تطهير النفوس من الأخلاق الرذيلة، ليس معناها: دفع المال، هذا هو تأويل الباطنية والقرامطة، فهذه جناية التأويل علىٰ الشريعة.

(٢) قال ابن سينا هذه النصوص كلّها ما أُريد بها الحقائق، وإنّما أريد بها =

عَجَـزَتْ عـن الإدراكِ للمعقـولِ إلْـ
لا فـي مثـالِ الحِـسِّ كـالصِّبْيـانِ
كيْ يُبْرِزَ المَعْقُولَ في صُوَرٍ مِنَ الْـ
ـمَحْسُـوسِ مَقْبـولاً لـدىٰ الأذهـانِ
فَتَسَلُّـطُ التَّـأويـلِ إبْطـالٌ لهَـٰ
ـذا القَصْدِ وهـوَ جِنَـايـةٌ مِـنْ جَـانِ
هـذا الـذي قـد قـالَـهُ مَـعَ نَفْيِـهِ
لِحقـائِـقِ الألفـاظِ فـي الأذهـانِ
وطـريقـةُ التـأويـلِ أيضـاً قـد غَـدَتْ
مشتقَّـةً مـن هـذه الخُلْجَـانِ[1]
وكـلاهُمـا اتفقـا علـىٰ أنَّ الحقيـ
ـقَـةَ مُنتَـفٍ مضمـونُهـا بِبيـانِ[2]

= التخييل والتمثيل، والتقريب للأذهان فقط، لأنَّ الناس ألفوا أشياء، فالرسل جاءتهم بما ألفوا، وإلاّ فالحقيقة ليست فيما أخبروا عنه.

(١) لما فتح علماء الكلام التأويل في الصفات، استخدمه الملاحدة في الأمور الشرعية وأمور الآخرة فقالوا: هي ليست بحقائق وإنّما هي من باب التخييل والتمثيل فقط وليست هي حقائق تقع، أو ليست الأوامر والنواهي عبادات كما تعرفون من صلاة وصيام وزكاة وحج، وإنما هذه ألفاظ يُراد بها معانٍ أنتم لا تعرفونها.

(٢) علماء الكلام لما قالوا في الصفات: حقائقها ليست مرادة ولا لله صفات، وعلماء الباطن قالوا: أمور الآخرة وأمور الشرائع ليست حقائق، ولا تدل=

لكـنْ قـد اختلفَـا فَعِنْـدَ فـريقِكُـمْ
مــا إنْ أُريــدَتْ قــطُّ بــالتِّبْيــانِ
لكــنَّ عنـدَهُــم أُريــدَ ثُبــوتُهــا
في الذِّهْنِ إذا عُدِمَتْ من الإحسانِ
إذْ ذاكَ مصلحـةُ المُخـاطَـبِ عنـدَهُـمْ
وطـريقـةُ البُـرهـانِ أمـرٌ ثـانِ[1]
فكــلاهُمــا ارتكبـا أشـدَّ جنـايـةٍ
جُنِيَـتْ علـىٰ القُـرآنِ والإيمـانِ[2]

= علىٰ حقائق، وإنّما هي ألفاظ يُراد بها التمثيل للحقائق الصحيحية فقط فاتفقت الطائفتان علىٰ تأويل النصوص.

(١) يقولون: ليس المراد أنَّ هناك جنة وأنهاراً وأشجاراً وثماراً حقيقة وإنما هي من باب ترغيب الناس في الأخلاق الطيبة، والمعاملات الطيبة، وإلاَّ فليس هناك جنةٌ حقيقية، هذا تأويل الباطنية، والنار يقولون فيها ليس هناك نارٌ محرقة تحرق وتأكل الناس، وإنّما هذا من باب التخويف حتىٰ يكُفّ الناس عن الرذائل وعن السرقة وعن الأخلاق المذمومة فهو تهديد فقط، هذا هو كلام الباطنية، فهو يشبه كلام علماء الكلام في نفي الأسماء والصفات، بل إنَّ تأويل علماء الكلام أشد لأنَّهُ يتعلّق بالتوحيد وبحق الله تعالىٰ.

(٢) بعد هـذا التأويل الباطـل عند علماء الكلام وعند الباطنيـة لا يبقـىٰ للقـرآن حقيقة ولا للسنة حقيقة، وإنما هي ألفاظٌ مجـردة، والجريمة كُلُّها جريمة علماء الكلام، لأنَّهم فتحوا هذا الباب في نصوص الصفات =

جعلوا النُّصوصَ لأجلهَا غرَضاً لهُمْ
قَـدْ خَـرَّقُـوهُ بـأسْهُـمِ الهـذَيـانِ

وتسلُّـطِ الأوغـادِ والأوقَـاحِ والْـ
أرْذالِ بـالتَّحْـرِيـفِ والبُهْتَـانِ

كـلٌّ إذا قـابَلْتَـهُ بـالنـصِّ قـا
بَلَـهُ بتـأويـلٍ بـلا بُـرهـانِ[١]

ويقـول تـأويلـي كتـأويـلِ الـذيـ
ـنَ تـأوَّلُـوا فَـوْقِيَّـةَ الـرحمٰـن[٢]

بل دُونَهُ فظهورُها في الوحي بالنْـ
ـنَصَّيْنِ مثلَ الشمسِ في التِّبيـانِ[٣]

= فقالوا: ما دام أنَّكم أجزتُموهُ في نصوص الصفات وأنَّها ليست حقيقة فما الذي يمنعُهُ في بقية النصوص؟.

(١) فتصير النصوص ليست حُجَّة؛ لأنك إذا احتججت عليهم بالنصوص قالوا: هذه ليست علىٰ حقيقتها ولا علىٰ ظاهرها، فبذلك عطَّلُوا القرآن والسنة عن الاستدلال والعمل بسبب التأويل الباطل.

(٢) يقول الباطني: ما الفرق بين تأويلي الجنة والنار والصلاة والزكاة والحج والأوامر الشرعية وبين تأويل الذين أوَّلوا العلوَّ والفوقيَّةَ والاستواء والنزول؟ إذا كان تأويلُهم سائغاً فتأويلي سائغ.

(٣) يقول الباطني بل تأويلي أخف من تأويل علماء الكلام للأسماء والصفات لأن نصوصها أظهر في الدلالة علىٰ الحقيقة.

أيسوغُ تأويلُ العلوِّ لكُمْ ولا
تتأوَّلوا الباقي بلا فُرقانِ[١]
وكذاك تأويلُ الصفاتِ مَعَ انَّها
مِلْءُ الحديثِ ومِلْءُ ذا القرآنِ[٢]
واللهِ تأويلُ العُلوِّ أشدُّ مِنْ
تأويلنا لقيامةِ الأبدانِ[٣]
وأشدُّ مِنْ تأوِيلنا لِحَياتِهِ
ولِعِلْمِهِ ومشيئةِ الأكوانِ
وأشدُّ مِنْ تأويلنا لحدُوثِ هـ
ـذا العالَمِ المحسوسِ بالإمكانِ[٤]

---

(١) هذا الباطني يخاطب الجهمي والمعتزلي والأشعري فيقول: ما الفرق بين تأويلي وتأويلكم؟ لأنَّ الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة يردُّون على الباطنية، فالباطنية يردُّون عليهم فيقولون: ما الفرق بين تأويلنا وتأويلكم؟ نحنُ أوَّلنا وأنتم أولتم فلماذا ساغ تأويلُكم وبطل تأويلُنا؟.

(٢) يعني ذكر نصوص الأسماء في القرآن والحديث كثير، فلماذا تأولتموها وصرفتموها عن ظاهرها، وتنكرون علينا نحنُ إذا صرفنا نصوص المعاد والأوامر والنواهي عن ظاهرها وهي أقل عدداً من نصوص الأسماء والصفات.

(٣) تأويل علماء الكلام العلوّ أشدُّ خطراً من تأويل الباطنية ليوم القيامة؛ لأنَّ العُلوَّ يتعلَّق بالله سبحانَهُ وتعالى. وأدلتُهُ أكثر من ألف دليل، ومع هذا أوَّلوه، فهو أشدُّ من تأويل اليوم الآخر.

(٤) هذا عند ابن سينا يقول: بإمكان قدم هذا العالم، والفلاسفة قبله يقولون: بوجوب قدم العالم، وأنَّهُ ليس مُحدثاً ومخلوقاً وإنّما هو شيءٌ قديم، =

وأشــدُّ مــن تــأويلنــا بعــض الشــرا
ئــعِ عنــدَ ذي الإنصــافِ والميـزانِ[1]

وأشـــدُّ مـــن تـــأويلنـــا لكـــلامِـــهِ
بـالفيـضِ مـن فَعَّـالِ ذي الأكـوانِ[2]

وأشدُّ من تأويلِ أهلِ الرفضِ أخـ
ـبـارَ الفضـائـلِ حـازهـا الشيخـانِ[3]

وأشـــدُّ مـــن تـــأويـــلِ كُـــلِّ مُـــؤَوِّلٍ
نصـــاً أبـــانَ مُـــرادَهُ الـــوحيـــانِ

إذ صـرَّحَ الـوحيـانِ مـع كُتُـبِ الإلٰـ
ـــهِ جميعِهـا بـالفـوقِ للـرحمٰـنِ

= هذا قول الفلاسفة، وأمَّا ابن سينا فإنَّه تلطَّف وقال: بإمكان قدم هذا العالم.

(١) يقول الفلاسفة لعلماء الكلام: تأويلُنا للشرائع أخفُّ من تأويلكم للصفات.

(٢) يقول الفلاسفة: كلامُ الله هو الفيض الذي يفيض من العقل الفعَّال، ويقول الجهمية والمعتزلة: كلام الله خَلْقٌ خَلَقَهُ في غيره، والله لا يوصف بالكلام، فتأويل الفلاسفة مثل تأويل الجهمية ما بينها فرق بل تأويل الجهمية أشد.

(٣) يجحد الروافض كل منقبة لأبي بكر وعمر، ويؤوِّلونها بأنَّ هذا قبل أن يرتدوا، فما ثبت من الفضائل لأبي بكر وعمر إذا عجزوا عن تكذيبه قالُوا: هذا قبل أن يرتدا.

فـلأيِّ شـيءٍ نحـنُ كفـارٌ بـذا التْـ
ـتأويـلِ بـلْ أنتُـمْ علىٰ الإيمـانِ[1]
إنَّـا تـأوَّلنـا وأنتُـمْ قَـدْ تـأَوْ
وَلتُـمْ فهـاتـوا واضِـحَ البُـرهـانِ
ألكـم علىٰ تـأويلكُـمْ أجـرانِ حَيْـ
ـثُ لنـا علىٰ تـأوِيلنـا وِزْرانِ[2]
هـذي مقـالتُهُـم لكـمْ فـي كُتْبِهِـمْ
مِنهـا نَقَلْنـاهـا بـلا عُـدوانِ[3]
ردُّوا عليهِـمْ إن قَـدَرْتُـم أو فَنَحْـ
ـحُوا عـن طـريـقِ عسـاكـرِ الإيمـانِ

---

(١) يقول الباطنية للجهمية ومن معهم: لماذا تقولون: إننا كفار بتأويلنا، وتزعمون أنكم أهل الإيمان، لماذا لا نكون جميعاً كفاراً؟ نحن وأنتم، أمَّا إنَّ بعضَ التأويل حقٌّ وبعضَه باطلٌ فهذا غير صحيح، لأنَّ النصوص مجراها واحد، إمَّا أن تكون علىٰ ظاهرها كُلُّها، وإمَّا أن تكون مؤولة كُلُّها.

(٢) يقول الباطني من وجه آخر: الفرق بين تأويلنا وتأويلكم، أنكم تزعمون أنكم مجتهدون، وأنَّ المجتهد إذا أصاب فلهُ أجرانِ وإن أخطأ فله أجر واحد فلماذا إذاً نحنُ ليس لنا أجر مثلكم، مع أنَّ طريقتنا وطريقتكم واحدة، فيجب أن نشترك في الأجر ونشترك في الوزر.

(٣) يقول: أنا ما قلت هذا الذي قاله الفلاسفة لعلماء الكلام من عندي، وإنما هذا موجود في كتبهم التي يردُّون بها عليهم ولم يجيبوا عنها.

لا تَحْطِمَنَّكُمُ جنودُهُمْ كَحَطْـ
ـمِ السيلِ ما لاقَىٰ من الديدانِ[١]
وكذا نُطالبُكُم بأمرٍ رابعٍ
واللهِ ليسَ لكمْ بِذا إمكانِ
وهو الجوابُ عن المعارِضِ إذ به الدْ
دَعْوىٰ تَتِمُّ سليمةَ الأركانِ[٢]

---

(١) يقول: يا معشر المؤولة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ردُّوا علىٰ الباطنية إن كنتم تقدرون وإنْ لم تكونوا تقدرون فكلوا الردَّ لأهل الإيمان يردون عليهم وعليكم، ويبطلون كلامهم وكلامكم، وابتعدوا عن طريق أهل الحق لئلا يحطموكم بأقدامهم كما يحطم السيل إذا جاء الديدان التي في وجهه وسائر الحشرات، هذا وصف أهل التأويل أنَّهم حشرات وديدان لا يقومون بوجه الحق إذا جاء.

(٢) هذا الوجه الرابع ممَّا يُطالب به أهل التأويل، وسبق أن ذكر أن المؤول يُطالب بأربعة أشياء:

الإتيان بالدليل علىٰ أنَّ اللفظ الذي يؤوِّله ليس علىٰ ظاهره.

الإتيان بالدليل علىٰ المعنىٰ الآخر الذي يريد أن يُفسِّر به الدليل، أنَّ هذا اللفظ يحتمله.

الدليل علىٰ أنَّ الشارع أراد هذا المعنىٰ بخصوصه ولم يُرد معنىً آخر، إذ كان اللفظ لهُ عدة معان.

الأمر الرابع: الجواب عن المعارض الذي يُعارضكم ويقول: هذا التأويل باطل، لأن الأصل هو العمل بالظاهر، والنصوص علىٰ ظاهرها ما لم يدل دليل علىٰ صرفها عنه، فإذا وفيتم بهذه المقاصد الأربعة صار تأويلُكم صحيحاً، لكن هذا من أبعد المحال.

لكــنَّ ذا عيــنُ المحـال ولـو يسـا
عــدُكُـمْ عليـه ربُّ كـلِّ لسـانِ[١]

فـأدلـةُ الإثبـاتِ حقـاً لا تقـو
مُ لهـا الجبـالُ وسـائـرُ الأكـوانِ[٢]

تنـزيـلُ ربِّ العـالميـنَ ووحْيُـهُ
مـع فِطْـرَةِ الـرَّحمٰـنِ والبُـرهـانِ

أنَّـىٰ يُعـارِضُهَـا كُنـاسَـةُ هـذه الْـ
أذْهَـانِ بـالشُّبُهـاتِ والهَـذَيـانِ

وجَعـاجِـعٌ وفـراقـعٌ مـا تَحْتَهـا
إلاّ السَّـرابُ لـوارِدٍ ظمـآنِ[٣]

---

(١) ولو اجتمع الناس كُلُّهم، الفصحاء والبُلغاء يريدون مساعدتكم علىٰ وجاهة تأويلكم لما استطاعُوا، لأنَّكم تعارضون الكتاب والسنة، ومن عارض الكتاب والسنة فهو مخصوم ومحجوج علىٰ كلِّ حال ولو ساعدَهُ من ساعدَهُ من الخلق، لأنَّهُ يخاصم القرآن ويخاصم السنة ويخاصم أهل الحق.

(٢) لأنَّها مُنزَّلةٌ من أحكم الحاكمين وأصدق القائلين: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] فهي ليست مثل كلام البشر.

(٣) العقول السليمة والبراهين العقلية لا تُعارضُها الشبهات والشكوك والفلسفات وقواعد المنطق. كل هذه إنَّما هي ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [النور: ٣٩]، يقول الشاعر:

حججٌ مثلُ الزُجاج تخالُها ... حقاً وكلٌّ منها كاسرٌ مكسور

يُبطل بعضها بعضاً.

فلْتَهْنِكُـــمْ هــذي العُلــومُ الــلاَّءِ قَــدْ
ذُخِرَتْ لكُمْ عن تابعِ الإحسانِ[١]
بَـلْ عـن مشـايخِهِـمْ جميعـاً ثـمَّ وُفْـ
فِقْتُـمْ لهـا مِـنْ بَعْـدِ طـولِ زمـانِ[٢]
والله مــا ذُخِــرَتْ لكُــمْ لفضيلـــةٍ
لكُــمُ عليهِــمْ يــا أُوْلـي النُّقصــانِ[٣]
لكـنْ عُقـوُلُ القـوْمِ كـانـتْ فـوْقَ ذا
قَــدْراً وشـــأْنُهُــمُ فــأعظَــمُ شــانِ
وهُــمُ أجــلُّ وعِلْمُهُــمْ أعلــىٰ وأشْـ
ـرَفُ أنْ يُشـابَ بِـزُخْـرفِ الهَـذَيـانِ
فلــذاكَ صــانَهُــمُ الإلٰــهُ عــن الــذي
فيــه وقعتُــمُ صَــوْنَ ذي إحســانِ[٤]

---

(١) فلتهنكم هذه الجعجات وهذه الفلسفات وعلم الكلام والطنطنة التي ورثتموها وحُرِم منها أهلُ الإيمان كأنها ادخرت لكم دون أهل الإيمان والقرآن.

(٢) فأدلة المنطق وعلم الكلام ما عرفها الإمام أحمد ولا أبو حنيفة قبله ولا مالك ولا الشافعي ولا الزهري ولا أئمة التابعين ما عرفوا هذا، فمعناه: أنَّ الله خصكم بهذا العلم من دونهم.

(٣) تخصيصكم بها دون أهل السنة والجماعة دليل علىٰ أنَّ الله أراد بكم شرّاً، حيث إنّها ادخرت لكم خاصّة، فادخارُها لكم علامة علىٰ شقاوتكم.

(٤) كون أئمة الهدىٰ لم يعرفوا هذه الأدلة الكلامية دليل علىٰ كرامتهم علىٰ الله، وأنَّ الله صانهم عن هذه الترهات والأباطيل، ولم تأت إلا بعد =

سمَّيتُمُ التحريفَ تأويلاً كذا التْـ
تَعْطيلَ تنزيهاً هُما لَقبانِ[١]
وأضفتُمُ أمراً إلىٰ ذا ثالثاً
شرّاً وأقبحَ منه ذا بُهتانِ[٢]
فجعَلْتُمُ الإثباتَ تجسيماً وتشْـ
ـبيهاً وذا مِنْ أقبَحِ العُدْوانِ

= انقراض القرون المفضلة، وبعد ذهاب علماء القرون المفضلة، فهذا ابتلاء وامتحان لكم من الله، وصرفٌ لكم عن الحق بسبب إعراضكم، أمَّا أولئك فأقبلُوا علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله تعلُّماً وتعليماً وعملاً فأكرمهم الله بأن حماهم من هذه الأباطيل، فخرجت بعدهم علىٰ أُناس همّهم القيل والقال وكثرة الكلام والجدل، فعاقبهم الله، وأظهر لهم هذا الشر علىٰ يد أشقىٰ الناس من المعتزلة الذين غرروا بالخليفة العباسي واستغلوا سلطته وجهلَهُ بهذه الأُمور، وقالوا له: إنَّها حق، وإنها كرامة فغرروا به فساعدهم علىٰ هذا الشيء يظنُّ أنَّهم علىٰ حق.

(١) سميتم التحريف تأويلاً من أجل أن يروج علىٰ الناس وإلا فهو في الحقيقة تحريف كتحريف اليهود، والتحريف معناه: صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلىٰ معنىً باطل، وسموا التعطيل تنزيهاً لأنهم قالوا: لو أثبتنا الصفات لله للزم مشابهة الخالق للمخلوق، وهذا باطل، ولم يهتدوا إلىٰ أن إثبات الأسماء والصفات لله لا يلزم منه التشبيه.

(٢) الأمر الثالث من باطلهم: أنهم سموا الإثبات تجسيماً، فالذي يُثبت الصفات لله يُسمونَهُ مجسماً، ولذلك يسمُّون أهل السنة بالمجسمة، خصوصاً الحنابلة أتباع الإمام أحمد بن حنبل، لأنهم يثبتون الصفات لله عزَّ وجل.

فقلبْتُمُ تلكَ الحقائِقَ مثْلَ ما
قُلِبَتْ قُلُوبُكُمُ عن الإيمانِ
وجعلتُمُ الممدوحَ مذموماً كذا
بالعكسِ حتىٰ استكملَ اللَّبْسَانِ[1]
وأردتُمُ تُحْمَدوا بالإتِّبا
عِ نَعَمْ لكنْ لِمَنْ يا فِرْقَةَ البُهتانِ[2]
وبغَيْتُمُ أن تَنْسبوا للإبتدا
عِ عساكِرَ الآثارِ والقُرآنِ
وجعلتُمُ الوَحْيَيْنِ غيرَ مفيدةٍ
للعِلْمِ والتحقيقِ والبُرهانِ[3]

---

(١) جعلتم الممدوح مذموماً، والمذموم ممدوحاً، جعلتم اتباع الكتاب والسنة تشبيهاً وتجسيماً، وجعلتم تعطيل الأسماء والصفات تنزيهاً من باب التمويه، وسميتم الحقَّ باطلاً والباطل حقاً للتلبيس علىٰ الناس.

(٢) أردتم أن تُحمدوا بكثرة الأتباع، لكنكم متبعون لمن؟ لليهود والنصارىٰ، ولستُم متبعين لسلف هذه الأُمة من الصحابة والتابعين وأتباعهم، فأنتم أتباعٌ لكلِّ مُعطِّلٍ ولكلِّ مُبطلٍ.

(٣) يقول علماء الكلام: إنَّ نصوص الوحي من الكتاب والسُّنة لا تفيد اليقين، والعقائد لا تبنىٰ إلاَّ علىٰ ما يُفيد اليقين، فنصوص السمع وهي الكتاب والسنة لا تفيد اليقين، والذي يفيد اليقين عندهم هو العقليات، فعزلوا الكتاب والسنة عن الاستدلال في أهمِّ الأمور وأعظمها وهو أصول الإيمان.

لكـنْ عقـولُ النـاكبيـنَ عـن الهُـدَىٰ
لهُمــا تُفيــدُ ومَنطِــقُ اليــونــانِ[١]
وجعلتُــمُ الإيمــانَ كُفْــراً والهُــدىٰ
عَيْــنَ الضَّــلاَلِ وذا مِــنَ الطُّغْيَــانِ
ثــم اسْتَحَقَّيْتُــمْ عُقــولاً مــا أرا
دَ اللهُ أن تــزكُــو علــىٰ القــرآنِ
حتىٰ استجابوا مُهْطِعينَ لدعوةِ التْـ
تَعطيــلِ قــد هَــربُــوا مــن الإيمــانِ
يــا ويحَهُــمْ لــو يشعُــرون بمــن دعــا
ولِمَــا دَعَــا قعــدُوا قعُــودَ جبــانِ[٢]

---

(١) يقول الذي يُفيد اليقين عندكم هو علم المنطق اليوناني، واستغنيتم به عن الكتاب والسنة.

فعندكم أن الكتاب والسنة لا يُفيدان العلم واليقين، وأنَّ قواعد المنطق هي التي تُفيد اليقين.

فنتج من هذا أنَّ هؤلاء المعطلة بنوا عقائدهم علىٰ المنطق وأعرضوا عن الكتاب والسنة.

(٢) يقول ليت شرَّكُم اقتصرَ عليكم بل أغويتم فئات من الناس دعوتُموهم إلىٰ هذه العقيدة الباطلة فاعتنقوها وتوارثُوها فيما بينهم، وصارت عقيدة السلف المبنية علىٰ الكتاب والسنة تشبيهاً وتجسيماً.

والذين اتبعوهم لو شعروا بأن هؤلاء دعاة إلىٰ الضلال؟ لما تابعوهم، لكن اغتروا بهم وظنُّوا أنَّهم علىٰ حق، فاتبعوهم وأخذوا هذه العقائد.

فصل

في شبه المُحرِّفين للنصوص باليهود وإرثهم التحريف منهم وبراءةِ أهل الإثبات ممَّا رَمَوهُم بهِ من هذا الشبه

هـــذا وثَـــمَّ بَلِيَّـــةٌ مستـــورةٌ
فيهِـمْ سـأُبْـديهـا لَكُـمْ ببيـانِ

وَرِثَ المُحَرِّفُ من يهودَ وهُمْ أُولُو التْـ
تَحْـرِيـفِ والتبـديـلِ والكِتمـانِ

فـأراد ميـراثَ الثـلاثـةِ منهُـمُ
فَعَصَـتْ عليـه غـايـةَ العصيـانِ

إذ كان لفظُ النصِّ محفوظاً فما التْـ
تَبْـديـلُ والكِتْمـانُ فـي الإمكـانِ

فـأرادَ تبـديـلَ المعـانـي إذْ هـي الْـ
ـمقصـودُ مِـن تعبيـرِ كُـلِّ لسـانِ[1]

---

(١) هناك بلية أخرىٰ، فقد ورث هؤلاء المتأولون تحريفهم من اليهود، وهم المشهورون بالتحريف والتبديل والكتمان، كل هذا ذكره الله عن اليهود، فهؤلاء المعطلة ورثوا هذه الأمور الثلاثة عن اليهود فسلفُهم هم اليهود لأنّهم اقتدُوا بهم.

لكن اليهود تسلَّطوا علىٰ نصوص التوراة فحرَّفُوها، لأن الله وكل حفظها إلىٰ أحبارهم وعلمائهم ابتلاءً وامتحاناً، فحرَّفُوها وغيَّروها، أمّا =

فـأتـىٰ إليهـا وهْـيَ بـارزةٌ مِـن الْـ
ألفــاظِ ظــاهــرةٌ بــلا كِتمــانِ
فنفــىٰ حقــائقَهــا وأعطــىٰ لفظَهــا
معنــىً ســوىٰ مـوضُـوعِـهِ الحَقَّـانـي
فجنـىٰ علـىٰ المعنـىٰ جنايـةَ جاحـدٍ
وجنـىٰ علـىٰ الألفـاظِ بـالعُـدوانِ(١)

= القرآن فإنّ الله لم يكل حِفظَهُ إلىٰ أحد وإنّما تولَّىٰ سبحانه حفظه بنفسه فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، تولاّهُ سبحانه وتعالىٰ بالحفظ، فلم يقدروا علىٰ تحريف القرآن كما حرَّف اليهود التوراة، فلما لم يقدر الجهمية وأتباعهم علىٰ تحريف اللفظ؟ عملوا علىٰ تحريف المعنىٰ ففسروه بغير تفسيره، وحملوه علىٰ غير مُرادِ الله منه، فاليهود جمعوا بين أمرين: تحريف اللفظ، وتحريف المعنىٰ، أمّا هؤلاء فلم يقدروا علىٰ تحريف اللفظ فاقتصروا علىٰ تحريف المعاني، ولكن الحمد لله ما دام اللفظ محفوظاً فأهل الحقِّ يأخذون علمهم من القرآن المحفوظ الذي لم يُغَيَّر ولم يُبدَّل، ويتركون تحريفات هؤلاء وتأويلاتهم.

(١) بقي عمل الجهمية هذا مرفوضاً ـ ولله الحمد عند أهل العلم والإيمان ـ لأن القرآن مُفسَّر تفسيراً صحيحاً، وطرق ومصادر تفسيره معروفة وهي تفسير القرآن بالقرآن فالقرآن يفسر بعضه بعضاً وتفسير الرسول وتفسير الصحابة وتفسير اللغة العربية التي نزل بها، فيبقىٰ تفسير هؤلاء عندهم لا قبول له ولا رواج له عند أهل الحق، فنحن لا نرجع للتفاسير المتأخرة كتفسير الرازي والزمخشري والنسفي في أصول الإيمان والعقيدة، وإنّما نرجع لتفسير السلف الصالح الذي يتمشىٰ مع المنهج السليم.

وأتـىٰ إلـىٰ حِـزبِ الهُـدىٰ أعطـاهُـمُ
شِبْـهَ اليهـودِ وذا مـن البُهتـانِ

إذ قـال إنَّهُـمُ مُشَبِّهَـةٌ وأنـ
ـتُمْ مثلُهُمْ فمَنِ الـذي يَلْحانـي(١)

فـي هتـكْ أستـاَر اليهُـودِ وشِبْهِهِـمْ
مِـنْ فِـرْقـةِ التَّحْـرِيـف للقُـرآنِ

يـا مسلمـون بحـقِّ ربِّكُـمُ اسمَعُـوا
قَـوْلـي وَعُـوهُ وَعْـيَ ذي عِـرفـانِ

ثمَّ احْكُموا مِن بعدُ من هذا الذي
أوْلـىٰ بهـذا الشِّبْـهِ بـالبُـرهـانِ

أُمِـرَ اليهـودُ بـأن يقـولـوا حطـةٌ
فـأبـوا وقـالـوا حِنْطـةٌ لِهـوانِ

---

(١) يقول المعطِّل: إن المثبت للصفات يشبه اليهود، لأنَّهم يشبهون الله بخلقه، والذي يُثبت الصفات عنده مُشبِّه، وهذا باطل لأننا نثبت صفاتاً تليق بجلاله سبحانَه، لا تماثل صفات المخلوقين ولا مشابهة بينه وبين خلقه، فنحن ولله الحمد موحدون، ولهذا يقول نُعيم بن حماد شيخ البخاري رحمهما الله: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن عطَّل الله من صفاته فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه. هذه قاعدة عظيمة، وهذا علىٰ حدِّ قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ: ١١].

وقوله: «فمن الذي يلحاني»: يقول المعطل من الذي يلومني إذا قلت: إنّ مثبتة الصفات مشبهة فنقول يلحاك الكتاب والسنة وجميع المسلمين.

وكـذلـك الجهمـيُّ قيـل لـهُ استـوىٰ
فـأبـىٰ وزاد الحَـرْفَ للنُّقصـانِ
قال استوىٰ استوْلَىٰ وذا مِن جَهلِهِ
لُغَـةً وعقـلاً مـا هُمـا سِيَّـانِ[1]
عشـرون وجهـاً تُبْطِـلُ التـأويـلَ بـاسـ
ـتـولَـىٰ فـلا تَخْـرُجْ عـن القـرآنِ
قـد أُفـرِدَتْ بمصنَّـفٍ هُـو عنـدَنـا
تصنيـفُ حَبْـرٍ عـالـمٍ ربـانـي
ولقـد ذكـرنـا أربعيـنَ طـريقـةً
قـد أبطلَـتْ هـذا بحُسْـنِ بَيـانِ
هي في الصواعقِ إنْ تُرِدْ تحقيقَها
لا تَخْتَفـي إلا علـىٰ العُميـانِ[2]

---

(١) يقول من هو الذي أولىٰ بالشبه باليهود، هل هم أهلُ السنة والجماعة أو هم المُعطِّلة، لا شكَّ أنّ الأولىٰ هم المُعطِّلة، وذلك لأن المعطل قيل له: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: استولىٰ، فزاد حرفاً في القرآن كما زاد اليهود لما قيل لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: ٥٨] قالوا: «حنطة» فزادوا النون فمن هو الأشبه باليهود.

(٢) تأويل «استوىٰ» باستولىٰ باطل من عشرين وجهاً ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوىٰ» وزاد عليها ابن القيم رحمه الله عشرين وجهاً فصارت أربعين وجهاً كلها تبطل تفسير استوىٰ باستولىٰ. وذلك في كتابه القيم: «الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطِّلة».

نــونَ اليهــود ولامُ جَهْمِــيٍّ هُمــا
فـي وحـي ربِّ العـرشِ زائـدتـانِ[١]
وكــذلــك الجَهْمــيُّ عطَّــلَ وَصْفَــهُ
ويهُــودُ قــد وصفُــوهُ بــالنقصــانِ
فهمــا إذاً فــي نفيهــم لصفــاتــه الـ
ـعليــا كمــا بيَّنْتُــهُ أخَــوانِ[٢]

* * *

(١) نون اليهود التي زادوها في حطة، ولام الجهمية التي زادوها في «استوىٰ» ليسا هما من الوحي، ليسا من التوراة والقرآن، بل هما زائدتان فمن الذي يُشبه اليهود إذاً، الذي يُشبه اليهود هم الجهمية.

(٢) اليهود شبَّهوهُ بالخلق، والجهمية عطَّلُوا صفاته سبحانه وتعالىٰ ونفوها وشبهوه بالجمادات بل والمعدومات، فهُما سِيَّان في تنقص الله، سبحانه وتعالىٰ عما يقولون علواً كبيراً.

فصل

في بيان بُهتانهم في تشبيه أهل الإثبات بـ«فرعون» وقولهم: إنَّ مقالة العُلوِّ عنه أخذوها، وأنهم أولىٰ بفرعون وهم أشباهُهُ(١)

ومن العجائبِ قولُهُم فِرعونُ مَذْ
هَبُـهُ العُلـوُّ وذاكَ فـي القـرآنِ(٢)

---

(١) من جملة مغالطات الجهمية ومن سار علىٰ نهجهم في تأويل الصفات أنّهم يزعمون أنّ من يُثبت العُلو لله سبحانه وتعالىٰ فإنّه قد أخذ بقول فرعون؛ لأنّ فرعون يظن أنّ الله في العُلوِّ ولذلك قال لهامان: ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] لأنّ موسىٰ لمّا دعاه لعبادة الله وأثبت له ربوبية الله تعالىٰ ظنّ فرعون أنّ الله في السماء فبنىٰ هذا الصرح أو أراد بناءَه، فالذين يُثبتون العلو هم علىٰ مذهب فرعون بزعم الجهم وأتباعه، وهذا في الحقيقة من قلب الحقائق لأنّ فرعون يريد تكذيب موسىٰ لمّا أخبرَه أنّ الله في العُلو فهم أشباه فرعون علىٰ الحقيقة لا أهل السنة.

(٢) في القرآن أنّ فرعون قال: ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ لكن ليس المراد أن هذا اعتقاد فرعون، وإنما هو اعتقاد موسىٰ، وفرعون يريد أن يُكذبه؟

ولذاكَ قَدْ طلبَ الصُّعُودَ إليهِ بالصْـ
صَـرحِ الـذي قـدْ رامَ مِـنْ هَـامـانِ
هــذا رأينــاهُ بِكُتْبِهِــمُ ومِــنْ
أفــواهِهِــمْ سَمعْــاً إلــىٰ الآذانِ[١]
فـاسمـعَ إذا مـنَ ذا الـذي أوْلـىٰ بِفرْ
عَـوْنَ المُعَطِّـلِ جَـاحِـدِ الـرَّحمٰـنِ
وانظرُ إلى منَ قال موُسى كاذبٌ
حيـنَ ادَّعـىٰ فـوْقِيَّـةَ الـرَّحمٰـنِ
فمِـنَ المصـائـبِ أنَّ فِـرْعَـوْنِيَّكُـمْ
أضحـىٰ يُكَفِّـرُ صـاحـبَ الإيمـانِ[٢]
ويقــولُ ذاك مُبــدِّلٌ للــديــنِ سَــا
عِ بــالفســادِ وذا مــن البُهتــانِ[٣]

---

(١) يقول ابن القيم: هذا الكلام رأيناهُ في كتبهم، يعني الجهمية، يزعمون أنّ أهل السنة في إثباتهم العلو علىٰ مذهب فرعون يقول: وسمعناه منهم في مجالسهم.

(٢) فرعونيكم: وهو الجهم بن صفوان، لأنّه إمام الجهمية، فهو فرعوني لأنّه علىٰ مذهب فرعون، وهو يُكفِّر أهل الإيمان الذين يُثبتون علوّ الله علىٰ عرشه.

(٣) يقول الجهم: إنّ أهل السنة يُفسدون في الأرض وينشرون العقائد الفاسدة؛ لأنّهم يُثبتون العلو والصفات لله عزّ وجل، وهذا في نظره إفسادٌ =

إن المُـورِّثَ ذا لهـم فـرعـونُ حيـ
ـنَ رمىٰ به المولودَ مِن عمرانِ[(١)]
فهـو الإمـامُ لهُـمْ ومـا فيهـم بمَتْـ
ـبُـوعٍ يقـودُهُـمُ إلـىٰ النيـرانِ[(٢)]

= في الأرض، كما قال فرعون لقومه: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] ففرعون يصف موسىٰ بأنّه مُفسد في الأرض وأنّه يريد أن يُبدِّل دينهم، وكذلك الجهمية تقول: إنّ أهل السُّنة مفسدون في الأرض، ويريدون أن يبدلوا دين الإسلام، وهذا في الحقيقة بهم ألصق، وكما يقال: رمتني بدائها وانسلت، فهم الذين يفسدون في الأرض، وهم الذين يريدون تبديل الدين.

(١) فرعون رمىٰ موسىٰ بن عمران بالإفساد في الأرض وتبديل الدين الحق بالدين الباطل فقال: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] ففرعون صار يعظ الناس خداعاً بأن يتمسكوا بالدين ويحذروا الفساد في الأرض، وكذلك الجهمية يتظاهرون بالوعظ، وأنّهم يخافون علىٰ دين المسلمين من إفساد أهل السنة له، ويخافون علىٰ الدين من أهل السنة، وهذا من قلب الحقائق، فحماة الدين في كل زمان ومكان هم أهل السنة والجماعة والمفسدون للدين هم الجهمية وأتباعهم.

(٢) فرعون هو إمامُ الجهمية وهاديهم يقودُهم إلىٰ النار كما قال تعالىٰ في فرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

هو أنكرَ الوصفين وصفَ الفوقِ والتْـ
تَكْلِيـــمِ إنكـــاراً علـــىٰ البُهتـــانِ[١]
إذْ قَصْـدُهُ إنكـارُ ذاتِ الـرّبِّ فـالتْـ
تَعْطيـــلُ مِـــرقـــاةٌ لِـــذا النُّكـــرانِ[٢]
وسِـــواهُ جـــاء بِسُلَّـــمٍ وبـــآلـــةٍ
وأتـــىٰ بقـــانُـــونٍ علـــىٰ بُنيـــانِ
وأتـــىٰ بِـــذاكَ مُفَكِّـــراً ومُقَـــدِّراً
وِرْثَ الـــوليـــدِ لعَـــابِـــدِ الاوثـــانِ
وأتـــىٰ إلـــىٰ التعطيـــلِ مـــن أبـــوابـــه
لا مِـــن ظهـــورِ الـــدارِ والجُـــدرانِ

---

(١) فرعون أنكـر الوصفيـن لله عزَّ وجل، أنكـر عُلّـوهُ وأراد أن يتحدىٰ موسىٰ ببناء الصرح لبيان كذب موسىٰ، وأنكر رسالة موسىٰ لأنّ رسالة موسىٰ مبنيةٌ علىٰ أنّ الله كلَّمَه، فهو أنكر الأمرين، صفةَ العُلوِّ وصفةَ الكلام، كذلك الجهمية أنكروا العُلوَّ وأنكروا كلامَ الله سبحانَه وتعالىٰ، فمن هو الأشبه بفرعون؟! الأشبه به هم الجهمية الذين أنكروا الأمرين: العلو والكلام.

(٢) من مبالغة فرعون في التعطيل أنّه يقول: ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر: ٣٧] فهو ليس بإلهٍ لفرعون ولا ربٌّ له، فمعناه أنّه ينكر وجود الرب سبحانَه وتعالىٰ، فتبين أن التعطيل للصفات الذي هو مذهب الجهمية طريق إلىٰ إنكار الرب سبحانه وتعالىٰ.

وأتىٰ به في قالَبِ التنزيه والتْـ
تَعْظِيمِ تَلْبيساً علىٰ العُميانِ[١]
وأتىٰ إلىٰ وصفِ العُلُوِّ فقال ذا التْـ
تَجْسيمُ ليسَ يليقُ بالرحمٰنِ[٢]

---

(١) يعني أن فرعون صرَّح بالإنكار واختصر الطريق، أمّا الجهمية فإنّهم جاؤوا بطرق وبسُلَّم إلىٰ الباطل، وبجدل وبقواعد وقوانين كلامية فطوَّلوا الطريق، ولو أنّهم اختصروا فصرَّحوا بالتكذيب والتعطيل أراحوا الناس من تلبيسهم، لكن جعلوا كتبهم علىٰ صفة براهين عقلية وقواعد منطقية فهم قد طولوا الطريق. وفرعون اختصر الطريق وأتىٰ التعطيل مِنْ بابه، أمّا هؤلاء فإنّهم راوغوا وجادلوا وطوَّلُوا الطريق تدليساً علىٰ الناس.

والجهمي يُسمِّي أعمالَه هذه تنزيهاً للرب سُبحانَه وتعالىٰ عن مشابهة المخلوقين، وتنزيه الربِّ واجب، ولكن ليس تنزيهه بالإلحاد ونفي الأسماء والصفات، بل تنزيهه بإثبات ما أثبتهُ لنفسه، وما أثبته له رسوله مع نفي مشابهة المخلوقين، هذا هو التنزيه الصحيح.

(٢) سمّىٰ الجهمي نفي الصفات تنزيهاً لله عن التجسيم؛ لأن إثبات العلو عندهم يقتضي التجسيم، والأجسام متشابهة فيلزم التشبيه، وهذا من التزييف الباطل؛ لأنه لا يلزم من إثبات الأسماء والصفات التجسيم الذي يعنونه، وأيضاً التجسيم لم يرد نفيه ولا إثباتُهُ في الكتاب ولا في السنة، وإنما الذي جاء فيهما تنزيهُ الله عن مشابهة المخلوقين، هذا الذي جاء في الكتاب والسنة.

فــاللفــظُ قــد أنشــأهُ مِــنْ تلقــائِــهِ
وكســاهُ وَصْــفَ الــواحــدِ المَنّــانِ[١]
والنــاسُ كُلُّهُــمُ صَبــيُّ العقــلِ لــم
يبلــغ ولــو كــانــوا مــن الشِّيخــانِ[٢]
إلاَّ أُنــاســاً سَلَّمــوا للــوحــي هُــمْ
أهــلُ البلــوغِ وأعقــلُ الإنســانِ[٣]
فــأتــىٰ إلــىٰ الصبيــانِ فــانقــادُوا لَــهُ
كــالشّــاءِ إذْ تَنْقــادُ للجَــوْبــان[٤]

---

(١) يعني وضعوا هذه الأباطيل من إنشائهم وإحداثهم وكسوها أنها تنزيهٌ للرحمٰن جلَّ وعلا من أجل التلبيس علىٰ الناس.

(٢) غالب الناس ينطلي عليه هذا الكلام، لأنّهم صبيان العقول وإن كانوا شيوخاً في أعمارهم، فأهل العلم والبصيرة في الناس قليل، وأكثر الناس في جسمه كبير ولكن في عقله طفل صغير.

(٣) يقول: إن الذين اعتصموا بالكتاب والسنة هؤلاء هم أعقل الناس؛ لأنّهم أثبتوا ما أثبته الكتاب والسنة ونفوا ما نفاه الكتاب والسنة فصاروا أعقل الناس.

(٤) أتىٰ الجهم إلىٰ صبيان العقول فانقادُوا له كما تنقاد الشياه للراعي تتبعُهُ، فهم يشبهون بهيمة الأنعام التي تتبع الراعي وإن كانت لا تفهم ما يقول كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١] فهي تتبع صوت الراعي وإن كانت لا تفهمه، فكذلك هؤلاء يتبعون الجهم وإن كانوا لا يدرون عن مقصوده وما يريد، فانقادوا وساروا خلفه كالأغنام.

فـانظـرْ إلـىٰ عقـلٍ صغيـرٍ فـي يـدَيْ
شيطـانَ مـا يَلقـىٰ مِـن الشيطـانِ[١]

(١) ماذا يعمل الجهم بهؤلاء الصبيان الذين انقادُوا له، لا شك أنه كالشيطان سيعمل بهم ما يعمله الشيطان، سيُبعدهم عن الحق، ويوقعهم في جهنَّم، فهو لا يريد لهم الخير، فهو مثل الذئب إذا لبس لباس الراعي ليرعىٰ الغنم، فهو لا يُريد لها السلامة وإنّما يريد أن يفترسها، فكذلك الجهم يتظاهر لهم بالخير وهو يريد أن يوردهم موارد الهلاك ويعزلهم عن الكتاب والسنة.

فصل

في بيان تدليسهم وتلبيسِهم الحقَّ بالباطل[(١)]

قـــالـــو إذا قـــال المُجسِّـــم ربُّنـــا
حقّـاً علـىٰ العـرشِ استـوىٰ بلسـانِ

فَسلُوهُ كمْ للعرشِ من معنىً واستوىٰ
أيضـاً لـهُ فـي الـوضـعِ خمسُ مُعـانِ

وعلـىٰ فكـم معنـىً لهـا أيضـاً لـدىٰ
عَمْـرٍو فـذاكَ إمـامُ هـذا الشـانِ[(٢)]

---

(١) من صفات الجهمية التلبيس والتدليس من أجل خِداع الناس فيقلبون الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً، لأنّهم صنيعة اليهود، واليهود هذه حرفتهم دائماً وأبداً.

(٢) يقول الجهمية إذا قال السني: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقولوا له: العرش كم له من معنىٰ؟ فالعرش له معانٍ كثيرة فحدِّد لنا المطلوب منها، ثمّ حرف «علىٰ» كم له من معنىٰ؟ حدِّد لنا المطلوب، لأنّ الحروف العربية لها عدة معاني كما ذكر ذلك إمام النحويين واللغويين «سيبويه»، وهذا الذي يقوله الجهمية من باب التلبيس؛ لأنّ العرش ليست له عدة معانٍ، بل هو معروف أنه السرير، هذا في اللغة، وأمّا عرش الرحمٰن فلا يعلم كيفيته إلا هو، هو سقف المخلوقات وأعلاها، لكن العرش في اللغة ليس له إلا معنىً واحد، وهو السرير الذي يجلس عليه الملك وقد قال تعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ =

= ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالكرسي وسع السمٰوات والأرض فكيف العرش، لأن العرش أعظم من الكرسي، «وما الكرسي في العرش إلا كحلقة في فلاة»(*) كما في الحديث.

وإذا قالوا: «استوىٰ» كم لها من معنىٰ؟

قلنا: لها عدة معانٍ في اللغة، بحسب ما تقع في السياق، فالاستواء إذا عُدي بالحرف «علىٰ» فمعناه: العلو علىٰ الشيء، ليس له معنىٰ غير هذا، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣] معناه: تعلو علىٰ ظهور الفلك والأنعام. وقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩] يعني: ارتفع علىٰ أغصانه، فإذا عُدي الاستواء بـ«علىٰ» فمعناه: العلو في كلِّ لغة، ليس له إلا هذا المعنىٰ، وهذا هو الذي جاء في القرآن ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فمعناه: علا علىٰ العرش، وإذا عُدي الاستواء بـ«إلىٰ» كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] فمعناه: قصد إلىٰ السماء، أي: لمّا فرغ سبحانَه من خلق الأرض قصد إلىٰ السماء وعلا وارتفع إليها سبحانه وتعالىٰ، وإذا عُدي الاستواء بالواو نحو: «استوىٰ الماء والخشبة» فمعناه: المساواة، أي: تساوىٰ سطح الماء مع رأس الخشبة، فهذه ثلاث استعمالات، وهناك استعمالٌ رابع، وهو إذا لم يُعدَّ بحرف، صار لازماً مثل ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] فمعناه التمامُ والكمال، أي: أنّ موسىٰ عليه السلام لمّا تكامل خلقُهُ =

(*) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٣/ ١٢ (٥٧٩٥) من طريق يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض».

بيِّنْ لنا تلك المعاني والذي
منها أُريدَ بواضحِ التِّبْيَان
فاسْمَعْ فذاك مُعطِّلٌ هذي الجعا
جعُ ما الذي فيها من الهَذيانِ[١]
قل للمُجَعْجِعِ ويحكَ اعْقِلْ ذا الذي
قدْ قُلْتَهُ إنْ كُنْتَ ذا عِرفانِ
العرشُ عرشُ الربِّ جلَّ جلالُهُ
واللامُ للمعهودِ في الأذهان[٢]

= وعقلُهُ ببلوغ أشده، يعني كمُل في خَلْقِه وخُلُقِهِ عليه السلام، أوحىٰ الله إليه، فاستوىٰ بحسب السياق، فكلٌّ سياقٍ له معنىً في اللغة العربية، والجهمية لا يعرفون هذه التفاصيل لأنّهم أعاجم في الغالب، أو يعرفونها لكنهم مُضللون ومُلبسون. وقوله: «المجسم» يعنون أهل السنة والجماعة؛ لأنّ إثبات الصفات عندهم يقتضي التجسيم، فلم يقولوا: قال السني، بل قالوا: قال «المجسم» من باب التشنيع.

(١) كلام الجهمية جعاجع، يريدون به التلبيس علىٰ الناس، وإلا فإن استوىٰ معناها معلوم، ليس فيه لبس والحمدُ لله كما قال الإمام مالك رحمه الله: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول).

(٢) العرش عرش الربِّ وليس عرش غيره، واستوىٰ علىٰ العرش لا يحتمل غير العلو وما جاء بمعناه، أمّا قولُهم: المراد بالعرش: الملك، فاستوىٰ علىٰ العرش استولىٰ علىٰ الملك، فلو كان هذا هو المقصود ما صار للعرش ميزة، لأنّ الله مستولٍ علىٰ كلِّ شيء ومالكٌ لكلِّ شيء، =

مـا فيـه إجمـالٌ ولا هُـو مُـوهِـمٌ
نَقْـلَ المجـازِ ولا لَـهُ وَضْعـانِ[1]

ومحمـــدٌ والأنبيـــاءُ جميعُهُـــمْ
شَهِـدُوا بـه للخـالـقِ الـرحمٰـن[2]

منهُـمْ عـرفنـاهُ وهُـمْ عـرفُـوهُ مِـنْ
ربٍّ عليـــهِ قـــد استـــوىٰ ديَّـــانِ

لـم تَفْهَـمِ الأذهـانُ منـهُ سـريـرَ بلْـ
ـقيـسٍ ولا بيتـاً علـىٰ أركـان[3]

= فلا يكون للعرش خاصيّة لأنّه من جملة مخلوقات الله وممتلكات الله عزّوجل.

والـلام التي في «العرش» للعهد ليس المراد به عرش المخلوق بل المراد به عرش الرب سبحانه وتعالىٰ الذي هو سقف الجنة وهو أعظم المخلوقات وأعلىٰ الجنة.

(١) العرش هنا، ليس له معنيان، له معنىً واحد وهو سرير المُلك.

(٢) أثبت العرش لله عزّ وجلّ جميعُ الأنبياء.

(٣) وجميع المسلمين لمّا سمعوا: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] لم تذهب عقولُهم إلىٰ أنّ المرادَ عرشُ بلقيس، التي قال تعالىٰ: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] فهذا عرش لمخلوق، فما ذهبت أذهان الناس إلىٰ أنّه يريد عرش بلقيس، ولا ذهبت الأذهان إلىٰ أنّه استوىٰ علىٰ بيت من البيوت، وإنّما فهموا أنّه العرش المخلوق فوق السمٰوات وهو أعظم المخلوقات، هذا الذي فهموا.

كــلاَّ ولا عــرشــاً علــىٰ بحــرٍ ولا
عــرشــاً لجبــريــلَ بــلا بُنيــانِ[١]

كـلاَّ ولا العـرشَ الـذي إنْ ثُـلَّ مِـنْ
عبدٍ هَوىٰ تحتَ الحضيضِ الداني[٢]

كــلاّ ولا عــرشَ الكُــروم وهــذه الْـ
أعنــابِ فــي حَــرْثٍ وفــي بُستــانِ[٣]

---

(١) ولا فهموا أنه العرش الذي علىٰ البحر(*) ولا الذي عليه جبريل لما رآه محمد في الأفق بين السماء والأرض وهو علىٰ كرسي(**)، كل هذه ليس مُرادةً بقوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

(٢) ولا فهموا العرش الذي يجلس عليه المخلوق، بحيث لو كسرت قوائمه لسقط مَنْ عليه، كل هذا ليس هو المطلوب.

(٣) الكروم هي الأعناب التي ترتفع علىٰ ما يجعل لها من عروش قال تعالىٰ: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] لأن الأعناب تكون علىٰ عروش تحملُها وترفعها عن الأرض، فليست هذه العروش هي المقصودة، كل هذه غير مرادة وإنما المقصود عرش الرحمٰن.

(*) وهو عرش إبليس علىٰ البحر كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري، وفيه: أن رسول الله ﷺ سأل ابن صياد «ما ترىٰ؟» قال: أرىٰ عرشاً علىٰ الماء، فقال رسول الله ﷺ: «ترىٰ عرش إبليس علىٰ البحر». رواه مسلم (٢٩٢٥)، والترمذي (٢٢٤٧).

(**) انظر ما ورد في «صحيح البخاري» (٤)، ومسلم (١٦١) حديث جابر بن عبد الله الأنصاري.

لكنهـــا فهمَـــتْ بحمـــدِ الله عـــر
شَ الرب فوق جميع ذي الأكوان(١)
وعليـهِ ربُّ العـالميـنَ قـد استـوىٰ
حقـاً كمـا قـدْ جـاء فـي القُـرآنِ
وكذا استوىٰ الموصولُ بالحرف الذي
ظَهَـرَ المـرادُ بـه ظهـورَ بيـانِ(٢)
لا فيـه إجمـالٌ ولا هـو مُفهِـمٌ
لــلإشتـراكِ ولا مجـازٌ ثـانِ(٣)
تـركيبُـهُ مـع حـرفِ الاستعـلاءِ نَـصْ
صٌ في العُلوِّ بوضعِ كُلِّ لسانِ(٤)

---

(١) الذي فهمته العقول أن المراد بالعرش في قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] هو عرش الرحمٰن لا يُراد غيرُه أبداً.

(٢) لما انتهىٰ من ردِّه عليهم في مسألة «العرش» انتقل إلىٰ الردِّ عليهم في مسألة الحرف الذي هـو «علىٰ» الذي قـالوا: لـه عدة معانٍ، نقول «علىٰ» في هذه الآيات السبع ليس له عدة معانٍ، ليس له إلا معنىٰ وهو أنه تعالىٰ علا وارتفع علىٰ العرش.

(٣) قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] ليس فيه إجمال، هو نصٌّ واضح وليس فيه اشتراكٌ مع معنىً آخر، فليس له إلا معنىٰ العلو والارتفاع والاستقرار والصعود.

(٤) إذا قيل: استوىٰ علىٰ كذا، الكلُّ يفهم من لغة العرب أنّ المراد: ارتفع عليه، فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل غير معناه، وقوله: «تركيبه مع حرف الاستعلاء نص»، أي: لا يفيد إلا علوه تعالىٰ علىٰ العرش.

فـإذا تَـرَكَّـب مـع إلـىٰ فـالقصـدُ مَعْ
مَعْنَـىٰ العلـوِّ لِـوضعِـهِ ببيـانِ[١]

وإلـىٰ السمـاءِ قـد استـوىٰ فمقيَّـدٌ
بتمـامِ صَنْعَتِهـا مـع الإتقـانِ[٢]

لكنْ علىٰ العرشِ استوىٰ هُوَ مطلقٌ
مِـن بعـدِهـا قـد تَـمَّ بـالأركـانِ[٣]

لكنَّمـا الجهْمِـيُّ يقْصُـرُ فهْمُـهُ
عـن ذا فتلـكَ مـوَاهـبُ المنَّـانِ

فـإذا اقتضـىٰ واو المعيـةِ كـانَ مَعْـ
ـنـاهُ استـوىٰ متقـدّمٌ والثـانـي[٤]

---

(١) مع العلو، فمعنىٰ استوىٰ إلىٰ كذا: قصد إليه مستعلياً عليه.

(٢) وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] يفيد القصد إلىٰ خلقها مع الإحكام والإتقان.

(٣) وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] هو مطلق لا يفيد إلا علوه علىٰ العرش الذي قام علىٰ أركانه فوق السمٰوات، والذي هو أعلىٰ الموجودات وأعظم المخلوقات.

(٤) أما إذا اقترن فعل استوىٰ مع واو المعية نحو قولهم: استوىٰ الماء والخشبة، أفاد أن ما قبل الواو قد ساوىٰ ما بعدها.

فإذا أتىٰ من غيرِ حرفٍ كان مَعْـ
ـناهُ الكمالَ فليس ذا نُقصانِ[١]
لا تلبِسُوا بالباطلِ الحقَّ الذي
قدْ بيَّنَ الرَّحمٰنُ في الفُرْقانِ
وعلىٰ للاستعلاءِ فهي حقيقةٌ
فيه لدىٰ أربابِ هذا الشانِ
وكذلك الرحمٰنُ جلَّ جلالُهُ
لَمْ يَحْتَمِلْ معنىً سوىٰ الرحمٰن[٢]
يا وَيْحَهُ بعَماهُ لو وجدَ اسمَهُ الرْ
رَحمٰنَ مُحْتَمِلاً لخمسِ معانِ
لقضىٰ بأنَّ اللفظَ لا معنىٰ لهُ
إلاَّ التلاوةَ عندنا بلسانِ[٣]

---

(١) فإذا أتىٰ الفعل استوىٰ من غير حرف واستعمل لازماً كما في قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] أفاد معنىٰ الكمال وتمام القوة، أي: أن موسىٰ لما تكامل خلقه وعقله ببلوغ أشده أوحىٰ الله إليه.

(٢) كما أن اسم «الرحمٰن» لا يحتمل غير الرب الموصوف بالرحمة سبحانه وتعالىٰ.

(٣) لو وجد الجهم أنّ «الرحمٰن» له عدة معانٍ لفرح بذلك، ولبّس علىٰ الناس، وجنىٰ علىٰ هذا اللفظ العظيم، وتمّ له ما يريد من التعطيل نهائياً، ولكنّه ما وجد للرحمٰن إلا معنىً واحداً، فسلّط سفسطتَه علىٰ بقية الألفاظ وهي لفظ «العرش» ولفظ «علىٰ» و«استوىٰ».

فلـذاكِ قـالَ أئمـةُ الإسـلامِ فـي
معنـاهُ، مـا قـدْ سَـاءَكُـم ببيـانِ[1]

ولقـد أَحَلْنـاكُـمْ علـىٰ كُتْـبٍ لهُـمْ
هـي عنـدَنـا واللهِ بـالكِيمـانِ[2]

* * *

(١) أئمة الإسلام صرَّحُوا بأنّ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: علا وارتفع، فساء الجهمية هذا الكلام؛ لأنّهم يريدون تغييره عن معناه، فلذلك أجلبوا بخيلهم ورجلهم ولكن باؤوا بالفشل والحمد لله.

(٢) أَحَلْناكُم علىٰ كتب أهل الإيمان وهي عندنا كثيرة، بالكيمان: يعني بِكَمٍّ كثير ولله الحمد، فأهل السنة عندهم ثروة علمية لا تضاهيها ثروة كتب في العالم، أخذوها من الوحي المنزّل، فلا يجوز لطالب العلم أن يذهب لكتب هؤلاء ويقول عنها: كتب ثقافية أو هؤلاء مفكرون كما يقوله الآن بعض الجهلة ويترك كتب السلف.

فصل

في بيان سبب غلطهم في الألفاظ والحُكم عليها باحتمال عدة معانٍ حتىٰ أسقطوا الاستدلال بها

والللفــظُ مِنــهُ مفــردٌ ومُــركَّــبٌ
في الاعتبارِ فَمَا هُمَا سِيَّانِ[1] واللفظُ

---

(١) اللفظ تارةً يكون مفرداً ويُسمىٰ «الكلمة» مثل: زيد، عليٰ، جاء، فالكلمة ثلاثة أقسام: اسمٌ وفعلٌ وحرف، فالكلمة الواحدة لا يُستفاد منها شيء إلا إذا رُكِّبت مع كلمةٍ أخرىٰ من مبتدأ وخبر وتسمىٰ جملة اسمية، أو فعل وفاعل وتسمىٰ جملة فعلية مثل: جاء زيد، فلو فصلت الفعل عن الاسم وقلت: «جاء» لم يفد شيئاً، ولو فصلت الاسم عن الفعل وقلت: «زيد» لم يفد شيئاً، أمّا إذا ركَّبتها فقلت: «جاء زيدٌ» حصلت الفائدة. فهم عمدوا إلىٰ التضليل فصارُوا يفصلون الكلام بعضَه عن بعض. وهذه البلية التي تقع من المتعالمين اليوم، يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، بمعنىٰ: أنّهم يقطعون الكلام ويبترونه، ويقولون: هذا هو الحق. ولو تركوا الكلام علىٰ تركيبه وسياقه لاتضح الحق، هذا دأب أهل الضلال، أنّهم يقطعون الكلام بعضَه عن بعض، أمّا أهل السنة والجماعة فيضمون الكلام بعضَه إلىٰ بعض ويُرجِعُون بعضَه إلىٰ بعض، ويعلمُون أنّ كلام الله لا يتناقض، وكلام الرسول ﷺ لا يتناقض، بخلاف أهل الزيغ فإنهم يأخذون المتشابه ويتركون المحكم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ. . .﴾ [آل عمران: ٧] أما =

والـلـفـظُ بـالـتـركـيـب نـصٌّ فـي الـذي
قَصَدَ المُخاطِبُ منه في التِّبيان[١]

أو ظـاهـرٌ فيـه وذا مِـنْ حيـثُ نِسْـ
ـبَتُـهُ إلـىٰ الأفهـامِ والأذهـانِ[٢]

فيكـون نَصّـاً عنـدَ طـائفـةٍ وعنـ
ـدَ سـواهُـمُ هـو ظـاهـرُ التِّبيـانِ[٣]

ولـدىٰ سِـواهُـمْ مُجْمَـلٌ لـم يَتَّضِـحْ
لَهُـمُ المـرادُ بـه اتضـاحَ بيـانِ[٤]

= الراسخون في العلم فيُفسرون كلامَ الله بعضَه ببعض، ويردون بعضه إلىٰ بعض؛ لأنّه كلُّه من عند الله، فهذه قاعدة عظيمة، وهي رَدُّ النصوص بعضها إلىٰ بعض، وهذا هو الذي سيأتي في كلام ابن القيم في هذا الباب وهو بابٌ عظيمٌ جداً.

(١) اللفظ المركب: نصٌّ فيما قصَدهُ المُخاطِب أمّا أن يقصد كل كلمة علىٰ حِدة فهذا ليس كلاما.

(٢) الكلام إمّا نصٌّ وإمّا ظاهرٌ، هذا تقسيمُهُ عند الأصوليين، فالنص: هو الذي لا يحتمل إلا معنىً واحداً، وأمّا الظاهر: فهو الذي يحتمل عدة معانٍ، لكن أحدها أظهر.

(٣) هذا من حيث الأصل أنّ الكلام ينقسم إلىٰ نصٍّ وظاهرٍ، لكن المخاطَبون يختلفون في الفهم: فبعضهم يكون الكلام عنده نصاً، وبعضهم يكون الكلام عندَه ظاهراً وليس نصاً، فلذلك اختلفوا بسبب أفهامهم وإلا فإن نفس الكلام ليس مجالاً للاختلاف، وأفهام الناس ليست حُجةً علىٰ الأدلة.

(٤) صنفٌ ثالث: يكون الكلام عندهم مجملاً: وهو ما دلَّ علىٰ عدة معانٍ لا يترجَّح واحدٌ منها، ويحتاج إلىٰ شيءٍ يبينُهُ من أدلةٍ أخرىٰ، فالمُجمل: هو =

فــالأولُــون لإلْفِهِــمْ ذاك الخطــا
بَ وإلفهِــمْ معنَــاهُ طــولَ زَمَــانِ
طـال المـراسُ لهـم لمعناه كمـا اشْـ
ـتَـدَّتْ عنـايتُهُـمْ بـذاك الشـانِ[١]
والعِلْـمُ مِنْهُـم بـالمُخَـاطِـب إذ هُـمُ
أولـىٰ بـه مـن سـائِـرِ الإنسـانِ[٢]

= ما يحتمل عدة معانٍ لم يترجَّح بعضها علىٰ بعض، وإنّما يُفسِّرُهُ نصٌّ آخر ودليلٌ آخر يُسمّىٰ بالمُبيِّن، فالناس علىٰ ثلاث أقسام نحو كلام الله ورسوله:
١ ـ منهم من يكون الكلام عنده: «نصاً» في الموضوع لا يحتملُ غيره.
٢ ـ ومنهم من يقول: إنّه ظاهر وليس بنص.
٣ ـ ومنهم من يقول: لم يترجح عندي معنىً من المعاني فيكون مجملاً بالنسبة له.

(١) الذين يقولون: إنّ ما ورد في الصفات نص لا يحتمل إلا معنىً واحداً هؤلاء هم الذين لهم عناية بكلام الله وكلام رسوله، ومارسُوا دراسة كتاب الله وسُنة رسوله، وطال مِرانهم ومِراسهُم لها حتىٰ عرفوها فأصبحت نصوصاً عندهم لا تحتمل إلا معنىً واحداً، وهذا ينطبق علىٰ السلف الصالح لطول ممارستهم للنصوص، ولأنها نزلت بلغتهم، ولأنّهم أقرب إلىٰ عهد الرسالة، وتعلمّوا من الطبقات الأولىٰ من هذه الأمة، فهم أميز من غيرهم، فما يكون نصاً عندهم يكون «مجملاً» أو «ظاهراً» عند غيرهم ممن لم يصل إلىٰ درجتهم في العلم.

(٢) هم أولىٰ بفهم كلام الله وكلام رسوله من غيرهم لما تميزوا به من الأسبقية في العلم والتتلمذ علىٰ صدر هذه الأمة، فهم أعلم ممن جاء من بعدهم.

ولهُـــمْ أتَـــمُّ عنــايـــةٍ بكـــلامِـــه
وقُصُـــودِهِ مـــع صِحَّـــةِ العِـــرْفـــانِ(١)

فخِطــابُــهُ نــصٌّ لــديهـــمْ قــاطِــعٌ
فيمـــا أُريـــدَ بِـــهِ مِـــنَ التِّبْيَـــانِ

لَكـنَّ مَـنْ هـو دُونَهُـمْ في ذاكَ لَـمْ
يَقْطَـعْ بِقَطْعِهِـمْ علـىٰ البُـرهـانِ(٢)

ويقـــولُ يظهـــرُ ذا وليـــسَ بقـــاطـــعٍ
فـــي ذِهْنِـــهِ لا ســـائِـــرَ الأذْهـــانِ(٣)

=في العلم والتتلمذ علىٰ صدر هذه الأمة، فهم أعلم ممن جاء من بعدهم.

(١) هذا ينطبق علىٰ السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم والقرون الثلاثة المفضلة، تميَّزوا بهذه الميزة العلمية عن غيرهم، فتفسيرُهم لهذه النصوص أولىٰ من تفسير غيرهم، فيرجع في تفسير النصوص إلىٰ تفسير السلف، لأنّهم أدرىٰ بمعانيها ومراميها وسياقاتها، من غيرهم.

(٢) أمّا من جاء بعدَهم فإنّه لم يكن بهذه الدرجة من العلم بحيث يُدرِك المعنىٰ المراد من هذه النصوص، وأيضاً دخل علىٰ المتأخرين علم المنطق والكلام، فأثّر علىٰ كثيرٍ من الخلف المتأخرين، تأثروا بهذه الآراء والأفكار لمّا عُرِّبت كتب الفرس واليونان إلىٰ اللغة العربية، ونقصَّت علمهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فصار عندهم اشتباه في هذه الأمور بسبب الخلط الذي دخل عليهم، أمّا السلف فلم يكن عندهم شيءٌ من هذه الأمور.

(٣) مَنْ يقول: يظهر من اللفظ كذا فليس عندَه فهمٌ جازم لكثرة ما عندَهُ من الاحتمالات وما عندَه من الأفكار، حتىٰ صارت نصوص الكتاب والسنة عندَه من الظواهر فقط وليست بنص.

ولإلفِـهِ بكـلامِ مَـنْ هـو مُقْتَـدٍ
بكـلامِـهِ مـن عَـالِـم الأزمـانِ
هـو قـاطـعٌ بمُـرادِهِ وكـلامُـهُ
نـصٌ لـديـهِ واضـحُ التِّبيـانِ[1]
والفتنـةُ العُظمـىٰ، مـن المتَسلِّـق الـ
ـمخْدوعِ ذِي الدَّعْوىٰ أخي الهَذَيانِ
لَـمْ يعـرِفِ العِلْـمَ الـذي فيـه الكـلا
مُ ولا لَـهُ إلْـفٌ بهـذا الشـانِ[2]

---

(١) هذا من العجب: أنّ هؤلاء المتأخرين يكون كلام مشائخهم عندهم نصوصاً لا تحتمل التأويل، وأمّا كلامُ الله وكلامُ رسوله فهو ألفاظ محتملة وظواهر، فيا عجباً كيف يكون كلامُ البشر نصاً لا يحتمل التأويل، وكلام الرب ورسوله يحتمل التأويل وليس نصاً في مُرادِهِ، فهذا من تناقُضِهِم ومعنىٰ هذا: أنّهم يُعظمون أئمتهم ويُقدسون ألفاظهم ما لا يُعظمون الله وكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فألفاظ مشايخهم نصوص يقبلونها كما جاءت، ولا تحتمل أي معنىً يخالف ما يعتقدونه، وأمّا كلام الله أو الرسول فهو ألفاظ مجملات لا تفيد اليقين عندهم، فهذا من العجائب؛ لأنّ الله صرف قلوبهم، ولذلك يُرجِعُون كلام الله وكلام رسوله لقواعد أئمتهم وكلامهم في الأخذ والترك، والواجب العكس أنّ أقوال الناس تُعرض علىٰ الكتاب والسنة، فما وافقهما وجب الأخذ به، وما خالفَهما وجب ردُّهُ وإن كان قائلُهُ من أَجَلِّ الناس فهو بشر يخطىء مهما بلغ من العلم والمكانة.

(٢) هذا صنف ثالث: وهو المتعالِم الذي هجم علىٰ العلم بدون روية ومن غير بصيرة، وأتىٰ الأمر من غير بابه، وهذا هو المصيبة العُظمىٰ؛ لأنّه لا =

لكِنَّــهُ مِنــهُ غــريــبٌ ليــس مِــنْ
سُكَّــانِــهِ كــلا ولا الجيــران[١]

فهــو الــزنيــمُ دَعِــيُّ قــومٍ لــم يَكُــنْ
مِنْهُــمْ ولــم يَصْحَبْهُــمُ بمكــانِ[٢]

وكــلامُهُــمْ أبــداً لــديــه مُجْمَــلٌ
وبمعــزِلٍ عــن إمْــرَةِ الإيقــانِ[٣]

= يُميِّز بين الصحيح والسقيم، وقواعد الاستدلال ومدارك الأحكام، وهؤلاء من أعظم ما ابتليت بهم الأمة وما أكثرهم في هذا الزمان، وقد صاروا يتكلَّمون في أمور العلم بغير بصيرة، وظهروا علىٰ الناس بأمورٍ شوشت علىٰ كثير من الناس، لأنّها صدرت عن هؤلاء المتعالمين.

(١) ليس من سكان معقل العلم ولا من جيرانه، وإنما هجم علىٰ العلم.

(٢) الزنيم: هو الذي ليس له نسب، والمراد هنا من ليس له نسبٌ علمي وهو الذي لم يتلق العلم عن أهله، إذا قيل له: مَن شيخك، من الذي قرأت عليه؟! قال: أنا لا أحتاج إلىٰ هذا، أنا قرأت في الكتب وعندي مكتبة، ونقول له: ليس هذا طريق العلم، فالعلم لا بد أن تعرف صغاره قبل كباره، وتعرف مناهجه بالتتلمذ علىٰ أيدي أهل العلم، ويبدأ بالمختصرات إلىٰ المتوسطات ثمّ يترقَّىٰ إلىٰ المطولات وهذا يحتاج إلىٰ صبر وطول زمان، فادعاؤه للعلم ليس بصحيح وإنّما هو قارىء، ولذا جاء: أنّه في آخر الزمان يكثر القُرّاء ويقلُّ الفقهاء، فالعبرة ليست بكثرة القراءة وإنّما هي بالفهم.

(٣) هذا المتعالم لا يفهم كلام العلماء، بل ربما كثيرٌ من المتعالمين لا يُقدِّرون العلماء ويقولون: نحنُ رجال وهم رجال، فيقال لهذا: هل أنت =

نَشَدَ التجارةَ بالزيوفِ يخالُها
نقداً صحيحاً وهو ذو بُطلانِ[١]

حتىٰ إذا رُدَّت إليه نَالَهُ
مِنْ رَدِّها خِزْيٌ وسُوءُ هَوانِ[٢]

فأرادَ تصحيحاً لها إذ لم يكُنْ
نَقْدُ الزُّيُوفِ يروجُ في الأثمانِ[٣]

ورأىٰ استحالةَ ذا بدون الطعنِ في
باقي النقودِ فجاءَ بالعُدوانِ[٤]

= تعلَّمت مثل ما تعلَّموا، وحصَّلت مثل ما حصَّلُوا، وحفظت من العلم مثل ما حفظوا، أين الثرىٰ من الثُريا؟ ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه، بل ربما لا يرجع لكلام العُلماء ولا يُطالعُه مجرد مطالعة، فيقول: هذا كلام رجال ويزهد فيه.

(١) هذا المتعالم علمه مزيف فهو مثل من معه نقود مزيفة فالعلم الذي معه مُزيَّف.

(٢) هذا المتعالم إذا جاء إلىٰ العلماء ردُّوا كلامَه ولم يقبلوه، لأنّه ليس بعالم ولا يُحسِن أن يتكلَّم في مسائل العلم ولا يتصدَّر، لأنه ليس عندَه استعداد.

(٣) هذا المتعالم يريد أن يُصحِّح علمَه المزيف، وهذا لا يُمكن لأنّ الزيف لا يكون نقداً والجهل لا يكون علماً.

(٤) هذا المتعالم، لمّا قيل له: إنك لم تأخذ العلم عن العُلماء قال: كل الناس هكذا، الإمام أحمد، سفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه، والبخاري، ومسلم مثلنا، هم رجال ونحنُ رجال لا يمتازون علينا بشيء ونقول له: الناس يفرقون بين العالم والمتعالم، والعلم له حملته ورجاله، =

واستعـوضَ الثمـنَ الصحيـحَ بجهلِـهِ
وبِظُلْمِــهِ يَبغيــه بــالبُهتــانِ
عِـوجـاً لِيَسْلَـمَ نَقْـدُهُ بيـن الـورىٰ
ويَــروجُ فيهــمْ كــامــلَ الأوزانِ
والنـاسُ ليســوا أهـلَ نقـدٍ للـذي
قَـدْ قيـلَ إلاَّ الفـردَ فـي الأزمـانِ(١)
والـزَّيـفُ بينهُـمُ هـو النَّقْـدُ الـذي
قــد راجَ فــي الأسفــارِ والبُلــدانِ
إذْ هُمْ قد اصطلحُوا عليهِ وارتضوا
بِجــوازِهِ جهــراً بِــلا كِتْمــانِ
فــإذا أتــاهُــمْ غيــرُهُ ولــو انَّــهُ
ذهــب مُصفّــىً خــالِـصُ العِقْيَــانِ

= فمسائل العلم ونصوصه لها نُقَّاد يُميزونها، ويعرفُون العلم المُزيَّف من العلم الصحيح، مثل الصيارفة الذين يعرفون النقود الصحيحة والمُزيَّفة.

(١) يقول: الذي معي من العلم مثل ما مع الآخرين ليضع نفسه في مصاف العلماء، ولكن الناس يعرفون العالم الصحيح من المتعالم، وذلك إذا وقعت النوازل التي تحتاج إلىٰ رأي العلماء، عند ذلك يتبين العلماء من المتعالمين، فالعالم يوفقه الله للحلِّ الصحيح في هذه النازلة، ويخرج بنتيجة يستفيد منها المسلمون، لأنّ عندهم خبرة بالنصوص يُنزلونها ـ يعني النصوص ـ علىٰ هذه الوقائع، ويستخرجون حكمها منها، أمّا هذا المتعالم فإنّه لو حاول فسيبوء بالفشل.

رَدُّوهُ واعتـذروا بـأن نُقُـودَهُـمْ
مِـنْ غيْـرِهِ بِمـراسِـمِ السُّلطـانِ
فـإذا تعـامَلْنـا بنَقْـدِ غيـرِهِ
قُطِعَـتْ جـوامِكُنـا مـن الـدِّيـوانِ
واللهِ مِنْهُـمْ قَـدْ سمعْنـا ذا ولـمْ
نَكْـذِبْ عليهِـمْ ويْـحَ ذي البُهتـانِ
يـا مَـنْ يُـريـدُ تجـارةً تُنْجِيـه مِـنْ
غضـبِ الإلٰـهِ ومُـوقِـدِ النيـرانِ[1]
وتفيـدُهُ الأربـاحَ بـالجنَّـات والْـ
ـحُـورِ الحِسـانِ ورؤيـة الـرحمٰـنِ
فـي جنـةٍ طـابـتِ ودامَ نعيمُهـا
مـا لِلفنـاءِ عليـه مِـن سُلطـانِ
هَيِّـىءْ لهـا ثمنـاً يُبـاع بمثلِهـا
لا تُشْتَـرىٰ بـالـزَّيْـفِ مـن أثمـانِ
نقـداً عليـه سِكَّـةٌ نبـوِيَّـةٌ
ضَـرْبُ المـدينـةِ أشـرفِ البُلْـدانِ[2]

---

(١) لمّا ذكر هذه المصائب أراد أن يوجهك إلىٰ الطريق الصحيح لتخرج من هذه البلايا والمصائب.

(٢) هذا مأخوذٌ من قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠] فإذا أردت هذه التجارة فتمسك بالكتاب والسنة، =

أظننـتَ يـا مغـرورُ بـائِعَهـا الـذي
يَرْضَىٰ بنقـدٍ ضَـرْبِ جَنكيـزْخَـانِ[(١)]
مَتَّتْـكَ واللهِ المُحَـالَ النَّفْـسُ أنْ
طَمِعَـتْ بِـذا وخُـدِعَـتْ بـالشَّيْطـانِ
فاسمعْ إذاً سببَ الضلالِ ومنشأ التْـ
تَخْليـطِ إذ يتنـاظـرُ الخصمـانِ
يحتَـجُّ بـاللفـظِ المـركَّـبِ عـارِفٌ
مضمـونَـهُ بسيـاقِـهِ لبيـانِ
واللفظُ حين يُساقُ بالتركيبِ مَحْـ
ـفُـوفٌ بـه للفَهْـمِ والتِّبيـانِ
جنـدٌ يُنـادَىٰ بـالبيـانِ عليـه مِثْـ
ـلَ نِـدائنـا بـإقـامـةٍ وأذانِ
كي يَحصُلَ الإعلامُ بالمقصودِ مِنْ
إيـرادِهِ ويصيـرَ فـي الأذهـانِ

= وقوله: نقدٌ عليه سِكَّةٌ نبوية ضرب المدينة يعني: صادر من الرسول ﷺ لا النقود الزيوف التي عليها ضرب السلاطين، والمخالفين للكتاب والسُّنة من المتعالمين والمبتدعة والوضاعين.

(١) يقول: الجنة لا تُشترىٰ بنقد، عليه ضرب جنكيزخان ملك التتر، ولا تُشترىٰ بنقود عليها ضرب السلاطين والملوك الكُفار، وإنّما تُشترىٰ بالنقود النبوية، وكذلك العلم لا يكون بالجدل وعلم المنطق، وإنما يكون بأدلة الكتاب والسنة، سكة صادرة عن النبي ﷺ وهي القرآن والسنة.

فَيَفُكَّ تركيبَ الكلامِ معانِدٌ
حتَّىٰ يُقَلْقِلَهُ مِنَ الأركانِ
ويَرومُ منه لفظةً قد حُمِّلَتْ
معنىً سواها في كلامٍ ثانِ
فيكونُ دَبُّوسَ الشقاقِ وعُدَّةً
للدَّفعِ فِعْلَ الجاهلِ الفتَّانِ
فيقولُ هذا مُجْمَلٌ واللفظُ مُحْـ
ـتَمَلٌ وذا مِن أعظمِ البُهتانِ
وبذاكَ يفسُدُ كلُّ علمٍ في الورَىٰ
والفَهْمُ من خَبَرٍ ومِنْ قُرآنِ
إذ أكثرُ الألفاظِ تَقْبَلُ ذاك في الْـ
إفرادِ قَبْلَ العقدِ والتِّبيانِ
لكنْ إذا ما رُكِّبَتْ زالَ الذي
قَدْ كان مُحتمِلاً لدَىٰ الوِحْدانِ
فإذا تَجرَّدَ كان مُحْتَمِلاً لغَيْـ
ـرِ مُرادِه أوْ في كلامٍ ثانِ
لكنَّ ذا التجريدَ مُمْتَنِعٌ فإنْ
يُفْرَضْ يكنْ لا شكَّ في الأذهانِ(١)

(١) غرض الناظم في هذه الأبيات أن يُقارن بين استدلال أهل العلم من السلف الصالح وأتباعِهم بالنصوص، وبين استدلال أهل الفتنة وأهل =

والمفـــرداتُ بغيـــرِ تـــركيـــبٍ كمثـ
ـــلِ الصـوتِ تَنْعِقُـهُ بتلـك الضـانِ[١]
وهنـالـك الإجمـالُ والتشكيـكُ والتْـ
تجهيلُ والتحريفُ والإتيانُ بالبُطلانِ[٢]

= الضلال من الخلف أصحاب التأويل، فالسلف وأتباعهم ينظرون في النصوص في سياقها وفي تركيبها ويردون بعضها إلىٰ بعض فيُفسرونها بمعناها الصحيح المُستفاد من سياقها وتركيبها، وأمّا الخلفُ الضُلّال وأهل الكلام فإنّهم لا علم لهم بذلك، أو أنّهم يتعمدُون الإفساد فلا ينظرون في سياق النصوص ولا ينظرون في تركيبها بل ينثرونها، ويجعلون كل كلمة علىٰ حِدة، ويقطعون السياق ويقولون: الكلام يحتمل كذا ويحتمل كذا... وليس نصاً فيما تُريدون، ولا يفيد العلم... ولا شك أن الكلام إذا نُثر وقُطِّعَ ولم ينظر في سياقه، لا شكَّ أنه يصبح لا معنىٰ له، هذا صنيع المتأخرين من أهل الضلال، إنّهم ينثرون الكلام ويقطعون صلة بعضه ببعض ثمّ يقولون: هذا الكلام يحتمل كـذا ويحتمل كـذا، وليس نصاً فيما تقولون، ولا يُفيد العلم ولا يُعتمد عليه في العقيدة... هذا هو الواقع في حالهم.

(١) إذا أُفردت الألفاظ لم يكن لها معانٍ، بل تكون مثل الصوت الذي تسمعهُ الأغنام من الراعي وهي لا تفهم معناه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ﴾ [البقرة: ١٧١] فهذه الألفاظ إذا قطِّعت وجُرِّدت أصبحت مجرد أصوات ليس لها معانٍ.

(٢) كل هذا ينشأ من قطع الكلام بعضه عن بعض.

فــإذا هُــمُ فعلُــوهُ رامــوا نقْلَــهُ
لِمُــرَكَّــبٍ قــد حُــفَّ بــالتِّبْيَــانِ

وقضوا علىٰ التركيبِ بالحُكْمِ الذي
حكمــوا بِــهِ للمُفْــرَدِ الــوحــدانــي

جهْــلاً وتجْهِيــلاً وتــدْليســاً وتلْـ
ـبيســاً وتــرويجــاً علــىٰ العُمْيــانِ

* * *

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني(١)

هــذا هــداكَ اللهُ مِــن إضــلالِهِــمْ
وضــلالِهِــمْ فــي منطــقِ الإنســانِ

كمجــرَّداتٍ فــي الخيــالِ وقــد بَنَــىٰ
قــومٌ عليهــا أوْهَــنَ البُنيــانِ

---

(١) في هذا الفصل يريد أن يعقد مُقارنةً بين مذهب المؤولة وبين مذهب الفلاسفة، المؤولة: هم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وكل من يؤول نصوص الصفات، أمّا الفلاسفة فهم الذي يُسمُّون أنفسهم بالحُكماء، فالفلسفة عندهم: هي الحكمة، والفيلسوف معناه: الحكيم، الفلاسفة يُحرِّفون معاني النصوص، ومنهم الباطنية: الذين يقولون: إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، فالظاهر هو للعوام والباطن لا يفهمُه إلا الخواص فيُحرفون المعاني، وأمّا المؤولة فيحرفون الألفاظ، فالمصنف أراد أن يعقد مقارنة بين الفلاسفة الملاحدة وبين المؤولة وأتباعِهم المنتسبين إلىٰ الإسلام مع أنّ هؤلاء المؤولة يردّون علىٰ الفلاسفة ويتبرّؤون منهم ويصفونهم بالإلحاد، لكن في الواقع ليس بينهم فرق فهؤلاء أوّلوا، وهؤلاء أوّلوا فلا فرق بينهم، وما الذي يجعل تأويل المعتزلة والجهمية والأشاعرة مقبولاً، ويجعل تأويل الباطنية والفلاسفة مردوداً؟ هذا تناقض لأنه لا فرق بينهم، فهذا هو قصد الناظم من هذا الفصل.

ظنُّوا بأنّ لها وجوداً خارجاً
ووجودُها لَوْ صَحَّ في الأذهانِ
أنَّىٰ وتلك مُشَخَّصاتٌ حُصِّلَتْ
في صُورةٍ جُزْئيَّةٍ بعِيانِ
لكنّها كُلِّيّةٌ إنْ طابَقَتْ
أفرادَها كاللفظِ في الميزانِ
يَدْعُونَه الكُلِّيَّ وهو مُعَيَّنٌ
فَرْدٌ كذا المعنىٰ هما سِيّانِ
مُتجرِّداً في الذِّهنِ أو في خارجٍ
عنْ كُلِّ قيْدٍ ليسَ في الإمكانِ
لا الذِّهْنُ يعقِلُهُ ولا هو خارِجٌ
هو كالخيالِ لطِيفِهِ السَّكْرانِ
لكنْ تَجرُّدُهَا المُقيَّدُ ثابِتٌ
وسِواهُ مُمْتَنِعٌ بِلا إمكانِ
فتجرُّدُ الأعيانِ عن وصْفٍ وعنْ
وضعٍ وعنْ وقتٍ لها ومكانِ
فرضٌ مِنَ الأذهانِ يفْرِضُهُ كفرْ
ضِ المُستَحيلِ هُما لها فَرْضانِ
الله أكبَرُ كَمْ دهىٰ مِنْ فاضِلٍ
هذا التَّجَرُّدُ مِنْ قديمِ زمانِ

تجْـرِيـدُ ذي الألفـاظِ عَـنْ تـرْكيبِهـا
وكـذاكَ تجـريـدُ المعـانـي الثَّـانـي
والحـقُّ أنَّ كليْهمـا فـي الـذِّهـنِ مفـ
ـروضٌ فلا تَحْكُمْ عليه وَهُوَ في الأذهانِ[١]
فيقُـودُكَ الخصـمُ المُعـانـدُ بـالـذي
سَلَّمتَـهُ لِلحُكْـمِ فـي الأعْيـانِ
فعليـكَ بـالتَّفْصيـلِ إن هُـمْ أطلقُـوا
أو أجملُـوا فعليْـكَ بـالتِّبْيـانِ

* * *

(١) الكُلّي والجُزيء، لا وجود لهما في الأعيان والخارج وإنما وجودهما في الأذهان، والذهن يرد عليه كل شيء الحق والباطل.

فهم يأخذون ما يدور في الأذهان ويجعلونه أدلة مع أنّه لا يصلح للاستدلال لأنّه مُجرّد خيال.

فصل

في بيان تناقُضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويلُهُ وما لا يجب(١)

وتَمسَّكُـوا بظـواهـرِ المنقـولِ عَـنْ
أشيـاخِهِـمْ كتمسُّـكِ العُميـانِ

وأبَـوْا بـأنْ يتمسَّكُـوا بظـواهِـرِ النْـ
نَصَّيْـنِ واعجبـاً مِـن الخُـذلانِ(٢)

---

(١) عندما تأتي العبارة عن أشياخهم يتمسكون بها ويُجرونها علىٰ ظاهرها ولا يجرؤون علىٰ تأويلها، بل يقولون: كلام الشيخ علىٰ ظاهره لا يجوز أن يُفسَّر علىٰ غير ظاهره، وأمَّا كلام الله فإنهم يؤولونه ولا يتركُونَهُ علىٰ ظاهره، فصار كلام الشيوخ عندهم أعظم من كلام الله عزَّ وجل، إذ كلام شيوخهم يقبلونه ولا يتعرَّضون لتأويله وإنَّما يُجرُونَهُ علىٰ ظاهِرِه، ويقبلونه ويستدلُون به ويعتمدون عليه، بينما كلام الله جلَّ وعلا يُسلِّطون عليه التأويل، فصار كلام مشايخهم أعظم عندهم وفي صدورهم من كلام الله عزَّ وجل، وأيُّ ضلالٍ أعظم من هذا الضلال؟! والواجب هو العكس وهو أن يُعرض كلام العلماء علىٰ الكتاب والسنة فما وافقهما أُخذ به وما خالفَهُما فإنَّهُ يُردُّ علىٰ صاحبه.

(٢) فهم يُعظِّمون كلام مشايخهم أعظم من تعظيم الكتاب والسُّنة، وحجتهم أنهم يقولون بأن مشايخهم أعلم فيتمسكون بظواهر كلام شيوخهم، =

قــولُ الشيــوخ مُحَــرَّمٌ تــأويلُــهُ
إذْ قَصــدُهُــمْ للشــرحِ والتِّبيــانِ[1]

فــإذا تــأوَّلنــا عليهِــمْ كــان إبْـ
ـطَــالاً لِمَــا رامــوا بِــلا بُــرهــانِ

فعلــىٰ ظـواهِـرِهـا تمُـرُّ نُصـوصُهـمْ
وعلــىٰ الحقيقــةِ حملُهــا لِبَيــانِ

يا ليتَهم أجْرَوْا نُصوصَ الوحي ذا الْـ
ـمَجْــرىٰ مــن الآثــارِ والقُــرآنِ[2]

بل عندَهُمْ تلكَ النصوصُ ظواهِرٌ
لفظِيَّــةٌ عُــزِلَــتْ عــن الإيقــانِ[3]

لـمْ تُغـنِ شيئاً طـالِبَ الحقِّ الـذي
يبْغــي الـدَّليـلَ ومُقتضـىٰ البُـرهـانِ

= ويأبون أن يتمسكوا بظواهر الكتاب والسنة، هذا من الخُذلان ـ والعياذ بالله ـ لأنَّ الواجب هو العكس.

(١) القرآن والسنة واجبٌ تأويلُهما عندهم، أمَّا قول شيوخهم فيحرم تأويلُه لأنه ينافي ما قصدوه من الشرح والبيان.

(٢) يعني: ياليتهم فعلوا ذلك بنصوص الكتاب والسنة فأجروها علىٰ ظواهِرِها كما أبقوا ظواهر نصوص شيوخهم.

(٣) أي: فعلوا ذلك لأن نصوص الشرع عندهم ظواهر لفظية لا تُفيد اليقين، أمَّا كلام شيوخهم فهو يفيد اليقين عندهم.

فـانظـر إلـىٰ الأعـرافِ ثُـمَّ لِيُـوسُـفٍ
والكهـفِ وافهـمْ مُقتضـىٰ القُـرآنِ
وسَطَوْا علىٰ الوَحْيَيْنِ بالتحريفِ إذْ
سَمَّـوهُ تـأويـلاً بـوضـعٍ ثـانِ[1]
فـإذا مـررْتَ بـآلِ عمـرانِ فَهِمْـ
ـتَ القَصْـدِ فَهْـمَ مُـوَفَّـقٍ ربَّـانـي
وعلمْـتَ أنَّ حقيقَـةَ التـأْويـلِ تَبْـ
يِيـنُ الحقيقـةِ لا المجَـازُ الثَّـانـي
ورأيـتَ تـأويـلَ النُفـاةِ مُخـالِفـاً
لجميـعِ هـذا ليـسَ يَجْتَمعـانِ[2]

---

(١) إذا خالف نصُّ الوحي أقوالَ شيوخهم سَطَوْا عليه بالتأويل، وإذا عجزوا عن تأويله فَوَّضوه، وقالوا: هذا لا يعلم معناه إلا الله، ونحنُ إنَّما نقرأ حروفه، وهو مثل الكلام الأعجمي الذي لا يُعرَف معناه، هذا موقفهم من الكتاب والسُّنة، وكل هذا محافظة علىٰ أقوال شيوخهم التي تُخالف الكتاب والسنة، وهذا قد دُوِّنَ في عقائدهم وكتبهم، اقرأ أي كتاب من كتب علماء الكلام تجد هذا فيها، ويُسمون ذلك تأويلاً من باب التلطيف وهو في الحقيقة: تحريف كما قال تعالىٰ عن اليهود ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

(٢) تجد تأويـل هؤلاء مخالفـاً للتأويـل الصحيح المذكور في القرآن الذي هو التفسيـر أو الحقيقـة التي يؤول إليهـا الشيء، فتأويل هؤلاء هو صرف اللفظ عن مدلوله المراد منه وهذا قسمٌ ثالث مُحدَث.

اللفـظُ هُـمْ أنْشَـوْا لَـهُ معنـىً بـذا
ك الاصطــلاحِ وذاكَ أمــرٌ دانِ[١]

وأتَوْا إلىٰ الإلحادِ في الأسماءِ والتْـ
تَحْـريـفِ لـلألفـاظِ بـالبهتـانِ[٢]

فكَسَـوْهُ هـذا اللفـظَ تلبيسـاً وتَـدْ
ليسـاً علـىٰ العُميـانِ والعُـورانِ[٣]

فـاسْتَـنَّ كـلُّ مُنـافـقٍ ومُكَـذِّبٍ
مـن بـاطنـيٍّ قُـرْمُطِـيٍّ جَـانِ

فـي ذا بِسُنَّتِهِـمْ وسَمَّـىٰ جَحْـدَهُ
للحـقِّ تـأويـلاً بـلا فُـرقـانِ[٤]

---

(١) يعني هذا التأويل الذي يستعملونه اصطلاحٌ منهم أحدثُوه ماله وجود.

(٢) هذا هو التأويل الذي تَسَلَّحُوا به في تأويل الأسماء والصفات، وهو التأويل المُحدَث الذي ليس له أصلٌ لا في كلام الله ولا في كلام رسولِهِ ﷺ.

(٣) سمَّوهُ تأويلاً وهو في الحقيقة إلحاد حيث قالوا: المراد بيد الله القُدرة، والمراد بالوجه الذات، والمراد بالرحمة إرادةُ الإنعام، وهكذا يُحرِّفُونها عن معانيها الصحيحة إلىٰ معانٍ لا تدلُّ عليها.

(٤) اقتدىٰ بهم كلُّ ملحد من كلِّ جهمي ومن كل قرمطي من أتباع حمدان قرمط الباطني الرافضي الخبيث، يؤولون النصوص بأنَّ لها ظاهراً وباطناً، يُسمَّون بالباطنية، وهؤلاء الجهمية علىٰ هذا المشرب، وهو تحريف نصوص الوحي عن ظاهرها وتفسيرها بغير حقيقتها.

وأتـــىٰ بتــأويـــلٍ كتــأوِيــلاتِهِـــمْ
شِبْــراً بِشبْــرٍ صــارِخــاً بــأَذانِ[١]
إنَّـــا تـــأَوَّلْنـــا كمـــا أوَّلتُـــمُ
فـأْتُـوا نُحـاكِمْكُـمْ إلـىٰ الـوَزَّانِ[٢]
فــي الكِفَّتَيْــنِ نَحُــطُّ تــأْويــلاتِنَــا
وكـــذاكَ تـــأْويـــلاتِكُـــمْ بـــوِزانِ
هـــذا وقـــد أقـــررتُـــمُ أنّـــا بـــأيْـ
ـــدينـا صـريــحُ العـدلِ والميـزانِ
وغـــدَوْتُـــمُ فيـــه تـــلاميـــذاً لنـــا
أَوَ ليـــس ذلـــك منطـقَ اليـونـــانِ[٣]

---

(١) يقول: لا فرق بين تأويل القرامطة الباطنية وبين تأويل هؤلاء الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، كلُّ طائفة منهم عَزَلت النصوص عن معانيها الصحيحة إلىٰ معانٍ لا تدلُّ عليها لا من قريب ولا من بعيد، أو جمَّدُوها وقالوا: هذه ظواهر لا يعلم معناها إلاّ الله، وفوَّضُوها، ولكن هم في الحقيقة عطَّلُوها عن مدلُولِها.

(٢) يقول الملاحدة والفلاسفة الذين لا يؤمنون بالشرائع: ما الفرق بين تأويلنا وتأويلكم، كُلُّنا عزلنا نصوص الوحي عن دلالتها، وقلنا: لا يُعتمد علىٰ نصوص الوحي، فما الفرق بيننا وبينكم؟.

(٣) يقول الملاحدة للجهمية: أليس هذا المنطق أتاكم من اليونان؟ الذين هم الفلاسفة، الذي بنيتم عليه عقيدتكم، فكيف تتبرؤون منهم؟ وأنتم تمشون في ركابهم، وتستعملُون علومهم التي جلبتموها إلىٰ بلادِكم، وبنيتم عقائدكم عليها؟

مِنَّـا تعلَّمْتُـمْ ونحـنُ شيُـوخُكُـمْ
لا تجحـدُونَـا مِنَّـةَ الإحسـانِ
فَسَلُـوا مبـاحِثكُـمْ سُـؤالَ تفهُّـمٍ
وسَلُـوا القـواعِـدَ ربَّـةَ الأركـانِ
مِـنْ أيْـنَ جـاءتْكُـمْ وأيـنَ أُصولُهـا
وعلـىٰ يـدَيْ مَـنْ يـا أُولِـي النُّكْـرانِ
فـلأيِّ شـيءٍ نحـنُ كُفـارٌ وأنْـ
ـتُـمْ مـؤمنـونَ ونحـنُ مُتَّفِقـانِ(١)
إنَّ النصـوصَ أدلـةٌ لفظيـةٌ
لـم تُفـضِ قـطُّ بنـا إلـىٰ إيقـانِ(٢)
فلـذاكَ حكَّمْنـا العُقُـولَ وأنْتُـمُ
أيضـاً كـذاك فنحـنُ مُصطلِحـانِ
فـلأيِّ شـيءٍ قـد رَمَيْتُـمْ بيننـا
حـربَ الحـروبِ ونحـنُ كـالأخَـوانِ

---

(١) لأيِّ شيءٍ يكون الرومان واليونان وأصحاب المنطق من الفلاسفة والباطنية كفاراً وأنتم تكونون مؤمنين والمشرب واحد ونحنُ شيوخكم، ونحن متفقون علىٰ التأويل وعدم العمل بنصُوص الوحي.

(٢) نحنُ متفقون علىٰ أنَّ النصوص ظواهر لفظية لا تفيد اليقين وإنما الذي يُفيد اليقين هذه القواعد المنطقية وعلم الكلام ولذلك يُسمُّونها: يقينيات عقلية وبراهين، ويسمُّون علم الكلام علم التوحيد، ولذلك لا يذكرون في كتبهم: توحيد الإلٰهية أو العبادة أبداً.

الأصـلُ معقـولٌ ولفـظُ الـوحـي مَعْـ
ــزولٌ ونحــنُ وأنتُــمُ صِنْــوانِ[١]
لا بـالنصـوصُ نقـولُ نحـنُ وأنتُـمُ
أيضـاً كـذاكَ فنحـنُ مُصْطَلحـانِ[٢]
فــذروا عَــداوَتَنــا فــإنَّ وراءَنــا
ذاك العــدُوَّ الثِّقِــلَ ذي الأضغــانِ
فَهُــمُ عــدُوُّكُــمْ وهُــمْ أعــداؤنــا
فجميعُنــا فــي حــربِهِــمْ سِيَّــانِ[٣]
تلـكَ المُجسِّمـةُ الأُولـىٰ قـالـوا بـأنْ
نَ اللهَ فـوقَ جميـعِ ذي الأكـوانِ[٤]

---

(١) الوحي معزولٌ عندنا وعندكم، والاعتماد علىٰ العقل عندنا وعندكم، إذاً لماذا نتعادىٰ؟

(٢) نحن وأنتم لا نحتج بالنصوص فلماذا تُعادوننا؟

(٣) يقولون: انتبهُوا للعدوِّ الصحيح، وهم بذلك يعنون أهل السنة والجماعة المتمسكين بنصوص الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين ومن جاءَ بعدهم، بل يعنون بالذات الرسول ﷺ لكن لا يُصرِّحون بهذا، وهذا ظاهر من مذهبهم.

(٤) سَمَوا أهلَ السنة بالمجسِّمة، لأنَّهم يُثبتُون الأسماء والصفات، لأن الأسماء والصفات عندَهُم لا تقوم إلاَّ بجسم والله منزَّهٌ عن الجسمية، والجسم هذا لم يرد نفيُهُ ولا إثباتُهُ لا في الكتاب ولا في السُّنة، وما لم يرد نفيُهُ ولا إثباتُهُ فنحن نسكت عنه، نتركه ولا نشتغل فيه. وهؤلاء المجسمة قالوا بالعُلوِّ ونحنُ وأنتم لا نؤمن بالعُلوِّ ولا نُقِرُّ به.

وإليـه يصعَـدُ قـولُنـا وفِعـالُنـا
وإليـه تَـرْقَـىٰ رُوحُ ذي الإيمـانِ(١)

وإليْـهِ قـدْ عـرجَ الـرَّسـولُ حقيقـةً
وكـذا ابـنُ مـريـمَ مُصْعَـدَ الأبـدانِ

وكـذاكَ قـالـوا إنَّـهُ بـالـذاتِ فَـوْ
قَ العـرشِ قُـدْرَتُـهُ بكـلِّ مَكـانِ(٢)

وكـذاك يَنْـزِلُ كـلَّ آخـرِ ليلـةٍ
نحـوَ السمـاءِ فَهـاهُنـا جِهتـانِ

لـلابتـداءِ والانتهـاءِ وذانِ لِلْـ
أجسـامِ أيـنَ اللهُ مِـنْ هـذانِ(٣)

---

(١) أي: يقول المجسمة في قوله تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، إن هذه النصوص عندهم تدلُّ علىٰ التجسيم.

(٢) قال المجسمة: إنَّ الله فوق العرش وقُدرتُهُ وعلمُهُ في كلِّ مكان، فهو سبحانَهُ فوق سماواته وفوق عرشه، وعلمُهُ محيطٌ بكلِّ شيء، لا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.

(٣) وكذلك يؤمنون بقول النبي ﷺ «ينزل ربنا إلىٰ سماءِ الدُنيا كَلَّ ليلةٍ حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر»(*) والنزول إنما يكون للجسم وبداية النزول من العُلوِّ ونهايتُهُ إلىٰ السماء الدنيا، وهذا إنما يكون للأجسام.

(*) سلف تخريجه ص٣١٥.

وكـــذاكَ قـــالـــوا إنَّـــهُ مُتكلِّـــمٌ
قـــامَ الكـــلامُ بِـــهِ فيـــا إخْـــوانِ

أيكُـــونُ ذاكَ بغَيْـــرِ حـــرْفٍ أم بِـــلا
صَـــوْتٍ فهـــذا ليـــسَ فـــي الإمكـــانِ

وكـــذاكَ قـــالـــوا مـــا حكيْنـــا عنْهُـــمُ
مِـــنْ قَبْـــلُ قـــولِ مُشَبِّـــهِ الـــرَّحمٰـــنِ

فـــذرو الحِـــرابَ لنـــا وشُـــدُّوا كُلُّنـــا
جَمْعـــاً عليهِـــمْ حَمْلَـــةَ الفُـــرسـانِ

حتـــىٰ نسُـــوقَهُـــمُ بـــأَجْمَعِنـــا إلـــىٰ
وَسْـــطِ العريـــنِ مُمَزَّقـــي اللُّحْمـــانِ[1]

فلقـــد كَـــوَوْنـــا بـــالنصُـــوص ومـــالنـــا
بلقـــائِهـــا أبـــدَ الـــزَّمـــانِ يَـــدَانِ[2]

كـــم ذا يُقـــالُ اللهُ قـــالَ رسُـــولُـــهُ
مِـــنْ فَـــوْقِ أعنـــاقٍ لنـــا وبَنـــانِ

---

(١) العرين: هو موطن الأسد، يعني: دعونا نسوقهم إلىٰ عرين الأسد ونمزقهم شر تمزيق، لأنَّهم يعتقدون بنصوص الكتاب والسنة، فهم مشبِّهةٌ ومُجسِّمة، فهم مرتدون يحتاجُون إلىٰ قِتال مثل ما يُقاتل الكفار.

(٢) هم يعتمدون علىٰ النصوص ونحنُ نعتمد علىٰ العقليات، فهم كوونا بالنصوص، فإذا قلنا: العقل يدلُّ علىٰ كذا، قالوا: القُرآن يدلُّ علىٰ كذا والسُّنة تدلُّ علىٰ كذا، فليس لنا طاقة في مقابلتهم.

إنْ نحـنُ قُلنـا قـالَ أرسطـو المُعلْـ
لِـمُ أولاً أو قـالَ ذاكَ الثـانـي

وكـذاكَ إنْ قُلنـا ابـنُ سِينـا قـال ذا
أو قـالَـهُ الـرازي ذُو التِّبيـانِ

قالوا لنا قال الرسولُ وقال في الْـ
ـقُـرآنِ كيـف الـدفـعُ للقُـرآنِ(١)

وكـذاكَ أنتُـمْ مِنْهُـمُ أيضـاً بِهَـ
ـذا المَنْزِلِ الضَّنْكِ الـذي تـريـانِ

إن جِئْتُمـوهُـمْ بـالعُقُـولِ أتـوْكُـمُ
بـالنَّـصِّ مِـنْ أثَـرٍ ومِـنْ قُـرآنِ

فتحـالَفُـوا إنَّـا عليهِـمْ كُلُّنـا
حَـرْبٌ ونحـنُ وأنتُـمُ سِلْمَـانِ

فـإذا فَـرغْنـا مِنهُـمُ فخـلافُنـا
سَهْـلٌ ونحـنُ وأنتُـمُ أخَـوانِ(٢)

فـالعَـرشُ عنـدَ فـريقنـا وفـرِيقِكُـمْ
مـا فـوقَـهُ أحـدٌ بـلا كِتمـانِ(٣)

---

(١) يُسمُّون الذي يُعلِّمهم الفلسفة المُعلِّم، ويقولون: أهل السنّة يستدلّون بقال الله وقال رسولُهُ، ونحنُ نستدل بقال أرسُطو المعلم الأول أو قال المعلم الثاني، وهو الفارابي، فهم قطعوا أعناقنا بهذا الكلام وتأذينا منهم، فليس لنا إلاّ أن نستأصل شأفتهم بالقوة حتىٰ لا نسمع من يقول: قال الله وقال رسوله.

(٢) لنتخلَّص منهم ثمَّ نصلح ما بيننا نحن وأنتم، لأن مشربنا ومقصدنا واحد.

(٣) نحنُ وأنتم نجحد علوَّ الله علىٰ عرشه، فنحنُ وأنتم سواءٌ في هذا.

مـا فـوقَـهُ شـيءٌ سِـوىٰ العَـدَمِ الـذي
لَا شَـــيءَ فــي الأعيــانِ والأذهـــانِ

مـــا اللهُ مـــوجـــودٌ هُنـــاك وإنَّمـــا الْـ
ـعَدَمُ المُحقِّقُ فـوقَ ذي الأكـوانِ[١]

واللهُ معــــــدومٌ هُنـــــاك حقيقـــــةً
بـالـذاتِ عَكْسَ مقـالـةِ الـدِّيصـانِ[٢]

هــذا هــو التــوحيــدُ عنــدَ فــريقِنــا
وفــريقِكُــمْ وحقيقَــةُ العــرفــانِ[٣]

وكذا جَماعَتُنا علىٰ التحقيقِ في التْـ
ـتَــوراةِ والإنجيـــلِ والفُـــرقـــانِ

ليسَــتْ كـلامُ اللهِ بـلْ فيـضٌ مِـنَ الْـ
ـفَعَّــالِ أو خَلْــقٌ مــن الأكــوانِ[٤]

---

(١) ليس هناك علوٌّ ولا استواءٌ علىٰ العرش، والله جلَّ وعلا ليس داخل العالم ولا خارج العالم، ولا يمين ولا يسار، ولا فوق ولا تحت، فكلُّ الأوصاف التي يصفون الله بها سُلُوب ونفي محض، فهم يصفون الله بالنفي وهذا يُفضي إلىٰ العدم.

(٢) يقولون: الله ليس موجوداً فوق العرش، عكس مقالة أهل الديصان، يُسمُّون أهل السُّنة بالديصانيين، وهم المجوس، فهم يُشبهون أهل السنة بالمجوس من باب التنفير من مذهبهم.

(٣) هذا توحيد الفلاسفة والمتكلمين، وحقيقتُهُ: النفي والعدم.

(٤) نحن متفقون وأنتم علىٰ أنَّ الله ليس له كلام وليست التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن من كلامه وإنَّما هي من كلام المخلوق، أنتم =

فـالأرضُ مـا فيهـا لَـهُ قـولٌ ولا
فـوقَ السَّمـا للخَلْـقِ مـن دَيَّـانِ
بشـرٌ أتـىٰ بـالـوحـيِ وهـو كـلامُـهُ
فـي ذاكَ نحـنُ وأنتُـمُ مِثْـلانِ
ولـذاكَ قُلنـا إنَّ رؤيتَنـا لَـهُ
عينُ المُحالِ وليسَ في الإمكانِ[1]
وزَعمْتُـمُ أنَّـا نَـرَاهُ رُؤْيـةَ الْـ
ـمَعْدُومِ لا المـوجُـودِ فـي البُرهـانِ

= تقولون: إنَّه من كلام جبريل أو هو عبارة عن كلام الله، وأمَّا الفلاسفة فيقولُون: إنَّه فيضٌ من العقل الفعَّال. فلا خلاف بينهم، فنحن وأنتم متفقون علىٰ أنَّهُ ليس لله كلام، وإنما يُنسب لهُ الكلام مجازاً.

(١) كذلك الرؤية التي جاءت في الأحاديث المتواترة أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر وكما يرون الشمس صحواً ليس دُونَها سحاب(*) وكما هو معتقد أهل السنة والجماعة، فالمُخالِفون من الجهمية والمعتزلة الأشاعرة ينفون الرؤية، وكذلك الفلاسفة فهم متفقون علىٰ نفي الرؤية وإن اختلفت عباراتُهم، ويكذبون ما جاء في القرآن كقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] هذا نصٌّ في أنَّها تنظر إليه يوم القيامة، وفي قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] يعني: الكفار فدلَّ علىٰ أن المؤمنين لا يحجبون عن الله جلَّ وعلا بل يرونه.

(*) سلف تخريجه ص٣٣٤.

إذْ كُـلُّ مـرْئـيٍّ يقُـومُ بنفسِـهِ
أو غيْـرِهِ لا بُـدَّ فـي البُـرْهـانِ
مِـنْ أنْ يُقـابِـلَ مَـنْ يـراهُ حقيقـةً
مِـنْ غَيْـر بُعْـدٍ مُفْـرطٍ وتَـدانِ
ولقـدْ تسـاعـدنـا علـىٰ إبطـالِ ذا
أنْتُـمْ ونحـنُ فمـا هُنـا قـولانِ
أمَّـا البَلِيَّـةُ فهـي قـولُ مُجسِّـم
قـال القُرآنُ بـدا مـن الـرحمٰـنِ
هـو قـولُـهُ وكـلامُـهُ منـهُ بـداً
لفظـاً ومعنـىً ليـس يفتـرقـانِ
سَمِـعَ الأميـنُ كـلامَـه منـه وأدْ
دَاهُ إلـىٰ المختـارِ مِـن إنسـانِ[1]
فلَـهُ الأداءُ كمـا الأدا لـرسُـولِـهِ
والقـولُ قـولُ الله ذي السُّلطـانِ

---

(١) يقول الفلاسفة: البلية التي لا بد أن ندفعها قول المجسمة: إن القرآن كلام الله، والأشاعرة يقولون: القرآن بعضه مخلوق وبعضه غير مخلوق، حيث قالوا: معناه غير مخلوق ولفظه مخلوق، وأمَّا الجهمية فإنَّهم أصرحُ في الكفر والضلال حيث قالوا: كُلُّه مخلوق، حروفُهُ ومعانيه، أمَّا أنَّ يقال: إنَّ معناهُ غير مخلوق وألفاظُهُ مخلوقة، هذا تناقُض، فالجهمية أصرح في الكفر في مذهبهم وأجرأ من قول الأشاعرة الذين خلطُوا بين هذا وهذا، وهذا الخلط غير ممكن.

هــذا الــذي قُلنــا وأنتُــم إنَّــهُ
عيــنُ المُحَــالِ وذاك ذو بُطــلانِ[١]

فــإذا تســاعَــدْنــا جميعــاً أنَّــهُ
مــا بيننــا لله مِــن قُــرآنِ

إلاَّ كبيــتِ الله تلــكَ إضــافــةُ الْـ
مخلــوقِ لا الأوصــافُ للــدَّيَّــانِ[٢]

فعــلامَ هــذا الحــربُ فيمــا بيْنَنَــا
مــعَ ذا الــوِفَــاقِ ونحــنُ مُصطلِحــانِ

---

(١) والحق: أنَّ القرآن سَمِعهُ الأمين وهو جبريل عليه السلام من الله وحملَهُ من الله وبلَّغَهُ محمداً ﷺ وبلَّغَهُ محمدٌ للأمة، فالكلام كلام الله والمبلِّغ هو محمد عن جبريل. وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] يعني: جبريل عليه السلام فالمراد به أنَّ جبريل بلَّغَهُ، فقولُهُ قول تبليغ ليس قول إنشاء وابتداء، فنسبته إلىٰ محمد أو إلىٰ جبريل إنَّما هي نسبة تبليغ، فالكلام إنَّما يُضاف إلىٰ من قالَه مبتدئاً لا إلىٰ من قالَه مُبلِّغاً مؤدِّياً، فبداية القرآن إنَّما هي من الله تعالىٰ، وأمَّا مُحمد وجبريل فإنَّهمُا واسطة ومبلغان عن الله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) يقول الفلاسفة لعلماء الكلام: نحنُ وإياكم متفقون علىٰ أنَّهُ ليس لله كلامٌ حقيقةً، وأنَّ هذا القُرآن الذي بأيدينا ليس كلام الله وإنما هو مخلوق، وإضافتُه إلىٰ الله كإضافة المخلوق لخالقه مثل: إضافة الكعبة إلىٰ الله، إضافة مخلوق لخالقه، ومثل عبدُ الله، رسول الله، كذلك كلام الله عندهم هو إضافة مخلوق لخالقه.

فــإذا أبيتُــمْ سِلْمَنــا فتحَيَّــزُوا
لِمقــالــةِ التجسيــم بــالإذعــانِ
عـودوا مُجَسِّمـةً وقُـولـوا دينُنـا الْـ
إثبــاتُ ديــنُ مُشبِّــهِ الــدَّيَّــانِ
أوْ لا فــلا مِنَّــا ولا منهــم وذا
شـأنُ المنـافـقِ إذْ لَـهُ وجهـانِ(١)
هــذا يقــولُ مُجسِّــمٌ وخُصُـومُـهُ
تَــرْميــهِ بــالتعطيــلِ والكُفــرانِ
هُـوَ قـائـمٌ هُـوَ قـاعِـدٌ هـو جـاحِـدٌ
هــو مُثْبِــتٌ تلقــاهُ ذا أَلــوانِ
يــومــاً بتــأويــلٍ يقــولُ وتــارةً
يَسْطُـو علىٰ التـأويـلِ بـالنُّكـرانِ(٢)

---

(١) يقولون: إمّا أنّكم تأتُون معنا أو سيروا مع أئمة التجسيم أهل السنة، وأمّا أنّكم تكونون فريقاً ثالثاً فهذا شأن المنافق الذي له وجهان.

(٢) يقول الفلاسفة لأهل الكلام: كونوا صريحين مثلنا صرِّحوا بالجحود والنفي، أمّا أنّكم تكونون بين الفريقين، فلا أنتم مثبتة ولا أنتم نفاة، فهذا تلوُّن ونفاق، فحيناً تؤولون وحيناً تنكرون التأويل، فمثلاً: يقولون للأشاعرة: في الصفات قسَّمتم الصفات إلىٰ قسمين: قسمٌ أثبتموه، وهو الصفات السبع بزعمكم، وقسمٌ نفيتموه وهو بقية الصفات، فأنتم لستم مثبتة ولستم نفاة، وهذا تناقضٌ، إمّا أن تكونُوا نفاةً خُلَّصاً مثل الفلاسفة والباطنية وإمّا أن تكونوا مثبتين خُلَّصاً كأهل السنة والجماعة، أمّا الجمع بين النقيضين فهذا لا يليق.

فصل

في المطالبة بالفرق بين ما يُتأوَّل وما لا يُتأوَّل(١)

فنقـولُ فَـرْقٌ بيـن مـا أوَّلتَـهُ
ومَنَعْتَـهُ تَفـريـقَ ذي بُـرهـانِ(٢)

فيقـولُ مـا يُفضي إلىٰ التجسيم أوْ
وَلْنـاهُ مِـن خَبَـرٍ ومـن قُـرآنِ

كـالإستـواء مـع التكلُّـمِ هكـذا
لفـظُ النـزولِ كـذاك لفـظُ يـدانِ

---

(١) هذا الفصل عقده الشيخ رحمهُ الله للرد علىٰ الأشاعرة الذين جعلوا الصفات علىٰ قسمين:

قسمٌ يُثبت ولا يُتأول وهو الصفات السبع، وقسمٌ يؤوَّل وهو باقي الصفات، فالشيخ رحمهُ الله يقول في هذا الفصل: ما الفرق بين ما أثبتموه وبين ما نفيتموه؟ إن كان ما أثبتموه دَلَّ عليه دليل فما نفيتموه دَلَّ عليه الدليل، وإن كان ما نفيتموه لم يدلَّ عليه دليل فكذلك ما أثبتموه، فالباب واحد، إمَّا أن تنفُوا الجميع وتكونوا كالمُعَطِّلة الخُلَّص من جهمية ومعتزلة، وإمَّا أن تثبتوا الجميع فتكونوا مع أهل الحق، أمَّا الجمع بين النقيضين فهذا لا يليق بعاقل فضلاً عمَّن يدعي كونَهُ من أهل العلم، وهذا من الإيمان، ببعض الكتاب والكفر ببعضٍ آخر.

(٢) يقول للأشعري: فرِّق بين ما أوَّلته وما أثبته تفريقاً بالدليل والبرهان.

إذ هــذه أوصــافُ جِســمٍ مُحْـدَثٍ
لا ينبغــي للــواحــدِ المَنَّــانِ[١]
فنقُــولُ أنْــتَ وصَفْتَــهُ أيضــاً بِمَــا
يُفْضـي إلـىٰ التَّجْسيـمِ والحِـدْثـانِ
فـوصفْتَـهُ بـالسَّمْـعِ والأبصَـارِ مَـعْ
نَفْـسِ الحيـاةِ وعَلْـمِ ذي الأكـوانِ
ووصفْتَــهُ بمشيئــةٍ مــعَ قُــدْرَةٍ
وكــلامِــهِ النَّفســيِّ وهــو معَــانِ
أو واحـدٌ والجِسْـمُ حـامـلُ هـذه الْـ
أوصــافِ حقــاً فــأتِ بــالفُـرْقـانِ
بيـنَ الـذي يُفضِـي إلـىٰ التَّجْسِيـم أو
لا يَقْتَضِيــهِ بــواضــحِ البُــرهــانِ
واللهِ لَـوْ نُشِـرَتْ شيـوخُـكَ كُلُّهُـمْ
لـم يَقْـدِروا أبـداً علـىٰ الفُـرقـانِ[٢]

---

(١) التفريقِ عندهم أنهم يقولُون: هذه الصفات السبع لا تقتضي التجسيم، وأمَّا بقية الصفات فهي تقتضي التجسيم فلذلك نفيناها، فالجواب: إن كانت الصفات التي نفيتموها تقتضي التجسيم بزعمكم، فإنَّ ما أثبتموه يقتضي التجسيم لا فرق بين هذا وهذا، فأنتم مجسمة فيما أثبتموه ومعطلة فيما نفيتموه، فجمعتم بين التجسيم والتعطيل وهذا تناقض.

(٢) يقول الشيخ للأشعري: والله لو جمعت جميع شيوخك من أوَّلهم إلىٰ آخرهم الذين علَّموك هذا المذهب وقلت لهم: فرِّقُوا بين ما أثبتموه وما نفيتموه، لم يستطيعوا ولن يستطيعوا فهذا دليل علىٰ بُطلان التفريق.

فصل

في ذكر فرقٍ آخر لهُم وبيان بُطلانِهِ(١)

فلـذاك قـال زعيمُهُـمْ فـي نفسِـهِ
فَـرْقـاً سـوىٰ هـذا الـذي تَـريـانِ

هـذي الصفـاتُ عقـولُنـا دلَّـت علـىٰ
إثبـاتهـا مـع ظـاهـرِ القُـرآنِ(٢)

فلـذلـك صُنَّـاهـا عـن التـأويـلِ فـاعْـ
ـجَبْ يا أخا التحقيقِ والعِرفانِ(٣)

---

(١) الفرق الأول يقولُون: ما يقتضي التجسيم ينفىٰ عن الله وما لا يقتضي التجسيم يُثبت لله. اعتمدوا علىٰ التجسيم. والفرق الثاني: هو ما ذكره الشيخ في هذا الفصل.

(٢) يقول: إن الفرق الآخر عندهم إنَّ الصفات السبع دلَّ عليها العقل، وأمَّا بقية الصفات فدلَّ عليها السمع فقط وهو القرآن، ولم يدلَّ عليها العقل، والجواب عن هذا واضح؛ أنَّ العقل إذا كان يدلُّ علىٰ السبع فهو يدلُّ علىٰ البقية، لا فرق بين النوعين، ولو سلَّمنا وفرضنا أنَّ العقل يدلُّ علىٰ السبعة ولم يدلَّ علىٰ البقية، فالبقية دلَّ عليها الوحي المُنزَّل من الله سبحانه وتعالىٰ، والوحي دليلٌ مقدَّم علىٰ العقل.

(٣) يقول الشيخ: اعجب من هذا التناقض، العقل إن كان يدلُّ علىٰ هذه الصفات التي أثبتموها فهو يدلُّ أيضاً علىٰ البقية فالباب واحد، وأيضاً لو فرضنا أنَّ العقل لم يدلَّ علىٰ البقية فقد دلَّ عليها دليلٌ آخر وهو السمع والوحي، فلماذا تتحكمون في الأدلة، تستعملون بعضها وتتركون بعضها؟

كيفَ اعترافُ القومِ أنَّ عُقُولَهُمْ
دلَّتْ علىٰ التَّجْسيمِ بالبُرهانِ
فيُقالُ هلْ في العقْلِ تجْسِيمٌ أمِ الْـ
ـمعقُولُ ننْفيهِ كذا النُّقصَانِ
إنْ قلتُمُ ننفيهِ فانْفُوا هذه الْـ
أوصافَ وانْسَلِخوا مِنَ القُرآنِ[1]
أم قلتُمُ نقضي بإثباتٍ لَهُ
فَفِرارُكُمْ منها لأيِّ مَعَانِ[2]
أو قُلتُمُ نَنْفيهِ في وصْفٍ ولا
نَنْفِيهِ في وصْفٍ بِلا بُرهانِ
فيُقالُ ما الفرقانُ بينهما وما الْـ
ـبرْهانُ فأْتوا الآنَ بالفُرقانِ
ويُقالُ قَدْ شهدَ العِيانُ بأنَّهُ
ذُو حكمةٍ وعنايةٍ وحَنانِ[3]

---

(١) انفوا هذه الأوصاف التي أثبتموها لأنَّهُ إن كان الذي نفيتموه يقتضي التجسيم فما أثبتموه أيضاً فإنَّهُ يقتضي التجسيم.

(٢) وإن قلتم: بأنَّ العقل لا ينفي هذه السبع فالعقل أيضاً لا ينفي بقية الأسماء والصفات.

(٣) يقول: إذا كان العقل يدلُّ علىٰ إثبات ما أثبتموه فهو يدلُّ أيضاً علىٰ إثبات ما نفيتموه، فإذا تأمَّل الإنسان في المخلوقات وفي تباينها واختلافها فهذا يدل علىٰ حكمة الخالق سبحانَهُ وتعالىٰ، فثبتت الحكمةُ أيضاً بدليل =

مــــعَ رأْفَــــةٍ ومحبَــــةٍ لِعبـــادِهِ
أهـــلِ الــوفــاءِ وتــابعــي القُــرآنِ
ولــذاكَ خُصُّــوا بــالكـرامـةِ دون أعْـ
ـــداءِ الإلٰـــهِ وشيعـــةِ الكُفْـــرانِ
وهـو الـدليـلُ لنـا علىٰ غضـبٍ وبُغْـ
ـضٍ منـهُ مـع مَقْـتٍ لـذي العِصْيـانِ
والنـصُّ جـاءَ بهـذه الأوصـافِ مَـعْ
مِثْـلِ الصفـاتِ السَّبْـعِ فـي القُـرآنِ(١)
ويُقَـــالُ سَلَّمْنَـــا بـــأنَّ العقـــل لا
يُفضِـي إليهـا فهـي فـي الفُـرقـانِ
أفَنَفْـــيُ آحـــادِ الـــدليـــلِ يكـــونُ للـ
ـمَدْلُـولِ نَفْيـاً يـا أُوْلـي العِـرفـانِ(٢)

= العقل، وكذلك إتقانُها وإحكامُها وانتظام الخلق وأنَّهُ لا يضطرب ولا يتغيَّر نظامُهُ، هذا دليل علىٰ علم الخالق سبحانَهُ وتعالىٰ وهذا دليل عقلي، كذلك الإحسان إلىٰ أهل الخير وأهل الأعمال الصالحة يدلُّ علىٰ الرحمة والمحبة، والمعاقبة لأهل الذنوب والمعاصي يدل علىٰ أنَّهُ يُبغضهم فدلَّ العقل علىٰ الغضب ودلَّ علىٰ الرضا ودلَّ علىٰ الرحمة.

(١) دلَّ العقل ودلَّ القُرآن علىٰ صفات الله وأنتم تقولون: ليس عليها دليل عقلي.

(٢) نفي الدليل المعين عن شيء لا يدل علىٰ أنَّهُ ليس هناك دليلٌ آخر، فإذا قيل: إنَّ العقل لا يدلُّ علىٰ بقية الصفات، فعدم الدليل المعين لا يدل =

٥٥٠

أو نفـيُ مُطلَقِـهِ يـدُلُّ علـىٰ انتفـا الـ
ـمَـدْلُـولِ فـي عَقْـلٍ وفـي قُـرآنِ
أفبعـدَ ذا الإنصـافِ وَيْحَكُمُـو سـوىٰ
مَحْـضِ العنـادِ ونَخْـوةِ الشَّيْطَـانِ
وتحيُّـزٍ مِنْكُـمْ إليْهِـمْ لا إلـىٰ الْـ
ـقُـرآنِ والآثـارِ والإيمـانِ

* * *

= علىٰ عدم المدلول المعين، لأنَّ الأدلة كثيرة، فنفي الواحد منها لا يدل علىٰ نفي البقية.

فصل

في مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً[١]

واعلَمْ بأنَّ طرِيقَهُمْ عكْسُ الطَّرِيـ
ـــقِ المُستقيـمِ لمـن لـه عَيْنَـانِ

جعَلُوا كـلامَ شيـوخِهِـمْ نصّـاً لـهُ الْـ
إحكـامُ مَـوْزونـاً بِـهِ النَّصَّـانِ

وكـلامَ بـارِيهـم وقـولَ رسـولِهِـمْ
مُتشـابهـاً مُتحَمِّـلاً لمعـانِ[٢]

---

(١) ركَّز علىٰ الأشاعرة بالذات لأنَّهمُ هم الذين لبَّسُوا علىٰ النَّاس بأنَّهمُ أهل السنة ولا يزالون إلىٰ الآن يقولون: إنَّ الأشاعرة هم أهل السنة مع أنَّهم متناقضون ومضطربون، فليسوا من أهل السنة، وليسوا من المعتزلة، وإنَّما هم مذبذبون بين هؤلاء وهؤلاء.

(٢) من بلاياهم أنَّهمُ يتمسكون بأقوال شيوخِهم وقواعد المنطق الذي بنوا عقيدتَهمُ عليه تمسكاً أعمىٰ ويقولون: هذه القواعد لا تحتمل التأويل، بينما يسطون علىٰ كلام الله ورسوله بالتأويل والتحريف، فهم يُعظمون كلام شيوخهم ولا يُعظمون كلام الله ولا كلام رسولـه ﷺ، فلذلك جمدوا علىٰ إثبات هذه الصفات السبع، لأنَّ شيوخهم أثبتوها ونفوا ما عداها، لأنَّ شيوخهم نفوها ولم يرجعوا إلىٰ الكتاب والسنة، فكلام الله =

فتـولَّـدَتْ مِـنْ ذَيْنِـكَ الأصليـنِ أوْ
لادٌ أتَـــتْ للغـــيِّ والبُهتـــانِ(١)
إذْ مِـنْ سِفـاحٍ لا نكـاحٍ كـونُهـا
بئـسَ الـوليـدُ وبئسَـتِ الأبسوانِ(٢)
عرضُوا النُّصُوصَ علىٰ كلامِ شُيوخِهِمْ
فكـأنهـا جيـشٌ لـذي سُلْطـانِ
والعزلُ والإبقـاءُ مـرجِعُـهُ إلىٰ السْـ
سُلطَـانِ دُونَ رعيَّـةِ السُّلْطـانِ
وكـذاك أقـوالُ الشيـوخِ فـإنَّهـا الْـ
ـميـزانُ دُونَ النَّـصِّ والقُـرآنِ
أنْ وافقـا قـولَ الشيـوخِ فمـرحبـاً
أوْ خـالفَـتْ فـالـدفـعُ بـالإحسـانِ

= ورسوله عندهم ظني لكونه محتملاً لعدة معانٍ، فدلالتُهُ ظنية، وأمَّا كلام شيوخهم فهو لا يحتمل التأويل لأنَّهُ قطعي، فهذه البلية التي أُصيبُوا بها.

(١) هذان الأصلان هُما:
١ ـ أنَّ كلام الله ورسوله ظني الدلالة.
٢ ـ أن كلام شيوخهم قطعي الدلالة لا يحتمل التأويل، فتولَّد من هذين الأصلين أولاد سوء ليس لهم نسب، فهم لقطاء.

(٢) تُشبه الثمرات التي تولَّدت عن هذين الأصلين الباطلين تشبه أولاد الزنىٰ الذين هم من سفاح لا نكاح، فكل ما تولَّد عن أصلي الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذي هو قطعية كلام الشيوخ وظنية كلام الله والرسول تولَّد عنهم أولاد زنىٰ وسفاح.

إمَّــا بتــأويــلٍ فــإنْ أعيــا فَتفْـ
ـــويـضٌ ونتـركُهـا لقـولِ فـلانِ[١]

إذ قَــوْلُــهُ نَــصٌ لــدينـا مُحْكَــمٌ
فظــواهِــرُ المنقــولِ ذاتُ معــانِ[٢]

والنَّـــصُّ فهـــو بـــه عليـــمٌ دُوننـــا
وبحـــالِـــهِ مـــا حِيلَـــةُ العُميـــانِ[٣]

إلاّ تمسُّكُهُـــمْ بـــأيـــدي مُبْصِـــرٍ
حتـىٰ يَقـودَهُـمُ كـذي الأرْسـانِ[٤]

---

(١) يقولون عن نصوص القرآن والسنة: إنها ظنية محتملة أو يقولون: غير صحيحة ولا ثابتة، فلا يقولون: إنها باطلة، بل يلتمسون لهم عذراً في عدم قبولها من الاحتمالات، فإذا عجزوا عن تضعيفها من جهة السند والمتن قالوا: نفوض معناها فنقول: لا يعلمه إلا الله، فهي من المتشابه، وهذه فرقة المفوضية ومع ذلك ينسبون التفويض إلىٰ السلف وكذبوا علىٰ السلف في هذا.

(٢) قول الشيوخ عندهم نصٌ لا يقبل التأويل، أمَّا أدلة الكتاب والسُّنة فهي ظواهرُ تحتمل عدة معان.

(٣) شيخهم هو الذي يقودُهُم، وهو يعرف الطريق، وهم لا يعرفُونه، هذه صورتهم معه ـ نسألُ الله العافية ـ يقولون: الشيوخ أعلم مِنّا فلو علموا أنَّ هذا النص يدلُّ علىٰ كذا وكذا لبينُوهُ لنا، أمَّا كونُهم لم يُبيِّنوا فهذا دليلٌ علىٰ أنَّهُ يُفوَّض، أمَّا نحن فلا نفهم وإنَّما نُقلِّدُهُم فقط.

(٤) هم كالحيوانات التي لها أرسان يقُودُها صاحبُها فهم مع شيوخهم مثل الحيوانات، هذه صفتهم ـ نسأل الله العافية ـ.

فـاعجَبْ لعُميَـانِ البصَـائِـرِ أَبْصَـرُوا
كَـوْنَ المُقَلِّـدِ صـاحِـبَ البُـرهَـانِ
ورأوهُ بـالتَّقْلِيـدِ أولـىٰ مِـنْ سـوا
هُ بِغَيْـرِ مـا بَصَـرٍ ولا بُـرهَـان
وعَمُوا عن الوحْيَيْنِ إذ لم يفهَمُوا
معنَـاهُمَـا عجبـاً لـذي الحـرمـانِ[١]
قـولُ الشيـوخِ أتـمُّ تِبيـانـاً مِـن الْـ
ـوَحْيَيْـنِ لا والـواحـدِ الـرحمٰـن[٢]
النقـلُ نقـلٌ صـادقٌ والقـولُ مِـنْ
ذي عِصمـةٍ فـي غـايـةِ التِّبيـانِ[٣]
وسِـواهُ إمَّـا كـاذِبٌ أوْ صَـحَّ لَـمْ
يـكُ قـولَ معصـومٍ وذي تِبيـانِ[٤]

---

(١) حرموا أنفسهم من التفقه في كتاب الله وسنة رسوله بهذه الحُجة الخبيثة، أنّهم لا طاقة لهم بفهم الكتاب والسنة، وإنّما يتبعون الذين يزعمون أنّهم يفهمون الكتاب والسنة، فحرموا أنفسهم من العلم.

(٢) عندهم: أنَّ أقوال الشيوخ أتمُّ بياناً من القرآن، وأقسم الناظم أنَّ هذا كذب، والعكس هو الصحيح، وأنَّ القرآن أتمُّ بياناً.

(٣) نصوص الوحيين: الكتاب والسنة يتوفر فيهما النقل الصادق يعني السند الصحيح، والمتن واضح التبيان ما فيه غموض ولا لبس، فكيف يُعادَل هذا بأقوال الشيوخ التي هي عُرضة للخطأ، والرسول ﷺ معصومٌ عن الخطأ.

(٤) وسوىٰ الوحي إمّا أن يكون سندُه غير صحيح، فكثيراً ما يُنسب إلىٰ العُلماء شيء غير صحيح لم يثبت عنهم، وإن ثبت عنهم فهم غير =

أفيستـوي النقـلانِ يـا أهـلَ النُهـىٰ
والله لا يتمـاثـلُ النقـلانِ[١]

هـذا الـذي ألقـىٰ العـداوةَ بيننـا
فـي الله نحـنُ لأجلـه خَصمـانِ[٢]

نصروا الضلالَة مِن سفاهَةِ رأيِهِمْ
لكـنْ نَصـرْنـا مُـوجِـبَ القُـرآنِ[٣]

ولنـا سلـوكٌ ضِـدَّ مَسْلَكِهِـمْ فمـا
رَجُـلانِ مِنَّـا قـطُّ يلتقيـانِ[٤]

= معصومين وعُرضة للخطأ، وإنما تُعرض أقوالهم علىٰ الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة أخذنا به وما خالف الكتاب والسنة تركناه.

(١) هل يستوي النقلان؟ النقل عن العلماء والنقل عن الله وعن رسوله، لا يستويان أبداً.

(٢) هذا الذي سبَّب العداوة بين أهل السنة وخصومِهم من أهل الضلال، أنَّ أهل السنة يوصون باتباع الكتاب والسنة بعكس أهل الضلال الذين يُقلِّدون شيوخهم.

(٣) فرقٌ بين الحزبين: أهل السنة نصروا الوحيين: الكتاب والسنة وهؤلاء نصروا الضلالة من سفاهةِ رأيهم التي هي اتباع غير الكتاب والسنة.

(٤) لا يمكن الجمع بين ضدين مبتدع وسُنِّي، والضدان لا يجتمعان، وهذا ردٌّ علىٰ من يقولون الآن: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضُنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، فنحن نجتمع إذا وافقونا علىٰ جميع الحق، أما إنَّهمُ يبقون علىٰ ضلالتهم وشرِّهم فهذا لا يمكن.

إنــا أبيْنــا أنْ نَــديــنَ بِمَــا بِــهِ
دانُــــوا مِـــنَ الآرَاءِ والبُهْتَـــانِ
إنــا عــزلنَـاهــا ولــمْ نعبــأْ بِهَــا
يكفـي الـرسُـولُ ومُحْكَـمُ الفُـرقَـانِ
مَـنْ لـم يكـنْ يكفيـه ذانِ فـلا كفـا
هُ الله شَـــرَّ حَـــوادِثِ الأزمـــانِ[١]
مَـنْ لـم يكـنْ يَشْفيـهِ ذانِ فـلا شفَـا
هُ اللهُ فـــي قَلْـــبِ ولا أبـــدانِ
مَـنْ لـمْ يكُـنْ يُغْنيـهِ ذانِ رمـاهُ ربْ
بُ العـرشِ بـالإعـدامِ والحِـرمـانِ
مَـنْ لـمْ يكُـنْ يهْـدِيـهِ ذانِ فـلا هـدا
هُ اللهُ سُبْـــلَ الحـــقِّ والإيمـــانِ
إنَّ الكـلامَ مـع الكبـارِ وليـس مَـعْ
تلــكَ الأراذِلِ سِفْلَــةِ الحيــوانِ[٢]

---

(١) إذا لم يستجيبوا ويتركوا باطلهم وضلالهم فإنَّهُ يوجَّه إليهم هذه الدعوات التي نرجو الله أن يتقبلها منا عليهم.

(٢) يقول: إنَّهمُ ينقسمون إلىٰ قسمين:

قسمٌ أئمة كبار مُقلَّدُون.

وقسمٌ يتبع كل ناعق، فكلامنا ليس مع هؤلاء الغوغاء أتباع كل ناعق وإنَّما كلامُنا مع القادة، لأنَّ القادة لو اهتدوا لاهتدىٰ أتباعهم، لكن =

أوساخِ هـذا الخلْقِ بـلْ أنْتـانِـهِ
جِيَـفِ الـوجُـودِ وأخبَـثِ الإنسـانِ
الطـالبيـنَ دمـاءَ أهـلِ العلـمِ بـالْـ
ـكُفْـرانِ والبُهتـانِ والعُـدوانِ[1]
الشـاتمـي أهـلَ الحـديـثِ عـداوةً
للسُّنَّـةِ العُليـا مـع القُـرآنِ[2]
جعلـوا مسبَّتَهُـمْ طعـامَ حُلُـوقِهِـمْ
فـاللهُ يقْطَعُهـا مِـنَ الأذقـانِ
كِبـراً وإعجـابـاً وتيهـاً زائـداً
وتجـاوُزاً لمـراتِـبِ الإنسـانِ

= المصيبة إذا كان القادة هم الذين يُحرِّضُون أتباعهم علىٰ الضلال ومخالفة الكتابة والسنة.

(١) يُحرِّضُون علىٰ أهل السنة والجماعة دائماً وأبداً عند السلاطين والولاة، وكثيراً ما امتُحن أهل السنة والجماعة بسبب هؤلاء، فما الذي حمل المأمون والمعتصم علىٰ ضرب الإمام أحمد وإهانته إلاَّ بسبب مشورة أحمد بن أبي دُواد وبشر المريسي وخبثاء المعتزلة.

(٢) من هو الذي سبَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه وألَّف المؤلفات في ذَمِّه وذَمِّ دعوته إلاَّ هؤلاء وأذنابهم، ولو اطلعتم علىٰ اعتراض السُّبكي علىٰ هذه النونية وما فيه من الوقاحات والسب والشتم حيث يلعن ابن القيم ويشتمه، ثمَّ تبعَهُ خبيث هذا الزمان الكوثري فعلَّق علىٰ ابن القيم بكتاب «السيف الصقيل في الرد علىٰ ابن زفيل» يسمىٰ ابن القيم ابن زفيل.

لَـوْ كَـانَ هَـذَا مِـنْ وراءِ كِفَـايَـةٍ
كُنَّـا حَمَلْنَـا رايَـةَ الشُّكْـرانِ
لكنَّـهُ مِـنْ خَلْـفِ كُـلِّ تخَلُّـفٍ
عَـنْ رُتْبَـةِ الإيمـانِ والإحسـانِ
مَـن لـي بِشِبْـهِ خـوارجٍ قـد كَفَّـروا
بـالـذنـبِ تـأويـلاً بـلا إحسـانِ(١)
ولهـمُ نصُـوصٌ قَصَّـروا فـي فهَمْهـا
فـأُتُـوا مِـنَ التَّقْصِيـرِ فـي العِـرفَـانِ
وخُصُـومُنـا قـد كفَّـرُونـا بـالـذي
هُـو غـايـةُ التَّـوحيـدِ والإيمـانِ

---

(١) يُقارن بين هؤلاء الضُلَّال من المعتزلة وأتباعهم وبين الخوارج، لأنهم يقولون: أنتم خوارج فهو يريد أن يُبيِّن: من هو الأَوْلَىٰ بالخوارج؟ قارَنَ بينهم، فوجد أنَّ الخوارجَ أحسنُ حالاً منهم، مع ضلال الخوارج إلا أنهم أحسن حالاً من هؤلاء، لأنَّ الخوارج يستدلون بنصوص من القُرآن لكن ما فهموها، والذي يستدل بنصوص من القرآن أحسنُ حالاً من الذي يستدل بقواعد المنطق وعلم الكلام، وأيضاً: الخوارج أبعد الناس عن الكذب لأن الكذب كبيرة وهم يُكفِّرون بالكبائر، وأمَّا هؤلاء فكل بضاعتهم الكذب، ما عندهم إلاَّ الكذب والافتراء فالخوارج أحسن حالاً من هؤلاء.

وأيضاً الخوارج كفَّروا أهل الكبائر وهم فساق، وهذا لا شك غلو وضلال، وهؤلاء كفروا أهل السنة وعلماء الملة وأئمة التوحيد.

فيتبين من هذا: أنَّ الخوارج علىٰ ضلالهم أحسن حلالاً من هؤلاء.

فصل

في بيان كذبهم ورميهم أهل الحقِّ بأنَّهمُ أشباهُ الخوارج وبيان شبههم المُحقق بالخوارج[١]

ومِـن العجـائـبِ أنَّهُـمْ قـالـوا لِمَـنْ
قَـــدْ دانَ بـــالآثـــارِ والقُـــرآنِ

أنتُـــمْ بـــذا مثـــلُ الخـــوارجِ إنَّهُـــمْ
أخذوا الظواهِرَ ما اهتَدوا لمعانِ[٢]

فـانظُـرْ إلـىٰ ذا البُهـتِ هـذا وصفُهُمْ
نَسبُـــوا إليـــه شيعـــةَ الإيمـــانِ

سَلُّـوا علـىٰ سُنَـنِ الـرسـولِ وحِـزبـه
سَيفيـنِ سيـفَ يـدٍ وسيـفَ لِسـانِ[٣]

خَرجُوا عليهم مثلَ ما خَرَجَ الأُوْلَىٰ
مِـنْ قَبْلِهِـمْ بـالبغـي والعُـدوانِ[٤]

---

(١) لمَّا بيَّن المقارنة بين هؤلاء وبين الخوارج أراد أن يُبيِّنَ من هو الأحقُّ بمشابهة الخوارج، هل هم أهل السنة أو هؤلاء؟

(٢) يقول أهل الضلال لأهل السنة: أنتم تشابهون الخوارج لأنكم تأخذون بظواهر النصوص والاستدلال بالكتاب والسنة استدلال بالظواهر.

(٣) هذا في الحقيقة وصفُهم هم، ليس وصف أهل السنة. لأنهم سلُّوا علىٰ الكتاب والسنة سيفين: سيف السلطة، وسيف اللسان بالتحريف والتأويل.

(٤) خرجوا علىٰ أهل السنة مثلما خرج الخوارج علىٰ ولاة المسلمين.

واللهِ مــا كــانَ الخــوارجُ هكــذا
وهُــمُ البُغــاةُ أئمَّــةُ الطُّغْيَــانِ
كَفَّــرْتُــمُ أصحــابَ سُنتــهِ وهُــمْ
فُسَّــاقُ مِلَّتِــهِ فمَــنْ يَلْحــانِــي[(١)]
إنْ قُلْـتُ هُـمْ خيـرٌ وأهـدَىٰ مِنْكُـمُ
واللهِ مــا الفئتــانِ مستــويــانِ[(٢)]
شتَّــانَ بيــن مُكَفِّــرٍ بــالسُّنــة الْـ
ـعُليــا وبيــن مُكفِّــرِ العصيــان[(٣)]
قلتُــمْ تــأَوَّلْنــا كــذاك تــأوَّلُــوا
وكِــلاكُمَــا فئتــانِ بــاغيتــانِ[(٤)]
ولَكُـمْ عليهـم مِيـزةُ التعطيـلِ والتْـ
تَحـريـفِ والتبـديـلِ والبُهتــانِ[(٥)]

---

(١) يقول لهؤلاء الضلال: الخوارجُ كفَّروا فُسَّاق الملة وأنتم كفَّرتم خيرة أهل السُّنة، فأيُّكم أضل؟ وقوله: «فمن يلحاني» أي: من يلومني.

(٢) يقول: إن الخوارجَ علىٰ ضلالهم خيرٌ من هؤلاء الضلال.

(٣) الخوارج كفَّروا العصاة وأنتم كفَّرتم خيرة أهل السنة، فأيُّكم أشدُّ تكفيراً؟!

(٤) قلتم: تأولنا النصوص وحملناها علىٰ غير ظاهرها، وهم تأولوا كذلك، فكلاكما متأول وضال فأنتم أشبه بهم.

(٥) الخوارج ليسوا مُعطلة لأنهم يؤمنون بالأسماء والصفات، وأنتم عطلتم أسماء الله وصفاته فأنتم زدتم علىٰ الخوارج بالتعطيل. فهم أحسن منكم، =

ولَهُـمْ عليكُـمْ مِيـزةُ الإثبـاتِ والتْـ
تَصـديـقِ مـع خـوفٍ مـن الـرحمٰـن
ألكُـمْ علـىٰ تـأويلِكُـم أجـرانِ إذ
لَهُـم علـىٰ تَـأويلِهِـمْ وِزْرانِ[1]
حاشا رسولَ اللهِ من ذا الحُكْمِ بلْ
أنتُـمْ وهُـمْ فـي حُكْمِـهِ سِيَّـانِ[2]
وكـلاهُمـا للنَّـصِّ فهـوَ مُخـالِـفٌ
هـذا وبينكُمَـا مِـنَ الفُـرقـانِ
هُـمْ خـالفـوا نصّـاً لنـصٍّ مِثلِـهِ
لَـمْ يَفْهَمُـوا التَّـوْفيـقَ بـالإحسـانِ

= وعندهم ورع وخوف وعبادة، وصلاة بالليل، وأنتم ليس عندكم خوف ولا عبادة، فهم أحسن منكم من ناحية السلوك.

(١) ما الفرق بين تأويلكم وتأويلهم؟ إن كان تأويلهم خاطئاً فتأويلُكم أشدُّ خطأً، وإن كنتم مصيبين فهم أصوب منكم، لهم من الأجر مثل ما لكم.

(٢) لا هم ولا أنتم من أهل الاجتهاد الذي يُعذَر به ففعلُكم ضلال، والحديث: «إذا حكم الحاكمُ، فاجتهد، فأصاب، فلَهُ أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فلَهُ أجرٌ»(*) هذا في الذي عندَهُ أهلية الاجتهاد.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٩/٣٠٨ (١٧٧٧٤)، والبخاري (٧٣٥٢)، والترمذي (١٣٢٦) من حديث عمرو بن العاص.

لكنَّكُمْ خالَفْتُمُ المَنْصوصَ للشـ
شُبَهِ التي هي فكرةُ الأذهانِ[١]
فلأيِّ شيءٍ أنتُمُ خيرٌ وأقْـ
ربُ منْهُمُ للْحقِّ والإيمانِ
هُمْ قَدَّمُوا المفهومَ مِن لفظِ الكتا
بِ علىٰ الحديثِ المُوجِبِ التِّبيانِ[٢]
لكنَّكُمْ قدَّمتُمُو رأيَ الرِّجا
لِ عليْهِما أفأنْتُما عِدْلانِ
أم هُمْ إلىٰ الإسلامِ أقربُ منْكُمُ
لاحَ الصَّباحُ لِمَنْ لهُ عيْنَانِ
واللهُ يحكُمُ بينكُمْ يومَ الجزا
بالعدْلِ والإنصافِ والميزانِ
هذا ونَحْنُ فمِنْهُمُ بلْ منكُمُ
بُرآءُ إلاّ مِنْ هُدىً وبيانِ[٣]

---

(١) الخوارج اعتمدوا علىٰ نصوص لكنَّهم ما أحسنوا الاستدلال بها، وأمَّا أنتم أيها المعطلة فلم تلتفتوا إلىٰ النصوص أصلاً، وإنَّما عدلتم إلىٰ آراء أئمتكم.

(٢) والخوارج أخذوا ببعض النصوص من القُرآن وأنكرو السُّنة وأنتم أنكرتم: الكتاب والسنة، فأنتم أشدُّ ضلالاً، لأنَّكم تقولون: الكتاب والسنة ظواهر ظنية لا تُفيد اليقين، فأنتم أشدُّ ضلالاً من الخوارج.

(٣) نحنُ بُرآء من الفريقين: برئاء الخوارج ومنكم يا أهل التعطيل.

فـاسـمـعْ إذاً قـولَ الخـوارجِ ثُـمَّ قـوْ
لَ خُصُـومِنَـا واحْكُـمْ بـلا ميـلانِ

مـن ذا الـذي مِنَّـا إذاً أشبـاهُهُـمْ
إنْ كنـتَ ذا علـمٍ وذا عِـرفـانِ(١)

قـالَ الخـوارجُ للـرسُـولِ اعْـدِلْ فَلَـمْ
تَعْـدِلْ ومـا ذي قِسْمَـةُ الـدَّيّـانِ(٢)

وكــذلـك الجَهْمِـيُّ قـالَ نظيـرَ ذا
لكنَّـــهُ قـــد زادَ فـــي الطغيـــانِ(٣)

---

(١) إذاً من هو الأشبه بالخوارج بعد هذا البيان لحال أهل السنة وحال أهل التعطيل.

(٢) كما قالَهُ ذو الخويصرة التميمي للرسول ﷺ حينما قسم عليه السلام الأموال في الفيء فقال لهُ عدوُّ الله: اعدلْ فإنَّك لم تعدل فقال عليه السلام: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل»(*) وظهرت فرقة الخوارج في عصر الخلفاء الراشدين وصار لهم شوكة.

(٣) فالجهمية قالوا أشد من قول ذي الخويصرة، قالوا: قال الرسول: (استوىٰ) والصواب استولىٰ، فلم يعدل الرسول في قوله فالجهمية أشدُّ ضلالاً.

(*) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) (١٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري، وهو في «مسند الإمام أحمد» ١٨/ ٩٤-٩٥ (١١٥٣٧) وفيه تمام تخريجه.

قــال الصوابُ بــأنَّــهُ استــولــىٰ فَلِــمْ
قُلْتَ استوىٰ وعدلْتَ عن تِبيانِ[١]
وكـــذاكَ ينـــزلُ أمـــرُهُ سبحـــانَـــهُ
لِـمَ قُلتَ ينزلُ صـاحـبُ الغُفـرانِ[٢]
مـاذا بعـدلٍ فـي العبـارةِ وهـي مُـوْ
هِمَـــةُ التَّحَـــرُّكِ وانتقـــالِ مكـــانِ[٣]
وكـذاكَ قلـتَ بـأنَّ ربَّـكَ فـي السمـا
أوْهَمْـتَ حَيِّـزَ خــالـقِ الأكـوانِ[٤]

---

(١) يقولون لله: لِمَ قلت: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولم تقل: «الرحمٰن علىٰ العرش استولىٰ» لأنَّ هذا هو الصواب، وأمَّا لفظ «استوىٰ» فهو خطأ.

(٢) كذلك يا محمد، قلت: «ينزل ربنا»(*) ولم تقل: ينزل أمره، حتىٰ يكون الأمر واضحاً، فهم يُخطِّئون الرسولَ ﷺ ويُعاتبونه.

(٣) ما عدلتَ في العبارة، مثل ما قال ذو الخويصرة: ما عدلت في القسمة. ويقولون: النزول يوهم التحرك والانتقال من مكان إلىٰ مكان، والله منزَّه عن ذلك.

(٤) يقولون للرسول: إنك تقول: إنَّ ربـك فـي السماء، مع أَنَّهُ تعالىٰ ليس في مكان، فلا يُقال: في السماء ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارجه ولا ولا.

(*) سلف تخريجه ص٣١٥.

كـــان الصـــوابُ أن يُقـــالَ بـــأنَّـــهُ
فوقَ السما سُلطانُ ذي السلطانِ(١)

وكــذاك قُلْــتَ إليــه يَعْــرُجُ والصَّــوَا
ب إلـــىٰ كـــرامـــةِ رَبِّنـــا المنَّـــانِ(٢)

وكــذاك قُلــتَ بــأنَّ مِنــهُ يَنْــزِلُ الْـ
ـقُــرآنُ تنــزيــلاً مِــنَ الــرحمٰــنِ(٣)

كــان الصــوابُ بــأنْ يُقــال نُــزُولُــهُ
مِــن لَــوْحِــهِ أو مِــنْ محــلٍّ ثــانِ(٤)

---

(١) يقولون: لو قلت أيها الرسول في السماء سُلطانُهُ أو أمره أو ملكه، كان هذا هو الصواب، فهذا أشد من قول الخوارج.

(٢) يقولون للرسول: كذاك قلت: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج: ٤] وهذا خطأ لأن الذي في السماء ويصعد إليه هو أمره وسلطانه، فلم عدلت عن أمره وسلطانه وقلت: «إليه» لأن الضمير يرجع إلىٰ الله وهذا عندهم خطأ.

(٣) عندهم أن تنزيـلَ الكتـاب من اللوح المحفـوظ؛ لأن الله خلقـه فـي اللوح المحفوظ فصار جبريل يأخذهُ من اللوح المحفوظ ولم ينزل من الله.

(٤) فنزوله عندهم من اللوح المحفوظ أو من محلٍّ ثان، المهم أنه ليس تنزيلاً من الله، فهل بعد هذا الكفر كفر؟ نسأل الله العافية.

وتقــولُ أيــن الله؟ ذاك الأيْــنُ مُمْـ

ـتَنِـعٌ عليـه وليـسَ فـي الإمكـانِ[(١)]

لو قُلتَ مَنْ كان الصوابُ كما ترىٰ

فـي القبـرِ يسـألُ ذلـكَ الملَكـانِ[(٢)]

وتقـولُ: أللَّهُـمَّ أنـت الشـاهـدُ الْـ

أعلـىٰ تُشيـرُ بـأصبـعٍ وبَنـانِ[(٣)]

---

(١) يعاتبون الرسول فيقولون تقول للجارية: «أين الله؟»[(*)] والسؤال بهذا اللفظ خطأ من الرسول عندهم، فالواجب أن يُقال: مَنِ الله؟ كما يقوله الملكان للميت: «من ربك»[(**)] هذا هو الصواب لأن «أين» تدل علىٰ المكان والله منزَّه عنه عندهم.

(٢) يقولون للرسول لو قلت: مَن الله؟ فهم يُعدِّلُون علىٰ الرسول ﷺ ويُغلِّطُونَهُ في كلامه، فأين هذه الضلالات من ضلالات الخوارج؟ كما يقول الملكان للميت: «مَنْ ربك»؟ ولم يقولا: أين ربك؟ فرقٌ بين الحديثين.

(٣) كذلك أيضاً من تخطِئتهم للرسول ﷺ أنَّهُ أشار إلىٰ الله في العلو، وذلك في خُطبته ﷺ في عرفة يوم الحج قال: «إنكم مسؤولُون عنِّي فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنَّك قد بلَّغت، فرفع أصبعَه إلىٰ السماء وقال: «اللهم اشهد»[(***)] ورفع أصبعه إلىٰ السماء إشارة إلىٰ عُلُوِّ الله سبحانَهُ وتعالىٰ، فهذه الإشارة أكبر عليهم من القذائف المُدمِّرة ـ والعياذ بالله ـ =

(*) سلف تخريجه ص٣١٩.

(**) سلف تخريجه ص٣٤٢.

(***) سلف تخريجه ص٣٢٧.

=

نحـوَ السمـاءِ ومـا إشـارتُنَـا لَـهُ
حِسِّيَّـةٌ بـلْ تلـكَ فـي الأذهـانِ

واللهِ مـا نَـدْرِي الـذي نُبْـديـهِ فـي
هـذا مِـنَ التـأويـلِ لـلإخـوانِ

قلنـا لهـم إنَّ السَّمَـا هـي قِبْلَـةُ الـدْ
دَاعِـي كبيـتِ الله ذي الأركـانِ[1]

قـالـوا لنـا هـذا دليـلٌ أنَّـهُ
فـوقَ السمـاءِ بـأوضـحِ البُـرهـانِ[2]

= فغلَّطوا رسول الله في رفعه أصبعه إلىٰ السماء وقالوا: لا تجوز الإشارةُ إلىٰ الله في العلو ولا يجوز أن يُقال: أين الله؟ ولا يجوز أن يُقال: استوىٰ علىٰ العرش.

(١) قالوا محرفين الكلام عن مواضعه: إنّ الإشارة إلىٰ السماء ورفع اليدين والتوجه إلىٰ العلو كل هذه الأمور تدل علىٰ أنَّ السماء قبلة الداعي كما أن الكعبة قبلة المصلين، فيقال لهم: هل السماء قبلة؟ أو القبلة: هي الكعبة، أمَّا السماء فليست قبلة، بل نهىٰ النبيُّ ﷺ المُصلِّىٰ أن يرفع بصرَهُ إلىٰ السماء(*)، فالسماء ليست قبلة.

(٢) قال أهل السنة: إنَّ هذه النصوص دليلٌ علىٰ أنَّ الله في السماء، فبماذا تجيبونهم؟

(*) من ذلك ما ورد في حديث جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لينتهين أقوامٌ يرفعون أبصارهم إلىٰ السماء في الصلاة، أو لا ترجع إليهم» أخرجه أحمد في «المسند» ٣٤/٥٢٦ (٢١٠٤٢)، ومسلم (٤٢٨)، وأبو داود (٩١٢)، وابن ماجه (١٠٤٥).

فـالنَّـاسُ طُـرّاً إنَّمـا يـدعُـونَـهُ
مِـنْ فَـوْقِ هـذي فِطـرةُ الـرحمٰـن[١]

لا يسـألُـونَ القِبْلَـةَ العُليـا ولَـ
ـكـنْ يسـألُـونَ الـرَّبَّ ذا الإحسـانِ

قـالـوا ومـا كـانـث إشـارتُـهُ إلـىٰ
غيـرِ الشهيـدِ مُنَـزِّلِ الفُـرقـانِ[٢]

أتـراهُ أمسـىٰ للسَّمَـا مُسْتَشْهِـداً
حاشاهُ من تحريفِ ذي البُهتانِ[٣]

وكـذاك قلـتَ بـأنَّـهُ متكلِّـمٌ
وكـلامُـهُ المسمـوعُ بـالآذانِ

نـادىٰ الكلَيـمَ بِنَفْسِـهِ وكـذاك قـدْ
سَمِـعَ النِّـدَا فـي الجَنَّـةِ الأبـوانِ

وكـذا يُنـادي الخلْـقَ يـومَ معـادِهـمْ
بـالصـوتِ يَسْمَـعُ صـوتَـهُ الثَّقـلانِ

---

(١) توجّه الناس إلىٰ السماء بدون تعليم ولا تدريس فطرة فطروا عليها كما يدل علىٰ أن الله في العلو.

(٢) قال أهلُ السنة: إنَّ إشارة الرسول إلىٰ السماء إنما هي إلىٰ الله، ليست إلىٰ السماء ذاتها.

(٣) فالرسول يستشهد الله تعالىٰ ولا يستشهد السماء.

إنِّـي أنـا الـدَّيَّـانُ آخـذُ حـقِّ مَظْـ
ـلُومٍ مـن العبـدِ الظَّلُـومِ الجـانـي[1]

وتقــولُ إن الله قــالَ وقــائـلٌ
وكـذا يقُـولُ وليـسَ فـي الإمكـانِ

قـولٌ بِـلا حـرفٍ ولا صـوتٍ يُـرىٰ
مِـنْ غيـر مـا شَفَـةٍ وغيـرِ لِسـانِ

أوقعـتَ فـي التَّشبيـهِ والتَّجسيـمِ مَـنْ
لم ينفِ ما قد قُلتَ في الرَّحمٰنِ

لوْ لمْ تقُلْ فوْقَ السماءِ ولمْ تُشِرْ
بــإشــارةٍ حِسِّيَّــةٍ ببنــانِ

وسكـتَّ عـن تلـك الأحـاديـثِ التـي
قـد صَـرَّحَـتْ بـالفـوقِ للـدَّيَّـانِ[2]

---

(١) الأدلة تدلُّ علىٰ أن الله يتكلَّم كلاماً حقيقياً، وأهل السنة يُثبتون ذلك فإنه كلَّم موسىٰ عليه السلام وسمَعَهُ موسىٰ ولذلك سُمِّي موسىٰ كليم الله، وكلَّم الأبوين ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ . . .﴾[الأعراف: ٢٢] فعلمنا أنَّ الذي يُكلِّمهُم هو الله سُبحانهُ وتعالىٰ، وكذلك يُكلِّم عباده حقيقة إذا دخلوا الجنة ويسمعون كلامه ويرونه بأبصارهم رؤية عيان هذا هو مدلول النصوص في الكتاب والسنة وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

(٢) يقترحون علىٰ الرسول ﷺ ويقولُون: لو أنَّك سكتَّ عن هذه الأحاديث ولم تذكرها لكان هذا أحسن، لأنَّها تشبيه. فأيُّ كفرٍ أشدُّ من هذا الكفـر؟

وذكـــرتَ أنَّ اللهَ ليـــسَ بـــداخـــلٍ
فينـــا ولا هُـــو خـــارجُ الأكـــوانِ[١]
كُنا انتصفْنا من أُولي التَّجْسيمِ بلْ
كـــانُـــوا لنـــا أســـرىٰ عِبِيـــدَ هـــوانِ
لَكِـــنْ منحتَهُـــمُ ســـلاحـــاً كُلَّمـــا
شـــاؤوا لنـــا منهُـــمْ أشـــدَّ طِعـــانِ[٢]
وغَـــدَوْا بـــأسهُمِـــكَ التـــي أعطيتَهُـــمْ
يـــرْمـــونَنـــا غـــرَضـــاً بِكُـــلِّ مكـــانِ
لـــوْ كُنْـــتَ تعْـــدِلُ فـــي العبـــارةِ بيْنَنـــا
مـــا كـــانَ يُـــوجَـــدُ بيننـــا رَجْفـــانِ
هـــذا لســـانُ الحـــالِ منهُـــمْ وهـــو فـــي
ذاتِ الصـــدورِ يَغِـــلُّ بـــالكِتمـــانِ[٣]

---

(١) يقولون للرسول: لو أنَّك أتيت بهذه القعيدة فقلت: أنَّ الله لا داخل العالم ولا خارجه، لكُنا انتصرنا بها علىٰ أهل الحديث وأهل السنة وأرحتنا من التأويلات، لكن تركتنا أسرىٰ بين أيديهم، ماذا نقول لهم؟

(٢) يقولون: أعطيتهم سلاحاً علينا من الكتاب والسنة، وما ندري ماذا نعمل بهم؟

(٣) يعني: هذه المقالات التي مرَّت هم لم يقولُوها بألسنتهم، وإنَّما تلزم علىٰ مذهبهم، فهم ما ارتكبوا هذه التأويلات إلاَّ ليُنفسوا عما في صدُورهم من الغل والكمد علىٰ النصوص.

يبـدو علـىٰ فَلَتَـاتِ أَلْسُنِهِـمْ وفـي
صفحـاتِ أوْجُهِهِـمْ يُـرىٰ بعيـانِ[١]

سيمـا إذا قُـرِئ الحـديـثُ عليهـمُ
وَتَلَـوْتَ شـاهـدِهُ مـن القـرآنِ[٢]

فهُنـاكَ بيـنَ النَّـازِعـاتِ وكُـوِّرتْ
تلـكَ الـوُجُـوهُ كثيـرةُ الألـوانِ

ويكـادُ قـائِلُهُـمْ يُصـرِّحُ لـو يُـرىٰ
مِـنْ قـابـلٍ فتـراهُ ذا كِتْمـانِ

يـا قـومُ شـاهـدنـا رؤوسَكُـمُ علـىٰ
هـذا ولـمْ نشهـدْهُ مِـنْ إنسـانِ

---

(١) هذه الاعتقادات في عباراتهم وكلامهم، وفي الأثر: «ما أسرَّ رجلٌ سريرة إلاَّ وأبداها الله علىٰ صفحات وجهه وفلتات لسانه»[*]، فنحنُ يظهر لنا ذلك من فلتات ألسنتهم وتغيُّرات وجوههم عند ذكر النصوص المخالفة لما يعتقدونه.

(٢) هذا الذي يُبيِّن ما عندهم: أنك إذا جئت بالحديث الذي فيه الاستواء والنزول، أو قرأت آيات من القُرآن فيها صفات الله ظهر ما عندهم إمَّا بظهوره علىٰ ألوانهم أو بتغيّر وجوههم.

(*) هذا من قول الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، أورده ابن كثير في «تفسيره» ٧/ ٣٢١، في سورة محمد، تفسير الآية ٣٠.

وهـو الـذي فـي كُتْبِهِـمْ لكـنْ بلُـطْ
ـفِ عبـارةٍ مِنْهُـمْ وحُسْـنِ بيـانِ[١]
وأخـو الجهـالـةِ نسبَـةٌ للفـظِ والْـ
ـمعنـىٰ فنَسْـبُ العَـالِـمِ الـرَّبـانـي
يـا مَـنْ يَظُـنُّ بـأَنَّنـا حِفْنَـا عليْـ
ـهِـمْ كُتْبُهُـمْ تُنْبِيـكَ عـنْ ذا الشَّـانِ
فـانظـرْ تَـرىٰ لكـنْ نَـرىٰ لـك تَـركَهـا
حَـذَراً عليـك مصـايـدَ الشيطـانِ[٢]

---

(١) هذه التأويلات والهجوم علىٰ النصوص مُسجل في كتبهم وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في الأبيات السابقة مخازي الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم من مؤولة الأسماء والصفات، وما صدر منهم ومن أئمتهم من كلام قبيح حول نصوص الكتاب والسُّنة، وأنَّهم يريدون ردَّ الناس إلىٰ علم الكلام وقواعد المنطق، وترك الاستدلال بالكتاب والسنة. لمَّا ذكر هذه الأمور عنهم وذكر المقارنة بينهم وبين الخوارج، الفرقة الضالة التي ضلَّت بسوء الفهم، وذكر أنَّ الخوارج أحسن حالاً منهم علىٰ ضلالهم، خشي رحمه الله أن يقول قائلٌ بعد ذلك: إنّك شدَّدت عليهم أو نسبتَ إليهم ما لم يقولوا، وقوَّلتهم أشياء ما قالُوها، فأجاب عن ذلك: بأن تُراجع كتبهم فكتبهم تُنبىء عن مذهبهم وما يرون، مثل: كتب الرازي والزمخشري والجويني والقشيري وغيرهم من علماء الكلام.

(٢) يقول رحمه الله: هذه الكتب مشحونة بالأباطيل أشد ممَّا ذكرناه عنهم، لكن لا يجوز أن يطَّلع عليها إلا من عندَه بصيرة وعندَه علم يميِّز بين =

فشبــاكُهــا واللهِ لــم يعلــقْ بهــا
مِـن ذي جنـاحٍ قـاصِـرِ الطيـرانِ[١]
إلاّ رأيـتَ الطيـرَ فـي قفـصِ الـرَّدَىٰ
يبكـي لَـهُ نَـوْحٌ علـىٰ الأغصـانِ[٢]
ويظــلُّ يَخْبِـطُ طـالبـاً لخــلاصِــهِ
فَيضِيــقُ عنــهُ فُــرجَــةُ العِيــدَانِ
والذَّنْبُ ذنبُ الطيرِ أخْلَىٰ طَيِّبَ الثَّـ
ـمَـراتِ فــي عــالٍ مــن الأفنـانِ[٣]

= الحقِّ والباطل، ولا يطَّلع عليها إلاَّ أهل العلم المتخصصون في العلم خشية التأثر بها.

(١) الشباك هي التي تُنصب لصيد الطيور، وهذا تشبيه لهذه الكتب وما فيها من الخداع والمكر وزخرف القول بالشباك التي تُنصب للطيور ويُجعل فيها الحَبّ فيأتي الطائر ويعلق بهذه الشباك ولا يتخلَّص منها، كذلك الطالب المبتدىء الذي ليس عندَهُ تمكُّن حينما يطلع علىٰ ما في هذه الكتب فإن فيها شباكاً تُمسِكُه وتؤثِّر فيه وفي فكره وعقله فلا يستطيع التخلص منهـا، بخلاف العالم المتمكن فإنَّ هذه الشبـه لا تنطلي عليه لأنَّهُ يعرف بُطلانها ويسبُر أغوارَها، ويحسن التخلص منها فلا تروج عليه هذه التُّرَّهات.

(٢) إذا وقع فيها ولم يستطع أن يتخلَّص منها فالذنب ذنبه؛ لأنه ترك الأغصان الرفيعة والثمار الطيبة وهي الكتاب والسنة وعلم السلف ووقع في هذه الحُفر فلم يستطع بذلك الخروج من هذا المأزق لأنَّهُ ليس عندَهُ تمكُّن.

(٣) يقول الذنب ذنب هذا الطائر، وكذلك الذنب ذنب طالب العلم الذي ليس عندَهِ تمكُّن، فالطائر ترك تلك الثمار الشهية والأغصان العالية وهبط =

وأتـى إلـىٰ تلـكَ المـزابـلِ يبتَغـي الْـ
ـفَضَـلاتِ كـالحشـراتِ والـدِّيـدَانِ
يـــا قـــومُ واللهِ العظيـــمِ نصيحـــةٌ
مِـــنْ مُشفِـــقٍ وأخٍ لكُـــمْ مِعْـــوانِ
جَـرَّبْـتُ هـذا كُلَّـهُ ووقعـتُ فـي
تلـكَ الشبـاكِ وكنـتُ ذا طيـرانِ(١)
حتـــىٰ أتـــاحَ لـــي الإلٰـــه بفضلِـــهِ
مَـن ليـسَ تَجـزيـه يـدي ولسـانـي
حَبْـرٌ أتـىٰ مِـن أرضِ حَـرّانٍ فيـا
أهـلاً بمـن قـد جـاءَ مِـنْ حَـرَّانِ(٢)

= إلىٰ هذه المزابل، التي عليها شباك أمسكته، كذلك الطالب غير المتمكن، ترك الكتاب والسنة وعلوم السلف، ولجأ إلىٰ هذه الكتب الرديئة والأفكار المنحرفة فصار يُطالع فيها حتىٰ أسرته ولم يستطع التخلُّص منها ليلجأ إلىٰ العلوم النافعة، فياله من تحذيرٍ بليغ وتشبيهٍ لطيف منه رحمه الله.

(١) يضرب مثلاً بنفسه: أنَّهُ جرَّب هذه الأمور، وحكىٰ حكايةَ مُجرِّبٍ أنَّهُ طالع في هذه الكتب وليس عندَهُ تمكن فتأثَّر بها، وكان في الأول طائراً حرّاً فلما قرأها أسرته وما زال يعاني منها حتىٰ هيأ الله لهُ من يُخلِّصُه من أهل العلم وهذا يدل علىٰ أن العلم يؤخذ عن العلماء الراسخين ولا يؤخذ عن أهل الضلال والمتعالمين. ولا يؤخذ عن الكتب كما عليه متعالمة الوقت.

(٢) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والحبر معناه: العالم الغزير العلم، وأرض حرَّان: في أقصىٰ بلاد الشام وفيها منشأ شيخ الإسلام ابن تيمية ولذلك يُقالُ لهُ: «الحرَّاني» نسبةً إلىٰ حرَّان، فلما جاء التتار إلىٰ =

فـالله يَجْـزِيـه الـذي هُـو أهلُـهُ
مِنْ جَنَّةِ المأوىٰ مع الرِّضوانِ[1]

أخـذَتْ يـداه يـدي وسـارَ فلـم يَـرِمْ
حتـىٰ أرانـي مَطْلَـعَ الإيمـانِ[2]

ورأيـتُ أعـلامَ المـدينـة حـولهـا
نُـزُلُ الهـدىٰ وعسـاكـرُ القُـرآنِ[3]

= البلاد الشامية انتقل والده عبد الحليم من أرض حرَّان إلىٰ دمشق وكان معه ابنه (أحمد) صغيراً، وجاؤوا بمكتبتهم علىٰ عربةٍ يجرُّونها من حرَّان إلىٰ دمشق، فنشأ الشيخ رحمه الله علىٰ العلماء، وعكف علىٰ كتب السلف، وتروَّىٰ منها وتبصَّر فيها حتىٰ تمكن من العلم النافع، وهذا بسبب صدق النية وتحري الحق في وقتٍ كان هؤلاء المعطلة مستولون علىٰ البلاد وعلىٰ القضاء وعلىٰ التدريس، فظهر هذا العالم وكان ظهوره من حكمة الله ورحمته للمسلمين.

(١) هذا وفاءٌ منه لشيخه، وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يفي لشيوخه الذين دلُّوه علىٰ الطريق الصحيح وأخذوا بيده عن مواطن العطب يوفيهم حقهم، وأن يعترف بفضلهم ويُثني عليهم.

(٢) أخذت يدا شيخ الإسلام يد ابن القيم، فأمسكه ولم يتركْهُ حتىٰ أراهُ مطلع الإيمان، يعني أوردَهُ الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح فتروَّىٰ منهما وشرب منهما، وترك ما كان عليه من قبل من علوم هؤلاء، فهذا إنقاذ له وتيسير من الله تعالىٰ.

(٣) منبع العلم من مدينة رسول الله ﷺ لأنها أرض الهجرة ودار الجهاد ومكة المشرفة دار البعثة ومصدر الدعوة فمنبع الإيمان من أرض الحجاز، وأما منبع المنطق وعلم الكلام فهو من أثينا في بلاد اليونان.

ورأيــتُ آثــاراً عظيمــاً شــأنُهــا
محجــوبــةً عــن زُمْــرَةِ العمْيــانِ
ورأيــتُ أكــوازاً هُنــاك كثيــرةً
مِثْــلَ النُّجــومِ لــواردٍ ظمــآنِ
وَوَرَدْتُ رأْسَ المـاءِ أبيـضَ صـافِيـاً
حَصْبــاؤُهُ كــلآلــىءِ التِّيجــانِ
ورأيتُ حوضَ الكوثرِ الصافي الذي
لا زالَ يَشْخُــبُ فيــه ميــزابــانِ
ميــزابُ سُنَّتــهِ وقــولُ إلٰهِــهِ
وهُمــا مــدَى الأزمــانِ لا يَنِيــانِ(١)
والنــاسُ لا يَــرِدُونَــهُ إلاَّ مِــنَ الْـ
آلافِ أفْــــراداً ذوي إيمــــانِ

---

(١) يعني مصدر الشريعة، شَبَّهَهُ بالحوض النبوي الذي أعطاهُ الله نبيَّهُ محمداً ﷺ وتردُهُ أمتهُ يوم القيامة، «من شرب منه فلا يظمأ بعدَهُ أبداً»(*) كذلك حوض الشريعة التي أوردها محمد أمته يشخب فيه ميزابان هما: القرآن والسنة، وهذا الحوض لا يَرِدُهُ إلاَّ أهلُ السُّنة، أمَّا أهل البدع فإنَّهم يُذادُون عنه، والكتاب والسنة محفوظان، ومن أراد الهداية وجدها في هذين المصدرين العظيمين، لأنَّ الله تكفَّل بحفظهما: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(*) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وردُوا عِـذابَ منـاهـلٍ أكْـرِمْ بِهـا
وورِدْتُـمُ أنتُـمْ عـذابَ هـوانِ

فبحـقٍّ مَـن أعطـاكُـمُ ذا العَـدْلِ والْـ
إنصـافِ والتخْصِيصِ بـالعِـرفـانِ[1]

مَـنْ ذا علـىٰ ديـنِ الخـوارجِ بعـدَ ذا
أنتُـمْ أم الحَشَـويُّ مـا تَـريـانِ[2]

واللهِ مـا أنتُـمْ لـدىٰ الحَشْـوِيِّ أهْـ
ـلاً أنْ يُقَـدِّمَكُـمْ علـىٰ عُثْمـانِ[3]

فضْلاً عن الفارُوقِ والصِّدِّيقِ فَضْـ
ـلاً عـنْ رسُـولِ اللهِ والقُـرآنِ

---

(١) يتهكم بهم ويقول: بحقٍّ من أعطاكم هذا الفهم الذي زعمتموه لأنفسكم وأنَّكم أهل الحق، بعد ما بيَّنا لكم صفات أهل الحق وصفات خصومهم، من هو الأولىٰ بهذا اللقب الذي تقولونَهُ، وهو وصف الخوارج نحنُ أم أنتم.

(٢) لأنَّهمُ لما قالوا: إنَّ أهل السُّنَّةِ يُشبهون الخوارج، فلمَّا بيَّن أوصاف أهل السنة وأوصاف خصومهم طالبهم أن يُبيِّنوا مَن هو الأولىٰ بهذا الوصف ومن هو الأقرب والأشبه بالخوارج؟

(٣) يسمون أهل السنة حشوية: بمعنىٰ أنَّهمُ فضُول في الناس ليس لهم قيمة فهم من الحشو: الذي ليس له قيمة، فهو يتنزل معهم ويقول: هؤلاء الذين تسمونهم حشوية وخوارج وأنتم تزعمُون أنَّكم علىٰ حق وأهل علوم ومعرفة، أنصفونا أيُّنا علىٰ الحق؟

والله لو أبصرتم لرأيتم الـ
ـحشوي حامل راية الإيمان(١)
وكلام رب العالمين وعبده
في قلبه أعلى وأكبر شان(٢)
من أن يحرف عن مواضعه وأن
يقضى له بالعزل عن إيقان
ويرى الولاية لابن سينا أو أبي
نصر أو المولود من صفوان(٣)
أو من يتابعهم على كفرانهم
أو من يقلدهم من العميان
يا قومنا بالله قوموا وانظروا
وتفكروا في السر والإعلان

---

(١) لو أنصفتم لرأيتم هذا الذي تسمونه الحشوي هو حامل راية القرآن، لأنه هو المتبع للكتاب والسنة.

(٢) هذا الذي تسمونه حشوي لا يقدم على كلام الله ولا كلام رسوله كلام أحد.

(٣) الولاية: يعني المحبة، أي أن صاحب الضلال يرى الموالاة لأقطاب أهل الضلال، مثل ابن سينا رأس الفلاسفة، وأبي نصر الفارابي الذي يسمونه المعلم الثاني والجهم بن صفوان السمرقندي أو الترمذي، هؤلاء هم قدوة هؤلاء الذين أخذوا منهم علمهم وعقيدتهم.

نظـراً وإن شئتُـمْ مُنـاظَـرةً فمِـنْ
مثنـىٰ علـىٰ هـذا ومِـن وُحْـدانِ[١]

أيُّ الطَّـوائِـفِ بعْـدَ ذا أدنـىٰ إلـىٰ
قـوْلِ الـرَّسُـولِ ومُحكَـمِ القُـرآنِ

فـإذا تبيَّـن ذا فـإمَّـا تَتْبَعُـوا
أو تَعْـذِروا أو تُـؤْذِنُـوا بطعـانِ[٢]

* * *

(١) يقول لهم: فكِّروا وتأملوا، واجتمعوا إمَّا مثنىٰ أو فُرادىٰ للتفكر هذا شيء، والشيء الثاني: ندعوكم إلىٰ المناظرة بيننا وبينكم كلٌّ يدلي بما عنده ويُجيب عن حُجة خصمه.

(٢) بعد التفكر والمناظرة، إمَّا أن تتبعوا الكتاب والسنة إن كنتم منصفين، وإمَّا أن تُعلنوا مخالفتكم للكتاب والسنة جهاراً، وإلاّ أعلنوا الحرب بيننا وبينكم.

فصل

في تلقيبهم أهل السنة بالحشوية وبيان من أولىٰ بالوصف المذموم من هذا اللقب من الطائفتين وذكر أوَّل مَنْ لَقَّبَ به أهل السنة من أهل البدع(١)

وَمِنَ العجائبِ قولُهُمْ لِمَنِ اقتَدَىٰ
بـالـوحـيْ مِـن أثـرٍ ومـن قُـرآنِ
حَشْـوِيَّـةٌ يعنـونَ حَشْـواً فـي الـوجُـو
دِ وفَضْلَـةً فـي أُمَّـةِ الإنسـانِ(٢)
ويَظُـنُّ جـاهلُهُـم بـأنَّهُـمْ حَشَـوْا
رَبَّ العِبـادِ بـداخـلِ الأكـوانِ(٣)

---

(١) انتقل إلىٰ بيان لقب آخر يُلقبون به أهل السنة، وهو لقب الحشوية، بمعنىٰ أنَّهم لا قيمة لهم في الناس، لأن الحشو: هو الشيء الذي لا قيمة له ولا فائدة فيه، فهذا رأي أهل الضلال في أهل السنة، لأنَّهم أخذوا بظواهر الكتاب والسنة ولم يتعمقوا بزعمهم في الفهم، أمَّا أصحابهم فإنَّهم تعمقوا في الفهم والاستدلال وقواعد المنطق وعلم الكلام فهم أهل العقول وأهل الرأي السديد بزعمهم.

(٢) أي: لا قيمه لهم، فهم فضلة وحَشْوٌ فليس عندهم إلا قال الله وقال رسوله، وليس عندهم معرفة بعلم المنطق وعلم الكلام.

(٣) وجُهَّالهم يفسرون الحشوية: بأنَّهم وصفوا الربَّ بأنَّهُ في السماء وإذا كان في السماء فمعناه: أنَّهم حشوه داخل الكون.

إذْ قولُهمْ فوقَ العبادِ وفي السَّما
ءِ الرَّبُّ ذُو الملكُوتِ والسُّلْطَانِ

ظنَّ الحميرُ بأنَّ في للظرف والرْ
رَحمٰن مَحْوِيٌّ بظرفِ مكانِ[1]

واللهُ لم يَسمعْ نِداً مِنْ فِرقَةٍ
قالَتْهُ في زَمَنٍ من الأزمانِ[2]

لا تَبْهَتُوا أهلَ الحديثِ بِهِ فما
ذا قولُهُمْ تَبّاً لذي البُهتانِ

بل قولُهُمْ إنَّ السمٰواتِ العُلىٰ
في كَفِّ خالقِ هذهِ الأكوانِ

حقّاً كَخَرْدَلَةٍ تُرىٰ في كفِّ مُمْـ
ـسِكِها تعالىٰ اللهُ ذو السلطانِ[3]

---

(١) وصفهم بالحمير للبلادة، في أفهامهم وعدم فقههم في كتاب الله حيث فسَّرُوا «في» التي في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] للظرفية.

(٢) ما قال أحدٌ من الخلق مؤمنهم وكافرهم: إنَّ الله داخل السماوات وأنَّ السماوات تحويه، ما قال هذا أحد فضلاً عن أن يقوله أهل السنة وأهلُ البصيرة، فهم رموا بهذا القول أهل السنة لشدة عداوتهم لهم.

(٣) كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] فالسماوات والأرض =

أتـرونَـهُ المحْصُـورَ بعـدُ أمِ السَّمـا
يـا قـومَنـا ارتَـدِعُـوا عَـنِ العُـدْوانِ

كـم ذا مُشبِّهَـةٌ وكـمْ حشْـوِيَّـةٌ
فـالبُهْـتُ لا يخفـىٰ علـىٰ الـرَّحمَـنِ

يـا قـومُ إنْ كـان الكتـابُ وسنةُ الْـ
ـمختـارِ حَشْـواً فـاشْهـدُوا ببيـانِ

إنَّــا بحمــدِ إلٰهِنــا حَشْــوِيَّــةٌ
صِـرْفٌ بـلا جَحْـدٍ ولاى كِتمـانِ[1]

تـدْرونَ مَـن سَمَّـتْ شيـوخُكُـمُ بهـ
ـذا الإسْمِ في الماضي مِنَ الأزمانِ

سمَّـىٰ بـه ابـنُ عُبيـدٍ عبـدَ الله ذا
كَ ابـنُ الخليفـةِ طـاردِ الشيطـانِ[2]

= في كفِّ الرحمٰن كخردلة في يد البشر، وذلك لعظم الله تعالىٰ وصغر المخلوقات بالنسبة إليه.

(١) إن كان متبع الكتاب والسنة حشوياً فنحن حشوية، فالعبرة بالمعاني ولا تكون بالألفاظ وتلقيبكم لنا بالحشوية أو المشبهة، هذه ألفاظٌ لا تضرُّنا.

(٢) لقب الحشوية قديم عندكم وليس بجديد، فإمامكم الذي هو عمرو بن عبيد المعتزلي لَقَّبَ به عبد الله بن عمر صاحب رسول الله ﷺ لأنَّهُ يأخذ بالكتاب والسنة، وعمرو بن عبيد يأخذ برأي المعتزلة الذين ظهروا في عصر التابعين، وعمر بن الخطاب والد عبد الله الذي لقبه إمامكم =

فـورِثْتُـمُ عَمْـراً كمـا وَرِثُـوا لِعَبْـ
ـــد الله أنَّـىٰ يستـوي الإرْثـانِ[1]

تَـدْرونَ مَـنْ أوْلـىٰ بهـذا الإسـمِ وَهْـ
ـــو مُنـاسـبٌ أحـوالَـهُ بِـوِزانِ

مَنْ قد حشا الأوراقَ والأذهانَ مِنْ
بِـدعٍ تُخـالِـفُ مُـوجِـبَ القُـرآنِ

هـذا هُـوَ الحَشْـوِيُّ لا أهـلُ الحديـ
ـــثِ أئمـةُ الإسـلامِ والإيمـانِ[2]

وَرَدُوا عِـذابَ مناهِـلِ السُّنَـنِ التـي
لَيْسَـتْ زِبـالَـةَ هـذه الأذهـانِ

= بالحشوي قال فيه ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قطُّ سالكاً فجاً، إلا سلك فجّاً غيرَ فجِّك»[*] لقوة إيمانه وصلابتِهِ في الحق.

(١) أهل السنة ورثوا عبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنتم ورثتم عمرو بن عُبيد المعتزلي الخبيث فأيُّ الإرثين أحق بهذا اللقب؟

(٢) يقول: أنتم الحشوية الذين حشوتم الأوراق والدفاتر بالكلام الباطل والمذاهب الخبيثة، وهذا كُلُّهُ يؤخذ منهُ الرد علىٰ أهل الباطل وبيان فضائحهم، فهم الحشوية، أمَّا أهل الحق فإنَّهم ملؤوا الأوراق بالحق والعلم النافع وملؤوا الأذهان بالهداية ونور الحق.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٧٢ (١٤٧٢)، والبخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعبد بن أبي وقاص.

وورَدْتُمُ القَلُّوطَ مَجرىٰ كلِّ ذي الْـ
أوسـاخِ والأقـذارِ والأنتـانِ[١]

وكَسَلْتُـمُ أنْ تصعـدُوا لِلْـورْدِ مِـنْ
رأسِ الشـريعـةِ خَيْبَـةَ الكسـلانِ[٢]

* * *

---

(١) بيَّن موارد أهل السنة وموارد أهل التعطيل، فموارد أهل السنة أعذب الموارد من الكتاب والسنة، وأمّا موارد أهل التعطيل فهي المجاري المختلطة بالبول والعذرة. والقُلوط: نهرٌ جارٍ في الشام تَنْصَبُّ إليه الأقذار وأوساخ البيوت ويمتلىء بالقاذورات.

(٢) تكاسلتم عن ورود الشريعة، فهبطتم إلىٰ ورود القلُّوط والموارد الخبيثة فياخيبة الكسلان مثلكم الذي تكون موارده خبيثة من البول والغائط ونحوهما.

فصل

في بيان عُدوانِهم في تلقيب أهل القُرآن والحديث بالمُجَسِّمة وبيان أنَّهمُ أوْلىٰ بكلِّ لقبٍ خبيث[1]

كم ذا مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نوا
بِتَةٌ مَسَبَّةُ جاهلٍ فتَّانِ[2]

---

(١) ما زال الناظم رحمه الله يُبيِّن أقوال أهل الضلال في تنقُّص أهل السنة ورميهم بالألفاظ الشنيعة، ومنها وصفهم لهم بأنَّهمُ يقولون عن الله بأنَّهُ جسم؛ لأنهم يثبتون له الصفات، والصفات بزعمهم لا تقوم إلاَّ بجسم، والأجسام متشابهة، فهذا فيه تشبيه وتجسيم، وهذا من البهتان، لأنَّ إثبات الصفات لا يقتضي التجسيم، لأنَّها صفاتٌ تليق به ولا تشابُهها صفات الأجسام من المخلوقين، وأيضاً: لفظ الجسم لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيُهُ ولا إثباتُهُ فهو من مصطلحات علماء الكلام ونحنُ لا نلتفتُ إليه، فإذا كان عندكم أنَّ إثبات الصفات يقتضي التجسيم فاشهدوا علينا بأننا مُجسِّمة، وهذا لا يضرُّنا ما دمنا علىٰ الحق؛ لأن العبرة بالحقائق وليست بالألفاظ، فإذا كان إثباتُ الصفات تجسيماً عندكم فنحنُ لا نترك ذلك بسبب هذا اللقب الذي اخترعتموه، وأكثر ما يُطلقون ذلك علىٰ الحنابلة لأنَّ إمامَهم أحمد بن حنبل يثبت الصفات ويعمل بالحديث.

(٢) يلقبون أهل السنة بهذه الألقاب فيقولون: إنهم مُشَبِّهَةٌ؛ لأنَّهم يثبتون الأسماء والصفات، وإثباتها عندهم تشبيه؛ لأنها توجد عند المخلوقين فإذا أُثبت لله لزم مشابهة المخلوقين. والجواب عن هذا واضح: أنَّ أسماء الله وصفاته تليقُ به سبحانَهُ ولا تشبه صفات المخلوقين، فهناك فرقٌ عظيم بين الخالق والمخلوق في ذاته وفي أسمائه وصفاته، ويقولون: =

أسْمـاءُ سَمَّيْتُـمْ بِهـا أهْـلَ الحَـديـ
ـثِ ونـاصِـرِي القُـرآنِ والإيمـانِ
سَمَّيْتُمُـوهُـمْ أنتُـمُ وشُيُـوخُكُـمْ
بَهْتـاً بِهـا مِـنْ غَيْـرِ مـا سُلْطـانِ
وجعلتُمُـوهـا سُنَّـةً لِتُنَفِّـروا
عنهُـمْ كفعـلِ السـاحـرِ الشيطـانِ[1]
مـا ذَنْبُهُـمْ واللهِ إلا أنَّهـمُ
أخـذوا بـوحـي اللهِ والفُـرقـانِ[2]
وأَبَـوْا بـأنْ يتحيَّـزوا لمقـالـةٍ
غيرِ الحـديـثِ ومُقتضـىٰ القُـرآنِ[3]
وأبَـوْا يَـدِينُـوا بـالـذي دِنْتُـمْ بـه

= نوابتة، أي: هم شيءٌ حادثٌ في الإسلام مع أنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. وهذا جحودٌ لما كان في الكتاب والسنة وعليه السلف الصالح من أنَّ إثبات الأسماء والصفات جاء به الإسلام وليس أمراً حادثاً، والحقيقة أنَّ هذا ينطبق عليهم، مبتدعة ونوابت فهم يُلقِّبُون أهل السنة بما ينطبق عليهم.

(١) افتريتم هذه الألفاظ لتُنفِّروا الناس عن أهل السنة والجماعة. هذا هو الغرض، وهذا متكررٌ من أهل الضلال في كلِّ زمان وفي وقتنا هذه يصفونهم بأنهم رجعية ومتخلفون وإرهابيون وغلاة.

(٢) ذنبهم عند أهل الضلال أنَّهمُ أخذوا بنصوص الكتاب والسنة، وهذا في الحقيقة ليس بعيب بل هو الحق كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

(٣) أخذوا بالنصوص وأبوا أن ينحازوا لأيِّ مذهب إلاّ للقرآن والسنة، هذا ذنبهم عند أهل الضلال.

مِـــن هـــذِهِ الآراءِ والهَـــذيـــانِ[١]

وصَفُوهُ بالأوصافِ في النَّصَّيْنِ مِنْ
خَبَـــرٍ صحيـــحٍ ثُـــمَّ مِـــنْ قُـــرآنِ

إنْ كـــانَ ذا التَّجسِيـــمُ عنْـــدَكُـــمُ فيـــا
أهـــلاً بِـــهِ مـــا فيـــهِ مِـــنْ نُكْـــرانِ

إنَّـــا مُجسِّمَـــةٌ بِحَمْـــدِ اللهِ لَـــمْ
نَجْحـــدَ صِفـــاتِ الخَـــالِـــقِ الـــدَّيـــانِ

واللهِ مـــا قـــالَ امـــرؤٌ مِنَّـــا بـــأنْ
نَ اللهَ جِسْـــمٌ يـــا أُوْلـــي البُهتـــانِ[٢]

واللهُ يعلـــمُ أنَّنـــا فـــي وَصْفِـــهِ
لَـــمْ نَعْـــدُ مـــا قَـــدْ قـــال فـــي القُـــرآنِ[٣]

أو قـــالَـــهُ أيضـــاً رسُـــولُ اللهِ فَهْـــ
ـــوَ الصَّـــادِقُ المَصْـــدُوقُ بـــالبُـــرهـــانِ

---

(١) أبوا أن يأخذُوا مذهبكم الذي هو عبارة عن الهذيان وآراء رجال، ليس فيه من كتاب الله ولا من سنة رسوله.

(٢) الجسم لفظٌ محدث، أنتم الذين وضعتموه، ونحنُ لا نترك الحق لأجل هذه الاصطلاحات التي وضعتموها.

(٣) نحن متمسكون بالقرآن نقول بما جاء به القرآن، وليس في القرآن لفظ الجسم لا نفياً ولا إثباتاً، فهو لفظ مبتدع من مصطلحات المتكلمين.

أو قـالَـهُ أصحـابُـهُ مِـنْ بعـدِهِ
فهُـمُ النُّجـومُ مطـالِـعُ الإيمـانِ
سَمُّـوهُ تَجْسيمـاً وتَشْبيهـاً فَلَسْـ
ـنا جاحِديه لـذلـك الهَـذَيـانِ[1]
بـل بيننـا فَـرْقٌ لطيـفٌ بـل هُـو الْـ
ـفـرقُ العظيـمُ لِمـنْ لـهُ عَينـانِ[2]
إنَّ الحقيقـةَ عِنـدَنَـا مقْصـودَةٌ
بـالنَّـصِّ وهـو مُـرادةُ التِّبْيـانِ
لكـنْ لـديْكُـمْ فهـيَ غيـرُ مُـرادَةٍ
أنَّـىٰ يُـرادُ مُحقَّـقُ البُطـلانِ
فكـلامُـهُ فيمـا لـديكُـمْ لاحَقِيـ
ـقَـةَ تَحْتَـهُ تبـدُو إلـىٰ الأذهـانِ[3]
فـي ذكْـرِ آيـاتِ العُلـوِّ وسـائِـرِ الْـ
أوْصـافِ وهـيَ القلْـبُ للقُـرآنِ

---

(١) لا يُزَّهدُنا في الحق أنَّكم تسمُّونه تشبيهاً أو تجسيماً سَمُّوهُ ما شئتم فنحنُ لا نعبأ بهذه التسميات ولا نزهد في الحق أبداً.

(٢) الفرق بيننا وبينكم أننا نؤمن بألفاظ القرآن والسنة ومعانيها فنثبت اللفظ والمعنىٰ، أمَّا أنتم فلا تثبتون اللفظ ولا المعنىٰ، فالمعنىٰ لا تثبتونه لأنَّكم تقولُون: إنَّهُ مجاز وليس حقيقة، ولا تُثبتون اللفظ لأنَّكم تقولون: إنَّهُ ليس كلام الله وإنَّما هو كلام مخلوق.

(٣) وإنما هو مجاز ليس علىٰ ظاهره عندكم.

بَـلْ قـولُ ربِّ النَّـاسِ ليـسَ حقيقـةً
فيمـا لـديْكُـمْ يـا أُولِـي العِـرْفـانِ
وإذا جعلتُـــمْ ذا مجـــازاً صَـــحَّ أنْ
يُنفـىٰ علـىٰ الإطـلاقِ والإمكـانِ(١)
وحقـائِـقُ الألفـاظِ بـالعقـلِ انتَفَـتْ
فيمـــا زعَمْتُـــمْ فـــاستـــوىٰ النَّفْيـــانِ
نَفـيُ الحقيقـةِ وانتفـاءُ اللَّفْـظِ إنْ
دلَّـــتْ عليـــهِ فحظُّكُـــمْ نفيـــانِ
ونصيبُنـــا إثبـــاتُ ذاكَ جميعِـــهِ
لفظـــاً ومعنـــىً ذاكَ إثْبـــاتـــانِ(٢)

---

(١) المجاز يجوز نفيه، فلو قلت مثلاً: رأيتُ أسداً وأنت تريد رجلاً شجاعاً فلكلِّ أحدٍ له أن يقول: لم تر أسداً وإنّما رأيت رجلاً فيجوز نفيه، فكذلك نصوص القرآن إذا كانت علىٰ المجاز فيجوز نفيها ويُقال: ليست حقيقة ففي قوله تعالىٰ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يقال: لم يستو علىٰ العرش إنّما هذا عبارة عن الاستيلاء علىٰ العرش، وهو مجاز فيجوز نفي لفظ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، ويُقال: استولىٰ، أو ملكَ العرش، وهذا من أعظم الكفر والضلال.

(٢) كلام الله هو اللفظ والمعنىٰ جميعاً، كلاهما كلام الله حقيقة، ومعانيه مُرادة وليست مجازاً، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو حقيقة الإيمان.

فمـنِ المُعَطِّـلُ فـي الحقيقـةِ غيـرُكُـمْ
لقــبٌ بــلا كَــذِبٍ ولا عُــدوانِ[١]
وإذا سَبَبْتُــمْ بــالمُحــالِ فسبُّنــا
بــأدلــةٍ وحِجــاجِ ذي بُــرهــانِ[٢]
تُبـدي فضـائِحَكُـمْ وتهْتِـكُ سِتْـرَكُـمْ
وتُبيــنُ جَهلكُــمُ مــعَ العُــدوانِ
يـا بُعْـدَ مـا بيـن السِّبـابِ بـذاكُـمُ
وسِبـابُكُـمْ بـالكـذبِ والطُّغيـانِ[٣]
مَـنْ سَـبَّ بـالبُرهـانِ ليـس بظـالـمٍ
والظّلـمُ سَـبُّ العبـدِ بـالبُهتـانِ[٤]
فحقيقـةُ التَّجْسيـمِ أنْ تَـكُ عِنْـدكُـمْ
وصــفَ الإلٰــهِ الخــالـقِ الـدَّيَّـانِ
بِصفَـاتِـهِ العُلْيـا التـي شَهِـدَتْ بِهـا
آيــاتُــهُ ورسُــولُــهُ العَــدْلانِ

---

(١) مَنِ المُعطِّلُ النافي، هل هو الذي يثبت اللفظ والمعنىٰ أو الذي ينفي اللفظ والمعنىٰ أو الذي يثبت اللفظ دون المعنىٰ؟ فهذا لقبُكم في الحقيقة وليس لقب أهل السنة والجماعة، ولذلك نسميكم بالمُعطِّلة.

(٢) يعني: إذا سببتمونا فسبُّكم كذب؛ لأننَّا والحمد لله لسنا محلَّ سَبٍّ، فنحنُ علىٰ الحق، وأمَّا سبنا إياكم فهو حقيقة لأنَّكم أهلُ ضلال وباطل.

(٣) يا بُعد ما بين السبابين، سِبابٌ بالباطل والبهتان وسِبابٌ بالحقِّ والدليل.

(٤) نحنُ نسب بالبرهان وأنتم تسبون بالظلم والعُدوان ففرقٌ بين السبين.

فتحمَّلُــوا عنَّــا الشَّهــادَةَ واشهــدُوا
فــي كُــلِّ مُجتَمَــعٍ وكُــلِّ مكــانِ
أنَّـــا مُجَسِّمَــــةٌ بفضـــلِ اللهِ ولْـ
ـيَشْهَــدْ بــذلِــكَ معكُــمُ الثَّقــلانِ(١)
اللهُ أكبــرُ كَشَّــرَتْ عــن نــابِهــا الْـ
ـحَــربُ العَــوانُ وصِيــحَ بــالأقــرانِ
وتقــابــلَ الصفَّــانِ وانقســم الــورىٰ
قِسميــنِ واتضحَــتْ لنــا القِسمــانِ(٢)

* * *

---

(١) إذا كنتم تسمُّون إثبات الأسماء والصفات علىٰ ما دل عليه الكتاب والسنة «تجسيماً» فاشهدوا أنَّنا مُجسمة وليشهد معكم الثقلان، الجن والإنس.

(٢) قامت الحرب بين أهل السنة وأعدائِهم بالسلاح وباللسان، وكما قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] فالكفار يُجاهَدُون بالسيف والسنان، والمنافقون يُجاهَدُون بالحجة واللسان.

فصل

في بيان مورد أهلِ التعطيل وأنَّهم تعوَّضوُا بالقلُّوط عن مورد السلسبيل[(١)]

يـا واردَ القلُّـوطِ ويحـكَ لـو تـرىٰ
مـاذا علـىٰ شفتيـكَ والأسنـانِ[(٢)]

أو ما ترىٰ آثارَها في القلب والنْـ
ـيِّـاتِ والأعمـالِ والأركـانِ[(٣)]

لـوْ طـابَ منْكَ الـوِرْدُ طابـتْ كلُّهـا
أنَّـىٰ تَطيـبُ مـوارِدُ الأنتـانِ

يـا واردَ القَلُّـوطِ طَهِّـرْ فـاكَ مِـنْ
خَبَـثٍ بـه واغْسِلْـهُ مِـن أنتـانِ[(٤)]

---

(١) مورد أهل الحق: الكتاب والسنة وهو السلسبيل العذب النظيف، ومورد أهل الضلال من القلُّوط وهو نَهْر جارٍ تَنْصَبُّ إليه النفايات والقاذورات.

(٢) أنت تشرب من ماءٍ قذرٍ فيظهر أثرُهُ علىٰ فمك وشفتيك، ولو ترىٰ هذا لنفرت منه، لكن بسبب الفتنة لا تُحس بهذه التغيُّرات التي تظهر علىٰ شفتيك وأسنانك من هذا الماء القذر النتن الخبيث.

(٣) لا تقتصر آثار هذا الشراب الخبيث علىٰ الشفتين والأسنان ولكنَّها تؤثِّر علىٰ القلب بالزيف والضلال، وتؤثر علىٰ الأقوال والأعمال بالانحراف والعياذ بالله.

(٤) إذا كنت تريد السلامة فطهِّر أسنانك وفمك من هذا بأن ترجع إلىٰ الحقِّ والصواب وتشرب من الماء العذب.

ثمَّ اشْتُمِ الحَشْوِيَّ حَشْوَ الدينِ والْـ
ـقُــرآنِ والآثــارِ والإيمــانِ[١]

أهــلاً بِهِــمْ حشْــوَ اليَقيــنِ وغيــرُهُــمْ
حشْــوُ الشُّكُــوكِ فمــا هُمــا صِنْــوانِ

أهلاً بِهِمْ حَشْوَ المساجدِ والسِّوَىٰ
حَشْــوُ الكنيــفِ فمــا هُمــا عَــدلانِ[٢]

أهــلاً بِهِــمْ حَشْــوَ الجِنــانِ وغيْــرُهُــمْ
حَشْــوُ الجَحِيــمِ أيستــوي الحَشْــوانِ

يا وارد القلُّوطِ ويحكَ لو ترىٰ الْـ
ـحَشْــوِيَّ وارِدَ مَنْهَــلِ الفُــرقــانِ[٣]

وتــراهُ مِــن رأسِ الشــريعــةِ شــاربــاً
مِــنْ كــفِّ مَــن قــد جــاءَ بــالقــرآنِ[٤]

---

(١) إذا طَهَّرت نفسَك أولاً فحينئذٍ اشتم خصومك وسُبَّهم.

(٢) أهل السنة والجماعة حشو المساجد، هي محل تجمعاتهم يتذاكرُون فيها، ويقيمُون الصلاة ويعبدون الله عزَّ وجل، أمَّا أهل الضلال فيفرون من المساجد إلىٰ الأماكن القذرة التي يتلقون فيها هذه الأفكار والعقائد الزائغة وهكذا أهل الضلال فإن تجمعاتهم تكون في السراديب المظلمة والكهوف الخفية ودروسهم سرية ومعلموهم مجهولون يتسترون ولا يعرفون.

(٣) هذا الذي تُسميه الحشوي لو ترىٰ موارده الطيبة ومآخذه الحميدة، لو رأيتها لما قلت فيه ما قلت، ولكنك بسبب الضلال لا تراها.

(٤) الشريعة أصلها مأخوذ من المشرب والمورد، والمراد بها هنا: القرآن والسنة، لأنهما مورد أهل الحق، يأخذون منهما الحق ويرتوون من ظمأ الجهل.

وتَـراهُ يَسْقـي النـاسَ فَضْلَـةَ كـأسِـهِ
وخِتَـامُهَـا مِسْـكٌ علـىٰ رَيْحـانِ[١]
لعَـذرتَـهُ إنْ بـالَ فـي القلُّـوطِ لـمْ
يشْـربْ بِـهِ مَـعْ جُمْلَـةِ العُمْيَـانِ
يـا واردَ القلُّـوطِ لا تكْسَـلْ فـرأ
سُ المـاءِ فـاقْصِـدْهُ قـريـبٌ دانِ[٢]
هـوَ منْهَـلٌ سهـلٌ قـريـبٌ واسِـعٌ
كـافٍ إذا نـزلَـتْ بِـهِ الثَّقـلانِ
والله ليـس بـأصعـبِ الـوِرْدَيْـنِ بـلْ
هُـو أسهـلُ الـوِرْدَيْـنِ للظمـآن[٣]

---

(١) الذي يسقيه من الشريعة الرسول ﷺ فهو الذي يُعلِّم الناس عليه الصلاة والسلام.

(٢) هذه نصيحة لهم يقول: اتركوا هذا الشراب الخبيث واستبدلوه بالشراب الطيب، ارجعُوا إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، ولا تستمروا علىٰ هذا الشراب الخبيث من علم الكلام وقواعد المنطق وإلا فإن النهاية هي الضلال، فهذه نصيحة لكل من ابتلي بالمذاهب الفاسدة أن يُقبل علىٰ الله ويترك الباطل الذي هو عليه.

(٣) هذا مورد أهل الحق أمَّا مورد أهل الضلال فهو صعبٌ بعيدُ المنال وصعب الحصول، لأنَّهُ من تكلُّفات البشر، ولو رأيتم علم المنطق وما فيه من الصعوبة لتعجبتم، ثمَّ إنَّكم لا تصلون إلىٰ نتيجة ولا إلىٰ حقٍّ ولا هُدىٰ بل هو ضلال في ضلال ولهذا يقول بعض العلماء عن علم الكلام: إنه لحم جمل غث. فوق جبل صعب فلا هو سمين فينتقىٰ، ولا سهل فيرتقىٰ.

فصل

في بيان هَدْمِهِمْ لقواعدِ الإسلام والإيمان بعزلهم نصوصَ السُّنةِ والقُرآن[١]

يـا قـومُ بـالله انظـرُوا وتفكَّـروا
فـي هـذه الأخبـارِ والقُـرآنِ
مِثـلَ التـدبُّـرِ والتفكُّـرِ للـذي
قـد قـالَـهُ ذُو الـرأيِ والحُسبـانِ[٢]

---

(١) من أفعالهم الوخيمة: أنّهم عزلوا الكتاب والسنة عن بيان الحق وقالوا: الحق لا يؤخذ منهما وإنما يؤخذ من العلوم العقلية، لأنّ أدلة الكتاب والسنة عندهم لا تُفيد اليقين وإنّما تُفيد الظنَّ، والذي يُفيد اليقين عندهم: هو العلوم العقلية، هذا مذهبهم ومبدؤهم الذي يسيرون عليه، وهم يُفنون أعمارَهم فيها، وبعضهم تأسَّف علىٰ إفناء عمره في هذه الأشياء ولم يصل إلىٰ الحق، يقول أحدهم:

لعمري لقد طُفت المعاهد كلَّها وسيَّرتُ طرفي بين تلك العوالم
فلم أرَ إلاّ واضعاً كفَّ حائرٍ علىٰ ذقَنٍ أو قارع سنَّ نادم

فهذه شهادات منهم ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله عنهم في أوّل الرسالة «الحموية» ومنهم من تاب ورجع كالرازي والجويني.

(٢) يقول: لو أعطيتم القرآن والسنة من التفقه والتدبر مثل ما تعطون لعلم المنطق وعلم الكلام لحصلتم علىٰ العلم الغزير ووصلتم إلىٰ الحق.

فـأقـلُّ شـيءٍ أن يكـونـا عنـدكُـمْ
حَـدّاً سـواءً يـا أُوْلـي العُـدوانِ[١]
والله مـا استـويـا لـدىٰ زُعمـائكُـمْ
فـي العلـمِ والتحقيـقِ والعِـرفـانِ[٢]
عزلُوهُما بلْ صرَّحُوا بالعَزْلِ عنْ
نيْـلِ اليقيـنِ ورُتْبَـةِ البُـرهـانِ
قـالُـوا وتِلْـكَ أدِلَّـةٌ لفظيـة
لَسْنـا نُحَكِّمُهـا علـىٰ الإيقـانِ[٣]

---

(١) الواجب أن تُعرضُوا عن هذه المذاهب الكلامية نهائياً ولا تُعيروها اهتماماً، وأن تُقْبِلوا علىٰ الكتاب والسنة لأنّ فيهما الكفاية، أو علىٰ الأقل ادرسُوا هذا وادرسُوا هذا وقارنوا بينهما حتىٰ يتبين لكم الحق، أمّا إنّكم تقتصرون علىٰ دراسة هذه المذاهب الكلامية ولا تلتفتون إلىٰ الكتاب والسنة فهذه طريقة أهل الضلال. فالأحوال ثلاث:

الأولىٰ: أن تُقبل علىٰ الكتاب والسنة دراسةً وفهماً وتعلُّماً وتعليماً.

الثانية: أن تدرس هذا وهذا من أجل المقارنة، وسيتضح لك الحق بالمقارنة ـ إن شاء الله ـ.

الثالثة: أن تقتصر علىٰ دراسة هذه المذاهب الباطلة ولا تنظر في الكتاب والسنة وهذه حالة بعض أهل الضلالة والأشقياء.

(٢) لا يستوي عند زعماء أهل الضلال القرآن والمنطق، عندهم المنطق أعظم، ولذا يُقدمون المنطق علىٰ القرآن، ويقولون: القرآن يفيد الظن والمنطق يُفيد اليقين فيأخذون ما يُفيد اليقين بزعمهم.

(٣) يقولون: لا نُحكِّم القرآن والسنة لأنها ظواهر لفظية تفيد الظن، ونترك الذي يفيد اليقين وهو العقل.

مـا أُنـزِلَـتْ لِينـالَ مِنْهـا العِلْـمُ بِـالْـ
إثْبـاتِ لــلأوصــافِ للــرَّحمٰــنِ
بــلْ بــالعُقُــولِ يُنَــالُ ذاكَ وهــذِهِ
عنْــهُ بِمعْــزِلِ غيْــرِ ذي السُّلْطــانِ
فبِجَهْـدِنـا تـأويلُهـا والـدَّفـعُ فـي
أكنـافِهـا دفعـاً لـذي الصَّـوَلانِ
ككبيـرِ قـومٍ جـاءَ يشهـدُ عنـدَ ذي
حَكَـمٍ يـريـدُ دِفـاعَـهُ بِلِيَـانِ
فيقـولُ قَـدْرُكَ فـوقَ ذا وشهـادةٌ
لسـواكَ تَصْلُـحُ فـاذْهبَـنْ بـأمـانِ
وَبِـوُدِّهِ لـو كـان شـيءٌ غيـرُ ذا
لكـنْ مخـافـةَ صـاحـبِ السلطـانِ[١]
فلقـد أتـانـا عـن كبيـرٍ فِيِهِـمُ
وهـو الحُقيـرُ مقـالـةُ الكُفـرانِ[٢]

---

(١) مثل علماء الكلام في تقديم علم الكلام علىٰ القرآن مثل كبير قوم جاء ليؤدي شهادتَه عند قاضٍ، والقاضي لا يريد شهادته لكنّه لم يقل له: لا أُريد شهادتك، بل قال: نريد شاهداً غيرَك ولا نكلِّفك أنْ تأتي، فأنت شأنك أرفع من هذا، وهو قد أراد ردَّهُ وعدم قبول شهادته بملاطفة، كذلك حالُهم مع القرآن؛ لا يقولون: القرآن باطل ولا يُستفاد منه العلم لكن يأتون بأشياء فيها تغريرٌ بالناس، وهم في الحقيقة لا يرون أن القرآن يصلح للحكم.

(٢) هو الجهم بن صفوان.

لــو كــان يُمكنني وليس بمُمكــنِ
لَحَكَكْتُ مِن ذا المصحفِ العُثماني
ذكرَ استواءِ الرَّبِّ فوقَ العرشِ لـ
ـكِنْ ذاكَ مُمتنعٌ علىٰ الإنسانِ[١]
واللهِ لـولا هيبـةُ الإسـلامِ والـ
ـقـرآنِ والأُمـراءِ والسلطـانِ
لأتَوْا بكلِّ مُصيبةٍ ولدَ كْدَكُوا الْـ
إسلامَ فوقَ قَواعِدِ الأركانِ[٢]
فلقد رأيتُمْ ما جرىٰ لأئِمَّةِ الـ
إسلام من مِحَنٍ علىٰ الأزمانِ
لا سِيَّما لمَّا استمالُوا جاهلاً
ذا قُدْرَةٍ في الناسِ مع سُلطانِ[٣]

---

(١) يقول الجهم: لو تمكنت من أن أحكَّ هذه الآيات التي تدل علىٰ الاستواء والعلو وأزيلَها من المصحف لفعلت، ولكني أخاف من الناس لأنهم يخالفون في نفي الاستواء والعلو.

(٢) لو تمكنوا لأظهروا كفرَهم وحقدهم ولكن كفىٰ الله شرَّهُم بقوة المؤمنين والسلطان.

(٣) لما استمالوا المأمون العباسي، وأثَّروا عليه، واقتنع بمذهب المعتزلة، أراد أن يُلزم أهل السنة بالقول بخلق القرآن، ولكنّ الله قيَّضَ له الأئمة في ذلك الزمان وامتنعوا خصوصاً الإمام أحمد، وجرىٰ عليهم ما جرىٰ من القتل والضرب والحبس، وهذه مصيبة إذا تمكن أهلُ الضلال من ولي الأمر فإنهم يخدعونه، فإذا تمكنوا منه وخدعوه ضرُّوا بالمسلمين فعلىٰ حكام المسلمين أن يحذروا من هؤلاء.

وسعـــوا إليـــهْ بِكُـــلِّ إفــكٍ بيِّـــنِ
بــلْ قــاسمُــوهُ بــأغلْـظِ الأيمــانِ
أنَّ النَّصيحَةَ قصدُهُمْ كنصيحَةِ الشْـ
شَيْطــانِ حيــنَ خــلاَ بِــهِ الأبــوانِ
فيــرىٰ عمــائِـمَ ذاتَ أذنَــابٍ علــىٰ
تلْــكَ القُشُــورِ طــويلــةِ الأردَنِ
ويــرىٰ هَيُــولــىٰ لا تهُــولُ لِمُبصــرٍ
وتَهُــولُ أعمــىٰ فــي ثِيــابِ جبــانِ
فــإذا أصــاخَ بِسَمعِــهِ ملــؤُوهُ مِــنْ
كــذبٍ وتلْبِيـــسٍ ومِـــنْ بُهْتَـــانِ
فيــرىٰ ويسمَــعُ فَشْــرَهُــمْ وفُشَــارَهُــمْ
يـــا مِحْنـــةَ العَيْنيْـــنِ والأُذُنـــانِ
فتحُوا جِرابَ الجهْلِ معْ كَذبٍ فخُذْ
واحْمِـــلْ بِـــلا كيْـــلٍ ولا ميـــزانِ
وأتَــوْا إلــىٰ قلْــبِ المُطــاعِ ففتَّشُــوا
عمَّــا هُنــاكَ ليــدْخُلُــوا بــأمــانِ
فــإذا بــدا غَــرَضٌ لهُــمْ دخلُــوا بِــهِ
مِنـــه إليـــه كحيلـــةِ الشَّيْطـــانِ
فـــإذا رأوهُ هـــشَّ نحـــوَ حـــدِيثِهِـــمْ
ظَفــرُوا وقــالُــوا وَيْــحَ آلِ فُــلانِ

هُوَ في الطَّريقِ يعُوقُ مولانا عَنِ الْـ
ـمَقْصُودِ وهوَ عدُوُّ هذا الشَّانِ
فإذا هُمُ غرسُوا العداوةَ واظبُوا
سَقْيَ الغِراسِ كفِعْلِ ذي البُستانِ
حتَّىٰ إذا ما أثمرَتْ ودنا لهُمْ
وقتُ الجُذَاذِ وصارَ ذا إمكانِ
ركِبُوا علىٰ حَرَدٍ لهُمْ وحَمِيَّةٍ
واستنجدوا بعساكرِ الشَّيْطانِ
فهُنالكَ ابتُلِيتْ جنودُ اللهِ مِنْ
جُنْدِ اللَّعينِ بسائرِ الألوانِ
ضَرْباً وحَبْساً ثمَّ تكفيراً وتبْـ
ـديعاً وشَتْماً ظاهِرَ البُهْتانِ
فلقدْ رأينا من فريقٍ مِنْهُمُ
أمراً تُهَدُّ لَهُ قوىٰ الإيمانِ
مِنْ سَبِّهِمْ أهلَ الحديثِ وَدِينُهُمْ
أخذُ الحديثِ وتَرْكُ قولِ فلانِ[١]
يا أُمَّةً غَضِبَ الإلٰهُ عليْهِمُ
ألأجْلِ هذا تشْتُموا بِهوانِ

---

(١) مثل ما حدث مع شيخ الإسلام ابن تيمية عندما وقف في وجوههم فحصل من السلاطين علىٰ أهل السنة بسبب هؤلاء الشيء الكبير من الأذىٰ.

تبّـاً لكُـمْ إذْ تَشتُمُـونَ زَوامِـلَ الْـ
إسـلامِ حِـزْبَ اللهِ والقُـرآنِ
وسببتُمـوهُـمْ ثُـمَّ لسْتُـمْ كُفـأهُـمْ
فـرأوا مسبَّتَكُـمْ مِـنَ النُّقْصَـانِ
هـذا وهُـمْ قَبِلُـوا وصيَّـةَ ربِّهِـمْ
فـي تـرْكِهِـمْ لِمَسبَّـةِ الأوثـانِ
حـذَرَ المُقـابَلـةِ القبيحَـةِ منْهُـمُ
بِمسبَّـةِ القُـرآنِ والـرَّحمٰـنِ
وكـذاكَ أصحـابُ الحـديـثِ فإنَّهُمْ
ضُـرِبَـتْ لهُـمْ ولكُـمْ بِـذا مَثَـلانِ
سبُّـوكُـمُ جُهَّـالُهُـمْ فسَبَبْتُـمُ
سُنَـنَ الـرسُـولِ وعسْكـرَ الإيمـانِ
وصَـدَدْتُـمُ سُفهَـاءَكُـمْ عنْهُـمْ وعـنْ
قـوْلِ الـرَّسُـولِ وذا مِـنَ الطُّغْيـانِ
ودعَـوْتُمـوهُـمْ للـذي قـالتْـهُ أشْـ
ـيـاخٌ لكُـمْ بـالخَـرْصِ والحُسْبـانِ
فـأبَـوا إجـابَتَكُـمْ ولـمْ يتحيَّـروا
إلاَّ إلـى الآثـارِ والقُـرآنِ
وإلىٰ أُوْلي العِرفانِ من أهلِ الحديـ
ـثِ خُـلاصَـةِ الأكـوانِ والإنسـانِ

قــومٌ أقــامَهُــمُ الإلٰــهُ لحفــظِ هـ
ـذا الـديـنِ مـن ذِي بِـدعـةٍ شيطـانِ
وأقـامَهُـمْ حَـرَسـاً مـن التبـديـل والتْـ
ـتَحْـريـفِ والتتميـمِ والنقصـانِ[١]
يَـزَكٌ علىٰ الإسـلامِ بـل حِصْـنٌ لـهُ
يـأْوي إليْـهِ عسـاكِـرُ الفُـرقـانِ
فَهُـمُ المحَـكُّ فمـن يُـرىٰ مُتنقِّصـاً
لهـم فَـزِنْـديـقٌ خبيـثُ جَنـانِ[٢]
إنْ تتَّهِمْـهُ فقبْلَـكَ السَّلَـفُ الأُولـىٰ
كـانـوا علـىٰ الإيمـانِ والإحسـانِ
أيضاً قد اتَّهُمُوا الخبيثَ علىٰ الهُدىٰ
والعلْـمِ والآثـارِ والقُـرآنِ
وهـو الحقيـقُ بـذاكَ إذْ عـادىٰ رُوا
ةَ الـدِّيـنِ وهـيَ عـداوةُ الـدَّيـانِ
فـإذا ذكـرتَ النـاصحيـن لـربِّهـمْ
وكتـابِـهِ ورسُـولِـهِ بلسـانِ

---

(١) أقام الله علماء الحديث وعلماء أهل السنة ليحفظ الله بهم هذا الدين ويحرسَه من هؤلاء، ويردُّوا الكذب والبهتان، وجعلهم الله جنداً للحق يُدافعون عنه ويذبُّون عنه كيد الكائدين.

(٢) لا يسبُّ أهلَ السنة وعلماءَ الحديث إلا خبيثٌ فاسدُ القلب لأنّه ما سبَّهمُ من أجل أشخاصِهم وإنّما لأجل ما يحملونَه من العلم والدفاع عن الحق.

فاغْسِلْهُ وَيْلَكَ مِن دمِ التَّعطيل والتْـ
ـتكْــذيــبِ والكُفــرانِ والبهتــانِ
أتسبُّهُــمْ عَــدْواً ولســتَ بكُفْئِهِــمْ
فــاللهُ يفــدي حِــزْبَــهُ بــالجــانــي
قــومٌ هُــمُ بــاللهِ ثُــمَّ رســولِــهِ
أوْلَــىٰ وأقــرَبُ منــكَ لــلإيمــانِ
شتــانَ بيــن التــاركيــنَ نصــوصَــهُ
حَقّــاً لأجــلِ زِبــالــةِ الأذهــانِ
والتــاركيــنَ لأجلهــا آراءَ مَــنْ
آراؤُهُــمْ ضَــرْبٌ مِــن الهَــذيــانِ[1]
لمَّــا فســا الشيطــانُ فــي آذانِهِــمْ
ثَقُلَــتْ رؤوسُهُــمُ عــن القُــرآنِ[2]

---

(١) يقول الناظم لهؤلاء الخصوم المعادين لأهل السنة: إذا ذكرت أهل السنة فاذكرهم ذكر معظِّمٍ لهم ومحبٍّ لهم، ولا تذكرهم ذكر معادٍ ومُقاطع لهم فإنّهم حملةُ الشريعة وورثة الرسول ﷺ، وهم الذين يُقدِّمون الكتاب والسنة علىٰ قول كلِّ أحد من الناس، وكيف يوازن بين أهل السنة المتمسكين بها وبين هؤلاء المبتدعة والضُلّال.

(٢) لمّا ذُكر للنبي ﷺ أنّ رجلاً ينام عن الفجر ولا يقوم للتهجد قال: «ذاك رجلٌ بال الشيطانُ في أذنه»(*) وهذا مثلٌ لهؤلاء أنّ الشيطان أحْدَثَ في =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٧/ ١٤٨ (٤٠٥٩)، والبخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤) (٢٠٥) من حديث عبد الله بن مسعود.

فلـذاكَ نـامُـوا عنْـهُ حتَّىٰ أصبحـوا
يتـــلاعبُـــونَ تـــلاعُـــبَ الصِّبيـــانِ
والرَّكْبُ قد وصلُوا العُلا وتيمَّمُوا
مـــن أرضِ طيبـــةَ مطلَـــعِ الإيمـــانِ
وأتَـــوْا إلـــىٰ روْضـــاتهَـــا وتيمَّمُـــوا
مِـــنْ أرض مكـــةَ مطلَـــعِ القُـــرآنِ
قـــومٌ إذا مـــا نـــاجـــذُ النَّـــص بـــدا
طـــاروا لـــهُ بـــالجمـــعِ والـــوُحْـــدانِ
وإذا بـــدا علـــمُ الهُـــدَىٰ استبقُـــوا لَـــهُ
كتســـابُـــقِ الفُـــرْســـانِ يـــومَ رِهـــانِ
وإذا هُـــمُ سَمِعُـــوا بِمُبْتَـــدِعٍ هَـــذَىٰ
صـــاحُـــوا بِـــهِ طُـــراً بِكُـــلِّ مكـــانِ
ورِثُـــوا رسُـــولَ اللهِ لكـــنْ غيْـــرُهُـــمْ
قـــدْ راحَ بـــالنُّقْصَـــانِ والحِـــرْمَـــانِ
وإذا استهـــانَ ســـواهُـــمُ بـــالنَّـــصِّ لـــمْ
يـــرفَـــعْ بِـــهِ رأْســـاً مِـــنَ الخُســـرانِ
عَضُّـــوا عليـــه بـــالنـــواجِـــذِ رَغْبَـــةً
فيـــه وليـــس لـــدَيْهِـــمُ بِمُهـــانِ[1]

= آذانهم حتىٰ ثقُلَت عن القرآن والعمل به بسبب كيد الشيطان لهم، فهو الذي ثقلَهُ عليهم.

(١) أهل السنة يُكرمون النصوص ويعضُّون عليها بالنواجذ من حرصهم عليها =

لَيْسُوا كَمَنْ نبذَ الكتابَ حقيقةً
وتِلاوةً قصداً بِتَرْكِ فُلانِ[١]

عَزَلُوهُ في المعنىٰ وولَّوْا غيرَهُ
كأبي الربيعِ خليفةِ السلطانِ[٢]

ذكرُوهُ فوقَ منابِرٍ وبسِكَّةٍ
رقمُوا اسمَهُ في ظاهرِ الأثمانِ

والأمرُ والنَّهيُ المُطاعُ لِغَيْرِهِ
ولِمُهتَدٍ ضُرِبَتْ بِذا مثَلانِ

يا للعُقُولِ أيسْتوي مَنْ قالَ بالْـ
ـقُرآنِ والآثارِ والبُرهانِ

= والتمسك بها بخلاف أهل البدع فالنصوص عندهم رخيصة لا قيمة لها وإنّما يتبعون أقوال أئمتهم.

(١) لا يُقلِّدون من نبذ الكتاب وأعرَضَ عنه، فهم يهجرون أهل الباطل ويبتعدون عنهم ويفرون منهم.

(٢) هؤلاء الضُلّال عزلوا القُرآن عن الاستدلال والهداية وعن إفادة العلم، وولَّوا غيرَه من المذاهب الباطلة كما فعل السلطان محمد بن قلاوون مع الخليفة المستكفي بالله سليمان بن أحمد بن علي، أبي الربيع، لم يكن له من أمور الخلافة إلا مراسمها، اسم السلطان وخطبة الجمعة ويوضع اسمه علىٰ النقود، وكانت بقية الأمور بيد السلطان محمد بن قلاوون، وكذلك فهم أبقوا القرآن مُجرَّد اسم، وعزلوه من جهة المعنىٰ.

ومُخـالِـفٌ هـذا وفِطْـرَةَ ربِّـهِ
اللهُ أكبـرُ كيـفَ يَسْتَـوِيَـانِ

بـلْ فِطـرَةُ الله التـي فُطِـرُوا علـىٰ
مَضمُـونِهـا والعقـلُ مقبـولانِ

والـوحـيُ جـاء مُصَـدِّقـاً لهمـا فـلا
تُلْـقِ العـداوةَ مـا هُمـا حَـرْبـانِ[1]

سِلْمَـانِ عنـدَ مُـوَفَّـقٍ ومُصَـدِّقٍ
واللهُ يشهـدُ أنْ هُمَـا سِلْمَـانِ[2]

فـإذا تعَـارَضَ نَـصٌّ لفـظٍ وارِدٍ
والعَقْـلُ حتَّـىٰ ليـسَ يلْتَقِيَـانِ

فـالعقْـلُ إمَّـا فـاسـدٌ ويظُنُّـهُ الـرْ
رَائِـي صحيحـاً وهـو ذُو بُطْـلانِ

أو أنَّ ذاكَ النَّـصَّ ليـسَ بثـابـتٍ
مـا قـالَـهُ المعصُـومُ بـالبُـرهـانِ

---

(١) لا يمكن أن يخالف العقلُ الصريحُ النقلَ الصحيحَ بأيِّ حالٍ من الأحوال فإذا حصل اختلاف فلا بد من أحد أمرين: إمّا أنّ النقلَ غيرُ صحيح، أو أنّ العقلَ غيرُ صريح.

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: العقلُ الصريحُ لا يخالف النقلَ الصحيحَ فإن اختلفا فإمّا إنّ العقلَ غيرُ صريح وإمَّا إنّ النقلَ غيرُ صحيح.

هذه قاعدة عظيمة، فالعقل والنقل والفطرة لا تتخالف أبداً وانظر كتابه: درء تعارض النقل والعقل.

(٢) النقل والعقل سِلْمانِ ليس بينهما حرب.

ونصُوصُهُ ليستْ تُعارِضُ بعضَها
بعضاً فَسَلْ عَنْها عليمَ زَمانِ[١]

وإذا ظننتَ تعارضاً فيها فَذا
مِنْ آفةِ الأفهامِ والأذهانِ[٢]

أو أنْ يكونَ البعضُ ليسَ بثابتٍ
ما قالَهُ المبعوثُ بالقرآنِ[٣]

لكنَّ قولَ محمدٍ والجَهْمِ في
قَلْبِ الموحِّدِ ليس يجتمعانِ[٤]

إلاَّ ويطرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ
فإذا هُما اجتمعا فَمُقْتَتِلانِ

---

(١) وكذلك النصوص لا يُخالفُ بعضُها بعضاً ولا تتناقض، فكلام الله ورسوله لا يتناقض، وإنّما هذا الذي يظهر في التعارض بينهما إنما هو حسب فهم الإنسان، فالأفهام تختلف.

(٢) كلام الله لا يتعارَض، وكلام الرسول لا يتعارَض، وإذا حصلَ لك تعارض فهذا من فهمك أنت، وهذا وهم يزول إذا حُكِّمت القواعد العلمية الدينية، وليس هذا التعارُض من ذات النصوص وإنّما هو من فهمك.

(٣) إذا حصل تعارض في الظاهر، فإمّا إنّ هذا وهمٌ توهمتَه، إذا كانت النصوص كلُّها صحيحة وإمّا أن يكون النص غير صحيح ولا تجوز نسبته إلىٰ الرسول ﷺ، وما أكثر النصوص المكذوبة علىٰ رسول الله ﷺ.

(٤) قول محمد ﷺ وقول الجهم بن صفوان لا يجتمعان في قلب الموحِّد أبداً، لأنّهما متضادّان فلا يجتمع قول الجهمية وقول الرسول ﷺ.

والنـاسُ بَعْـدُ علىٰ ثـلاثِ حِـزْبِـهِ
أوْ حَـــرْبِـــهِ أو فـــارِغٍ مُتـــوانِ
فـاختَـرْ لنفسِـكَ أيـنَ تَجْعَلُهـا فـلا
واللهِ لسْـتَ بـرابـعِ الأعيـانِ[1]
مـنْ قـالَ بـالتعطيـلِ فهـو مُكَـذِّبٌ
بجميـعِ رُسْـلِ اللهِ والفُـرقـانِ[2]
إنَّ المُعَطِّـلَ لا إلٰـه لـهُ سِـوىٰ الْـ
ـمَنْحُوتِ بـالأفكـارِ فـي الأذهـانِ[3]
وكـذا إلٰـهُ المشـركيـنَ نَحيتَـهُ الْـ
أيـدي هُمـا فـي نَحْتِهِـمْ سِيَّـانِ[4]

---

(١) الناس أصناف: حزبُ الله تعالىٰ، وحرب الله وهو حزب الشيطان، أو أحد فارغ ليس عنده موالاة للرحمٰن ولا للشيطان يعني ـ بهيمة من البشر ـ فارغ الذهن، فانظر نفسك من أيِّ هذه الأقسام هي.

(٢) من قال بنفي الأسماء والصفات عن الله جلّ وعلا فهو مُكذِّب لرسل الله، لأنّ رسلَ الله كلَّهم جاؤوا بالتوحيد وإثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، فهذا قد اتفقت عليه جميع الرسل والشرائع.

(٣) يقول: إن المُعطِّل يعبدُ عدماً؛ لأن الشيء الذي ليس له أسماء ولا صفات ليس بموجود وإنّما هو شيءٌ تخيَّله المعطل لا وجود له في الواقع.

(٤) والذي يُشَبِّه الله بخلقه يعبد صنما لأنه يُشْبِه المشركين الذين يعبدون الأصنام فهم يعبدون صنماً علىٰ صورة إنسان.

لكــنْ إلٰــهُ المــرسليــنَ هــو الــذي
فــوقَ السمــاءِ مُكَــوِّنُ الأكــوانِ[(١)]

تــاللهِ قــدْ نســبَ المُعطِّــلُ كُــلَّ مَــنْ
بــالبيِّنــاتِ أتــىٰ إلــىٰ الكتْمــانِ

والله مــا فــي المــرسليــن مُعطِّــلٌ
نــافي صفــاتِ الــواحــدِ الــرحمٰــنِ[(٢)]

كــلَّا ولا فــي المــرسليــنَ مُشَبِّــهٌ
حــاشــاهُــمُ مــن إفــكِ ذي بُهتــانِ[(٣)]

فخُــذِ الهُــدَىٰ مــن عبــدِه وكتــابِــهِ
فهُمــا إلــىٰ سُبُــلِ الهُــدَىٰ سَبَبَــانِ[(٤)]

* * *

---

(١) من صفات إلٰه الموحدين العلوُّ والاستواءُ علىٰ العرش، ونصَّ الشيخ علىٰ هذين الوصفين: العلو الاستواء علىٰ العرش، لأنّ المعطلة ينفون هذين الوصفين بالذات.

(٢) بل كُلُّهم جاؤوا بإثبات الأسماء والصفات له سبحانه وتعالىٰ والكمال المطلق له سبحانه وتعالىٰ.

(٣) ليس في المرسلين مُعطِّلٌ ولا مُشَبِّهٌ؛ لأن المعطِّل يعبد عدماً والمشبه يعبد صنماً.

(٤) خذ الهُدَىٰ من الرسول ﷺ، أي: من سُنَّته ومن كتاب الله وما سواهما فهو ضلال.

فصل

في بُطلان قول الملحدين أنَّ الاستدلال بكلام الله ورسوله لا يُفيدُ العلم واليقين(١)

واحـذَرْ مقـالاتِ الـذيـن تفـرَّقُـوا
شِيعـاً وكـانُـوا شِيعَـةَ الشيطـانِ(٢)

واسـألْ خبيـراً عنهُـمُ يُنْبِيـكَ عَـنْ
أسْـرارِهِـمْ بنصيحـةٍ وبيـانِ(٣)

قـالـوا الهُـدَىٰ لا يُستفـادُ بِسُنَّـةٍ
كـلاَّ ولا أثـرٍ ولا قُـرآنِ(٤)

---

(١) هذه هي آفة الملحدين: أنّهم لا يرون نصوص الكتاب والسنة تفيد اليقين، وإنما الذي يُفيد اليقين هو قواعد المنطق وعلم الكلام، فلذلك بنوا عقائدهم علىٰ علم الكلام والمنطق وسموه «علم التوحيد» والملحد في أسماء الله وصفاته هو الذي ينفيها أو ينفي معانيها قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] فالإسلام جاء بتوحيد الكلمة علىٰ الحق وعلىٰ الكتاب والسنة، فما ظهرت هذه الفرق والاختلافات إلا بعد القُرون المفضلة.

(٣) يعني نفسَه رحمه الله لأنّه درس هذه الأشياء وتمعّن فيها، فهو يخبركم عن خبرةٍ واطّلاع علىٰ واقع عرفه.

(٤) يقولون: السنة والقرآن لا يُفيدان اليقين ولا يُفيدان العلم، وإنّما يُفيدان =

إذْ كُـــلُّ ذاكَ أدِلَّـــةٌ لفظيَّـــةٌ
لَـمْ تُبْـدِ عَـنْ علـمٍ ولا إيقـانِ[١]
فيهـا اشتـراكٌ ثُـمَّ إجمـالٌ يُـرىٰ
وتَجُـوزُ بـالتَّـزْييـدِ والنُّقصـانِ[٢]
وكـذلـكَ الإضمَـارُ والتَّحْقِيـقُ والْـ
ـحَـذْفُ الـذي لـمْ يُبْـدِ عـنْ تِبيـانِ

= الظن، وما كان كذلك فلا تُبنىٰ عليه العقائد.

(١) يقولون: أدلة الشرع ظواهر لفظية لا تُفيد اليقين ولا البرهان.

(٢) يقولون: نصوص القرآن والسُّنّة فيها إجمال، ففيها مُجمل، وفيها مطلق وفيها مجاز، وما دام يتطرّق إليها هذه الأشياء فإنّها لا تفيد اليقين، هذه شبهتهم. فالناظم رحمه الله يريد أن يردَّ علىٰ علماء الكلام الذين بنوا عقيدتهم علىٰ قواعد المنطق وعلم الكلام ولم يبنوها علىٰ أدلة القرآن والسُّنّة وهما مصدر الحق. لا يستدلون بالسنة، بحجة أنها أخبارُ آحادٍ، فيُقال لهم: ما دام أنّ السندَ صحيحٌ سواء كان متواتراً أو آحاداً فإنّه يُفيد العلم ويُفيد اليقين، والرسول ﷺ كان يقبل أخبار الآحاد، فكان يقبل من رأىٰ الهلال وحدَهُ ويثبت بذلك صوم الشهر، وكان يُرسِلُ رُسَله آحاداً إلىٰ الملوك والرؤساء والقبائل، ويرسل عاملاً لأخذ الزكاة فيصدقونَهُ ويُعطونَه زكاتهم، وما عُهد أنّ الأمة الإسلامية تتوقف في أخبار الآحاد لأنها تفيد العلم وتفيد اليقين ضرورة، وأيضاً: لو أخذنا بهذا الكلام ما صحّ حكمٌ في الدنيا؛ لأنّ الناس يتخاطبون فيما بينهم، فلو قلت لشخصٍ كلاماً لقال لك: كلامُكَ لا يُفيد شيئاً لأنه محتمل.

وَالنَّقْلُ آحَادٌ فَمَوْقُوفٌ عَلَىٰ
صِدْقِ الرُّوَاةِ وَلَيْسَ ذَا بُرْهَانِ
إِذْ بَعْضُهُمْ فِي البَعْضِ يَقْدَحُ دَائِماً
وَالقَدْحُ فِيهِمْ فَهْوَ ذُو إِمْكَانِ
وَتَوَاتُرٌ وَهْوَ القَلِيلُ وَنَادِرٌ
جِداً فَأَيْنَ القَطْعُ بِالبُرْهَانِ
هَذَا وَيَحْتَاجُ السَّلَامَةَ بَعْدُ مِنْ
ذَاكَ المعارضِ صاحبِ السلطانِ[1]
وهو الذي بالعقلِ يَفْرِضُ صِدْقَهُ
والنفيُ مَظْنُونٌ لَدَىٰ الإنسانِ
فَلأَجْلِ هذا قد عَزَلْنَاهَا وَوَلْـ
لَيْنَا العُقُولَ ومنطقَ اليونانِ[2]

---

(١) يقولون: الأدلة اللفظية يحصل بينها تعارُض وحينئذ فبأيِّها نقطع مع التعارض؟ نقول: الحمد لله، العلماء وضعُوا ضوابط عند التعارض معروفة، وذلك أنّه إذا وُجد التعارُض فيُنظر في السند ويقدم الصحيح علىٰ ما دونه. فإن تساوت فإذا أمكن الجمع وجب، وإذا لم يمكن الجمع فلا بُدَّ من الترجيح والأخذ بالراجح، وإذا لم يمكن الترجيح فإنّ أحد الخبرين ناسخٌ للآخر فيُنظر المتأخر منهما.

(٢) يقولون: ما دامت هذه الطعُون تتجه للأخبار اللفظية فإننا قد عزلناها عن الاستدلال وحكّمنا العقول؛ لأنّ العقول ليس فيها مجال للشك، فنقول: العقول تختلف أيضاً: فعقول البشر قاصرة لا تعلم كل شيء، وأيضاً هي =

فـانظـرْ إلـىٰ الإسـلامِ كيـفَ بقـاؤُهُ
مِنْ بعدِ هذا القولِ ذي البُطلانِ[1]

وانظُـرْ إلـىٰ القُـرآنِ معْـزولاً لَـدَيْـ
ـهِـمْ عَـنْ نُفُـوذِ ولايَـةِ الإيقَـانِ

وانظُرْ إلىٰ قوْلِ الرَّسُولِ كذاك معْـ
ـزُولاً لـديْهِـمْ ليـسَ ذا سُلْطَـانِ

والله مـا عَـزلـوهُ تعظيمـاً لَـهُ
أيَظُـنُّ ذلـكَ قـطُّ ذُو عِـرفـانِ[2]

يـا ليتَهُـمْ إذ يَحْكُمـون بِعَـزْلِـهِ
لـم يَـرْفَعُـوا رايـات جَنْكيـزخـانِ[3]

= مختلفة، فبعضهم يثبت شيئاً وينفيه الآخر، وأيضاً لو كانت العقول كافية لما احتجنا إلىٰ الرسل ولما احتجنا إلىٰ الكتب، فهذا كلامٌ باطل ظاهر البُطلان.

(١) إذا أُبطلت نصوص الكتاب والسُّنَّة فماذا تكون حال الإسلام، تكون حالَهُ لا شيء، لا يصحُّ إسلامٌ ولا إيمان إلا إذا بني علىٰ الكتاب والسنة.

(٢) ما عزلوه تعظيماً له وإنّما عزلُوه تنقصاً له، لأنّه لا يُفيد العلم ولا اليقين عندهم، وهذا هو عينُ التنقص لكلام الله وكلام رسوله ﷺ.

(٣) لما حكموا بعزل القرآن والسنة رفَعُوا رايات جنكيزخان وهو رئيس التتر الملحد الخبيث، وجاؤوا بقانونه الذي يسمونَه «الياسق» وحكَّموهُ بين الناس، فاستبدلوا كتاب الله وسنة رسوله بنظام الكفر والإلحاد، وهذه سنة الله عزّ وجل أنّ من ترك الحق ابتُلي بالباطل.

يـا ويْلَهُـمْ وَلَّـوْا نتـائِـجَ فكْـرِهِـمْ

وقضَـوْا بِهـا قطْعـاً علـىٰ القُـرآنِ

ورِذالُهُـمْ ولَّـوْا إشـاراتِ ابـنِ سِيـ

ـنَـا حيـنَ وَلَّـوْا منطِـقَ اليُـونَـانِ

وانظـرْ إلـىٰ نـصٍّ لكتـابِ مُجَنْـدَلاً

وَسْـطَ العـريـنِ مُمـزَّقَ اللُّحمـانِ[1]

بـالطَّعْـنِ بـالإجمـالِ والإضمـارِ والتَّـ

ـخْصيـصِ والتَّـأويـلِ بـالبُهْتـانِ

والإشتـراكِ وبـالمَجَـازِ وحـذْفِ مـا

شـاؤوا بِـدَعـواهُـمْ بِـلا بُـرهـانِ

وانظُـرْ إليـهِ ليـسَ يَنْفُـذُ حُكْمُـهُ

بيـنَ الخُصُـومِ ومـا لـهُ شـانِ

وانظُـرْ إليـهِ ليـسَ يُقْبَـلُ قـوْلُـهُ

فـي العلْـمِ بـالأوصـافِ للـرَّحمٰـنِ

لكنَّمـا المقبـولُ حُكْـمُ العقـلِ لا

أحكـامُـهُ لا يستـوي الحُكْمـانِ[2]

---

(١) قتلوا القرآن بعملهم هذا ومَزَّقوه حيث لا يُستدلُّ به في العقائد ولا يُحكم به بين الناس في المنازعات ولا يُعمل به وإنما العمل بنظام جنكيزخان و«إشارات» ابن سينا.

(٢) المقبول عندهم: حكم العقل لا حكم القرآن ولا يستوي الحكمان.

يَبْكـــي عليْـــهِ أهلُـــهُ وجُنُـــودُهُ
بِـــدِمـــائِهِـــمْ ومـــدَامِـــعِ الأجْفـــانِ
عهـــدُوهُ قِـــدْمـــاً ليْـــسَ يحْكُـــمُ غيْـــرُهُ
وســـواهُ معـــزُولٌ عَـــنِ السُّلْطـــانِ
إنْ غـــابَ نـــابَـــتْ عنـــهُ أقـــوالُ الـــرَّسُـــو
لِ هُمـــا لهُـــمْ دُونَ الـــورىٰ حَكَمَـــانِ
فـــأتـــاهُـــمُ مـــا لَـــمْ يكُـــنْ فـــي ظَنِّهِـــمْ
فـــي حُكْـــمِ جنكِـــزْخـــانِ ذي الطُّغْيـــانِ
بجُنُـــودِ تعطيـــلٍ وكُفـــرانٍ مِـــنَ الـ
ـمَفْعُـــولِ ثُـــمَّ الـــلاَّصِ والعـــلاَّنِ
فعلـــوا بمِلَّتِـــهِ وسُنَّتِـــهِ كمَـــا
فعلُـــوا بـــأُمَّتِـــهِ مِـــنَ العُـــدْوانِ
والله مـــا انقـــادُوا لجنكِـــزْخـــانِ حَتْـ
ـتَـــىٰ أعـــرضُـــوا عَـــنْ مُحْكَـــمِ القُـــرآنِ
والله مـــا ولَّـــوهُ إلاَّ بعـــدَ عَـــزْ
لِ الـــوَحْـــيِ عـــنْ علْـــمٍ وعـــنْ إيقـــانِ
عـــزلـــوهُ عـــنْ سُلطـــانِـــهِ وهـــو اليَقيـ
ـــنُ المُستفـــادُ لنـــا مِـــنَ السُّلْطـــانِ
هـــذا ولـــم يكـــفِ الـــذي فعلُـــوهُ حَتْـ
ـتَـــىٰ تَمَّمـــوا الكُفـــرانَ بـــالبُهتـــانِ

جعلُوا القُرآنَ عِضينَ إذ عَضَهُوهُ أنْـ
ـسواعـاً مُعـدَّدةً مـن النُّقصـانِ(١)
منهـا انتفـاءُ خُـروجِـه مِـن رَبِّنـا
لـم يَبْـدُ مِـنْ رَبٍّ ولا رحمْـن(٢)
لكنَّـهُ خَلْـقٌ مـن اللـوحِ ابتـدا
أو جبـريـلَ أو الـرسـولِ الثـانـي(٣)
مـا قـالَـهُ ربُّ السمـاوات العُلـىٰ
ليسَ الكلامُ بوصفِ ذي الغُفرانِ(٤)
تَبـاً لهُـمْ سلبُـوهُ أكْمـلَ وصْفِـه
عَضَهُـوهُ عَضْـهَ الـرَّيْـبِ والكُفـرانِ

---

(١) قطَّعوا القرآن أعضاء وأجزاء للقضاء عليه، كما أنّ الكفار وصفُوا القرآن بأنّه سحر، وأنّه كلام البشر، وأنّه أساطير الأولين وأنّه... فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] أي: أجزاء وأسماء مختلفة، فسمّاه بعضهم سحر، وبعضهم كلام البشر، وبعضهم أساطير الأولين.

(٢) بعضهم قال: إنه مخلوق يعني القرآن خلقه الله في اللوح المحفوظ أو في جبريل أو محمد فهو عند الجهمية ليس بكلام الله.

(٣) والجهمية قالوا: القرآن ليس كلام الله، بل إمّا إنّ الله خلقَهُ في اللوح المحفوظ أو في جبريل أو في الرسول ﷺ.

(٤) يقولون: ليس الكلام صفة لله عزّ وجل فينفون عن الله تعالىٰ أنّه يتكلم.

هــل يستــوي بــاللهِ نسْبَتُــهُ إلــىٰ
بَشــرٍ ونسبَتُــهُ إلــىٰ الــرَّحمٰــنِ

مــن أيــنَ للمخلــوقِ عَيْــنُ صِفــاتِــهِ
اللهُ أكبــــرُ ليـــسَ يستــــويــــانِ

بَيْــنَ الصفــاتِ وبيــنَ مخلــوقٍ كمــا
بيـــنَ الإلٰـــهِ وهـــذهِ الأكـــوانِ[1]

هــذا وقــدْ عَضَهُــوهُ أنَّ نُصــوصَــهُ
مَعـــزُولـــةٌ عـــن إمـــرةِ الإيقـــان[2]

لكـــنَّ غـــايتَهـــا الظنُـــونُ وليتَـــهُ
ظنّـــاً يكـــونُ مُطـــابقـــاً ببيـــانِ[3]

لكــنْ ظــواهِــرُ مــا يُطــابِــقُ ظنَّهــا
مــا فــي الحقيقَــةِ عنــدنــا بِــوِزَانِ

إلا إذا مـــا أُوِّلَـــتْ فمجـــازُهَـــا
بِـــزِيـــادَةٍ فيهـــا أو النُّقْصـــانِ

---

(١) لا تشابه بين الله وبين خلقه ولا بين صفاتهم وصفاته كما أنّ ذات الله تعالىٰ لا تشبه ذوات المخلوقين كذلك صفاتُه لا تشبه صفات المخلوقين، لأنّ الصفات تابعة للذات.

(٢) عزلوا كلام الله عن الاستدلال لأنه لا يفيد اليقين عندهم.

(٣) غاية ما يُفيدُه القرآن أنّه يُفيد الظن ولا يُفيد اليقين، فلا يصح الاستدلال به في العقيدة عندهم.

أو بـــالكنَـــايَـــةِ واستِعَـــارَاتٍ وتَشْـ
ـبيـــهِ وأنـــواعِ المجـــازِ الثَّـــانـــي
فـــالقَطْـــعُ ليـــسَ يُفيـــدُهُ والظَّـــنُ مَنْـ
ـفـــيٌّ كـــذلِـــكَ فـــانْتفَـــىٰ الأمـــرانِ
فَلِـــمَ المـــلامَـــةُ إذْ عَـــزَلنَـــاهـــا وولْـ
لَيْنَـــا العُقُـــولَ وفِكْـــرَةَ الأذهـــانِ
فاللهُ يُعْظِمُ في النصوصِ أجورَكُمْ
يـــا أُمـــةَ الآثـــارِ والقُـــرآنِ[1]
مـــاتَـــتْ لـــدىٰ الأقـــوامِ لا يُحْيُـــونَهـــا
أبـــداً ولا تُحْيِيهُـــمُ لِهـــوانِ
هـــذا وقـــولُهُـــمُ خِـــلافُ الحِـــسِّ والْـ
ـمَعْقُـــولِ والمنقـــولِ والبُـــرهـــانِ
مـــع كَـــوْنِـــهِ أيضـــاً خِـــلافَ الفِطْـــرَةِ الْـ
أوْلـــىٰ وسُنَّـــةِ رَبِّنـــا الـــرحمٰـــنِ[2]
فـــاللهُ قَـــدْ فَطَـــرَ العبـــادَ علـــىٰ التفـــا
هُـــمِ بـــالخِطـــابِ لمقصـــدِ التبيـــانِ[3]

---

(١) يُعزِّي أهل الكتاب والسنة بما فعلَه هؤلاء.

(٢) هذا ردٌّ عليهم، لأن قولهم هذا خلاف النقل والعقل والفطرة.

(٣) يقول: لو كان كلام الله والرسول لا يُفيدان اليقينَ فهذا يسري علىٰ كلام النّاس كلِّهم، فيكون كلام الناس لا يُبنىٰ عليه شيء، لا عقود تملُّك ولا =

كــلٌّ يَــدُلُّ علــىٰ الــذي فــي نفسِــهِ
بكــلامِــهِ مــن أهــلِ كُــلِّ لســانِ[١]

فتــرىٰ المُخــاطَــبَ قــاطعــاً بمُــرادِهِ
هــذا مــع التقصيــرِ فــي الإنســانِ[٢]

إذْ كُــلُّ لفــظٍ غيــرِ لَفْــظِ نبيِّنــا
هــو دونَــهُ فــي ذا بــلا نُكــرانِ[٣]

حــاشــا كــلامَ اللهِ فهــو الغــايــةُ الـ
ـقصــوىٰ لــهُ أعلــىٰ ذُرىٰ التبيــانِ[٤]

= بيع ولا شراء ولا أنكحة ولا أيِّ شيء، لأنّه كلامٌ محتمل، وكذلك الشهادة لا يُبنىٰ عليها حكم شرعي لأنّها تحتمل، فكل شيء محتمل فتخرب الدنيا بهذا القانون الشيطاني الذي جاؤوا به.

(١) لغة العالم وُضعت للتفاهم والتخاطُب وبناء الأحكام والعقود عليها سواءً كانت ألفاظاً عربية أو أعجمية حتىٰ الطيور والوحوش كلُّها تتفاهم بينها بلغاتها التي جعلها الله فيها، ويفهم بعضُها بعضاً وتبني عليها ما تريد من تصرفات.

(٢) فالناس يبنون علىٰ كلامهم أحكاماً مع قصوره فكيف لا يُبنىٰ علىٰ كلام الله وكلام رسوله المعصوم من الخطأ.

(٣) لا شك أنّ كلام الناس أقلُّ درجة من كلام الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ.

(٤) إذا كان هذا في كلام الرسول ففي كلام الله من باب أولىٰ، فكلام الله تعالىٰ هو أفصح وأبين من كلام البشر.

لَـمْ يفْهَـمِ الثَّقَـلانِ مِـنْ لَفْـظٍ كمـا
فَهِمُــوا مِــنَ الأخبــارِ والقُــرآنِ

فهو الذي استولىٰ علىٰ التبيانِ كاسـ
ـتيـلائـه حقـاً علـىٰ الإحْـسـانِ(١)

مـا بَعْـدَ تِبْيـانِ الـرَّسُـولِ لِنـاظِـرٍ
إلاَّ العمـىٰ والعيْـبُ فـي العُمْيـانِ

فـانظـرْ إلـىٰ قـولِ الـرسـولِ لسـائـلٍ
مِـنْ صَحْبِـهِ عـن رؤيـةِ الـرحمٰـنِ

حقّـاً تـرونَ إلٰهكـم يـوم اللقـا
رؤيـا العِيـانِ كمـا يُـرَىٰ القمـرانِ

كـالبـدرِ ليـلَ تَمـامِـهِ والشمـسِ فـي
نَحْـرِ الظهيـرةِ مـا همـا مِثْـلانِ

بـل قصـدُهُ تحقيـقُ رؤيتنـا لـه
فـأتـىٰ بـأظهـرِ مـا يُـرىٰ بِعيـانِ

ونفـىٰ السحـابَ وذاكَ أمـرٌ مـانـعٌ
مِـن رؤيـةِ القمـريـنِ فـي ذا الآنِ

---

(١) كلام الله وكلامُ رسوله استوليا علىٰ البيان، فليس هناك أبلغ ولا أبين ولا أوضح ولا أفصح من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ولا أسلم من التناقض والاختلاف من كلام الله ورسوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فـأتـىٰ إذاً بـالمقتضـىٰ ونفـىٰ المـوا
نِـعَ خشيـةَ التقصيـرِ فـي التِّبيـانِ
صلَّـىٰ عليـه اللهُ مـا هـذا الـذي
يـأتـي بـه مِـنْ بعـدِ ذا بِبيـانِ(١)

---

(١) لمَّا سألَ النبيَّ ﷺ سائلٌ من الصحابة هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ فقال: رسول الله ﷺ: «هل تُضَارّونَ في القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك»(*).

فهل بعد هذا البيان بيان؟ حيث شبَّه، رؤية الله برؤية النيِّرين الشمس والقمر، ولم يشبه المرئي بالمرئي، فهذا غاية البيان والإيضاح من الرسول ﷺ، وهذه الرؤية يوم القيامة، وأمَّا في الدنيا فلا يراه أحدٌ من الناس لأنَّهم لا يتحمَّلُون رؤيته لضعفهم وضعف قواهم ومداركهم وأجسامهم، فلو تجلَّىٰ لهم ربُّ العزة لهلكوا، وأمَّا في الآخرة فإنَّ الله يُعطي المؤمنين قوةً يرون فيها ربَّهم إكراماً لهم لأنَّهمُ عبدوه في الدنيا باليقين وهم لم يروه، فيتجلىٰ لهم يوم القيامة إكراماً لهم وتشريفاً لهم، أمَّا الكفار الذين كفروا به فيحرمهم هذه النعمة، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وقصد الرسول ﷺ من هذا التشبيه نفي كل الاحتمالات وإثبات أنَّها رؤيةٌ حقيقة، فليس بعد هذا البيان بيانٌ أبداً ولا إشكال.

(*) أخرجه أحمد «المسند» ١٣/ ٣٠٣ (٧٩٢٧)، والبخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) (٢٩٩) من حديث أبي هريرة.

مــاذا يقــولُ القــاصِــدُ التِّبْيــانَ يَــا
أهــلَ العَمَــىٰ مِــنْ بَعْــدِ ذا التِّبْيــانِ
فبــأيِّ لفــظٍ جــاءكُــم قُلتُــمْ لَــهُ
ذا اللفــظُ معــزُولٌ عــن الإيقــان[١]
وضَــرَبْتُــمُ فــي وجْهِــهِ بعسَــاكــرِ التْـ
تَــأْويــلِ دفعــاً منْكُــمُ بِليَــانِ
لَــوْ أنَّكُــمْ واللهِ عــاملْتُــمْ بــذا
أهْــلَ العُلُــومِ وكُتْبِهِــمْ بِــوِزانِ
فسدَتْ تصانِيفُ الوجُودِ بأسْرِهَا
وغَــدَتْ عُلُــومُ النَّــاسِ ذاتَ هــوانِ
هــذا وليسُــوا فــي بيــانِ عُلُــومِهِــمْ
مثْــلَ الــرَّسُــولِ ومُنْــزِلِ القُــرآنِ
واللهِ لَــوْ صــحَّ الــذي قــدْ قُلْتُــمُ
قُطِعَــتْ سبيــلُ العلــمِ والإيمــانِ
فــالعقــلُ لا يهــدي إلــىٰ تفصيلهــا
لكــنَّ مــا جــاءت بــه الــوحيــان[٢]

---

(١) مع هذا البيان الواضح تقولون: هذا اللفظ لا يُفيد اليقين فخبر الرؤية لا يُفيد اليقين.

(٢) أهل السنة والجماعة لا يعزلُون العقل تماماً كما تقولُه الأشاعرة ولا يؤلهونَهُ كما تقولُه المعتزلة، فالمعتزلة يغلون في العقل حتىٰ يجعلوهُ هو =

فــإذا غــدا التَّفْصِيــلُ لفظيّــاً ومعَـْ
ــزُولاً عَــنِ الإيقــانِ والــرُّجْحــانِ

فهُنــاك لا عِلْمــاً أفــادَتْ لا ولا
ظَنّــاً وهــذا غــايــةُ الحِــرْمــانِ

لو صحَّ ذاكَ القولُ لم يحصُلْ لنا
قطــعٌ بقــولٍ قــطُّ مــن إنســانِ[1]

وغـدا التَّخـاطُـبُ فـاسـداً وفسـادُهُ
أصــلُ الفســادِ لِنــوعِ ذا الإنســانِ

مــا كــانَ يحْصُــلُ عِلْمُنــا بِشهــادَةٍ
ووصِيَّــــةٍ كـــلا ولا إيمـــانِ

وكــذلِــكَ الإقــرارُ يُصْبِــحُ فــاسـداً
إذْ كــانَ مُحْتَمِــلاً لِسَبْــعِ مَعَــانِ

= المقدَّم، والأشاعرة يعزلون العقل ويقولون: لا حكم إلاَّ بالشرع، والعقل لا يُفيد شيئاً، فيُلغون العقول، وأهل السنة يتوسطون: فيقولون: العقل يُستدلُّ به علىٰ قدرة الله وعلىٰ استحقاق الله للعبادة لكن لا يستقل بالاستدلال في أمور الآخرة وأمور الأحكام الشرعية، لكنه يدل علىٰ الحسن والقبح في الجملة لكن لا يستقل ويُبنىٰ عليه الحكم وحدَهُ فلا بُدَّ من الشرع فأهل السنة يجمعون بين الشرع والعقل.

(١) لو صحَّ ما تقولُون: إنَّ كلام الله ورسولِهِ لا يفيد اليقين، ما صحَّ لنا كلامٌ في الدنيا، ولفسدت أمور الناس كُلُّها.

وكـذا عقـودُ العـالميـنَ بـأسـرِهـا
بـاللَّفْـظِ إذْ يتخـاطـبُ الـرَّجُـلانِ[١]
أيســوغُ للشُّهَــدا شهــادَتُهُــمْ بهــا
مِــن غيــرِ عِلْــمٍ منهُــمُ ببيــانِ[٢]
إذ تِلْكُــمُ الألفــاظُ غيــرُ مُفيــدةٍ
للعلـمِ بـلْ للظـنِّ ذي الـرُّجْحـانِ[٣]
بــلْ لا يسُــوغُ لِشـاهـدٍ أبـداً شهَـا
دَتُــهُ علــىٰ مــدْلُــولِ نُطْــقِ لســانِ
بــل لا يُـراقُ دمٌ بلفـظِ الكُفْـرِ مِـنْ
مُتَكَلِّــمٍ بــالظَّــنِّ والحُسبــانِ[٤]

---

(١) عقود العالمين بأسرها والنقوض من طلاق وفسخ لا تصح علىٰ قولكم لأنَّها بالألفاظ، والألفاظ عندكم محتملة. فإمَّا أن تحكموا أن جميع هذه الألفاظ لا تصلح ومنها كلامكم، أو تحكموا أنَّ الألفاظ يُبنىٰ عليها أحكام وأعظمُها كلام الله وكلام رسوله، أمَّا إنَّكم تتحكمون وتقولون: إنَّ كلام الله ورسوله لا يُفيد اليقين، وأمّا كلام الناس فيُفيد اليقين فهذا باطل.

(٢) كيف يشهد الشهود علىٰ حقوق النَّاس وهم إنَّما يشهدون عليها بالكلام؟

(٣) كيف يشهد الشهود علىٰ العقود وإنما هي كلامٌ من طرفين، والكلام يحتمل ولا يُفيد العلم عندكم.

(٤) كذلك إذا نطق إنسانٌ بالردة، كأن يسبَّ الله أو يسبَّ رسولَهُ ﷺ أو يسبَّ دين الإسلام لا نحكم عليه، لأنَّ كلامَهُ هذا محتمل ولا ندري ما في =

بَـلْ لا يُبَـاحُ الفَـرْجُ بَـالإذْنِ الَّـذي
هُـو شَـرْطُ صِحَّتِـهِ مِـنَ النِّسْـوانِ
أيسـوغُ للشهـداءِ جَـزْمُهُـمُ بـأنْ
رَضِيَـتْ بلفـظٍ قـابـلٍ لِمَعـانِ[1]
هـذا وجُمْلَـةُ مـا يُقَـالُ بـأنَّـهُ
فـي ذا فسـادُ العقـلِ والأديـان[2]

= قلبه، فلا يحكم على أحدٍ بردة لمجرَّد الكلام الذي نطق به، والنبي ﷺ يقول: «من بدَّل دينَهُ فاقتلوه»(*) فإذا تكلَّم بِسَبِّ الله ورسوله والاستهزاء بالقرآن وجب قتله، وهذا كلام عندكم لا يُفيد، وهذه قالوها في هذه الأيام حيث ظهر الآن جماعة من المرجئة يقولون: لو سبَّ الله أو الرسول لا يحكم عليه بالردة لأنَّ كلامَهُ محتمل حتىٰ نعلم ما في قلبه، فهذا مأخوذ من هذه القاعدة الفاسدة من المتكلمين.

(١) الشهود يخبرون عن رضا الزوج وعن رضا الزوجة، لأنَّ من شروط صحة عقد النكاح التراضي بين الزوجين، فالذي يثبت لنا التراضي هو الشهادة، وهذا عندكم كلامٌ لا يفيد، وعليه فالعقد باطل، والاستباحة للفرج غير صحيحة عندكم.

(٢) خُلاصة ما سبق: أنَّهُ يلزم علىٰ كلامِهِم فساد الكلام والأديان جميعاً، هذه كلها لوزام مذهبهم الباطل حيث يقولون: إنَّ نصوص الكتاب والسنة لا يستفاد منها العلم.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٣٦٤ (١٨٧١)، والبخاري (٦٩٢٢)، وأبو داود (٤٣٥١)، والترمذي (١٤٥٨) من حديث ابن عباس.

هــذا ومِــنْ بُهتــانِهِــمْ أنَّ اللغــا
تِ أتَــتْ بنقــلِ الفَــرْدِ والــوُحْــدانِ
فــانظــرْ إلــىٰ الألفــاظِ فــي جــريــانِهــا
فـــي هـــذه الأخبـــارِ والقـــرآنِ[1]
أتظنُّهـــا تحتـــاجُ نقـــلاً مُسنـــداً
مُتـــواتـــراً أو نقـــلَ ذِي وِحْـــدانِ[2]
أمْ قَدْ جَرَتْ مجرىٰ الضروريّاتِ لا
تَحْتـــاجُ نقـــلاً وهـــي ذاتُ بيـــانِ[3]

---

(١) هذه مسألةٌ أصولية وهي: هل اللغات توقيفية أو اصطلاحية فإذا كانت اصطلاحية فمعناه: أنهَّا لا تُفيد شيئاً لأنَّها من وضع البشر والنَّاس يبنون عليها الآن، يتخاطبون بها وكلٌّ بلغته، فيلزم علىٰ قولهم فساد اللغة من الأصل لأنَّها من وضع البشر، وإن قيل: إنها توقيفية من الله، فمن الذي نقلها لنا؟ أليس الذي نقلها أفراد وجماعات، فاللغة منقولة إلينا بالرواية كما في كتب اللغة والنحو.

(٢) يعني اللغة هل لا بُدَّ أن تُنقل متواترة أو يكفي نقل الأفراد؟ إن قلتم: إنَّهُ لا بدُّ من التواتر فليس هناك تواتر، وإن قلتم: إنه يكفي نقل الأفراد، بطل قولكم إن خبر الواحد لا يفيد العلم.

(٣) هذا القول الثاني أنها اصطلاحية يضعها الناس باصطلاحهم، ولكنَّ القول الأول أنَّ اللغات توقيفية وأنَّها من تعليم الله للعباد، هو القولُ الصحيح، وإذا كانت توقيفية فلا بُدَّ لها من النقل، والنقل الغالب أنَّهُ أفراد ووحدان، وأنتم تقولُون: خبر الواحد لا يُفيد شيئاً، فأبطلوا اللغة لأنَّها من رواية الأفراد والآحاد.

إلاَّ الأقَلَّ فإنَّهُ يحتاجُ للنْـ
نَقْلِ الصَّحيحِ وذاكَ ذُو تبْيانِ
ومِنَ المصائِبِ قولُ قائِلِهِمْ بأنْ
نَ اللهَ أظهرُ لفظةٍ بلسانِ[1]
وخلافُهُمْ فيه كثيرٌ ظاهرٌ
عَرَبِيٌّ وَضْعِ ذاكَ أم سِرْيانِي[2]

---

(١) لفظ الجلالة «الله» هو أظهر لفظة في كل الألسن، ثمَّ اختلفوا في لفظ الجلالة «الله»، هل هو لفظ عربي، أو لفظ سرياني، وهل هو مشتق أو جامد؟ وإذا كان مشتقاً فمن أين اشتقاقه، فإذا كان هذا النزاع حصل في لفظ الجلالة الذي هو باتفاقٍ أعظمُ لفظٍ تعرفُهُ الأمم، ومع هذا فيه خلاف: هل هو من المشتقات أو الجامدات؟ وإذا كان من المشتقات فما اللفظ الذي اشتُقَّ منه؟ فهذا يُحدث التشُّكك حتىٰ في لفظ الجلالة.

(٢) يعني: إذا كان هذا الخلاف جرىٰ في لفظ الجلالة «الله» هل هو عربي أو أعجمي؟ وهل هو مشتق أم جامد؟ فهل هذا الخلاف يؤثر علىٰ أنَّ الله رب العالمين؟! لا يؤثر، كذلك الكلام إذا جرىٰ فيه خلاف في اشتقاقه أو جموده أو غير ذلك من الاصطلاحات البلاغية، فهذا لا يؤثر علىٰ دلالته علىٰ المعنىٰ المطلوب، كما أنَّ هذا الخلاف الذي جرىٰ في لفظ الجلالة لا يؤثِّر علىٰ اعتقاد أنَّ الله جلَّ وعلا، هو ربُّ العالمين بلا شك وأنَّهُ خالق ومدبر والكون، فالاختلاف في الألفاظ لا يؤثِّر علىٰ معانيها ودلالتها.

وكــذا اختــلافُهُــمُ أمشْتَقّــاً يُــرىٰ

أمْ جــامِــداً قــولانِ مشْهُــورانِ

والأصـلُ مـاذا فيـه خُلْـفٌ ثـابِـتٌ

عنــدَ النُّحــاةِ وذاك ذُو ألْــوانِ

هــذا ولفْــظُ اللهِ أظهــرُ لفْظَــةٍ

نطَـقَ اللِّسـانُ بِهـا مـدىٰ الأزمـانِ

فـانظُـرْ بِحَـقِّ اللهِ مـاذا فـي الـذي

قــالُـوهُ مِــنْ لَبْــسٍ ومِــنْ بُهتــانِ

هــل خــالَـفَ العقــلاءُ أنَّ اللهَ ربْ

ربُ العــالميــنَ مُــدَبِّــرُ الأكــوانِ

مــا فيـهِ إجمــالٌ ولا هُــوَ مُـوهِـمٌ

نَقْــلَ المجَــازِ ولا لَــهُ وَضْعــانِ

والخُلْـفُ فـي أحـوالِ ذاكَ اللَّفْـظِ لا

فــي وضعِـهِ لـمْ يختلِـفْ رجُـلانِ

وإذا هُــمُ اختلفــوا بلفْظَــةِ مَكَّــةٍ

فيــه لهُــمْ قــولانِ معــروفــانِ

أفَبينَهُــمْ خُلْــفٌ بــأنَّ مُــرادَهُــمْ

حَــرَمُ الإلٰــهِ وقبلَــةُ البُلْــدانِ[1]

---

(١) وكذلك لفظ مكة البلد الحرام، هل هي مشتقة من مكَّ الشيء إذا أهلَكَهُ، لأنَّها تُهلِك الجبابرة والطغاة، أو هي لفظٌ جامد؟ هل هذا يؤثر علىٰ =

وإذا هُـمُ اختلفُـوا بلفْظَـةِ أحمـدٍ
فيـهِ لهُـمْ قـولانِ مـذْكُـورانِ
أفبيْنَهُـمْ خُلْـفٌ بـأنَّ مُـرادَهُـمْ
مِنْـهُ رسُـولُ اللهِ ذُو البُـرهـانِ
ونظيـرُ هـذا ليـسَ يُحْصَـرُ كثْـرَةً
يـا قـومُ فـاستحيـوا مِـنَ الـرَّحمٰـنِ
أبمثْـلِ ذا الهـذيـانِ عُـزِلَـتْ نصـو
صُ الوحي عن علمٍ وعن إيقانِ[1]
فـالحمـدُ للهِ المُعـافـي عبْـدَهُ
مِمَّـا بـلاكُـمْ يـا ذوي العِـرفـانِ
فـلأجـل ذا نَبـذُوا الكتـابَ وراءَهُـم
ومضـوا علـىٰ آثـارِ كـلِّ مُهـانِ[2]

= المقصود بها أنها مكة وأنَّها أمُّ القرىٰ وأنَّها البلد الحرام، فالخلاف في لفظها لا يؤثِّر علىٰ حقيقتها؟

(١) يعني بمثل هذه الاختلافات في الألفاظ واللغات والمسميات تُعزل النصوص عن مدلولاتها، وهذا باطل.

(٢) لأجل هذا المذهب الباطل: أنَّ الألفاظ لا تفيد العلم نظراً للاختلاف الذي قيل فيها، نبذوا الكتاب والسنة، لأنَّ ألفاظهما ألفاظُ ظواهر لا تفيد اليقين عندهم واعتمدوا علىٰ علم الكلام والمنطق فاستبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

ولأجل ذاك غَدَوْا علىٰ السُّنَنِ التي
جاءتْ وأهليها ذوي أضغانِ[١]
يرمُونَهُمْ كَذِباً بِكُلِّ عَظِيمَةٍ
حاشاهُمُ مِنْ إفْكِ ذي بُهتان

* * *

(١) الأضغان جمع ضغن: وهو الحقد، فصارُوا يحقدون علىٰ علماء السنة ورواة الحديث لأنَّهمُ يجادِلونهم بالكتاب والسنة.

ويناظرونهم بهما، فهم خصموهم بالنصوص التي لم يجدوا منها مخرجاً، فلذلك صارُوا يحقدون علىٰ أهل السنة لأنَّهم أفسدوا عليهم منهجهم ومذهبهم، وهكذا كل صاحب ضلالة فإنَّه يحقد علىٰ أهل الحق لأنَّ أهل الحق يفضحون ضلالته ويُبيِّنون مخازيه.

فصل

في تنزيه أهل الحديث وحملة الشريعة عن الألقاب القبيحة والشنيعة[(١)]

فـرمَـوْهُـمْ بغيـاً بمـا الـرّامـي بِـهِ
أوْلَـىٰ ليـدفـعَ عنـهُ فِعـلَ الجـانـي

يـرمـي البـريءَ بمـا جنـاهُ مُبـاهتـاً
ولـــذاك عنـــدَ الغِـــرِّ يشتبهـــانِ[(٢)]

سَمَّـــوْهُـــمُ حَشْـــوِيَّـــةً ونـــوابِتـــاً
ومُجَسِّمِيـــنَ وعـــابـــدي أوثـــانِ[(٣)]

---

(١) لمَّا ختم الفصل السابق بأنَّ خصوم الحق لمَّا أعياهُم الرد بالحجة لجؤوا إلىٰ الألقاب التي يُلَقِّبُون بها أهل الحق، عقد هذا الفصل لردِّ هذه الفرية، وأنَّ أهل الحق بريئُون من هذه الألقاب وأنَّها بمن وضعها ألصق، فهم يُلقبُون أهل الحق بألقاب تنطبقُ عليهم هم.

(٢) رموهم بغياً بما الأجدر به الرامي لهم لأنه يرمي البريء بما ليس فيه، فيُصدقُهُ ذلك الغِرُّ الذي لا يدري، فيكون في نفسه حقد علىٰ أهل الحق، وتؤثِّر فيه هذه التهمة، فأمَّا العالم والمُدْرِك فإنَّهُ لا تنطلي عليه هذه الخديعة.

(٣) رموا أهل الحق بهذه الألقاب بأنهم الحشوية: الذين لا يفهمون شيئاً، فهم حشوٌ في الوجود، فوجودُهم كعدمهم، تقول: هذا كلامٌ حشو ليس فيه فائدة، فعندهم: أنَّ علماء أهل السنة من هذا النوع، حشو في الوجود ليس عندهم إدراك ولا معرفة، وهذا من أجل التنفير عنهم، وفي الحقيقة =

وكــذلــك أعــداءُ الـرســولِ وصَحْبِـهِ

وهُــم الــروافــضُ أخبــثُ الحيــوانِ

نَصَبُـوا العــداوةَ للصحــابــة ثــمَّ سَمْـ

ـمَوْا بـالنـواصـبِ شيعـةَ الـرحمٰـن[١]

= أنَّ أهل الضلال هم الحشوية، لأنهم هم الذين ليس فيهم فائدة، لأنَّهمُ لما تركوا الكتاب والسنة صاروا حشواً في الوجود لا فائدة منهم، وسمَّوا أهل نوابت: يعني حدثاء لم يسبق لهم خبرة ولا معرفة وإنما هم جديدون علىٰ العلم ومعرفة الحقائق لم يتبصروا فيها، وسموهم مُجسِّمة لأنهم يثبتون الصفات، ومُثبت الصفات عندهم مُجسِّم، وسموهم عابدي أوثان: فيقولون: من وصف الله بأسمائه وصفاته فقد شبَّههُ بالمخلوقين فيكون كمن يعبد صنماً، لأنَّ هذه الأسماء والصفات إنَّما تنطبق علىٰ المخلوقين فكأنَّهم يعبدون مخلوقاً، والله تعالىٰ عندهم ليس لَهُ اسمٌ ولا صفة، فنحن نقولُ لهم: وأنتم تعبدون عدماً، لأنَّ الذي ليس لَهُ أسماء ولا صفات معناه أنَّهُ معدومٌ، وهذا في معتقد الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم، ونقول لهم: إن أسماء الخالق وصفاته لا تشبه أسماء وصفات المخلوق.

(١) الروافض يسمُّون كل من لم يذهب مذهبهم في بغض الصحابة وتكفير أبي بكر وعمر يسمُّونهم نواصب، فيسمون أهل السنة بالنواصب يقولون: لأنهمُ نصبوا العداوة لعليٍّ فكل من لم يتبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة فإنَّهُ يكون عدواً لعليٍّ، والواقع أن الصحابة كلَّهم إخوة متحابُّون في الله عز وجل متناصرون، وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر عثمان وعلي وأهل السنة يحبون الجميع ولا يعادون أحدا من الصحابة. وإنما هذه صفة أهل الضلال الذين يفرقون بين الصحابة فيوالون بعضهم ويبغضون البعض الآخر منهم.

وكـذا المعطِّـلُ شبَّـه الـرحمٰـن بـالـ
ـمعدومِ فاجتمعَتْ لَهُ الوصفانِ(١)

وكــذاكَ شبَّــه قــولَــهُ بكــلامِنــا
حتــىٰ نفــاهُ وذانِ تَشبيهــانِ(٢)

وكــذلــك شبَّــه وصفَــهُ بصفــاتِنــا
حتــىٰ نفــاهــا عنــهُ بــالبُهتــانِ(٣)

وأتــىٰ إلــىٰ وصــفِ الـرسـولِ لـربِّـه
سمَّــاهُ تشبيهــاً فيــا إخــوانــي(٤)

---

(١) شبَّهُ المعطلُ الرَّبَّ بالمعدوم، لأنَّ الذي ليس لَهُ أسماء ولا صفات هو المعدوم، فاجتمع لكم التشبيه بالمعدوم والتعطيل للصفات.

(٢) الجهمية شبَّهوا كلام الله بكلام خلقه، ولذلك نفوا الكلام عن الله جلَّ وعلا لئلا يقتضي التشبيه عندهم.

(٣) يقلب عليهم الحُجَّة لأنهم هم يقولُون: أهل السنة مشبهة لأنَّهمُ أثبتوا الأسماء والصفات لله، وإثباتُها يقتضي التشبيه بزعمهم، ونحن نقول: أنتم الذين شبهتم الله لأنَّه ما وقع في أنفسكم من هذه الأسماء والصفات إلاَّ ما هو يشبه صفات وأسماء المخلوقين، فلذلك نفيتموها فجمعتم بين التشبيه وبين التعطيل، شبهتهم أولاً ثمَّ عَطَّلتم ثانياً، فهم ما نفوا الأسماء والصفات عن الله إلا بعد أن شبهوهُ بخلقه.

(٤) وصفوا الرسول ﷺ بأنَّهُ مُشبِّه لأنَّهُ وصف الله بهذه الصفات وسمَّاهُ بهذه الأسماء فيكون الرسول علىٰ قولهم مُشبِّهاً.

بـالله مَـنْ أولـىٰ بهـذا الاسْـمِ مِـنْ
هـذا الخبيـثِ المُخبِـثِ الشَّيْطـانـي
إن كـان تشبيهـاً ثُبـوتُ صفـاتِـهِ
سبحـانَـهُ أكْمِـلْ بـه ذي شـانِ[1]
لكـنَّ نفـيَ صفـاتِـهِ تشبيهُـهُ
بـالجـامـداتِ وكـلِّ ذِي نُقصـانِ[2]
بل بالذي هو غيرُ شيءٍ وهو مَعْـ
ـدُومٌ وإنْ يُفـرَضْ ففـي الأذهـانِ
فمَـنِ المشبِّـهُ بـالحقيقـةِ أنتُـمُ
أمْ مُثْبِـتُ الأوصـافِ للـرحمٰـنِ[3]

* * *

---

(١) إن كان عندكم إثبات الصفات تشبيهاً فنحنُ مشبهة ورضينا بهذا اللقب.

(٢) لكن التشبيه الحقيقي حصل عندكم أنتم، لأنكم ما وقع في أنفسكم من هذه الأسماء والصفات إلاَّ ما في الخلق فشبهتموه بخلقه ثمَّ عطَّلتموهُ من أسمائه وصفاته، فمن هو المُشبِّه إذاً؟

(٣) وهذا منهم تشبيهٌ آخر: إنَّهمُ لمَّا نفوها وعطَّلُوها شبهوا الله بالجامدات والمعدومات، وهذا أقبح التشبيه فتبين أنهم شبهوا الله أقبح التشبيه حيث شبهوه بالجامدات والناقصات.

فصل

في نكتةٍ بديعةٍ تُبيِّنُ ميراث الملَقِّبين والملَقَّبين من المشركين والموحدين

هــذا وثــمَّ لطيفــةٌ عَجَــبٌ ســأُبـ
ــديهـا لكُــمْ يـا معشـرَ الإخـوانِ

فـاسمـعْ فـذاك مُعطِّـلٌ ومشبِّـهٌ
واعْقِـلْ فـذاك حقيقـةُ الإنسـانِ

لا بُـدَّ أن يَـرِثَ الـرسـولَ وضِـدَّهُ
فـي النـاسِ طـائفتـانِ مختلفـانِ

فـالـوارِثـونَ لـه علـىٰ منهـاجِـهِ
والــوارثــون لضِــدِّهِ فئتــانِ

إحــداهُمـا حَــرْبٌ لــه ولحـزبِـهِ
مـا عنـدَهُـمْ في ذاك مِـنْ كِتمـانِ[1]

---

(١) يقول: إنَّ أهل الحق لهم ورثة، وأهل الباطل لهم ورثة، فأهل الباطل مِن قبل وهم المشركون لقَّبُوا رسول الله بأنَّهُ المُذَمَّم، وأنَّهُ ساحر وكاهن فورثهم هؤلاء الجهمية وأتباعهم فلقبوا أتباعَ الرسول ﷺ بأنَّهم حشوية، مُجسِّمة، نوابت، مشبهة، وفي الواقع أنَّ هذه الألقاب تنطبق علىٰ من قالها ولا تنطبق علىٰ مَن قيلت فيه، كما كان في عهد النبي ﷺ سواء بسواء.

فَرَمَوْهُ مِنْ ألقابِهِمْ بِعظَائِمٍ
هُمْ أَهْلُها لا خِيرَةُ الرَّحمٰنِ
فأتىٰ الأُولىٰ ورِثُوهُمُ فرمَوْا بِها
وُرَّاثَهُ بالبَغْيِ والعُدوانِ
هذا يُحقِّقُ إرثَ كُلٍّ منهُما
فاسمع وَعِهْ يا مَنْ لهُ أُذُنَانِ
والآخرون أُوْلُوا النفاقِ فأضْمَروا
شيئاً وقالوا غيرَهُ بلسانِ[1]
وكذا المُعَطِّلُ مُضْمِرٌ تَعْطِيلَهُ
قدْ أظْهرَ التَّنْزِيهَ للرَّحمٰنِ
هذي مواريثُ العبَادِ تقسَّمَتْ
بيْنَ الطَّوائِفِ قِسْمَةَ المَنَّانِ

---

(١) الذين عادوا الرسول ﷺ في وقته انقسموا إلىٰ قسمين: كُفَّار صُرحاء، صرَّحُوا بالعداوة والسبِّ والشتم للرسول ﷺ، وقسمٌ ثانٍ: أظهروا الإسلام، وهم أعداء للإسلام وللرسول، وهم المنافقون يأتون بألفاظ معسولة وفي قلوبهم الحقد علىٰ الرسول وأصحابه، وإذا سنحت فرصة أظهروا ما عندهم من الكفر والضلال، فأعداء الرسول علىٰ طائفتين: كفار ومنافقون، كذلك أعداء أهل السنة مُصرِّحُون بالعداوة ويقولون ما شاؤوا من الألقاب، وطائفةٌ منافقة تُظهر الولاء والمحبة لأهل السنة ولكنهم فيما بينهم وإذا سنحت لهم الفرصة ترميهم بالعظائم.

هـــذا وثـــم لطيفـــةٌ أُخـــرىٰ بهـــا
سُلْـــوانُ مَـــنْ قـــدْ سُـــبَّ بـــالبُهْتـــانِ

تَجِـــدُ المُعَطِّـــلَ لاعِنـــاً لِمُجَسِّـــمٍ
ومُشَبِّـــــهٍ للهِ بـــــالإنســـــانِ

واللهُ يَصْـرِفُ ذاكَ عـنْ أهـلِ الهُـدىٰ
كمُحمَّـــدٍ ومُـــذَمَّـــمٍ إسمـــانِ

هُـــمْ يشتُمُـــونَ مُـــذَمَّمـــاً ومُحمَّـــدٌ
عَـــنْ شَتْمِهِـــمْ فـــي مَعْـــزِلٍ وصيـــانِ

صـــانَ الإلٰـــهُ مُحمَّـــداً عـــنْ شتْمِهِـــمْ
فـــي اللَّفْـــظِ والمعْنـــىٰ هُمـــا صِنـــوانِ

كصيَـانَـةِ الأتْبـاعِ عَـنْ شَتْـمِ المُعَطْـ
طِـــلِ للْمُشَبِّـــه هكـــذا الإرْثَـــانِ

والســـبُّ مـــرجِعُـــهُ إليْهِـــمْ إذْ هُـــمُ
أهـــلٌ لِكُـــلِّ مَـــذَمَّـــةٍ وهـــوانِ

وكـــذا المُعطِّـــلُ يلْعَـــنُ اســـمَ مُشَبِّـــهٍ
واسمُ المُوَحِّدِ في حِمىٰ الرَّحمٰنِ

هـــذي حِســـانُ عـــرائِـــسٍ زُفَّـــتْ لكُـــمْ
ولـــدىٰ المُعطِّـــلِ هُـــنَّ غيْـــرُ حِســـانِ

والعلْـــمُ يـــدخُـــلُ قلْـــبَ كُـــلِّ مُـــوَفَّـــقٍ
مِـــنْ غيـــرِ أبـــوابٍ ولا استئـــذانِ

ويـرَدُهُ المحَـرُوم مـنِ خِـذْلانِـهِ
لا تُشْقِنَـا اللَّهُـمَّ بـالحـرْمـانِ
يـا فِـرقَـةً نَفَـتِ الإلٰـهَ وقَـوْلَـهُ
وعُلُـوَّهُ بـالجَحْـدِ والكُفـرانِ
مُـوتُـوا بِغَيْظِكُـمُ فـرَبِّـي عـالِـمٌ
بِسـرائـرِ مِنْكُـم وخُبْـثِ جَنَـانِ
فـاللهُ نـاصـرُ دينِـهِ وكتـابِـهِ
ورسُـولِـهِ بـالعلْـمِ والسُّلطـانِ
والحـقُّ رُكْـنٌ لا يقُـومُ لهـدِّهِ
أحـدٌ ولَـوْ جُمِعَـتْ لَـهُ الثَّقـلانِ
تُـوبُـوا إلىٰ الـرَّحمٰـنِ مِـنْ تَعْطيلِكُـمْ
فـالـرَّبُّ يقْبَـلُ تـوْبَـةَ النَّـدْمـانِ
مَـنْ تـابَ مِنْكُـمْ فـالجِنَـانُ مَصِيـرُهُ
أو مـاتَ جَهْمِيّـاً ففـي النِّيـرانِ

* * *

فصل

في بيان اقتضاء التجهُّم والجبر والإرجاء للخروجِ عن جميع ديانات الأنبياء[1]

---

(١) هذا الفصل يُبيِّن فيه الشيخ رحمه الله ما يترتب علىٰ هذه المذاهب الثلاثة الضالة وهي: الجبر والإرجاء والتَجهُّم. والجبر: عند القدرية الذين يقولون: إنَّ العبد مُجبر علىٰ أفعاله ليس لَهُ اختيار، وأنَّهُ يفعل الطاعات والمعاصي بغير اختياره، مُحرَّك ليس لهُ إرادة ولا مشيئة ولا اختيار، وإنَّما يتحرَّك بحسب القضاء والقدر، فحملوا علىٰ القضاء والقدر كلَّ أفعالهم ونسبوها إلىٰ الله، وبرَّؤوا أنفسهم منها، وعلىٰ هذا ليس عليهم لوم ولا مؤاخذة، وإذا عذَّبهم عليها فقد عذبهم علىٰ ما أجبرهم عليه، بل إنَّ بعضهم يزيد ويقول: أفعالي كُلُّها طاعات فيقول:

أصبحتُ منفعلاً لما يختارُهُ مِنِّي ففعلي كُلُّه طاعات

هذا قول الجبرية، وهو كفرٌ واضح حيث إنَّهم لم يجعلوا أحداً مؤاخذاً علىٰ أفعاله مهما فعل، وهذا لا شكَّ في بُطلانه.

والإرجاء أخبث من الجبر، والمرجىء هو الذي يقول: إذا اعترف العبد بوجود الله وربوبيته فهذا يكفي في الإيمان، ولو فعل ما فعل من الكفر والإلحاد والمعاصي، ما دام أنَّهُ لم يكذِّب بربوبية الله وألوهيته فإنَّهُ مؤمن كامل الإيمان، وسمُّوا مرجئة لأنَّهم أرجؤوا الأعمال يعني: أخَّروها عن مسمَّىٰ الإيمان، وهذا كفرٌ واضح، فمن سَبَّ الله ورسولَه وسجد للصنم وفعل ما فعل من أنواع الكفر وداس المصاحف، ما دام أنَّه =

واسْمَعْ وَعِهْ سِرّاً عجيباً كان مَكْـ
ـتُوماً من الأقوامِ مُنْذُ زَمانِ

= يؤمن بالله ورسوله ولم يُكذِّبهما فأفعالهُ معاص فقط لا تخرجه من الدين، وعندهم الكفر هو التكذيب فقط، والإيمان هو التصديق فقط، وهذا المذهب ظهر الآن على ألسنة بعض المتعالمين، يقولون: الكفر هو التكذيب فقط، وأمَّا الأفعال والأقوال فإنَّها لا تضر ما دام أنَّ القلب مُصدِّق حتىٰ لو سبَّ الله ورسوله، وهو ليس بمكذب لهما، وهذا مذهبٌ واضح البطلان، لكن لعل هؤلاء المتعالمين ما فطنوا لهذا القول، ولا عرفوا مدىٰ خبثه لجهلهم، لأنَّهم لم يتعلموا وإنَّما أخذوا علمهم من الأوراق ومطالعات الكتب، ولم يجلسوا في مجالس العلماء ويتعلَّمُوا مذهب أهل السنة والجماعة ويفهموه، إنَّما عكفوا علىٰ أوراق يُطالعونها، وظنُّوا أنَّهم علىٰ هذا يكونون عُلماء، وهذه مصيبة علىٰ الإسلام، أمَّا التجهم فهو مذهب الجهم بن صفوان، وهو نفي الأسماء والصفات والجبر والإرجاء فهو يجمع المذاهب الخبيثة كلها، فإذا تجمَّعت هذه المذاهب الثلاثة في رجل لم يبق عندَهُ من الإيمان حبة خردل، وخرج من الدين بالكلية ـ والعياذ بالله ـ لأنَّهُ ليس عندَهُ التوحيد الذي هو أصل الدين، وليس عندَهُ إيمان بالقضاء والقدر الذي هو ركنٌ عظيم من أركان الإيمان، وليس عندَهُ حقيقة الإيمان الذي هو قولٌ وعمل واعتقاد يزيد وينقص، فعندهم الكفر هو التكذيب فمن كذَّب بقلبه فهو الكافر، وإن صدق بقلبه فهو المؤمن ولو فعل ما فعل من الأفعال الوخيمة والكفريات ونواقض الإسلام، وبهذا تعرفون خبث هذه المذاهب.

فـــأذعْتُـــهُ بعـــدَ اللّتيّـــا والتـــي
نُصْحـــاً وخَــوْفَ مَعَــرَّةِ الكتمــانِ[١]

جيــمٌ وجيــمٌ ثــمَّ جيــمٌ مَعْهُمــا
مَقْــرُونَــةً مــع أحــرُفٍ بِــوِزانِ[٢]

فيهــا لــدىٰ الأقــوامِ طِلَّسْــمٌ متَــىٰ
تَحْلُلْــهُ تَحْلُــلْ ذِروَةَ العِــرفــانِ

فــإذا رأيــتَ الثــورَ فيــه تَقَــارَنَ الْـ
ـجيمــاتُ بــالتثليــثِ شَــرَّ قِــرانِ[٣]

دلَّــت علــىٰ أنَّ النُحــوسَ جميعَهــا
سَهْــمُ الــذي قــد فــازَ بــالخِـذْلانِ[٤]

---

(١) هذا المعنىٰ كان متقرراً في نفس الشيخ منذ زمن أنَّ هذه المذاهب إذا تجمعَّت أخرجت صاحبها من الإيمان، فتردد بين إظهاره وعدمه، إلاَّ أنَّهُ من باب النصيحة أظهرَهُ وبيَّنه، وهو ـ والله ـ في غاية البيان والتحقيق، فإذا تأملته وجدته ـ رحمه الله ـ قد نصح المسلمين نصيحة عظيمة، وحذَّرهم من هذه المذاهب الخبيثة الثلاثة التي هي أصل البلاء.

(٢) أي جيم: جبر، وجيم: تجهُّم، وجيم: إرجاء، فإذا تجمعَّت هذه المذاهب الثلاثة فقد اجتمع الكفر كله.

(٣) إذا رأيت رجلاً تجمَّعت فيه هذه الجيمات فهو ثورٌ من البشر لأنَّهُ ليس عندَهُ عقلٌ ولا تفكير فيصبح مثل البهائم.

(٤) وتجمَّعت فيه النحوس وهي الشرور، وأيُّ شرٍّ أعظم من الكفر المتنوع.

جبـــرٌ وإرجـــاءٌ وجيـــمُ تجهُّـــمٍ
فتـــأمَّـــلِ المجْمُـــوعَ فـــي الميـــزانِ

فـاحْكُـمْ بطـالِعِهـا لِمَـنْ حَصُلَـتْ لَـهُ
بخَـــلاصِـــهِ مِـــنْ رِبْقَـــةِ الإيمـــانِ[1]

فـاحْمِـلْ علـىٰ الأقـدارِ ذنبَـكَ كُلَّـهُ
حَمْلَ الجُذُوعِ علىٰ قُوَىٰ الجُدرانِ[2]

---

(١) لأنَّهُ لا يكون عندَهُ إيمانٌ بالقضاء والقدر ولا بالتوحيد ولا بحقيقة الإيمان الذي بعث الله به رسُلَه، فإذا تجمَّعت فيه هذه المذاهب لم يبق فيه خيرٌ قطُّ.

(٢) يقول الجبري: أنت تفعل شيئاً ليس باختيارك لأنَّك مجبرٌ عليه، فلا لوم عليك وهذا هو الاحتجاج بالقضاء والقدر علىٰ فعل المعاصي؛ وهذا باطل لأنه إنما يحتج بالقضاء والقدر علىٰ فعل المصائب التي تنزل عليه وليس لَهُ فيها قدرة ولا اختيار، أمَّا الأفعال الاختيارية فهي أفعالُه يُعاقب عليها ويؤاخذ عليها، فهو قد أتاها عن اختيار وقدرة ومشيئة، وهو يعرف أنَّها شر ويقدر علىٰ تركها. والمؤمن والكافر والزاني والشارب والبرُّ والفاجر، هو الذي يُسَمَّىٰ بتلك الأسماء ولا يقال: هذا هو القضاء والقدر. بل يُسمَّىٰ بهذه الأسماء من فعل تلك الأفعال وهذا بإجماع الديانات السماوية قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] فنسب الإيمان والكفر إلينا، فنحنُ الذين نفعل هذه الأفعال، وأمَّا القضاء والقدر فهو إلىٰ الله تعالىٰ ليس لنا فيه بحث، وهما من أفعال الله تعالىٰ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يُريد، وهو مع هذا أمرنا ونهانا =

وافْتَحْ لنفسِكَ بابَ عُذْرٍ إذ ترىٰ الْـ
أفعـالَ فِعْـلَ الخـالـقِ الـدَّيّـانِ[١]

فـالجبـرُ يُشْهِـدُكَ الـذنـوبَ جميعَهـا
مِثْلَ ارتعاشِ الشَّيْخِ ذي الرَّجفانِ[٢]

لا فـاعِـلٌ أبـداً ولا هُـوَ قـادِرٌ
كـالمَيْـتِ أُدْرِجَ دَاخِـلَ الأكْفـانِ

والأمـرُ والنهـيُ اللـذان تَـوَجَّهَـا
فهُمـا كـأمْـرِ العبـدِ بـالطيـرانِ[٣]

وكـأمـرِه الأعمـىٰ بنقـطِ مصـاحـفٍ
أو شَكْلِهـا حَـذَراً مِـن الألحـانِ[٤]

= وأعطانا القدرة علىٰ الفعل والترك، وأعطانا معرفة الطيب من الخبيث، فلم يترك لنا حُجَّة سبحانَه وتعالىٰ.

(١) تقول: هذه ليست أفعالي، وإنما هذه أفعالُ الله، هو الذي خلقها، فتُسند أفعالَكَ إلىٰ الله تعالىٰ، بدل أن تتوب وتستغفر وتعترف بخطئك، تعذر نفسك وتُسْند هذه الأفعال إلىٰ الله.

(٢) الجبرُ يعفيك من الذنوب كُلِّها، ويجعلك مثل المرتعش بدون اختياره، مثل ارتعاش الشيخ الكبير الذي يرتعش بدون اختياره.

(٣) علىٰ مذهب الجبر يكون الأمرُ والنهي الذي أمر الله به ونهىٰ عنه من المستحيل تحقيقه، وهو مثل أمر العبد بالطيران بنفسه.

(٤) وكما تأمر أعمىٰ بنقط المصاحف أو بضبطها بالتشكيل من علامات الرفع والنصب، والخفض والسكون، فأنت تكلّفه بالمستحيل.

وإذا ارتفعَتْ دُرَيْجَةً أخرىٰ رأيـ
ـتَ الكلَّ طاعاتٍ بلا عصيانِ[١]

إنْ قيلَ قدْ خالَفْتَ أمْرَ الشَّرْعِ قُلْ
لكِنْ أطعْتُ إرادةَ الرَّحْمٰنِ

ومُطيعُ أمرِ اللهِ مِثْلُ مطيعِ ما
يَقْضي به وكلاهُما عبدانِ

عبدُ الأوامرِ مِثْلُ عبدِ مَشيئةٍ
عندَ المُحَقِّقِ ليس يَفْترِقانِ[٢]

فانظُرْ إلىٰ ما قادَتِ الجيمُ الذي
لِلْجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ ومِنْ بُهْتَانِ

---

(١) يرتفع غُلاة المرجئة فيجعلون كل الأفعال طاعات، يقولون: إن خالفنا الأمر فقد وافقنا القضاء والقدر، أي: خالفنا أمرَه وأطعنا قدرَه ومشيئته، ولذا يقول شاعرهم:

أصبحتُ منفعلاً لما يختاره ... مني ففعلي كُلُّه طاعات

(٢) لا فرق عند المرجئة بين القضاء والقدر وبين الشرع فهما شيءٌ واحد من أطاع أحدهما فقد أطاع الله ـ تعالىٰ الله عمَّا يقولُون ـ فالله تعالىٰ جعل للأشياء أسباباً فإذا عُطِّلت الأسباب تعطَّلت المُسبَّبات، فكذلك الأعمال أسباب للسعادة أو الشقاوة، والفطر السليمة كذلك تأمر باتخاذ الأسباب.

وكــذلــك الإرجــاءُ حيــن تُقِــرُّ بــالْـ
ـمعبــودِ تُصْبِــحُ كــامِـلَ الإيمــانِ[١]

فارِمْ المصاحِفَ في الحُشُوشِ وخَرِّبِ الْـ
ـبيتَ العتيـقَ وجِـدَّ فـي العصيـان[٢]

---

(١) الإرجاء تقدم أن معناهُ: أنه تأخيرُ الأعمال عن حقيقة الإيمان فلا مدخِلَ لها في حقيقة الإيمان. والكفر عندهم هو التكذيب، إذا كذب بربوبية الله أو بالرسالة فهو كافر، والإيمان عندهم هو التصديق فقط، وأمَّا الأعمال فلا تدخل في حقيقة الإيمان، فلو سجد للصنم أو سبَّ الله ورسولـه أو داس المصحف فهو ليس بكافر حتىٰ يُكذِّب بقلبه، فمجرَّد أقواله وأفعاله لا تدلُّ علىٰ كفره، هذا مذهب غلاة المرجئة، ويُظهرهُ بعض المتعالمين اليـوم ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسبب وقوعهم فيه هو الجهل، لأنَّهم لم يتعلَّموا العقيدة ويأخذوها عن العُلماء، وإنَّما أخذوها من أوراق ومن دفاتر، ولم يعرفُوا أصول الدين والإيمان، وكون الإنسان يتعلَّم من الكتب أو علىٰ الجُهَّال والمتعالمين يوقع في هذا الخطر، والمشكلة أنَّهم يؤثرون علىٰ شباب المسلمين.

(٢) عند المرجئة لو فعلت أشنع الكفر فلن يضرَّك، حتىٰ لو رميت المصاحف في الحشوش وهي: مواضع قضاء الحاجة، عند المرجئة: هذا خطأ ومحرم ولا يصل إلىٰ الكفر ما دمت أنَّك مصدقٌ بقلبك، فلو هدمت الكعبة المشرفة فأنت من أهل الإيمان الكامل، وهذا يعتبر مخالفة ومعصية ولا يعتبر كفراً حتىٰ يصدر عن تكذيب بالقلب.

واقْتُـلْ إذا مـا اسْطَعْـتَ كُـلَّ مُـوَحِّـدٍ
وتَمَسَّحَــنْ بــالقُــسِّ والصُّلبــانِ[١]

واشتُمْ جميعَ المرسلينَ ومَن أتَوْا
مِــنْ عِنْـدِهِ جَهْـراً بــلا كِتْمــانِ[٢]

وإذا رأيــتَ حجــارةً فــاسْجُـدْ لهــا
بَــلْ خِـرَّ لــلأصنــامِ والأوثــانِ[٣]

---

(١) عند المرجئة اقتل من شئت من أهل الإيمان والعلماء فهذا يعتبر مخالفة فقط، ما دام أنَّهُ لم يصدر عن تكذيب فليس بكفر، وتمسَّح بالصلبان وهي معبودات النصارىٰ، والقسوس وهم رؤوساء النصارىٰ، يعني اعتنق دين النصارىٰ ما دام أنَّك مؤمن ومصدق بقلبك فلا يضرُّك أن ترىٰ صحة ما عليه النصارىٰ واليهود والمجوس وجميع طوائف الكفر.

(٢) يقول: عند المرجئة لو شتمت الرسل لا يعتبر هذا كفراً، ما دام أنَّك تصدق الرسل، ولو شتمتهم فهذا يعتبر سوء أدب معهم ولا يعتبر كفراً عندهم مع أن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، كفَّرهم بكلمةٍ قالوها علىٰ وجه المزح واللعب، وهؤلاء يقولون: لا يعتبر ذلك كفراً، ما دام أنَّهم مُصدقون بقلوبهم فلا يكفرون، هذا مذهب الإرجاء وهذه ثمراتُهُ الخبيثة، إنَّهُ لا يكفر أحد علىٰ وجه الأرض حتىٰ يكذِّب بقلبه.

(٣) يقول المرجئة ما دام أنَّك تؤمن بربوبية الله وتصدق الرسول بقلبك فلو سجدت للصنم أو ذبحت للقبور فلست بكافر، والذين يدعون الأولياء والصالحين ويستغيثون بهم ليسوا كفاراً ما داموا يُصدِّقون بقلوبهم، فهذه =

وأقِــــرَّ أنَّ اللهَ جَــــلَّ جــــلالُــــهُ
هُـوَ وَحْـدَهُ البـاري لـذي الأكـوانِ(١)
وأقِــرَّ أنَّ رســولَــهُ حقــاً أتــى
مِـن عنـدِهِ بـالـوحـي والقـرآن(٢)
فتكــونَ حقــاً مــؤمنــاً وجميــعُ ذا
وِزْرٌ عليــكَ وليــس بــالكُفْــرانِ(٣)
هــذا هــو الإرجــاءُ عِنْـدَ غُـلاتِهِـمْ
مِـنْ كـلِّ جَهْمِـيٍّ أخـي الشيطـانِ(٤)

= الأعمال ليست كفراً لأنَّ الكفر هو التكذيب بالقلب، هذا مذهب الإرجاء وما يترتب عليه من الضلال والشر، وهو بذرة خبيثة.

(١) يقول المرجئة لو فعلت هذه الأفعال كُلَّها فإنك لا تكفر بشرط أن تكون مُقِرّاً بقلبك فلست بكافر فاعترف بتوحيد الربوبية وأنَّ الله هو الباري لهذه الأكوان كي تكون مؤمناً، وهذه الأفعال والأقوال الشركية والكفرية لا تضرُّك ولا تقدح في إيمانك، هذه مخالفات فقط وإساءة أدب.

(٢) يقول المرجئة: إذا كنت مُقِرّاً للرسول ﷺ بالرسالة تكون مؤمناً بهذا الإقرار ولو لم تعمل شيئاً.

(٣) أي إذا أقررت بالله ورسوله تكون مؤمناً حقاً ولو قُلتَ وفعلتَ الكفرَ والشرك والإلحاد، هذه الأفعال والأقوال لا تضرك.

(٤) هذا هو الإرجاء والمرجئة أربع طوائف:

الطائفة الأولىٰ: غلاة المرجئة، وهم هؤلاء الجهمية الذين يقولون: الإيمان مجرد المعرفة.

الطائفة الثانية: الأشاعرة وهم الذين يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ولو لم ينطق بلسانه لا مجرد المعرفة. =

فأَضِفْ إلىٰ الجيمين جِيمَ تَجَهُّمٍ
وانْفِ الصفاتِ وألْقِ بالأرسانِ[١]
قُلْ ليسَ فوْقَ العرشِ ربٌّ عالِمٌ
بِسرائِرٍ مِنَّا ولا إعلانِ
بل ليس فوقَ العَرشِ ذُو سَمْعٍ ولا
بَصَرٍ ولا عَدْلٍ ولا إحسانِ
قُلْ ليس فوقَ العرشِ معبودٌ سوىٰ الـ
ـعَدَم الذي لا شيءَ في الأعيانِ[٢]
بل ليس فوقَ العرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ
بأوامِرٍ وزواجِرٍ وقُرانِ
كلاَّ ولا كَلِمٌ إليهِ صَاعدٌ
أبداً ولا عمَلٌ لذي شُكرانِ

= الطائفة الثالثة: الكرَّامية الذين يقولون: إنَّ الإيمان هو النطق باللسان ولو لم يعتقد بقلبه.

الطائفة الرابعة: مرجئة الفقهاء الذين يقولون: الإيمان قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب ولا تدخل الأعمال في حقيقة الإيمان. وهناك فرقة خامسة ظهرت الآن وهم الذين يقولون: إن الأعمال شرط في كمال الإيمان الواجب أو الكمال المستحب.

(١) الجيم الثالثة جيم التجهم التي تتعلَّق بالتوحيد وهو نفي الأسماء والصفات، كالعلو والاستواء والكلام والرؤية والقدرة والإرادة.

(٢) عندهم ليس فوق العرش ربٌّ لأنَّ الله ليس له مكان، لا داخل ولا خارج ولا فوق ولا يمنة ولا يسرة.

أَنِّي وحَظُّ العرش مِنْهُ كحظِّ ما
تَحْتَ الثرىٰ عِنْدَ الحضيضِ الدّاني(١)

بل نِسْبَةُ الرَّحمٰنِ عِنْدَ فريقِهِمْ
للعرشِ نِسبَتُهُ إلىٰ البُنْيانِ

فعلَيْهِما استولىٰ جميعاً قُدْرَةً
وكلاهُما مِنِ ذاتهِ خِلْوانِ

هذا الذي أعطتْهُ جيمُ تَجَهُّمٍ
حَشْواً بلا كَيْلٍ ولا ميزانِ(٢)

تاللهِ ما اسْتَجْمَعْنَ عندَّ مُعطِّلٍ
جيماتُها وَلَدَيْهِ من إيمانِ(٣)

والجهمُ أصَّلَها جَميعاً فاغْتَدَتْ
مَقْسُومَةً في الناسِ بالميزانِ

والوارثونَ لهُ علىٰ التحقيقِ هُمْ
أصحابُها لا شيعةُ الإيمانِ(٤)

---

(١) عندهم العرش الذي هو أعلىٰ المخلوقات بالنسبة لله مثل الحضيض الذي هو أسفل المخلوقات، تعالىٰ الله عمّا يقولون.

(٢) هذا ما تتضمنه جيم التجهم من الضلال والكفر، فأيُّ دينٍ يبقىٰ بعد هذه الأمور الجبر والتجهُّم والإرجاء؟! لا التوحيد ولا الإيمان ولا القضاء والقدر.

(٣) هذه الجيمات ما استجمعن عند معطل، إلا صار جهمياً مرجئاً جبرياً. إذا اجتمعت فيه فإنَّهُ خارجٌ من الدين بالكلية.

(٤) اجتمع في الجهم هذه المذاهب الخبيثة كلها، وكُلٌّ ورث منها حظه من الضلال، فتفرَّقت في النّاس مدلولات هذه الجيمات الثلاث فمنهم =

لكـــنْ تقسَّمـــتِ الطـــوائِـــفُ قـــوْلَـــهُ
ذُو السَّهْـــمِ والسَّهْمَيْـــنِ والسُّهْمـــانِ
لكنْ نجا أهلُ الحديثِ المحْضِ أتْـ
ـباعُ الـرسـولِ وتـابعُـوا القـرآنِ(١)
عَرَفُوا الذي قد قالَ مع علمٍ بما
قال الرسولُ فهُمْ أُوْلُوا العِرفانِ(٢)

= الجهمي فقط ومنهم من هو مرجىء فقط، ومنهم من هو جبري فقط، ومنهم من جمعها كُلَّها كالجهم، وكلها ضلالات وكفر وإلحاد سواءٌ مجموعاتُها أو جُزئياتُها.

(١) أهل الحديث الذين تمسكوا بالحديث نجوا من هذه المذاهب الخبيثة، فهذا ممَّا يؤكِّد وجوب تعلم عقيدة السلف الصالح، قال ﷺ: «إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي»(*) وقال: «إنَّهُ من يعش منكم فسيرىٰ اختلافاً كثيراً عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكُوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور..»(**).

(٢) عرفوا الحق وتمسكوا بنصوص الكتاب والسنة، ولهذا كان السلف قليلٌ كلامُهم كثيرٌ علمهم، وأمَّا الخلف فبالعكس كما ذكر ذلك ابن رجب في شرحه لحديث أبي الدرداء «من سلك طريقاً يلتمس فيه =

(*) سلف تخريجه ص٩١.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ٣٧٣ (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرباض بن سارية، وهو حديث صحيح.

وسِواهُمُ في الجَهْلِ والدَّعوىٰ مَعَ الْـ
ـكِبْـرِ العَظِيـمِ وكثـرةِ الهَـذَيَـانِ
مـدُّوا يـداً نحـو العُـلا بتكلُّـفٍ
وتَخَلُّـفٍ وتكَبُّـرٍ وتـوانِ[1]
أتُـرىٰ ينـالُـوهـا وهـذا شـأنُهُـمْ
حاشا العُلا مِنْ ذا الزَّبونِ الفاني[2]

= علماً»(*) وكذلك في رسالته «فضل علم السلف علىٰ علم الخلف» وهي رسالةٌ مطبوعةٌ جيّدة، يقول: «إنَّ السلف غزيرٌ علمهم قليلٌ كلامُهم وأمَّا من جاء بعدهم فكثيرٌ كلامُهم قليلٌ علمهم».

(١) فهم يريدُون طلب المعالي من غير بذلٍ لأسبابها، هذه صفتهم طلبوها من غير الطريق الموصل إليها، وإنَّما يصل إلىٰ المعالي من اتخذ سبيلها وعمل بطريقها، أمَّا من لا يسلك مسالكها فهذا لا يصل إلىٰ شيء بل يتعب بدون شيء، هذه طريقة المبتدعة والمخالفين وأهل الضلال.

(٢) العُلا: لا ينالُها إلاَّ الزبائن الذين يستحقونها وهم أهل العلم، أمَّا هؤلاء الذين ليس معهم نقُود ولا أموال فإنهم لا يُحصِّلُون شيئاً، مثل الذي يدخل السوق ومعه نقود ويُحسن البيع والشراء فإنه يخرج بفائدة، أمَّا الذي يدخل بدون هذه الأشياء فهذا يخرج صفر اليدين، كذلك هؤلاء الذين يريدون نيل المعالي بدون طلب للعلم الصحيح لا ينالون شيئاً.
وقيل: من طلب العلا سهر الليالي.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/ ٤٥ (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) وهو حديث حسن.

فصل

في جواب الرَّبِّ تبارك وتعالىٰ يوم القيامة إذا سأل المُعطِّل والمشَبِّه عن قول كل منهما[١]

وسَـلِ المعطِّـلَ مـا تقـولُ إذا أتـىٰ
فئتـــانِ عنــــد اللهِ يختصمـــانِ

إحـداهُمـا حكمـت علـىٰ معبـودِهـا
بعقـــولِهـــا وبفكــرةِ الأذهـــانِ[٢]

سمَّتْـــهُ معقـــولاً وقـــالـــتْ إنَّـــهُ
أوْلَـىٰ مـن المنصـوصِ بـالبـرهـانِ[٣]

---

(١) لمَّا ذكر مذاهب الجهمية والجبرية والمرجئة وأهل الحديث قال: إنَّ الجميع سيقفون بين يدي الله تعالىٰ. وسيسأل كلَّ فريقٍ عن معتقده ومذهبه، وسيُجيب كلُّ فريق بما عنده، فماذا سيكون موقف أهل الإلحاد والجهل أمام ربِّ العالمين، وماذا يكون موقف أهل السنة والجماعة؟ وهذا من باب التذكير لكلِّ مسلم بأنّ ما يقوله ويفعله ويصدر عنه محفوظٌ عليه ومُدوَّن في صحيفته وسيُحاسب عنه يوم القيامة.

(٢) الفرقة الأولىٰ: حكمت علىٰ ربها بعقلها وبفكرة الأذهان، لم يتبعوا وحياً ولا كتاباً ولا سنة، وإنّما حكموا علىٰ الرَّبِّ بعقولهم وأفكارهم، فنفوا عن الله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، وخالفوا الكتاب والسنة.

(٣) سمّت مذهبها معقولاً وتركوا النقول وقالوا: إنّ المعقول يُفيد اليقين، وأمّا المنقول فإنّه يُفيد الظن، ويدخل في هذا الكتاب والسنة.

والنــصُّ قطعــاً لا يُفيــدُ فنحــنُ أوْ
وَلْنــا وفَــوَّضْنــا لنــا قَــولانِ[١]
قــالــتْ وقُلْنا فيكَ لسْتَ بِـداخِـلٍ
فينَــا ولسْـــتَ بِخَـــارِجِ الأكــوانِ
والعـرشَ أخليناهُ منـكَ فلسـتَ فَـوْ
قَ العـرشِ لسـتَ بقـابـلٍ لمكـانِ[٢]
وكــذاكَ لسْــتَ بِقــائِـل القُــرْآنِ بَـلْ
قــدْ قــالَــهُ بَشَـرٌ عَظِيـمُ الشَّـانِ
ونسبْتَــهُ حقّــاً إليْــكَ بِنسْبَــةِ التْـ
تَشْــرِيــفِ تَعْظِيمــاً لــذِي القُــرآنِ

---

(١) يقولون: نحنُ حكّمنا العقول، وأمّا النصوص فهم فيها فريقان: فريقٌ أوّلها يعني: صرفها عن ظواهرها بالتأويلات، وفريقٌ فوَّضها وقال: الله أعلم بمرادِه منها، وهي في نفس الأمر لا تدلُّ علىٰ معانٍ في نفسها، ففوضوها إلىٰ الله، وعلىٰ هذا يكون القرآن لا فائدة منه ومعزول؛ لأنّه إمّا مؤول وإمّا مُفوَّض، فلا يدلُّ علىٰ شيءٍ عندهم.

(٢) ينفون عُلُوَّ الله لأنّ إثبات العلو والاستواء علىٰ العرش عندهم يلزم منه أن الله تعالىٰ في مكان، وهذا باطل عندهم، ويقول أهل السنة: المكان لفظ مُجمل لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، فلا يُثبت ولا يُنفىٰ عن الله، لكن إن أُريد به العلو فهذا معنىً صحيح، وإن أريد أن الله داخل السماوات وهي تحويه فهذا باطل.

وكذاكَ قلنا لستَ تَنزِلُ في الدُجىٰ
إن النـزولَ صفـاتُ ذي الجُثمـانِ[١]
وكـذاكَ قُلْنـا لسْـتَ ذا وجْـهٍ ولا
سَمْـعٍ ولا بَصَـرٍ فكيْـفَ يَـدَانِ
وكـذاكَ قُلنـا لا تُـرىٰ فـي هـذه الـدْ
دُنْيـا ولا يـومَ المعـادِ الثـانـي[٢]
وكـذاكَ قُلنـا مـا لفعلِـكَ حِكْمَـةٌ
مِـنْ أجلهـا خَصَّصْتَـهُ بـزمـانِ[٣]

---

(١) كذلك نفوا عن الله النزول الذي أثبته الرسول ﷺ لربه حيث قال: «ينزل ربنا إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر»(*) بحجة: أنّ النزول من لوازم الأجسام عندهم.

(٢) نفي الرؤية عن الله في هذه الدنيا هذا صحيح، ولكن نفيها عنه في يوم المعاد الثاني باطل فإنَّهُ يُرىٰ سبحانَهُ وتعالىٰ، يراهُ المؤمنون كما دلتَّ علىٰ ذلك الأدلة، فهم قاسُوا الآخرة علىٰ الدنيا وقالوا: لا يُرىٰ في الدارين وهذا باطل، والواجب الفرق.

(٣) كذلك نفوا الحكمة في أفعال الله تباركَ وتعالىٰ وقالوا: إنَّهُ يفعلُ ما يشاء لكن بدون حكمة، وهذا باطل لأنَّ الله وصف نفسَهُ بأنَّهُ حكيم، والحكيم هو الذي يضع الأمور في مواضعها المناسبة وشبهتهم في النفي أنهم يقولون: إنَّ إثبات الحكمة في أفعاله يقتضي أنَّ هذه الحكمة هي التي =

(*) سلف تخريجه ص٣١٥.

مـا ثَـمَّ غيـرُ مشيئـةٍ قـد رَجَّحَـتْ
مثـلاً علـىٰ مَثَـلٍ بـلا رُجْحَـانِ[١]

لكـنْ مِنَّـا مَـنْ يقُـولُ بِحِكْمَـةٍ
ليْسَـتْ بـوصْـفٍ قـامَ بـالـرَّحمٰـنِ

هـذا وقُلنـا مـا اقْتَضَتْـهُ عُقُـولُنـا
وعُقُـولُ أشيـاخٍ ذوي عِـرْفـانِ

قـالـوا لنـا لا تـأخـذُوا بظـواهـرِ الْـ
ـوَحْيَيْـنِ تَنْسَلِخُـوا مـن الإيمـانِ

بـلْ فَكِّـروا بِعقـولِكُـمْ إنْ شِئْتُـمُ
أو فـاقْبَلُـوا آراءَ عَقْـلِ فُـلانِ[٢]

= أثرّت فيه سبحانه حتىٰ عمل وفعل، ونقول: هذا كلامٌ باطل وتعطيلٌ لصفةٍ عظيمة من صفات الله التي وصف بها نفسه فهو الحكيم الذي يُتقن مصنوعاته فليس فيها خلل وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها.

(١) كفىٰ ذلك تنقصاً للربِّ سبحانَهُ وتعالىٰ بإخلاء أفعاله من الحكمة.

(٢) يقول هؤلاء الضلال: أوصانا مشايخنا بهذا، قالوا: لا تأخذوا بظواهر الوحيين بل اعتمدُوا علىٰ عقولكم، وعلىٰ أقوال علمائكم، هذا الذي أوصوهُم به، لأنَّ الوحيين لا يحتج بهما في العقائد، فإذا أخذتم بظواهر الوحيين انسلختم من الإيمان؛ لأنَّ ظواهر الوحيين كفرٌ عندهم، ويقولون لهم: إن كان عندكم قُدرة علىٰ التفكر ففكروا وخذوا بما تقولُه عقولكم، وإن كان ليس عندكم قدرة فقلِّدُوا الأشياخ.

فـلأجـلِ هـذا لـم نُحَكِّـمْ لفـظَ آ
ثـــارٍ ولا خَبَـــرٍ ولا قُـــرآنِ
إذْ كـــلُّ تلـــكَ أدلـــةٌ لفظيَّـــةٌ
معـزولـةٌ عـن مُقْتَضَىٰ البُـرهـانِ[١]

* * *

(١) لأجل هذه الوصية يقولون: نحنُ لا نُحكِّم الآثار من الكتاب والسنة وإنَّما نُحكِّم القواعد المنطقية، لأنَّ هذه الآثار عندهم أدلة ظنية والعقيدة لا تُبنىٰ إلا علىٰ اليقين، ولذلك عدلوا عن الكتاب والسنة.

فصل

والآخــرونَ أتَــوْ بمــا قَــدْ قــالَــهُ
مــن غيْــرِ تحــريــفٍ ولا كِتْمــانِ[١]

قــالــوا تَلَقَّيْنــا عقيــدَتَنــا عَــنِ الْـ
ـــوَحْيَيْــنِ بــالأخبــارِ والقُــرآنِ

فـالحُكْـمُ مـا حكمـا بـه لا رأيُ أهْـ
ـلِ الاختلافِ وظَنُّ ذي الحُسبانِ[٢]

آراؤُهُــمْ أحــداثُ هــذا الــدِّيــنِ نــا
قِضَــةٌ لأصْــلِ طهــارةِ الإيمــانِ

آراؤهُــمْ ريــحُ المقــاعِــدِ أيــن تلْـ
ـكَ الـريـحُ مـن رَوْحٍ ومِـنْ رَيْحـانِ[٣]

---

(١) هذا هو الفريقُ الثاني: وهم أهل الآثار وأهل الكتاب والسنة إذا سألهم الربُّ يوم القيامة، قالوا: يا ربَّنا لقد قُلنا بما قلت لنا في كتابك وسنة رسولك تمسكنا به وآمنَّا. فهم أقروا بكلام الله ورسوله ولم يجحدوه أو يكتموه بل أعلنوه للناس.

(٢) قالوا عقيدتُنا ما دلَّ عليه الوحيان، ولم نلتفت إلىٰ ما قاله فلانٌ من الناس حتىٰ من مشايخنا الذين نعظمُهم ونأخذ عنهم، إذا أخطؤوا لا نأخذ عنهم الخطأ أبداً.

(٣) آراء هؤلاء المخالفين للكتاب والسنة مثل: ريح المقاعد التي تخرج من الدبر، أين هذه الريح الخبيثة من رَوْحِ وريحانِ الجنة؟ فهذا تشبيه =

قــالــوا وأنــت رَقيبُنــا وشهيــدُنــا
مِنْ فوقِ عَرْشِكَ يا عظيمَ الشانِ(١)

إنَّــا أبَيْنــا أنْ نــديــنَ بِبــدعَــةٍ
وضــلاَلــةٍ أوْ إفــكِ ذي بُهتــانِ(٢)

لكــنْ بِمــا قــدْ قُلْتَــهُ أوْ قــالَــهُ
مَــنْ قــدْ أتــانــا عَنْــكَ بــالفُــرقــانِ

وكــذاكَ فــارقْنَــاهُــم حيــنَ احْتِيَــا
جِ النَّــاسِ لــلأنْصَــارِ والأعــوانِ

= للكتاب والسنة بالروح والريحان، وتشبيه لآراء المخالفين بما يخرج من مقاعد النَّاس من القاذورات والروائح الكريهة، لأنَّها أفكار خبيثة تخرج من أدمغتهم فهي مثل ما يخرج من أدبارِهم من الخبث.

(١) نحنُ قلنـا هذا وأنت تعلم صدقنـا وأنت رقيبنا وشهيدٌ علينا، ما قُلنا إلا ما تعلمه كما يقـول المسيـح: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

(٢) البدعة: ما أُحدث في الدين ممَّا ليس لهُ أصلٌ في كتاب الله وسنة رسوله، ولا سيِّما في العقائد، فأخطر البدع هي التي تكون في العقائد لأنَّها توصل إلىٰ الكفر.

كيـلا نَصيـرَ مصيـرَهُـمْ فـي يَـوْمِنَـا
هــذا ونَطْمَــعُ مِنْـكَ بـالغُفْـرانِ

فمَــنِ الــذي منَّـا أحــقُّ بِـأمْنِـهِ
فـاخْتَـرْ لِنَفْسِـكَ يـا أخـا العِـرفَـانِ

لا بُـــدَّ أنْ نلْقـــاهُ نَحْـــنُ وأنْتُـــمُ
فـي مـوْقِـفِ العَـرْضِ العَظِيـمِ الشَّـانِ

وهنـــاكَ يســـألُنـــا جميعـــاً رَبُّنـــا
ولـــدَيْـــهِ قطعـــاً نحـــنُ مُخْتَصِمـــانِ

فنقـــولُ قُلـــتَ كـــذا وقـــالَ نبيُّنـــا
أيضـاً كـذا فـإمـامُنـا الـوَحْيـانِ[1]

فـافْعَـلْ بِنَـا مـا أنْـتَ أهْـلٌ بَعْـدَ ذا
نَحْـــنُ العَبِيـــدُ وأنْـــتُ ذُو الإحْســـانِ

أفتَقْـــدِرُونَ علـــىٰ جـــوابٍ مِثْـــلَ ذا
أمْ تَعْـــدِلُـــونَ علـــىٰ جـــوابٍ ثـــانِ

مـــا فيـــهِ قـــالَ اللهُ قـــال رسُـــولُـــهُ
بَـــلْ فيـــهِ قُلْنـــا مِثْـــلَ قـــوْلِ فُـــلانِ

---

(١) هذا جوابَ أهل السنة، إذا سألهم ربهم يقولون: قلت كذا وقال نبيُّكَ كذا، فنحنُ أخذنا بكلامِك وبكلام نبيك ولم نقبل المساومة عليهما ولم نتأثر بتلقيب أهل الباطل لنا بالألقاب المُنفرة.

وهــو الــذي أدَّتْ إليــه عقــولُنــا
لمَّــا وَزَنَّــا الــوحــيَ بــالميــزانِ[١]
إنْ كــان ذَلكُــمُ الجــوابُ مُخَلِّصــاً
فــامْضُــوا عليــه يــا ذوي العِــرفــانِ
تــاللهِ مــا بعــدَ البيــانِ لمنصــفٍ
إلاَّ العنــادُ ومَــركَــبُ الخُــذلانِ[٢]

* * *

(١) أما أهل الباطل فيقولون في جوابهم لربهم: وزنا الوحي وقلنا: لا يُفيد اليقين، والذي يُفيد اليقين هو العقل فقدَّمنا العقل علىٰ النقل، فهذا هو جوابهم يوم القيامة لأنهم قالوا ذلك في الدنيا.

(٢) قد نصحهم الشيخ في هذا الفصل نصيحة إذا تأمَّلها الإنسان وجد الإخلاص فيها والإنصاف وبيَّن لهم طريق النجاة ودعاهم إلىٰ الحق، وهذه طريقة الناصح أنَّهُ لا يحملُه بغضُ أعدائه علىٰ عدم نصحهم وبذل النصيحة للخلق.

فصل

في تحميل أهل الإثبات

للمُعطِّلين شهادةً تُؤدَّىٰ عندَ ربِّ العالمين

يـا أيُّهـا البـاغـي علـىٰ أتبـاعِـه

بـالظُّلْـمِ والبُهتـانِ والعُـدوانِ

قـد حَمَّلـوكَ شهـادةً فـاشْهَـدْ بهـا

إنْ كُنـتَ مقبـولاً لـدىٰ الـرحمٰـنِ

واشْهَـدْ عليهِـمْ إنْ سُئلـتَ بـأنَّهُـمْ

قـالـوا إلٰـهُ العـرشِ والأكـوانِ

فوقَ السمٰواتِ العُلىٰ حقاً علىٰ الْـ

ـعرشِ استوىٰ سبحانَ ذي السلطانِ[1]

والأمـرُ يَنـزلُ منـه ثُـمَّ يَسيـرُ فـي الْـ

أقطـار سبحـانَ العظيـمِ الشـانِ[2]

---

(١) يقول أهل السنة للمخالفين: اشهدوا علينا يوم القيامة عند الله بأنّنا نُثبت ما أثبتَه الله لنفسه وما أثبتَه له رسوله، ونحن نشهد عليكم بأنكم خالفتم الكتاب والسنة، فنحن نُثبتُ علوَّ الله واستواءَه علىٰ عرشه، وأنتم تقولون: هذا باطل.

(٢) مع عُلُوِّه فوق مخلوقاته فإن أمرَهُ ينزل إلىٰ الأرض ويسير فيها، فأمرُهُ في كُلِّ مكان، وأمّا هو سبحانه فإنه فوق الأكوان وكذلك علمُه سبحانه في =

وإليْــهِ يَصْعَــدُ مــا يشــاءُ بِــأمْــرِهِ
مِـــنْ طيِّبـــاتِ القَـــوْلِ والشُّكـــرانِ
وإليــه قــد صَعِــدَ الــرســولُ وقبلَــهُ
عيسىٰ ابنُ مريمَ كاسِرُ الصُّلبانِ(١)
وكـــذلـــكَ الأمْــلاكُ تَصْعَــدُ دائِمــاً
مِـنْ هـا هُنـا حقّـاً علـىٰ الـدَّيَّـانِ
وكــذاكَ رُوحُ العَبْـدِ بعــدَ مـمـاتِهَـا
تَـــرْقـــىٰ إليْـــهِ وهـــوَ ذُو إيمـــانِ

= كلِّ مكان، وهو فوقَ كلِّ الأكوان مستوٍ علىٰ عرشه سبحانَهُ وتعالىٰ وعلمه في كل مكان لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

(١) إليه قد صعدَ الرسول ﷺ ليلة المعراج حيث عُرج به من الأرض إلىٰ السماء وجاوز السبع الطباق وانتهىٰ إلىٰ الرَّب تعالىٰ وسمع كلامه، وكذلك المسيح رفع إليه كما قال تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨] وذلكَ أنَّ الله سبحانَه قبض المسيح ورفعَهُ حياً بروحه وجسمه، فهو لا يزال حياً إلىٰ أن ينزل في آخر الزمان إلىٰ الأرض، ويقتل الدجال ويكسر الصليب كما جاء في الأحاديث الصحيحة ثمّ يموت بعد ذلك في الأرض ويُدفن كبقية بني آدم. قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ [النساء: ١٥٩] فدلَّ علىٰ أنّه يموت في آخر الزمان، وأمّا التوفي في قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] فالتوفي هنا ليس توفي موت وإنّما هو مثل توفي النائم كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] يعني وفاة النوم، فالنوم توفي، كذلك توفي المسيح من هذا النوع، ليست وفاة موت وإنّما قبض وهو نائم.

واشْهَــدْ عليهــم أنَّــهُ سبحــانَــهُ
مُتكلِّــمٌ بــالــوحــي والقُــرآنِ
سَمِــعَ الأميــنُ كــلامَــهُ منــه وأدْ
دَاهُ إلــىٰ المبعــوثِ بــالفُــرقــانِ(١)
هُــوَ قــوْلُ ربِّ العــالمِيــنَ حقيقَــةً
لفْظــاً ومعنــىً ليــسَ يفْتَــرِقــانِ
واشْهَــدْ عليهِــمْ أنَّــهُ سُبحــانَــهُ
قــد كلَّــمَ المــولــودَ مِــن عِمــرانِ(٢)
سَمِــعَ ابْــنُ عِمــرَانَ الــرَّسُــولُ كــلامَــهُ
مِنْـــــهُ إليــــهِ مَسْمَـــــعَ الآذانِ
واشْهَــدْ عليهِــمْ أنَّهُــمْ قــالــوا بِــأنْ
نَ اللهَ نــــاداهُ بِـــــلاَ كِتْمـــــانِ
واشْهَــدْ عليهِــمْ أنَّهُــمْ قــالــوا بِــأنْ
نَ اللهَ نَــــادىٰ قبْلَــــهُ الأبــــوانِ

---

(١) اشهد علىٰ أهل السنة أنَّهم يصفون الله بأنَّه يتكلَّم ومن كلامه: القرآن الكريم تكلَّم به حقيقة.

(٢) هذا من أفراد كلامِه سبحانَه أنَّه كلَّم موسىٰ بن عمران عليه الصلاة والسلام بكلام سمعه موسىٰ من الله بدون واسطة مَلَك، وهذا من خصائص موسىٰ عليه السلام، ولذلك يُسمَّىٰ كليم الرحمٰن، قال تعالىٰ: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

واشْهَـدْ عليهِـمْ أنَّهُـمْ قـالـوا بِـأنْ
نَ اللهَ يَسمَـعُ صَـوْتَـهُ الثَّقَـلانِ
والله قـال بِنَفْسِـهِ لِـرسُـولِـهِ
إنِّـي أنـا الله العظِيـمُ الشَّـانِ
واللهُ قـالَ بِنَفْسِـهِ لِـرسُـولِـهِ
اذْهَـبْ إلـىٰ فِـرْعـونَ ذي الطُّغْيـانِ
واللهُ قـالَ بِنفْسِـهِ حَـم مَـعْ
طَـهَ ومَـعَ يَـس قـوْلَ بيَـانِ
واشْهَـدْ عليْهِـمْ أنَّهُـمْ وصَفُـوا الإلٰـ
ـهَ بكـلِّ مـا قـد جـاءَ فـي القُـرآنِ[1]
وبكـلِّ مـا قـالَ الـرسُـولُ حقيقـةً
مـن غيـرِ تحـريـفٍ ولا عُـدوانِ[2]
واشْهَـدْ عليْهِـمْ أنَّ قـوْلَ نَبِيِّهِـمْ
وكـلامَ ربِّ العَـرشِ ذا التِّبْيَـانِ

---

(١) أثبتُوا لله كلَّ ما وصف به نفسَه في القرآن لم يتحاشوا شيئاً من ذلك، فلم يقولوا: هذا تجسيم أو تشبيه، بل سلَّموا لله تعالىٰ ذلك دون تدخلٍ منهم علىٰ ما يليق بالله.

(٢) كل ما صحَّ عن الرسول ﷺ فإنَّهم يقبلونَه في صفات الله عزَّ وجل لا يُفرِّقون بين متواتر وآحاد كما يقولُه المبتدعة، لأنّهم يسلِّمون بكل ما ثبت عن النبي ﷺ.

نَـــصٌّ يُفِيـــدُ لَـــدَيْهِـــمُ عِلْـــمَ اليَقِيـ
ـــنِ إفَـــادَةَ المَعْلُـــومِ بـــالبُـــرْهـــانِ
واشْهَـدْ عليهـم أنَّهُـمْ قـد قـابُلـوا التْـ
تَعْطيـــلَ والتمثيـــلَ بـــالنُّكـــرانِ
إنَّ المعطِّـــلَ والمُمَثِّـــلَ مـــا هُمـــا
مُتيقِّنيْـــنِ عبـــادةَ الـــرحمٰـــن[1]
ذا عـــابـــدُ المعـــدومِ لا سُبحـــانَـــهُ
أبـــداً وهـــذا عـــابـــدُ الأوثـــانِ[2]
واشْهَـــدْ عليهـــمْ أنَّهـــم قـــد أثبتُـــوا
الأسمـــاءَ والأوصـــافَ للـــدَّيَّـــانِ[3]
وكـــذلـــك الأحكـــامُ أحكـــامُ الصفـــا
تِ وهـــذه الأركـــانُ لـــلإيمـــانِ[4]

---

(١) واشهد أيُّها المبتدع المخالف لمنهج السلف وأهل السنة أنَّهم يرون أنَّ كلام الرسول ﷺ يُفيد العلم واليقين، خلاف مذهب المخالفين في أحاديث الرسول فيرون أنَّها ظواهر ظنية لا تفيدُ اليقين.

(٢) المُعَطِّل يعبدُ عدماً، ليس هو المتصف بالأسماء والصفات، والمُمَثِّل الذي يشبِّه الله بخلقه يعبد صنماً لأنه لم ينزِّه الله عن مشابهة المخلوقين.

(٣) اشهد علىٰ أهل السنة أنَّهم يثبتُون الأسماء والصفات للدَّيان، والديان هو المحاسب الذي يُحاسب عبادَه يوم القيامة.

(٤) ويُثبتون الصفات بألفاظها وبمعانيها وبآثارها وأحكامها كل هذا يثبتونه لله سبحانَه وتعالىٰ.

قـالـوا عليـمٌ وهـو ذُو علـمٍ ويَعْـ
ـلَـم غـايـةَ الإسـرارِ والإعـلانِ(١)

وكـذا بصيـرٌ وهـو ذُو بَصـرٍ ويُبْـ
ـصِـرُ كـلَّ مـرئـيٍّ وذي الأكـوانِ(٢)

وكَـذا سَمِيـعٌ وهـو ذُو سَمْـعٍ ويَسْـ
ـمَـعُ كُـلَّ مَسْمُـوعٍ مِـنَ الأكْـوانِ

متكلِّـــمٌ ولـــهُ كـــلامٌ وَصْفُـــهُ
ويُكلِّـمُ المخصُـوصَ بـالـرِّضْـوانِ(٣)

---

(١) العليم اسمه والعلم صفته، والإسرار: الشيء الخفي، والإعلان هو الشيء الظاهر، فالله يستوي في علمه ما كان سِرّاً وما كان جهراً، ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٧] ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] أي ما هو أخفىٰ من السِّرِّ، لا يخفىٰ عليه شيء سبحانه وتعالىٰ، وهذا من آثار اسمه العليم الذي هو المبالغ في العلم الذي لا يخفىٰ عليه شيء.

(٢) من أسمائه البصير، وهو يُبصر كلَّ شيءٍ في مخلوقاته لا يحجب بصَرَه شيءٌ سبحانَه وتعالىٰ.

(٣) ومن أوصافِهِ أنَّه مُتكلِّم ويتكلَّم، وأنَّه يُكلِّم من شاء من عباده ويتكلَّم إذا شاء، فهو سبحانَه يتكلَّم وكلامه قديم النوع حادث الآحاد.

قديم النـوع: يعني أنَّ الله متصفٌ بصفـة الكلام أزلاً وأبـداً، وحادث الأفراد بمعنىٰ: أنَّه يتكلَّم إذا شاء ومتىٰ شاء وكيف شاء سبحانَه وتعالىٰ.

وهــو القــويُّ بقــوَّةٍ هِــيَ وَصْفُــهُ

ومَليــكٌ يقــدرُ يــا أخــا السُّلطــانِ[١]

وهــو المُــرِيــدُ لــهُ الإرادةُ هكــذا

أبــداً يُــريــدُ صنــائِــعَ الإحْسَــانِ

والوصفُ معنىً قائمٌ بالذاتِ والْـ

أسمــــاءُ أعـــلامٌ لَــــهُ بِـــوزانِ[٢]

أسمـــاؤُهُ دلَّـــتْ علـــىٰ أوصـــافِــهِ

مُشتقَّـــةً منهـــا اشتقـــاقَ معـــانِ[٣]

---

(١) ومن أسمائه القوي، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] قوتُهُ لا يغلبها شيء سبحانه وتعالىٰ، وهو يقدر علىٰ السلاطين، وهم تحت تصرُّفه ونفوذه، لا يخرج أحدٌ منهم عن ذلك، فلا تغتر أيُّها السلطان بقوتك وقدرتك فإنَّ ربكَ أقدرُ منك وأقوىٰ منك، فأنت أضعف شيءٍ بالنسبة إلىٰ الله سبحانَهُ وتعالىٰ.

(٢) الأسماءُ أعلامٌ تدلُّ علىٰ الذات، ويُشتق من هـذه الأسمـاء صفاتٌ، وكلُّ اسمٍ من أسماء الله فإنَّه يدلُّ علىٰ صفةٍ، فالعليم يدلُّ علىٰ العلم والسميع يدلُّ علىٰ السمع، والقويُّ يدلُّ علىٰ القوة، والعزيز يدلُّ علىٰ العزة وهكذا، ليست أسماؤه أعلاماً محضة وإنَّما هـي أعلامٌ تدلُّ علىٰ معانٍ وصفات، فالرحمٰن يدلُّ علىٰ الرحمة والسميع يدلُّ علىٰ السمع وهكذا.

(٣) كلُّ اسمٍ فإنَّه يدلُّ علىٰ صفة ويُشتقُّ منه صفة، هذه قاعدة.

وصفـاتُـهُ دَلَّـتْ علـىٰ أسمـائِـهِ
والفعـلُ مُـرْتَبِـطٌ بـه الأمـرانِ[١]

والحُكْـمُ نِسْبَتُهـا إلـىٰ مُتَعَلِّقـا
تِ تَقْتَضِـي آثـارُهـا بِبيـانِ

ولـرُبَّمـا يُعْنـىٰ بِـهِ الإخْبـارُ عَـنْ
آثـارِهـا يُعْنَـىٰ بِـهَ أمْـرانِ

والفِعْـلُ إعطـاءُ الإرادةِ حُكْمَهَـا
مـعْ قُـدْرَةِ الفعَّـالِ والإمكـانِ

فـإذا انتفَـتْ أوصـافُـهُ سُبحـانَـهُ
فجميـعُ هـذا بيِّـنُ البُطـلانِ[٢]

---

(١) وكذلك كلُّ صفةٍ تدلُّ علىٰ اسم من أسمائه سبحانه، فالرحمة تدلُّ علىٰ الرحيم، فالعلم يدلُّ علىٰ العليم والسمع يدلُّ علىٰ السميع، فأسماؤه تدل علىٰ صفاته لأنها مشتقة منها.

وأمّا الفعل فيُشتق منه الأمران: الاسم والصفة، فالفعل يخلق يؤخذ منه اسم الخالق وأنَّه له صفة الخلق، يعلم يؤخذ منه الاسم وهو العليم والصفة وهي العلم.

(٢) إذا نُفيت هذه الصفات عن الله كما هو مذهب المعطِّلة انتفت كل هذه الأمور، وهذا يدل علىٰ قُبح مذهبهم لما يلزم عليه من هذه الأمور واللوازم الباطلة، حيث إنّهم أنكروا صفات الله وأسماءَه وأفعاله وآثارها وأحكامها.

واشْهَـدْ عليهِـمْ أَنَّهُـمْ قـالـوا بهـ
ـذا كُلِّـهِ جَهْـراً بـلا كِتمـانِ[١]

واشْهَـدْ عليهِـمْ أنهـم بُـرآءُ مِـنْ
تـأويـلِ كُـلِّ مُحَـرِّفٍ شيطـانِ[٢]

واشْهَـدْ عليهِـمْ أنَّهـم يتـأوَّلُـو
ن حقيقـةَ التـأويـلِ فـي القـرآنِ

هم في الحقيقةِ أهلُ تأويلِ الذي
يُعْنَـىٰ بـه لا قـائِـلُ الهـذيـانِ[٣]

---

(١) اشهد أيها المعطل علىٰ أهل الحديث وعلىٰ أهل السنة والجماعة عند ربِّك أنَّهم أثبتُوا ما أثبتَه الله لنفسه، ونفوا عنه ما نفاه عن نفسِه لا يتعدَّون الكتاب والسنة في هذا.

(٢) اشهد أيها المعطل علىٰ أهل السنة أنَّهم بُرآء من مذهب المُعطِّلة علىٰ اختلاف أشكالهم، براءة يشهد بها عند الله تعالىٰ كل من عرف مذهبهم.

(٣) التأويل عند أهل السنة: هو التفسير، وأما عند المعطلة فهو صرف اللفظ عن ظاهِرِه إلىٰ معنىٰ آخر، فالتأويل يطلق علىٰ معانٍ هي:

١ ـ التفسير.

٢ ـ حقيقة الشيء وما يؤول إليه في المستقبل.

٣ ـ صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلىٰ معنىٰ غير ظاهر وهذا عند المتأخرين وهو ما يسمونه بالمجاز.

٤ ـ التأويل الذي هو بمعنىٰ حمل الكلام علىٰ المعنىٰ الراجح دون المرجوح، وهذا يقول به أهل السنة فالتأويل عند أهل السنة علىٰ ثلاثة أنواع:

١ ـ التأويل الذي هو التفسير.

=

واشْهَـدْ عليهِـمْ أنَّ تـأويـلاتِهِـمْ
صَـرْفٌ عـن المـرجُـوحِ للـرُّجْحـانِ
واشْهَدْ عليهِمْ أنَّهم حَمَلُوا النصو
صَ علىٰ الحقيقةِ لا المجازِ الثاني[1]
إلاَّ إذا مـا اضطـرَّهُـمْ لمجـازِهـا الْـ
ـمُضْطَرُّ مِنْ حِسٍّ ومـن بُـرهـانِ[2]
فهُنـاكَ عِصْمَتُهـا إبـاحَتُـهُ بِغَيْـ
ـرِ تَجَـانُـفٍ لـلإثْـمِ والعُـدْوانِ
واشْهَـدْ عليهِـمْ أنَّهـمُ لا يُكَفِّـرو
نَكُـمُ بمـا قُلْتُـمْ مِـن الكُفْـرانِ[3]

= ٢ ـ التأويل الذي هو الحقيقة التي يؤُول إليها الشيء.

٣ ـ التأويل الذي هو حمل اللفظ علىٰ معناه الراجح دون المرجوح، وأما التأويل عند المتأخرين فهو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلىٰ المرجوح دون دليل.

(١) اشهد علىٰ أهل السنة أنَّهم حملوا كلام الله وكلام رسوله علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز الذي يقول به المتأخرون، فكلام الله حقيقة لا مجاز، هذا هو الحق بل الحق أنّ القرآن كلَّه حقيقة وليس فيه مجاز، لأنَّ المجاز يُغيِّر ظاهر الكلام إلىٰ معنىً آخر، وكلام الله ما جاء للأحاجي والألغاز وإنّما جاء للبيان والهداية، فهو علىٰ ظاهرِه وحقيقته.

(٢) التأويل الذي صرف الكلام إلى المعنىٰ المرجوح إذا دلَّ عليه دليل تعيَّن، وهذا قليل في كلام الله تعالىٰ.

(٣) أهل السنة والجماعة من أبعد النَّاس عن التكفير إلا إذا قام الدليل علىٰ =

إذْ أنتُـمُ أهـلُ الجهـالَـةِ عنـدَهُـمْ
لستُـمْ أُوْلـي كُفْـرٍ ولا إيمـانِ[١]

لا تَعْـرِفُـونَ حقيقـةَ الكُفـرانِ بَـلْ
لا تعْـرِفُـونَ حقيقـةَ الإيمـانِ

إلاّ إذا عـانَـدْتُـمُ وَرَدَدْتُـمُ
قَـوْلَ الـرسُـولِ لأجـلِ قـولِ فُـلانِ[٢]

= كفر من اتصف به، فهم يُكفِّرون بموجب الكتاب والسنة لا بموجب الأهواء، ولا يقولون: كل من خالفنا فهو كافر كما تقولُه المبتدعة، الذين يُكفِّرون أهل السنة لأنّهم أثبتوا لله الأسماء والصفات وخالفوهم في ذلك.

(١) السبب في عدم تكفيرهم لكم: أنَّكم جُهَّال، والجاهل لا يُكفَّر حتىٰ يُبيَّن له وتُقام عليه الحجة، فلا بد أن تتحقق شروط التكفير وتنتفي موانعه.

(٢) بعد البيان، فحينئذٍ يُحكم عليكم بالكفر، لأنكم تردون النصوص من الكتاب والسنة لأجل قول مشايخكم وتقولون: هم أدرىٰ مِنَّا بالنصوص وأعلم، ولا شك أنَّ هذا باطل، ولذا يقول الإمام الشافعي: أجمع المسلمون علىٰ أنَّ من استبانت له سُنة الرسول ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحداً. والإمام مالك يقول: كلّنا رادٌّ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر ـ يعني: رسول الله ـ ويقول الإمام أبو حنيفة إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن أصحاب رسول الله فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحنُ رجال وهم رجال. هذه أقوال الأئمة، لكن المتعصبين الذين جاءوا من بعدهم هم الذين ادعوا العصمة لأئمتهم، وتركوا العمل بالأحاديث التي خالفُوها عن اجتهاد.

فهنــاكَ أنتُــمْ أكفــرُ الثقليْــنِ مِــنْ
إنــسٍ وجِــنٍّ ســاكنــي النيــرانِ[١]
واشْهَـدْ عليهِـمْ أَنَّهُـمْ قـدْ أثْبَتُـوا الْـ
أقْــدَارَ وارِدَةً مِــنَ الــرَّحْمٰــنِ
واشْهَــدْ عليهــم أنَّ حُجَّــةَ رَبِّهِــمْ
قـامَـتْ عليهِـمْ وهْـوَ ذُو غُفـرانِ[٢]
واشْهَـدْ عليهِـمْ أنَّهُـمْ هُـمْ فـاعلـو
نَ حقيقـةَ الطـاعـاتِ والعصيـانِ[٣]

---

(١) إذا تعصبتم هذا التعصب المذموم وقلتم: لا نتركُ قول إمامنا لأجل الحديث الصحيح، فأنتم أكفر الجن والإنس؛ لأنها استبانت لكم سنة رسول الله ثم تتركونها لقول إمامكم، وحاشا الأئمة رحمهم الله أن يرضوا بهذا.

(٢) حجةُ الله علىٰ خلقه: هي إرسالُ الرسل وإنزال الكتب، قال تعالىٰ: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فالله تعالىٰ أقام الحُجَّةَ علىٰ عباده وما ترك لهم عُذراً، فإن حصل منهم تقصير أو إهمال فهذا من فعلهم هم وإلا فالله تعالىٰ ما ترك لأحدٍ حُجَّةً.

(٣) اشهد علىٰ أهل السنة أنَّهم يرون أنَّ الخلق هم الذين يفعلون الطاعات والمعاصي باختيارهم ومشيئتهم وإرادتهم، لا أنَّهم يفعلونها من باب الإجبار عليها وليس لهم اختيار كما يقوله الجبرية بل يفعلونها باختيارهم وإرادتهم ولو شاؤُوا تركوها، فمذهب أهل السنة أنَّ أفعال العباد حصلت منهم حقيقة وهي مُقدَّرةٌ من الله سبحانه وتعالىٰ، وهم يُثابُون أو يُعاقبُون علىٰ أفعالهم لا علىٰ القضاء والقدر.

والجَبْـرُ عنْـدَهُـمْ مُحَـالٌ هكـذا
نفْـيُ القضَـاءِ فبِئْسَـتِ الـرَّأْيـانِ
واشْهَـدْ عليهِـمْ أنَّ إيمـانَ الـورَىٰ
قـولٌ وفعـلٌ ثـمَّ عَقْـدُ جَنـانِ[١]
ويـزيـدُ بـالطَّـاعـاتِ قطعـاً هكـذا
بـالضِّـدِّ يُمْسِـي وهـو ذُو نُقْصـانِ
والله مـا إيمـانُ عـاصِينـا كـإيـ
ـمـانِ الأميـنِ مُنَـزِّلِ القُـرآنِ[٢]
كـلاَّ ولا إيمـانُ مُـؤْمِننَـا كـإيـ
ـمـانِ الـرَّسُـولِ مُعَلِّـمِ الإيمـانِ

---

(١) هذا خلاف قول المرجئة القائلين بأنَّ الإيمان هو المعرفة في القلب فقط، وبعضهم يقول: مُجرَّد التصديق بالقلب، وبعضُهم يقول: مجرد النطق باللسان، وبعضهم يقول: هو القول باللسان والاعتقاد بالقلب، ولا تدخل فيه الأعمال عند جميعهم، هذه مذاهب المرجئة.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ المرجئة الذين يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص، فإيمان جبريل مثل إيمان الفاسق العاصي، وهذا باطل بلا شك، فالإيمان يتفاوت في القلوب قوة وضعفاً، وهذا معلوم بالضرورة، وحقيقة مذهب المرجئة تضييع الإيمان، وهذا المذهب أخبث المذاهب لأنَّه خروجٌ من الدين بالكلية.

واشْهَدْ عليهِمْ أنَّهمُ لم يُخْلِدوا
أهلَ الكبائرِ في حَميمٍ آنِ[١]
بلْ يَخْرُجونَ بإذْنِهِ بِشفَاعَةٍ
وبِدُونِها لِمساكِنٍ بِجنانِ
واشهَدْ عليهِمْ أنَّ ربَّهم يُرَىٰ
يومَ المعادِ كما يُرَىٰ القَمرَانِ[٢]
واشْهَدْ عليهِمْ أنَّ أصحابَ الرسو
لِ خيارُ خَلْقِ اللهِ مِن إنسانِ[٣]

---

(١) بخلاف قول الخوارج الذين يُخلِّدون العصاة بالكبائر، فأهل الكبائر عند أهل السنة قد يُعذَّبون علىٰ قدر معاصيهم، ويُخرجَون من النار بإيمانهم ولو كان قليلاً، وقد يغفر الله لهم وهذا بخلاف قول الخوارج.

(٢) أهل السنة يثبتون رؤية المؤمنين لربِّهم يوم القيامة بأبصارهم خلاف قول الجهمية والمعتزلة الذين ينفون الرؤية، وسبق بيان ذلك وشرحه.

(٣) هذا ردٌّ علىٰ الرافضة، فمذهب أهل السنة: أنَّ أصحاب الرسول أفضل قرون الأمة لما مَنَّ الله عليهم بصُحبة الرسول ﷺ والتشرُّف برؤيته والجهاد معه والتعلُّم منه، لا يبلُغ درجتهم أحدٌ من هذه الأمة، فلا أحد يُساويهم ولا يبلغُ درجتهم، وهذا بخلاف قول الرافضة ـ قبحهم الله ـ الذين يُكفِّرون كثيراً من الصحابة لا سيِّما أبا بكر وعمر وعثمان فهذا مذهبٌ باطل، وكتبهم وصدورهم مملوءةٌ من الحقد علىٰ أصحاب رسول الله وشتمهم وتكفيرهم والبراءة منهم.

حَاشَا النَّبِيِّينَ الكرامَ فإنَّهُمْ
خيرُ البَرِيَّةِ خِيرةُ الرَّحمٰنِ
وخيارُهُمْ خُلفاؤُهُ من بعدِهِ
وخيارُهُمْ حَقّاً هُما العُمَرانِ[1]
والسَّابِقُونَ الأوَّلُونَ أحقُّ بالتْـ
تَقْدِيمِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ بِبَيَانِ
كُلٌّ بِحسْبِ السَّبْقِ أفْضَلُ رُتْبَةً
مِنْ لاحِقٍ والفَضْلُ للمَنَّانِ

* * *

(١) خيار الصحابة الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر ثمّ عمر ثمَّ عثمان ثمّ علي، هؤلاء أفضل الصحابة علىٰ الإطلاق، ثمّ بقية العشرة، ثمّ أصحاب بدر، ثمّ أصحاب بيعة الرضوان، والمهاجرون أفضل من الأنصار، فهم يتفاضلون فيما بينهم رضي الله عنهم، والرافضة كفَّروهم، فهل يُقَال: هؤلاء مسلمون؟!

فصل

في عُهود المُثبتين مع ربِّ العالمين(١)

يـا نـاصِـرَ الإسـلامِ والسُّنَـنِ التـي
جـاءت عـن المبعـوثِ بـالفُـرقـانِ
يـا مـن هـو الحـقُّ المبيـنُ وقـولُـهُ
ولقـاؤُهُ ورسـولُـهُ ببيـانِ
اشـرَحْ لِـدينِـكَ صَـدْرَ كُـلِّ مُـوَحِّـدِ
شَـرْحـاً ينـالُ بـه ذُرَىٰ الإيمـانِ(٢)

---

(١) أهل السنة والجماعة يُعاهِدُون ربَّهم عزّ وجل علىٰ نُصرة دينه، وإعلاء كلمته، وعدم الالتفات إلىٰ مَنْ خالفهم وخذلهم أو تعرَّض لهم بسوء، بل هم ماشون في طريقهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم كما قال النبي ﷺ لأنّ هدفهم الحق دائماً وأبداً، حتىٰ إنّ منهم من قُتل صابراً محتسباً، ومنهم من سُجن وعُذِّب كالإمام أحمد، ومنهم من طُرِد وأُبعد، لكن لما كان هدفُهم الحق سَهُل عليهم كلُّ ذلك.

(٢) هذا دعاء من الناظم رحمه الله وتوسل إلىٰ الله بأسمائه وصفاته أن يشرح صدور أهل الحق للثبات عليه، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ...﴾ الآية [الأنعام: ١٢٥] فشرح الصدر للإسلام أكبر نعمة علىٰ العبد بخلاف الذي يضيق صدره، فهذا لا يثبت علىٰ الحق.

واجْعَلْـهُ مُـؤْتَمّـاً بِـوَحْيـكَ لا بمـا
قَـدْ قـالَـهُ ذُو الإفـكِ والبُهتـانِ[(١)]

وانْصُرْ به حزبَ الهُدىٰ واكبِتْ به
حـزبَ الضـلالِ وشيعـةَ الشيطـانِ[(٢)]

وانْعِـشْ بِـهِ مَـنْ قَصْـدُهُ إحيـاؤُهُ
واعصِمْـهُ مِـنْ كيْـدِ امـرىءٍ فتّـانِ

واضرِبْ بحقّكَ عُنْقَ أهلِ الزيغِ والتْـ
تَبْـديـل والتكـذيـب والطغيـانِ[(٣)]

فَـوَحَـقِّ نعمتِـكَ التـي أوْلَيتنـي
وجعلـتَ قلبـي واعـيَ القـرآنِ

وكتبـتَ فـي قلبـي متـابعـةَ الهُـدَىٰ
فقـرأتُ فيـه أسْطُـرَ الإيمـانِ

ونشلتني من حُبِّ أصحابِ الهوىٰ
بحبـائـلٍ مِـن مُحْكَـمِ الفـرقـانِ

---

(١) من ائتم، أي: اهتدىٰ بالكتاب والسنة فإنه يكون علىٰ الحق، أما الذي يأتم بأقوال الناس والرجال فإنه يضل ويضيع ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩].

(٢) هذا دعاء أن ينصر الله حزبه حزب الهدىٰ والإيمان أهل الحق، وإن يكبت حزب الضلال وفرقة الشيطان، فإن الله يقول: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

(٣) هذا دعاء بأن يكفي الله تعالىٰ عباده شرَّ أعدائهم.

وجَعْلْتَ شِرْبي المنهلَ العَذْبِ الذي
هــو رأسُ مــاءِ الــواردِ الظمــآنِ
وعصمتني من شِرْبِ سِفْلِ الماءِ تَحْـ
ـــتَ نجــاســةِ الآراءِ والأذهــانِ
وحفظتنـي ممـا ابتلَيْـتَ بـه الأُوْلَـىٰ
حكمــوا عليــكَ بشــرعــةِ البُهتــانِ
نَبـذوا كتـابَـكَ مِـن وراءِ ظهـورِهِـمْ
وتَمسَّكُــوا بــزخــارِفِ الهَــذيــانِ
وأرَيْتَنــي البِــدَعَ المُضِلَّــةَ كيــف يُلْـ
ـقِيهــا مُــزَخــرفَــةً إلــىٰ الإنســانِ
شيطـــانُـــهُ فيظـــلَّ ينقشُهـــا لَـــهُ
نَقْــشَ المُشَبِّــه صــورةً بــدِهــانِ
فيظنُّهـا المغـرورُ حقّـاً وهـي فـي التْـ
تَحقيــقِ مثْــلُ الآلِ فــي القيعــانِ
لأُجــاهِــدَنَّ عِــداكَ مــا أبقيتَنِــي
ولأجعلَــنَّ قِتــالَهُــم دَيْــدانــي[1]

---

(١) لمَّا فرغ من الدعاء اعترف بنعمة الله عليه، وأنه أنقَذَهُ من الضلالة وبصَّرهُ بالحق، وعزم علىٰ جهاد أعداء الله وهذا من شكر نعمة الله عليه.

ولأَفْضَحَنَّهُـمُ علـىٰ رُؤْسِ المـلا
ولأَفْـرِيَـنَّ أَدِيمَهُـمْ بلسـانِـي[١]
ولأَكْشِفَـنَّ سَـرائِـراً خَفِيَـتْ علـىٰ
ضعَفَـاءِ خَلْقِـكَ منهُـمُ ببَيَـانِ
ولأَتْبعنَّهُـمُ إلـىٰ حيـثُ انتهَـوْا
حتـىٰ يُقَـالَ أبْعـدُ عَبَّـادانِ[٢]
ولأرجُمنَّهُـمُ بـأعـلامِ الهـدُى
رجْـمَ المُـرِيـدِ بثَـاقِـب الشُّهْبَـانِ
ولأَقْعُـدَنَّ لهُـمْ مَـرَاصِـدَ كيْـدِهِـمْ
ولأَحْصُـرَنَّهُـمُ بِكُـلِّ مكـانِ
ولأَجْعلَـنَّ لحُـومَهُـمْ ودِمـاءَهُـمْ
فـي يـوْمِ نصْـرِكَ أعْظَـمَ القُـرْبـانِ

---

(١) وقد فعل رحمه الله ما تعهد به لربه، فإنَّه أتىٰ علىٰ شُبهاتهم فأحرقها بالبيان والحق، ومن ذلك هذه النونية العظيمة التي نازل الفرق فيها وجادلهم وأدحض باطلهم، ومن ذلك كتابُه «اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية» وكتابه «إغاثة اللهفان» وكتابه «الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» وكتابه «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» وكتابه «مدارج السالكين» فكل هذه من مجهوداته رحمه الله، وصارت هذه المؤلفات مراجع عظيمة لأهل الإسلام وسلاحاً بأيدي المؤمنين.

(٢) يعني: لأُقْصِيَنَّهُم إلىٰ أقصىٰ المشرق وأُبعدُهم عن قِبلة المسلمين، وعبَّادان: من بلاد فارس.

ولأحمِلَــنَّ عليهِــمُ بعســاكـــرٍ
ليسَــتْ تَفِــرُّ إذا التقــىٰ الــزحفــانِ
بعســاكــرِ الــوَحْيَيْــنِ والفِطــراتِ بــالـ
ـمعقــولِ والمنقــولِ بــالإحســانِ
حتــىٰ يَبِيــنَ لِمَــنْ لــهُ عقْــلٌ مِــنَ الْـ
أَوْلــىٰ بِحُكْــمِ العَقْــلِ والبُــرْهــانِ
ولأنصحَــنَّ اللهَ ثــمَّ رســولَــهُ
وكتــابَــهُ وشــرائــعَ الإيمــانِ[1]
إن شــاءَ ربِّــي ذا يكُــونُ بِحَــوْلِــهِ
أو لَــمْ يشــا فــالأمــرُ للــرحمٰــن[2]

---

(١) وهذه العساكر هي حجج الكتاب والسنة وليست هي قواعد المنطق وعلم الكلام، وأيضاً الفطرة السليمة والمعقُول، يعني الأدلة العقلية الصحيحة التي يُخاصَم بها هؤلاء.

(٢) هذا مأخوذ من الحديث: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[*] هذا هو الدين.

وبما أنَّه التزم فيما سبق من الأبيات بمناصرة الحق ودفع الباطل فوَّض الأمر إلىٰ الله تعالىٰ وقال: هذا راجعٌ لمشيئة الله فإن شاء أعانني علىٰ ذلك وإنْ لم يشأ فالأمر لله تعالىٰ، وهذا من كمال الإيمان أنَّ الإنسان لا يُعجب بنفسه بل يُفوِّضُ الأمر إلىٰ الله ويستعين بالله عزَّ وجل.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ١٣٨ (١٦٩٤٠)، ومسلم (٥٥) (٩٦)، وأبو داود (٤٩٤٤) من حديث تميم الداري، وانظر تمام تخريجه في «المسند» وشرحه في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب، الحديث السابع.

فصل

في شهادة أهل الإثبات علىٰ أهل التعطيل أنَّهُ ليس في السماء إلـٰه يعبد ولا لله بيننا كلام ولا في القبر رسول الله[(١)]

إنَّـــا تَحَمَّلْنـــا الشهـــادَةَ بـــالـــذي
قُلْتُـــمْ نُـــؤَدِّيهـــا لـــدَىٰ الـــرحمٰـــنِ

مـا عنـدَكُـمْ فـي الأرض قُـرآنٌ كـلا
مُ اللهِ حَقّـاً يـا أُولـي العُـدوانِ[(٢)]

كـــلاَّ ولا فـــوقَ السمٰـــواتِ العُلـــىٰ
رَبٌّ يُطـــاعُ بـــواجـــبِ الشُّكْـــرانِ[(٣)]

---

(١) هذا من مُجمل عقائد أهل الباطل: أنّه يلزم علىٰ عقائدهم نفي وجود الرب سبحانه وتعالىٰ، لأنّه إذا نُفيت أسماؤُهُ وصفاتُهُ صار معدوماً، وهذا لازمُ مذهبهم وإنْ لم يُصَرِّحُوا بذلك، وأيضاً: الربُّ سبحانَهُ وتعالىٰ عندهم لا يتكلَّم، لأنَّهم نفوا عنه صفة الكلام سبحانَهُ وتعالىٰ، وأيضاً ليس في القبر رسول الله ﷺ لأنهم يجحدون الرسالة ويزعمون أن الفلاسفة أعلم من الرسل.

(٢) بل هو كلام البشر كما قال الوليد بنُ المغيرة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] فهو عند الجهمية إمّا كلام جبريل أو كلام محمد وهو مخلوق، أو يقولون: خلَقه الله في اللوح المحفوظ وأخذَه جبريل من اللوح المحفوظ.

(٣) لأنَّهم يُنكرون علوَّ الله واستواءَهُ علىٰ عرشه.

كـلاّ ولا فـي القبـرِ أيضـاً عنـدَكُـمْ
مِـنْ مُـرْسَـلٍ واللهِ عِنْـدَ لِسـانِـي[(١)]

هـاتِيـكَ عَـوْراتٌ ثـلاثٌ قـدْ بَـدَتْ
مِنْكُـمْ فَغَطُّـوهـا بِـلا رَوَغَـانِ

فـالـرُّوحُ عِنْدَكُـمُ مِنَ الأعْـراضِ قَـا
ئِمَـةٌ بِجِسْـمِ الحَـيِّ كـالألْـوانِ

وكـذا صِفَـاتُ الحَـيِّ قـائِمَـةٌ بِـهِ
مشْـرُوطَـةٌ بِحيَـاةِ ذي الجُثْمَـانِ

فـإذا انْتَفَـتْ تِلْـكَ الحيَـاةُ فَيَنْتَفِـي
مَشْـرُوطُهـا بـالعَقْـلِ والبُـرْهـانِ

---

(١) لأنَّهم يعتقدون أنَّ الرسولَ إنَّما كان في حال الحياة ولكن بعد الموت تحلَّل وذهب ولم يُعد رسولاً، وهذا خلاف الحق، لأنّ الرسول ﷺ حيٌّ في قبره حياةً برزخيـة، وقد دلَّت الأحاديث علىٰ ذلك ومنهـا: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ حَرَّمَ علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[(*)] عليهم الصلاة والسلام، وأيضاً قال الله تعالىٰ في الشهداء: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فإذا كان الشهداء أحياء في قبورهم حياةً برزخية فالرسل أولىٰ بالحياة البرزخية.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٦/ ٨٤ (١٦١٦٢)، وأبو داود (١٠٤٧) و(١٥٣١)، وابن ماجه (١٠٨٥) و(١٦٣٦) من حديث أوس بن أبي أوس، وهو حديث إسناده صحيح.

ورسالةُ المبعوثِ مَشْروطٌ بها
كصِفاتِهِ بالعلمِ والإيمانِ[(١)]
فإذا انتفَتْ تلك الحياةُ فكلُّ مَشْـ
ـروطٍ بها عدمٌ لذي الأذهانِ[(٢)]

* * *

(١) يقول: عندكم أنه إذا مات لم يكن رسولاً؛ لأن الرسالة مشروطة بأن تكون في حال الحياة، هكذا يقولون، والحق أنَّ رسالات الأنبياء لا تبطل بموتهم عليهم السلام.

(٢) يقولون: الرسالة مشروطة بحياة النبي ﷺ فإذا مات ذهبت عنه الرسالة، وهذا مثل كلام أهل الردة الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، وقالوا: نطيعه لو كان حياً. وبعضهم قال: لو كان نبياً ما مات.

فصل

في الكلام في حياةِ الأنبياء في قبورهم(١)

ولأجـلِ هـذا رامَ نـاصـرُ قـولِكُـمْ
تَـرْقيعَـهُ يـا كثـرةَ الخُلْقـانِ

قـال الـرسـولُ بقبـرِهِ حـيٌّ كمـا
قَدْ كان فوقَ الأرضِ والرُّجْمانِ(٢)

---

(١) هذا الفصل ردٌّ علىٰ مَنْ ينفون حياة الأنبياء في قبورهم، بأن حياتهم في قبورهم ليست كحياتهم علىٰ الأرض، بل هي في الحقيقة حياةٌ برزخية ليست مثل حياتهم في الدنيا، وليس معنىٰ كونه حياً حياةً برزخية أنَّه يُستغاث به ويُطلب منه المدد، لأن هذا باطل، ويستدل بعض هؤلاء المخرفين بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ﴾ [النساء: ٦٤] فنقول: هذا في حال حياته عليه السلام، كما كان الصحابةُ رضوان الله عليهم يفعلون ذلك في حياته، ولم يكونوا يفعلون ذلك معه بعد موته عليه السلام.

(٢) الذي يقول: إنَّ حياتَهُ في البرزخ مثل حياته في الدنيا كاذب وهذه مقالة الخرافيين، حتىٰ إنَّهم في احتفالاتهم البدعية يزعمون أنَّ الرسول ﷺ يحضر ويُحيونَهُ ويقومون له، وهذا باطلٌ، فإنَّ الرسول ﷺ بعد موته لا يأتي إلىٰ الدنيا، اللهمَّ إلا في رؤيا المنام وهي تختلف عمَّا يُرىٰ في اليقظة.

مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذاكَ التُّرْبِ والْـ
لَبِنَاتُ قَدْ عُرِضَتْ علىٰ الجُدْرَانِ
لو كان حَيّاً في الضريحِ حياتَهُ
قَبْلَ المماتِ بغيرِ ما فُرْقانِ
ما كان تحتَ الأرضِ بل مِن فوقِها
واللهِ هذي سُنَّةُ الرحمٰنِ[١]
أتُراهُ تحتَ الأرضِ حَيّاً ثمَّ لا
يُفتيهِمُ بشرائعِ الإيمانِ[٢]
ويُريحُ أُمَّتَهُ مِن الآراءِ والْـ
ـخُلْفِ العظيمِ وسائرِ البُهتانِ[٣]

---

(١) يقول: لو كان الرسول ﷺ حياً في القبر كحياته في الدنيا، فلماذا يُدفن؟ وهو أغلىٰ شخص عند المؤمنين، وهو أَحَبُّ إليهم من أرواحهم وأنفسهم، فلماذا دفنوهُ وهو حيٌّ؟ هل يقول هذا عاقل؟! فهذا أول رد عليهم فدفنه دليلٌ علىٰ أنّه قد مات وفارق الدنيا وانتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، وأنَّ حياتَهُ في القبر حياةٌ برزخية من أمور الآخرة.

(٢) لو كان حياً في قبره حياتَهُ علىٰ وجه الأرض لما تأخَّر الصحابة عن الجلوس عند قبره وسؤاله وتلقي العلم منه، وأيضاً لم ينقطع الوحي الذي كان ينزل عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

(٣) لو كان في قبره حياً كحياتِه علىٰ وجه الأرض لأزال كثيراً من الاختلافات الاجتهادية التي تحصل بين الصحابة وغيرهم من العلماء، فيرجعون إليه ولا يحتاجون للاجتهاد.

أَمْ كـان حَيّاً عـاجـزاً عَـنْ نُطْقِـهِ
وعَـنِ الجـوابِ لسـائـلٍ لَهفـانِ
وعن الحِراكِ فما الحياةُ اللاتِ قَدْ
أثبتُّمـوهـا أوْضِحُـوا ببيـانِ[١]
هـذا وَلِـمْ لا جـاءَهُ أصحـابُـهُ
يشكـون بـأسَ الفـاجـرِ الفتّـانِ
إذا كـان ذلـك دأبُهُـمْ ونبيُّهُـمْ
حـيٌّ يُشـاهِـدُهُـمْ شهـودَ عِيـانِ[٢]
هـل جـاءَكُـمْ أثَـرٌ بـأنَّ صِحـابَـهُ
سـألُـوهُ فُتْيـا وهـو فـي الأكفـانِ
فـأجـابَهُـم بجـوابِ حـيٍّ نـاطـقٍ
فـأْتُـوا إذاً بـالحـقِّ والبُـرهـانِ[٣]

---

(١) لو كان حياً كما تزعمون كحياته على الأرض لما انقطع كلامُهُ ﷺ مع الناس، فانقطاع كلامِه ﷺ دليلٌ على موته.

(٢) فالصحابة إذا نزلت بهم نازلة أو ضايقهم عدو أو أصابتهم كربة ما كانوا يذهبون إلى القبر ويطلبُون من النبي أن يجيبهم كما كانوا يفعلون ذلك قبل موته فدلَّ على أنَّ حياتَه في البرزخ تختلف عن حياته في الدنيا.

(٣) هل عندكم فتوى واحدة أفتى بها الرسول ﷺ بعد موته، فدلَّ على أنَّه انتهى من الدنيا، لأنه بلَّغ رسالة ربِّه ولحق بالرفيق الأعلى عليه الصلاة والسلام ولم يبق مرجعاً عند الاختلاف وعند الشدائد لأنَّه انتقل من بينهم إلى دارٍ أخرى وإنما المرجع ما أوصى بالرجوع إليه من بعده وهما الكتاب والسنة.

هـلاَّ أجـابَهُـمُ جـوابـاً شـافِيـاً
إنْ كـان حيّـاً نَـاطِقـاً بِلسَـانِ
هـذا ومـا شُـدَّتْ ركـائِبُـهُ عـن الْـ
ـحُجُـراتِ للقـاصـي مِـن البلـدانِ
مع شِدَّةِ الحرصِ العظيمِ لـهُ علىٰ
إرْشـادِهِـمْ بطـرائـقِ التِّبيـانِ(١)
أتـراهُ يشهـدُ رأيَهُـمْ وخـلافَهُـمْ
ويكـونُ للتِّبيـانِ ذا كِتْمـانِ(٢)
إنْ قُلْتُـمُ سبـقَ البيَـانُ صـدَقْتُـمُ
قـدْ كـانَ بـالتكْـرارِ ذا إحْسَـانِ

---

(١) لا تُشد الرحال إلىٰ قبره عليه الصلاة والسلام مثل ما كانت تُشد إليه وهو حيٌّ، كانت تأتيه الوفود والركبان من المشرق والمغرب، ويفدُون عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبعد موته ما جاءت وفود ولا ركبان إلىٰ قبره عليه السلام لسؤاله والتلقي عنه، لعلمهم أنَّه قد مات وأنه قال: «لا تشد الرحال إلاّ إلىٰ ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصىٰ»(*) أمّا القبور فلا تُشد الرحال إليها لا قبور الأنبياء ولا الأولياء ولا الصالحين، لأنَّ ذلك يُفضي إلىٰ الشرك بالله عزَّ وجل فمنع ذلك من سدِّ وسائل الشرك.

(٢) حصل بعده مشاكل عند المسلمين في وقت الصحابة ومَن بعدَهم، وما تَوَلّىٰ الرسولُ ﷺ حلَّها بعد موته كما كان يتولىٰ ذلك وهو حيٌّ، فدلَّ علىٰ أنَّ أحكام حياته في القبر تختلف عن أحكام الحياة في الدنيا.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٢/ ١١٦ (٧١٩١)، والبخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة.

هـذا وكَـمْ مِـن أمـرٍ أشكـلَ بعـدَهُ
أعنـي علـىٰ علمـاءِ كـلِّ زمـانِ
أو مـا تـرىٰ الفـاروقَ ودَّ بـأنَّـهُ
قـد كـان منـه العهـدُ ذا تِبيـانِ
بـالجَـدِّ فـي ميـراثِـهِ وكـلالَـةٍ
وببعـضِ أبـوابِ الـرِّبـا الفَتّـانِ
قـد قَصَّـرَ الفـاروقُ عنـدَ فـريقِكُـمْ
إذ لَـمْ يَسَلْـهُ وهـو فـي الأكفـانِ[1]
أتُـراهُـمْ يـأْتـونَ حـولَ ضـريحِـهِ
لسـؤالِ أُمِّهِـمْ أعَـزِّ حَصَـانِ

---

(١) تمنَّىٰ الفاروق عمر بن الخطاب أنَّ الرسول بيَّن هذه المسائل الثلاث لأنَّها أشكلت عليه ولم تتضح له وهي:

١ ـ الكلالة، فالفاروق مات ولم تتضح له هذه المسألة.

٢ ـ ميراث الجد مع الإخوة: الجمهور يرون مشاركة الإخوة للجد وذهبت طائفةٌ من أهل العلم إلىٰ أنَّه يحجبهم كالأب فالفاروق توقَّف ولم يكن مع أحد الرأيين.

٣ ـ مسائل من الربا أشكلت عليه، وكان الفاروق يودُّ لو أنَّ الرسول ﷺ بيَّن هذه المسائل الثلاث، فلو كان يؤتىٰ إليه في قبره لكان أولىٰ النّاس بالذهاب إليه الفاروق يسألُه عن هذه المسائل الثلاث، فدلَّ علىٰ أنَّه في قبره لا يُسألُ عن شيء، وكيف يبقىٰ الفاروق علىٰ إشكاله ولا يسألُ الرسول بعد موته، لو كان سؤالُهُ بعد الموت جائزاً، فكونُهُ لم يسأله دليل علىٰ أنه غير جائز.

ونبيُّهُـمْ حـيٌّ يشـاهِـدُهُـمْ ويَسْـ
ـمَعُهُـمْ ولا يـأتـي لهـم ببيـانِ[١]

أفكـانَ يعْجِـزُ أنْ يُجيـبَ بِقَـوْلِـهِ
إنْ كـانَ حيّـاً داخِـلَ البُنْيَـانِ

يا قومَنا استحْيُوا من العقلاءِ والـ
ـمَبْعـوثِ بـالقـرآن والـرحمٰـنِ

واللهِ لا قَـدْرَ الـرَّسُـولِ عـرَفْتُـمُ
كـلاَّ ولا لِلنَّفْـسِ والإنْسـانِ

مَـنْ كـانَ هـذا القَـدْرُ مبْلَـغَ عِلْمِـهِ
فَلْيَسْتَتِـرْ بـالصَّمْـتِ والكِتْمـانِ

ولقـد أبـان اللهُ أنَّ رسـولَـهُ
مَيْـتٌ كمـا قـد جـاء فـي القـرآنِ[٢]

---

(١) كانوا يؤتون عائشة رضي الله عنها فيسألونها، والقبر عندهم في الحجرة، فيأتون إلىٰ أم المؤمنين فيسألونها مع أنّ القبر قريبٌ عندهم في الحجرة، فدلَّ علىٰ أنّ سؤالَهُ بعد الموت لا يجوز، وهذا في مسائل العلم فكيف بسؤاله تفريج الكُربات وإغاثة اللهفان، وقوله: أعزّ حَصَان: يعني عائشة حيث بَرَّأها الله تعالىٰ من قول أهل الإفك، فكيف يسكت الرسول ويتركهم، هذا كتمان وحاشاهُ أن يكتم الحق.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] هذا ردٌّ علىٰ المخرفين الذين يقولون بحياة الرسول ﷺ في قبره كحياته علىٰ الأرض ويغلون فيه، ويزعمون أنَّها لا تختلف عن حياته علىٰ وجه الأرض، ولذلك يطلبون منه الحاجات ويستغيثون به ـ والعياذ بالله ـ هذا ضدٌّ قول الطائفة =

أفجـــاءَ أنَّ اللهَ بـــاعِثُـــهُ لنـــا
فـــي القبـــرِ قبـلَ قيـامَـةِ الأبـدانِ
أثــلاثُ مَــوْتـاتٍ تكـونُ لِـرُسْلِـهِ
ولغيـرِهِـمْ مِـنْ خَلْقِـه مَـوْتـانِ[١]
إذ عِنْدَ نَفْخِ الصُّـورِ لا يبقـىٰ امـرؤٌ
فـي الأرضِ حَيّـاً قـطُّ بـالبُـرهـانِ[٢]

= التي تقول: إنَّه قد صار عدماً بعد موته، وينفون حياته مطلقاً، وأهل الحق توسطوا بين الطائفتين فأثبتوا حياة الرسول ﷺ في البرزخ، لكنّها من أمور الآخرة ليست كحياته علىٰ وجه الأرض.

(١) إذا كانت حياتُهُ في قبره كما تقولون كحياته في الدنيا، هذا معناه أن الله بعثه بعد موته، وهل هناك بعثٌ قبل يوم القيامة؟! يعني: مات ثمّ بُعث ثمّ مات ثمّ بُعث فيكون هناك بعثان للرسول، وأمّا غيره فموتٌ واحد وبعثٌ واحد، لا يقولُ هذا أحد، كما في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، فالخلق كلُّهم لهم حياتان وموتان:

الموتة الأولىٰ: حين كانوا نُطفاً ميتة، ثمَّ إنَّ الله طور هذه النُّطف إلىٰ أن تجسَّدت بعد ذلك، ثمَّ نُفِخت فيها الروح فأحياها سبحانه بعد موتها، هذه الحياة الأولىٰ.

الموتة الثانية: عند نهاية الأجل في الدنيا، والحياة الثانية بعد البعث في يوم القيامة، فهل الرسول يكون له حياةٌ زائدة علىٰ البشر؟ ثلاث موتات وثلاث بعثات، هذا ما قاله أحد.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٦٨] يموت كلُّ الخلق إلا ما استثنىٰ الله.

أفهلْ يموتُ الرُّسْلُ أم يبقوا إذا
مـاتَ الـورَىٰ أمْ هـلْ لكُـمْ قـولانِ(١)

فتكلَّمُوا بـالعلـمِ لا الـدعـوىٰ وجِيـ
ـئُـوا بـالـدليـلِ فنحـنُ ذُو أذهـانِ(٢)

أو لم يَقُلْ مِنْ قبلِكُمْ للرّافعي الـ
أصـواتِ حَـوْلَ القبـرِ بـالنُّكـرانِ

لا تَـرفعـوا الأصـواتَ حُـرْمَـةُ عَبْـدِهِ
مَيْتـاً كَحُـرْمَتِـهِ لـدَىٰ الحيـوانِ

قـد كـان يُمكِنُهـمْ يقـولـوا إنَّـهُ
حـيٌّ فَغُضُّـوا الصـوتَ بـالإحسـانِ

لكنَّهُـم بـاللهِ أعلـمُ منكُـمُ
ورسـولِـهِ وحقـائـقِ الإيمـانِ(٣)

---

(١) يعني هل للرسل خاصية فلا يموتون عند الصعق؟ أو أنَّهم مثل غيرهم يموتون ويصعقُون.

(٢) هاتوا لنا دليل من الكتاب والسنة علىٰ ذلك فنحنُ نُسلِّم.

(٣) وذلك أن عمر رضي الله عنه أنكر علىٰ النفر الذين جاؤوا من الطائف ودخلوا مسجد الرسول ﷺ ورفعوا أصواتهم فحصبهم وأنكر عليهم(*)، لأن حُرْمَتَهُ ميتاً كحرمته حياً، وقد قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] فلا يجوز رفع الصوت عند قبره تعظيماً له واحتراماً له عليه السلام ولكن يُسلِّم عليه المسلِّم بصوتٍ منخفض.

(*) انظر ما ورد في «صحيح البخاري» (٤٧٠).

ولقــد أتَــوْا يــومــاً لــىٰ العبــاسِ يَسْــ

ــتَسْقــون مــن قحــطٍ وجَــدْبِ زمــانِ

هـــذا وبينهـــم وبيـــن نبيِّهـــم

عَــرْضُ الجــدارِ وحُجْــرَةُ النِّســوانِ

فنبيُّهـــم حـــيٌّ ويستسقـــونَ غَيْـ

ــرَ نبيِّهــم حــاشــىٰ أولــي الإيمــانِ[١]

* * *

(١) هٰذا من البراهين: علىٰ أنَّه ﷺ لا يُسأَل شيئاً بعد موته لأنَّ الصحابةَ لمَّا أجدبوا، يعني امتنع عنهم المطر وانحبس، وكان من سنة النبيِّ ﷺ الاستسقاء لهم عند ذلك والدعاء، فلم يذهبوا إلىٰ قبر النبي ﷺ يطلبون منه أن يدعو لهم بالسقيا بل ذهبوا إلىٰ عمِّه العباس، وطلبوا منه أن يدعو الله لهم بالغيث، فكونهم عدلُوا عن الرسول إلىٰ العباس دليل علىٰ أنَّ الرسول لا يُطلب منه شيء بعد موته، إذ كيف يعدلون عن الفاضل إلىٰ المفضول، إلا لأنَّ الفاضل لا يُطلب منه شيءٌ بعد الموت، وهم أعلم الأمة بما يجوز وما لا يجوز في حقه ﷺ.

فصل

فيما احتجوا به علىٰ حياة الرسُل في القبور(١)

فـإنِ احتججتُـمْ بـالشهيـدِ بـأنَّـهُ
حـيٌّ كمـا قـد جـاءَ فـي القُـرآنِ

والـرُّسْـلُ أكمـلُ حـالـةً منـه بـلا
شـكٍّ وهـذا ظـاهـرُ التبيـانِ(٢)

---

(١) تقدَّم الكلام في حياة الرسل بعد موتهم في قبورهم، وتبيَّن أنّ هذه الحياة حياةٌ برزخِيَّة ليست كحياتهم في الدنيا، والحياة البرزخية لا يعلمُها إلا الله تعالىٰ، وهي تختلف أحكامُها عن أحكام الحياة في الدنيا، فلا تعلُّق بهذه المسألة وهي أنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم للمخرفين الذين يدعونهم من دون الله، فهم أحياء في قبورهم، ولكن لا يسوغ دعاؤهم ولا الاستغاثة بهم، فلا تلازم بين هذا وبين أنَّهم أحياء في قبورهم؛ لأنّ حياتهم في قبورهم تختلف عن حياتهم علىٰ وجه الأرض من وجوهٍ كثيرة وسبق إيضاح ذلك، وقد ذكر في هذا الفصل الحُجج التي احتجوا بها علىٰ التعلُّق بالرُّسل بعد موتهم، حيث احتجوا علىٰ هذا بشبهة سيأتي بيانها.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فذكر في الآيتين أنَّهم أحياء، وأننا لا نشعر بهذه الحياة ولا نُدركُها لأنَّها من عالم الغيب فهي حياةٌ خاصة في البرزخ تختلف عن حياتهم في الدنيا، هذا =

فلـذاكَ كـانـوا بـالحيـاةِ أحـقَّ مِـنْ
شُهـدائِنـا بـالعقـلِ والبُـرهـانِ[(١)]

وبـأنَّ عَقْـدَ نكـاحِـهِ لـم يَنْفَسِـخْ
فنسـاؤهُ فـي عصمـةٍ وصيـانِ[(٢)]

ولأجـل هـذا لـم يحـلَّ لغيـرِهِ
منهـنَّ واحـدةٌ مـدَىٰ الأزمـانِ

أفليـس فـي هـذا دليـلٌ أنَّـهُ
حـيٌّ لمـن كـانـت لَـهُ أُذنـانُ[(٣)]

= في الشهداء، والرسل لم يأت نصٌّ علىٰ أنَّهم أحياء في قبورهم ولكن من باب قياس الأولىٰ إذا كان الشهداء أحياء في قبورهم عند ربِّهم ولا نشعرُ بحياتهم فالأنبياء من باب أولىٰ لأنَّهم أكمل من الشهداء فهم أحياء في قبورهم حياةً برزخية لا تعلُّق لها بأمور الدنيا، فهم قد ماتوا كغيرهم من البشر الموتة التي فارقوا بها الدنيا وهم أحياء حياة برزخية في القبور، والقبور وما يجري فيها لا نُدركُهُ نحن.

(١) نحن نثبت حياة الرسل في القبور من باب قياس الأولىٰ.

(٢) قالوا أيضاً: نساءُ النبي ﷺ يُحرم عليهنَّ التزوُّج من بعده، فهذا دليلٌ علىٰ أنَّه حيٌّ في قبره، فنقول: نعم أزواجه لا يحل التزوج منهنَّ، وعقدُه عليهن باقٍ، فهنَّ زوجاتُهُ في الجنة وليس معناه أنه لم يمت بل مات، ولذلك أعتددن عدة الوفاة وبقين في بيوت الزوجية بعده ﷺ.

(٣) هذا كلامُهم يقولون: ما دامت أزواجُه لا تتزوج لأنهن مقصورات عليه فهذا دليل علىٰ حياته في القبر كحياته في الدنيا، ونقول لهم: حياته في القبر حياة برزخية ليست كحياته في الدنيا كما سبق.

أوَ لَـمْ يَـرَ المُختـارُ مُـوسـىٰ قـائمـاً
فـي قبـرِهِ لصــلاةِ ذي القُــربــانِ
أفَمَيِّـــتٌ يـــأتـــي الصـــلاة وإنَّ ذا
عيـنُ المُحـالِ وواضـحُ البُطـلان[1]
أو لــم يَقُـلْ إنـي أرُدُّ علـىٰ الـذي
يـأتـي بتسليـمٍ مـع الإحسـانِ[2]

---

(١) هذه شبهةٌ ثالثة: قالوا مما يدل علىٰ أنّ الأنبياء أحياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا: أنّ النبي ﷺ ليلة أسري به من مكة إلىٰ بيت المقدس مرَّ علىٰ موسىٰ وهو يصلي في قبره(*). فقالوا: هذا دليل علىٰ أنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم كحياتهم في الدنيا؛ لأنَّ موسىٰ كان يصلي في قبره، وقد أجاب ابن القيم عن هذا بأمرين:

الأول: أنَّ في سند هذا الحديث مقالاً فهو موقوف.

الثاني: لو صحَّ هذا الحديث فصلاتُهُ في قبره من أمور البرزخ وأمور الآخرة فليست كصلاتهم في الدنيا بل هذه صلاةٌ برزخية وحياةٌ برزخية.

(٢) وهذا دليلٌ لهم آخر: أنَّ الرسول ﷺ قال: «ما من أحد يُسَلِّم عليَّ، إلا ردَّ الله عليَّ رُوحي، حتىٰ أردَّ عليه السلام»(**) قالوا: هذا دليل علىٰ =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٩/٢٤٣ (١٢٢١٠)، ومسلم (٢٣٧٥) من حديث أنس بن مالك، ولفظه عند أحمد: «مررت ليلة أسري بي علىٰ موسىٰ قائماً يصلي في قبره» وانظر تمام تخريجه في «المسند».

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٦/٤٧٧ (١٠٨١٥)، وأبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة، وهو حديث إسناده صحيح.

أيَــرُدُّ مَيــتٌ السَّــلامَ علــىٰ الــذي
يــأْتــي بِــهِ هــذا مــن البُهْتَــانِ
هــذا وقــد جــاءَ الحــديــثُ بــأنَّهــمُ
أحيــاءُ فــي الأجــداثِ ذا تِبيــانِ
وبــأنَّ أعمــالَ العبــادِ عليــه تُعْـ
ــرَضُ دائمــاً فــي جُمعــةٍ يــومــانِ
يــومَ الخميــسِ ويــومَ الاثنيــنِ الــذي
قد خُصَّ بالفضلِ العظيمِ الشانِ[1]

= حياته ﷺ في قبره كحياته في الدنيا وهذا في الواقع حُجة عليهم: لأنَّه قال: «ردَّ الله عليَّ روحي» فدلَّ علىٰ أَنَّ رُوحه قد فارقت بدنَهُ عليه الصلاة والسلام وإنَّما تُرد في وقت السلام عليه فقط.

(١) واحتجوا بأن عرض أعمال العباد عليه في يوم الاثنين والخميس دليلٌ علىٰ أنَّه حيٌّ، وهذا عنه جوابان:

الأول: أن الحديث في «عرض الأعمال»(*) فيه مقال.

الثاني: لو صحَّ فعرضها عليه لا يدلُّ علىٰ أنَّه حيٌّ مثل حياته في الدنيا وإنَّما يدل علىٰ أنَّه حيٌّ حياةً برزخية تختلف عن حياته في الدنيا.

(*) الكلام هنا عن حديثين: الأول: حديث عرض الأعمال علىٰ الله تعالىٰ، وفيه ذكر يوم الاثنين والخميس، أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣/ ٧٧ (٧٦٣٩)، ومسلم (٢٥٦٥)، من حديث أبي هريرة. والثاني: حديث عرض الأعمال علىٰ الرسول ﷺ ليس فيه ذكر يوم الخميس والاثنين ونصه: «حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم...» الحديث. انظره تاماً مع تخريجه ص٧٠٦.

فصل

في الجواب عمَّا احتجوا به في هذه المسألة

فيُقالُ أصلُ دَليلِكُمْ في ذاك حُجْـ
جَتُنا عليكُمْ وهي ذاتُ بيانِ
إنَّ الشهيدَ حياتُهُ مَنصوصَةٌ
لا بالقياسِ القائمِ الأركانِ(1)
هذا مع النهي المؤكَّدِ أننا
ندعوهُ مَيْتاً ذاكَ في القُرآنِ(2)
ونساؤُهُ حلٌّ لَنا مِن بعدِهِ
والمالُ مقسومٌ علىٰ السُّهْمانِ(3)

---

(١) الشهيد حياتُهُ ثبتت بالنص في القرآن في موضعين ومع هذا فإنَّ الشهيدَ دُفِنَ، وزُوِّجت نساؤُهُ، وقُسِم ميراثه، فدلَّ علىٰ أنَّ هذه الحياة حياةٌ خاصّة تُفارق حياتَه في الدنيا، وحياة الأنبياء مقيسة عليها فيكون من باب أولىٰ أن حياتهم في البرزخ تختلف عن حياتهم في الدنيا فهذا دليلٌ عليكم لا لكم.

(٢) الشهيد مع النص علىٰ حياته في القرآن فإنه لا يجوز لنا دعاؤه من دون الله قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥].

(٣) الشهيد، أثبت الله أنه حي ومع ذلك أباح أن نتزوج امرأتَه من بعده، فدلَّ علىٰ أنَّ حياته في البرزخ غير حياته في الدنيا، وكذلك نقتسم ميراثه وهذا دليلٌ علىٰ الفرق بين الحياتين.

هـذا وأنَّ الأرضَ تـأكـلُ لَحْمَـهُ
وسِبـاعُهـا مـع أُمَّـةِ الـديـدانِ[1]

لكنَّـهُ مـع ذاكَ حـيٌّ فـارِحٌ
مُستبشِـرٌ بكـرامـةِ الـرحمٰـنِ[2]

فـالـرُّسْـلُ أوْلـىٰ بـالحيـاة لـديـه مَعْ
مـوتِ الجُسُـومِ وهـذه الأبـدانِ[3]

وهـي الطـريَّـةُ فـي التـرابِ وأكلُهـا
فهـو الحـرامُ عليـه بـالبـرهـانِ[4]

---

(١) الشهيد أيضاً يتمزَّق جسمُه ويأكلُهُ الدود والسباع والطيور، ولو كان حياً مثل حياته في الدنيا بقي جسمه لم يتمزق ولم يُبدَّل بجسمه الذي تمزَّق في القتال بحواصل الطير، فدل علىٰ أن حياة الشهداء ليست هي تلك الحياة الجسدية في القبر وأن أرواحهم تجعل في حواصل طيرٍ خضر في الجنة تروح وتسرح فيها كما صَحَّ في الحديث(*).

(٢) مع كل هذه الأمور من قسم ميراثه وتزويج امرأته ودفنه وتمزق جسمه أخبر الله أنَّه حيٌّ فدلَّ علىٰ أنَّها حياةٌ خاصة أخروية لا تُقاس علىٰ حياته في الدنيا.

(٣) وإذا كان الشهداء أحياء في قبورهم فالرسل من باب أولىٰ أنَّهم أحياء في قبورهم حياةً برزخية أخروية لا تعلُّق لها بأمور الدنيا.

(٤) أمّا أجسام الأنبياء فهي تختلف عن أجسام الشهداء، أجسام الشهداء تفنىٰ وتتمزق ومنها ما يبقىٰ، أمّا الأنبياء فإنَّ أجسامهم محفوظة وتبقىٰ طرية، =

(*) ورد ذلك في «صحيح مسلم» (١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١١) من حديث عبد الله بن مسعود.

ولبعـض أتبـاعِ الـرسـولِ يكـونُ ذا
أيضـاً وقـد وَجَـدُوهُ رأيَ عيـانِ(١)

فـانْظُـرْ إلـىٰ قلْـبِ الـدَّلِيـلِ علَيْهِـمُ
حـرْفـاً بِحـرْفِ ظـاهِـرِ التِّبْيَـانِ

لكِـنْ رسـولُ اللهِ خُـصَّ نسـاؤُهُ
بخصيصَـةٍ عـن سـائـرِ النِّسْـوانِ

خُيِّـرْنَ بيـن رسُـولِـهِ وسـواهُ فـاخْـ
ـتَـرْنَ الـرسـولَ لصِحَّـةِ الإيمـانِ(٢)

شكَـرَ الإلَـهُ لهـنَّ ذاكَ وربُّنـا
سبحـانَـهُ للعبْـدِ ذُو شُكـرانِ

= فدلَّ علىٰ أنَّ هذه الأمور أمورٌ غيبية وأمورٌ برزخية لا يُقال فيها إلا بما ثبت في الدليل.

(١) وقد يكون من الشهداء من يبقىٰ جسمُه طرياً كما حصل وقائع من هذا أنَّه عُثر علىٰ قبور ويوجد أصحابها كما دفنوا وهذه كرامة من الله عز وجل ومع هذا لا يجوز دعاؤهم من دون الله.

(٢) نساء الرسول ﷺ يختلفن عن نساء الشهداء الشهداءُ تتزوج نساؤهم أمّا نساءُ الرسول فإنَّهن لا يتزوجن؛ لأنهن نساؤه في الجنة، وقد خيَّرهن الرسول ﷺ فاخترن ذلك وبقين زوجاته في الجنة، ولذلك حرُم علىٰ الأمة نكاحهن بعده ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قَصْرُ الرسولِ علىٰ أولئك رحمةً
منهُ بِهِنَّ وشُكْرَ ذي الإحسانِ[١]

وكذاكَ أيضاً قصْرُهُنَّ عليهِ مَعْـ
ـلُومٌ بِلا شَكٍّ ولا حُسْبَانِ

زَوْجاتُهُ في هذِهِ الدُّنْيا وفي الْـ
أُخْرىٰ يَقِيناً واضِحَ البُرهانِ

فلِذا حَرُمْنَ علىٰ سِواهُ بعدَهُ
إذْ ذاكَ صوناً عَنْ فِراشٍ ثَانِ

لكنْ أتينَ بِعِدَّةٍ شَرْعِيَّةٍ
فيها الحِدادُ ومُلزَمُ الأوطانِ[٢]

هذا ورؤيتُهُ الكليمَ مُصلِّياً
في قبرِه أثرٌ عظيمُ الشانِ[٣]

---

(١) لمّا اخترن الله ورسوله والدار الآخرة أكرمهنَّ الله بأن جعلهنَّ زوجاته في الجنة.

(٢) مع كونهنَّ زوجاته في الجنّة وهنَّ في عصمته لمّا مات أتين بعِدَّة الوفاة، فدلَّ علىٰ أنّ أحكامَهنَّ في الدنيا مثل غيرهنَّ في العدة ولزوم البيت، وهذا يدل علىٰ أن الرسول توفي لأنه عومل معاملة المتوفىٰ فاعتددن من بعدِه.

(٣) وأما ما ورد من أن النبي ﷺ ليلة أسري به من مكة إلىٰ بيت المقدس مرَّ علىٰ موسىٰ وهو يصلي في قبره(*)، أجاب عنه بجوابين: =

(*) سلف تخريجه ص٦٩٥.

فـي القلـب مِنـهُ حَسِكَيـةٌ هـل قـالَـهُ
فـالحـقُّ مـا قـد قـال ذو البـرهـانِ[1]

ولذاكَ أعْرَضَ في الصَّحيحِ مُحَمَّدٌ
عنْــهُ علــىٰ عَمَــدٍ بِــلا نِسْيَــانِ

والـــدارَقُطنـــيُّ الإمَـــامُ أعلَّـــهُ
بِـــروايَـــةٍ معْلُـــومَـــةِ التِّبْيَـــانِ

أَنَـسٌ يقُــولُ رأىٰ الكَلِيــمَ مُصَلِّيــاً
فــي قَبْـرِهِ فـاعْجَـبْ لِـذا الفُـرْقـانِ

= **الأول**: من ناحية السند: أنَّه متردد بين الوقف والرفع، والبخاري أعرض عنه نظراً لأنَّه لم يثبت مرفوعاً، وهو رأي جماعة من المحدثين.

الثاني: إذا ثبت أنَّه مرفوع كما في الرواية الثانية وهي رواية مسلم في «صحيحه» (٢٣٧٥) وأنَّه رأىٰ موسىٰ يصلي في قبره فالصلاة في قبره ليست خاصة بموسىٰ عليه السلام فقد ثبت أنَّ الميت إذا وُضع في قبره وجاءَه الملكان تمثل له الشمس عند الغروب فيطلب من الملكين أن يتركاهُ يُصلِّي العصر قبل أن تغرب الشمس فيقولان له: أما إنَّك ستُصلي(*)، فإذا كان الميت في القبر يريد أن يصلي وموسىٰ رؤي يصلي في القبر فهذه أمورٌ برزخية وأمورٌ خاصة ليست كالأمور التي في الدنيا.

(١) هذا جواب عن حديث صلاة موسىٰ في قبره يعني: سند الحديث فيه مقال، هل قالَه الرسول أو قالَه الصحابي وما دام أنَّه متردد بين الوقف والرفع فالاحتجاج به يكون ضعيفاً.

(*) رواه ابن حبان في «صحيحه» ٧/ ٣٨٠ (٣١١٣) من حديث أبي هريرة، وهو حديث إسناده حسن، وانظر تمام تخريجه فيه.

فـرواهُ مـوْقُـوفـاً عليْـهِ وليـسَ بـالْـ
ـمـرْفُـوعِ واشَـوْقـاً إلـىٰ العِـرفـانِ
بيـنَ السِّيَـاقِ إلـىٰ السِّيَـاقِ تَفـاوُتٌ
لا تَطْـرَحَنْـهُ فَمَـا هُمَـا سِيَّـانِ
لكـنْ تُقَلِّـدُ مُسلمـاً وسـواهُ مِمْـ
ـمَـنْ صَـحَّ هـذا عِنْـدَهُ ببيـانِ[1]
فـرواتُـهُ الأثْبَـاتُ أعْـلامُ الهُـدىٰ
حُفَّـاظُ هـذا الـدِّيـنِ فـي الأزمـانِ
لكـنَّ هـذا ليـس مُختصّـاً بـه
واللهُ ذو فضـلٍ وذُو إحسـانِ[2]
فـروىٰ ابـنُ حِبَّانَ الصَّـدُوقُ وغيْـرُهُ
خَبَـراً صحيحـاً عِنْـدَهُ ذا شَـانِ
فيـه صـلاةُ العَصْـرِ فـي قَبْـرِ الـذي
قَـدْ مـاتَ وهـوَ مُحَقَّـقُ الإيمـانِ
فتَمَثَّـلَ الشَّمْـسَ الـذي قـدْ كـان يَـرْ
عَـاهَـا لأجْـلِ صـلاةِ ذي القُـرْبَـانِ

---

(١) الرواية الثانية المرفوعة للحديث عند مسلم (٢٣٧٥) أنَّ الرسول هو الذي أخبر أنَّه رأىٰ موسىٰ يُصلِّي عليه السلام.

(٢) علىٰ القول بأنَّ الحديث صحيح وأنَّه لا مطعن في سنده: نقول: هذا ليس مختصاً بموسىٰ فكل ميت يوضع في قبره تُمثَّل له الشمس عند المغيب فيريد أن يصلي العصر قبل أن تغرب، وهذه أمورٌ برزخية وهذه صلاةٌ خاصة.

عِنْدَ الغُرُوبِ يخَافُ فوْتَ صلاتِهِ
فيقُولُ لِلْمَلَكَيْنِ هلْ تَدَعاني

حتىٰ أُصلِّي العصرَ قَبْلَ فواتِها
قالا سَتفعلُ ذاك بعدَ الآنِ[١]

هذا معَ الموْتِ المُحقَّقِ لا الذي
حُكِيَتْ لنا بثُبُوتِهِ القوْلانِ

هذا وثابتٌ البُنانيُّ قد دعا الرْ
رَحْمٰنَ دعوةَ صادقِ الإيقانِ[٢]

أنْ لا يزالَ مُصَلِّياً في قبرِهِ
إنْ كان أُعْطِيَ ذاكَ مِنْ إنسانِ

لكنَّ رُؤْيَتَهُ لموسىٰ ليلةَ الْـ
ـمعراجِ فوقَ جميعِ ذي الأكوانِ

---

(١) فدلَّ علىٰ أنَّ الميت يريد أن يُصلِّي في قبره وليس في هذا مُتعلَّق للقبوريين الذين يدعون الأموات ويستغيثون بهم.

(٢) ثابت البُناني أحد رواة الحديث سأل ربه: إن كان الميت يصلي في قبره: أن يجعلَهُ يصلي في قبره حباً للصلاة فليس هذا خاصاً بموسىٰ، فقد روي عن ثابت أنه كان يقول: اللهم إن كنت أعطيتَ أحداً الصلاة في قبره، فأعطني الصلاة في قبري، ويقال إن هذه الدعوة استجيبت له، وإنه رؤي بعد موته يصلي في قبره. ذكر ذلك الذهبي في «تهذيب الكمال» في ترجمة ثابت بن أسلم البناني ٤/٣٤٨.

يـرويـه أصحـابُ الصحـاحِ جميعُهُـمْ
والقطـعُ مُـوجِبُـهُ بـلا نُكـرانِ[١]
ولـذاك ظُـنَّ مُعـارِضـاً لصـلاتِـهِ
فـي قبـرِهِ إذ ليـس يجتمعـانِ[٢]
وأُجيـبَ عنـه بـأنَّـهُ أُسـرِي بـه
لِيَـراهُ ثـمَّ مُشـاهِـداً بِعيـانِ

---

(١) هذا اعتراض علىٰ كون موسىٰ يصلِّي في قبره، كيف يصلي في قبره وقد رآهُ ﷺ فوق السماوات؟! وتردد بينَه وبين الله في فرض الصلوات الخمس، والجواب: أن يقال إن صحت صلاة موسىٰ في قبره، فإنَّ هذا محمولٌ علىٰ تفاوت الزمان فيكون، رآهُ في قبره يصلِّي في وقت، ورآهُ في الملأ الأعلىٰ في وقتٍ آخر، ولا مانع من هذا في قُدرة الله سبحانَه وتعالىٰ، وأمور الأموات والبرزخ من الأمور التي لا يعلمها إلا الله سبحانَه وتعالىٰ ولا نُثبت فيها إلاّ ما ثبت في الدليل ونقتصر عليه.

(٢) هذا جواب عن احتجاجهم برد النبي ﷺ السلام علىٰ من سلم عليه في قبره(*) بأن نقول: ردُّ النبي ﷺ علىٰ مَنْ سَلَّم عليه في قبره، نقول: هو حيّ لكن حياة برزخيّة ليست حياةً دنيوية، وكون الرسول تُردّ روحُهُ إليه ليردَّ السلام ليس خاصاً بالرسول بل هذا يكون في غيره من الأموات أيضاً فما من مسلم يزور أخاً له في الله ويُسلِّم عليه إلا ردَّ اللهُ رُوحَ الميت حتىٰ يردَّ عليه السلام كما جاء في الحديث.

(*) سلف ذكر الحديث وتخريجه ص٦٩٥.

فـرآهُ ثَـمَّ وفـي الضـريـح وليـس ذا
بتنــاقــضٍ إذا أمكــنَ الــوَقْتــانِ

هــذا وَرَدُّ نبينــا التسليــمَ مَــنْ
يــأتــي بتسليــمٍ مــع الإحســانِ

مــا ذاك مختصــاً بــه أيضــاً كمــا
قــد قــالَــهُ المبعــوثُ بــالقــرآنِ

مَــنْ زارَ قبــرَ أخٍ لَــه فــأتــىٰ بتســ
ـليــمٍ عليــه وهــو ذو إيمــانِ

رَدَّ الإلٰــهُ عليــه حَقّــاً رُوحَــهُ
حتــىٰ يَــرُدَّ عليــه رَدَّ بيــانِ(١)

وحـديـثُ ذكـرْ حيـاتِهـمِ بِقِبُـوُرِهِـمِ
لمَّــا يَصِــحُّ وظـاهِـرُ النُّكْـرانِ

فـانْظُـرْ إلـىٰ الإسْنَـادِ تَعْـرِفْ حَـالَـهُ
إنْ كُنْــتَ ذا عِلْــمٍ بهــذا الشَّــانِ

هــذا ونحــنُ نقـولُ هُـم أحيـاءُ لٰـ
ـكِـنْ عنـدنـا كحيـاةِ ذي الأبـدانِ(٢)

---

(١) لروح الميت اتصال ببدنه، تعاد إليه في وقت سؤال الملكين وتعاد عليه عند تسليم المُسلِّم عليه.

(٢) هذه الحياة عند ربِّهم، قال تعالىٰ: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فلم يقل «أحياء» مطلقاً بل قال: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وحياتهم في القبر =

والتُّــرْبُ تَحْتَهُــمُ وفَــوقَ رُؤُوسِهِــمْ
وعَــنْ الشَّمــائِــلِ ثُــمَّ عَــنْ أيْمــانِ
مِثْــلَ الــذي قَــدْ قُلْتُمُــوهُ معــاذُنَــا
بــاللهِ مِــنْ إفْــكٍ ومِــنْ بُهتــانِ
بــلْ عنــدَ رَبِّهِــمْ مِثْــلَ مــا
قــد قــالَ فــي الشُّهـداءِ فــي القُـرآنِ
لكــنْ حيــاتُهُــمُ أَجَــلُّ وحــالُهُــمْ
أَعَلىٰ وأكمـلُ عنـد ذي الإحسـانِ(١)

= تختلف عن حياتهم في الدنيا، وهي أكمل وأحسن من حياتهم في الدنيا، لأنَّها حياةُ نعيم، وأمّا حياتهم في الدنيا فحياةُ نغص وتعب ومُكدِّرات وهموم وأحزان فتختلف حياة البرزخ عن حياة الدنيا.

(١) هذه الشبهة الأخيرة من شبه عُبّاد القبور وهي: أنَّهم قالوا ممّا يدلُّ علىٰ أنَّ الرسول حيٌّ في قبره أنَّه تُعرض عليه أعمال أمته فيستغفر لمن رأىٰ منهم خطأً، فدل علىٰ أنه يجوز طلب الحوائج منه. والجواب عن هذا من وجهين:

الأول: من ناحية السند: أنَّه لم يثبت حديث عرض الأعمال عليه(*). =

(*) وهو حديث رواه الديلمي صاحب كتاب «الفردوس» عن أنس، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» للحارث عن أنس، وفيه عند ابن سعد عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً بلفظ «حياتي خير لكم، تُحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم، تعرض عليّ أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم». وذكره ابن حجر الهيتمي في «فتاواه» ولم يبيّن مخرجه ولا رتبته. «كشف الخفاء» ١/ ٤٤٢ (١١٧٨).

هـذا وأمَّـا عـرضُ أعمـالِ العبـا
دِ عليـه فَهـو الحـقُّ ذُو وإمكـانِ
وأتـىٰ بـه أثَـرٌ فـإنْ صَـحَّ الحديـ
ـثُ بـه فحـقٌّ وليـس ذا نُكـرانِ
لكـنَّ هـذا ليـسَ مُخْتصّـاً بِـهِ
أيْضـاً بـآثـارٍ رُوِيـنَ حِسَـانِ
فعلـىٰ أبـي الإنسـانِ يُعْـرَضُ سَعْيُـهُ
وعلـىٰ أقـارِبِـهِ مـعَ الإخْـوانِ
إنْ كـانَ سعْيـاً صـالِحـاً فَـرِحُـوا بِـهِ
واسْتَبْشَـروا يـا لـذَّةَ الفـرْحَـانِ
أو كـان سعيـاً سيِّئـاً حَـزِنُـوا وقَـا
لُـوا ربِّ راجِعْـهُ إلـىٰ الإحسـانِ
ولذا استعاذ من الصحابة مَنْ روىٰ
هـذا الحـديـثَ عَقيبَـهُ بلسـانِ[1]

= الثاني: أنَّه لو ثبت فعرض الأعمال علىٰ الرسول ليس خاصاً به، بل ورد أن أعمال الإنسان تُعرض علىٰ والديه الميتين فيُسرَّان بالأعمال الصالحة ويستآن من الأعمال السيئة ولم يرد أن أحداً يدعو والديه أو يستغيث بهما ويسألهما كما كان في الدنيا فكذلك الرسول ﷺ.

(١) هو أبو الدرداء، عويمر بن زيد، قال: إن أعمالكم تعرض علىٰ موتاكم فيسرون ويساؤون، ثم قال: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً تخزي به عبد الله بن رواحة.

يـا ربِّ إنِّـي عـائـذٌ مِـنْ خِـزْيَـةٍ
أُخْـزَىٰ بِهـا عِنْـد القَـرِيـبِ الـدَّانـي
ذاكَ الشَّهِيدُ المُرْتضىٰ ابْنُ رَوَاحَةَ الْـ
ـمَحْبُـوُّ بِـالغُفْـرانِ والـرِّضْـوانِ
لكـنَّ هــذا ذو اختصــاصٍ والــذي
للمصطفَــىٰ مــا يعمــلُ الثقــلانِ[1]
هــذي نهــايــاتٌ لأقْــدامِ الــورَىٰ
في ذا المقامِ الضنكِ صَعْبِ الشانِ[2]

---

(١) أمَّا المصطفىٰ عليه السلام فإنَّه قد ورد أنه تُعرض عليه أعمال جميع أمته، وإذا ثبت فإنَّه لا يدل علىٰ أنَّ حياتَهُ في البَرزخ كحياته في الدنيا هذا حياةٌ خاصة.

(٢) لما ذكر شبهاتهم وأجاب عنها قال: «هذه نهاياتٌ لأقدام الورىٰ» يعني: شبهاتهم، وقد أجاب عنها واحدةً واحدة رحمه الله، وهذا الموضوع وهو موضوع الحياة في القبور موضوعٌ خطير جداً؛ لأنَّه ضلَّ به أممٌ كثيرة من القبوريين والخرافيين فلا بدَّ من معرفة هذا الأمر ومعرفة الفروق بين الحياة في البرزخ والحياة في الدنيا، والإمام ابن القيم في كتاب «الروح» يقول: «إنَّ الحياة تختلف فحياة الجنين في بطن أمه تختلف بحسب الأحوال عن حياته بعد ولادته وعلىٰ وجه الأرض، وحياته علىٰ وجه الأرض تختلف عن حياته في القبر، وحياته في الجنة أو في النار تختلف عن كل أنواع الحياة، ففي كل مكانٍ بحسبه ولا يعلم ذلك إلا الله سبحانَه وتعالىٰ، ولهذا أطالَ ابن القيم رحمه الله في هذه المسألة وأبدىٰ فيها وأعاد، فهذا المبحث مبحث عظيم وجيد يحتاج إلىٰ فهم.

والحــقُّ فيــه ليــس تَحْمِلُــه عقــو
لُ بنــي الــزمــانِ لغلظــةِ الأذهــانِ(١)

ولجهلِهــمْ بــالــرُّوحِ مــع أحكــامِهــا
وصفــاتِهــا لــلإلــفِ بــالأبــدانِ

فــارْضَ الــذي رضــيَ الإلٰــهُ لَهُــمْ بــه
أتــريــدُ تنقُــضُ حكمــةَ الــرَّحمٰــنِ(٢)

هــل فــي عُقــولِهــمُ بــأنَّ الــرُّوحَ فــي
أعلَــىٰ الــرفيــقِ مُقيمــةٌ بِجِنــانِ(٣)

وتُــردُّ أوقــاتَ الســلامِ عليــه مِــنْ
أتبــاعِــهِ فــي ســائــرِ الأزمــانِ

وكــذاكَ إن زُرتَ القُبــورَ مُسلِّمــاً
رُدَّتْ لهُــمْ أرواحُهــم لــلآنِ

---

(١) يقول إنَّ أمور الموت والقبور والأرواح لا تتحملُها عقول الناس لأنَّها من الأمور الغيبية التي لا يعلمُها إلا الله.

(٢) فما عليكَ إلا أن تسلِّم لما جاء عن الله وعن رسوله ولا تتعدَّىٰ ذلك، وما جاء عن الله وعن رسوله التعلُّق بالأموات ولا بالأنبياء بعد موتهم ولا طلب شيء منهم وهم أموات.

(٣) روح في أعلىٰ عليِّين وهي: روح الشهيد، وروح المؤمن في الجنَّة، وهذا نبينا ﷺ روحه في أعلىٰ عليين مع الرفيق الأعلىٰ، ثم إذا جاء شخص وسلَّم عليه في قبره تردُّ في الحال وهي في الملأ الأعلىٰ، كيف هذا؟! هذا من شأن الله ولا تحيطُ به العقول.

فهـم يَـرُدُّون السَّـلامَ عليـكَ لـ
ـكِنْ لستَ تَسْمَعُهُ بذي الأُذنانِ(١)
هـذا وأجـوافُ الطيـورِ الخُضْـرِ مَسْـ
ـكَنُهـا لـدى الجَنّـاتِ والـرِّضْـوانِ(٢)
مَـنْ ليْـسَ يَحْمِـلُ عَقْلُـهُ هـذا فـلا
تَظْلِمْـهُ واعْـذُرْهُ علـىٰ النُّكْـرانِ
للـرُّوحِ شـأْنٌ غيْـرُ ذي الأجسـام لا
تَهْمِلَـهُ شـأْنُ الـرُّوحِ أعْجَـبُ شـانِ
وهـو الـذي حـارَ الـورَىٰ فيـه فلَـمْ
يَعْـرِفْـهُ غيـرُ الفَـرْدِ فـي الأزمـانِ(٣)

---

(١) هذا دليلٌ علىٰ أنَّهم يردون السلام ردّاً خاصاً؛ لأنَّه لو كان ردّاً مثل ما في الدنيا لسمعتَ ذلك، لكن الميت يردُّ عليك وأنت لا تسمعُه، لأنَّه في عالم وأنت في عالمٍ آخر، وعالم الآخرة يختلف عن عالم الدنيا.

(٢) أرواح الشُهداء في أجواف طير تأوي إلىٰ قناديل تحت العرش ومع ذلك لها اتصال بهم في قبورهم وهي في أعلىٰ عليين تذهب وتأتي في لحظةٍ واحدة وفي وقتٍ متقارب، وهذا من قُدرة الله سبحانَه وتعالىٰ.

(٣) أمر الأرواح لا يعرفُهُ إلا الخواص من الراسخين في العلم الذين تتبعوا الأدلة وفقهوا معانيها، هؤلاء هم الذين يعرفون هذه المسألة، أمّا عامة الناس فإنَّهم لا يعرفُون هذه الأمور، ولذلك ضلُّوا فيها وأضلُّوا، ولذلك لا ينبغي تحديث الناس بمثل هذه الأمور التي لا تُدركها عقولهم كما قال=

هــذا وأمــرٌ فــوقَ ذا لــو قُلْتُــهُ
بــادَرْتَ بــالإنكــارِ والعُــدوانِ[١]

فَلِــذاكَ أمْسكْــتُ العَنَــانَ ولــو أرىٰ
ذاكَ الــرَّفيــقَ جــرَيْــتَ فــي الميْــدَانِ

هــذا وقــولــي إنَّهــا مخلــوقَــةٌ
وحُــدوثُهــا المعلــومُ بــالبُــرهــانِ[٢]

= علي رضي الله عنه: «حدِّثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله»(*).

فيجوز كتمان العلم عمَّن لا يتحملُه، لأنّه إمّا أن يُكذِّب به، وإمّا أن يفهمه فهماً غير صحيح، فلا تُحدِّث بهذه الأمور إلا من عنده تقبُّل وفهم وفقه.

(١) الأرواح لا شك أنَّها مخلوقة، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الرعد: ١٦] فالأرواح مخلوقة وليست قديمة كما يقولُه الفلاسفة، بل هي مخلوقة مُحدَثة بعد أن لم تكن، ولكنها لا تفنىٰ بعد ذلك بل هي تُفارق الأجساد بالموت، لكنها لا تفنىٰ بل هي باقية تُنعَّم أو تُعذَّب، إلىٰ أن يُعيدها الله إلىٰ أجسادها عند النفخ في الصور، فترجع كلُّ روح إلىٰ جسدها، ثم يصير إمّا إلىٰ الجنة وإمّا إلىٰ النار وفيما بين ذلك لها اتصال بالبدن في البرزخ وفي القبر، ولها انفصال ولها صعود ولها نزول.

(٢) من المتفلسفة من يقول: إنَّ الروح شيءٌ سِرِّيّ ليست بداخل البدن ولا خارجه كما قالوا في حقِّ الله، ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا يمين =

(*) سلف تخريجه ص٤٢١ .

هـذا وقـولـي إنَّهـا ليسَـتْ كمـا
قـد قـالَ أهـلُ الإفـكِ والبُهتـانِ
لا داخـلٌ فينـا ولا هـي خـارجٌ
عنَّـا كمـا قـالُـوهُ فـي الـدَّيّـانِ[١]

= ولا شمال ولا فوق ولا تحت، فهذا من تخبطاتهم ومن باطلهم فهم قالوا في الروح كما قالوا في حقِّ الله تعالىٰ، وهذا يلزم منه: أنَّ الروح غير موجودة كما يلزم من قولهم: إنَّ الله لا داخل العالم ولا خارجه أنَّه غير موجود ـ تعالىٰ الله عن ذلك ـ، هذا منتهىٰ الضلال، وسببه الكلام بغير علم وخصوصاً في أمور الغيب، فإنَّ الواجب علىٰ المؤمن في أمور الغيب أن يقتصر علىٰ ما صحَّ به الدليل ويتوقف عنده ولا يزيد عليه ولا ينقص، وإذا لم يفهمه فإنه يتوقف ويُسلِّم.

(١) في هذا الفصل والذي بعده يُركِّز الناظم رحمه الله علىٰ شُبهةٍ من أعظم شبهات المعطلة للأسماء والصفات، وهي شبهة التركيب؛ لأنَّهم يوردون شبهاً علىٰ إثبات الصفات لله عزَّ وجل منها أنَّهم يقولون: إنَّ إثباتها يقتضي التشبيه لأنها موجودة في المخلوقين، وقد تكررت هذه الشبهةُ وتبين بُطلانُها، وأنَّه لا يلزم من إثبات الصفات لله تشبيهُه بالمخلوقين، وأنَّ صفاته خاصة به سبحانه، وصفات المخلوقين خاصةٌ بهم، ومعلومٌ الفرق بين الخالق والمخلوق، لا ينكر هذا إلا مُكابر أو مجنون لا يعقلُ ما يقول. ومن شبههم: أنَّ إثبات الصفات يقتضي التجسيم، لأنَّ إثبات الصفات لا يقوم إلا بجسم والأجسام متشابهة، ولذلك يُسمُّون مثبتة الصفات بالمُجَسِّمة، ويخصُّون الإمام أحمد والحنابلة بهذا الوصف، وهذه الشبهة باطلة في حق الله. ومن شبههم: أنّ إثبات الصفات يقتضي =

. . . .

= تعدد القدماء، فإذا أُثبت لله ذات وأُثبت له صفات فتكون الصفات شريكةً له في القدم فيلزم من إثبات الصفات تعدُّد القُدماء، وهذه شبهةٌ باطلة، لأنَّ الصفات ليست شيئاً مستقلاً عن الموصوف بل هي تابعة للموصوف فالله جلَّ وعلا بصفاته قديم لا بداية له، وما سواهُ فهو محدث. وإذا كانت ذاتَ الله قديمة فكذلك صفاته؛ لأنَّه لا ينفك عن صفاته، فلا يتصور في الخارج وجود ذات بدون صفات، وإنما هذا قد يكون في الذهن فقط لا غير.

ومن أكبر شبهاتهم هذه الشبهة وهي: أنَّ إثبات الصفات يقضي التركيب، يعني: يكون الله مُركَّباً من ذات وصفات، والتركيب يقتضي الحدوث، وهذه شبهة لا يقل بطلانها عمّا قبلها فهي شبهة محدثة، بل إنَّ التركيب ينقسم إلىٰ ستة أقسام، وسيسوقها المصنف رحمه الله تعالىٰ وهي:

١ ـ تركيب مزج وهو تركيب الشيء من أعضائه.

٢ ـ تركيب مجاورة كتركيب الباب في الجدار.

٣ ـ تركيب من الجواهر الفردة وهي الأجزاء التي لا تتجزأ.

٤ ـ تركيب من الهيولى والصورة عند الفلاسفة.

٥ ـ تركيب من الذات والصفات وهذا هو المقصود عندهم.

٦ ـ تركيب من الذات والوجود.

كل هذه التراكيب مصطلحات محدثة لا يُحكمُ بها علىٰ الكتاب والسنة، وكل هذه الأنواع منتفية عن إثبات الصفات ولله الحمد، ولا تُسمّىٰ الذات والصفات مركَّباً لأن هذا اصطلاح حادث، وشبَّه الناظم هذه الشبهة بالمنجنيق الذي ينصبونه لهدم عقيدة أهل السنة والجماعة، بل =

والله لا الـرّحمـٰن أثبتّم ولا
أرْواحَكُمْ يا مُدَّعِي العِرْفانِ
عَطَّلْتُمُ الأبدانَ مِنْ أرْواحِها
والعَرشَ عطَّلْتُمْ مِنَ الرَّحمٰنِ

* * *

= لهدم عقيدة الكتاب والسنة. والمنجنيق: شيءٌ يستعمل في هدم الحصون، وهو آلةٌ ضخمة، ويجعلون فيها صخرة كبيرة يقذفونها ويهدُّون بها الحصون، مثل المدفع تقريباً إلا أنَّ المدفع آلة نارية، وهؤلاء نصبوا هذا المنجنيق ليهدموا به عقيدة الحق فيقولون: إثبات الصفات يقتضي التركيب.

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهلُ التعطيل علىٰ معاقل الإيمان وحُصُونه جيلاً بعد جيل

لا يُفْـزِعَنَّـكَ قَعـاقِـعٌ وفَـراقِـعٌ
وجَعـاجِـعْ عَـرِيَـتْ عـن البـرهـانِ[١]

مـا عنـدَهُـمْ شـيءٌ يَهـولُـكُ غيـرُ ذا
كَ المَنجَنيقِ مُقَطِّعٌ الأفخاذِ والأركانِ

وهـو الـذي يَـدْعـونَـهُ التـركيـبَ مَنْ
ـصُـوبـاً علىٰ الإثبـاتِ منـذُ زمـانِ[٢]

أرأيـتَ هـذا المنجنيـقَ فـإنَّهـم
نَصبـوهُ تحـتَ معـاقـلِ الإيمـانِ

---

(١) كل هذه أصوات للأشياء حينما تُحرَّك، فرقعة وقعقة السلاح وجعجعة الرحىٰ، فهم ما عندهم إلا هذه الأصوات الفارغة، جعجعة وفرقعة وقعقة، يريدون بها إرهاب أهل الحق، وأهل الحق لا يُرهبهم هذا الشيء لأنّه باطل ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

(٢) عندهم أن إثبات الصفات يقتضي «التركيب» والتركيب يقتضي الحدوث والله جلَّ وعلا منزَّهٌ عن الحدوث، هذه قواعد منطقية مكونة من مقدمات ونتائج وهي قواعد ليس عليها دليل من الكتاب والسنة.

بلغَتْ حجارتُهُ الحُصونَ فهدَّتَ الشُّـ
شُرُفاتِ واستولَتْ علىٰ الجُدرانِ[١]

للهِ كـمْ حِصْـنٍ علَيْـهِ استَـوْلَـتِ الْـ
ـكُفَّـارُ مِـنْ ذا المَنْجَنِيـقِ الجَـانـي

واللهِ مـا نَصَبُـوهُ حتَّـىٰ عبَّـرُوا
قصْداً علىٰ الحِصْنِ العظيم الشـانِ

ومـن البليَّـةِ أنَّ قـومـاً بيـن أهْـ
ـلِ الحِصْنِ واطُوهُمْ علىٰ العُدوانِ[٢]

ورَمَـوْا بـهِ مَعَهُـمْ وكـانَ مُصَـابُ أهْـ
ـلِ الحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الكُفْرَانِ

فتـركَّبَـتْ مِـنْ كُفْـرِهِـمْ وَوِفَـاقِ مَـنْ
فـي الحِصْـنِ أنـواعٌ مِـنَ الطُّغْيَـانِ

وجَـرَتْ علىٰ الإسلامِ أعظَـمُ مِحْنَـةٍ
مِـن ذَيْـنِ تقـديـراً مـن الـرحمٰـنِ[٣]

---

(١) أصابت الحجارة الجُدران والشُّرفات فقط، أمّا الحقّ فلم يتأثر بها.

(٢) إذا جاءت الفتن تأثَّر بها من تأثَّر ولو كان داخل حصون المسلمين ولا يثبت إلا أهلُ الإيمان.

(٣) لو شاء الله ما حصل هذا ولكن لحكمته سبحانه أجراه ليتميز أهلُ الصدق من أهل الكذب، وإلا لو كان الحق دائماً منصوراً ما تبين المنافق من المؤمن الصادق.

والله لـولا أن تـداركَ دينَـه الـرْ
رَحْمٰـنُ كـان كسـائـرِ الأديـانِ(١)

لكـنْ أقـامَ لـه الإلٰـهُ بفضلِـهِ
يَـزَكـاً مـن الأنصـارِ والأعـوانِ(٢)

فرَمَوْا علىٰ ذا المَنْجَنِيقِ صَوَاعِقاً
وحجـارةً هـدَّتْـهُ لـلأركـانِ(٣)

فـاسـألهُمُ مـاذا الـذي يعنـونَ بـالتْـ
ـتَركيـبِ فـالتركيـبُ ستٌّ معـانِ(٤)

إحـدىٰ معـانيـه هـو التـركيـبُ من
مُتبـايـنٍ كَتَـرَكُّـبِ الحيـوانِ(٥)

---

(١) الأديان السابقة دخلها التبديل والتحريف والتغيير، فدين اليهود والنصارىٰ دخلتهما الوثنية والتثليث، أمّا هذا الدين الإسلامي فإنَّ الله تكفَّل بحفظه فيبقىٰ خالياً من التغيير والتبديل إلىٰ أن تقوم الساعة.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] لكن أهله قد يُمتحنون، أمّا ذاته فإنَّه محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالىٰ.

(٢) حمىٰ الله سبحانه وتعالىٰ دينه بجنود الحق الذين يدافعون عنه.

(٣) أرسلت الحُجج الإسلامية علىٰ هذا المنجنيق كأنها صواعق، وهي حجج من الكتاب والسنة هدت هذه الشبهات كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

(٤) التركيب أمرٌ مُجمل له معانٍ كثيرة فأيّها يعنون.

(٥) إحدىٰ معانيه تركيب المزج وهو المُركَّب من الأعضاء، كاليدين والرجلين =

مِــن هــذِهِ الأعضــا كــذا أعضــاؤه
قــدْ رُكِّبَــتْ مِــن أربــعِ الأركــانِ
أفــلازِمٌ ذا للصفــاتِ لــربِّنــا
وَعُلُــوُّهُ مِــن فــوقِ كُــلِّ مكــانِ[1]
ولعــلَ جــاهِلَكُــمْ يقــولُ مُبــاهِتــاً
ذا لازِمُ الإثبــاتِ بــالبُــرهَــانِ
فــالبَهْــتُ عِنْــدَكُــمُ رخِيــصٌ سِعْـرُهُ
حَثْــواً بِــلا كَيْــلٍ ولا مِيــزَانِ
هــذا وثــانيهــا فتــركيــبُ الجــوا
رِ وذاك بيــنَ اثنيــنِ يَفْتَــرِقــانِ[2]
كــالجسـرِ والبــابِ الــذي تــركيبُــهُ
بجــوارِه لِمَحَلَّــةٍ مــن بــانِ[3]
والأوَّلُ المَــدْعُــوُّ تَــرْكِيــبُ امْتِــزَا
جٍ واخْتِــلاطٍ وهــو ذُو تِبْيَــانِ

= والأعضاء، وهذا يُسمَّىٰ «تركيب الشيء من أعضائه» وهذا لا يُطلق علىٰ الله سبحانَه وتعالىٰ.

(١) هذا التركيب لا يصلح في حق الله تعالىٰ.

(٢) تركيب الجوار مثل تركيب الباب في الجدار.

(٣) أي: تركيب الجوار مثل تركيب الجسر الذي يكون علىٰ النهر وهو مُكوَّن من سقف وأعمدة ينتصب عليها، هذا تركيب جوار.

أفــلازمٌ ذا مِــن ثُبــوتِ صفــاتِــهِ
أيضــاً تعــالــىٰ اللهُ ذُو السلطــانِ(١)

والثــالــثُ التــركيــبُ مِـن مُتمــاثــلٍ
يُـدْعَـىٰ الجـواهِـرَ فَـرْدَةَ الأكـوانِ(٢)

والـرابعُ الجسـمُ المُـرَكَّـبُ مِنْ هَيُو
لاهُ وصــورَتِــهُ لِــذي اليــونــانِ(٣)

والجسـمُ فهـو مـركَّـبٌ مـن ذَيـنِ عنـ
ـدَ الفيلســوفِ وذاكَ ذو بُطــلانِ(٤)

ومـن الجـواهِـرِ عنـدَ أربـابِ الكـلا
مِ وذاكَ أيضــاً واضــحُ البُطــلانِ(٥)

فــالمُثبتــونَ الجــوهَــرَ الفـرْدَ الـذي
زَعمــوهُ أصــلَ الـدِّيـنِ والإيمــانِ(٦)

---

(١) أيلزم من إثبات الصفات لله أنَّه مُركَّب تركيب جوار؟

(٢) الثالث من أنواع التركيب عند المتكلمين: المُركَّب من الجوهر الفردة، والجواهر الفردة هي الأجزاء التي لا تتجزأ.

(٣) الرابع من أنواع التركيب عند الفلاسفة وهو: المُركَّب من الهيولىٰ والصورة، والهيولىٰ، يعني حقيقة الشيء، وصورتُه هي مظهرُه الذي يراه الناس، وهذا لا حقيقة له ولا وجود له وإنَّما هو اصطلاح فارغ.

(٤) الفيلسوف مفرد جمعه فلاسفة، وهو محبّ الحكمة.

(٥) أمّا عند علماء الكلام فالمُركَّب هو المُركَّب من الجواهر الفردة.

(٦) الجوهر الفرد لا وجود له فما ترتب عليه فهو باطل.

قـالـوا بـأنَّ الجسـمَ منـهُ مُـرَكَّـبٌ
ولهُـمْ خِـلافٌ وهـو ذو ألـوانِ[١]
هل يمكنُ التركيبُ من جُزْءَيْنِ أوْ
مِـن أربـعٍ أو سِتَّـةٍ وثَمـانِ
أو سِتَّ عَشْرَةَ قد حكاهُ الأشعريْ
يُ لـذي مقـالاتٍ علـىٰ التِّبيـانِ[٢]
أفـلازمٌ ذا مـن ثُبـوتِ صفـاتِـهِ
وعُلُـوِّهُ سُبحـانَ ذي السُّبحـانِ[٣]
والحـقُّ أن الجسـمَ ليـس مـركَّبـاً
مِـن ذا ولا هـذا هُمـا عَـدَمـانِ[٤]
والجـوهَـرُ الفَـرْدُ الـذي قـد أثبتُـو
هُ فـي الحقيقـةِ ليـس ذا إمكـانِ[٥]

---

(١) هم مختلفون فيما بينهم في هذا التركيب، فلو كان حقاً ما اختلفوا فيه، وإنّما هو مجرد اصطلاح.

(٢) أبو الحسن الأشعري حكىٰ هذه الأقوال في كتابه «مقالات الإسلاميين» وهو مشهور ومطبوع.

(٣) هل يلزم من هذا التركيب عندكم نفي علو الله علىٰ عرشه؟! وسائر صفاته، لا يلزم من هذا المصطلح الحادث أن نحكم به علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

(٤) أي: ليس مركباً من الهيولىٰ والصورة ولا من الجواهر الفردة، كلاهُما عدمان، فليس هناك تركيب من جواهر فردة ولا هيولىٰ وصورة، كل هذا تخيُّل من عندهم.

(٥) الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ، هذا مستحيل وليس بموجود.

لـو كـان ذلـك ثـابتـاً لـزِمَ المُحـا
لُ لـواضـحِ البُطـلانِ والبُهتـانِ
مـن أوجـهٍ شتَّـىٰ ويَعْسُـرُ نَظْمُهـا
جِـداً لأجـل صعـوبَـةِ الأوزانِ[١]
أتكونُ خَرْدَلَةٌ تساوي الطَّوْدَ في الْـ
أجـزاءِ فـي شـيءٍ مـن الأذهـانِ[٢]
إذ كـان كـلٌّ منهمـا أجـزاؤهُ
لا تَنتهـي بـالعَـدِّ والحُسبـانِ
وإذا وضعـتَ الجـوهـريـنِ وثـالثـاً
في الوَسْطِ هو الحاجِزُ الوسطاني
فـلأجْلِـهِ افتـرقـا فـلا يتـلاقيـا
حتَّـىٰ يَـزولَ إذاً فيلتقيـانِ
مـا مَسَّـهُ إحـداهمـا منـه هـو الْـ
ـمَمْسُـوسُ للثـانـي بـلا فُـرقـانِ[٣]

---

(١) راجعوا ذلك في كتاب «درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وفي كتابه «الرد علىٰ الرازي» في «تأسيس التقديس».
(٢) الجواهر أيضاً ليست متماثلة ولا متشابهة، فليست الخردلة مثل الجبل العظيم، هذا في المخلوقات، وليست الذرة مثل الفيل فبينهما تفاوت، فإذا كان هذا في المخلوقات بعضها مع بعض فكيف بالخالق سبحانه وتعالىٰ مع خلقه؟
(٣) هذا من تتمة كلامهم في الجواهر الفردة التي يتركب منها الجسم.

هـــذا مُحَـــالٌ أوْ تقُـــولُ بِغَيْـــرِهِ
فهـــوَ انْقِسَـــامٌ واضِـــحُ التِّبْيَـــانِ

والخامسُ التركيبُ مِن ذاتٍ مع الْـ
أوصـافِ هـذا بـاصطـلاحٍ ثـانِ[١]

سَمَّـــوْهُ تـــركيبـاً وذلـــك وضعُهُـــمْ
مـــا ذاكَ فـــي عُـــرْفٍ ولا قُـــرآنِ

لسنـــا نُقِـــرُّ بلفظـــةٍ مـــوضـــوعـــةٍ
فـي الاصطـلاح لشيعـةِ اليـونـانِ[٢]

---

(١) هذا هو التركيب الذي حملَهمُ علىٰ نفي الصفات وهو التركيب بين الذات والصفات، قالوا: لو أثبتنا الصفات للزم التركيب بين الذات والصفات، لأنَّ الصفات شيء والذات شيءٌ آخر عندهم فيلزم أنَّ الله مركَّب من شيئين، والجواب عن هذا أن نقول: لا يلزم ما تقولون، لأنَّ الصفات ليست شيئاً مستقلاً عن الذات، فالله بصفاته سبحانَهُ هو الرب وهو الخالق والمدبر لهذا الكون فلا يُتصوَّرُ افتراق الصفات عنه سبحانَهُ وتعالىٰ وأن تكون شيئاً آخر يتركب مع الذات.

فالصفات ليست شيئاً زائداً عن الذات إلا في الذهن فقط ولا توجد زائدة عن الذات في الخارج، وهذا التركيب الذي زعمتموه ليس موجوداً في الكتاب والسنة.

(٢) نحن لا نخضع لمصطلحاتهم بل نخضع للكتاب والسنة، فاللهُ وصف نفسَه بأسماء، فنحنُ نثبتُ ذلك علىٰ ما يليق بجلاله سبحانه وتعالىٰ.

أَوْ مَــنْ تَلَقَّــىٰ عنهُــمُ مِــنْ فِــرْقَــةٍ
جَهْمِيَّــةٍ ليسَــتْ بــذي عِــرفــانِ[١]

مِــنْ وَصْفِــهِ سُبحــانَــهُ بصفــاتِــهِ الـ
ـعُليــا ويَتْــرُكُ مُقتضَــىٰ القُــرآنِ[٢]

والعقــلُ والفِطــراتُ أيضــاً كُلُّهَــا
قَبْــلَ الفســادِ ومُقتضَــىٰ البُــرهــانِ[٣]

سَمُّوهُ ما شِئْتُم فليسَ الشأنُ في الـ
أسمــاءِ بــالألقــابِ ذاتِ الشــانِ[٤]

---

(١) هذه التُرهات إمّا إنّها عند اليونانيين وعند من تلقَّاها من اليونانيين من فرق الضلال المنتسبين إلىٰ الإسلام كالجهمية أتباع الجهم بن صفوان الترمذي الخبيث الذي يقول بخلق القرآن وبالجبر والإرجاء وبنفي الصفات، ومذهبه مذهبٌ باطل يجمع أخبث الأقوال وهو في الحقيقة دسيسة يهودية.

(٢) فلا نأخذ مصطلحاتكم ونترك القرآن؟ حاشا وكلاّ، هذا لا يصدر عن المؤمنين.

(٣) يعني لا نترك الكتاب والسنة والفطرة التي فطرَ اللهُ النَّاس عليها ونأخذ بهذه المصطلحات المخالفة للكتاب والسنة والفطرة، هذا لا يجوز من مؤمن، وهذه القواعد قواعد المنطق وعلم الكلام هي التي أفسدت عقائد المسلمين، وقد صاغوها بكتب سمَّوها «علم التوحيد» وتُدرَّس في العالم الإسلامي، وليس فيها من الكتاب والسنة شيء، وإنما هي جدليات لا تتوصَّل منها إلىٰ شيء، ويُدرسونها لأولاد المسلمين.

(٤) سَمَّوْا وصف الله بأسمائه وصفاته تركيباً وتشبيهاً وتجسيماً فالألقاب والأسماء لا عبرة بها، العبرةُ بالحقائق فالأسماء لا تغيِّر الحقائق.

هل مِن دليلٍ يقتضي إبطالَ ذا التْـ
تَـركيـبِ مِـن عَقْـلٍ ومِـنْ فُـرقـانِ[١]
واللهِ لـو نُشِـرَتْ شيـوخُكُـمُ لمـا
قَـدَروا عليـه لـو أتـىٰ الثقـلانِ[٢]
والسـادسُ التـركيـبُ مـن مـاهيَّـةٍ
وَوُجُـودُهَـا مـا هـا هُنـا شيئـانِ[٣]
إلاَّ إذا اختلَـفَ اعتبـارُهُمـا فـذا
في الذِّهنِ والثاني ففي الأعيانِ[٤]
فهُنـاكَ يَعْقِـلُ كـوْنُ ذا غيـراً لِـذا
فعلـىٰ اعْتِبـارِهِمـا هُمَـا غيـرانِ
أمَّـا إذا اتحـدا اعتبـاراً كـان نفْـ
ـسُ وجُـودِهـا هُـو ذاتُهـا لا ثـانِ[٥]

---

(١) هل علىٰ أقوالكم هذه دليل يُقنع المنصف؟

(٢) والله لو خرج شيوخكم ومشايخكم الذين قَعَّدوا لكم هذه القواعد وطولبوا بإقامة الدليل علىٰ هذه الأقوال لما قدروا علىٰ ذلك، وإنّما هو شيءٌ توارثتموه جيلاً عن جيل وأغلقتم آذانكم عن سماع الحق.

(٣) وهذا أغرب أنواع التركيب حيث يقولون: الشيء مُركَّب، من شيئين الماهية والوجود، فالموجود شيئان، ذات ووجود، وهذا تخيُّل منهم فليس الوجود شيء والذات شيء.

(٤) تصوُّر الفرق بين الذات والوجود إنَّما هو في الذهن، أمّا في الخارج فليس له تصوُّر، فليس هناك ذات مستقلة ولا وجود مستقل فلا فرق بينهما، في الخارج وإنما هو تخيُّل في الذهن فلا يُبنىٰ عليه عقيدة.

(٥) في الخارج الوجود والذات شيءٌ واحد لا ينفك هذا عن هذا.

مـن قـال شيئـاً غيـرَ ذا كـان الـذي
قَـدْ قـالَـهُ ضـربـاً مـن الفَعـلانِ[١]

هـذا وكـم خَبْطٍ هُنـا قـد زالَ بـالتْـ
تَفْصيلِ وهو الأصلُ في العِرفانِ[٢]

وابـنُ الخطيـبِ وحِـزبُـهُ مِـنْ بَعـدِهِ
لـم يَهتـدُوا لمـواقـعِ الفُـرقَـانِ[٣]

بـلْ خَبَّطُـوا نقـلاً وبحْثـاً أَوْجَبـا
شكّـاً لِكُـلِّ مُلـدِّدٍ حَيْـرانِ

هـلْ ذاتُ ربِّ العـالَمِيـنَ وُجُـودُهُ
أمْ غَيْـرُهُ فَهُمـا إذاً شَيْئـانِ

فيكـونُ تـركِيبـاً مُحَـالاً ذاكَ إنْ
قُلْنَـا بِـهِ فيَصِيـرُ ذا إمْكـانِ

وإذا نَفَيْنَـا ذاكَ صـارَ وجُـودُهُ
كـالمُطْلَـقِ المـوجُـودِ فـي الأذهـانِ

---

(١) يعني ضرباً من الوهم.

(٢) لمّا ذكر الناظم رحمهُ الله أنواع التركيب الستة فنّدها وبيّن بُطلانَها، حتىٰ لا تروج علىٰ النّاس.

(٣) من أشدهم حيرة: ابن الخطيب، الذي هو: محمد بن عمر الرازي، وهو متكلِّم جدلي ليس عنده علم بالسنة، وكتابه التفسير فيه كلُّ شيءٍ فيه إلا التفسير، فهو جدل وتشكيكات، ومن طريقته أنّه يورد الشُّبهات ولا يُجيب عليها ويترك القارىء في حيرة، حتىٰ إنّه تحيَّر في آخر حياته، وتاب كما نقل عنه، ولعلَّ هذا قد صحَّ عنه.

وحَكَـوا أقَـاويـلاً ثَـلاثـاً ذَيْنِـكَ الْـ
ـقَـوْلَيْـنِ إطْـلاقـاً بِـلا فُـرْقَـانِ
الثَّـالـثُ التَّفْـرِيـقُ بيْـنَ الـواجِـبِ الْـ
أعلَـىٰ وبيْـنَ وجُـودِ ذي الإمكَـانِ
وَسَطَـوْا عليْهَـا كُلِّهَـا بـالنَّقْـضِ والْـ
إبْطَـالِ والتَّشْكيـكِ لـلإنسَـانِ
حتَـىٰ أتَـىٰ مـن أرضِ آمَـدَ آخـراً
ثَـورٌ كبيـرٌ بَـل حقيـرُ الشَـانِ
قـال الصـوابُ الـوقـفُ فـي ذا كُلِّـه
والشَـكُّ فيـه ظَـاهِـرُ التِّبيَـانِ
هَـذا قُصَـارَىٰ بحثِـه وعُلُـومِـهِ
أنْ شَـكَّ فَـي اللهِ العظيـمِ الشَـانِ[1]

---

(١) جاء آخرهم: الآمدي وهو سيف الدين، والآمدي نسبة إلىٰ آمد كان حنبلياً حفظ بعض كتب مذهب الإمام أحمد ثمّ تحوّل لمذهب الشافعي، وتخصُصُه في أصول الفقه، وهو متبحر في علوم المنطق والكلام، موقفُهُ في هذه المسألة: هل وجود الله عين ذاته أو غيره؟ الحيرة والتوقف توقَّف في ربه نسألُ اللهَ العافية هذا ما ينتهي إليه الجدل والمنطق.

ووصفُه ابن القيم في قوله: حتىٰ أتىٰ من أرض آمد آخراً بأنّه «ثور» لأنَّه تمادىٰ في نصرة هذه الأباطيل وأفنىٰ عمره فيها، والثور هو الذي لا يدري وليس له همٌّ إلا الأكل والشرب؟ فالآمدي مثلُه لأنَّه تحيَّر في أمره، رغم ما له من باع في أصول الفقه، لكن الذي لا يتبع الكتاب والسنة هذه نهايته وإن كان متبحراً في غيرهما والذكاء لا ينفعه.

فصل

في أحكام هذه التراكيب الستة[١]

فــالأَوَّلانِ حقيقــةُ التــركيــبِ لا
تعـدُوهُمـا فـي اللفـظ والأذهـانِ[٢]

وكـــذلـــك الأعيـــانُ أيضـــاً إنَّمـــا
التـركيــبُ فيهـا ذانِـكَ النَّـوعـانِ[٣]

---

(١) تقدَّم أن ذكر الشيخ رحمه الله أن نفاة الصفات يقولون: إنَّ إثباتها يقتضي التركيب بين الصفة والموصوف، وبيَّن أنّ أنواع التركيب ستة، كلُّ واحدٍ منها لا ينطبق علىٰ إثبات الصفات، وهي تراكيب اصطلاحية من عندهم اصطلحوا عليها، تركيب المزج وتركيب الجوار، والجسم المُركَّب من الجواهر الفردة، وتركيب الذات والصفات، وتركيب الهيولىٰ والصورة، وتركيب الذات والوجود، كل هذه اصطلاحات من عندهم لا يجوز أن تستعمل فيما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسله.

(٢) يقول: إنَّ التركيب لا يخرج عن الاثنين الأولين، إمّا تركيب مزج كتركُّب الجسم من أعضائه، وإمّا تركيب جوار كتركيب الباب والجدار، فالباب شيء والجدار شيءٌ آخر متجاوران، هذا هو التركيب في اللغة، وأمّا بقية التراكيب فهي غير صحيحة ولا وجود لها، ولا تلزم من أثبت الأسماء والصفات.

(٣) إمّا جوار وإمّا امتزاج.

والأوسطانِ هُما اللَّذانِ تَنَازَعَا الْـ
ـعُقلاءَ في تـرْكِيـبِ ذي الجُثْمَـانِ
ولهُـمْ أقـاوِيـلٌ ثـلاثٌ قـدْ حكيْـ
ـنَـاهَـا وبيَّنَّـا أتـمَّ بيـانِ
والآخـرانِ هُمـا اللَّـذانِ عليْهِمـا
دارَتْ رحىٰ الحَـرْبِ التي تَـريَـانِ
أنتُـمْ جعلتُـمْ وصفَـهُ سُبحـانَـهُ
بعُلُـوِّهِ مـن فـوقِ ذي الأكـوانِ
وصفـاتِـهِ العُليـا التـي ثبتَـتْ لَـهُ
بـالنَّقْـلِ والمَعقـولِ ذي البُـرهـانِ
مـن جملـةِ التـركيـبِ ثـمَّ نفيتُـمُ
مضمـونَهـا مِـن غيـرِ مـا بُـرهـانِ[1]
فجعلتُـمُ لمـرقـاةَ للتعطيـل هـذا
الإصطـلاحَ وذا مِـن العُـدوانِ[2]
لكـن إذا قيـلَ اصطـلاحٌ حـادثٌ
لا حَجْـرَ فـي هـذا علـىٰ إنسـانِ

---

(١) كون الموصوف والصفة مُركبان بعضهما من بعض، هذا اصطلاحٌ منكم لم يرد في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ولا تُردُّ به النصوص.

(٢) جعلوا هذا الاصطلاح مصعداً يصعدون به لضرب نصوص الكتاب والسنة وهو باطل.

فنقــول نفيُكُــمُ بهــذا الاصطــلا
حِ صِفَـاتِـهِ هُـو أبطـلُ البُطـلانِ[1]
وكـــذاكَ نفيُكُـــمُ بـــهِ لعُلُــوِّهِ
فـوقَ السمـاءِ وفـوقَ كُـلِّ مكـانِ[2]
وكــذاكَ نفيُكُــمُ بـهِ لكــلامِــهِ
بــالــوَحْــيِ كــالتَّــوْراةِ والقُــرآنِ
وكــذاكَ نفيُكُــمُ لــرُؤْيَتِنــا لــهُ
يــومَ المعَــادِ كمــا يُـرىٰ القمـرَانِ
وكـذاكَ نفيُكُـمُ لسـائـرِ مـا أتـىٰ
فـي النقـلِ مـن وصـفٍ بغيـرِ مَعـانِ
كـالـوجـهِ واليـدِ والأصـابـعِ والـذي
أبــداً يَسُــوؤكُــمُ بــلا كِتمــانِ[3]

---

(١) الاصطلاح الحادث لا يكون دليلاً علىٰ نفي الصفات التي أثبتها الله لنفسه.

(٢) يعني ونفيتم بهذا الاصطلاح الباطل صفة العلو عن الله.

(٣) ونفيتم من أجل هذا الاصطلاح الباطل جميع الصفات الذاتية والفعلية عن الله، وعطلتموه من أسمائه وصفاته حذراً من التشبيه بزعمكم، ولا يلزم من هذا أن تكون صفات المخلوقين مشابهة لصفات الله سبحانه وتعالىٰ، إنَّما هذا عارِضٌ عرض لعقولكم لنقص علمكم بالله تعالىٰ، وإلا فنحنُ نقول: هناك فارق بين صفات الرب وبين صفات المخلوقين وإن اشتبهت في الاسم والمعنىٰ فإنَّها لا تشتبه بالحقيقة.

وبِـوُدِّكُـمْ لَـوْ لَـمْ يَقُلْـهُ رَبُّنَـا
ورسـولُـهُ المبعـوثُ بـالبُـرهـانِ[١]

وبِـوُدِّكُـمْ واللهِ لَمَّـا قـالَهـا
أنْ ليس يـدخُـلُ مَسْمَـعَ الإنسـانِ[٢]

قامَ الدَّليلُ علىٰ استنادِ الكونِ أجْـ
ـمَعِـهِ إلـىٰ خـلَّاقِـهِ الـرَّحمٰـنِ

مـا قـامَ قـطُّ علـىٰ انتِفـاءِ صِفـاتِـهِ
وعُلُـوِّهِ مِـنْ فَـوْقِ ذي الأكْـوانِ

هـو واحـدٌ فـي وصْفِـهِ وعُلُـوِّهِ
مـا للـورىٰ ربٌّ سِـواهُ ثَـانِ

---

(١) ليس شيء أثقل عليهم من هذه النصوص لأنهـا تخالف عقيدتهـم حتىٰ إنَّ بعضهم يتمنّىٰ لو مُسحت من المصحف ليبقىٰ لهم كلامُهم، فلا أشدَّ عليهم من قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمٰن: ٢٧] ومن قول النبي ﷺ: «إنَّكم سترون ربكم يوم القيامة»(*) ومن إثبات كلام الله تعالىٰ، وأنَّ الله يتكلَّم، وأنَّه مستوٍ علىٰ العرش، ليس هناك ما هو أشدُّ عليهم من هذا الكلام لأنَّه يُخالف عقيدتَهم التي بنوها علىٰ أوهام، نسأل الله العافية.

(٢) يتمنون أنَّهُم لم يسمعوا هذه النصوص لثقلها عليهم.

(*) سلف تخريجه ص١٣٠.

فـــلأيِّ معنـــىً تَجحـــدونَ عُلُـــوَّهُ
وصفــاتِــهِ بــالفَشْــرِ والهَــذيــانِ[١]

هــذا ومــا المحــذورُ إلاَّ أن يُقــا
لَ مــع الإلٰــه لنــا إلٰــهٌ ثــانِ[٢]

أَوْ أَنْ يُعطَّـلَ عــن صفـاتِ كمـالِـهِ
هــذان محــذورانِ مَحظــورانِ[٣]

أمَّـــا إذا مـــا قيـــلَ ربٌّ واحـــدٌ
أوصــافُـهُ أربَـتْ علـىٰ الحُسبـانِ[٤]

---

(١) ما عندهم إلا الفشر والهذيان، والفشر هو الكذب، والهذيان هو الكلام الذي لا حقيقة له مثل كلام المجنون وكلام المعتوه، هذه أدلتهم وهذه كتبهم كلُّها هذيان لأنَّها لم تُبن علىٰ الكتاب والسنة، وإنَّما بُنيت علىٰ أوهامٍ توهموها وقعَّدُوا قواعدها من علم الكلام والمنطق.

(٢) المحذور ليس في إثبات الصفات، وإنَّما المحذور أن يُقال: إنّ مع الله إلهاً آخر، أمَّا إنَّ الله تعالىٰ إلـهٌ واحد موصوف بالصفات فهذا لا يقتضي تعدُّد الآلهة كما تقولون؛ لأنَّ الصفة ليست منفردة عن الموصوف حتىٰ في المخلوقين، فليس المخلوق شيء وصفاتُهُ شيءٌ آخر، هذا لا يقولهُ عاقل، فالصفات ليست مستقلة عن الذات في الخارج.

(٣) فقولكم: إن إثبات الصفات مثل إثبات أنَّ هناك شريكاً لله تعالىٰ في الألوهية سواءً بسواء، هذا من أبطل الباطل لأن إثبات الصفات لا يلزم منه الذي قلتم.

(٤) هو ربٌّ واحد وله أسماءٌ كثيرة وصفاتٌ كثيرة ممّا يدلُّ علىٰ عظمته سبحانَه وتعالىٰ، ولا تدلُّ علىٰ تعدُّد الآلهة ولا الشرك بالله تعالىٰ.

وهـو القـديـمُ فلـمْ يـزلْ بصِفَـاتِـهِ
مُتــوحِّــداً بــلْ دائِـمَ الإحســانِ
فبــأيِّ بُــرهَــانٍ نَفَيْتُــمْ ذا وقُلْـ
ـتُمْ ليسَ هـذا قَـطُّ فـي الإمْكـانِ
فلئـــن زَعَمْتُــمْ أنَّــهُ نقـصٌ فـذا
بَهْـتٌ فمـا فـي ذاكَ مِـن نُقصـانِ[١]
النقـصُ فـي أمـريـنِ سَلْـبُ كمـالِـهِ
أو شِـرْكَـةٌ بـالـواحـدِ الـرحمٰـنِ[٢]
أتكُـونُ أوْصَـافُ الكمَـالِ نَقيصَـةً
فـــي أيِّ عَقْـــلٍ ذاكَ أمْ قُـــرآنِ
إنَّ الكمَـــالَ بِكَثْـرةِ الأوصـافِ لا
فـي سَلْبِهـا ذا واضِـحُ البُـرْهـانِ
ما النَّقْصُ غَيْرُ السَّلْبِ حَسْبُ وكُلُّ نَقْـ
ـصٍ أصْلُهُ سلْبٌ وهذا واضِحُ التِّبْيَانِ

---

(١) إثبات الأسماء والصفات لله كمال، والنقص إنما هو في نفيها.

(٢) النقص في حقِّ الله تعالىٰ في أحد أمرين: إمَّا نفي أسمائه وصفاته، وإمَّا في إثبات الشريك له سبحانَه وتعالىٰ، هذا هو النقص، وليسَ النقص في إثبات الأسماء والصفات بل بالعكس، هذا كمال، لكن إذا فسدت الفطر والعقول اعتقدت الحقَّ باطلاً والباطل حقّاً ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨] وهذه عاقبة من زهد بنصوص الوحي واشتغل بقواعد المنطق وعلم الكلام.

فـالجَهْـلُ سَلْـبُ العلـمِ وهـو نقيصَـةٌ
والظلـمُ سَلْـبُ العـدلِ والإحسانِ[(١)]

مُتَنَقِّـصُ الـرَّحمٰـنِ سـالِـبُ وصْفِـهِ
حَقّـاً تعـالـىٰ اللهُ عـن نُقْصَـانِ

وكـذا الثنـاءُ عليـه ذِكْـرُ صِفـاتِـهِ
والحمـدُ والتمجيـدُ كـلَّ أوانِ[(٢)]

ولـذاك أعلـمُ خَلْقِـهِ أدراهُـمُ
بصفـاتِـهِ مَـنْ جـاءَ بـالقـرآنِ[(٣)]

---

(١) فإذا قلت: فلان ليس عندَهُ علم، وليس عندَهُ عدل، هل هذا مدح أو ذم؟ هذا ذم واضح، فكذلك إذا قلت: ليس لله تعالىٰ سمعٌ ولا بصر ولا... إلخ، فهذا وصفٌ لله بالنقص.

(٢) الثناء علىٰ الله بذكر صفاته، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يُثني علىٰ ربِّه بصفاته وأفعاله، وكلُّ الرسل يُثنون علىٰ الله بأسمائه وصفاته ويتوسلون بأسمائه وصفاته ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] توسَّل إليه برحمته ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] توسَّل إليه بوحدانيته سبحانَه وتعالىٰ وألوهيته.

(٣) أفضل الأنبياء محمد ﷺ وقد جاء بالقُرآن الذي فيه الأسماء والصفات وكان يدعو ربَّهُ ويتوسَّل إليه بأسمائِه وصفاتِهِ «اللهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعلمك وأستقدرُكَ بقدرتك...»[(*)] الحديث. «اللهم إنَّك عفوٌّ تحبُّ العفو =

(*) قطعة من حديث جابر بن عبد الله، أخرجه أحمد في «المسند» ٢٣/ ٥٥ (١٤٧٠٧)، والبخاري (١١٦٢)، وأبو داود (١٥٣٨) وانظر تمام تخريجه في «المسند».

ولَـهُ صفـاتٌ ليـس يُحصيهـا سـوا
ـهُ مِـــنْ مـــلائكـــةٍ ولا إنســـانِ(١)
ولـذاك يُثنـي فـي القيـامـة سـاجـداً
لَمَّـــا يـــراهُ المصطفـــىٰ بعِيـــانِ(٢)

= فاعفُ عنِّي»(*) كل هذه أدعية نبوية أثنىٰ علىٰ الله بدعائه بأسمائه وصفاته. واللهُ تعالىٰ يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] حيث أمر بدعائه بها والتوسُّل إليه بها، ثمّ قال: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهم الذين ينفونها أو يُحرفونها.

(١) لله أسماء وصفات ذكرها لنا لنعبدَه بها ونذكُرَهُ بها ونعرفَهُ بها سبحانَه وتعالىٰ، وهناك أسماء وصفات لا يعلمها إلا هو سبحانَه وتعالىٰ، ولهذا يقول ﷺ: «أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علَّمتَه أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»(**) فدلَّ علىٰ أنَّ هناك أسماء استأثر اللهُ بها ولم يُعلِّمها أحداً من خلقه.

(٢) كما في حديث الشفاعة أنه يسجد بين يدي ربِّه ويُثني عليه بمحامد عظيمة(***) فدلَّ علىٰ أنَّ إثبات أسماءَ الله ومحامده هو من الكمال.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٢/ ٢٣٦ (٢٥٣٨٤)، والترمذي (٣٥١٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو حديث إسناده صحيح.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ٢٤٦-٢٤٧ (٣٧١٢) من حديث عبد الله بن مسعود.

(***) انظر حديث الشفاعة في صحيح البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك.

وانظر أحاديث الشفاعة في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/ ٤٧٥-٤٨٧.

بثناءِ حَمْدٍ لم يكنْ في هذه الدْ
دُنيا لِيُحصيه مدىٰ الأزمانِ[١]
وثناؤهُ بصفاتِه لا بالسُّلُو
بِ كما يقولُ العادِمُ العرفانِ[٢]
والعقلُ دلَّ علىٰ انتهاء الكونِ أجْـ
ـمَعِه إلىٰ ربٍّ عظيمِ الشانِ[٣]
وثبوتِ أوصافِ الكمال لذاتِه
لا يقتضي إبطالَ ذا البُرهانِ[٤]
والكونُ يشهدُ أنَّ خالِقَهُ تعا
لىٰ ذُو الكمالِ ودائمِ السُّلطانِ[٥]

---

(١) يفتح اللهُ عليه من المحامد في ذلك الموقف بمحامد لم يكن يعلمُها في الدنيا لكنَّ الله يفتحها عليه في هذا الموقف لأنَّه موقفٌ عظيم.

(٢) لا أحد يقول من الأنبياء ولا غيرهم من أهل الإيمان أو يثنىٰ علىٰ الله بالسلوب أي بنفي الصفات عنه، فيقول: أسألك بأنَّك لا تسمع ولا تُبصر وليس لك وجه ولا يدين، لا يقول هذا عاقل؟ لأنه تنقُّص لربِّ العالمين.

(٣) كلُّ المخلوقات ترجع إليه سبحانَه وتعالىٰ فهو خالقها ومُدبرُها ومُصرِّفُها.

(٤) لا تناقُض بين إثبات الصفات لله عز وجل وبين قيام البُرهان علىٰ كماله وعظمته، بل هذا هو الدليل علىٰ كماله وعظمته، وهو إثبات الأسماء والصفات.

(٥) إذا تأمَّلت في هذه المخلوقات ونظامِها وانتظامها وحسن ترتيبها علمتَ أنَّ الخالقَ لها خالقٌ واحد، لأنَّه لو كان هناكَ عدة آلهة لتفاوتت هذه =

وكـــذاك يشهـــدُ أنَّـــهُ سبحـــانَـــهُ
فـوقَ الـوُجُـودِ وفـوقَ كـلِّ مكـانِ[١]

وكـــذاكَ يشْهَـــدُ أنَّـــهُ سُبْحـــانَـــهُ الْـ
ـمَعْبُـــودُ لا شـــيْءٌ مِـــنَ الأكْـــوانِ

وكـــذاكَ يشهـــدُ أنَّـــهُ سبحـــانَـــهُ
ذُو حكمـــةٍ فـــي غـــايـــةِ الإتقـــانِ[٢]

وكـــذاك يشهـــدُ أنَّـــهُ ذُو قُـــدْرَةٍ
حـــيٌّ عليـــمٌ دائـــمُ الإحســـانِ[٣]

= المخلوقات وتباينت واختلفت، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] فدلَّ علىٰ أنّ الخلّاق واحد وهو الله سبحانَه وتعالىٰ.

(١) لأنَّ له صفات الكمال، والعُلُوُّ كمالٌ وعدمُهُ نقصٌ، فاللائق بجلال الله أن يكون في العُلُوِّ، وهذا من جهة العقل فكيف والسمع جاء بإثبات العلو له في الكتاب والسنة وكما تقتضيه فطر الخلائق كُلِّهم عند الدعاء التوجه إلىٰ العلو.

(٢) انتظام هذا الكون وائتلافه واستمراره يدلُّ علىٰ أنَّ خالقه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، وهو الذي يحكِّم الأشياء ويتقنُها بحيث لا تتفاوت ولا تختل، فهذا الكون يدلُّ علىٰ حكمةِ الله تعالىٰ.

(٣) هذا الكون يدلُّ علىٰ أنَّ خالقَهُ له قُدرة، لأنَّه لا يمكن أن يخلق هذا الكون علىٰ هذه الصفة إلا ذو قُدرة عظيمة.

وكــذاكَ يشهــدُ أنَّــه الفعَّــالُ حَقْـ

قــاً كُــلَّ يــومٍ ربُّنــا فــي شــانِ(١)

وكــذاكَ يشهــدُ أنَّــهُ المختــارُ فــي

أفعــالِــهِ حقّــاً بــلا نُكــرانِ(٢)

وكــذاكَ يشهــدُ أنَّــه الحــيُّ الــذي

مــا للمَمــاتِ عليــه مــن سُلطــانِ(٣)

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] فأفعاله تعالىٰ متواصلة يفعل متىٰ شاء إذا شاء سبحانه وتعالىٰ، تتجدد أفعالُهُ سبحانَه وتعالىٰ.

(٢) يدل هذا الكون أنّه سبحانَه يفعل بقدرته واختياره وإرادته، لا أحد يُجبرُه علىٰ شيء كما هو في شأن المخلوقين بعضهم مع بعض.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] لأنَّه لو مات لفسد هذا الكون، فدلَّ علىٰ استمرار حياته ودوامها، سبحانه وتعالىٰ، وكذلك لا ينام؛ لأنَّ النوم نقصٌ في الإنسان وهو نوعٌ من الموت ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] يعني لكمال حياته سبحانَه وتعالىٰ، فالنوم نقص في الإنسان، ففي الخالق من باب أولىٰ، ولذلك جاءَ في الحديث: «إنَّ اللهَ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام»(*).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٢/٢٩٦ (١٩٥٣٠)، ومسلم (١٧٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري.

وكـــذاكَ يشهــدُ أنَّــهُ القَيُّــومُ قــا

مَ بنفسِــه ومُقيــمُ ذي الأكــوانِ(١)

وكـــذاك يشهــدُ أنَّــه ذو رحمــةٍ

وإرادةٍ ومحبَّـــــةٍ وحنـــــانِ(٢)

وكـــذاكَ يشْهَــدُ أنَّــهُ سُبْحــانَــهُ

مُتكَلِّــمٌ بــالــوَحْــيِ والقُــرآنِ

وكـــذاك يشهــدُ أنَّــهُ سبحــانَــهُ الـ

ـخــلَّاقُ بــاعــثُ هــذه الأبــدانِ(٣)

لا تجعلُــوهُ شــاهــداً بــالــزّورِ والتْـ

تَعطيــلِ تلــك شهــادةُ البُطــلانِ(٤)

---

(١) القيوم: صيغة مبالغة، فهو قائم بنفسه لا يحتاجُ إلىٰ أحد وهو المقيم لغيره، ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] فكلُّ شيءٍ مُحتاجٌ إليه سبحانَه وتعالىٰ.

(٢) وذلك لنعمه علىٰ العباد وكرمه عليهم حتىٰ الكفار يُنعم عليهم وينزل الغيث، كل هذا يدلُّ علىٰ أنَّه رحيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(٣) كذاك يشهد الكون أنَّه قادر علىٰ إعادة هذه الأبدان بعد الموت، لأنَّ الذي خلقها أول مرّة قادر علىٰ إعادتها بعد الموت من باب أولىٰ، فالذي بدأها من عدم قادرٌ علىٰ أن يُعيدها مرةً ثانية.

(٤) لا تجعلوا هذا الكون شاهداً بنفي الصفات عن الله كما تقوله المعطلة، هذه شهادة زور لا تليق بمخلوقات الله سبحانه وتعالىٰ، والكون كُلُّه يشهد شهادة حق لا شهادة زور.

وإذا تــأمَّلــتَ الــوجــودَ رأيتَــهُ
إنْ لــم تكــنْ مِــنْ زُمــرةِ العُميــانِ
بشهــادَةِ الإثبــاتِ حقّــاً قــائمــاً
للهِ لا بشهـــــادةِ النُّكـــــرَانِ(١)
وكـــذاكَ رُسْـــلُ اللهِ شـــاهــدةٌ بــه
أيضــاً فَسَــلْ عنهــمُ عليــمَ زمــانِ(٢)
وكــذاكَ كُتْــبُ اللهِ شــاهــدةٌ بــه
أيضــاً فهــذا مُحكــمُ القُــرآنِ(٣)
وكــذلــكَ الفِطَــرُ التــي مــا غُيِّــرَتْ
عــن أصــلِ خِلْقتِهــا بــأمــرٍ ثــانِ(٤)
وكــذا العقــولُ المُستنيــراتُ التــي
فيهــا مصــابيــحُ الهُــدَىٰ الــرّبّــانــي(٥)

---

(١) إذا تأمّلت هذا الكون وجدت هذه الدلالات التي ذكرناها لك شاهدة لله بالكمال إلا أن تكون من زُمرة هؤلاء الطوائف المنحرفة فإنّك لا تُدرك هذا الشيء لفساد فطرتك وانتكاس عقلك كما حصل لهم.

(٢) الرسل يشهدون لله بالأسماء والصفات وبالكمال كما يعرف ذلك عنهم أهل العلم.

(٣) كتب الله تشهد له بالكمال، وأعظم هذه الكُتب القرآن الذي يشهد بالأسماء والصفات لله عز وجل.

(٤) الفطر السليمة تشهد لله بالكمال، أمّا الفطر التي غُيِّرت فلا قيمة لها.

(٥) خلق اللهُ تعالىٰ العُقول لتدلَّ عليه سبحانَه وتعالىٰ وعلىٰ كماله، فإذا تأمَّل =

أتـــرون أنّـــا تـــاركـــوا ذا كُلِّـــه
لشهــادةِ الجَهْمِـيِّ واليــونــانــي[١]
هـذي الشهـودُ فـإنْ طلبتُـمْ شـاهـداً
مِــن غيــرِهــا سيقــومُ بعــدَ زمــانِ
إذ ينجلــي هــذا الغُبــارُ فيظهــرُ الـ
ـحــقُّ المبيــنُ مُشَــاهَــداً بعِيــانِ[٢]
فـــإذا نفيتُـــمْ ذا وقلتُـــمْ إنَّـــهُ
ملــزومُ تــركيــبٍ فمــن يَلحـانـي[٣]
إنْ قلــتُ لا عَقْـلٌ ولا سَمْـعٌ لكُـمْ
وصــرخْــتُ فيمــا بينكــم بــأذانِ[٤]

= الإنسان هذا الكون وما فيه من المخلوقات دلَّته علىٰ حكمة اللهِ وقدرته وصفاته وكماله، فالعقل إذا سلم من الهوىٰ دليلٌ قوي.

(١) أتظنون يا معشر المعطلة أنّا نترك هذه الشواهد العظيمة في هذا الكون وما جاءت به الكتب والرسل، نترك هذه الدلائل من أجل منطق اليونان وعلم الكلام.

(٢) هذه الشهود والدلائل التي هي موجودةٌ الآن، وهناك شاهد سينجلي ويتضح ولا أحد يشك فيه وذلك يوم القيامة إذا عاينتم الحقيقة ورأيتم ما وعد اللهُ ورسولُه لكن بعد أن فات الأوان ولم يكن هناك وقتٌ للتراجع، وهذا يكون عند الموت وعند البعث.

(٣) أمّا إذا ألغيتم ذلك وقلتم: هذا يلزم منه التركيب، يقول لهم: من يلومني إذا قلت لكم كذا وكذا.

(٤) من يلومني إن قلت: لا عقل لكم ولا فكر ولا عندكم إيمان من يلومني لأنَّ هذا القول هو الحق.

هل يُجعَلُ الملزومُ عينَ اللازمِ الـ
ـمنفــيِّ هــذا بيِّــنُ البُطــلانِ

فـالشَّـيْءُ ليْـسَ لِنَفْسِـهِ يُنْفَـىٰ لـدىٰ
عَقْــلٍ سَلِيـمٍ يـا ذَوِي العِـرْفـانِ

قُلْتُــمْ نَفَيْنَــا وَصْفَــهُ وعُلُــوَّهُ
مِـنْ خَشْيَـةِ التَّـرْكِيـبِ والإمْكَـانِ

لـوْ كـانَ مـوصُـوفـاً لكـانَ مُـرَكَّبـاً
فـالـوصْـفُ والتَّـرْكيـبُ مُتَّحِـدَانِ

أو كـانَ فـوْقَ العَـرْشِ كـانَ مُـركَّبـاً
فــالفــوْقُ والتَّــرْكيــبُ مُتَّفِقــانِ

فَنَفَيْتُـمُ التَّـركيـبَ بـالتَّـرْكِيـبِ مـعْ
تَغْييــرِ إحْــدىٰ اللَّفْظَتَيْــنِ بِثــانِ

بـلْ صُـورَةُ البُـرهَـانِ أصبْـحَ شَكْلُهَـا
شَكْــلاً عَقِيمــاً ليْــسَ ذا بُــرْهَــانِ

لـوْ كـانَ مـوصْـوُفـا لكـان كـذاك مَـوْ
صُــوفــاً وهــذا حَـاصِـلُ البُـرْهـانِ

فـإذا جعَلْتُـمْ لفْظَـةَ التَّـرْكيـبِ بـالْـ
ـمَعْنَـىٰ الصَّحيـحِ أمَـارَةَ البُطْـلاَنِ

جِئْنَـا إلـىٰ المعْنَـىٰ فَخَلَّصْنَـاهُ مِنْـ
ـهَـا واطَّـرَحْنَـاهَـا اطِّـرَاحَ مُهَـانِ

هـــي لفظــةٌ مقبــوحــةٌ بِــدْعيَّــةٌ
مَــذمــومــةٌ مِنَّــا بكُــلِّ لســانِ[١]

واللفــظُ بــالتــوحيــدِ نجعلُــهُ مكــا
نَ اللفــظِ بــالتــركيــبِ فــي التِّبيــانِ

واللفــظُ بــالتــوحيــد أولــىٰ بــالصفــا
تِ وبــالعُلُــوِّ لمــن لَــهُ أُذُنَــانِ[٢]

هــذا هــو التــوحيــدُ عنــدَ الــرُّسْــلِ لا
أصحــابِ جَهْــمٍ شيعــةِ الكُفْــرانِ[٣]

* * *

---

(١) لفظة التركيب لفظة بدعية اصطلاحية لا تُستعمل دليلاً في حقِّ الله تعالىٰ.

(٢) إذا سميتم أنتم إثبات الأسماء والصفات لله تركيباً فنحنُ نُسمِّيه توحيداً وهذا هوا لحق.

(٣) التوحيد عند الرسل هو إثبات ما أثبته اللهُ لنفسه من الأسماء والصفات، أمّا أتباع جهم بن صفوان فيقولون: التوحيد هو نفي الأسماء والصفات عكس ما جاءت به الرسل.

فصل

في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المُرسلين وتوحيد النُفاة المعطلين[١]

فـاسمَـعْ إذاً أنـواعَـهُ هـي خمسـةٌ
قـد حُصِّلَـتْ أقسـامُهـا ببيـانِ[٢]

تـوحيـدُ أتبـاعِ ابـنِ سينـا وهـو مَنْـ
ـسـوبٌ لآرِسطـو مـن اليـونـانِ[٣]

---

(١) هذا الفصل فيه بيان أقسام التوحيد عند الفرق وقد ذكر فيه خمسة أنواع:
١ ـ توحيد الفلاسفة.
٢ ـ توحيد أهل وحدة الوجود.
٣ ـ توحيد الجهمية.
٤ ـ توحيد الجبرية. هذه أربعة، ثمّ ذكر الخامس وهو توحيد الأنبياء والمُرسلين.

(٢) هي خمسةٌ لا سادس لها، وهذا الحصر بالاستقراء ولا تخرج أقوال الفرق عن هذه الخمسة.

(٣) النوع الأول: توحيد فلاسفة اليونان القُدماء المخالفين للرسل، وعليه ممّن ينتسبون للإسلام أبو عليٰ ابن سينا المُلقَّب بالرئيس، كان حاذقاً بالطب، ولكنه كان في العقيدة باطنياً مُلحداً يقول بجواز قدم العالم ويعتنق مذهب الفلاسفة، لكنه يُستره بالتسمي بالإسلام، هذا الملحد الذي=

مـــا لـــلإلٰــهِ لـــديهِـــمُ مـــاهيـــةٌ
غيـرُ الـوجـودِ المُطلـقِ الـوِحْـدانِ[(١)]

مسلـوبُ أوصـافِ الكمـالِ جميعِهـا
لكــنْ وجـودٌ حَسْــبُ ليــس بفــانِ

مـا إنْ لـه ذاتٌ سوىٰ نفسِ الـوجـو
دِ المطلـقِ المَسلُـوبِ كـلِّ معـانِ[(٢)]

فلـــذاكَ لا سَمْـــعٌ ولا بَصَـــرٌ ولا
عِلْـــمٌ ولا قـــوْلٌ مِـــنَ الـــرَّحمٰـــنِ

ولــذاكَ قــالــوا ليــس ثَــمَّ مشيئــةٌ
وإرادةٌ لـــوجـــودِ ذي الأكـــوانِ[(٣)]

= يُعظمهُ بعض النَّاس الآن ويسمُّون باسمه بعض المدارس والمؤسسات، هو ملحد وأبوه كان من اليهود وهو قد انتسب إلىٰ الإسلام واعتنق مذهب الشيعة الباطنية وهو أخبث المذاهب.

(١) ابن سينا يقول بقول الفلاسفة: إنَّ التوحيد هو إثبات وجود الله تعالىٰ «الوجود المطلق» بدون أسماء ولا صفات، فهو وجود مُطلق بشرط الإطلاق.

(٢) وجود مطلق بشرط الإطلاق، ليس له أسماء ولا صفات لأنَّهم لو أثبتوا له الأسماء والصفات لشاركَتْه في الوجود، وهذا شركٌ عندهم، ونقول لهم: هل يمكن أن يكون هناك موجود ليس له صفات!

(٣) يعني أنَّ هذه الأكوان ليس لها خالق بل هي وُجدت بنفسها كما يقول الطبائعيون ويقولون: هذا العالم مُحدَث ليس له بداية، وابن سينا أضاف إضافة يسيرة ليموه علىٰ الناس حيث قال: بإمكان قدم العلم.

بـل تلـك لازمـةٌ لَـهُ بـالـذاتِ لَـمْ
تَنْفَـكَّ عَنْـهُ قـطُّ فـي الأزمـانِ[١]

مـا اختـارَ شيئْـاً قَـطُّ يَفْعَلُـهُ ولا
هٰـذا لَـهُ أبـداً بِـذي إمْكَـانِ

وبَنَوْا علىٰ هذا استحالَةَ خَرْقِ ذي الـ
أفـلاكِ يـومَ قيـامـةِ الأبـدانِ

ولـذاك قـالـوا ليس يعلـمُ قـطُّ شيـ
ـئاً ما مِن الموجودِ في الأعيانِ[٢]

لا يعلـمُ الأفـلاكَ كمـا أعـدادُهـا
وكـذا النجـومُ وذانـكَ القمـرانِ

بل ليس يسمعُ صوتَ كلِّ مُصَوِّتٍ
كـلّا وليـس يـراهُ رأيَ عِيـانِ

بـل ليـس يعلـمُ حـالـةَ الإنسانِ تَفْـ
ـصيـلاً مـن الطـاعـاتِ والعصيـانِ

كـلّا ولا علـمٌ لـه بتسـاقـطِ الـ
أوراقِ أو بمنـابـتِ الأغصـانِ

---

(١) فهو لا يفعلها بمشيئته وقدرته وإرادته وإنّما هي لازمةٌ له.

(٢) هذه كلُّها أمثلة، وإلا فالقاعدة العامّة عندهم: أنَّه الوجود المطلق الذي لا يوصف بالصفات، هذا محض التوحيد عندهم، والشرك عندهم هو إثبات الصفات.

عِلْماً علىٰ التفصيلِ هذا عندَهُمْ
عينُ المُحالِ ولازمُ الإمكانِ
بل نفسُ آدمَ عندَهُمْ عينُ المُحا
لِ ولَمْ يكنْ في سالفِ الأزمانِ
ما زالَ نوعُ الناسِ موجوداً ولا
يفنَىٰ كذاك الدهرُ والمَلْوانِ(١)
هذا هو التوحيدُ عندَ فريقِهِمْ
مِثْلَ ابنِ سينا والنصيرِ الثاني(٢)
قالوا وألجأنا إلىٰ ذا خشيةُ التـ
تركيبِ والتجسيمِ ذي البطلانِ
ولذاك قلنا ما له سمعٌ ولا
بصرٌ ولا عِلمٌ فكيف يدانِ
وكذاك قلنا ليس فوقَ العرشِ إلْـ
لا المستحيلُ وليس ذا إمكانِ
جِسْمٌ علىٰ جِسْمٍ كلا الجِسْمَيْنِ مَحْـ
ـدودٌ يكونُ كلاهما صِنوانِ(٣)

---

(١) يقولون بقدم الأشياء كلها من البشر وغيره فليس لها بداية لا لأعيانها ولا أجناسها، والقول بأن بداية البشرية من خلق آدم غلط.

(٢) هذا التوحيد عند الفلاسفة من أمثال ابن سينا ونصير الدين الطوسي الشيعي الباطني.

(٣) يقولون نفينا عن الله الأسماء والصفات خشية التركيب والتجسيم.

فبـذاك حقّـاً صَـرَّحـوا فـي كُتْبِهِـمْ
وهُـمُ الفحـولُ أئمـةُ الكفـرانِ[١]

لَيْسُوا مَخنايثَ الوجودِ فلا إلىٰ الـ
ـكُفـرانِ ينحـازوا ولا الإيمـانِ[٢]

والشـركُ عنـدَهُـمُ ثبـوتُ الـذاتِ والـ
أوصـافِ إذ يبقـىٰ هنـاك اثنـانِ[٣]

غيـرُ الـوجـودِ فصـارَ ثـم ثـلاثـةٌ
فلـذا نفينـا اثنيـنِ بـالبـرهـانِ[٤]

نفيُ الوجودِ فلا يضافُ إليه شَيْ
ءٌ غيـرُهُ فيصيـرَ ذا إمكـانِ

* * *

---

(١) هذا القول موجود في كتبهم وليس هو من التقول عليهم.

(٢) ليسوا مثل أصحاب المذاهب المشكلة التي هي خليط من الحق والباطل كالأشاعرة والمعتزلة بل مذهبهم إلحاد صرف، والمخانيث هم الذين ليسوا ذكوراً ولا إناثاً بل مشتبه أمرهم.

(٣) الشرك عند الفلاسفة هو إثبات الصفات حيث يلزم منه عندهم تعدد الآلهة.

(٤) يقولون يلزم من إثبات الصفات إثبات ثلاثة آلهة: الذات والصفات والوجود.

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد

هـذا وثـانيهـا فتـوحيـدُ ابـنِ سَبْـ
ـعيـنَ وشيعتـهِ أُولـي البُهتـانِ
كـلٌ اتحـاديٌّ خبيـثٍ عنـدَهُ
مَعْبُـودُهُ مَـوْطـوؤهُ الحَقّـانـي[1]
تـوحيـدُهُـمْ أنَّ الإلٰـهَ هـو الـوُجُـو
دُ المُطلَـقُ المَبثـوثُ فـي الأعيـانِ
هـو عينُهـا لا غيـرُهـا مـا هـا هنـا
رَبٌّ وعبْـدٌ كيـف يفتـرقـانِ

(١) النوع الثاني من أنواع التوحيد: توحيد غُلاة الصوفية كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض أهل وحدة الوجود، يقولون: التوحيد: أن تعتقد أنَّ هذا الكون كُلَّه هو الله ليس فيه انقسام ولا تعدُّد، فمن أثبت أنّ هناك خالقاً ومخلوقاً فهو مشرك، ومن قال: إنَّ هذا الكون كلَّه هو الله فهذا هو الموحِّد عندهم، ولذلك سمُّوا أهل وحدة الوجود، وهم أكفر أهل الأرض؛ لأنَّهم جعلوا كل شيء هو الله، فجعلوا ما يُؤكل ويُشرب هو الله، وجعلوا النساء التي تُنكح هي الله ـ والعياذ بالله ـ وهذا كفرٌ صريح، ويقولون: فرعون ما كفر إلا لأنَّه قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] حيث خصص الربوبية به، وإلا لو اعتقد أنّ الكون كلَّه هو الله صار موحِّداً، وهذه أقبح فرقة، وهم غلاة الصوفية وإمامهم ابن عربي.

لكــنَّ وَهْــمَ العبــدِ ثُــمَّ خيــالَــهُ
فــي ذي المظـاهـرِ دائمـاً يَلِجـانِ[١]
فلــذاكَ حُكْمُهُمــا علَيْــهِ نــافِــذٌ
فــابْــنُ الطَّبيعَــةِ ظـاهِـرُ النُّقْصَــانِ
فــإذا تجَــرَّدَ عِلْمُــهُ عَــنْ حِسِّــهِ
وخَيَــالِــهِ بَــلْ ثَــمَّ تَجْــرِيــدَانِ
تَجْــرِيــدُهُ عــنْ عَقْلِــهِ أيْضــاً فــإنْ
نَ العَقْــلَ لا يُــدْنِيــهِ مِــنْ ذا الشَّــانِ
بــل يَخْــرِقُ الحُجُــبَ الكثيفــةَ كُلَّهــا
وَهْمــاً وحِسّــاً ثَــمَّ عقــلٌ وَانِ
فــالــوَهْــمُ مِنْــهُ وحِسُّــهُ وخيــالُــهُ
والعِلْــمُ والمعقــولُ فــي الأذهــانِ
حُجُبٌ علىٰ ذا الشانِ فاخْرِقْها وإلـ
لا كنــتَ مَحجُــوبــاً عــن العِــرفــانِ[٢]

---

(١) يقولون: القول بأنَّ هناك خالقاً ومخلوقاً، خيالٌ عند من يتخيلون هذه الأشياء.

(٢) هم لا يأخذُون بالوحي لأنه حجاب، وإنما يأخذون علمهم عن الله مباشرة بزعمهم لا عن الأنبياء والرسل، فإذا كنت تريد الحقيقة فاخترق حجاب الوحي والوهم لتصل إلىٰ الحقيقة.

هـذا وأكْثَفُهَـا حِجَـابُ الحِـسِّ والْـ
ـمَعْقُـولُ ذَاكَ صـاحـبُ الفُـرقَـانِ

فهُنـاكَ صِـرْتَ مُـوحِّـداً حقّـاً تـرَىٰ
هـذا الـوُجُـودَ حَقِيقَـةَ الـدَّيَّـانِ

والشـركُ عنـدَهُـمُ فتنـويـعُ الـوجـو
دِ وقـولُنـا إنَّ الـوجـودَ اثنـانِ[١]

واحتَـجَّ يـومـاً بـالكتـابِ عليهِـمُ
شخصٌ فقالوا الشركُ في القُرآنِ[٢]

لكنَّمـا التـوحيـدُ عنـد القـائليـ
ـنَ بـالاتحـادِ فهُـمْ أُولـو العِـرفـانِ

ربٌّ وعبـدٌ كيـف ذاكَ وإنَّمـا الـ
ـمَـوجـودُ فَـرْدٌ مـا لَـهُ ثـانِ[٣]

---

(١) الشرك عند أهل وحدة الوجود: اعتقاد أنه هناك خالقاً ومخلوقاً، وأنَّ هذا الكون مُتعدِّد من مخلوقات متعددة، لأن الكون شيءٌ واحد عندهم، واعتقاد ذلك هو التوحيد عندهم.

(٢) لمّا احتجَّ عليهم شخص بأنَّ ما هم عليه يُخالف القُرآن، قالوا: القُرآن كلُّه شرك؛ لأنَّ فيه إثبات خالق ومخلوق وإثبات تعدُّد في الكون، هذا شرك.

(٣) التوحيد الصحيح عند القائلين بوحدة الوجود وهو أن هذا الكون كلّه هو اللهُ تعالىٰ، فليس فيه تعدُّد ولا انقسام، ولا ربٌّ ولا عبد، بل الوجود شيءٌ واحد وهو الربُّ فقط.

فصل

في النوع الثالث من التوحيد لأهل الإلحاد

هـذا وثـالثُهـا هـو التـوحيـدُ عنـ
ـدَ الجَهْـمِ تعطيـلٌ بـلا إيمـانِ[1]
نفـيُ الصفـاتِ مـع العُلُـوِّ كـذاكَ نَفْـ
ـيُ كـلامِـهِ بـالـوحـي والقُـرآنِ
فـالعـرشُ ليـس عليـه شـيءٌ بتَّـةً
لكنَّـهُ خِلْـوٌ مـن الـرحمٰـنِ
مـا فـوقَـه ربٌّ يُطـاع ولا عليـ
ـه للـورىٰ مِـنْ خـالـقٍ رحمٰـنِ
بل حظُّ عرشِ الربِّ عندَ فريقِهِمْ
منـهُ كحـظِّ الأسفـلِ التحتـانـي[2]

---

(١) النوع الثالث من أنواع التوحيد توحيد الجهم بن صفوان وأتباعه من الملاحدة: وهو نفي الأسماء والصفات، فهذا هو مصطلح التوحيد والشرك عند الجهمية وهم شرُّ الفرق وأضلها.

(٢) ينفون جميع الأسماء والصفات من غير استثناء صفات الذات وصفات الأفعال.

ويلزمُ علىٰ مذهبهم وصف اللهِ بالعدَم، لأنَّ الذي ليس له أسماءٌ ولا صفات هو المعدوم، أمّا الموجود فلا بُدَّ له من صفات.

فهـوَ المُعَطِّـلُ عـنْ نُعُـوتِ كمَـالِـهِ
وعَـنِ الكـلامِ وعَـنْ جَمِيـعِ معَـانِ
وانظـرْ إلـىٰ مـا قـد حكينـا عنـه فـي
مبـدا القصيـدِ حكـايـةَ التبيـانِ[١]
هـذا هُـوَ التَّـوْحِيـدُ عِنْـدَ فَـرِيقِهِـمْ
تِلْـوَ الفُحُـولِ مُقَـدِّمـي البُهْتَـانِ
والشـركُ عنـدَهـم فـإثبـاتُ الصفـا
تِ لـربِّنـا ونهـايـةُ الكُفـرانِ
إن كان شركاً ذا وكُلُّ الرُّسْلِ قد
جـاؤوا بـه يـا خيبـةَ الإنسـانِ[٢]

* * *

---

(١) عندما ساق رحمه الله في مطلع هذه القصيدة مذاهب النّاس في البحث عن الربّ تعالىٰ علىٰ صفة ركبان ذهبوا هنا وهناك ومن جملتهم ركب الجهمية.

(٢) الشرك عند الجهمية هو إثبات الصفات، فعليه يكون الرسل جاؤوا بالشرك لأنهم جاؤوا بإثبات الصفات، وكفىٰ بهذا القول إثماً مبنياً.

فصل

في النوع الرابع من أنواعه

هـذا ورابعُهـا فتـوحيـدٌ لـدىٰ
جَبْـرِيِّهِـمْ هـو غـايـةُ العِـرفـانِ[١]

العَبْـدُ مَيْـتٌ مـا لَـهُ فِعْـلٌ وَلَـ
ـكِنْ ما تَرىٰ هُوَ فِعْلُ ذي السُّلْطانِ

والله فـاعـلُ فعلِنـا مِـن طـاعـةٍ
ومِـنَ الفُسـوقِ وسـائـرِ العِصيـانِ[٢]

هِـيَ فِعْـلُ ربِّ العَـالمِيـنَ حَقِيقَـةً
لَيْسَـتْ بِفِعْـلٍ قَـطُّ لـلإنسـانِ

فـالعبـدُ مَيْـتٌ وهـو مجبـورٌ علـىٰ
أفعـالِـهِ كـالميـتِ فـي الأكفـانِ[٣]

---

(١) الجبرية: هم الذين يقولون: العبدُ ليس له مشيئة وإنَّما هو مجبورٌ علىٰ أفعاله، ليس له فيها اختيار، فهم يغلُون في القدر وينفون أن يكون للعبد قدرةٌ واختيار ومشيئةٌ، هذا هو التوحيد عندهم.

(٢) كل الطاعات والمعاصي هي فعلُ الله عندهم، وأمّا نحنُ بزعمهم فآلةٌ تُحرَّك، وأنَّ الله يُعذِّب العصاة علىٰ شيءٍ ليس لهم فيه اختيار ولا إرادة، وهذا كذبٌ علىٰ الله، فإنّ الله لا يُعذِّب المُكْرَهَ ولا المجنون ولا الصغير لأنَّ هؤلاء ليس لهم إرادة ولا اختيار.

(٣) الميت في الأكفان ليس له قُدرة ولا اختيار ويُحرَّك ويُدفن فليس له إرادة =

وهــو المَلــومُ علــىٰ فِعــالِ إلٰهِــهِ
فيــه وداخــلُ جَــاحِــمِ النيــرانِ[١]
يــا ويحَــهُ المسكيــنُ مظلــومٌ يُــرَىٰ
في صورةِ العبدِ الظَّلُومِ الجاني[٢]
لكــن نقــولُ بــأنَّــهُ هــو ظــالــمٌ
فــي نفسِــهِ أدبــاً مــع الــرحمٰــنِ[٣]
هــذا هُــوَ التَّــوْحِيــدُ عِنْــدَ فَــرِيقِهِــمْ
مِــنْ كُــلِّ جَبْــرِيٍّ خَبِيــثٍ جَنَــانِ
والكــلُّ عنــدَ غُــلاتِهِــمْ طــاعــاتُنــا
مــا ثَــمَّ في التحقيــقِ مِــن عِصيانِ[٤]

= ولا مشيئة، فهم يقولون: كذلكَ في حال الحياة هو مجبر علىٰ أعماله ليس له إرادة ومشيئة.

(١) وهذا معناه وصف الله بالظلم، تعالىٰ اللهُ عن ذلك، وذلك أنَّه يُعذِّب النَّاس علىٰ شيءٍ ليس لهم فيه اختيار ولا مشيئة لأنَّهُم مجبورون عليه.

(٢) عندهم لا يوصف العبد بأنه ظالم أو فاسق أو كافر لأن هذه الأفعال التي تصدر عنه ليست أفعاله وإنما هي أفعال الله.

(٣) هو في الحقيقة عندهم مظلوم لكن يقولون: هو ظالم من باب المجاز تأدُّباً مع الله تعالىٰ.

(٤) يقول غلاتهم: إن أفعال العباد كلَّها طاعات لأنَّها امتثال لمشيئة الله وقدره مثل قول المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] ويقول شاعرهم:

أصبحتُ منفعلاً لما يختارُهُ … منِّي ففعلي كلُّه طاعات

والشـرك عنـدَهُـمُ اعتقـادُكَ فـاعِـلاً
غيـرَ الإلٰـهِ المـالـكِ الـدَّيّـانِ[(١)]

فانْظُرْ إلىٰ التَّوْحِيدِ عِنْدَ القَوْمِ مَا
فيـهِ مِـنَ الإشْـرَاكِ والكُفْـرَانِ

مـا عنـدَهُـمْ واللهِ شـيءٌ غيـرَهُ
هـاتيـكَ كُتْبُهُـمُ بكـلِّ مكـانِ[(٢)]

أتُـرىٰ أبـا جهـلٍ وشيعَتَـهُ رأوا
مِـن خـالـقٍ ثـانٍ لـذي الأكـوانِ

أم كُلُّهـم جَمْعـاً أقـرُّوا أنَّـهُ
هـو وحـدَهُ الخـلَّاقُ لـلإنسـان[(٣)]

فـإذا ادَّعَيْتُـم أنَّ هـذا غـايـةُ التـ
ـتـوحيـدِ صـارَ الشِّـرْكُ ذا بُطـلانِ[(٤)]

---

(١) هذا هو الشركُ عند الجبرية: أن تعتقد أنَّ العبد يفعل باختياره ومشيئته، لأن هذا معناه أنه يصير شريكاً لله في خلقه وفعله.

(٢) يقول: ارجعوا إلىٰ كتبهم فهذا الكلام موجودٌ فيها فلم نتجنىٰ عليهم لأن هذا موجود في كتبهم.

(٣) هل أبو جهل الذي هو أكفر أهل الأرض في زمانه يعتقد أنَّ أحداً يخلق مع الله؟ ما اعتقد هذا أحدٌ بل الجميع مقرّون بأن الله وحدَه هو الخلاق. فيكون الجهمية أغلظ كفراً من أبي جهل وأشباهه.

(٤) يقولون: إذا اعتقدتم هذه العقيدة وأنَّ العبد ليس له إرادة ولا مشيئة حققتم التوحيد، أمّا إذا اعتقدتم أنَّ العباد لهم مشيئة وإرادة ويفعلون باختيارهم وإرادتهم فهذا هو الشرك عندهم.

فـــالنَّـــاسُ كُلُّهُـــمُ أقَـــرُّوا أنَّـــهُ
هـــو وحـــدَهُ الخـــلاَّقُ ليـــس اثنـــانِ
إلاَّ المجُـــوسَ فـــإنَّهـــم قـــالـــوا بـــأنْ
نَ الشـــرَّ خـــالِقُـــهُ إلٰـــهٌ ثـــانِ[1]

* * *

(١) انفرد المجوس بعقيدة أنَّ هناك خالقين: خالقٌ للخير وخالقٌ للشر، وأمّا من عداهُم من الأمم فإنَّهم لا يعتقدون أنَّ هناك خالقاً غير الله علىٰ اختلاف مللهم.

فصل

في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسمَعْ إذاً توحيدَ رُسْلِ اللهِ ثُمْ
مَ اجعلْهُ داخلَ كِفَّةِ الميزانِ

مع هذه الأنواعِ وانظرْ أيُّها
أولىٰ لدىٰ الميزانِ بالرُّجحانِ[1]

توحيدُهم نوعانِ قوليٌّ وفِعْـ
ـليٌّ كِلا نوعيْهِ ذُو بُرهانِ[2]

فالأولُ القوليُّ ذُو نوعين أيْـ
ـضاً في كتابِ اللهِ موجودانِ[3]

---

(١) هذا هو النوع الخامس من أنواع التوحيدِ عندَ الفرق، لمّا ذكر مذاهب أهل الضلال في تعريف التوحيد والشرك ذكر مذهب أهل الحق المخالف لتوحيد الفرق الضالة كلها، وهو التوحيد الذي جاءت به الرسل، لأن المسلم مطلوب منه أن يعرف الشر ليتجنبه ويعرف الحق ليلتزمه.

(٢) توحيد الأنبياء والرسل نوعان: قوليٌّ وعمليٌّ، والقولي هو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والعملي هو توحيد الألوهية.

(٣) الأول: وهو توحيد الربوبية نوعان: =

إحْـداهُمَـا سلْـبٌ وذا نـوْعَـانِ أيْـ
ـضـاً فيـهِ حقّـاً فيـهِ مَـذْكُـورَانِ

سلْـبُ النَّقَـائِـضِ والعُيُـوبِ جَمِيعِهَـا
عنـهُ هُمـا نـوعـانِ مَعْقُـولانِ

سلْـبٌ لمتصـلٍ ومُنفصـلٍ هُمـا
نـوعـانِ معـروفـانِ أمَّـا الثـانـي

سَلْبُ الشريكِ مع الظهيرِ مع الشفيـ
ـعِ بـدُونِ إذنِ المَـالـك الـدَّيَّـانِ[1]

وكذاك سَلْبُ الزوج والولدِ الذي
نَسَبُـوا إليـه عـابِـدُو الصُّلبـانِ[2]

= نفي وإثبات. والنفي هو أن يُنفىٰ عن الله تعالىٰ جميعُ أنواع النقص والعيوب، والإثباتُ هو إثبات الكمال لله تعالىٰ، فتوحيد الأسماء والصفات يدور علىٰ هذين الأصلين: النفي والإثبات، فالنفي يسمونه السلب، والإثبات يسمونه الإيجاب.

(١) النفي قسمان:
نفي النقائص عن الله تعالىٰ، ونفي الشركاء.

(٢) نفي ما يتصل بذاته سبحانه وتعالىٰ من العيوب والنقائص كنفي النوم والسِّنَةِ عنه ونفي العجز واللغوب. ونفي الأشياء المنفصلة عنه كنفي الشركاء عنه تعالىٰ ونفي الصاحبة وهي الزوجة ونفي الولد الذي أثبتَهُ له النصارىٰ والمشركون له تعالىٰ الله عن ذلك.

وكـذاك نفـيُ الكُـفْـءِ أيضـاً والـولـيْ

يِ لنا سوىٰ الرحمٰنِ ذي الغُفرانِ[1]

والأولُ التنــزيــهُ للــرحمٰــنِ عــن

وصفِ العيوبِ وكُلِّ ذي نُقصانِ[2]

كـالمَـوْتِ والإعْيَـاءِ والتَّعَـبِ الـذي

يَنْفِــي اقْتِــدَارَ الخَــالِـقِ الــدَّيَّـانِ

والنَّــوْمِ والسِّنَــةِ التــي هــي أصلُـهُ

وعُـزُوبِ شـيءٍ عنـهُ فـي الأكـوانِ[3]

وكـذلـك العَبَـثُ الـذي تنفيـه حِكْـ

ـمَتُــهُ وحمــدُ اللهِ ذي الإتقــانِ[4]

---

(١) أي نفي المشابه كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] والولي هو الناصر ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١] يعني: يُناصرهُ ويُعينُه جلَّ وعلا لأنَّه ليس بحاجةٍ لذلك.

(٢) هذا نفي المتصل.

(٣) النوم: هو المستغرق، والسِّنَة: هي مبادىء النوم، والله مُنزَّهٌ عن ذلك ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٤) اللهُ منزهٌ عن العبثِ فهو لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، والعبث أن يفعل شيئاً لا لحكمة، فما خلق ولا فعل إلا لحكمة باهرة قد نعلمُها وقد لا نعلمُها، وقد وصف نفسه بالحكيم، ونزَّه نفسَهُ عن العبث ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وكـذاكَ تَـرْكُ الخَلْـقِ إهْمَـالاً سُـدىً
لا يُبْعَثُــونَ إلــىٰ معَــادٍ ثَــانِ

كــلاَّ ولا أمْــرٌ ولا نَهْــيٌ عَلَيْـ
ـهِــمْ مِــنْ إلٰــهٍ قَــادِرٍ دَيَّــانِ

وكــذاكَ ظُلْــمُ عبـادِهِ وهــو الغنـيْ
يُ فمــا لَــهُ والظُّلْــمُ لــلإنسـانِ[١]

وكــذاكَ غَفْلَتُــهُ تعــالــىٰ وهــو عَلْـ
لامُ الغيــوبِ فظــاهــرُ البُطــلانِ[٢]

وكــذلــكَ النِّسيــانُ جــلَّ إلٰهُنــا
لا يعتــريــهِ قــطُّ مِــنْ نِسيــانِ[٣]

---

(١) نزَّه اللهُ تعالىٰ نفسَهُ عن الظلم فلا يظلم أحداً شيئاً من حسناته بل يُضاعفُها له من فضله، ولا ينقص أحداً من حسناته ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

(٢) نفىٰ اللهُ عن نفسه الغفلة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] فلا ينسىٰ، والنسيان الذي نزَّه اللهُ نفسَهُ عنه هو الذهول عن الشيء، وأمّا النسيان في قوله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] فهذا من باب المجازاة، مثل قوله: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] معناه الترك وهذا من باب المجازاة وهو عدلٌ منه سبحانه وتعالىٰ.

وكـــذاكَ حـــاجتُـــهُ إلـــىٰ طُعْـــمٍ ورِزْ
قٍ وَهْـــوَ رَزّاقٌ بـــلا حُسبـــانِ[١]

هـذا وثـانـي نـوعَـيِ السَّلْـبِ الـذي
هُـــوَ أوّلُ الأنـــواعِ فـــي الأوزانِ

تنزيـهُ أوصـافِ الكمـالِ لـهُ عـن التْـ
تَشْبيـــهِ والتمثيـــلِ والنُّكـــرانِ[٢]

---

(١) كذلك نزَّهَ سبحانَه نفسه عن أن يُطعم، لأنَّ الطُّعْم لا يحتاجُهُ إلا الخلق، وأمّا اللهُ تعالىٰ فهو غنيٌّ عن الطعام فهو ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤] وإنَّما هذا للعباد الذين يحتاجُون للطعام والشراب ولذلك ردَّ علىٰ النصارىٰ الذين يعتقدون في المسيح فقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] فعيسىٰ كغيره من الرسل ليس بإلـٰه، وأُمُّهُ صِدِّيقة يعني من المُبالِغين في الصدق وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ دليل علىٰ بشريتهما، وأنَّهما ليسا بآلهة لأنَّهما كانا يأكلان الطعام، والذي يأكل الطعام هو المحتاج.

(٢) التنزيه قسمان:

تنزيهٌ لله في ذاته.

وتنزيهٌ لله في أسمائه وصفاته، وتنزيه أسمائه وصفاته عن التشبيه والتمثيل فيه ردٌّ علىٰ المشبهة وردٌّ علىٰ المعطِّلة، لأنَّ الأسماء والصفات بحسب ما تُضاف إليه، فإن أُضيفت إلىٰ الله اختصت به، وكانت لائقة به سبحانَه وتعالىٰ، وإن أُضيفت إلىٰ المخلوقين فهي تليق بهم وتختصُّ بهم =

لسْنَــا نُشَبِّــهُ وَصْفَــهُ بصفَــاتِنــا
إنَّ المُشَبِّــه عــابــدُ الأوثــانِ[١]
كــلاَّ ولا نُخْلِيــهِ مــن أوصــافِــهِ
إنَّ المُعطِّــلَ عــابــدُ البُهتــانِ[٢]
مَــنْ مَثَّــلَ اللهَ العظيــمَ بخلقِــهِ
فهــو النسيــبُ لمشــرِكٍ نَصْــرانــي[٣]
أو عطَّــلَ الــرحمٰــن عــن أوصــافِــهِ
فهــو الكفُــورُ وليــس ذا إيمــانِ[٤]

* * *

= فصفات المخلوقين ناقصة، وأمّا صفات الربِّ فهي كاملة لا يُشبهُها شيء، فمن لم يُدرك هذا الفرق ضلَّ سواء السبيل، ولمّا فات هذا الفرق علىٰ الجهمية وأضرابهم وقعوا في الضلال.

(١) الذي يُشبِّهُ صفات الله بصفات المخلوقين فإنه يعبدُ وثناً لأن الله لا شبيه له، والذي ينفي الأسماء والصفات عن الله يعبدُ عدماً، لأنَّ الذي ليسَ له أسماء ولا صفات معدوم، ولذلك يقول العُلماء: المُشبِّهُ يعبد صنماً والمُعطِّل يعبدُ عدماً.

(٢) المُعطّل يعبدُ عدماً لا أصل له، لأنه ليس هناك شيءٌ في الوجود ليس له أسماء ولا صفات.

(٣) من شبَّه الله بخلقه فهو كالنصارىٰ الذين يعبدون المسيح عليه السلام، لأنَّهم شبَّهُوا المسيح البشري بالله عزَّ وجل.

(٤) وأشدُّ منه الذي عطَّل الرحمٰن عن أوصافه، وهذا كفر بوجود الرب.

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت(١)

هـذا ومِـنْ تـوحيـدِهِـمْ إثبـاتُ أوْ
صـافِ الكمـالِ لـربِّنـا الـرحمٰـنِ(٢)

كعُلُـــوِّهِ سبحـــانَـــهُ فـــوق السمـــا
واتِ العُلـىٰ بَـلْ فـوقَ كُـلِّ مكـانِ

فهـــو العلـــيُّ بـــذاتـــه سُبحـــانَـــهُ
إذْ يستحيـــلُ خِـــلافُ ذا ببيـــانِ(٣)

وهو الذي حَقّاً علىٰ العَرشْ استَوىٰ
قَـدْ قـامَ بِـالتَّـدْبيـرِ لـلأكْـوانِ

---

(١) أي: توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

(٢) من توحيد الأنبياء والمرسلين إثبات الكمال لله تعالىٰ ونفي النقص عنه.

(٣) من توحيد الأنبياء إثبات علوِّ الله علىٰ مخلوقاته، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] والعروج هو الصعود، ففي القرآن ما يزيد علىٰ ألف دليل يدل علىٰ العُلُوِّ.

فالعلوُّ صفةُ ذات لا تنفك عنه سبحانَه وتعالىٰ، وأمّا الاستواء فهو من صفات الأفعال التي يفعلُها متىٰ شاء سبحانه، وهذا هو الفرق بين العلُوِّ والاستواء.

حَـــيٌّ مُـــرِيـــدٌ قَـــادِرٌ مُتكلِّـــمٌ
ذُو رحْمَـــــــةٍ وإرَادَةٍ وحنَـــــــانِ
هُـــوَ أولٌ هـــو آخـــرٌ هـــو ظـَاهـــرٌ
هـــو بـــاطـــنٌ هـــي أربـــعٌ بِـــوِزانِ[1]
مـــا قَبْلَـــهُ شَـــيْءٌ كـــذا مـــا بَعْـــدَهُ
شَـــيْءٌ تعـــالـــىٰ اللهُ ذُو السُّلْطَـــانِ
مـــا فَـــوْقَـــهُ شـــيءٌ كـــذا مـــا دُونَـــهُ
شـــيءٌ وذا تفسيـــرُ ذي البُـــرهـــانِ[2]

---

(١) كما جاء في الآية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وفسَّرها النبيُّ ﷺ في دعائه بقوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدكَ شيء وأنتَ الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»(*) ومعنىٰ «ليس دونك شيء» أنه لا يحجبُه سبحانَه شيءٌ عن مخلوقاته، بل يراها جميعاً وهو قريبٌ منها، هذا هو تفسير الرسول ﷺ، أمّا الذي يقول: إنّ معنىٰ الظاهر البيِّن بالأدلة كما تقولُه الجهمية والأشاعرة والمعطلة فهذا باطل، وهو يخالف تفسير الرسول ﷺ، فهي أربعٌ متقابلة، اثنان لعُلوِّه ودُنوِّه: الظاهر والباطن. واثنان لأوليته وآخريته لأنَّه ليس له بداية وليس له نهاية فهما اسمانِ لأزليته وأبديته.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥] هذا معنىٰ الباطن لا كما يقولُه الحلولية: الباطن الحالُّ في الأشياء والعياذ بالله، فهو الباطن بعلمه ورؤيته لعباده لا بذاته، وهذا التفسير =

(*) سلف تخريجه ص٢٨٠.

فـــانْظُـــرْ إلــىٰ تَفْسِيــرِهِ بِتَــدَبُّــرِ
وتَبَصُّــــــرٍ وتَعَقُّـــــلٍ لِمَعَــــانِ
وانْظُـرْ إلـىٰ مـا فيـهِ مِـنْ أنـواعِ مَعْـ
ـــرِفَــةٍ لخَــالِقِنَــا العَظِيـمِ الشَّــانِ
وهـــو العلــيُّ فكــلُّ أنــواعِ العُلُــوْ
وِ لَـــهُ فثــابتــةٌ بــلا نُكــرانِ[1]
وهو العظيمُ بكلِّ معنىً يوجبُ التْـ
تَعظيــمَ لا يُحصيــه مِــن إنســانِ[2]
وهـو الجليـلُ فكـلُّ أوصـافِ الجَـلا
لِ لَـــهُ مُحَقَّقَـــةٌ بـــلا بُطْـــلانِ[3]
وهو الجميلُ علىٰ الحقيقة كيف لا
وجمـــالُ ســـائـرِ هـــذه الأكـــوانِ

= لهذه الأسماء الأربعة هو تفسيرُه ﷺ وإذا جاء التفسير عن الرسول ﷺ فإنّه لا يُقدَّمُ عليه شيء.

(١) العلو ثلاثة أنواع: علوُّ ذات وعلوُّ القهر، وعلو القَدْر، وكلها ثابتة لله تعالىٰ عند أهل السنة. وأما أهلُ الضلال إنّما يُثبتون النوع الثاني والثالث فقط ويجحدون أعظم الأنواع وهو علوُّ الذات.

(٢) له العظمة المطلقة التي لا يُشارِكه فيها أحد، فهو أعظم من كلِّ شيء وهو أكبر من كلِّ شيء.

(٣) من أسمائه الجليل، أي: لا شيء أجلّ منه، وكل أوصاف الجلال ثابتة له سبحانه.

مــن بعــضِ آثــارِ الجميــلِ فَـرَبُّهــا
أولـىٰ وأجـدرُ عنـد ذي العِـرفـانِ[١]

فجمـالُـهُ بـالـذاتِ والأوصـافِ والـ
أفعـالِ والأسمـاءِ بـالبُـرهـانِ[٢]

لا شـيْءَ يُشْبِـهُ ذاتَـهُ وصِفَـاتِـهِ
سُبحـانَـهُ عـنْ إفْـكِ ذي بُهْتَـانِ

وهـو المجيـدُ صفـاتُـهُ أوصـافُ تَعْـ
ـظِيمٍ فشأنُ الوصفِ أعظمُ شانِ[٣]

وهـو السميعُ يَـرىٰ ويَسمعُ كـلَّ مـا
فـي الكـونِ مِـن سِـرٍّ ومـن إعـلانِ

ولِكُـلِّ صـوتٍ منـه سَمْـعٌ حـاضِـرٌ
فــالسِّــرُّ والإعــلانُ مُسْتـوِيـانِ

---

(١) خلق اللهُ تعالىٰ الجمالَ وأوجدَهُ في مخلوقاته، فهو أولىٰ به سبحانه وتعالىٰ مِن خَلْقِه، ولذلك يوصف بالجميل، وفي الحديث: «إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال»(*) فهو جميل سبحانَه وتعالىٰ في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو واهبُ الجمال وواهبُ الجمال لا بُدَّ وأن يكون جميلاً.

(٢) الله تعالىٰ جميل في الذات والأسماء والصفات والأفعال، وكل ما يُنسب إلىٰ الله تعالىٰ فهو جميل، الذات والصفات والأفعال، كُلُّها جميلة.

(٣) له المجد المطلق سبحانه وتعالىٰ، وسمَّىٰ نفسه بالمجيد.

(*) أخرجه مسلم (٩١)، وابن حبان ١٢/ ٢٨٠ (٥٤٦٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

والسَّمْـعُ منـه واسِـعُ الأصـواتِ لا
يَخْفَـىٰ عليـه بعيـدُهـا والـدانـي(١)

وهو البصيرُ يرىٰ دبيبَ النملةِ السْـ
ـسَوْداءِ تحـتَ الصخرِ والصَّوَّانِ(٢)

ويرىٰ مجارِي القوتِ في أعضائِها
ويَـرىٰ نيـاطَ عُـروقِهـا بِعِيـانِ(٣)

ويَـرَىٰ خيـانـاتِ العيـونِ بلحظِهـا
ويـرىٰ كـذاكَ تَقَلُّـبَ الأجفـانِ(٤)

---

(١) وهو السميع الذي يسمعُ كلَّ شيء في الكون لا يخفىٰ عليه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]، ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩]، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] وكل الأصوات ترتفع إلىٰ الله بلغاتها وهو يسمعها سبحانه في لحظة واحدة ويقضي جميع حوائج مخلوقاته في آنٍ واحد.

(٢) يرىٰ ويبصر كل شيء سبحانَه وتعالىٰ فهو يرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل لا تخفىٰ عليه.

(٣) ويرىٰ سبحانه مسالك الغذاء فيها ويُنظِّمُهُ سبحانه وتعالىٰ حسب حكمته، ويرىٰ عروقها المتصلة بقلبها، فهو الخلّاق العليم سبحانه وتعالىٰ.

(٤) قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] وخائنة الأعين هي التي تُسارق النظر إلىٰ الحرام، ويرىٰ حركات العين والأجفان.

وهـو العليـمُ أحـاطَ علمـاً بـالـذي
فـي الكـونِ مـن سـرٍّ ومـن إعـلانِ
وبكــل شــيءٍ علمُــهُ سبحــانَـه
فهــو المحيــطُ وليــسَ ذا نِسيــانِ
وكـذاكَ يعلـمُ مـا يكـونُ غـداً ومـا
قَـدْ كـان والمـوجـودَ فـي ذا الآنِ
وكـذاك أمْـرٌ لـم يَكُـنْ لـو كـان كيـ
ـــفَ يكـــونُ ذا إمكـــانِ(١)

* * *

(١) الله تعالىٰ بكل شيء عليم، يعلم ما في السماوات وما في الأرض، يعلم ما كان في الأزل وما يكون في المستقبل، لا يخفىٰ عليه شيءٌ سبحانَه وتعالىٰ، علمُه أزلي ثابتٌ له سبحانَه وتعالىٰ، لا ينفكُّ عنه، وهو محيط بعلمه وقدرته وإرادته وتدبيره بمخلوقاته، وهي بالنسبة إليه كلا شيء علىٰ سعتها وامتدادها واختلافها، هو محيطٌ بها كُلِّها يُدبِّرُها ويُنظمُها، ويعلم ما كان في الأزل، وما يكون في المستقبل، ويعلم الحاضر سبحانه وتعالىٰ، فعلمُه شاملٌ للأزمنة كما أنَّه شامل للأمكنة، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، ومما يدل علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] فهم لا يُردُّون إلىٰ الدنيا أبداً، ولكن لو رُدُّوا فإنَّه سيعلم ما يكون منهم، فهو يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

فصل

وهــو الحميــدُ فكــلُّ حَمْــدٍ واقــعٌ
أو كــان مَفْــروضــاً مــدَىٰ الأزمــانِ
مــلأ الــوجــودَ جميعَــهُ ونظيــرَهُ
مــن غيــرِ مــا عَــدٍّ ولا حُسبــانِ
هــو أهلُــهُ سُبحــانَــهُ وبِحَمْــدِهِ
كلُّ المحامِد وصفُ ذي الإحسانِ[1]

* * *

(١) ومن أسماء الله الحميدُ، وهو الذي له الحمد المطلق الذي لا حصر له، ولهذا يقول ﷺ: «لكَ الحمد ملء السماءِ وملء الأرض وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعد»(*) فحمدُهُ سبحانَه لا حصرَ له ولا يُحصىٰ، ولهذا قال في أول سورة الفاتحة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] أي جميع المحامد لله تعالىٰ وهو الذي يستحقُّها لكمال إنعامه وفضله علىٰ خلقه فهو المحمود علىٰ كل حال، له الحمد المطلق، يُحمدُ لذاته ولأفعاله ولأسمائه وصفاته، والحمدُ في اللغة: هو الثناء علىٰ المحمود بكلِّ كمال وكلِّ حمدٍ، وهو ضدُّ الذم، فهو المحمود المطلق، وأمّا ما سواه فيُحمد علىٰ قدر ما لَهُ من الفضل.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣١/ ٤٦٤ (١٩١١٩)، ومسلم (٤٧٦) من حديث عبد الله ابن أبي أوفىٰ.

فصل

وهــوُ المكلِّــمُ عبــدَهُ مــوســىٰ بِتكـ ـلِيــمِ الخطــابِ وقَبْلَــهُ الأبــوانِ(١)

---

(١) ومن أوصافه سبحانه صفةُ الكلامِ فإنّه موصوفٌ بأنّه يتكلَّم، وكلامه لا يحصيه إلا هو، فكلامُهُ سبحانَه لا حصر له كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، فلو كانت البحار كلها حبراً يُكتب به، ولو كانت الأشجار كلُّها أقلاماً يكتب بها فإن كلام الله لا ينفد؛ لأنَّ كلامَه من أفعاله، وأفعالُهُ جلَّ وعلا لا حصر لها، يتكلَّم متىٰ شاء إذا شاء سبحانَه وتعالىٰ بكلامٍ يُسْمَعُ من غيرِ واسطة أحياناً كما كلَّم موسىٰ عليه السلام وقبلَه كلَّم الأبوين آدمَ وحواء قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢٢] وأحياناً يكلِّم رسلَه بواسطة الوحي الذي ينزلُ به جبريل من الله إلىٰ رسلِه، وكلماتُهُ قدرية وشرعية، فالقدرية هي التي بها يخلق ويرزق وبها يُدبِّر ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢]، فكل ما كان وكل ما يكون فإنَّه كائنٌ حادثٌ بأمر الله وكلامه، وكلامٌ شرعي، وهو حكمُه سبحانَه وشرعُه ودينه ووحيه، فالقرآن والتوراة والإنجيل كلامُهُ وسائر الكُتب المُنزَّلة من كلامه سبحانَه وتعالىٰ الذي به يأمر وينهىٰ ويشرع، فهذا كلامُه الشرعي، وهو يتكلَّم بكلامٍ حقيقي يُسمع بحرفٍ وصوت إذ الكلامُ لا يكون إلا كذلك، ويكون نداءً ومناجاةً ومباشرة بغير واسطة ويكون بواسطة.

كَلمَـاتُـهُ جَلَّـتْ عَـنِ الإحْصـاءِ والتْـ

تَعْـدَادِ بَـلْ عَـنْ حَصْـرِ ذِي الحُسْبَـانِ

لـوْ أنَّ أشْجَـارَ البِـلاَدِ جَمِيعَهَـا الْـ

أقْـــلاَمُ تَكْتُبُهَـــا بِكُـــلِّ بَنَـــانِ

والبَحْــرَ تُلْقَــىٰ فِيــهِ سَبْعَــةُ أبْحُــرٍ

لِكِتَــابَــةِ الكَلِمَــاتِ كُــلَّ زمَــانِ

نَفِــدَتْ ولَــمْ تَنْفَــدْ بِهَــا كَلِمــاتُــهُ

لَيْــسَ الكَــلاَمُ مِــنَ الإلٰــهِ بِفَــانِ

وهــو القــديــرُ وليــس يُعجِــزُهُ إذا

مــا رامَ شيئــاً قــطُّ ذُو سُلطــانِ(١)

وهْـوَ القــويُّ لَـهُ القــوَىٰ جَمْعـاً تعـا

لَــىٰ اللهُ ذو الأكــوانِ والسُّلطــانِ(٢)

---

(١) ومن أسمائِه القدير حيث سمّىٰ نفسَه بالقدير، أي: المُبالغ في القُدرة فهو القادر علىٰ كلِّ شيء، لا يُعجزُه شيء، والمخلوق له قدرة ولكنها قدرة محدودة.

(٢) ومن أسمائه سبحانَه القوي، فالقويُّ اسمُه والقوَّةُ صِفتُه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] وصف نفسَه بالقوة، وله سبحانَه قوةُ القهر والغلبة وقوة الامتناع، فهو قويٌّ بمعنىٰ منيع، لا يضرُّهُ شيء، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يغلبه سبحانَه وتعالىٰ، له قوة الغلبة إذا أراد شيئاً فإنَّه لا يفوتُهُ سبحانه وتعالىٰ، ولن يعجز الله شيء إذا طلبه.

وهْــوَ الغَنِــيُّ بِــذَاتِــهِ فَغِنَــاهُ ذَا
تِــيٌّ لَــهُ كــالجُــودِ والإحْسَــانِ
وهْــوَ العــزيــزُ فلــن يُــرام جنـابُـهُ
أنَّــىٰ يُــرامُ جنــابُ ذي السُّلطــانِ
وهْـوَ العـزيـز القـاهـرُ الغَـلاَّبُ لَـمْ
يَغلِبْــهُ شــيءٌ هــذه صِفتــانِ
وهْــوَ العــزيــز بقــوَّةٍ هــي وَصْفُــهُ
فــالعِــزُّ حينئــذٍ ثــلاثُ معــانِ[1]
وهــي التــي كَمُلَــتْ لَــهُ سُبحـانَـهُ
مِــنْ كُــلِّ وَجْــهٍ عــادِمِ النُّقصــانِ[2]
وهــو الحكيــمُ وذاكَ مِــن أوصـافِـهِ
نــوعَــانِ أيضــاً مــا هُمــا عَــدَمــانِ[3]

---

(١) هي عزة الذات وعزة الغلبة وعزة الامتناع.

(٢) عزتُه وقوتُه كاملتان لا يعتريهما نقص، أمّا المخلوق وإن كان عندَه شيءٌ من القوة والقدرة فهما عُرضة للزوال والعجز والغلبة، فما من قوي إلا وهناك من هو أقوىٰ منه، وما من عزيز إلا وهناك من هو أعزّ منه، هذا في المخلوقات.

(٣) ومن أسمائه سبحانَه الحكيم، فالحكيم اسمه، والحكمة صفتُه سبحانَه وتعالىٰ، والحكيم بمعنىٰ حاكم وهو الذي يحكمُ، وهذا نوعان:

حكمٌ قضائي قدري.

وحكمٌ ديني شرعي، فهو الحاكم بين عباده سبحانَه وتعالىٰ الذي تنتهي إليه الأحكام، والذي يحكم بين عباده فيما اختلفوا فيه، يحكم بين=

حُكْـمٌ وإحْكـامٌ فكـلٌّ منهُمـا
نـوعـانِ أيضـاً ثـابتـا البـرهـانِ(١)

والحُكْـمُ شَـرْعِـيٌّ وكـونـيٌّ ولا
يتـلازمـانِ ومـا هُمَـا سِيَّـانِ(٢)

= عباده بالفصل بينهم يوم القيامة، والحكم القدري يتعلَّق به كل ما في هذا الكون، فإنّه من حكم الله سبحانَه وتعالىٰ قضاءً وقدراً.

والنوع الثاني: الحكيم بمعنىٰ المُحْكِم، أي: الذي أتقن الأشياء كما قال تعالىٰ: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] فهو يُتقن الأشياء ويُحكِمُها ويُعطيها ما تحتاجُ إليه، وكلُّ مخلوقاته مُحْكَمَةٌ ليس فيها نقص بوجهٍ من الوجوه، ومن معاني الحكيم أنَّه يضعُ الأشياء في مواضِعها اللائقة بها، فمن حكمته أنَّه لا يُعذِّب أهل الطاعة ولا يظلمُهم شيئاً من حسناتهم، ومن حكمته سبحانه أنَّه لا يكرم أهل الكفر والإلحاد بل يُجازي كلاً بعمله اللائق به. هذا من حِكْمَتِهِ فيضعُ الإكرام والإحسان فيمن يستحقه، ويضعُ العذاب والنقمة فيمن يستحقهما.

(١) وكذلك هو حكيم بمعنىٰ أنَّه مُحْكِمٌ للأشياء وهذا نوعان:

١ ـ حِكْمَة إتقان.

٢ ـ حكمة وضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، وكل هذا التقسيم مأخوذ من الكتاب والسنة، لكن هذا يحتاج إلىٰ تدبُّر في النصوص وفقهٍ وتأمُّل.

(٢) الحكم الشرعي من لازمه المحبة، وأمّا الحكم القضائي القدري فهذا قد يحبُّه وقد لا يُحبُّه، فالكفر والفسوق والعصيان، هذه الأشياء أرادَها =

بـل ذاك يـوجَـدُ دونَ هـذا مُفْـرَداً
والعكـسُ أيضـاً ثُـمَّ يجتمعـانِ[(١)]

لـن يَخْلُـوَ المـربـوبُ مـن إحـداهُمـا
أو مِنْهُمـا بـلْ ليـس ينتفيـانِ[(٢)]

لكنمـا الشـرعـيُّ محبـوبٌ لـه
أبـداً ولـن يَخْلُـوَ مـن الأكـوانِ

هـو أمـرُهُ الـدينـيُّ جـاءتْ رُسْلُـهُ
بقيـامـه فـي سـائـرِ الأزمـانِ

لكنَّمـا الكـونـيُّ فهـو قضـاؤُهُ
فـي خَلْقِـهِ بـالعـدلِ والإحسـانِ

هـو كلُّـه حـقٌّ وعـدلٌ ذوُ رضـاً
والشـأنُ فـي المَقْضِـيِّ كُـلَّ الشـانِ[(٣)]

= وقضاها كوناً لكنَّه لا يحبها ولا يرضاها شرعاً وديناً، والطاعة قضاها كوناً وشرعاً وهو يحبها ويرضاها، فهناك فرق بين الحكم القضائي الكوني والحكم الديني الشرعي.

(١) قد يجتمع الحكم القدري والشرعي في طاعة المؤمن، وينفرد الحكم القضائي في كفر الكافر وسائر المخالفات.

(٢) لا بُدَّ في كلِّ المخلوقين من الحُكم القضائي أو الشرعي أو هُما جميعاً.

(٣) القدر محمود من الله جلَّ وعلا لأنه لحكمة بالغة، أمّا المُقدَّرُ فقد يكون محموداً إذا كان طاعةً وبرّاً، وقد يكون مذموماً إذا كان كفراً ومعصية.

فلذاكَ نَرضىٰ بالقضاءِ ونسخطُ الـ
ـمَقْضِيَّ حينَ يكونُ بالعِصيانِ(١)
فالله يَرْضَىٰ بالقَضَاءِ ويَسْخَطُ الْـ
ـمَقْضِيَّ مَا الأمْرَانِ مُتَّحِدَانِ
فقضاؤُهُ صِفَةٌ قامَتْ به وما الـ
ـمَقْضِيُّ إلاَّ صَنْعَةُ الإنسانِ(٢)
هذا البيانُ يُزيلُ لَبْساً طالما
هَلَكَتْ عليه النَّاسُ كُلَّ زمانِ(٣)
وَيَحِلُّ ما قد عَقَّدوا بأُصُولِهِمْ
وبُحُوثِهِمْ فافْهَمْهُ فَهْمَ بَيانِ(٤)

---

(١) الأمور المكروهة نعلم أنّ الله قضاها ونؤمن بذلك لكن لا يلزمنا أن نرضىٰ بها ونحبُّها، بل يجب علينا أن نبغضها إذا كانت كفراً وذنوباً ومعاصي، وأمّا القضاء الشرعي فنرضىٰ به لأنّه خير ونعمة من الله تعالىٰ.

(٢) القضاء فعلُ الله، وأمّا المقضي فهو فعلُ العبد طاعةً أو معصية، ولذلك يُثاب علىٰ الطاعة ويُعاقب علىٰ المعصية لأنّها أفعالُه هو بقدرته واختياره ومشيئته.

(٣) هذا البيان في القضاء والقدر والحكم والتفصيل في ذلك، هذا بيان يُزيل الإشكالات ويُرسخ الإيمان في قلب المؤمن، ويسلم من الضلالات التي وقعت فيها الفرق التي لم تُميِّز بين هذه الأمور ولم تُفصِّل فيها؛ لعدم فقههم وإدراكهم وتدبرهم لكتاب الله وسُنَّة رسوله.

(٤) إذا فهمت هذا وأتقنته فإنَّك تُدرك أخطاء أهل الضلال، لكن إذا لم تعرف هذا فقد تظنُّها صحيحة لأنَّ لها دعاية عندهم، وربما تنطلي علىٰ الجاهل الذي لا يميِّز.

مـنْ وافـقَ الكـونـيَّ وافـقَ سُخْطَـهُ
إنْ لـم يـوافـقْ طـاعـةَ الـدَّيَّـانِ[١]
فلـــذاك لا يعـــدُوهُ ذمٌّ أوْ فَـــوا
تُ الحمدِ مَعْ أجرٍ ومَعْ رِضوانِ[٢]
ومُــوافِــقُ الــدينــيِّ لا يعــدُوهُ أجـ
ـرٌ بَـلْ لَـهُ عِنْـدَ الصـوابِ اثنـانِ[٣]

* * *

(١) يعني من عصىٰ الله وكفر به وافق سُخْطَهُ تعالىٰ وإن كان اللهُ قضىٰ ذلك وقدَّرهُ، لكن أنتَ منهيٌّ عن أن تفعل هذا الشيء فعليك اجتنابه.

(٢) يعني الذي يوافق القضاء والقدر ينقسم إلىٰ قسمين:

١ ـ إن كان طاعة فهو محمود ومُثاب عليه.

٢ ـ وما كان معصية فهو مذمومٌ ومُعاقَب، وإن كان الله قضىٰ بهذا وقدَّره إلا أنَّك أنتَ فعلت هذا بمشيئتك وإرادتك.

(٣) يعني ما وافق القضاء الديني كما قال ﷺ: «إذا حكم الحاكم، فاجتهد، فأصاب، فلَه أجران، وإذا حكم، فاجتهدَ فأخطأ، فلهُ أجرٌ»(*) لأنَّ الله أمرَ بالاجتهاد والبحث والتحرِّي عن الحق فإذا استفرغ وُسْعَهُ عن علمٍ وفقه فهو مأجور علىٰ كلِّ حالٍ في الإصابةِ والخطأ.

(*) سلف تخريجه ص٥٦١.

فصل

والحِكْمَـةُ العُلْيَـا علـىٰ نَـوْعَيْـنِ أيْـ
ـضـاً حُصِّـلا بِقَـوَاطِـعِ البُـرهَـانِ
إحْـداهُمَـا فـي خَلْقِـهِ سُبْحَـانَـهُ
نَـوْعَـانِ أيْضـاً ليْـسَ يَفْتَـرِقَـانِ
أحْكَـامُ هـذا الخَلْـقِ إذْ إيجَـادُهُ
فـي غَـايَـةِ الإحْكَـامِ والإتْقَـانِ
وصُـدُورُهُ مِـنْ أجْـلِ غَـايَـاتٍ لَـهُ
ولَـهُ علَيْهَـا حَمْـدُ كُـلِّ لِسَـانِ
والحِكْمَـةُ الأُخْـرَىٰ فَحِكْمَـةُ شَـرْعِـهِ
أيْضـاً وفِيهَـا ذانِـكَ الـوصْفَـانِ
غـايـاتُهَـا الـلاَّتـي حُمِـدْنَ وكـوْنُهَـا
فـي غـايـةِ الإتْقَـانِ والإحسـانِ

* * *

فصل

وهُـوَ الحَيِـيُّ فليـس يَفْضَـحُ عبـدَهُ
عنـدَ التَّجـاهُـرِ منـه بـالعِصيـانِ[(١)]

لكنَّــــهُ يُلقِــــي عليــــه سَتْــــرَهُ
فهُـو السَّتِيـرُ وصـاحـبُ الغُفـرانِ[(٢)]

---

(١) الله جل وعلا يوصف بالحياء كما في الحديث: «إنَّ الله حييٌّ كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردُهُما صفراً»[(*)] وهو حياء يليق به، وفي الحديث الآخر: أنَّ ثلاثة دخلوا المسجد والنبيُّ ﷺ يُحدِّثُ أصحابه فأمّا الأول فجلس في الحلقة (رغبةً في العلم) وأمّا الآخر فجلس خلف الحلقة، وأمّا الثالث فذهب وترك الحلقة فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أمّا الأول فأوىٰ فآواهُ الله، وأمّا الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأمّا الثالث فأعرض فأعرض الله عنه»[(**)] والشاهد «فاستحيا الله منه» وهو حياءٌ يليق به ليس كحياء المخلوقين.

(٢) هذا من فضله وحيائه سبحانَه وتعالىٰ: أنَّه يسترُ عباده وهم يُذنبون ويمهلهم لعلهم يتوبون ولا يفضحهم.

(*) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص٩٠، وبنحوه أخرجه أحمد ٣٩/ ١١٩-١٢٠ (٢٣٧١٤، ٢٣٧١٥) من حديث سلمان الفارسي، وهو حديث صحيح.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/ ٢٣٨. (٢١٩٠٧)، والبخاري (٦٦) و(٤٧٤)، ومسلم (٢١٧٦) من حديث أبي واقد الليثي.

وهـو الحَليـمُ فـلا يُعـاجِـلُ عبـدَهُ
بعقُـوبـةٍ ليتـوبَ مِـن عصيـانِ[١]

وهُـوَ العَفُـوُّ فعفْـوُهُ وَسِـعَ الـورىٰ
لـولاهُ غـارَ الأرضُ بـالسُّكّـانِ[٢]

وهـو الصَّبُـورُ علـىٰ أذىٰ أعـدائِـهِ
شَتمُـوهُ بـل نَسبـوهُ للبُهتـانِ

قـالـوا لـهُ ولـدٌ وليـس يُعيـدُنـا
شَتْمـاً وتكـذيبـاً مـن الإنسـانِ

هـذا وذاكَ بِسَمْعِـهِ وبعلمِـهِ
لـو شـاءَ عـاجلَهُـم بكـلِّ هـوانِ

---

(١) كذلك من أسمائه الحليم، والحِلْم صفتُه سبحانه، ومن حِلْمه عدم المعاجلة بالعقوبة بل يُمهل عبدَه إذا عصىٰ وخالف لعلَّهُ يتوب ويرجع إلىٰ الله تعالىٰ، وهذا بسبب حلمه علىٰ العبد.

(٢) وهو العَفُوُّ الذي يعفو عن عباده ويتوبُ عليهم، والعَفْوُ: هو الستر، يُقال: أعفىٰ الأثر: إذا ستَرَهُ، أو هو الإزالة، يُقال: عفت الديار: إذا زالت آثارها، سُمّي اللهُ بالعَفُوِّ لأنَّه يُزيل عن العاصي معصيته ويتوب عليه، ولولا عفو الله وحِلْمُه لهلك العالم كُلُّه في لحظة ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] فهذا من عفوه سبحانه وتعالىٰ وحلمه.

780

لكــن يُعــافيهِــمْ ويــرزقُهُــمْ وهُــمْ
يُــؤْذونَــه بــالشِّــرْكِ والكُفــرانِ[1]

* * *

(١) من أسماء الله الصبور، فهو يصبر علىٰ ما يصدر من العباد في حقه سبحانَه وتعالىٰ، يؤذونه ويسبونه ويكفرون به وينسبون إليه الولد والبنت والزوجة إلىٰ غير ذلك من النقائص وهو يصبر ولا يُعاجلُهم بالعقوبة، بل يرزقُهم ويُعطيهم مع أنَّهم يؤذونه، فهو الصبور المبالغ في الصبر علىٰ ما يصدر في حقه سبحانَه وتعالىٰ من أذىٰ عباده.

فصل

وهو الرقيبُ علىٰ الخواطرِ واللوا
حِظِ كيفَ بالأفعالِ بالأرْكانِ(١)
وهو الحفيظُ عليهِمُ وهو الكفيـ
ـلُ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كلِّ أمرٍ عانِ(٢)
وهو اللطيفُ بعبدِهِ ولعبدِهِ
واللُّطْفُ في أوصافِهِ نوعانِ

---

(١) هو الرقيبُ سبحانَه وتعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] الذي يراقب عباده ويراهم ويسمعهم ولا يخفون عليه، بل لا تخفىٰ عليه ضمائرهم ونياتهم، لا يخفىٰ عليه شيءٌ من أمورهم فهو يراقبهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ﴾ [فصلت: ٤٠] ولهذا لما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان فقال له: «أخبرني عن الإحسان» قال: «الإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراهُ فإنَّه يراك»(*).

(٢) الحفيظ الذي يحفظُ عليهم أعمالَهُم ويُحصيها عليهم ويُحاسبهم عليها، وقد وكَّل بذلك ملائكةً يكتبون، وهم الحفظة، يكتبون أعمال العباد، ويحفظ عباده عما يضرهم.

(*) قطعة من حديث عمر بن الخطاب أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، وهو في «مسند أحمد» ١/ ٤٣٤-٤٣٦ (٣٦٧) وفيه تمام تخريجه. وانظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ١/ ٩٣ الحديث الثاني.

إدراكُ أســـرارِ الأُمُـــورِ بخِبْـــرةٍ
والُّلُطْـفُ عِنْـدَ مـواقـعِ الإحســانِ
فيُـــريــكَ عِـزَّتَــهُ ويُبــدي لُطْفَــهُ
والعبدُ في الغفلاتِ عن ذا الشانِ[١]

* * *

(١) اللطيف من أسماء الله قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

واللطف نوعان:

النوع الأول: لطف بمعنىٰ إدراك أسرار الأمور ومكنونات الصدور، فاللطيف هنا بمعنىٰ الذي يُدركُ أعمال عباده من حيثُ لا يشعرون.

النوع الثاني: اللطف بمعنى الرحمة والرأفة يُنعم عليهم، وهو لطفُ إحسانٍ وإكرام منه تعالىٰ، وهو جلَّ وعلا قادرٌ علىٰ أن يُعاقبكَ، فإذا تبتَ إليه فإنَّه تعالىٰ يُبدي لُطفَه بك فيقبلُ توبتك.

فصل

وهو الرفيقُ يحبُّ أهلَ الرفقِ بَلْ
يُعطِيهُـمُ بـالـرِّفْـقِ فـوقَ أمـانِ(١)
وهو القريبُ وقُربُهُ المختصُّ بالدْ
دَاعـي وعـابـدِهِ علـىٰ الإيمـانِ(٢)

---

(١) من أسمائه تعالىٰ: الرفيق، ولهذا يقول ﷺ: «إن اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرفقَ»(*) والرفق خصلةٌ حميدة ضدُّ الشدة والعنف، ومن الرفق بالعباد: أنَّ الله لا يُحمِّلُهم ما لا يطيقون لعلمه سبحانَه أَنَّهُم لا يُطيقون، فلذلكَ لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلاّ وسعها. وهذا من رفقه سبحانَه وتعالىٰ بعباده فضلاً منه وإحساناً، ومن رفقه سبحانَه أنَّه جعلَ هذا الدينَ سمحاً يتماشىٰ مع قُدرة الإنسان ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ومن رفقه أنه يشرع الشرائع الشاقة بالتدريج حتىٰ يتمرَّنُوا عليها.

(٢) من أسمائه سبحانَه وتعالىٰ: القريب، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقربُه سبحانَه وتعالىٰ علىٰ نوعين:

الأول: قربٌ عام لجميع الخلق بمعنىٰ أنه لا يخفىٰ عليه شيءٌ ممَّا يحصل من أفعال العباد وما يحصل في الكون، فهذا قربٌ عامّ من جميع =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٧/٣٥٦ (١٦٨٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٢)، وأبو داود (٤٨٠٧)، من حديث عبد الله بن مغفل وهو حديث صحيح. وانظر تمام تخريجه في «المسند».

وهـو المجيبُ يقـولُ مَـنْ يَـدْعُـو أُجِبْـ
ـهُ أنا المجيبُ لكلِّ مَنْ ناداني[١]

وهـو المُجيـب لـدعـوة المضطـر إذ
يـدعـوهُ فـي سـرٍّ وفـي إعـلانِ[٢]

= الخلق بمعنىٰ أنَّه يعلمُ أحوالَهُم ليس ببعيدٍ عنهم ولا بغافلٍ عنهم مع أنَّه عليٌّ فوق مخلوقاته.

النوع الثاني: القرب الخاصّ من عباده المؤمنين، يستجيب دُعاءهم ويعتني بهم، مع أنَّه سبحانَه فوقَ مخلوقاته عالٍ علىٰ خَلقه، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] فهو الظاهر بكونه فوقَ مخلوقاته، والباطن وهو القريب منهم فهو عليٌّ في دُنوّه قريبٌ في عُلوّه سبحانَه وتعالىٰ.

(١) من أسمائه سبحانه المجيب بمعنىٰ الذي يُجيبُ مَنْ دعاه، قال تعالىٰ: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وفي الحديث: «ينزلُ ربُّنا كلَّ ليلة إلىٰ السماء الدُّنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر يقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له؟ مَنْ يسألني فأُعطيه؟ مَنْ يستغفر فأغفر له؟»(*) فهو يجيب من دعاه ويسمع دعاء عباده ويُعطي كلَّ سائل ما سأل ولا يتبرم من سؤال السائلين لكرمه وجُوده سبحانَه وتعالىٰ، ولا تتعاظم المسألة فإنَّ الله لا يتعاظمُهُ شيءٌ أعطاه بشرط ألاّ يكون في سؤالك اعتداء، بأن تسأل شيئاً لا يليق بك أو تسأل شيئاً فيه ظلمٌ لأحد.

(٢) والمضطر بصفةٍ خاصة يستجيبُ الله دعاءَهُ لضرورته ولو كان كافراً ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن =

(*) سلف تخريجه ص١٣٠.

وهـو الجـوادُ فجـودُهُ عـمَّ الـوجـو
دَ جميعَــهُ بــالفَضْــلِ والإحســانِ
وهـو الجـوادُ فـلا يُخيِّـبُ سـائـلاً
وَلَــوَ انَّــهُ مِــنْ أُمَّــةِ الكُفــرانِ(١)
وهـو المغيـثُ لكـلِّ مخلـوقـاتِـهِ
وكــذا يُجيــبُ إغــاثــةَ اللهفــانِ(٢)

* * *

= تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧].
فالمضطر تُستجاب دعوتُه ولو كان كافراً وهذا من كرمه سبحانَه وتعالىٰ.

(١) من أسمائِه الجواد الذي يجودُ علىٰ عباده بأعظم أنواع الجود فيُعطيهم ولا يبخلُ عليهم سبحانَه وتعالىٰ، فهو الجواد ومنه الجود المُطلق سبحانَه وتعالىٰ.

(٢) من أسمائِه المُغيث الذي يُغيث المحتاجين، والغوث: هو إعطاء المحتاج وإنقاذه من الهلاك، فالغوث يكون عند الشدة، فالإغاثة نوعان:
إغاثة عامة للخلق. وإغاثة خاصة باللهفان والمضطر الذي وقع في خطر وفي شدة، والاستغاثة في الأمور التي لا يقدرُ عليها إلا الله لا تُطلب إلا من الله تعالىٰ كشفاء المريض وإغناء المحتاج، وأمّا الإغاثة التي يقدر عليها المخلوق فيجوز أن يستغاث بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، قال تعالىٰ: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥].

فصل

وهـــو الـــودودُ يُحِبُّهُـــمْ ويُحِبُّـــهُ
أحبـــابُـــهُ والفَضْـــلُ للمنَّـــانِ[١]

وهـو الـذي جعـلَ المحبَّةَ فـي قُلُـو
بِهِـمُ وجـازاهُـمْ بِحُـبٍّ ثـانِ[٢]

هـذا هـو الإحسـانُ حَقّـاً لا مُعـا
وَضَـةً ولا لِتَـوَقُّـعِ الشُّكـرانِ[٣]

---

(١) الودود من أسمائه تعالىٰ، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] فالودود صيغة مبالغة من الود، وهو المحبة، فهو يحبُّ عبادَه المؤمنين ويُحبُّه عبادُه المؤمنون، وقرن الغفور بالودود، هذا من خصائصه سبحانَه وتعالىٰ فإنَّه إذا تاب إليه العبد واستغفره فإنَّه يغفر له، ومع ذلك يودُّهُ، بخلاف المخلوق إذا أخطأت في حقِّه وطلبت منه المسامحة فإنَّه قد يُسامحك، لكن يكون في قلبه كراهة لك مع أنَّه قد يسامحك، وأما الله سبحانه وتعالىٰ فإنَّه يعفو عنك ومع ذلك فإنَّه يودُّك ويحبك.

(٢) هو جعل المؤمنين يحبونه وأثابهم علىٰ ذلك بأن أحبهم تعالىٰ فله الفضلُ في ذلك سبحانَه وتعالىٰ.

(٣) فالله تعالىٰ يُعطي ولا يقصد من ذلك معاوضة كما يقصد المخلوق مع المخلوق إذا أعطاهُ شيئاً، فإنَّه يرجو أن يردَّ عليه بالمثل، وينفعه كما نفعَهُ بما أعطاهُ، فكلٌّ منهما يرجو الآخر، وهو تعالىٰ يُعطيك ولا يرجو منك مردودا.

لكـنْ يُحِـبُّ شَكُـورَهُـم وشُكُـورَهُـمْ
لا لاحتيـــاجٍ منـــه للشُّكْـــرانِ[١]
وهـو الشَّكُـورُ فلـن يُضيِّـعَ سَعْيَهُـمْ
لكـــنْ يُضـاعِفُــهُ بـلا حُسبـانِ[٢]
مـــا للعبـــادِ عليـــه حـــقٌّ واجـــبٌ
هـــو أوجـبَ الأجـرَ العظيـمَ الشـانِ
كـــلاَّ ولا عمـــلٌ لـــديـــه ضـــائـــعٌ
إنْ كـــانَ بـــالإخـــلاصِ والإحســـانِ
إنْ عُـــذِّبـــوا فَبِعَـــدْلِـــهِ أو نُعِّمُـــوا
فَبِفَضْلِـــهِ والحمـــدُ لِلْمَنَّـــان[٣]

---

(١) قوله: يحبُّ شَكُورَهم بفتح الشين، وهو اسم فاعل من شكر يشكر فهو شاكر، أمّا الشُّكور بالضم فهو المصدر من شكر يشكر شكوراً وشكراناً، فهو يحب الشَّكور من العباد ويحبُّ شُكرَهم، وهو الفعل، وإذا شكروه زادهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

(٢) من شُكره سبحانَه لعباده أنَّه لا يُضيِّعُ أفعالهم الجميلة بل يُجازيهم عليها خيراً، ويُثيبهم عليها، فهو الذي أنعم عليهم بالإيمان، ومع ذلك يُثيبُهم عليه، وهذا من كرمه سبحانَه وتعالىٰ.

(٣) هذه المسألة وهي: هل للعباد حقٌّ واجب علىٰ الله تعالىٰ كما جاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه «أتدري ما حقُّ الله علىٰ العباد، وما حقُّ العباد علىٰ الله؟» قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «حق الله علىٰ العباد أن =

. . . .

= يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد علىٰ الله ألاّ يُعذِّب من لا يشركُ به شيئاً»(*) فحقُّ الله علىٰ العباد واجب، لأنَّه هو ربُّهم وخالقُهم والمُنعمُ عليهم، وهو أعظم وأوّل الواجبات وهو الذي خلقهم لأجله، أمّا حقُّ العباد علىٰ الله فليس بواجب، وإنّما هو تفضُّلٌ منه سبحانَه وتعالىٰ، لأنَّه لا يوجب أحدٌ علىٰ الله شيئاً، وإنما هو حقّ أوجبَهُ علىٰ نفسه بوعده الكريم حيث قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] والمعتزلة يقولون: يجب علىٰ الله إثابة المطيع. وهذا من إساءة الأدب مع الله تعالىٰ.

ومن كرمه أنّه لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، وليس ذلك واجباً عليه، ولكنّه كرمٌ منه سبحانَه وتعالىٰ، ولو قارنت بين عمل العبد وما لَهُ من الحسنات مع نعم الله سبحانَه وتعالىٰ ما ساوىٰ عمله ولا أقل نعمة واحدة من نعم الله تعالىٰ، فالله يُثيبهم مع أنَّ أعمالهم لا تُقاربُ نعمَهُ تعالىٰ، وهذا من كرمه سبحانَه وتعالىٰ، فمغفرته ورحمتُهُ فضلٌ منه وإحسان، وتعذيبُهُ للعُصاة بما كسبت أيديهم عدل منه سبحانَه وتعالىٰ.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/ ٣١٧ (٢١٩٩١)، والبخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠) من حديث معاذ بن جبل.

فصل

وهــو الغفــورُ فلــو أتــىٰ بِقُــرابِهــا
مِــن غيــرِ شِــرْكٍ بَــلْ مــن العِصيــانِ
لأتــاهُ بــالغُفــرانِ مِــلْءَ قُــرابِهَــا
سبحــانَــهُ هــو واســعُ الغُفــرانِ[1]
وكــذلــكَ التــوّابُ مِــن أوصــافِــهِ
والتَّــوْبُ فــي أوصــافِــهِ نــوعــانِ

---

(١) ومن أسمائِه سبحانَه الغفور، صيغة مبالغة من الغَفْر، وهو السَّتْرُ، ومنه المِغْفَر الذي يكون علىٰ الرأس، فاللهُ يغفرُ الذنوب بمعنىٰ أنَّه يسترُها ويمحو أثَرها عن المؤمن، وهو واسعُ المغفرة سبحانَه وتعالىٰ، ولذلك فالموحِّد يرجو مغفرة الله وإن عظُمت ذنوبه، وأمّا المشرك الذي مات علىٰ الشرك الأكبر ولم يتُب فهو لا طمع له في مغفرة الله سبحانَه وتعالىٰ؛ لأنَّه لم يأتِ بسبب المغفرة وهو التوحيد. وجاء في الحديث القدسي: «يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثمّ لقيتني لا تُشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقُرابِها مغفرة»(*) فهذا فيه فضل التوحيد وخطر الشرك الذي يتعارض مع المغفرة.

(*) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك، وقال: هذا حديث حسن غريب.

إذْنٌ بتـــوبـــةِ عبْـــدِهِ وقَبُـــولِهَـــا
بعـــدَ المتـــابِ بِمِنَّـــةِ المَنَّـــانِ[1]

* * *

(١) ومن أسمائِه تعالىٰ التواب، وهو صيغة مبالغة ومعناه كثير التوبة، والتوبة في اللغة معناها: الرجوع، يقال: تاب إذا رجع، فاللهُ تعالىٰ يتوب علىٰ العبد بمعنىٰ أنَّه يعود عليه بالفضل والإحسان. وتوبة العبد رجوعه عن المعصية إلىٰ الطاعة. وتوبةُ الله علىٰ عبده نوعان:

النوع الأول: توفيقُهُ للتوبة وإرجاعُهُ للطاعة.

النوع الثاني: أنّه تعالىٰ يقبل توبته.

فصل

وهـو الإلٰـهُ السيِّـدُ الصَّمَـدُ الـذي
صَمَـدَتْ إليـه الخَلْـقُ بـالإذعـانِ
الكاملُ الأوصافِ مِن كُلِّ الوجُوْ
هِ كمـالُـهُ مـا فيـه مـن نُقصـانِ(١)
وكـذلـكَ القهَّـارُ مـن أوصـافِـهِ
فـالخَلْـقُ مَقْهـورونَ بـالسُّلطـانِ
لـو لـم يكـن حَيّـاً عـزيـزاً قـادراً
مـا كـان مِـن قَهْـرٍ ولا سُلطـانِ(٢)

---

(١) هو الإلٰه: يعني المعبود بحق سبحانَه وتعالىٰ، وما سواهُ من المعبودات فهي آلهةٌ باطلة، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾[الحج: ٦٢] فهو الإلٰه الحق سبحانَه وتعالىٰ، ومن أسمائه السَّيِّد، والسيد هو الملك، فهو مالكُ المُلك سبحانَه وتعالىٰ، فالسيادةُ المُطلقة له سبحانَهُ وتعالىٰ، والصمد من أسمائِه تعالىٰ وفيه تفاسيرُ كثيرة:
قيل: إنَّه الذي تصمدُ إليه الخلائق بالحوائج وهذا تفسير الناظم.
وقيل: الصمد هو الغني عمّا سواه فلا يحتاجُ إلىٰ أحد.
ومن معاني الصمد: أنّه الكامل الأوصاف ما فيه صفة من صفاته إلا وهي تامّة ليس فيها نقص.

(٢) القهّار من أسماء الله وصفاته قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦] والقهّار: هو الذي انقادَ له كلُّ شيء. قهر الخلق بمعنىٰ: انقادت له كلُّ الخلائق، لم يخرُج أحدٌ عن قدره وقضائِه سبحانَه وتعالىٰ، وعن مُلكه، =

وكـــذلـــك الجَبَّـــارُ مـــن أوصـــافِـــهِ
والجَبْـــرُ فـــي أوصـــافِـــهِ قِسمـــانِ
جَبْرُ الضعيفِ وكلُّ قلبٍ قد غدا
ذا كَسْـــرةٍ فـــالجَبْـــرُ منـــهُ دانِ
والثـانـي جَبْرُ القهـرِ بـالعـزِّ الـذي
لا ينبغـــي لِســـواهُ مـــن إنْســـانِ
ولـــهُ مُسمَّـــىً ثـــالـــثٌ وهُـــو العُلُـــوْ
وُ فليـس يـدنُـو فيـهُ مـن إنسـانِ
مِـــن قـــولِهـــم جَبّـــارَةٌ للنخلـــةِ الْـ
ـعُليـا التـي فـاتَـتْ لِكُـلِّ بَنـانِ[1]

= فيُقال: الواحد القهّار؛ لأنَّه ليس هناك قهّارٌ غيرُه، فلا أحد يستعصي علىٰ أمر اللهِ الكوني، ولفظ القهار يستلزم الحياة ويستلزم العِزَّة والقُدرة، فالذي ليس بحيّ لا يكون قهّاراً، والذي ليس بقويّ لا يكون قهّاراً، فاسمُهُ القهّار يتضمَّن شيئين:

الأول: العزَّة والقدرة.

الثاني: أنّه كامل الحياة، لأنَّ الميت لا يقهرُ أحداً.

(١) وكذلك من أسمائه الجبار، وله ثلاثة معان:

الأول: جبر الضعيف والمنكسر، يجبرُهُ بمعنىٰ يُقويه من ضعفه ومن انكساره فهو الذي يجبرُ الضعيف والمصاب.

الثاني: جبر القهر فهو مثل القهار الذي لا أحد يخرج عن تدبيره وإرادته سبحانَه وتعالىٰ.

الثالث: الجبار بمعنىٰ: العالي، يُقال: نخلَةٌ جبَّارة يعني مُرتفعة، فكل هذه المعاني تدخل تحت اسم الجبار.

فصل

وهــو الحسيــبُ كِفـايــةً وحمــايــةً

والحَسْبُ كـافـي العَبْـدِ كُـلَّ أوانِ(١)

وهــو الــرشيــدُ فقــولُــهُ وفِعــالُــهُ

رُشْــدٌ ورَبُّــكَ مُــرْشِــدُ الحَيــرانِ

وكــلاهمــا حــقٌّ فهــذا وَصْفُــهُ

والفعــلُ لــلإرشــادِ ذاك الثــانــي(٢)

والعــدلُ مِــن أوصــافِـهِ فــي فعلِـهِ

ومقــالِـهِ والحُكْـمِ فــي الميــزانِ(٣)

فعَلــىٰ الصِّــراطِ المُسْتَقِيــمِ إلٰهُنَــا

قــوْلاً وفِعْــلاً ذاكَ فــي القُــرآنِ

---

(١) من أسمائه الحسيب بمعنىٰ: أنّه حَسْبُ عبادِه يعني: يكفيهم جميع ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم، فالحَسْبُ هو: الكفاية قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤] أي: كافيكَ الله ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ١٢٩] أي: كافيني.

(٢) من أسمائه الرشيد، والرشيد يأتي بمعنيين:

الأول: المُرشِد، يعني الذي يُرشدُ عبادَه ويدلُّهم إلىٰ الخير.

الثاني: بمعنىٰ راشد في أفعاله، فأفعالُه كلُّها رُشْد، والرُّشْد ضدّ الغيّ، فكل هذين المعنيين يدخل تحت اسم الرشيد.

(٣) يُوصف الله بأنه عدل، وحَكَم عدل بمعنىٰ أنَّه جلَّ وعلا يعدلُ في حكمه بين النّاس فيُجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

فصل

هذا ومِنْ أوصافِهِ القُدُّوسُ ذو التْـ
تَنْـزِيـه بـالتعظيـمِ للـرحمٰـنِ[١]

وهـو السـلامُ علىٰ الحقيقةِ سـالـمٌ
مِـن كـلِّ تمثيـلٍ ومِـنْ نُقصـانِ[٢]

والبِـرُّ فـي أوصـافِـهِ سبحـانَـهُ
هـو كثـرةُ الخيـراتِ والإحسـانِ

صدَرَتْ عـن البِرِّ الذي هـو وصْفُهُ
فـالبِـرُّ حينئـذٍ لَـهُ نـوعـانِ

وصْـفٌ وفعـلٌ فهـو بَـرٌّ مُحْسِـنٌ
مُـولِـي الجميـلِ ودائـمِ الإحسـانِ[٣]

---

(١) من أسمائه الملك القدوس فالملك هو الذي بيده الملك والقدوس معناه: المُنزَّه عن كلِّ عيب وعن كلِّ نقص.

(٢) من أسمائِهِ: السلام، أي: السالم من كلِّ النقائص والعيوب والمسلم لغيره في كل محذور.

(٣) ومن أسمائه البَرُّ مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] والبَرُّ: بالفتح مأخوذٌ من البِرِّ بالكسر، وهو كمال الإحسان. فهو البَرّ في أفعاله العطوف علىٰ عباده ببِرِّه ولطفه، والبِرّ من أوصافِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ.

وكـذلـك الـوهَّـاب مِـن أسمـائِـهِ
فـانظـرْ مـواهِبَـهُ مـدىٰ الأزمـانِ[١]

أهلُ السموات العُلىٰ والأرضِ عَنْ
تلـك المـواهـبِ ليـس يَنْفكّـانِ[٢]

وكـذلـك الفَتّـاحُ مـن أسمـائِـهِ
والفُتْـحُ فـي أوصـافـه أمـرانِ

فَتْـحٌ بحُكـمٍ وهـو شـرعُ إلٰهنـا
والفتـحُ بـالأقـدارِ فتـحٌ ثـانِ

والـربُّ فَتّـاحٌ بـذَيْـنِ كِلَيْهمـا
عـدلاً وإحسـانـاً مـن الـرحمٰـنِ[٣]

وكـذلـك الـرَّزّاقُ مِـن أسمـائِـه
والـرِّزْقُ مِـنْ أفعـالِـهِ نَـوعـانِ

---

(١) الوهّاب: صيغة مبالغة من الهبة وهي: العطاء، فكل النعم والإحسان من عطائه تعالىٰ.

(٢) ليس كثرة مواهبه سبحانَهُ خاصة بأهل الأرض بل هي عامّةٌ لأهل السموات وأهل الأرض من الملائكة والآدميين والجن والإنس.

(٣) كذلك الفتاح من أسمائِه كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦] فالفتَّاحُ لَهُ معنيان:

أحدهما: الفتَّاح بمعنىٰ: المقدِّر للمقادير والقضاء.

والثانـي: بمعنىٰ: الذي يشرعُ لعباده سبحانَهُ علىٰ ألسنة الرسل ما يحلُّ مشكلاتهم ويفتحُ معضلاتهم وما استغلق أمامهم.

رزقٌ علىٰ يـدِ عبـدِهِ ورسـولِـهِ
نـوعـانِ أيضـاً ذانِ مَعْـروفـانِ
رِزْقُ القلوبِ العلمَ والإيمانَ والـرْ
رِزْقُ المُعَـدُّ لهـذه الأبـدانِ
هـذا هـو الـرزقُ الحـلالُ وربُّنـا
رَزَّاقُـهُ والفضـلُ للمنَّـانِ
والثاني سَوْقُ القوتِ للأعضاءِ في
تِلكَ المجـاري سَـوْقَـهُ بِـوِزانِ
هـذا يكـون مـن الحـلالِ كما يكـو
نُ مـن الحـرامِ كـلاهُمـا رِزقـانِ
واللهُ رازِقُـهُ بهـذا الاعتبـا
رِ وليـس بـالإطـلاقِ دُونَ بَيـانِ(١)

---

(١) من أسماء الله الرزَّاق، صيغة مبالغة، اسم فاعل بمعنىٰ رازق، والرزق هو العطاء فاللهُ هـو الرّزاق المطلق كما قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١] وما يجري علىٰ يد فلان وفلان إنما هو بالواسطة، وإلاَّ فهو من الله تعالىٰ. والرزق علىٰ معنيين:

أحدهما: رزق معنوي.

الثاني: رزق حسِّي، فالرزق المعنوي هو رزق العلم والهداية التي جاءت علىٰ يد الرسول ﷺ من الله من هداية القلوب بالإيمان والنجاة من الكفر والقيام بالأعمال الصالحة. هذا رزقٌ من الله بالعلم.

الرزق الحسِّي من المأكل والمشرب والمساكن والمراكب والأموال كل هذا من رزق الله تعالىٰ.

فصل

هــذا ومــن أوصــافِــهِ القيُّــومُ والـ
ـقَيُّــومُ فــي أوصــافِــهِ أمــرانِ

إحــداهُمــا القيُّــومُ قــامَ بنفسِــهِ
والكــونُ قــامَ بــه هُمــا الأمــرانِ[١]

فــالأوَّلُ اسْتِغْنَــاؤُهُ عَــنْ غَيْــرِهِ
والفَقْــرُ مِــنْ كُــلٍّ إليْــهِ الثَّــانــي

والــوصــفُ بــالقيُّــومِ ذو شــأنٍ كــذا
مــوصُــوفُــهُ أيضــاً عظيــمُ الشــانِ

والحــيُّ يتلُــوهُ فــأوصــافُ الكمــا
لِ هُمــا لأُفــقِ سمــائِهــا قُطبــانِ[٢]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الحي: يعني كامل الحياة، والقيُّوم صيغة مبالغة من قام يقوم فهو قيَّام وقيُّوم، وقُرِئت الآية باللفظين «قيُّوم» و«قَيَّام» والقيوم لَهُ معنيان:

أحدهما: القائم بنفسه الغني عمَّا سواه.

الثاني: المُقيمُ لغيره، فاللهُ جلَّ وعلا قامت به السماوات والأرض ومن فيهنَّ، فهو قائمٌ بها جلَّ وعلا ومقيمها بقدرته جلَّ وعلا.

(٢) هذان الاسمان: الحي القيوم ترجعُ إليهما جميعُ الأسماء والصفات، فالحي: ترجعُ إليه كل صفات الذات من العلم والقُدرة والإرادة والسمع والبصر، والقيُّوم: ترجع إليه كل صفات الأفعال من الخلق والرزق والإحياء=

فـالحَـيُّ والقَيُّـومُ لـنْ تتخَلَّـفَ الْـ
أوصَـافُ أصْـلاً عنْهُمَـا بِبَيَـانِ
هُوَ قابضٌ هُوَ باسِطٌ هُوَ خَافِضٌ
هُـوَ رافِـعٌ بِـالعَـدْلِ والإحسَـانِ
وهـو المُعِـزُّ لأهـلِ طـاعتِـهِ وذا
عِـزٌّ حقيقـيٌّ بـلا بُطـلانِ
وهـو المُـذلُّ لمـن يشـاءُ بِـذِلَّـةِ الـذْ
دَاريـنِ ذُلَّ شَقـا وذُلَّ هـوان[1]
هـو مـانـعٌ مُعـطٍ فهـذا فَضْلُـهُ
والمَنْـعُ عيـنُ العـدلِ للمنَّـانِ[2]
يُعطـي بـرحمتِـهِ ويمنَـعُ مَـنْ يشـا
ءُ بحكمـةٍ واللهُ ذُو سُلْطـانِ

= والإماتة والتدبير، ولذلك يُروىٰ أنَّ الحيَّ القيوم هما اسم الله الأعظم، لأنهما ترجعُ إليهما جميع الصفات الذاتية والفعلية.

(١) المُعز: يعني المُقوي والمؤيِّد سبحانَهُ وتعالىٰ لمن يشاء بسبب الطاعة، قال تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦] والمذل معناه الذي يضع الذل والهوان في الدنيا والآخرة علىٰ من يشاء بسبب الكفر والمعاصي.

(٢) العطاء هو منح الخير فضلاً منه سبحانه لأنَّهُ لم يجب عليه شيء بل هو المتفضِّل سبحانَهُ وتعالىٰ، وأمَّا المنع فهو عدلٌ منه لا يمنع إلاَّ من يستحق أن يُمنع بسبب ذنوبه والمنان هو المعطي.

فصل

والنـورُ مـن أسمـائِـهِ أيضـاً ومِـنْ
أوصـافِـهِ سُبحـانَ ذي البُـرهـانِ[1]

---

(١) النور جاء في القرآن منسوباً إلىٰ اللهِ جلَّ وعلا وهو علىٰ قسمين:

أحدهما: نورٌ يوصف به الرب سبحانه، وهذا من أسمائه وصفاته، فاللهُ نورٌ في ذاته وفي أسمائه وصفاته، وحجابُهُ النور لو كشفَهُ لأحرقت سُبحَات وجهه ما انتهىٰ إليه بصرُهُ من خلقه سبحانه وتعالىٰ[*]، فهذا النور من صفات اللهِ تعالىٰ وهو غير مخلوق.

الثانـي: نورٌ مخلوق مثل نور الشمس والقمر والمصابيح والنجوم وهو نوعان:

أحدهما: معنوي: وهو نور الإيمان في القلوب، وهو المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

الثانـي: نور حسِّي: مثل نور الشمس ونور القمر والكواكب والمصابيح هذا كُلُّهُ مخلوقٌ للهِ تعالىٰ. هذا هو خُلاصة الكلام في النور المضاف إلىٰ اللهِ تعالىٰ إضافة صفة وإضافة خلق.

(*) عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه. يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه» أخرجه أحمد في «المسند» ٣٢/ ٢٩٦ (١٩٥٣٠)، ومسلم (١٧٩).

قــال ابــنُ مسعــودٍ كـلامـاً قـد حكـا
هُ الــدارمــيُّ عنــهُ بــلا نُكــرانِ

مــا عنــدَهُ ليــلٌ يكــونُ ولا نَهــا
رٌ قُلْتُ تحتَ الفُلْكِ يُوجدُ ذانِ[١]

نــورُ السمــواتِ العُلــىٰ مــن نــورِهِ
والأرضِ كيــفَ النجــمُ والقَمــرانِ

مـن نـورِ وجـهِ الـرَّبِّ جـلَّ جـلالُـهُ
وكـذا حكـاهُ الحـافـظُ الطبـرانـي[٢]

فيـه استنـارَ العـرشُ والكـرسـيُّ مـع
سبـعِ الطبـاقِ وسـائـرِ الأكـوانِ[٣]

---

(١) اللهُ جلَّ وعلا ليس عندَهُ ليلٌ ولا نهار(*) وإنّما هذا تحت الفَلك حيث الشمس والقمر والكواكب.

(٢) هو الذي أمدها بهذا النور ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور: ٣٥] ولو شاء لسلب هذا النُّور وأصبحت الكائنات مُظلمة.

(٣) فنور العرش والكرسي والسموات وسائر الكون من نوره سبحانه ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩] إذا جاء يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد أشرقت الأرض بنورِه سبحانَهُ وتعالىٰ.

(*) روىٰ الدارمي والطبراني عن ابن مسعود أنه قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه، وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» ٦/٥٨ عند تفسير الآية ٣٥ من سورة النور.

وكتــابُــهُ نــورٌ كــذلــكَ شــرعُــهُ
نــورٌ كـذا المبعـوثُ بـالفُـرقـانِ[١]
وكـذلـك الإيمـانُ فـي قلـبِ الفتـىٰ
نــورٌ علــىٰ نُــورٍ مــع القُــرآنِ[٢]
وحجـابُـه نـورٌ فلـو كُشِـفَ الحجـا
بُ لأحـرقَ السُّبُحـاتُ لـلأكـوانِ[٣]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة: ١٥] سمَّىٰ اللهُ القُرآن نوراً لأنَّهُ يُضيء الطريق، والنور هنا نورٌ معنوي، ومحمد ﷺ نور، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] وهذا من النور المعنوي.

(٢) كما ذكر اللهُ جلَّ وعلا ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] والمشكاة هي الكوة في الجدار فيها سراج متوقد لأن هذا أبلغ في النور؛ لأنه مُنبثق من اتجاهٍ واحد ويكون أقوىٰ، فهذا مثل الإيمان في قلب المؤمن.

(٣) لمَّا سُئِلَ الرسولُ ﷺ: هل رأيت ربَّك؟ ليلة المعراج فقال: «نورٌ أنَّىٰ أراه»(*) وفي رواية: «رأيتُ نوراً»(**).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٥/ ٣١١ (٢١٣٩٢)، ومسلم (١٧٨) (٢٩١)، والترمذي (٣٢٨٢) من حديث أبي ذر الغفاري. وانظر «مجموع الفتاوىٰ» لابن تيمية ٣/ ٣٨٦-٣٨٩، و«زاد المعاد» لابن القيم ٣/ ٣٣-٣٥. وانظر تمام تخريجه والتعليق عليه في «المسند» وانظر حديث أبي موسىٰ الأشعري وقد ذكر ص٧٩٩.

(**) أخرجها مسلم (١٧٨) (٢٩٢).

وإذا أتـى لِلفصْـلِ يُشْـرِقُ نُـورُهُ
فـي الأرضِ يَـوْمَ قِيَـامَـةِ الأبْـدَانِ
وكـذاك دارُ الـربِّ جنَّـاتُ العُلـىٰ
نـورٌ تـلألأ ليـس ذا بُطـلانِ[١]
والنُّـور ذو نـوعيـن مخلـوقٌ ووصْـ
ـفٌ مـاهمـا واللهِ مُتَّحِـدانِ
وكـذلـكَ المخلـوقُ ذُو نـوعيـن مَحْـ
ـسوسٌ ومَعْقُـولٌ هُمـا شيئـانِ[٢]
احـذَرْ تَـزِلَّ فَتَحْـتَ رِجْلِـكَ هُـوَّةٌ
كـم قـد هـوىٰ فيهـا علـىٰ الأزمـانِ
مـن عـابـدٍ بـالجهـلِ زلَّـتْ رِجْلُـهُ
فهـوَىٰ إلـىٰ قعـرِ الحضيـضِ الـدَّانـي
لاحـت لَـهُ أنـوارُ آثـارِ العبـا
دَةِ ظَنَّهـا الأنـوارَ للـرحمٰـنِ

---

(١) فالجنَّةُ نورُها يتلألأ بخلاف جهنَّم فهي مُظلمة ليس فيها نور.

(٢) كما سبق النور المُضاف إلىٰ الله نوعان:

أحدهما: غير مخلوق وهو ما يتعلَّق به سُبحانَهُ وتعالىٰ.

الثاني: مخلوق وهو نوعان:

الأول: نور الإيمان والعلم في قُلوب المؤمنين.

الثاني: حسِّي وهو نور هذه الكواكب من الشمس والقمرِ وسائرِ الكواكب، وكلُّ أنوارِها مستمدة من نور الله سبحانَه وتعالىٰ.

فــأتــىٰ بكــلِّ مُصيبــةٍ وبَلِيَّــةٍ
ما شِئْتَ مِن شَطْحٍ ومن هَذَيانِ[١]
وكـذا الحُلـولـيُّ الـذي هـو خِـدْنُـهُ
مِـنْ هـا هُنـا حقّـاً هُمـا أخـوانِ[٢]
ويُقـابـلُ الـرجليـنِ ذُو التعطيـلِ والـ
ـحُجُـبِ الكثيفـةِ مـا هُمـا سِيَّـانِ
ذا فــي كثـافــةِ طَبْعِــهِ وظَــلامِــهِ
وبظُلْمَــةِ التعطيــلِ هــذا الثـانــي
والنُّــور محجــوبٌ فــلا هــذا ولا
هــذا لَــهُ مــن ظُلمــةٍ يَــريــانِ[٣]

---

(١) لمّا ذَكَر الناظم رحمهُ الله نورَ الله ونور مخلوقاته وفصَّل ذلك قال: احذر أن تزل في هذه المسألة كما زلَّت الصوفية، فالصوفيّة يزعمون أنَّ ما هُم فيه من العبادة والزُّهد أنَّه من نورِ اللهِ تعالىٰ وهذا غلطٌ كبير، ولذلك وصل بهم الأمر إلىٰ أن ادَّعوا أنَّ اللهَ حالٌّ فيهم وفي مشائخهم فهذا ضلالٌ مبين وهذه مزلةٌ عظيمة. وحتىٰ قالوا بسقوط التكاليف واستغنوا عن شرع اللهِ تعالىٰ وهذا كلُّهُ بسبب سوء الفهم ولذلك حذَّرك الناظم منهم.

(٢) الحلولي: هو الذي يدَّعي أنَّ الله حالٌّ فيه، فالصوفي والحلولي كُلُّهم يدَّعون أنَّهم حصلوا علىٰ هذا النور الروحي الذي أغناهُم عَن الشرع وعن الرسل بزعمهم.

(٣) يُقابل الصوفيَّ والحلوليَّ المُعطِّلُ فهما علىٰ طرفي نقيض، هؤلاء غلَوا في الإثبات، وهؤلاء غلَوا في التنزيه، فهما متقابلان، فلم يصل نورُ الله لا إلىٰ الصوفي ولا إلىٰ المُعطِّل، وإنّما يصل نورُ اللهِ إلىٰ المؤمنين المستقيمين علىٰ كتاب الله وسنة رسوله.

فصل

وهـو المقـدِّمُ والمـؤخِّـرُ ذانِـكَ الصْـ
صِفتــانِ لــلأفعــالِ تــابعتــان(١)
وهمـا صفـاتُ الـذاتِ أيضـاً إذ همـا
بـالـذات لا بـالغيـرِ قـائمتـانِ(٢)
ولذلك قد غَلِطَ المُقَسِّمُ حين ظَنْ
نَ صفــاتِــه نــوعــان مختلفــانِ
إن لــم يُــرِدْ هــذا ولكــنْ قــد أرا
دَ قيـامَهـا بـالفعـلِ ذي الإمكـانِ
والفعــلُ والمفعــولُ شــيءٌ واحــدٌ
عنــدَ المُقَسِّــم مــا هُمــا شيئــانِ(٣)

---

(١) ومن أسمائه جل جلاله المقدِّم والمؤخر، وهما من الأسماء المتقابلة التي لا يجوز إفراد أحدهما عن مقابله. والتقديم إما كوني كتقديم بعض المخلوقات في الوجود علىٰ بعض، وإما شرعي معنوي كتفضيل الأنبياء علىٰ سائر البشر، وهو سبحانه المؤخر لبعض الأشياء عن بعض إما بالزمان أو بالشرع أيضاً.

(٢) والتقديم والتأخير صفتان من صفات الأفعال التابعة لمشيئته تعالىٰ وحكمته، وهما أيضاً تابعان للذات إذ قيامها بالذات لا بغيرها.

(٣) هكذا لم يفرقوا مع أنَّ الفعل صفة ذات، والمفعول صفة فعل.

فلذاك وصْفُ الفعلِ ليس لديه إلـ
لا نسبـــةٌ عـــدميَّـــةٌ ببيـــانِ[(١)]

فجميـعُ أسمـاءِ الفعـالِ لـديـه ليـ
ـسَـتْ قـطُّ ثـابتـةً ذواتِ معـانِ[(٢)]

مـــوْجُـــودَةٌ لكِـــنْ أُمُـــورٌ كُلُّهـــا
نِسَـبٌ تُـرىٰ عَـدَمِيَّـةَ الـوِجْـدَانِ

هـذا هـو التعطيـلُ لـلأفعـالِ كـالتْـ
تَعطيـلِ لـلأوصـافِ بـالميـزانِ[(٣)]

فالحَقُ أنَّ الوصْفَ ليسَ بمَوْرِدِ التْـ
تَقْسِيـمِ هــذا مُقْتَضـىٰ البُـرْهــانِ

بَلْ مَوْرِدُ التَّقْسِيمِ ما قَدْ قامَ بالذْ
ذَاتِ التـي للـوَاحِـدِ الـرَّحْمٰـنِ

---

(١) بنفون تعلق الفعل به؛ لأنَّه منزَّهٌ عن قيام الحوادث به، فنقول: نعم، هو منزَّهٌ عن قيام الحوادث، لكن وصفُهُ بأنَّهُ خالق ورازق وأنَّه مُحي ومميت لا يلزم منه قيام الحوادث به وإنَّما هي صفاته وهي صفاتُ كمال.

(٢) كل الأفعال ليس لها تعلُّق بذاته عند المعطِّلة من أشاعرة وغيرهم، وأمّا أهلُ السنة فعندهم الصفات لها جهتان: جهة الفعل، وهذا متعلق بذاته، وجهة الإيجاد والخلق، وهذا صفة فعل خارج عن ذاته.

(٣) فهم مُعطِّلةٌ في الأسماء ومُعطِّلة في الأفعال، فلم يقتصر تعطيلهم علىٰ نفي الأسماء بل تجاوز لنفي الأفعال.

فهُمـــا إذاً نـــوعـــانِ أوصـــافٌ وأفْـ
ـعَـــالٌ فهـــذي قِسْمَـــةُ التِّبْيَـــانِ

فـالـوصـفُ بـالأفعـالِ يستدعي قيا
مَ الفعـلِ بـالمـوصُـوفِ بـالبُـرهـانِ[١]

كالوَصْفِ بِالمَعْنىٰ سِوىٰ الأفْعَالِ مَا
إنْ بَيْـنَ ذَيْنِـكَ قَـطُّ مِـنْ فُـرْقَـانِ

ومَـنِ العَجَـائِـبِ أنَّهُـمْ رَدُّوا علـىٰ
مَـنْ أثْبَـتَ الأسْمَـاءَ دُونَ مَعَـانِ[٢]

قَـامَـتْ بِمَـنْ هِـيَ وصْفُـهُ هـذا مُحَـا
لٌ غَيْـرُ مَعْقُـولٍ لـذي الأذْهَـانِ

---

(١) كل فعل فإنَّه يؤخذ منهُ صفة، فالخلق يؤخذ منه صفة الخالقية، والرزق يؤخذ منهُ وصفه بالرازق، وهكذا فلو لم يؤخذ من الفعل صفة لزم سَلْبُ أن يكون هذا فعلَهُ، وهذا تعطيل.

(٢) من العجائب أنَّهم لمّا نفوا صفات الذات المشتقة من صفات الأفعال ردُّوا علىٰ المعتزلة الذين قالوا: إنَّ أسماء اللهِ ليس لها معانٍ، فقال لهم الأشاعرة: هذا غيرُ ممكن، فهم ردُّوا علىٰ المعتزلة شيئاً هم واقعون فيه، فالمعتزلة قالوا: الأسماء ليس لها معانٍ، وهؤلاء يقولون: الأفعال ليس لها معانٍ أيضاً، فما الفرق بين التعطيلين؟ لا فرق بينهما، فإمّا أن يثبت الجميع أو يُنفىٰ الجميع، فأمّا أن يُثبت شيء ويُنفىٰ نظيره فهذا تحكُّمٌ لا دليل عليه، وهذا ما وقعت فيه الأشاعرة، فالمعتزلة طردوا التعطيل في الأسماء، والأشاعرة طردوا التعطيل في الأفعال ولا فرق بين التعطيلين.

وأتَوْا إلىٰ الأوْصَافِ باسْمِ العَقْلِ قَا
لُوا لَمْ تَقُمْ بِالوَاحِدِ الدَّيَّانِ

فانظرْ إليهم أبْطَلوا الأصلَ الذي
ردُّوا به أقوالَهُم بِوِزانِ[1]

إن كان هذا ممكناً فكذاك قَوْ
لُ خُصومِكُمْ أيضاً فذو إمكانِ[2]

والوصفُ بالتقديم والتأخير كَوْ
نيٌّ ودينيٌّ هُما نوعانِ

وكلاهما أمرٌ حقيقيٌّ ونسـ
ـبيٌّ ولا يخفىٰ علىٰ الأذهانِ

واللهُ قدَّر ذاك أجمَعَهُ بإحْـ
ـكامٍ وإتقانٍ من الرحمٰن[3]

---

(١) أبطلوا الأصل الذي ردُّوا به علىٰ المعتزلة، لأنَّهُم لمّا عطَّلُوا المعاني في الأفعال زال الفرق بينهم وبين المعتزلة.

(٢) قال المعتزلة: إن كان قولُكم أيُّها الأشاعرة سائغاً فقولنا أيضاً سائغ.

(٣) عاد إلىٰ البحث الأول: في المقدِّم والمؤخِّر، قال: التقديم والتأخير نوعان: كوني ومعنوي، كوني: وهو خلق بعض الأشياء قبل بعض، ومعنوي: وهو تفضيل بعض المخلوقات علىٰ بعض، فالله فضَّل الرسل علىٰ غيرهم وفضَّل بعض الرسل علىٰ بعض وفضَّل المؤمنين بعضهم علىٰ بعض هذا تقديم وتأخير معنوي وشرعي. وقد سبق تبيان ذلك في أول هذا الفصل.

فصل

هـذا ومـن أسمـائـه مـا ليـس يُفْـ

ـــرَدُ بـــل يُقَــالُ إذا أتَــىٰ بقـــرانِ

وهـي التـي تُـدعـىٰ بمُـزدوجـاتِهـا

إفــرادُهـــا خَطَــرٌ علــىٰ الإنســانِ[(١)]

إذْ ذاكَ مُـوهِـمُ نـوعِ نقـصٍ جَـلَّ رَبْـ

ـبُ العرشِ عن عيبٍ وعن نُقصانِ[(٢)]

كـالمـانـعِ المعطـي وكـالضّـارِ الـذي

هــو نــافــعٌ وكمـــالُـــه الأمْـــرانِ[(٣)]

---

(١) أسماء الله تعالىٰ منها ما هو متقابل مع اسم آخر لا يُفرد بعضهما عن بعض منها: المقدِّم والمؤخِّر الذي سبق ذكرهما، ومنها: الأول والآخر، والظاهر والباطن سبق ذكرهم أيضاً، ومنها ما سيذكُره الناظم في هذا الباب، مثل: الخافض الرافع، والقابض الباسط، والمعزُّ المذل. هذه أسماء مُتقابِلة لا يجوز إفراد بعضها عن الآخر؛ لأنَّهُ يكون نقصاً في حقِّ اللهِ تعالىٰ، وهي تُدعىٰ بالمُزدوجات أو المتقابلات، وإفرادُ واحدٍ منها خطرٌ علىٰ الإنسان؛ لأنَّهُ نقصٌ في حقِّ الله تعالىٰ، فأنتَ إذا قُلت: يا ضار، يا مذل، أو أخبرت بذلك، لم تكن مثنياً عليه، ولا حامداً حتىٰ تذكر مقابله.

(٢) واللهُ تعالىٰ ذكرها متقابلة، فلا تذكر أفراداً، فإنها إذا أفردت أوهمت نقصاً في حقه تعالىٰ، والكمال في ذكرهما جميعاً.

(٣) تقول: الضار النافع، ولا تقل الضار فقط، أو تقل: النافع فقط، بل تقول: هو الضارُّ النافع، وتقول: المعطي المانع، ولا تقل: المعطي فقط أو المانع فقط.

ونظيرُ هذا القابضُ المقرونُ باسـ
ـمِ الباسطِ اللفظانِ مُقترنانِ[١]
وكذا المعزُّ مع المُذِلِّ وخافضٌ
مَعْ رافعٍ لفظانِ مُزْدَوَجانِ[٢]
وحديثُ إفرادِ اسمِ مُنتقمٍ فَمَوْ
قُوفٌ كما قد قالَ ذُو العِرفانِ
ما جاء في القرآن غيرَ مُقيَّدٍ
بالمجرمينَ وجا بذُو نوعانِ[٣]

---

(١) كذلك تقول القابض الباسط كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾ [آل عمران: ٢٦] فلم يقل: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ فقط ولم يقل: ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾ فقط بل قرن بينهما سبحانهُ وتعالىٰ، فهما لفظان مزدوجان متقابلان لا يجوز ذكر أحدهما بدون الآخر. وكذلك الخافض الرافع اسمان متقابلان لا يذكر أحدهما بدون الآخر.

(٣) ذكر أن «المنتقم» جاء فيه حديث لكنَّهُ موقوف، وقد جاء مفرداً في القرآن لكن مُقيّداً بالمجرمين، ﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] قيده «بالمجرمين»، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وهذا عدلٌ منه سبحانه وتعالىٰ أنَّهُ يضع نقمته فيمن يستحقّها وهو المجرم، ولو قيل: المنتقم مفرداً لكان الانتقام يشمل أهل الإيمان والأعمال الصالحة، ويكون هذا جوراً وهو منزهٌ عنه سبحانَهُ وتعالىٰ.

فصل

ودلالـــة الأسمـــاء أنـــواعٌ ثَـــلا
ثٌ كُلُّهـــا معلـــومـــةٌ ببيـــانِ[١]
دلَّـــتْ مُطـــابَقَـــةً كـــذاكَ تضمُّنـــاً
وكـذا التـزامـاً واضـحَ البُـرهـانِ[٢]
أمَّـــا مطـــابقـــةُ الـــدِّلالَـــةِ فهـــيَ أنْ
نَ الإسْـــمَ يُفْهَـــمُ منـــه مفهـــومـــانِ

---

(١) لمَّا ذكر الناظم رحمهُ الله جملةً من أسماء الله الحُسنىٰ الواردة في الكتاب والسنة أراد أن يُبيِّن دلالة هذه الأسماء لأنها أسماءٌ عظيمة لها دلالات وليست مُجرَّد ألفاظ، وإنَّما هي أسماءٌ تتضمَّن دلالات عظيمة للهِ جلَّ وعلا، وذلك أنَّ دلالة اللفظ عند الأُصوليين ثلاث أقسام:

ـ إمَّا دلالةٌ مطابقة.

ـ أو دلالةٌ تضمُّن.

ـ أو دلالة التزام.

لا يخرج لفظٌ من الألفاظ العربية عن هذه الدلالات فدلالة المطابقة: دلالة الشيء علىٰ تمام معناه، ودلالة التضمن دلالة الشيء علىٰ بعض معناه، ودلالة الالتزام دلالة الشيء علىٰ شيءٍ خارج عن معناه وأسماءُ اللهِ تشتمل علىٰ هذه الدلالات كُلِّها، وسيُبيِّن الناظم رحمهُ الله هذا بالمثال الآتي.

(٢) هذه أقسامُها بالإجمال وسيفصلُها فيما بعد ذلك.

ذاتُ الإلٰـه وذلـك الـوصـفُ الـذي
يُشتـقُّ منـه الإسـمُ بـالميـزانِ[١]
لكـنْ دِلالتُـهُ علـىٰ إحـداهُمـا
بتضمُّـنٍ فـافهمْـهُ فَهْـمَ بيـانِ[٢]
وكـذا دِلالتُـهُ علـىٰ الصفـةِ التـي
مـا اشتُـقَّ منهـا فـالتـزامٌ دانِ[٣]
وإذا أردتَ لـذا مثَـالاً بيِّنـاً
فمثـالُ ذلـكَ لفظـةُ الـرحمٰـنِ
ذاتُ الإلٰـهِ ورحمـةٌ مـدلُـولُهَـا
فهُمَـا لهـذا اللفـظِ مَـدلُـولانِ

---

(١) هذه دلالة المطابقة: وذلك أنَّ الاسم من أسماء الله يدلُّ علىٰ شيئين:

الأول: يدل علىٰ ذاته سبحانُه وتعالىٰ.

الثاني: يدلُّ علىٰ صفته.

(٢) ودلالته علىٰ أحد المعنيين إما الذات وإما الصفة، هي دلالة تضمن، والتضمن معناه دخول الشيء في الشيء.

(٣) أمَّا دلالتُهُ علىٰ شيءٍ خارج عن معناه فهي دلالة التزام، مثالُ ذلك: إذا بعتَ داراً، فلفظ «الدار» يشمل كل ما تحتويه الدار من مبانٍ وأساسات وغُرف وأحوشة، فدلالة الدار علىٰ جميع ما فيها دلالة مُطابقة، ودلالة الدار علىٰ بعض ما فيها كدلالتها علىٰ الغُرف فقط أو دلالتها علىٰ الجُدران فقط دلالة تضمُّن، ودلالتُها علىٰ ما خرج عنها وهو من مرافقها كمجاري المياه والفناء الخارجي عند الباب دلالة التزام.

إحداهُما بعضٌ لذا الموضوعِ فهـ
ـــي تضمُّـــنٌ ذا واضِـــحُ التِّبيـــانِ

لكـنَّ وصْـفَ الحـيِّ لازِمُ ذلـك الْـ
ـمعنـىٰ لـزومَ العِلْـمِ للـرحمْٰـنِ

فلـــذا دِلالتُـــهُ عليـــه بـــالتـــزا
مِ بيِّـــنٍ والحـــقُّ ذو تبيـــانِ[1]

* * *

(١) إذا أردت لذلك مثالاً من أسماء الله فهو «الرحمٰن» يدلُّ علىٰ الذات الإلـٰهية وعلىٰ الصفة وهي الرحمة، هذه دلالة مطابقة، ودلالة الرحمٰن علىٰ الرحمة فقط هذه دلالة تضمُّن، ودلالة الرحمٰن علىٰ الحياة والعلم والقدرة دلالة التزام؛ لأن هذه الصفات خارجة عن معنىٰ الرحمٰن لكنها لازمة له، ولأن الرحمة لا بدَّ أن تكون من سميع عالم، وهذه دلالة التزام؛ لأنها دلالة عن شيءٍ خارج عن معنىٰ اللفظ ولكن يلزمُهُ لزوماً، فيلزم من الرحمٰن أن يكون حياً سميعاً عليماً قديراً، وهذا البحث مهمٌّ جداً إذا عرفَهُ طالب العلم استفاد منه في أسماء الله جلَّ وعلا.

فصل

في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين(١)

---

(١) لما ذكر الشيخ رحمه الله جملة من أسماء الله الواردة في الكتاب والسنة، وأن الله سبحانه وتعالىٰ قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فاللهُ تعالىٰ أمرنا أن نعرف هذه الأسماء ونعتقدها لله وأن نتوسَّل إليه بها وندعوهُ بها لأنَّ هذا سببٌ للإجابة، فتتوسَّل لحاجتك باسمٍ من أسماء الله تعالىٰ ويكونُ اسماً مُناسباً فتقول: يا رحمٰن ارحمني، يا غفور اغفر لي، ولا تتوسَّل بالاسم المضاد لحاجتك كأن تقول: يا عزيز ذو انتقامٍ اغفر لي، ولمَّا ذكر الناظم رحمهُ الله دلالات أسمائه الثلاث وهي المطابقة والتضمن والالتزام، وأنَّهُ يجب علىٰ المؤمن أن يعتقدها ويؤمن بها، وأنَّ كلَّ اسمٍ من أسمائه يتضمَّن هذه الدلالات الثلاث، ذكر النقيض وهو الإلحاد بها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [فصلت: ٤٠] «فالإلحاد في اللغة: هو الميل، ومنه سُمّي اللحد في القبر لأنَّهُ مائلٌ عن سمت القبر، وأما الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ فيكون بأنواع من الميل، ومن الإلحاد بها: ما يكون بالميل عن مدلُولها وعَمَّا أُريد بها، هذا هو الإلحاد في الأسماء علىٰ سبيل العموم هو الميل بها عن مدلولها وما تقتضيه وهو ثلاث أنواع كما ذكر الناظم هنا:

=

أسمــاؤُهُ أوصــافُ مــدحٍ كُلُّهــا
مشتقــةٌ قــد حُمِّلَــتْ لمعــانِ[١]

إيَّــاكَ والإلحــادَ فيهــا إنَّــهُ
كُفْــرٌ معــاذَ اللهِ مــن كُفــرانِ[٢]

= **النوع الأول**: إلحادٌ فيها بجعلها أسماء للمخلوقات كما جعل المشركون اللات من الله، والعُزىٰ من العزيز، ومناة من اسم المنان، فهم اشتقُّوا من أسماء الله أسماء لأصنامهم، وهذا إلحادٌ فيها، لأنَّهم اعتقدُوا لله شريكاً فيها وهي أصنامهم، وأشدّ من ذلك إلحاد أهل وحدة الوجود الذين جعلوا هذا الكون كُلَّه شريكاً لله تعالىٰ وقالوا: من اعتقد أنَّ هناك خالقاً ومخلوقاً فهو مُشرك، والتوحيد هو اعتقاد وحدة الوجود وأنَّ كلَّ الوجود هو الله سبحانَه وتعالىٰ.

النوع الثاني من أنواع الإلحاد في أسمائه سبحانه: الإقرار بألفاظها فقط مع نفي معانيها، وذلك كإلحاد المعتزلة ومن سار في ركابهم.

النوع الثالث من أنواع الإلحاد في أسماء الله: تأويلها عن مدلولها الصحيح إلىٰ مدلول آخر، وهو الإلحاد في النفي كتأويل العلو بعلو القهر والقدر، وتأويل اليد بالقدرة والرحمة بالإنعام والاستواء بالاستيلاء.

(١) كل أسماء الله ألفاظُها مدح وليست هي مُجرَّد ألفاظ بل هي مدحٌ لله وكمالٌ لله.

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ [فصلت: ٤٠].

وحقيقـةُ الإلحـادِ فيهـا الميـلُ بـالْـ
إشــراكِ والتعطيــلِ والنُكــرانِ(١)

فـالمُلحـدونُ إذاً ثـلاثُ طـوائـفٍ
فعليهِـمُ غضــبٌ مــن الـرحمٰــنِ(٢)

المشــركــونَ لأنَّهُــمْ سَمَّــوْا بهــا
أوثــانَهُــمْ قــالــوا إلٰــهٌ ثــانِ

هم شبَّهوا المخلوقَ بالخلَّاقِ عكـ
ـسَ مُشَبِّـهِ الخـلَّاقِ بـالإنسـانِ(٣)

وكــذاك أهــلُ الاتحــادِ فــإنَّهُــمْ
إخـوانُهُـمْ مـن أقـربِ الإخـوانِ(٤)

---

(١) هذه أقسام الإلحاد الثلاثة أجملها وسيُفصلها.

(٢) لمّا أجمل أراد أن يُفصِّل طوائف الملحدين.

(٣) النوع الأول من الملحدين المشركون وهم نوعان: النوع الأول عبدة الأصنام. سمَّوها آلهة وقالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الصافات: ٣٦] والإلهية لله عزَّ وجل، فإطلاق الآلهة علىٰ المخلوقات إلحادٌ في أسماء الله تعالىٰ.

(٤) هؤلاء هم النوع الثاني من ملاحدة المشركين أهل وحدة الوجود حيث جعلوا هذه الأسماء لجميع هذا الكون، وهؤلاء أشد إلحاداً من عبدة الأوثان حيث عمَّموا عبادة الأوثان فقالوا: إنَّ هذا الكون كُلَّه هو الله وهو الإله، ومن اعتقد التجزئة والانقسام فهذا عندهم مشرك، والموحد عندهم: هو الذي يعتقد أنَّ هذا الكون كُلَّهُ هو اللهُ تعالىٰ، وهذا أعظم =

أعطُوا الـوجُـودَ جميعَـهُ أسمـاءَهُ
إذْ كـانَ عيـنَ اللهِ ذي السُّلطـانِ[١]
والمشـركـون أقـلُّ شِـرْكـاً مِنْهُـمُ
هُم خَصَّصُوا ذا الاسمِ بالأوثانِ[٢]
ولـذاكَ كـانـوا أهـلَ شـركٍ عنـدَهُـمْ
لـو عَمَّمُـوا مـا كـان مِـن كُفـرانِ[٣]
والملحـدُ الثـانـي فـذُو التعطيـلِ إذْ
يَنفِـي حقـائِقَهـا بـلا بُـرهـانِ
مـا ثَـمَّ غيـرُ الإسـمِ أوَّلَـهُ بمـا
يَنفـي الحقيقـةَ نفـيَ ذي بُطـلانِ[٤]

= الكفر والعياذ بالله، وعلىٰ هذا المذهب ابن عربي وابن سبعين وابن الفارض وغيرُهُم من أهل وحدة الوجود.

(١) يقول: هذا الكون كُلُّه هو عين الله وليس هناك انقسام ولا تعدد.

(٢) المشركون أقلُّ شركاً من أهل وحدة الوجود؛ لأنَّهم خَصُّوهُ ببعض الأصنام وهؤلاء عمَّموه ـ والعياذ بالله ـ.

(٣) أهل وحدة الوجود يسمُّون عبدة الأوثان مشركين؛ لأنَّهم فرَّقوا هذا الكون وجعلُوه عبارة عن مخلوق وخالق، وهذا هو الشرك عند أهل وحدة الوجود.

(٤) الملحد الثاني: هو المعطِّل، والتعطيل: هو إخلاءُ الشيء عن مضمونه، تقول: امرأةٌ عاطل: يعني ليس عليها حُلِيّ. فالعاطل هو الذي خلا من خصائصه، والمُعَطِّلة: سُمُّوا بهذا لأجل هذا المعنىٰ؛ لأنَّهم عطَّلوا اللهَ =

فالقصدُ دَفْعُ النَّصِّ عن معنىٰ الحقيـ
ـقَـةِ فـاجتهـدْ فيـه بلفـظِ بيـانِ[1]

عَطِّـلْ وحَـرِّفْ ثُـمَّ أوِّلْ وانْفِهـا
واقْـذِفْ بتجسيـمٍ وبـالكُفـرانِ[2]

لِلْمُثْبِتِيـنَ حقَـائِـقَ الأسْمَـاءِ والْـ
أوْصَـافِ بـالأخبَـارِ والقُـرْآنِ

= من أسمائِه وصفاته. هذا هو التعطيل، وهذا ما عليه الجهمية ومن سار علىٰ نهجهم كله أو بعضه؛ لأنَّهم نفوا الأسماء والصفات وقالوا عن الله: إنَّه ذات مُجرَّدة فقط، يليهم المعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزَّال الذين أقرُّوا بألفاظ الأسماء، لكن جرَّدُوها عن المعاني فهي عندهم مجرَّد ألفاظ مترادفة لا تدلُّ علىٰ معانٍ، ونفوا الصفات، فعطَّلوا الأسماء عن معانيها، يليهم الأشاعرة الذين أقرُّوا بالأسماء وبعض الصفات، وعطلوا بقية الصفات، والماتُريدية كذلك، ثمَّ أيضاً لا يثبتون هذه الصفات علىٰ ظاهرها، مثلاً: اليد عندهم بمعنىٰ القدرة، والوجه بمعنىٰ الثواب، وإذا لم ينفوها أو يؤولوها قالوا: نفوض معناها إلىٰ الله تعالىٰ وهذا مذهب المفوضة وهو تعطيل.

(١) المطلوبُ عند المعطلة أن تصرف الألفاظ عن ظاهرها فلا تجعل لها معنىٰ، لأنَّ ظاهرها عندهم غير مُراد ويدلُّ علىٰ الباطل، فهم يحاولون صرفها عن ظاهرها إمّا بالتأويل أو بالتفويض.

(٢) يقولون: من أثبت الصفات فاقذفْهُ بالتجسيم؛ لأنَّه يعتقد بهذه الصفات وهي في المخلوقات فهو مُجَسِّم، والتجسيم عندهم كفر.

فـإذا هُـمُ احتجُّـوا عليـكَ فقُـلْ لَهُـمْ
هـذا مجـازٌ وهُـوَ وضـعٌ ثـانِ(١)
فإذا غُلِبْتَ علىٰ المجازِ فقلْ لَهُمْ
لا يُستفـادُ حقيقـةُ الإيمـانِ(٢)
أنَّـىٰ وتلـكَ أدلـةٌ لفظيـةٌ
عُـزِلَـتْ عـن الإيقـانِ مُنـذُ زمـانِ(٣)
فـإذا تَضَـافَـرَتِ الأدلـةُ كَثْـرَةً
وغُلِبْـتَ عـن تقـريـرِ ذا ببيـانِ

---

(١) يقولون: إذا قال لك المثبت: هذه ألفاظ في الكتاب والسنة واللغة العربية تدل علىٰ أنّ هذه الأسماء لها معانيها ومدلولاتها فيقولون: أَجِبْهُ بأنَّ هذا مجاز، فهي ليست علىٰ ظاهرها، والمجاز: هو صرفُ اللفظ عن ظاهره إلىٰ معنىً آخر.

(٢) يقول المعطلة بعضهم لبعض: إذا لم تستطع تأويلها علىٰ المجاز فقل لهم: هذه الألفاظ في الكتاب والسنة ظنية، والقطعي هو دلالة العقل، ويقولون: لا يجوز استعمال الظَّنِّ في العقائد. ولا شكَّ في ضلال هؤلاء؛ لأنَّهم اعتقدوا أنَّ كلامَ الله لا حقيقة له، وهذا يدلُّ علىٰ ضلال هؤلاء؛ لأنَّهم يقولون: كلام الله ظنِّي وليس بحقيقي وكذلك كلام الرسول ﷺ.

(٣) عُزلت عندهم عن كونها تفيد اليقين، وعلىٰ هذا المسلك الذين يُحلِّلُون ويُحرِّمون من جهة أهوائهم إذا أُقيم عليهم الدليل قالوا: هذا ظنِّي لأنه خبر آحاد وهو محتمل لعدة احتمالات. والدليل عندهم يلزم أن يكون قطعي الدلالة قطعي الثبوت، فلا بُدَّ أن يكون متواتراً ولا يحتمل إلاّ معنىً واحداً، وبهذا تُعطَّل النصوص كلُّها، فهذا طاغوت نفوا به جميع الشرع.

فعليـــكَ حينئـــذٍ بقـــانـــونٍ وضَعْـ
ـنَـــاهُ لـــدفـــعِ أدلـــةِ القُـــرآنِ[١]
ولكـــلِّ نَـــصٍّ ليـــسَ يُقْبَـــلُ أنْ يُـــؤَوْ
وَلَ بـــالمجـــازِ ولا بمعنـــىً ثـــانِ
قُلْ عارضَ المنقُولَ معقولٌ وما الْـ
أمْـــرانِ عنـــدَ العقـــلِ يَتَّفِقـــانِ
مـــا ثَـــمَّ إلاَّ واحـــدٌ مِـــن أربـــعٍ
مُتقـــابـــلاتٍ كُلُّهـــا بِـــوِزانِ
إعمـــالُ ذَيْـــنِ وعكسُـــهُ أو تُلْغِـــيَ الْـ
ـمعقـــولَ مـــا هـــذا بـــذي إمكـــانِ
العقـــلُ أصـــلُ النقـــلِ وهـــو أَبُـــوهُ إنْ
تُبْطِلْـــهُ يَبْطُـــلْ فَـــرْعُـــهُ التحتـــانـــي
فتعيَّـــنَ الإعمـــالُ للمعقـــولِ والـْ
إلغـــاءُ للمنقـــولِ بـــالبـــرهـــانِ[٢]

---

(١) يقولون: إذا لم تستطع التأويل فاحملها علىٰ المجاز، وإذا لم تستطع حملها علىٰ المجاز فقل: هذه أدلةٌ لفظية فإذا تواترت هذه الأدلة الجأْ إلىٰ شيءٍ ثالث وقالوا: العقل مُقدَّم علىٰ السمع؛ لأنَّ العقل هو الأصل عندهم، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ كلَّ أدلة الشرع عندهم لا تُفيد اليقين.

(٢) إذا تعارض المنقول وهو أدلة الكتاب والسنة مع المعقول قدَّمنا العقل، لأنَّهُ الأصل، وهنا يقولون: إن تعارض المعقول مع المنقول فهناك أربع حالات:

=

إعمـــالُــهُ يُفضــي إلــىٰ الغــائِــهِ
فــاهجُــرْهُ هَجْـرَ التـركِ والنِّسيـانِ[(١)]

واللهِ لَــمْ نَكْــذِبْ عَليهِـمْ إننــا
وهُـمُ لـدىٰ الـرحمٰـنِ مُختصمـانِ[(٢)]

وهناكَ يُجزىٰ الملحدونَ ومَنْ نفىٰ الْـ
إلحــادَ يُجــزىٰ ثَــمَّ بــالغُفــرانِ

فــاصْبِــرْ قليــلاً إنَّمــا هــي ســاعــةٌ
يــا مُثْبِــتَ الأوصــافِ للــرحمٰــن[(٣)]

= الأولىٰ: إمَّا أن نؤمن بالجميع وهذا تناقض.

الثانية: وإمَّا أن نرفض الجميع، وهذا رفعٌ للنقيضين، وهذا لا يصح.

الثالثة: وإمَّا أن نُقدِّم النقل علىٰ العقل، وهذا لا يجوز لأنَّ النقل فرع والعقل أصل، ولا يُقدَّم الفرع علىٰ الأصل فيتعيَّن.

الرابعة: تقديم العقل علىٰ النقل لأنَّهُ الأصل، وهذا موجود في كتبهم.

(١) يقولون: اهجر النقلَ كلَّه وخذ بالعقل، لأنَّ العقل عندهم هو الذي دلَّ علىٰ صدق النقل فهو الأصل في الدلالة.

(٢) يقول رحمهُ الله لما ذكر هذه المذاهب الباطلة التي عليها المعطلة: لم أكذب عليهم وإنّما هذا كلامُهُم موجودٌ في كتبهم ومشهورٌ عنهم.

(٣) يُجزىٰ من ألحد بالغضب، وأهل السنة والجماعة يُجزون بالمغفرة، وهذا كُلُّه يحتاج إلىٰ صبر، فاصبر علىٰ آذاهم وعلىٰ ما يقُولون، ولا تغرك تهديداتهم فإنَّ العاقبة للمتقين.

فَلَسَوْفَ تَجْنِي أَجْرَ صَبْرِكَ حينَ يَجْـ
ـنِي الغَيْـرُ وِزْرَ الإِثْـمِ والعُـدْوانِ

فـاللهُ سـائِلُنَـا وسـائِلُهُـمْ عَـنِ الْـ
إِثْبَـاتِ والتَّعْطِيـلِ بَعْـدَ زَمَـانِ

فـأَعِـدَّ حينَئِـذٍ جـوَابـاً كـافيـاً
عِنْـدَ السُّـؤالِ يَكُـونُ ذا تِبْيَـانِ

هـذا وثـالِثُهُـمْ فنَـافِيهـا ونـا
فـي مـا تـدلُّ عليـه بـالبُهتـانِ[1]

ذا جَاحِـدُ الـرَّحمٰـنِ رأسـاً لـمْ يُقِـرْ
رَ بِخَـالِـقٍ أبـداً ولا رحمٰـنِ

هـذا هـو الإلحـادُ فـاحْـذَرْهُ لعـلْ
لَ اللهَ أنْ ينجيـكَ مـن نيـرانِ[2]

وتَفُـوزَ بـالـزُّلفَـىٰ لـدَيْـهِ وجَنَّـةِ الْـ
ـمـأوىٰ مَـعَ الغُفْـرانِ والـرِّضْـوانِ

---

(١) ثالث الملاحدة: الذي ينفيها وينفي ما تدلُّ عليه وهي الذاتُ الإلٰهية، فيُعطِّلُون الكون عن الخالق، ويقولون: هذه الأشياء نتيجة الطبيعة، وليس هناك خالق، وهذا قول فرعون والدهريين والحداثيين والعلمانيين اليوم يقولون: الإلٰه هو الطبيعة.

(٢) يعني هذا هو الإلحاد بأقسامه الثلاثة: إلحاد المشركين وإلحاد المُعطِّلين للأسماء والصفات، وإلحاد المعطلين للخلق من خالقه.

لا تُــوحِشَنَّــكَ غُــربــةٌ بيــنَ الــورَىٰ
فالنَّاسُ كالأمواتِ في الحُسبانِ(١)

أو مـا علمــتَ بـأنَّ أهــلَ السُّنــةِ الْـ
ـغــربــاءُ حقّــاً عنــدَ كُــلِّ زمــانِ(٢)

قلْ لي متىٰ سَلِمَ الرسولُ وصحبُهُ
والتــابعُــونَ لهُــم علــىٰ الإحســانِ

مــن جــاهــلٍ ومعــانــدٍ ومنــافــقٍ
ومُحـــاربٍ بـــالبغـــي والطغيـــانِ

وتظـــنُّ أنَّـــكَ وارثٌ لهـــم ومـــا
ذُقْــتَ الأذىٰ فــي نُصْــرة الــرحمٰــنِ

كــلا ولا جــاهَــدْتَ حــقَّ جهــادِهِ
فـــي اللهِ لا بيـــدٍ ولا بلســـانِ

---

(١) يوصىٰ المثبت بالصبر وانتظار الفرج، لأن المثبت سيكون غريباً بين المعطلة فليصبر علىٰ الغربة، قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعودُ غريباً كما بدأ فطوبىٰ للغُرباء»(*).

(٢) وتشتد غربة أهل السنة في آخر الزمان لفشو الجهل وقلة العلم.

(*) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة، وانظر «كشف الخفاء» للعجلوني ١/ ٣٣٣ (٨٨٧).

مَتَّنْـكَ واللهِ المُحـالَ النَّفْـسُ فـاسْـ
ـتَحْدِثْ سوىٰ ذا الرأي والحُسبانِ[١]
لـو كنـتَ وارِثَـه لآذاكَ الأُوْلَـىٰ
ورِثـوا عِـداهُ بسـائـرِ الألـوانِ[٢]

* * *

(١) لم يسلم الرسول ﷺ من مناوشات النَّاس ولومهم فكيف تسلم أنت في آخر الزمان؟ والسلف ابتلوا بهذه الأصناف: من جاهلٍ لا يعرف الحق، ومن منافق يعرفُهُ لكن يتركهُ تكبُّراً وعناداً، أو عدو لأهل السنة، فأنت بين فرق من الخصوم وقد تبتلىٰ بمعاداة أهل السلطة، لأنَّهم قد لا يريدون الحق، فلا بد من الصبر والتحمُّل للأذىٰ من الأعداء فلا تُسالِم أهل الشر وتسكت عنهم، فلا يمكن تحصيل هذا الثواب والأجر بدون صبر وبدون غربة بين النَّاس.

(٢) لو كنت وارثاً للرسول ﷺ لآذاك الأعداء كما آذوا الرسول ﷺ.

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المُخالف لتوحيد المُعطلين والمشركين(١)

هـذا وثـانـي نَـوْعَـيِ الـتـوحـيـدِ تَـوْ
حيـدُ العبـادَةِ منـكَ للـرحمْـنِ(٢)

ألاَّ تكـــونَ لغيـــرِه عبـــداً ولا
تَعْبُـدْ بغيـرِ شـريعـةِ الإيمـانِ(٣)

---

(١) تقدَّم أنَّ الناظم ذكر أنَّ التوحيد نوعان علىٰ سبيل الإجمال:

١ ـ توحيد الربوبية والأسماء والصفات ويُسمَّىٰ بالتوحيد العلمي الخبري، وذكر نقيضهُ وهو التعطيل والإلحاد في أسماء الله وصفاته، والآن ينتقل إلىٰ بيان النوع الثاني وهو التوحيد العملي وهو توحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الألُوهية وذكر نقيضَهُ وهو الشرك كما سيأتي.

(٢) توحيد العبادة، أي: إفرادُ الله بالعبادة، ويُسمَّىٰ توحيد الألوهية أو توحيد الطلب والقصد كُلَّها أسماء لَهُ.

(٣) لا تعبدْ إلاَّ الله ولا تعبُدْهُ إلاَّ بما شرَعَهُ علىٰ لسان نبيِّه محمد ﷺ فلا يصح توحيد العبادة إلاَّ بهذين الشرطين:

١ ـ الإخلاص لله في النية والقصد وهذا فيه نفي الشرك.

٢ ـ المتابعة للرسول ﷺ في العمل والاقتداء: وهذا فيه نفي البدع والمحدثات، ويدلُّ لذلك قولُهُ تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ =

فتقــومَ بــالإســلام والإيمــانِ والـ
إحســانِ فــي سِــرٍّ وفــي إعــلانِ[1]

والصِّدْقُ والإخْلاصُ رُكْنَا ذلِكَ التـ
تَــوْحيــدِ كــالــرُّكْنَيْــنِ للبُنْيَــانِ

وحقيقــةُ الإخــلاصِ تــوحيــدُ المـرا
دِ فــلا يُــزاحِمُــهُ مــرادٌ ثــانِ

لكــنْ مُــرادُ العبــدِ يبقــىٰ واحــداً
مــا فيــه تفــريــقٌ لــدَىٰ الإنســانِ[2]

= مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] أسلم وجهَهُ، أي: قصدَهُ ونيتُه لله، وهذا معناه إخلاصُ العبادة لَهُ سبحانَهُ وتعالىٰ. وهو مُحسن، أي: مُتَّبع للرسول ﷺ، متجنب للبدع، محسنٌ في عبادته بأن يكون مقتدياً بالنبيِّ ﷺ. والإحسان: إتقان الشيء علىٰ الوجه المطلوب.

(١) توحيد العبادة يشمل مراتب الدين الثلاثة التي بيَّنها الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام حين جاء يسأل النبي ﷺ بحضرة أصحابه عن الإسلام والإيمان والإحسان فلمَّا خرج قال عليه السلام: «هذا جبريل أتاكم يُعلمُكم أمرَ دينكم»(*) فالدين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسَان وكلُّ مرتبة لها أركان.

(٢) هذا هو حقيقة الإخلاص أن يكون معبودُك واحداً وهو الله تعالىٰ، فلا تعبد غيرَهُ معه، ولا ترد بعبادتك إلا وجهه، هذا هو التوحيد المراد، =

(*) سلف تخريجه ص٧٨١.

إنْ كـانَ رَبُّـكَ واحـداً سُبحـانَـهُ
فاخْصُصْهُ بالتوحيدِ مع إحسانِ[١]
أو كـانَ ربُّـكَ واحـداً أنْشَـاكَ لَـمْ
يُشْـرِكْـهُ إذْ أنشـاكَ ربٌّ ثـانِ[٢]
فكـذاكَ أيضـاً وحْـدَهُ فـاعْبُـدْهُ لا
تَعْبُـدْ سـواهُ يـا أخـا العِـرفـانِ[٣]
والصـدقُ تـوحيـدُ الإرادة وهـو بَـذْ
لُ الجَهْـدِ لا كَسَـلاً ولا مُتَـوانِ[٤]

= وتوحيد الإرادة: بأن يكون القصد وجه الله فلا تقصد بعملك رياءً ولا سمعة ولا مدحاً ولا ثناءً من الناس ولا طمعاً دنيوياً وإنّما قصدُك التقرُّب إلىٰ الله سبحانَهُ وتعالىٰ.

(١) لما كان اللهُ تعالىٰ هو المتفرِّد بتوحيد الربوبية في الخلق والرزق والتدبير ولا يُشارِكُهُ غيره، فكذلك في العبادة لا يجوز أن يُشارِكَهُ أحدٌ في عبادته ممن لا يخلق ولا يرزق ولا يملك من الأمر شيئاً.

(٢) ولما كان اللهُ هو الذي خلقك وحده ولم يُشارِكْهُ أحدٌ في خلقك فلا يجوز أن تعبد غيره.

(٣) فكما أنَّهُ لا شريك لهُ في عموم تدبيره وفي خلقك وإيجادك فلا يجوز أن يُشرك معهُ أحد غيره، وهذا من الاستدلال بتوحيد الربوبية علىٰ توحيد الألوهية.

(٤) من كان عابداً لله تعالىٰ وعالماً أنَّهُ لا شريكَ لَهُ فإنَّهُ يَجِدُّ في العبادة ولا يكسل.

والسُّنَّـةُ المثلـىٰ لسـالِكِهـا فتَـوْ
حيدُ الطريقِ الأعظـمِ السُّلطـاني[(١)]

فلـواحـدٍ كُـنْ واحـداً فـي واحـدِ
أعْنِـي سَبيـلَ الحـقِّ والإيمـانِ[(٢)]

هـذي ثـلاثٌ مُسْعِـداتٌ لِلَّـذي
قَـدْ نـالَهـا والفضـلُ للمنَّـانِ[(٣)]

فـإذا هـي اجتمعَـتْ لنفـسٍ حُـرَّةٍ
بَلَغَـتْ مـن العليـاءِ كُـلَّ مكـانِ[(٤)]

---

(١) توحيد الطريق: وهو أن تكون السنة النبوية هي الطريق الذي تسير عليه وتتجنب البدع والمحدثات لقوله ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»(*) فالقدوة المُتَّبع هو الرسول ﷺ، وغيرُهُ إنَّما يُتَّبع ويُقتدىٰ به فيما وافق فيه الرسول، وما خالف فيه الرسول ﷺ فإنَّهُ يردُّ علىٰ صاحبه ولو كان عالماً أو صالحاً مهما بلغ من الصلاح أو العلم.

(٢) فلواحدٍ هذا توحيد المراد لله تعالىٰ، وكن واحداً، هذا توحيد القصد وفي واحد، هذا طريق المتابعة وهو السنة، يعني في طريق واحد وهذا إجمال لما سبق.

(٣) من نال هذه الثلاث: توحيدُ المُراد وتوحيد الإرادة وتوحيد الطريق نال السعادة كُلَّها، ومن أخَلَّ بشيءٍ منها، فإنَّهُ لا يحصُلُ علىٰ المطلوب.

(٤) نفس حُرَّة، يعني سليمة من التقليد الأعمىٰ، فالاتِّباع لشرع الله تعالىٰ هو =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٣/١٥٧ (٢٦٠٣٣)، والبخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) (١٧)، وأبو داود (٤٦٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

لله قلبٌ شَامَ هاتيكَ البُرُو
قَ من الخيامِ فَهَمَّ بالطيرانِ[١]
لولا التعلُّلُ بالرجاءِ تصدَّعَتْ
أعْشَارُهُ كتصدُّعِ البنيانِ[٢]
وتراهُ يَبْسُطُهُ الرجاءُ فينثني
مُتمايلاً كتمايلِ النشوانِ[٣]

= الحرية الصحيحة التي تُحرِّرُكَ من عبودية الخلق، فمن لم يكن عبداً لله كان عبداً لغيره، ولذا يقول الناظم في هذه القصيدة:

هربوا من الرِّقِّ الذي خُلِقُوا لَهُ   فَبُلُوا بِرِقِّ النفسِ والشيطانِ

(١) يمدح القلب الذي تعلَّق بهذه المقاصد الثلاثة، ورأى هذا البرق، لأنَّ من عادة العرب أنَّهم إذا رأوا البرق في جهة يذهبون إليها لأجل الرعي ويسمونه انتجاع البروق، كذلك العابد ينتجع الحق إذا لاح له الحق في أيِّ مكان ومع أيِّ شخصٍ، شمَّر إليه وقصده، مثل ما تفعل البوادي في انتجاع البروق والذهاب للمراعي، فالمسلم يبحث عن الحق أينما كان وفي أيِّ مكان لاح له ويرق له.

(٢) لولا أنَّ القلب يرجو ربَّهُ عزَّ وجل أنْ يلحقه بهؤلاء الصفوة والأخيار لتقطعت القلوب من الحسرة، فالرجاء بالله وحسن الظن بالله هو الذي يجبر هذه القلوب.

(٣) يفرح بهذا الرجاء ويطمئن ويسر بالُهُ، لكن إذا قنط وأيس أصابَهُ الغم والحزن، فالرجاء وحسن الظن بالله مطلوب مهما كثرت الشرور وتكالبت الأعداء، فالدين منصور وممتحن.

ويعــودُ يَقْبِضُــهُ الإيــاسُ لكــونِــهِ
مُتخلِّفــاً عــن رُفْقَــةِ الإحســانِ[١]

فتــراهُ بيــن القبــضِ والبَســطِ اللــذ
يــنِ همــا لأُفُــقِ سمــائِـهِ قُطبـانِ[٢]

وبـدا لَـهُ سَعْـدُ السُّعـودِ فصـارَ مسْـ
ـــراهُ عليــه لا علــىٰ الــدَّبْــرانِ[٣]

للهِ ذَيَّـــاكَ الفــــريـــقُ فـــإنَّهُـــمْ
خُصُّــوا بخــالصــةٍ مــن الــرحمٰــنِ[٤]

شُــدَّتْ ركَــائِبُهُــمْ إلــىٰ مَعْبُــودِهِــمْ
ورسُـــولِـــهِ يـــا خَيْبَـــةَ الكَسْـــلانِ

---

(١) إذا تذكَّر تخلُّفهُ وأنَّهُ في آخر الزمان، زمانِ الفتن فإنه يُصِيبُهُ الخوف، فالمؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، فيرجو رحمة الله ويخاف عقابه.

(٢) المؤمن يكون بين الخوف والرجاء، فتارةً ينقبض ويخاف وتارةً ينبسط ويفرح، فيجمع بينهما.

(٣) بدا لَهُ سعد السعود أي، وبينما هو يسير في الطريق إلىٰ الله بدا لَهُ النجم، لأنَّ الله جعل النجم للمسافرين يسيرون عليه، فهو يسير إلىٰ الله إذا بدت لَهُ السنة والقرآن سار علىٰ نهجهما، لا علىٰ الدَّبْران والنجم الواقع خلف الثُريا. وسعد السعود: هو النجم الذي يظهر في أول فصل الربيع، وهو من منازل القمر.

(٤) المراد بالفريق، الذين يسيرون علىٰ منهاج القرآن والسنة، فأولئك قد اجتباهم الرحمٰن، وهداهم إلىٰ طريق الحق.

فصل

والشِّـرْكَ فـاحْـذَرْهُ فشِـرْكٌ ظـاهـرٌ
ذا القِسْـمُ ليس بقـابـلِ الغُفـرانِ[١]
وهــو اتخــاذُ النِّــدِّ للــرحمْــنِ أيِّـ
يـاً كـانَ مـن حَجَـرٍ ومـن إنسـانِ[٢]
يَـدْعُـوهُ أوْ يَـرْجُـوهُ ثُـمَّ يَخَـافُـهُ
ويُحِبُّــهُ كمَحَبَّــةِ الــدَّيَّــانِ

---

(١) لمَّا فرغ من بيان توحيد الألوهية انتقل إلىٰ بيان ضدِّه، وهو الشرك، لأنَّه لا يكفي أنَّك تعرف التوحيد فقط بل لا بُدَّ أن تعرف ما ينقضه ويُنقصه وهو الشرك من أجل أن يحذره المسلم، وهو نوعان: شركٌ أكبر يُخرج من الملة ولا يغفرُهُ الله إلاَّ بالتوبة. والنوع الثاني: هو الشرك الأصغر وسيأتي إن شاء الله، وبدأ بالشرك الأكبر لأنَّه الأخطر، وهو الذي يُخرج من الملة، وهو شركٌ ظاهر يراهُ النَّاس كالذبح لغير الله، ودعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، وشركٌ خفي، وهو في القلب، وهو شرك النية والقصد والإرادة، وهذا لا يعلمُهُ إلاّ الله تعالىٰ.

(٢) النِّد: هو الشبيه والمثيل، فالشرك يتناول كل ما عُبد من دون الله من حجرٍ ومن شجرٍ أو ميت أو قبر أو إنسانٍ حيّ يُخضع لأقواله ولو كانت شركاً وباطلاً، مثل أصحاب الطرق الصوفية الذين يتقيدون بأقوال شيوخهم، والشرك الأكبر لا يُغفر إلا بالتوبة لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨].

وَاللهِ مَـا سَـاوُوْهُـمُ بِـاللهِ فِـي
خَلْـقٍ ولا رِزْقٍ ولا إحسـانِ(١)

فـاللهُ عِنْـدَهُـمُ هُـوَ الخَـلَّاقُ والـرْ
رَزَّاقُ مُـولِـي الفَضْـلِ والإحْسَـانِ

لكنَّهُـمْ سَـاوُوْهُـمْ بِـاللهِ فِـي
حُـبٍّ وتَعْظِيـمٍ وفِـي إيمـانِ(٢)

---

(١) إن المشركين ما ساووا معبوديهم بالله في الخلق والرزق والإحسان؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ الخلق والرزق والإحسان هو لله وحده، وهذا توحيد الربوبية، وإنَّما ساووهم بالله في المحبة قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(٢) المحبة علىٰ قسمين:

الأول: المحبة مع الله. **الثاني**: المحبة في الله.

فالمحبة الأولىٰ شرك، فمن أحب مع الله غيره فهذا شرك أكبر، وأمَّا الحب في الله فهذا من حقوق التوحيد وهو دين، وقد جاء في الحديث: «أوثق عُرىٰ الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله»(*) فالحبُّ في الله مطلوب وهو علامة علىٰ الإيمان، ولذا يقول ابن عباس: «من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، ووالَىٰ في الله، وعادىٰ في الله، فإنَّما تُنال ولاية الله بذلك»، ومن السبعة الذين يُظلهم الله في ظلِّه: «رجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه»(**).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/ ٤٨٨ (١٨٥٢٤) من حديث البراء بن عازب، وهو حديث حسن بشواهده، انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٥/ ٤١٤ (٩٦٦٥)، والبخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) (٩١)، والترمذي (٢٣٩١) من حديث أبي هريرة.

جعلـوا مَحَبَّتَهُـمْ مـع الـرحمٰـن مـا
جَعَلُـوا المحبَّـةَ قـطٌّ للـرحمٰـنِ[١]

لـو كـانَ حُبُّهُـمُ لأجـلِ اللهِ مـا
عـادَوْا أحِبَّتَـهُ علـىٰ الإيمـانِ[٢]

ولمَـا أحبُّـوا سُخْطَـهُ وتَجنَّبُـوا
مَحْبُـوبَـهُ ومـواقِـعَ الـرِّضْـوانِ[٣]

شَرْطُ المحبَّةِ أن توافقَ من تُحِبْ
بُ علـىٰ مَحبَّتِـه بـلا عِصيـانِ[٤]

فـإذا ادَّعَيْـتَ لَـهُ المَحَبَّـةَ مَـعْ خِـلاَ
فِـكَ مَـا يُحِـبُّ فـأنْـتَ ذُو بُهْتَـانِ

---

(١) لم يُخلصوها، فكونُهم يحبون الله لا ينفعهم إذا كانوا يحبُّون غيرَه معه فالعبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص.

(٢) هذا هو الحبُّ في الله، فالذي يحبُّ في الله لا يُعادي أولياء الله وإنَّما يحبُّهم، فعلامة الحب في الله أنَّك لا تُعادي أولياء الله بل تُحِبُّهم دائماً وأبداً.

(٣) من علامة محبة الله أن تفعل ما أمركَ الله به، وتترك ما نهاكَ عنه، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فمحبة الله ليست دعوىٰ بل لها علامات وأدلة تدلُّ عليها.

(٤) هذه علامة المحبة وشرطها وهو اتباع ما أمر الله به وترك ما نهىٰ عنه، وأن تحب ما أمر الله به وتبغض ما نهىٰ عنه، ولذلك يقول بعض السلف: لا تكون محبتك لله صحيحة حتىٰ يكون ما يبغضُه الله أَمَرَّ عندك من الصبر.

أتُحِبُّ أعداءَ الحبيبِ وتَدَّعِي
حُبّاً لَهُ ما ذاك في إمكانِ
وكذا تُعادي جاهداً أحبابَهُ
أينَ المحبَّةُ يا أخا الشيطانِ[١]
ليس العبادةُ غيرَ توحيدِ المَحَبْ
بَةِ مَعْ خُضوعِ القلبِ والأركانِ[٢]
والحبُّ نفسُ وِفاقِهِ فيما يُحبْ
بُ وبُغْضُ ما لا يَرتَضِي بِجَنانِ[٣]
وَوِفَاقُهُ نَفْسُ اتِّبَاعِكَ أمْرَهُ
والقَصْدُ وَجْهُ اللهِ ذِي الإحْسَانِ

---

(١) ومن علامة محبة الله محبة أوليائه، أمَّا من يدعي محبة الله ويُبغض أولياءَه فهذا بهتان وكذب، فكل من ادَّعىٰ محبة الله وليس فيه هذا الدليل فهو كاذب.

(٢) العبادة هي محبة الله مع الذل له فتعريف العبادة باختصار: هو غاية الحب مع غاية الذل، فلا بد من اجتماع الأمرين: غاية الذل مع غاية الحب، والتعريف المُفصَّل، ما ذكرَه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «العبادة: هي اسمٌ جامع كُلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، الظاهرة والباطنة».

(٣) هذه من علامات المحبة، أن توافق المحبوب فيما يُحب وفيما يكره فتُحب ما يُحب وتكره ما يكره.

هـذا هـو الإحسـانُ شَـرْطٌ فـي قَبُـوْ
لِ السعـي فـافْهَمْـهُ مِـن القـرآنِ[١]

والإتِّبَـاعُ بِـدُونِ شَـرْعِ رَسُـولِـهِ
عَيْـنُ المُحَـالِ وأبْطَـلُ البُطْـلاَنِ

فـإذ نبـذتَ كتـابَـهُ ورسـولَـهُ
وتَبِعْـتَ أمـرَ النفـسِ والشيطـانِ

وتَخِـذْتَ أنـداداً تُحِبُّهُـمُ كحُـبْ
بِ اللهِ كُنـتَ مجـانـبَ الإيمـانِ[٢]

ولقـد رأينـا مِـن فـريـقٍ يـدَّعـي الْـ
إسـلامَ شِـرْكـاً ظـاهـرَ التِّبيـانِ

---

(١) الإحسان: هو إتقانُ العبادة وإتمامُها، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠] وقال النبيُّ ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنَّكَ تراه فإن لم تكن تراهُ فإنَّه يراك»(*) فتعبد الله بالمشاهدة كأنَّكَ تشاهدُه من قوة الإيمان واليقين، فإن لم تبلغ هذه المرتبة فتعلم أنَّه يراك فتخاف منه ومن مراقبته تعالىٰ.

(٢) فإن ادعيتَ محبة الله وأنت في نقيضها لا تُطيع أوامرَهُ ولا تجتنب نواهيه، ولا تحبُّ أولياءَه، ولا تُبغض أعداءَه، فأين المحبة؟ فإذا انتفت الأدلة انتفىٰ المدلول.

(*) سلف تخريجه ص٧٨١.

جعلـوا لَـهُ شُـركـاءَ وَالَـوْهُـمْ وَسَـوْ
وَوْهُـمْ بـه فـي الحُـبِّ لا السلطـانِ
والله مــا ســاوَوْهُــمُ بــاللهِ بــلْ
زادُوا لَهُــمْ حُبّــاً بِــلا كِتمــانِ(١)
واللهِ مـا غَضِبـوا إذا انْتُهِكَـتْ مَحَـا
رِمُ رَبِّهِـمْ فـي السِّـرِّ والإعـلانِ(٢)

---

(١) يذكر رحمه الله في وقته أناساً ادعوا أنَّهم من أهل التوحيد ويحبون الله، ورأىٰ منهم العجائب من المخالفات، كما حصل من عُبَّاد القبور يدَّعُون الإسلامَ ومحبةَ الله وهم يعبدون الأموات ويستغيثون بهم من دون الله وهذا تناقض، بل زادُوا في محبة الأصنام والأشجار والقبور أكثر من محبتهم لله تعالىٰ، بدليل أنَّه إذا تُنقِّص الله عندَهم فإنَّهم لا يتحركون، وإذا تُنقص الذي يعبدونه هاجت هائجتُهم، وحملوا سلاحَهم، وانطلقت ألسنتُهم بالسَّبِّ، وهذا واضح ومستمر إلىٰ الآن، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

(٢) فهم يرون المعاصي والمنكرات والمخالفات وتنقُّصَ الربِّ سبحانه وإنكارَ أسمائِه وصفاته ولا يغارُون لذلك، بل لا يرون الجهاد في سبيل الله، وإذا انتُقصت معبوداتُهم حصلِ منهم ما حصل، من الغضب والمعاداة، وهذا ينجرُّ إلىٰ الذين يُقلِّدون الأئمة والعُلماء تقليداً أعمىٰ، إذا ذكرت السُّنَّة والأخذ بالدليل والراجح غضبوا وقالوا: هؤلاء لا يحبون الأئمة، وإذا مُدح المذهب أو الإمام فرحوا واستبشروا، والواجب علىٰ المسلم =

حتَّىٰ إذا ما قِيلَ في الوثَنِ الذي
يَدْعُونَهُ ما فيهِ مِنْ نُقْصَانِ
فأجَارَكَ الرَّحْمٰنُ مِنْ غَضَبٍ وَمِنْ
حَرْبٍ وَمِنْ شَتْمٍ ومِنْ عُدْوَانِ
وأجَارَكَ الرَّحمٰنُ مِنْ ضَرْبٍ وتَعْـ
ـزِيرٍ ومِنْ سَبٍّ ومِنْ تَسْجَانِ
واللهِ لَوْ عَطَّلْتَ كلَّ صفاتِهِ
ما قابلُوكَ ببعضِ ذا العُدوانِ[1]
واللهِ لو خالفْتَ نصَّ رسُولِهِ
نَصّاً صريحاً واضحَ التِّبيانِ
وتَبِعْتَ قولَ شيُوخِهِمْ أو غيرِهِمْ
كنتَ المُحَقِّقَ صاحِبَ العِرفانِ[2]
حتَّىٰ إذا خالفْتَ آراءَ الرِّجَا
لِ لِسُنَّةِ المَبْعُوثِ بالقُرْآنِ

= أنْ يدور مع الحق حيثما دار ولا يتعلَّق بغير الحق، والأئمة يوصون باتباع الحق، ويُنكرون علىٰ مَنْ قلَّدهم وترك الحق كما هو معلوم من كلامهم، ومُدوّن في كتبهم، أنَّهم ينكرون تقليدهم بغير حق، ويوجبون اتباع الدليل مع من كان.

(١) لو عطَّلت كلَّ صفاتِ الربِّ ما عادوك، لكن لو سَبَبْتَ أوثانَهم أو تنقَّصْتَها لأتاك شيءٌ عظيم من اللوم والأذىٰ واستعداء السلطان عليك.

(٢) لو خالفت نص الرسول وتبعت قول شيوخهم أثنوا عليك عاطر الثناء.

نَــادَوْا علَيْــكَ بِبِــدْعَــةٍ وضَــلاَلَــةٍ
قَـــالُـــوا وفـــي تكْفِيـــرِهِ قَـــوْلانِ
قـالُـوا تَنَقَّصْـتَ الكِبَـارَ وسَـائِـر الْـ
ـعُلَمَـاءِ بَـلْ جَـاهَـرْتَ بِـالْبُهْتَـانِ
هــذا ولــم تَسْلُبْهُــمُ حَقّــاً لَهُــمْ
ليكــونَ ذا كَــذِبٍ وذا عُــدوانِ[١]
وإذا سَلَبْـــتَ صِفـــاتِـــهِ وعُلُـــوَّهُ
وكــلامَــه جهــراً بــلا كِتمــانِ[٢]
لـم يَغضبـوا بـل كـانَ ذلـك عنـدَهُـمْ
عَينَ الصواب ومُقْتَضَىٰ الإحسانِ[٣]
والأمْــرُ واللهِ العَظِيــمِ يَــزِيــدُ فَــوْ
قَ الوَصْفِ لا يَخْفَىٰ علىٰ العُمْيَانِ
وإذا ذكَـــرْتَ اللهَ تَـــوْحِيـــداً رأيْـ
ـــتَ وجُـوهَهُـمْ مَكْسُـوفَـةَ الألْـوَانِ

---

(١) ما سلبنا هؤلاء الشيوخ حقاً لهم؛ لأنَّ حقَّ الاتباع للرسول ﷺ وليس لهم، فالعلماءُ يُتبعون فيما وافقوا فيه الرسول ﷺ ويُخالفون فيما خالفوا فيه الرسول ﷺ، وليس في هذا تنقُّصٌ لهم.

(٢) أمَّا إذا تعديت علىٰ الله تعالىٰ وسلبت عُلُوَّه علىٰ عرشه وكلامه وصفاته زاد قدرك عندهم.

(٣) لا يغضبون لله إذا سلبت صفاته بل يفرحون ويقولون: هذا هو الصواب.

بَـلْ يَنْظُـرُونَ إليْـكَ شَـزْراً مِثْـلَ مَـا
نَظَـرَ التُّيُـوسُ إلـىٰ عَصَـا الجُـوبَـانِ
وإذا ذَكَـرْتَ بِمِـدْحَـةٍ شُـرَكَـاءَهُـمْ
يَتَبَـاشَـرُونَ تَبـاشُـرَ الفَـرْحَـانِ
والله مـا شَمُّـوا روائِـحَ دِينِـهِ
يـا زَكْمَـةً أعْيَـتْ طَبِيـبَ زَمَـانِ[1]

* * *

(١) أصبحوا لا يحسون بالخطأ كالمزكوم الذي أصبحت حاسة الشم عنده معطلة وتعسر علاجه عند الأطباء.

فصل

في صفّ العَسْكَريْنِ وتقابُل الصَّفَّيْنِ واستدارة رحىٰ الحربِ العوانِ وتصاول الأقران(١)

---

(١) لمَّا ذكر الشيخ رحمهُ الله مواقف أهل الضلال من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونبذهم الاستدلال بالوحيين، وأخذهم بأدلة العقل، وعزلهم نصوص الكتاب والسنة عن الاستدلال، ذكر في هذا الباب أن أهل الحق لا يتركونَهم علىٰ هذا الضلال وعلىٰ هذا التلبيس لِيُضلّوا عباد الله، بل إنه يجب علىٰ أهل الحق مقاومة هؤلاء ودحض حُججهم، وكشف شبهاتهم، وفضح زيفهم، حتىٰ يتبين الحق وينكشف الضلال، فلو تُرك هؤلاء، وتُركت كتبُهم وأقوالُهم بدون تبيين ما فيها من الباطل؛ لراج هذا عند المسلمين الذين ليس عندهم بصيرة قوية، وهذا ممَّا يوجب علىٰ أهل الحق فضح أهل الباطل والتحذير منهم في كُلِّ زمانٍ ومكان، فلا مُداهَنة ولا مُجاملة في دين الله تعالىٰ، والله تعالىٰ يقول لرسوله ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢] أي: بالقرآن، والجهاد يكون بالحُجَّة والبيان كما يكون بالسلاح، فهذا هو الواجب علىٰ علماء المسلمين في كلِّ زمان ومكان الرد علىٰ أهل الباطل، وكشف شبهاتهم فهذه سنة إلٰهية، والله تعالىٰ أرسل الرسل لأجل بيان الحق ودحض الباطل، وليس هناك حرية أفكار في الكفر والردة والإلحاد، فلا يجوز السكوت علىٰ أهل الباطل، ولهذا عقد الناظم هذا الفصل في موقف أهل الحق من أهل الباطل، وسَمَّىٰ ذلك حرباً، والحرب قد تكون =

يا مَنْ يُشِبُّ الحربَ جهلاً ما لَكُمْ
بقتــالِ حِــزبِ اللهِ قَــطٌّ يــدانِ(١)

أنَّىٰ تقــومُ جنــودُكُــمْ لجنــودِهِــمْ
وهُــمُ الهُــداةُ وعَسْكَــرَ القــرآنِ

وجنــودُكُــمْ مــا بيــن كَــذّابٍ وَدَجْــ
جَــالٍ ومُخْتــالٍ وذِي بُهتــانِ

مِنْ كُلِّ أرْعَنَ يَدَّعِي المَعْقُولَ وَهْـ
ـوَ مُجَــانِــبٌ للْعَقْــلِ والإيمَــانِ

= بالسلاح وقد تكون بالخصومة والجدال، وقوله: «واستدارة رحىٰ الحرب العوان» يعني المستمرة، فذكر الناظم رحمه الله في هذا الفصل العظيم جيوش أهل الحق وجيوش أهل الباطل، وقارن بينهم، وذكر سلاح أهل الحق وسلاح أهل الباطل، فجيوش أهل الحق هم الملائكة والرسل والصحابة والأئمة والفقهاء وعُلماء الأمَّة، وجيوش أهل الباطل الفلاسفة وأهل المنطق وأهل البدع والفرق الضالة، فهي مُلفقة من كلِّ جنسٍ خبيث، وهل يتقابل جنود الشيطان مع جنود الرحمٰن؟ ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] وأمَّا سلاح أهل الحق فهو قال الله قال رسوله قال الصحابة قال أئمة الهدىٰ، هذا سلاحهم، وأمَّا أهل الباطل فليس معهم إلاّ قال أرسطو وقال ابن سينا والفارابي فهذه هي جنودُهم وهذه هي حُجَجُهم، فإذا قارنت بين الجنود والجنود وبين السلاح والسلاح عرفت الفرق الواضح بين الموقفين.

(١) ما لكم يدان، يعني قوة.

أو كُــلِّ مُبْتَــدِعٍ وجَهْمِــيٍّ غــداً
فــي قلبِــهِ حَــرَجٌ مِــنَ القُــرآنِ[١]

أو كُلِّ مَنْ قد دانَ دينَ شُيُوخِ أهْـ
ـــلِ الاعتــزالِ البيِّــنَ البُطــلانِ[٢]

أو قــائــلٍ بــالإتحــادِ وإنَّــهُ
عيــنُ الإلــهِ ومــا هُنــا شيئــانِ[٣]

أوْ مَــنْ غَــدَا فِــي دينِــهِ مُتَحَيِّــراً
أتْبَــاعَ كُــلِّ مُلَــدِّدٍ حَيْــرَانِ

وجنــودُهُــمْ جبريــلُ مع ميكــالَ مع
بــاقــي المــلائِــكِ نــاصــري القُــرآنِ

---

(١) هؤلاء جنود أهل الباطل الجهمي هو التابع للجهم بن صفوان الجامع لكل وصف خبيث.

(٢) أهــل الاعتــزال: أتباع واصل بن عطاء الغـزَّال المعتـزلـي سمُّوا بالمعتزلـة لأنَّهمُ اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمهُ الله، ودين المعتزلة نفي الصفات عن الله ونفي القدر وإخراج صاحب الكبيرة من الإسلام.

(٣) من جنودهم الاتحادية الذين يقولون: بوحدة الوجود أتباع ابن عربي وابن سبعين، وأنَّهُ لا انقسام في الكون بين الخالق والمخلوق، فكلُّهُ هو الله، تعالىٰ الله عمَّا يقولون، هؤلاء جنود أهل الباطل.

وجميعُ رُسْـلِ اللهِ مِـن نـوحٍ إلـىٰ
خيـرِ الـورَىٰ المبعـوثِ مِـن عـدنـانِ
فالقلبُ خَمْسَتُهُمْ أُوْلُو العَزْمِ الأُوْلَىٰ
فـي سُـورَةِ الشـورىٰ أَتَـوْا ببيـانِ[1]
فـي أوْلِ الأحْـزَابِ أيْضـاً ذكْـرُهُـمْ
هُـمْ خَيْـرُ خَلْـقِ اللهِ مِـنْ إنْسَـانِ
ولـواؤُهُـمْ بيـدِ الـرسـولِ مُحمَّـدٍ
والكـلُّ تحـتَ لـواءِ ذي الفُـرقـانِ[2]
وجميعُ أصحابِ الرسولِ عصابةُ الْـ
إسـلامِ أهـلُ العلـمِ والإيمـانِ[3]

---

(١) جنودُ أهل الحق:

الملائكة ونصَّ علىٰ جبريل وميكال لأنَّهمُ رؤساء الملائكة.

والرسل من نوح عليه السلام إلىٰ محمد عليهم الصلاة والسلام، كلهم في صفّ أهل الحق، ومن جنود الحق، فمن يُقاوم الملائكة والرسل؟

والمراد بأهل العزم: إبراهيم ومحمد ونوح وموسىٰ وعيسىٰ المذكورون في سورة الشورىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾[الشورىٰ: ١٣]

(٢) كل الرسل تحت لواء محمدٍ ﷺ، لأنَّهُ أفضل الرسل وخاتم النبيين.

(٣) هذا هو الصنف الرابع من صنوف أهل الحق وعساكر الإيمان وهم صحابة رسول الله، وهم خير الأمة، وهم في المرتبة بعد الأنبياء في الفضيلة وقوة الإيمان.

والتـابِعـونَ لهـم بـإحسـانٍ علـىٰ
طبقـاتِهِـمْ فـي سـائِـرِ الأزمـانِ[١]

أهـلُ الحـديـثِ جميعُهُم وأئمَّـةُ الـ
ـفَتْـوَىٰ وأهـلُ حقـائـقِ العِـرفـانِ[٢]

العـارِفُـونَ بـربِّهـم ونبيِّهِـمْ
ومراتبِ الأعمالِ في الرُّجْحانِ[٣]

صـوفِيَّـةٌ سُنِّيَّـةٌ نبـويَّـةٌ
لَيسُـوا أُولـي شَطْـحٍ ولا هـذَيـانِ[٤]

---

(١) ومن جنود الحق التابعون الذين هم تلاميذُ الصحابةِ وأتباعُ التابعين إلىٰ يوم القيامة فهؤلاء هم جنود الحق.

(٢) أهل الحديث الذين اعتنوا بالرواية والأسانيد والفقه، وأهل الفتوىٰ وهم المجتهدون.

(٣) فهم يميزون بين الحق والباطل، ويجادلون أهل الباطل عن إيمان وصدق ويقين فمدارُهُم علىٰ الحق.

(٤) قوله: صوفية محلّ نظر، لأنَّ نسبة الصوفية لأهل السنة وأهل الحق مطلقاً فيه نظر، لأنَّ الصوفية مُحدَثة ليس لها أصل في الدين، ولكنَّ الشيخ رحمهُ الله يقصد الصوفية العُبَّاد والزُّهَّاد الذين ليس عندهم شطحات، مثل: إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وبشر الحافي والجُنيد، هؤلاء عندهم زُهد وتُقىٰ وعبادة وليس عندهم شطحات مثل صوفية المتأخرين، فهو يقصد الصوفية المعتدلة، وهم الزهَّاد والعبَّاد، وليتَهُ لم يذكر هذه الكلمة لأنَّهُ قد يغتر بها أهل الأهواء ويقولون: أثنىٰ =

هــذا كــلامُهُــمُ لــدَيْنَــا حَــاضِــرٌ
مِــنْ غَيْــرِ مَــا كَــذِبٍ ولا كِتْمَــانِ
فــاقْبَــلْ حــوالــةَ مَــن أحــالَ عليهِــمُ
هُــمْ أمْلِيــاؤُهُــمُ أُوْلُــو إمكــانِ(١)
فــإذا بعثنــا غَــارةً مِــنْ أُخْــرَيــا
تِ العسكَــرِ المنصــورِ بــالقُــرآنِ
طَحنَتْكُمُ طَحْنَ الرَّحىٰ للحَبِّ حتـ
ـتَىٰ صِرْتُمُ كـالبعرِ في القِيعـانِ(٢)

= علىٰ الصوفية وهو لا يُريد هذا رحمهُ الله، فالكلمة إذا صار فيها إجمال وأنَّها تُستغل فينبغي تجنُّبها، وأمَّا سُنية: فهم من علىٰ مذهب أهل السنة، ونبوية: يعني أتباع النبي ﷺ، وقوله: «ليسوا أولىٰ شطح ولا هذيان» هذا يُفسِّر قوله: صوفية، بأنَّهم من ليسوا بأهل الشطحات الذين خرجوا عن الحق.

(١) من أحالك علىٰ أهل السنة فاقبل الحوالة، لأنَّها إحالة علىٰ مليء وقد قال ﷺ: «من أُحيل علىٰ مَلِيءٍ فليحتل»(*).

(٢) لمَّا ذكر رحمهُ الله جنود أهل الحق وطبقاتهم وما معهم من السلاح قال لأهل الباطل: لو أرسلنا لكم كتيبة من آخر جيش الإيمان لطحنتكم فكيف لو جاءتكم جنود الإسلام كُلُّها ماذا تكونون؟

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٦/ ٤٧-٤٨ (٩٩٧٣) من حديث أبي هريرة، وهو حديث إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

أَنَّىٰ يُقَـاوِمُ ذي العسـاكِـرِ طَمْطَـمٌ
أَوْ تَنْكَلُـوشَـا أَوْ أَخُـو اليـونـانِ[١]
أعنـي أَرِسْطُـو عـابِـدَ الأوثـانِ أَوْ
ذاكَ الكفـــورَ مُعلِّـــمَ الألحـــانِ
ذاك المعلـــمَ أولاً للحـــرفِ والثـ
ـاني لصـوتٍ بِئْسَـتِ العِلْمـانِ[٢]
هـذا أسـاسُ الفسـقِ والحرفُ الـذي
وضَعـوا أسـاسَ الكُفـرِ والهَـذيـانِ[٣]
أو ذلِـكَ المخـدوعَ حـامـلَ رايـةِ الـ
إلحـــادِ ذاكَ خليفـــةُ الشيطـــانِ

---

(١) هل يُقاوم هذه الجنود من الملائكة والرسل والصحابة والتابعين فيلسوف من الهند اسمهُ طمطم أو تنكلوش أو فيلسوف من اليونان الذي هو أرسطو مُحدث علم الفلسفة والمنطق وهم مُقدَّمُوكم.

(٢) أرسطو: هو المعلم الأول، لأنَّهُ هو الذي أحدث علم الفلسفة وعلم المنطق، والفارابي: أبو نصر هوُ المعلِّم الثاني الذي ورث الفلسفة عن أرسطو، وأحيا هذه الفلسفة، وأضاف إليها علم الموسيقىٰ والنغم والألحان، فهو جمع بين جريمتين: جريمة الفلسفة التي تُفسد العقائد، وجريمة اللهو الذي يُفسد الأخلاق هذه هي جريمة الفارابي وميراثه.

(٣) فالحرف الذي هو الفلسفة والمنطق أساس الكفر، والصوت الذي هو الطرب والألحان أساس الفسق ويُفسد الأخلاق.

أعني ابنَ سينا ذلكَ المحلُولَ مِنْ
أديــانِ أهــلِ الأرضِ ذا الكُفــرانِ[١]
وكــذا نصيــرَ الشــركِ فــي أتبــاعِــهِ
أعــــداءِ رُسْــــلِ اللهِ والإيمــــانِ
نصروا الضلالةَ مِن سفاهةِ رأيِهِمْ
وغَــزَوْا جيــوشَ الــدِّيــنِ والقــرآنِ
فجــرىٰ علــىٰ الإســلامِ منهُــمْ مِحْنَــةٌ
لــم تجــرِ قــطُّ بســالــفِ الأزمــانِ[٢]

---

(١) هذا ابن سينا الذي يسمونه الرئيس، أبو علي بن سينا، كان أبوه يهودياً، وهو ادَّعىٰ الإسلام علىٰ طريقة الباطنية فهو إسماعيلي اشتهر بالطب، لكن في العقيدة هو علىٰ مذهب الفلاسفة والإسماعيلية، وأراد التقريب بين الإسلام والفلسفة، وهذا من التزوير والإلحاد في دين الله، وكتبُه موجودة ومطبوعة ويفتخر بها بعض المنتسبين للإسلام وهي كفرٌ وإلحاد.

(٢) نصير الدين الطوسي المعروف «بالخواجة» شيعي خبيث، وهو الذي جرَّ التتار علىٰ بلاد المسلمين هو وابن العلقمي فتمالأ هذان الشيعيان فجرُّوا جيوش التتار الملاحدة الوثنيين علىٰ بلاد المسلمين، وأسقطوا الخلافة، وقتلوا الخليفة العباسي والمسلمين في بغداد حتىٰ تناثرت الجثث في الشوارع، وأحرقوا الكتب ورموها في نهر دجلة حتىٰ تغير ماء دجلة، ووصلوا إلىٰ مصر، كل هذا بسبب هؤلاء الخبثاء الذين ادعوا الإسلام وهم من باطنية الشيعة، وهكذا الشيعة دائماً يكونون مع أعداء المسلمين، يكونون مع صفِّ أعداء المسلمين ضدَّ المسلمين علىٰ مدار التاريخ.

أو جَعْـــدٌ أو جَهْـــمٌ وأتبـــاعٌ لـــهُ
هُـــمْ أُمَّـــةُ التعطيـــلِ والبُهتـــانِ(١)

أو حَفْـــصُ أو بِشْـــرٌ أو النَّظّـــامُ ذا
كَ مُقـــدَّمُ الفُسَّـــاقِ والمُجَّـــانِ(٢)

والجعفـــرانِ كـــذاكَ شيطـــانٌ وَيُـــدْ
عَىٰ الطاقَ لا حُيِّيتَ من شيطانِ(٣)

وكـــذلـــكَ الشَّحَّـــامُ والعـــلاّفُ والـ
نَجّـــارُ أهـــلُ الجهـــلِ بـــالقُـــرآنِ(٤)

---

(١) الجعد هو ابن درهم الذي أنكر الأسماء والصفات، والجهم بن صفوان تبع الجعد علىٰ ضلاله. هؤلاء من عساكر أهل الباطل، فهم أمة تعطيل الأسماء والصفات وتعطيل الخالق سبحانَهُ وتعالىٰ.

(٢) حفص الفرد من أئمة المعتزلة، وكذلك النظّام المشهور بالاعتزال وعلم المنطق الذي صاغ علم المنطق ووضع لَهُ القواعد والمُقدِّمات فهو من أئمة الفلاسفة والمعتزلة.

(٣) الجعفران: جعفر بن حرب وجعفر بن مبشر وهؤلاء من أئمة المعتزلة، وشيطان الطاق محمد بن علي بن النعمان الشيعي شاعر جمع الشعر والتشيع والإلحاد.

والطاق: اسم موضع في بغداد كان يسكنُ فيه فأُضيف إليه وسُمي بالشيطان لتمرده وعتوه.

(٤) كل هؤلاء من أئمة المعتزلة والجهمية.

والله مـا فـي القـومِ شخـصٌ رافـعٌ
بـالـوَحْـي رأسـاً بـل بـرأي فُـلانِ(١)

وخيـارُ عَسْكَـرِكُـم فـذاك الأشْـ
ـعَريُّ القَرْمُ ذاكَ مُقدَّمُ الفُرسانِ(٢)

لكِنَّكُـمْ واللهِ مـا أنْتُـمْ علـىٰ
إثْبَـاتِـهِ والحَـقُّ ذُو بُـرْهـانِ

هـو قـال إنَّ الله فـوقَ العـرش واسْـ
ـتَـوْلَـىٰ مقـالـةَ كُـلِّ ذي بُهتـانِ

فـي كُتْبِـهِ طُـرّاً وقَـرَّرَ قـول ذي الـ
إثبـاتِ تقـريـراً عظيـمَ الشـانِ(٣)

---

(١) ما في هؤلاء من يرفع رأساً بالوحي، وإنما يهتمون بالأدلة العقلية التي يُسمونها يقينية.

(٢) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري نسبة إلىٰ «الأشعر» من اليمن وهو من ذرية أبي موسىٰ الأشعري. كان علىٰ مذهب المعتزلة في أول أمره ثمَّ تاب منه واعتنق مذهب الكُلَّابية، ثمَّ تاب منه وانتسب لمذهب أهل السنة، وألَّف «الإبانة في أُصول الديانة».

(٣) أعلن بأنَّهُ يقول بقول الإمام أحمد في الاستواء علىٰ العرش استواءً حقيقياً يليق بجلال الله بمعنىٰ العلو والارتفاع، وقد صرَّح بذلك في كتابه «الإبانة» وهو مطبوع، وتبرأ من مقالة: استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ.

لكنَّكُمْ أكفرْتُموه وقلتُمُ
مَنْ قال هذا فهو ذُو كُفرانِ(١)

فخيارُ عسكرِكُمْ فأنتُمْ مِنْهُمُ
بُرآءُ إذ قَرُبُوا من الإيمانِ(٢)

هذي العساكِرُ قد تلاقَتْ جَهْرَةً
ودنا القتالُ وَصِيحَ بالأقرانِ(٣)

صفُّوا الجيوشَ وعَبِّئُوها وابْرُزُوا
للحربِ واقتربوا من الفرسانِ

فَهُمُ إلىٰ لُقياكُمُ بالشوقِ كي
يُوفُوا بِنَذْرِهِمُ مِن القُربانِ(٤)

---

(١) يعني كفَّرتم إمامَكم أيها الأشاعرة لأنَّكم تقولون: من قال بإثبات استواء الله علىٰ عرشه فهو مُجسِّمٌ كافر، فمعنىٰ هذا أنكم حكمتم علىٰ إمامكم بالكفر لأنَّهُ يقول هذا.

(٢) خيارُ عسكركم وهو أبو الحسن الأشعري قد تبرأتم منه لتوبته ورجوعه لمذهب أهل السنة.

(٣) هذه عساكر الموحدين وعساكر الملحدين قد التحمت وصيح بالأقران للقتال.

(٤) أهل السنة يشتاقون إلىٰ لقاء هؤلاء ليدحضوا ما عندهم من الباطل، ويردوا علىٰ ما عندهم من الشبه، حيث إنَّهمُ نذروا لله أن يتقربوا إليه بقتالكم، بإبطال حُججكم وشبهاتكم.

وَلَهُـمْ إليكُـم شَـوْقُ ذِي قَـرَمٍ فمـا
يَشْفيــهِ غيــرُ مــوائــدِ اللُّحْمــانِ[١]
تَبّــاً لكُــمْ لــو تَعقِلُــون لكنتُــمُ
خَلْفَ الخُدورِ كأضعفِ النِّسوانِ[٢]
مــن أيــن أنتُـمْ والحـديثُ وأهلُـهُ
والـوحـيُ والمعقـولُ بـالبـرهـانِ[٣]
مـا عنـدكُـمْ إلاّ الـدعـاوَىٰ والشكـا
وَىٰ أو شهــاداتٌ علــىٰ البُهتــانِ[٤]
هــذا الــذي واللهِ نِلْنَــا مِنْكُــمُ
فــي الحَـرْبِ إذْ يتَقَـابَـلُ الصَّفَّـانِ

---

(١) القَرَم بفتح الراء هو شهوة أكل اللحم، فيهم قرم عليكم مثل قرم الذي يشتهي اللحم فهم أهل شجاعة وثبات ليسوا جُبناء، فشبَّه حرص أهل الحق علىٰ ملاقاة أهل الباطل بحالة من فيه قَرَمٌ للحم.

(٢) لو تعقلون حالَكُم وما أنتم عليه من الباطل وسلاحكم الفاسد وتأملتم في جنودكم من هم؟ لتخلَّفتم وراء الستور مثل النساء، بل أنتم أذلُّ من النساء لأنَّهُ ليس معكم سلاح.

(٣) أنتم بعيدون من كتاب الله وسنة رسوله والعقل الذي تعتمدون عليه وهو العقل الصحيح ضدُّكمُ.

(٤) ما عندكم إلاَّ هذه الأمور: إمَّا دعاوىٰ باطلة أو شهاداتٌ مزيَّفة أو الشكايات لأهل السلطة كما حصل للمأمون مع الإمام أحمد بسبب وشاية المعتزلة له.

والله مـــا جئتُـــمْ بقـــال اللهُ أوْ
قـالَ الـرسـولُ ونحـنُ فـي الميـدانِ

إلاَّ بِجَعْجَعَـــةٍ وفَـــرْقَعَـــةٍ وغَمْـ
ـغَمَـــةٍ وقَعْقَعَـــةٍ بكُـــلِّ لســـانِ[١]

ويَحِـــقُّ ذاكَ لكُـــمْ وأنتُـــمْ أهلُـــهُ
أنتُـمْ بحـاصِلِكُـمْ أُوْلُـوا عِـرفـانِ[٢]

وبحقِّكُـــمْ تَحْمـــوا منـاصبَكُـــمْ وأنْ
تَحْمُـــوا مـآكِلَكُـمْ بكُـلِّ سِنـانِ[٣]

وبحقِّنـا نَحْمـي الهُـدىَ ونَـذُبُّ عَـنْ
سُنَـنِ الـرسـولِ ومُقْتَضـىٰ القُـرآنِ[٤]

---

(١) كل ما تُدلون به علينا ليس فيه قرآن ولا سنة، وإنَّما هو دعاوىٰ مالها أساس من الحق، فليس عندكم إلاَّ التهويلات والإرجافات وكلام فيه تخويف وتهديد، وهو إذا تأمله العاقل والمنصف وجدَهُ لا شيء، وهذا مثالُ الباطل.

(٢) ويحقُّ لكم هذه المهانة وهذه الذلة وأنتم أهلُها لأنكم عاديتم كتاب الله وسنة رسوله وأهل الحق، فيحقُّ لكم هذا الهوان والخُذلان والفضائح.

(٣) تريدون أن تحموا مناصبكم من الوزارة والقضاء والوظائف التي أنتم عليها ولو بالباطل.

(٤) أمَّا نحن فلسنا ننظر إلىٰ المناصب ولا الوظائف ولا المآكل والمشارب بل ننظر لنصرة الحق.

قَبَحَ الإلٰهُ مناصباً ومآكِلاً
قامَتْ علىٰ العُدوانِ والطُّغيانِ[١]

واللهِ لو جِئْتُمْ بقالَ الله أوْ
قالَ الرسولُ كَفِعْلِ ذي الإيمانِ

كُنَّا لكُمْ شاوِيشَ تعظيمٍ وإجْـ
ـلالٍ كشاويشٍ لذي سلطانِ[٢]

لكنْ هَجَرْتُمْ ذا وجئتُمْ بِدْعَةً
وأردتُمُ التعظيمَ بالبهتانِ[٣]

* * *

---

(١) هذه المناصب والمآكل والمشارب تذهب سُدىٰ ولا تنفع أهلها بخلاف الحق فإنه سيبقىٰ وينتصر في النهاية، لكن هذا يحتاج إلىٰ يقين وصبر كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «بالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدين» أخذاً من هذه الآية.

(٢) لو جئتم بالكتاب والسنة لصرنا جنوداً وخدماً لكم، لأنَّ صاحب الحق يريد الحق مع من كان، وهذا هو الإنصاف.

(٣) أخذتم بالبدعة ولم تأخذوا بالكتاب والسنة، ما أردتم الحق وإنما أردتم طمع الدنيا.

فصل

العلـمُ قـال اللهُ قـال رسولُـهُ
قال الصحابـةُ هُـمْ أُولُـو العِـرفانِ
ما العلـمُ نَصْبَكَ للخلافِ سفاهةً
بَيْنَ الرسـولِ وبيـنَ رأيِ فُـلانِ[1]

(١) لما ذكر الشيخ رحمهُ الله في الفصول السابقة ما حصل بين أهل السنة ومخالفيهم من الحرب والجهاد باللسان وإقامة الحجة والبُرهان، أراد أن يُبيِّن في هذا الفصل ما هو العلم الذي يجب أن يُتعلَّم وأن يُردَّ به علىٰ الخصوم، لأنَّ كلاًّ يدعي أنَّهُ علىٰ علم فما هو الفصل في ذلك؟ فالعلم ما جاء في القرآن والسنة وما جاء عن الصحابة، لأنَّهمُ تلاميذ الرسول، وقرنهم خير القرون، وأقرب إلىٰ فهم كلام الله ورسوله، فهم أهل العلم والفقه، فهذه المصادر الثلاثة هي مصادر العلم: الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وأمَّا مَنْ بعدَ الصحابة فإنَّهُ لا يؤخذ بقوله إلاَّ إذا وافق هذه الثلاثة الكتاب والسنة أو قول الصحابة.

وقوله: «ما العلم نصبك للخلاف سفاهةً»: «ما» نافية تعمل عمل «ليس» ترفع الاسم وتنصب الخبر، والعلمُ: اسمها ونصبَك خبرُها منصوب، والمراد: ليس العلم نصبَك للخلاف تجعله في مقابل قول الرسول، فلا قول لأحد مع قول الرسول ﷺ، ولهذا يقول ابن عباس لمَّا احتجوا عليه بقول أبي بكر وعمر في فسخ الحج إلىٰ العمرة: «أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء» وهذا مجمعٌ عليه بين أهل العلم، ويقول الشافعي رحمهُ الله: «أجمع المسلمون علىٰ أنَّ من استبانت له سنة الرسول ﷺ لم يكن له ليدعها لقول أحد».

كـــلاَّ ولا جَحْــدُ الصفــاتِ لِــرَبِّنــا
فــي قَــالَــبِ التنــزيــهِ والسَّبْحَــانِ(١)
كــلاَّ ولا نَفْــيُ العُلُــوِّ لِفَــاطِــرِ الْـ
أَكْــوَانِ فَــوْقَ جَمِيــعِ ذي الأكْــوَانِ
كــلاَّ ولا عَــزْلُ النصــوصِ وأَنَّهــا
ليسَــتْ تفيــدُ حقــائــقَ الإيمــانِ(٢)
إذْ لا تُفِيـــدُكُـــمُ يَقِينـــاً لا ولا
عِلْمــاً فقَــدْ عُــزِلَــتْ عَــنِ الإيقــانِ
والعلــمُ عنــدكُــمُ يُنــالُ بغيــرِهــا
بِــزبــالَــةِ الأفكــارِ والأذهــانِ(٣)

---

(١) كذلك العلم: إثبات ما أثبتَهُ الله لنفسه وما أثبته لَهُ رسولُهُ ﷺ من الأسماء والصفات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فليس العلم نفي الصفات كما عليه المعطلة لأجل التنزيه لله تعالىٰ بزعمهم، ولأنَّهم بنوا قواعدهم علىٰ علم المنطق والكلام.

(٢) من جهلهم قولهم: إنَّ نصوص الوحي لا تُفيد اليقين، ويسمونها أدلة ظنية، أمَّا قواعد الكلام فهي يقينية لأنَّ العقلَ دلَّ عليها، فنحنُ نعكس عليهم قولهم ونقول: الأصل هو النقل، والعقلُ إذا وافق النقلَ فيؤخذ به، وأمَّا إذا خالف النقلَ فيُضرب به عرض الحائط، مع العلم بأنَّ العقلَ الصريحَ لا يُخالف النقلَ الصحيحَ.

(٣) القواعد التي تسمونها عقليات، هي زُبالة أفكار وأذهان قالها فلان وفلان فهي مثل قُمامة الحشوش الوسخة. هذه هي علومهم.

سمَّيْتُمُــوهُ قَــواطعــاً عقليَّــةً
تَنْفـي الظـواهـرَ حـامـلاتِ معـانِ[١]

كــلاَّ ولا إحصــاءُ آراءِ الــرِّجــا
لِ وضَبطُهـا بـالحَصْـرِ والحُسبـانِ[٢]

كـلاَّ ولا التـأويـلُ والتبـديـلُ والتْـ
تَحْـرِيـفُ للـوحْيَيْـنِ بـالبُهتـانِ[٣]

كـلاَّ ولا الإشكـالُ والتشكيـكُ والـ
ـوَقْفُ الذي ما فيه مِن عِرفانِ[٤]

---

(١) سميتم العقليات قواطع يقينية، وسميتم النصوص ظواهر ظنية، فلأجل ذا قدَّمتم العقل، والعكس هو الصحيح.

(٢) كلاَّ وليس العلم أنَّك تقرأ وتحفظ آراء الرجال وكلام الفقهاء وعلماء المنطق والجدل، فالعلم أنَّك تحفظ ما جاء في الكتاب والسنة وآراء الصحابة وتمشي عليها هذا هو العلم.

(٣) كلاَّ وليس العلم هو التأويل، وهو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلىٰ معنىً آخر، أو تفوض النصوص إلىٰ الله وتجعلُها كالكلام الأعجمي الذي تُقرأ حروفُه ولا يُعرف معناه، بل العلم إبقاء النصوص علىٰ ظاهرها وعدم تأويلها أو تحريفها. هذا هو العلم الذي كان عليه سلفُ الأمة.

(٤) كلاَّ وليس العلم هو التشكيك وإيراد الاحتمالات، وأنَّ هذه الآية يرد عليها كذا وكذا من الاحتمالات فأيُّها المقصود؟ كما يفعل الرازي في تفسيره الذي سماه «مفاتيح الغيب» فلم يُنزل الله الكتاب والسنة للاحتمالات والألغاز والأحاجي وإنما أنزلهُما للهداية والبيان.

هــذي عُلــومُكُــمُ التــي مِــن أجْلِهــا
عــاديتُمــونــا يــا أُولــي العِــرفــانِ[1]

* * *

(١) هذه علومكم التي هي تقديم العقل علىٰ النقل وتأويل النصوص عن ظاهرها أو التوقف فيها والتفويض، فعلومكم هي الحيرة والاضطراب وإيراد الاحتمالات الكثيرة علىٰ الآية أو علىٰ الحديث.

فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المُعطِّلة وأهل الإلحاد حزب جنكيزخان[1]

يـا قَـوْمُ صـالحتُـمْ نُفـاةَ الـذاتِ والْـ
أوصـافِ صُلْحـاً مُـوْجِبـاً لأمـانِ[2]
وأغَـــرْتُـــمُ وَهْنــاً عليهِـــمْ غـــارةً
فَعْقَعْتُـــمُ فيهـــا لَهُـــمْ بِشِنـــانِ[3]

---

(١) جنكيزخان: هو قائد التتار الذين داهموا بلاد المسلمين في أيام خلفاء بني العباس بمشورة ابن العلقمي ونصير الكفر الطوسي الشيعيين اللذين جلبا جيوش التتار علىٰ بلاد المسلمين، لمَّا جاء هؤلاء بالجيش الجرّار الفتّاك، ما وقف في نُحورهم إلاّ أهلُ السنة والسلاطين الذين استقاموا علىٰ الدين، مثل قُطز وغيره الذين قاوموا التتار بمساندة من أهل العلم، فلما جاءت هذه المحنة ما ثبت إلاّ أهلُ الحق لأنَّهمُ بنوا إيمانهم علىٰ أساسٍ صحيح.

(٢) وصالحتم جيوش التتار الذين لا يؤمنون بالله عزَّ وجل.

(٣) لمَّا أردتم أن تُقاوموهم ما استطعتم أن تقفوا علىٰ أقدامكم وإنّما هي قعقعة شيء لا حقيقة له، لأنَّهُ ليس معكم سلاح من العلم والحُجة تقفون به في نحور هؤلاء.

مــا كــان فيهــا مِــن قتيــلٍ مِنْهُــمُ
كــلاَّ ولا فيهـــا أسيــرٌ عَـــانِ[١]
ولَطَفْتُــمُ فــي القــولِ أوْ صــانَعْتُــمُ
وأتيتُــمُ فــي بَحْثِكُــمْ بــدِهــانِ[٢]
وجلستُــمُ معهــم مجــالِسَكُــمْ مَــعَ الْــ
أستـــاذِ بـــالآدابِ والميـــزانِ[٣]
وضَــرَعْتُــمُ للقــومِ كُــلَّ ضَــراعَــةٍ
حتــىٰ أعــارُوكُــمْ ســلاحَ الجــانــي[٤]
فعــزَوْتُــمُ بســلاحِهِــمْ لعســاكــرِ الــ
إثبـــاتِ والآثـــارِ والقُـــرآنِ[٥]

---

(١) ولذلك ما أُسر من هؤلاء المعطلة واحد، ولا قُتل واحد، لأنهم لم يُقاوموا، لأنَّ القتل صار في أهل السنة، ولكن ما ضرَّ أهل السنة كثرة ما قُتل منهم بل صارت العاقبة لهم.

(٢) داهنتم جنكيزخان وشيعته، ولذلكَ ما أصابكم شيءٌ منهم، لأنّكم ليس لكم قيمة، وإنَّما الابتلاء كان لأهل السنة والجماعة، وهذه سنة الله تعالىٰ، فكانت لهم العاقبة وكان الخزي والعار علىٰ هؤلاء المُعطِّلة النفاة.

(٣) خضعتم لهم خضوعاً تاماً كخضوع التلميذ لمُدَرِّسه، تتلقون عنهم العلوم والمعارف خشيةً من بطشهم.

(٤) حتىٰ أعطوكم من مذهبهم ومن منهجهم الذي سرتم عليه فأسستم عليه منهجكم.

(٥) استعملتم سلاح التتار وجعلتموه ضدَّ أهل السنة فصرتم عبئاً علىٰ أهل السنة.

ولأجْـلِ ذا صـانَعْتُمُـوهُـمْ عِنْـدَ حَـرْ
بِكُـمُ لَهُـمْ بـاللُّطْـفِ والإذْعَـانِ
ولأجـلِ ذا كنتـم مَخـانيثـاً لهُـمْ
لَـمْ تَنفَتِـحْ منكـم لَهُـمْ عَينـانِ[1]
حـذراً مِـن اسْتِـرجـاعِهِـمْ لسـلاحِهِـمْ
فَتُـرَوْنَ بعـدَ السلـبِ كـالنِّسْـوانِ[2]
وبَحَثْتُمُ مـع صـاحـبِ الإثبـاتِ بـالتْـ
تكْفيـرِ والتضليـلِ والعُـدوانِ[3]

---

(١) المخانيث في اللغة جمع مُخَنَّث من الانخناث وهو التثني والتكَسُّر، والمخنث من يتشبه بالنساء في الانثناء والتكسر والكلام، والخنثىٰ المشكل: هو الذي لا يُدرىٰ أذكرٌ هو أم أنثىٰ، ولذلك فهؤلاء مخانيث لا يُدرىٰ أمرهم هل هم مُسلمون أم ليسوا بمسلمين، جمعوا بين الوصفين، يُمالئون التتار ويأخذون بمذهبهم وينتسبون للإسلام، فهم صاروا مثل الخنثىٰ المشكل فليسوا مع المسلمين ولا مع التتار.

(٢) ما معكم إلاَّ سلاحُهم فلذلك استسلمتم لأنَّكم تخشون أن يسحبوا سلاحهم منكم، ويسترجعوا كتبهم، ولا يبقىٰ لكم شيء.

(٣) وصفتم أهل السنة الذين يُثبتون الأسماء والصفات بالتضليل والتكفير، وموقفكم من أعداء الإسلام المداهنة والمصانعة والتأثر بهم وعدم مقاومتهم، وهكذا عند المحن والشدائد لا يثبت إلاَّ أهلُ الحق، أمَّا أهل الضلال فإنَّهم لا يثبتون عند الفتن والمصائب، لأنَّهم ليس لهم موقف ثابت، ويغلب عليهم النفاق، لأنَّهمُ يريدون العيش مع الغالب.

وقَلَبْتُمُ ظَهْرَ المِجَنِّ لَهُ وأجْـ
ـلَبْتُمْ عليه بعسكرِ الشيطانِ[1]

والله هذي ريبةٌ لا يختفي
مضمونُها إلاَّ على الثيرانِ[2]

هذا وبينهما أشدُّ تفاوُتٍ
فئتانِ في الرَّحمٰنِ يَختصمانِ[3]

هذا نفي ذاتَ الإلٰهِ وَوَصْفَهُ
نفياً صريحاً ليس بالكِتمانِ

---

(١) المجن: هو الشيء الذي يجتن به المقاتل دون السلاح ويشبه الترس، فيقول: قلبتم ظهر المجن فبدلاً من أن تستعملوهُ ضدَّ الكفار جعلتموه ضدَّ المسلمين.

(٢) فأنتم مثلها بل الثيران أحسن منكم، لأنَّ الثيران ليس فيها شرّ، وهي حيوانات أدت وظيفتها في هذه الحياة وليس فيها شر بل فيها نفع، أمَّا أنتم فلا نفع فيكم ولا خير فيكم.

(٣) بين أهل السنة وأهل التعطيل تفاوت، وهم خصمان كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ ... ﴾ [الحج: ١٩]. إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ... ﴾ [الحج: ٢٣] هذا مصير الخصمين إلىٰ النار أو إلىٰ الجنة.

لكـــنَّ ذا وصَـــفَ الإلــٰـه بكــلِّ أوْ
صَـافِ الكمـالِ المُطلَـقِ الـرَّبـانـي[١]
ونفىٰ النقائصَ والعُيوبَ كَنَفْيِهِ التـ
تَشْبيـــهَ للـــرحمٰـــنِ بـــالإنســـانِ[٢]
فـــلأيِّ شـــيءٍ كـــان حـــربُكُـــمُ لَـــهُ
بـــالحَـــدِّ دونَ مُعطِّـــلِ الـــرحمٰـــنِ
قلنـــا نعـــم هـــذا المُجَسِّـــمُ كـــافـــرٌ
أفكـــانَ ذلـــك كـــامـــلَ الإيمـــانِ[٣]
لا تَنْطَفِـــي نيـــرَانُ غَيْظِكُـــمُ علـــىٰ
هـــذا المُجَسِّـــمِ يـــا أُولـــي النِّيـــرانِ
فـــاللهُ يُـــوقِـــدُهَـــا ويُصْلِـــي حَـــرَّهَـــا
يـــوْمَ الحِسَـــابِ مُحَـــرِّفَ القُـــرْآنِ

---

(١) خصمٌ نفىٰ أوصاف الرب وأسماءَهُ ووصفَهُ بالنقائص والعيوب وهم المعطلة وخصمٌ أثبت ما أثبته الله لنفسه ونزَّههُ عمَّا لا يليقُ به وهم أهلُ السنة؟

(٢) فأهل السنة يثبتون الأسماء والصفات وينفون عنها التشبيه، فهم ينزهون الله تعالىٰ لكن من غير تعطيل.

(٣) تقولون: إن المتمسك بالسنة مُجسِّم، لأنَّ السنة تدلُّ علىٰ التجسيم وهو كفر، ولذلك كفَّرتم أهل السنة لأنَّهمُ مُجسِّمة. ويكفي تصوُّر هذا القول في قُبحه وبُعده عن الحق.

يـا قـومَنـا لقـد ارتكبتُـمْ خُطَّـةً
لـم يـرتكِبْهـا قـطُّ ذو عِـرفـانِ[١]
وأعنْتُـمُ أعْـدَاءكُـمْ بِـوِفـاقِكُـمْ
لَهُـمُ علـىٰ شـيْءٍ مِـنَ البُطْـلانِ
أخـذوا نَـواصيَكُـمْ بهـا ولِحـاكُـمُ
فَغَـدَتْ تُجَـرُّ بِـذِلَّـةٍ وهَـوانِ[٢]
قلْتُـمْ بقَـوْلِهِـمُ وَرُمْتُـمْ كَسْـرَهُـمْ
أنَّـىٰ وقـد غَلَقُـوا لكـم بـرِهـانِ[٣]
وكسَـرْتُـمُ البـابَ الـذي مِـن خلفِـهِ
أعـداءُ رُسْـلِ اللهِ والإيمـانِ[٤]

---

(١) ارتكبتم مع أهل السنة خُطةً لم يرتكبها إنسانٌ عارف وإنَّما يرتكبها الجاهل والأحمق، لأنه يجب الإنصاف حتىٰ مع العدو فلا تجور عليه وتُقوِّلُهُ ما لم يقل وأنتم خالفتم ذلك.

(٢) أصبحتم تبعاً للتتار يجرُّونكم بلحاكم وبرؤوسكم ولا تستطيعون الفكاك منهم، لأنَّكم استسلمتم لهم، ونسيتم كتاب الله وسنة رسوله، ولذلك استذلوكم واستبعدوكم، وهذه عاقبة من أعرض عن الكتاب والسنة وأخذ بأقوال الناس.

(٣) هم أخذوا عليكم رهوناً، يعني ليس لكم منهم خلاص.

(٤) دون الفتنة باب مغلق، فإذا كسر الباب جاءت الفتنة، فيجب علىٰ المسلمين أن يبقوا هذا الباب مغلقاً، ويحذروا من فتحه، فإنه إذا فتح هذا الباب، جاءتهم الفتن من كل صوب، وهذا الباب هو الكتاب والسنة، =

فـأتـىٰ عَـدُوٌّ مـا لَكُـمْ بِقِتَـالِهِـمْ
وبِحَـرْبِهِـمْ أبَـدَ الـزَّمَـانِ يَـدَانِ
فَغَـدَوْتُـمُ أسـرىٰ لهُـمْ بِحِبَـالِهِـمْ
أيْـدِيكُـمُ شُـدَّتْ إلـىٰ الأذْقَـانِ
حَمَلُـوا عليكُـمْ كـالسبـاعِ اسْتَقْبَلَـتْ
حُمُـراً مُعَقَّـرَةً ذوي أرسـانِ[1]
صـالُـوا عليكُـمْ بـالـذي صُلْتُـمْ بِـهِ
أنتُـمْ علينـا صَـوْلَـةَ الفـرسـانِ[2]
لـولا تَحَيُّـزُكُـمْ إلينـا كنتُـمُ
وَسْـطَ العـريـنِ مُمَـزَّقـي اللُّحْمـانِ[3]
لكِـنْ بِنَـا استَنْصَـرْتُـمُ وبِقَـوْلِنَـا
صُلْتُـمْ عَلَيْهِـمْ صَـوْلَـةَ الشُّجْعَـانِ
والْيَتُـمُ الإثْبَـاتَ إذْ صُلْتُـمْ بِـهِ
وعَـزَلْتُـمُ التَّعْطِيـلَ عَـزْلَ مُهَـانِ

= وما يقف في وجوه الكفار والمعاندين إلاَّ كتاب الله وسنة رسوله أي، التمسك بهما وبما جاءا به.

(١) انهد التتار عليكم كهدِّ السباع علىٰ الحمير المقطعة أرجلها فإنها لا تستطيع الهربَ ولا الدفاع فأنتم مثلها.

(٢) هذه عقوبة سلَّط الله عليكم أهل الباطل لمَّا صُلتم علىٰ أهل الحق فلم تستطيعوا ردَّهم عقوبةً لكم.

(٣) لم ينج منكم إلاَّ من انحاز إلىٰ أهل السنة مثل أبي الحسن الأشعري.

وأتَيْتُمُ تَغْزُونَنَا بِسَرِيَّةٍ
مِنْ عَسْكَرِ التَّعْطِيلِ والكُفْرَانِ
مَنْ ذا بِحَقِّ اللهِ أَجْهَلُ مِنْكُمُ
وأحَقُّنَا بِالجَهْلِ والعُدْوانِ
تاللهِ ما يَدْرِي الفَتَىٰ بِمُصَابِهِ
والقَلْبُ تَحْتَ الخَتْمِ والخِذْلانِ

* * *

فصل

في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الإثبات الموحدين[١]

وإذا أردتَ مصـــارعَ مَـــنْ خـــلا
مِـــنْ أُمَّـــةِ التعطيـــلِ والكُفـــرانِ
وتـــراهُـــمُ أسـرىٰ حقيـرٌ شـأنُهُـمْ
أيـــديهُـــمُ غُلَّـــتْ إلـــىٰ الأذقـــانِ
وتـــراهُـــمُ تحـــتَ الـــرمـــاحِ دَرِيئَـةً
مـــا فيهِـــمُ مِـــن فـــارسٍ طَعَّـــانِ
وتـــراهُـــمُ تحـــتَ السيـــوفِ تنـــوشُهُـــمْ
مِـــنْ عَـــنْ شَمـــائِلِهِـــمْ وعـــن أيمـــانِ
وتَراهُمُ انسْلَخُوا مِن الوَحْيَيْنِ والـ
ـعَقْلِ الصَّحيحِ ومُقتضىٰ القرآنِ[٢]

---

(١) لمَّا ذكر موقف أهل التعطيل من أعداء الإسلام، وأنَّهم تمالؤوا معهم، وملَّكُوهم نواصيهم، ولم يستطيعوا مقاومتهم، ذكر موقف أهل الحق من هذه الفئة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهُ الله، ذكرهُ وأثنىٰ عليه وذكر مؤلفاته في هذا الفصل.

(٢) فلا هم اتبعوا العقل الصريح ولا النقل الصحيح فصاروا منسلخين من هذا وهذا.

وتَــرَاهُــمُ واللهِ ضُحْكَــةَ سَــاخِــرٍ
ولطَــالَمَــا سَخِــرُوا مِــنَ الإيمــانِ
قَـدْ أُوحِشَـتْ منهـم رُبُـوعٌ زادهـا الْـ
ـجَبَّــارُ إيحــاشــاً مِــن الأزمــانِ
وخلَـتْ ديـارُهُـمُ وشُتِّـتَ شَمْلُهُـمْ
مـا فيهِـمُ رَجُـلانِ مُجْتَمِعـانِ[(١)]
قـد عطَّـلَ الـرحمٰـنُ أفئـدةً لَهُـمْ
مِـنْ كُـلِّ مَعْـرِفَـةٍ ومِـنْ إيمـانِ
إذْ عطَّلُـوا الـرحمٰـنَ مِـن أوصـافِـهِ
والعـرشَ أخلَـوهُ مـن الـرحمٰـنِ
بـل عطَّلُـوه عـن الكـلامِ وعـن صفـا
تِ كَمَـالِـهِ بـالجهـلِ والبُهتـانِ[(٢)]
فـاقْـرأْ تصـانيـفَ الإمـامِ حقيقـةً
شيـخِ الـوجـودِ العـالـمِ الـرَّبَّـانـي

---

(١) سلَّط الله الخلاف فيما بينهم، ولذلك تفرقوا إلىٰ شيع وأحزاب، وهذا من العقوبة بخلاف أهل السنة فإنَّهم جماعة واحدة متناصرون ومتعاضدون يتحابون ويتعاونون، لأنَّهمُ يعتمدون علىٰ الكتاب والسنة.

(٢) الجزاء من جنس العمل، لمَّا عطَّلوا الرحمٰن من أسمائه وصفاته عطَّل الله قلوبهم من الفهم والإدراك جزاءً لهم.

أعنِـي أبـا العبـاسِ أحمـدَ ذلـك الـ
ـبحـرَ المحيطَ بسـائـرِ الخُلْجـانِ[1]

واقـرأْ كتـابَ العقـلِ والنقـلِ الـذي
مـا فـي الـوجـودِ لَـهُ نظيـرٌ ثـانِ[2]

وكـــذاك منهـــاجٌ لـــه فـــي رَدِّهِ
قَـوْلَ الـروافـضِ شِيعـةِ الشيطـانِ[3]

---

(١) من أعظم من قام في وجوه التتار والفرق الضالة: شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قاوم الجهمية والمعتزلة والصوفية والشيعة وعلماء الكلام، وألَّف في ذلك المؤلَّفات التي أصبحت ثروةً للإسلام والمسلمين.

(٢) من أعظم مؤلفات شيخ الإسلام: كتاب «العقل والنقل» الذي طُبع باسم «درء تعارض العقل والنقل» والذي حققه الدكتور محمد رشاد سالم رحمه الله، وقوله: «ما في الوجود لهُ نظيرٌ ثان» يعني من الكتب المؤلَّفة في هذا الباب، لأنَّهُ بيَّن أشياء لم يُبينها أحدٌ مثله.

(٣) وهو كتاب «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية» وهو مطبوع بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، وهو ردٌّ علىٰ الشيعة الجعفريَّة والقدرية المعتزلة، لأنَّ الشيعة الجعفرية تتلمذوا علىٰ المعتزلة فجمعوا بين التشيُّع والاعتزال، فلذلك ردَّ عليهم في هذا الكتاب، وهو رَدّ علىٰ كتاب «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة» لصفي الدين ابن المطهَّر الحِّلي الرافضي الذي يزعم أنه يثبت فيه إمامة الأئمة الاثني عشر فردَّ عليه هذا الحبر شيخ الإسلام في هذا الكتاب، ولذلك لا شيء أشد علىٰ الشيعة من هذا الكتاب «منهاج السنة» لأنَّهُ قضىٰ علىٰ حُججِهم وأحرقها إحراقاً.

وكــذاك أهــلُ الإعْتِــزَالِ فــإنَّــهُ
أردَاهُــمُ فــي حُفْــرَةِ الجَبّــانِ
وكـذلـك التـأسيـسُ أصبحَ نَقْضُـهُ
أُعجـوبَـةً للعـالِـمِ الـرَّبـانـي(١)
وكــذاك أجــوِبَــةٌ لَــهُ مِصْــرِيَّــةٌ
فــي سِــتِّ أسْفـارٍ كُتِبْـنَ سِمَـانِ(٢)
وكــذا جــوابٌ للنصــارىٰ فيــه مــا
يَشْفِــي الصــدورَ وإنَّــهُ سِفْــرانِ(٣)
وكــذاكَ شــرحُ عقيــدةٍ لــلأصبهــا
نــي شــارحِ المحصــولِ شــرحَ بيــانِ

---

(١) الكتاب الثالث لشيخ الإسلام: «نقض التأسيس» أي تأسيس التقديس وهو كتاب للفخر الرازي يذكر فيه الأدلة العقلية في إثبات العقيدة فجاء الشيخ فنقضه بهذا الكتاب وسماه «نقض التأسيس» ويُسمّىٰ «بيان تلبيس الجهمية» وهو تحت الطبع وهو يزيد علىٰ عشرة مجلدات، وقد حققه جماعة من طلاب العلم في جامعة الإمام.

(٢) وهي المسماة «الفتاوىٰ المصرية» طُبعت في خمسة مجلَّدات وقد جمعت فتاواه الآن وطبعت في خمسة وثلاثين مجلداً، جمعها الشيخ عبد الرحمٰن ابن القاسم وابنه محمد رحمهما الله تعالىٰ.

(٣) ومن أعيان كتبه العظيمة كتابُهُ في الردِّ علىٰ النصارىٰ وهو «الجواب الصحيح لمن بدلَّ دين المسيح» وقد طُبع محققاً في ثمانية مجلدات ردَّ فيها شبهات النصارىٰ التي يستدلون بها علىٰ صحة مذهبهم وما هم عليه.

فيهـــا النُّبُــوّاتُ التــي إثبــاتُهــا
فــي غــايــةِ التقــريــرِ والتبيــانِ

واللهِ مــا لأُولِــي الكــلامِ نَظيــرُهُ
أبـــداً وكُتْبُهُـــمْ بكـــلِّ مكـــانِ

وكذا حدوثُ العالمِ العلويِّ والسْـ
ـسُفْلِــيِّ فيــه فــي أتــمِّ بيــانِ(١)

وكــذا قــواعــدُ الاستقــامَــةِ إنهــا
سِفْــرانِ فيمــا بيننــا ضَخْمــانِ(٢)

وقــرأتُ أكثــرَهــا عليــه فــزادنــي
واللهِ فــي عِلْــمٍ وفــي إيمــانِ

هــذا ولــو حــدَّثــتُ نفســي أنَّــهُ
قَبْلِــي يمــوتُ لكــانَ غيــرُ الشــانِ(٣)

---

(١) كذلك من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهُ الله «شرح العقيدة الأصبهانية».

(٢) كذلك من مؤلفات شيخ الإسلام العظام كتابُهُ «الاستقامة» وهو كتاب فيه الرد علىٰ الصوفية وشطحاتهم خصوصاً «القُشيري» إمام الصوفية، وقد طبع بتحقيق محمد رشاد سالم رحمهُ الله.

(٣) يقول ابن القيم إنَّهُ قرأ هذه الكتب أو أكثرها علىٰ مؤلفها شيخ الإسلام فبينها له فزاده هذا في العلم وفي الإيمان، يقول: ولو كنت أظن أنَّهُ سيموت قبلي لأكملت هذه الكتب عليه قبل أن يموت.

وكـذاكَ تـوحيـدُ الفـلاسفَـةِ الأُولـىٰ
تـوحيـدُهُـمْ هـو غـايـةُ الكُفـرانِ
سِفْـرٌ لطيـفٌ فيـه نقـضُ أصُـولِهِـمْ
بحقيقـةِ المعقـولِ والبُـرهـانِ[١]
وكـذاكَ تِسْعينيَّـةٌ فيهـا لَـهُ
ردٌّ علـىٰ مَـن قـال بـالنَّفْسَـانـي
تِسْعُـونَ وجهـاً بيَّنَـتْ بُطـلانَـهُ
أعنـي كـلامَ النفـسِ ذا الـوِحـدانِ[٢]
وكـذا قـواعـدُهُ الكبـارُ وإنَّهـا
أوفـىٰ مـن المئتيـنِ فـي الحُسبـانِ

---

(١) كذلك الكتب التي رد فيها علىٰ الفلاسفة كابن سينا وغيره وهي كتب كثيرة ومشهورة.

(٢) وكذلك رده علىٰ الأشاعرة الذين يقولون: إنَّ كلام الله تعالىٰ هو معنىٰ قائمٌ بالنفس، وأمَّا ألفاظهُ فهي من تعبير جبريل أو الرسول ﷺ، فالمعنىٰ غير مخلوق وأمَّا اللفظ والحروف فهي مخلوقة، فهم جمعوا بين حقٍّ وباطل، فلا هم بالذين صاروا مع أهل السنة فقالوا: هو كلام الله حروفُهُ ومعانيه، منزلة غير مملوقة ولا هم أخذوا مذهب الجهمية والمعتزلة وقالوا: إنَّهُ مخلوق حروفه ومعانيه فجعلوا القرآن قسمين: قسمٌ مخلوق، وقسمٌ غير مخلوق، فأبطل رحمهُ الله قولهم بالكلام النفساني من تسعين وجهاً، ولذلك سميت هذه الرسالة بالتسعينية، لأنَّها تتكوَّن من تسعين وجهاً في ردِّ قول من قال: بالكلام النفساني لله عزَّ وجل وهو قول الأشاعرة.

لـم يَتَّسِـعْ نَظْمـي لهـا فـأسُـوقُهـا
فـأشـرتُ بعـضَ إشـارةٍ لبيـانِ[(١)]

وكـذا رسـائِلُـهُ إلـىٰ البُلـدان والْـ
أطـرافِ والأصحـابِ والإخـوانِ

هـي فـي الـوَرَىٰ مبثـوثـةٌ معلـومـةٌ
تُبتـاعُ بـالغـالـي مِـن الأثمـانِ[(٢)]

وكـذا فتـاواهُ فـأخبَـرَنـي الـذي
أضحـىٰ عليهـا دائـمَ الطَّـوَفـانِ

بلـغ الـذي ألْفـاهُ منهـا عِـدَّةَ الـ
أيـامِ مـن شهـرٍ بـلا نُقصـانِ[(٣)]

---

(١) لا يوجد كتاب له بهذا الاسم لكن لعلَّها موجودةٌ متفرقةٌ في مؤلفاته مثل: قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة، وقاعدة في الكرامات والمعجزات، وقاعدة في المحبة، فهي مثبوتة في كتبه رحمهُ الله، ومؤلَّفات شيخ الإسلام لم يتسع هذا النظم لسردها لكن يُشير إليها إشارات.

(٢) كذلك من مؤلفاته: الرسائل التي كان يُرسلُها إلىٰ إخوانه وتلاميذه وإلىٰ السائلين الذين يسألونه مثل: الرسالة الواسطية، والحموية، والتدمرية، فهذه مسائل يُسأَل عنها ويكتب جواباً عليها ويأتي الجواب في رسالةٍ مستقلَّة، وهذه الرسائل فيها تأصيل الاعتقاد والرد علىٰ المخالفين.

(٣) يعني بلغت فتاواهُ ثلاثين مجلداً ضخماً، وهي الآن في مجموع جمعه الشيخ عبد الرحمٰن القاسم رحمهُ الله في خمسة وثلاثين مُجلَّداً ضخماً، وبقي منها أشياء لا تزال تظهر بين الحين والآخر، والشيخ ذكر منها ثلاثين مجلداً عدد أيام الشهر الوافي.

سِفْـرٌ يُقَـابِـلُ كـلَّ يـومٍ والـذي
قـد فـاتنـي منهـا بـلا حُسبـانِ[١]

هـذا وليـس يُقَصِّـرُ التفسيـرُ عـن
عَشْـرِ كبـارِ ليـس ذا نُقصـانِ[٢]

وكـذا المفـارِيـدُ التـي فـي كُـلِّ مَسْـ
ـألـة فَسِفْـرٌ واضـحُ التِّبيـانِ

مـا بيـنَ عَشْـرٍ أو يـزيـدُ بِضعْفِهـا
هـي كـالنجـومِ لسـالـكٍ حَيـرانِ[٣]

---

(١) ولا يزال الكثير منها مفقوداً لم يعثر عليه، لأنَّه رحمهُ الله من عادته أنَّه لا يحتفظ بالجواب الذي يُمليه ويُرسله، وأيضاً تلاميذهُ في وقته كانوا يخافون من سطوة أهل الزيغ والضلال إذا وجدوا عندهم فتاوىٰ الشيخ ورسائِله آذوهم أشدَّ الإيذاء، فكانوا لا يُظهرونها، ولكن مع ذلك ظهر منها الخير الكثير، ويأبىٰ الله إلاّ أن يُتم نوره رغم أنَّهم حاولوا إخفاءَها وإتلافها.

(٢) التفسير الذي ألقاهُ في الدروس ولم يُكتَب، لو أنَّها حُفظت دروسه وضُبطت لبلغت مجلَّدات، لكن فُقد الكثير منها، لأنَّ تلاميذه كانوا يخافون من الاحتفاظ بها من أعدائهم.

(٣) له رحمه الله علىٰ بعض المسائل كتابة تبلغ مجلداً مثل كتابه «جواب أهل العلم والإيمان في أنَّ سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»، ومثل جوابه عن نزول الرب تعالىٰ المسمَّىٰ بـ«شرح حديث النزول» في مجلد، ومثل جوابه عن الإيمان عند أهل السنة ومخالفيهم بلغ مجلداً ضخماً، هذه مسائل يُفردها رحمهُ الله بمجلَّدات، ومثل رسالته في إبطال التحليل جاء في مُجلَّد.

وَلَـهُ المقـامـاتُ الشهيـرةُ في الـورَىٰ
قَــدْ قــامَهَــا للهِ غيــرَ جَبــانِ[١]
نَصَــرَ الإلــٰـهَ ودينَــهُ وكتــابَــهُ
ورسُــولَــهُ بــالسيـفِ والبُـرهــانِ[٢]
أبــدىٰ فضــائِحَهُــمْ وبيَّــنَ جَهْلَهُــمْ
وأرىٰ تَنَــاقُضَهُــمْ بكُــلِّ زمــانِ
وأصَــارَهُــمْ واللهِ تحــتَ نعــالِ أهْـ
ـلِ الحـقِّ بعـدَ مَـلابِـسِ التيجـانِ[٣]

---

(١) الآن انتهىٰ الناظمُ رحمهُ الله من ذكر مؤلفات الشيخ وشرع في ذكر جهاده وأعماله ومقاماته العظيمة التي يقومُها في وجوه المبتدعة، مثل: مقامه في حرب التتار، ومقامه في الرد علىٰ أهل وحدة الوجود، ومقامه في الرد علىٰ نُفاة الصفات، وهي مقامات كثيرة مشهورة، ومقامه مع القبورية عُبَّاد القبور، ومع الفلاسفة، وهذه مواقف في الجهاد بالقلم واللسان، ومواقف في الجهاد بالسنان فقد حضر معركة حرب التتار وشجَّع المسلمين ونصر الله المسلمين بسبب تشجيعه لهم ووجوده بينهم.

(٢) لا شكَّ أنَّه إمام مُجدِّد من أعظم المجددين في الإسلام، تشهد له بذلك آثارُه العظيمة التي ما زال المسلمون يستضيئون بها، وهي سلاح بأيدي أهل السنة والجماعة أورثها لهم لينتفعوا بها ويردوا بها علىٰ الخصوم.

(٣) كان أهل الضلال في الأول متسلطين علىٰ أهل السنة وهم الرؤساء وأصحاب المناصب العالية في القضاء والفُتيا، فلمَّا ظهر هذا العالم وبيَّن أخطاءَهم ومخازيهم أذلهم الله، فبعد أن كانوا يلبسون التيجان وفي =

وأصارَهُمْ تَحْتَ الحَضيضِ وطَالَما
كـانُـوا هُـمُ الأعْـلامَ لِلْبُلْـدَانِ

ومـن العجـائـبِ أنَّـهُ بسـلاحِهِـمْ
أرْداهُـمُ تحـتَ الخضيضِ الـداني[1]

كـانَـتْ نـواصِينـا بـأيـديهـم فمـا
مِنَّـا لهُـمْ إلاَّ أسيـرٌ عـانِ

فغـدَتْ نـواصيهِـمْ بـأيـدينـا فمـا
يَلْقَـوْنَنـا إلاَّ بِحَبْـلِ أمـانِ[2]

= المناصب العالية في الدولة، صارُوا تحت النعال، وعرف النَّاسُ ضلالهم وقدرهم، فلم يعودوا يثقون بهم، وحصل بينهم وبينه مناظرات فأفحمهم وانتصر عليهم، ولم يستطيعوا مقاومته، وفي الأخير لجؤوا إلىٰ السُّلطة ووشوا به عند السلطان، فسُجن، وهذه عادة أهل الضلال إذا عجزوا عن الحق لجؤوا إلىٰ القوة.

(١) من العجائب أنَّه يردُّ عليهم بمذهبهم ومن أقوالهم واصطلاحاتهم، وهذه طريقة قلَّ من العلماء من يتأهل لها، فكان يردُّ علىٰ أهل كلِّ مذهب من مذاهبهم حتىٰ كانوا يقولون: هذا الرجل يعرف من مذاهبنا ما لا نعرفُه نحن.

(٢) في الأول كانوا متسلطين علىٰ أهل السنة والجماعة، ولمَّا أظهر الله هذا الحبر انعكسَ هذا الأمر، أظهر الله أهل السنة بالحُجة والبُرهان علىٰ خصومهم، وماذا تنفع المناصب بعد ذلك؟

وغَـدَتْ ملـوكُهُـمُ ممـاليكـاً لأنْـ

ـصَـارِ الـرسـولِ بِمِنَّـةِ الـرحمٰـنِ

وأتَـتْ جنـودُهُـمُ التـي صَـالُـوا بهـا

مُنقَـادَةً لعسـاكـرِ الإيمـانِ[1]

يَـدْرِي بهـذا مَـن لَـهُ خَبَـرٌ بَمـا

قـد قـالَـهُ فـي رَبِّـه الفئتـانِ[2]

والفَـدْمُ يُـوحِشُنـا وليـس هُنـاكُـمُ

فحضـورُهُ ومَغيبُـهُ سِيَّـانِ[3]

* * *

---

(١) هذه نتائج جهاده ومواقفه رحمهُ الله.

(٢) يدري بمواقف الشيخ وبهذه النتائج العظيمة مَنْ له خبرٌ بما جرىٰ بين الشيخ وخصومه وما آل إليه الأمر، وهذا واضحٌ وبيِّن.

(٣) الفدم: كلمة ذم، وهو الذي لا يفهم أو هو قليلُ الفهم، والعاجز عن الكلام، هذا هو الفدم، وهذه صفة أعداء الحق لا خير فيهم، فحضُورُهم ومَغيبُهم سواء لا قيمة له.

فصل

في بيان أنَّ المصيبة التي حلَّتْ بأهلِ التعطيل والكُفران من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سُلطان[1]

---

(١) هذا الفصل عظيم جداً يُبيِّن الشيخ رحمهُ الله فيه سبب ضلال المعطلة للأسماء والصفات، والسبب يتلخَّص في أنَّهم وضعوا اصطلاحات من عند أنفسهم وقالوا: ما خالفَ هذه الاصطلاحات فهو باطل، من ذلك قولهم: إنَّ إثبات الصفات يقتضي التجسيم؛ لأنَّ الصفات أعراض، والأعراض لا تقوم إلاّ بجسم. من أين جاؤوا بذلك؟ وهل وردَ في الكتاب والسُّنة هذا اللفظ يعني: التجسيم؟ أو كان معروفاً عند السلف الصّالح.

وكذلك قولهم: بأنّ إثبات العلو والاستواء يقتضي أنَّ الله في جهة، والجهة حيِّز، فيُنزهون الله عن الاستواء والعلوّ لئلا يكون في حَيِّز، ولأنَّه إذا كان في جهة فإنّ الجهة تحويه وتحوزه بزعمهم، فنقول: هذه الاصطلاحات وهي الجهة والتحيز ما وردت لا في الكتاب ولا في السُّنة فنحنُ نتوقف في هذا اللفظ، فهو حادث واصطلاح من عندكم.

وكذلك قولهم: إنَّ إثبات الصفات يقتضي التركيب، إذا أثبتنا الوجه واليدين، قالوا: هذه أبعاض وأعضاء يتركب منها الجسم فإثبات هذه يقتضي الجسم ويقتضي التركيب، ويسمُّون الصفات الذاتية أبعاضاً، والله تعالىٰ مُنزَّهٌ عن الأبعاض، فنقول: هذا اصطلاح منكم ليس في الكتاب ولا في السُّنة فلا يُعوَّل عليه، فنحن نثبت هذه الصفات لله تعالىٰ مع =

يـا قَـوْمُ أصْـلُ بـلائِكـم أسمـاءُ لَـمْ
يُنْـزِلْ بهـا الـرحمْـنُ مِـن سُلطـانِ(١)
هَـيَ عَكَّسَتْكُـمْ غَـايَـةَ التَّعْكيـسِ واقْـ
ـتَلَعَــتْ دِيَــارَكُــمُ مِــنَ الأرْكَــانِ

= القطع بأنَّ الله لا يماثله شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالىٰ لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته.

وقالوا: إنَّ إثبات الحكمة يقتضي أنَّ الله يفعل لغرض ولولا الغرض لم يفعل سبحانه وتعالىٰ، فيكون الغرض أثَّر في الله وحملَهُ علىٰ أن يفعل، فنقول: هذا باطل فليس في الكتاب ولا في السنة تسمية الحكمة بالغرض، ولذلك يقولون: الله منزهٌ عن الأعراض، يعني: الصفات، والأعراض: هي الأشياء التي لا تقوم بنفسها بل تقوم بغيرها، ومنزهٌ عن الأغراض وهي الحكمة، ومنزهٌ عن الأبعاض وهي الصفات الذاتية كالوجه واليدين، فنقول لهم: كل هذه اصطلاحات من عندكم ليس لها أصل لا في الكتاب ولا في السنة، ولو أنَّهم سارُوا علىٰ ألفاظ الكتاب والسنة لسلموا من هذا الضلال المبين.

وأمَّا السلف فإنَّهم لمَّا تمسكوا بألفاظ الكتاب والسنة ولم يميلوا إلىٰ هذه الاصطلاحات، فإنّهم سلموا من هذه الأمور، ولذلك يقول الإمام الشافعي ـ رحمهُ الله ـ: حُكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويُطاف بهم في الأسواق ويُقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسُّنة وأخذ بعلم الجدل.

(١) الآفة التي ضللتم بها هي هذه المصطلحات التي وضعتموها وجعلتموها أدلة يقينية، ما خالفها فهو مردودٌ عندكم.

فتهـدَّمَـتْ تلـكَ القصـورُ وأوْحَشَـتْ
منكُــمْ رُبــوعُ العِلْــمِ والإيمــانِ(١)
والــذنــبُ ذَنْبُكــمُ قَبِلْتُــمْ لفظَهــا
مِــن غيــرِ تَفْصيــلٍ ولا فُــرقَــانِ(٢)
وهيَ التي اشْتَمَلَتْ علىٰ أمْرَينِ مِنْ
حَــقٍّ وأمْــرٍ واضِــحِ البُطْــلانِ
سَمَّيْتُــمُ عــرشَ المهيمــنِ حَيِّــزاً
والإستــواءَ تَحَيُّــزاً بمكـــانِ(٣)
وجعلتُــمُ فــوقَ السمٰــواتِ العُلَــىٰ
جِهَــةً وسُقْتُــمْ نفــيَ ذا بِــوِزانِ(٤)

---

(١) يعني: قصور العلم، تهدَّمت بسبب هذه المصطلحات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

(٢) قبلتم هذه الألفاظ: التجسيم، الأبعاض، الأغراض، الأعراض من غيرِ تفصيلٍ، فلا بُدَّ من التفصيل.

(٣) قالوا: لو أثبتنا الاستواء علىٰ العرش لزم أن يكون في حَيِّز، يعني: مكان، فلو أثبتنا الاستواء لصار اللهُ تعالىٰ مُتحيِّزاً يحويه مكان، فنقول: هذا باطل فنحن نثبت الاستواءَ علىٰ العرش كما أثبته اللهُ لنفسه، ونعتقد أنَّ الله ليس حالاً في شيءٍ من خلقه، ولذلك قال السلف: بائنٌ من خلقه، فكلمة بائن هذه ما كانت موجودة في الأول، لكن لما جاءت هذه المصطلحات جاء أهل السنة بإبطالها وقالوا هو: «بائن من خلقه» يعني: هو منفصل ليس داخلاً في مخلوقاته سبحانه وتعالىٰ.

(٤) قالوا: إنَّ إثبات العلو يقتضي إثبات الجهة واللهُ منزَّهٌ عن الجهات، =

وجعلتُـــمُ الإثبـــاتَ تشبيهـــاً وتَجْـ
ـسِيمــاً وهــذا غــايــةُ البُهتــانِ[١]

وجعلتُمُ الموصوفَ جِسْماً قابِلَ الْـ
أعــراضِ والأكــوانِ والألــوانِ[٢]

وجعلتُــمُ أوصــافَــهُ عَــرَضــاً وهـ
ــذا كُلُّــه جِسْــرٌ إلــىٰ النُّكــرانِ[٣]

وكــذاكَ سمَّيْتُــمْ حُلــولَ حــوادثٍ
أفعــالَــهُ تلقيــبَ ذِي عُــدوانِ[٤]

= فنقول: الجهة ليس لها ذكر في الكتاب ولا في السنة لا نفياً ولا إثباتاً، فإن أردتم بالجهة إثبات العلو فنحنُ نُثبته، وإن أردتم بالجهة أنَّ الله داخل في مخلوقاته فهذا باطل، ولا يدلُّ عليه إثبات العلو.

(١) يعني: أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه والتجسيم، هذه اصطلاحات من عندهم.

(٢) عندهم: الجسم والعَرَض، فالعَرَض عندهم: هو الشيء الذي يُعرض ويزول، مثل: الألوان والروائح فهو لا يقوم إلاّ بغيره، وأمَّا الجوهر والجسم فهو الشيء الذي يقوم بنفسه، والصفات عندهم لا تقوم إلاّ بأجسام وجواهر، واللهُ منزهٌ عن ذلك كما يقولون، فنقول: هذا اصطلاح باطل وتكلُّف ليس عليه دليل.

(٣) جعلتم الصفات أعراضاً والأعراض هي التي لا تقوم بنفسها وإنَّما تقوم بغيرها، فيلزم من إثبات الصفات أنَّ الله جسمٌ تقومُ به الأعراض، وهذا كلامٌ باطل لأنه ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله.

(٤) يسمُّون إثبات الأفعال لله تعالىٰ من النزول والاستواء والكلام والخلق =

إذْ تَنفِـرُ الأسمـاءُ مِـن ذا اللفـظِ نُفْـ
ـرَتَهـا مـن التشبيـهِ والنُّقْصـانِ[١]
فَكَسَـوْتُـمُ أفعـالَـهُ لفـظَ الحـوا
دِثِ ثُـمَّ قُلْتُـمْ قـولَ ذي بُطـلانِ[٢]
ليسـت تقـومُ بـه الحـوادثُ والمـرا
دُ النفـيُ لـلأفعـالِ للـدَّيَّـانِ[٣]

= والرزق يسمونها حوادث، فالحوادث لا تقوم إلاّ بجسم، فيلزم من إثبات الأفعال لله تعالىٰ أنَّه تحلُّه الحوادث، فلذلك ينفون أفعال الله تعالىٰ فراراً من إثبات أن تحلَّ الحوادث بالله عزَّ وجل، فنقول: هذا كلام باطل واصطلاحٌ موضوع، واللهُ تعالىٰ له أفعال وصف بها وليست كأفعال المخلوقين.

(١) إذا سمع الجاهل: أنَّ إثبات الأفعال لله يقتضي «حلول الحوادث بذاته» ينفر من ذلك، لكن لا يلزم من إثبات الأفعال لله تعالىٰ حلول الحوادث بذاته تعالىٰ.

(٢) سميتم أفعال الله حوادث، ونحنُ لا نقول بذلك، هذا كُلُّه من وضعكم واصطلاحكم، فإنَّنا نُسمِّيها كما سمَّاها الله تعالىٰ: أفعال الله، مثل نزوله واستوائه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فأثبت لنفسه الأفعال، وأثبت الرسول لربِّه الأفعال.

(٣) فينفون جميع الأفعال عن الله بحجة أنَّها حوادث، فالحوادث لا تقوم بالله تعالىٰ، فهو منزهٌ عن ذلك عندهم، نقول: نعم هو منزهٌ عن حلول الحوادث ولكن إثبات أفعال الله لا يُسَمَّىٰ حلول حوادث، بل نسميها كما سمَّاها اللهُ تعالىٰ، أو نقول: حلول الحوادث فيه إجمال، ماذا تُريدون به؟ هل تُريدون به نفي أفعال الله فهذا باطل، نحنُ نثبتُها ولا نُسميها حوادث.

فــإذا انتفَــتْ أفعــالُــه وصفــاتُــهُ
وكَــلامُــهُ وعُلُــوُّ ذي السُّلطــانِ

فبــأيِّ شــيءٍ كــان ربّــاً عنــدَكُــمْ
يــا فِــرْقَــةَ التحقيــقِ والعِــرفــانِ[١]

والقصــدُ نفــيُ فِعــالِــهِ عنــه بــذا التْـ
تَلْقيــبِ فِعْــلَ الشــاعــرِ الفتَّــانِ[٢]

---

(١) إذا نُفيت عن الله الأسماء والصفات فإنَّه يكون غير موجود، لأنَّه ليس هناك موجودٌ في هذا الكون إلا وله صفات، فلو نُفيت عن الله تعالىٰ الأسماء والصفات فهذا وصف المعدوم تعالىٰ اللهُ عن ذلك، وهم يزعمون أنَّه تنزيه، وهو يُفضي إلىٰ نفي وجود الله، فبئس هذا التنزيه، فهم فرُّوا بزعمهم من شيءٍ ووقعوا في شيءٍ أشد، وقوله: «يا فرقةَ التحقيق والعِرفان» هذا من باب التهكم بهم، يعني بئس هذا التحقيق والعِرفان، الذي أدَّىٰ إلىٰ هذا المُنزلق الخطير.

(٢) هذا من باب التلبيس كما أن الشاعر في شعره يقلب الحقَّ باطلاً والباطلَ حقّاً كما قال ﷺ: «إنَّ من البيان لسحراً»(*) وذلك بأن يُصوِّر الشيءَ بغير صورته، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] فالشاعر إذا هجا فإنَّه يجعل المهجو من أقذر الأشياء ولو كان كذباً، وإذا مدح أسرف في المدح ولو كان كذباً، فهذا الذي فعله المعطِّلة مثل الشاعر.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٨/ ٢٧٥ (٤٦٥١)، والبخاري (٥٧٦٧)، وأبو داود (٥٠٠٧)، والترمذي (٢٠٢٨) من حديث ابن عمر.

وكــــذاك حِكْمَــــةُ رَبِّنـــا سَمَّيتُـــمُ
عِلَــلاً وأغــراضــاً وذانِ اسْمَــانِ
لا يُشْعِـرانِ بِمِـدْحَـةٍ بـل ضِـدِّهـا
فيَهُــونُ حينئــذٍ علــىٰ الأذهــانِ
نفيُ الصفاتِ وحِكْمَةِ الخلاَّقِ والـ
أفعــالِ إنكــاراً لهــذا الشــانِ[1]
وكذا استواءُ الرَّبِّ فوقَ العرشِ قُلْـ
ـتُـمْ إنَّــه التـركيـبُ ذو بُطـلانِ[2]

---

(١) يسمون حكمة الرب علة فاللهُ عندهم لا يفعل لعلة ولا يفعل لغرض فهو منزهٌ عن العلة والغرض، بل هو يفعل بمُجرَّد مشيئته فقط لا لحكمة وهذا هو مذهب الأشاعرة حيث ينفون الحكمة، فليس في أفعاله عندهم لا علة ولا حكمة؛ لأنَّنا لو قلنا بذلك لصار لا يفعل إلاّ بسبب هذه الأشياء، وهذا كلامٌ باطل، وذلك لأنَّه إذا نُفيت الحكمة عن أفعاله وصفاته تعالىٰ صارت من باب العبث لأنَّ الشيء الذي يُفعل من غير حكمة عبث. قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وبهذه الطريقة يهون علىٰ الناس إنكار الصفات لأنَّهم نَفّروهم عنها بهذه الألقاب والمصطلحات الشيطانية.

(٢) وينفون الاستواء علىٰ العرش لأنه يلزم من إثباته أنَّ الله محتاجٌ إلىٰ العرش، وهذا أيضاً كلامٌ باطل، فالله استوىٰ علىٰ العرش، وهو ليس بحاجةٍ إليه تعالىٰ، ولا يقال أنَّ العرش يُقلُّهُ أو يُظلُّهُ هذا من شأن المخلوقين، وأمّا الخالق جلَّ وعلا فهو غنيٌّ عن ذلك، فخلقُه كلُّهم محتاجون إليه، ولكن هم في الواقع ما عرفوا قدر الربِّ تعالىٰ.

وكـذاك وجْـهُ الـربِّ جـلَّ جـلالُـهُ
وكــذاكَ لفــظُ يـدٍ ولفــظُ يـدانِ(١)
سَمَّيْتُــمُ ذا كُلَّــه الأعضــاءَ بــل
سَمَّيتُمــوهُ جــوارحَ الإنســانِ(٢)
وسَطَــوْتُــمُ بــالنَّفْــيِ حينَئِــذٍ عَلَيْ
ــهِ كَنَفْيِنَــا لِلْعَيْــبِ مَــعْ نُقْصَــانِ
قُلتــم نُنَــزِّهُــهُ عــن الأعــراضِ والْـ
أغــراضِ والأبعــاضِ والجُثمــانِ(٣)
وعَــنِ الحَــوَادِثِ أن تَحِــلَّ بِـذَاتِـهِ
سبْحَــانَــهُ مِــنْ طَـارِقِ الحِـدْثَـانِ

---

(١) هذه الصفات الذاتية سمَّوها أبعاضاً وأعضاء، والأبعاض والأعضاء لا تقوم إلاّ بجسم، فالجسم هذا صار طاغوتاً، ولذلك سمَّاهُ الناظم طاغوتاً، وسيكسرُه في بابٍ قريب إن شاء الله، وسمَّاهُ طاغوتاً لأنّهم تحاكموا إليه وتركوا الكتاب والسُّنة، ومن ترك الكتاب والسُّنة وتحاكم إلىٰ غيره فقد تحاكم إلىٰ الطَّاغوت، فالطاغوت يكون من كلِّ شيءٍ فيكون من القواعد والأنظمة ومن كل ما خالف الكتاب والسُّنة.

(٢) تقولون: إثبات الوجه لله تعالىٰ والأصابع واليدين والساق والقدم هذا تشبيهٌ له بالمخلوق؛ لأنَّ هذه الأعضاء في المخلوقين، فنقول: هذا كلامٌ باطل، صفات الله تعالىٰ لا تُشبهُ صفات المخلوقين، والقاعدة الفاصلة التي جاءت في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] هي الفاصلة في هذا الأمر.

(٣) يعني: الجسم.

والقصـدُ نفـيُ صفـاتِـهِ وفِعَـالِـهِ
والإستـواءِ وحِكْمَـةِ الـرحمٰـنِ(١)

والنَّاسُ أكثرُهم بسجن اللفظِ مَسْـ
ـجـونـونَ خـوفَ مَعَـرَّةِ السَّجَّـانِ(٢)

والكـلُّ إلاَّ الفـردَ يقبَـلُ مـذهبـاً
فـي قَـالِـبٍ ويَـرُدُّهُ فـي ثـانِ(٣)

والقصـدُ أنَّ الـذاتَ والأوصـافَ والْـ
أفعـالَ لا تُنفـىٰ بـذا الهـذيـانِ(٤)

---

(١) هذا هو قصدُكم نفي صفات الله عزَّ وجلَّ بهذه المصطحات فهي طريقةٌ ماكرةٌ خبيثة.

(٢) الناس يأخذون هذه المصطلحات والألفاظ ولا يُفكِّرون فيها، لذلك قلَّدَهم كثيرٌ من الناس وساروا علىٰ منهجهم، وهذا هو الذي أهلكَ كثيراً من النَّاس. إنَّهم يأخذون أقوال الرجال والطوائف والفرق بدون تمحيص ونظر، وبدون تدقيق وعرض علىٰ الكتاب والسُّنة.

(٣) يعني غالب النَّاس يقبل هذه الأشياء علىٰ ظاهرها دون تفكير إلاّ الأفراد من النَّاس أهل البصيرة الذين يُميزون بين الحق والباطل، ولا يقبلون شيئاً حتىٰ يعرضُوه علىٰ الكتاب والسُّنة، وإلاّ فالأغلب إمَّعة يسيرون مع أيِّ إنسان بدون معرفة حاله.

(٤) الجسم والعَرَض والغرض والأبعاض وحلول الحوادث كلها هذيان، فلا تهتمَّ بها، وأثبتْ ما أثبته الله لنفسه مع اعتقادك بالفارق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، هذا هو المنهج السليم.

سَمُّوهُ ما شِئتُمْ فليس الشأنُ في الْـ
أسمـاءِ بـل فـي مقصـدٍ ومعـانِ[١]
كـم ذا تَـوَسَّلْتُـمْ بلفظِ الجسـم والتْـ
تَجْسيـمِ للتعطيـلِ والكُفْـرانِ[٢]
وجعلتُمـوهُ التـرسَ إنْ قُلنـا لكُـمْ
اللهُ فـوقَ العـرشِ والأكـوانِ[٣]
قُلتـم لنـا جسـمٌ علـىٰ جِسْـمٍ تعـا
لَـىٰ اللهُ عـن جسـمٍ وعَـن جُثمـانِ[٤]

---

(١) لا تغرَّنك الأسماء الرنانة والمزخرفة بل العبرة بالحقائق والمعاني، فلا تقبل ما يقال حتىٰ يتضح لك الأمر، وهذا يستدعي التريُّث وعدم التسرُّع في الأمور.

(٢) يعني اتخذتم هذه المصطلحات وسيلة للوصول إلىٰ الباطل وهو نفي الأسماء والصفات، وخدعتم الناس بأنَّها تنزيه لله تعالىٰ، وأنَّ إثبات الأسماء والصفات يقتضي التركيب والتجسيم وحلول الحوادث، فزيفتم علىٰ النَّاس هذا الباطل.

(٣) يعني جعلتم هذه الأقوال مثل الترس الذي يتخذُه المقاتل يتقِّي به السلاح، فجعلتم هذه المصطلحات تُرساً لكم في درء ما جاء في الكتاب والسُّنة، وبذلك هدمتم العقيدة، كما أنَّ القبوريين سمَّوا عبادة القبور محبة للصالحين وتوسلاً بهم إلىٰ الله، ويقولون: هذا وسيلة إلىٰ الله تعالىٰ، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] ويفسرونها: باتخاذ الأوثان والصالحين مع أنَّ المراد بذلك العملُ الصالح.

(٤) قلتم: إنَّ الاستواء علىٰ العرش يلزم منه أن الله جسمٌ علىٰ جسم كما قال الجهم وغيرُه، تعالىٰ اللهُ عن ذلك.

وكـــذاك إنْ قُلنـــا القـــرآنُ كـــلامُـــهُ
منـــهُ بـــدا لـــم يبـــدُ مـــن إنســـانِ

كـــلاَّ ولا مَلَـــكٌ ولا لَـــوْحٌ ولـ
ـكِـنْ قـالَـهُ الـرحمٰـنُ قَـوْلَ بيـانِ(١)

قلتُـــمْ لنـــا إنَّ الكـــلامَ قيـــامُـــهُ
بـالجسـمِ أيضـاً وهْـوَ ذُو حِـدْثـانِ

عَـرَضٌ يقُـومُ بغيـرِ جسـمٍ لـم يكُـنْ
هـذا بمعقـولٍ لـذي الأذهـانِ(٢)

وكـــذاكَ حيـــنَ نقـــولُ ينـــزِلُ رَبُّنـــا
فـــي ثلـــثِ ليـــلٍ آخِـــرٍ أو ثـــانِ

---

(١) يقولون القرآن ليس كلام الله بل هو مخلوق خلقه اللهُ في اللوح المحفوظ، ثمَّ أخذَهُ جبريل من اللوح المحفوظ، أو خلقه في جبريل أو خلقه في محمد، لأن الكلام عرض لا يقوم إلا بجسم والله منزه عن الجسم، فالناظم هنا يقول: القرآن كلامُ الله حقيقة وليس مصدَرُه من اللوح المحفوظ ولا من جبريل ولا من محمد ﷺ.

(٢) وقالوا: أيضاً إنَّ الكلام فعل، والفعل حدث، والحدث لا يقوم إلاّ بجسم، فيجب نفيُ الكلام عن الله، وهذه المقدمات الهزيلة والنتائج الباطلة كلُّها اتخذوها ذريعة لنفي الكلام عن الله تعالىٰ، مع أنَّه عاب علىٰ بني إسرائيل عبادتهم العجل بأنَّه لا يتكلم ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] فالذي لا يُكلِّم لا يصلح للعبادة ولا يكون إلـٰهاً.

قلتـــم لنـــا إنَّ النـــزولَ لغيـــرِ أجْـ
ـــسامٍ مُحَـــالٌ ليـــسَ ذا إمكـــانِ[(١)]

وكـــذاكَ إنْ قُلْنـــا يُـــرىٰ سبحـــانَـــهُ
قُلتُـــمْ أجِسْـــمٌ كَـــيْ يُـــرَىٰ بِعِيـــانِ

أمـــا كـــان ذا جهـــةٍ تعـــالـــىٰ ربُّنـــا
عـــن ذا فليـــس يَـــراهُ مِـــن إنســـانِ[(٢)]

أمَّـــا إذا قُلنـــا لَـــهُ وجْـــهٌ كمـــا
فـــي النَّـــصِّ أو قُلنـــا كـــذاكَ يـــدانِ

---

(١) كما صحَّ في حديث النزول قال ﷺ: «ينزلُ ربُّنا إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر فيقول: هل من داعٍ فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له»(*) وهم قالوا: لا ينزل لأنَّ النزول لا يكون إلاّ لجسم، واللهُ منزهٌ عن الحركة والانتقال، فنقول: نحنُ نثبت النزول، وأمَّا كيفيته فنكلُ علمها إلىٰ الله تعالىٰ، فنثبت الفعل ونُنَزِّهُه عن التشبيه.

(٢) رؤية الله في الدار الآخرة تواترت بها الأدلة فدلَّ عليها القرآن الكريم وهم ينفونها لأنَّهم يقولون: لا يُرىٰ إلاّ الأجسام، فيلزم من إثبات الرؤية إثبات أنَّ الله جسم، والأجسام متماثلة فيلزم من إثبات الرؤية التجسيم، وهذه هي النتيجة الخبيثة، ونقول: لفظ الجسم صنمٌ تحملونَهُ علىٰ أكتافكم، ولا يهمنا، وليس لهذا اللفظ وجود لا في الكتاب ولا في السُّنة؛ بل هو من مصطلحاتكم، وأيضاً: نفيهم للرؤية قالوا: لأنَّ هذا يلزم منه أنَّ الله في جهة، فاللهُ منزهٌ عندهم عن الجهة.

(*) سبق تخريجه ص٣١٥.

وكـذاك إنْ قلنـا كمـا فـي النصِّ إنْ
نَ القلـبَ بيـنَ أصـابـعِ الـرَّحمٰـنِ
وكـذاكَ إن قُلنـا الأصـابـعُ فـوقَهـا
كـلُّ العـوالِـمِ وهـي ذُو رَجَفَـانِ
وكــذاك إن قُلنـــا يــداهُ لأرضِــهِ
وسمــائــه فــي الحشـرِ قــابضتــانِ
وكـذاكَ إن قُلنـا سيكشِـفُ سـاقَـهُ
فيَخِـــرُّ ذاكَ الجمـــعُ لـــلأذقـــانِ
وكــذاك إن قلنـــا يجـيء لفصْلِـهِ
بيـنَ العبـادِ بعـدْلِ ذي سُلطـانِ
قـامَـتْ قيـامَتُكُـمْ كـذاكَ قيـامـةُ الـ
آتـي بهـذا القـولِ فـي الـرحمٰـنِ[1]

---

(١) قالوا: إذا أثبتنا الوجه لله تعالىٰ وكذلك اليدين لله تعالىٰ والأصابع لله تعالىٰ وجميع الصفات الذاتية له فإن هذا يلزم منه التجسيم، فنقول: هذا ليس بلازم، وسبق أن ذكرنا أنَّ هذا اللفظَ مجمل يُبتعد عنه، ويقتصر علىٰ ما جاء في الكتاب والسُّنة، وكذلك إذا قلنا ما جاء في الحديث: «إنَّ الله يجعل السماوات علىٰ أصبع والثرىٰ علىٰ أصبع وسائر الخلق علىٰ أصبع ثمّ يهزهُنَّ، ويقول: أنا الملك أين الجبارون»(*) ففي يوم القيامة تكون هذه المخلوقات علىٰ أصابع الرحمٰن كما صحَّ بذلك الخبر، فنثبت بذلك =

(*) سلف تخريجه ص١٢٨.

والله لو قُلنا الذي قالَ الصحا
بةُ والأُوْلَىٰ مِن بَعْدِهِمْ بلسانِ
لَرَجَمْتُمونا بالحجارةِ إنْ قَدَرْ
تُمْ بَعْدَ رَجْمِ الشَّتْمِ والعُدوانِ(١)

= الأصابع لله تعالىٰ، وكذلك في حديث: «يكشف ربُّنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقىٰ من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجدَ فيعود ظهره طبقاً واحداً»(*) كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] وأمّا القول بأنَّ الكشف عن الساق عبارةٌ عن شدة الأمر فهذا معنىً آخر فيُقال: كشفت الحرب عن ساقها، أي: عن أمرٍ عظيم، هذا معنىً آخر وليس هو المراد في هذه الآية، وكذلك يجيءُ سبحانه للفصل بين العباد يوم القيامة كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] هذا في يوم القيامة يأتي مجيئاً يليق به سبحانه وتعالىٰ، فإذا ذُكرت هذه الصفات يغضبُون غضباً شديداً ويعتبرون ذلك تجسيماً وتنقُّصاً لله عزَّ وجل.

(١) لو أظهرنا مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة لضاقت بكم الدُّنيا، وتغضبون إذا ذُكرت نصوص الكتاب والسنة، وهكذا كلُّ صاحب باطل يغضب إذا ذُكِر عندَه الحق؛ لأنَّ الحق يدفع ما معه من الباطل، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٧/ ٢٠٢-٢٠٤ (١١١٢٧)، والبخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) (٣٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

والله قــدْ كفَّــرْتُــمُ مَــنْ قــالَ بَعْــ
ــضَ مقــالِهِـمْ يــا أُمَّــةَ العُــدْوانِ
وجَعَلْتُــمُ الجســمَ الــذي قَــدَّرْتُــمُ
بُطــلانَــهُ طــاغُــوتَ ذا البُطــلانِ[١]
ووضعْتُــمُ للجِسْــمِ معنــىً غيــرَ مَعْــ
ــروفٍ بــه فــي وضــع كــلِّ لســانِ[٢]
وبنيتُــمُ نفــيَ الصفــاتِ عليــه فــاجْــ
ــتَمَعَــتْ لكُــمْ إذ ذاكَ مَحْــذُورانِ
كــذبٌ علــىٰ لُغــةِ الــرَّسُــولِ ونفــيُ إثْــ
ــبَــاتِ العُلُــوِّ لفــاطــرِ الأكــوانِ[٣]
وركِبْتُــمُ إذ ذاكَ تَحْــرِيفيــن تَحْــ
ــريفَ الحديثِ ومُحْكَمِ القرآنِ[٤]

---

(١) هذا الجسم الذي صار بأيديكم سلاحاً تدفعون به النصوص صار طاغوتاً، وكل ما يُعارِض الكتاب والسُّنة فهو طاغوت.

(٢) الجسم الذي اصطلحوا عليه ليس له وجود في الكتاب والسنة وإنما هو اصطلاحٌ اصطلحوه وجعلوه قاعدة يدفعُون به نصوص الكتاب والسُّنة.

(٣) أي يلزم علىٰ ما قلتم محذوران: محذور القول علىٰ الله بلا علم حيث أثبتم هذا الجسم الذي اصطلحتم عليه، وهو لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، ومحذور نفي أسماء الله وصفاته، فاجتمع لكم محذوران: الكذب والضلال.

(٤) لمَّا رأيتم النصوص في الكتاب والسُّنة تتعارَض مع هذا الجسم الذي ذكرتموه لجأتُم إلىٰ التحريف، تحريف نصوص الكتاب والسُّنة حتىٰ =

وكَسبتُـــمُ وِزْرَيْـــنِ وِزْرَ النفـــي والتْـ
تَحْرِيفِ فـاجتمعَتْ لكُـمْ كِفـلانِ(١)
وعَـداكُـمُ أجـرانِ أَجْـرُ الصِّـدْقِ والـ
إيمــانِ حتَّــىٰ فــاتكُــمْ حَظَّــانِ(٢)
وكسبتُــمُ مَقْتَيْــنِ مقــتَ إلـٰهِكُــمْ
والمــؤمنيــنَ فنــالَكُــمْ مَقْتــانِ(٣)
ولبِسْتُـمُ ثـوبيْنِ ثـوبَ الجهـلِ والظْـ
ظُلْـمِ القبيـحِ فبئســتِ الثـوبـانِ(٤)

= تتوافق مع مصطلحكم، فقلتم المراد بالوجه: الذات، والمراد باليد: القدرة، ونحو ذلك من التحريف في المعنىٰ، وأيضاً تحريف اللفظ حيث زدتم لاماً من عندكم كما في «استوىٰ» قلتم: «استولىٰ».

(١) عليكم وِزران: وزر التحريف لكتاب الله وسنة رسوله، التحريف في اللفظ والتحريف في المعنىٰ، ووزر نفي الأسماء والصفات، حيث نفيتم ما أثبتَهُ الله وما أثبتَهُ الرسول ﷺ.

(٢) فاتكم الأجران: أجر الصدق وعدم الكذب علىٰ الله وعلىٰ رسوله وأجر الإيمان، وهو إثبات ما أثبتَه الله ورسوله والإيمان به من غير اعتراض علىٰ كلام الله وكلام رسوله ﷺ، بل الواجب التسليم واعتقادُ أنَّه حق حتىٰ لو لم يظهر لك معناه ويتضَّح لك، فاتَّهِم نفسك وفهمك.

(٣) المقت: هو البُغض، فاكتسبتم البُغضين: بُغضُ الله لكم وبُغض الخلق والمؤمنين لكم، فأنتم محتقرون ومُبغضُون أمام الله وأمام المؤمنين في الدُّنيا والآخرة.

(٤) ثوب الجهل: وهو عدمُ العلم، فأنتم لا تتصفون بالعلم وذلك لأنكم لا تلتفتون لكتاب الله وسنة رسوله وتنتهون إليهما، وإنَّما همكم دراسة =

وتَخِـذْتُـمُ طَـرْزَيْـنِ طَـرْزَ الكِبْـرِ والتْـ
تيــهِ العظيــمِ فبئســتِ الطَّــرزانِ[1]
ومَــدَدْتُــمُ نحــو العُلــىٰ بَــاعَيْــنِ لـ
ـكنْ لم تُطَلْ منكُمْ لَها الباعانِ[2]
وأتيتُمــوهــا مِــن سِــوىٰ أبــوابِهــا
لكــن تَسَــوَّرْتُــمْ مِــن الحيطــانِ[3]
وغَلَقْتُـمُ بــابيــنِ لــو فُتِحـا لكُـمْ
فُــزْتُــمْ بكُــلِّ بِشــارةٍ وتهــانِ

= المنطق وقواعد الكلام وبنيتم أمورَكُم عليها، والثاني: ثوب الظلم حيث إنّكم ظلمتم أنفسكم وحمّلتموها ما لم تحمّل من القولِ علىٰ اللهِ بلا علم من نفي أسمائِه وصفاتِه، فوضعتم النصوص في غير موضعها اللائق بها.

(١) تزينتم بالعجب والغُرور فبئس هذا التزيُّن، فالتزيُّن الصحيح هو: زينة الإيمان ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ٧] فالزينة الصحيحة هي: زينة الإيمان واليقين، وزينة العلم الشرعي: العلم والعمل.

(٢) أردتم المعالي ومددتم أيديكم إليها لكن لم تُدركوها لأنكم لم تأخذوا بالأسباب الصحيحة التي تعلو بكم إلىٰ الكمال والرفعة، فقصُرت أبواعُكم عن المعالي التي نالها أهلُ الإيمان.

(٣) ما أتيتم العلم من أبوابه، وإنَّما أتيتم العلم من ظُهوره، فكلُّ شيءٍ تُريدُه فإنَّك تأتيه من بابه ولا تأتيه من غير بابه، وهذا مثلٌ حسِّي مضروبٌ لأمرٍ معنوي.

بابَ الحديثِ وبابَ هذا الوحي مَنْ
يَفتحْهُمـــا فَلْيَهْنِـــهِ البـــابـــانِ[١]

وفتحتُـــمُ بـــابيْـــنِ مَـــنْ يَفْتَحْهُمـــا
تُفْتَـــحْ عليـــه مـــواهـــبُ الشَّيطـــانِ

بـــابُ الكـــلامِ وقـــد نُهيتُـــمْ عنـــه والـ
ـبـــابَ الحـــريـــقَ فمنطـــقُ اليـــونـــانِ[٢]

---

(١) أبواب العلم: هي بابُ القُرآن وبابُ السنة، وفتحهما هو التفقه فيهما وتدبُّرُهُما ومعرفة معانيهما، ولا يُفَسَّر القرآن والسُّنّة بالرأي أو بما يظهر، بل يُفسر القرآن والسُّنة بوجوه التفسير الصحيحة:

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ـ تفسير القرآن بالسُّنة.

٣ ـ تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤ ـ تفسير القرآن بأقوال التابعين لأنَّهم تلاميذ الصحابة.

٥ ـ تفسير القرآن بمقتضىٰ اللغة العربية التي نزلَ بها.

فهذه هي الأوجه الصحيحة لتفسير القرآن الكريم.

(٢) باب الكلام الذي هو علمُ الجدل، ويسمُونه علم المناظرة أو علم التوحيد، وهو عبارة عن قواعد وضعُوها يُجادِلُون بها ويردُّون بها علىٰ مَن عارضها من أهل السنة الذين يعتمدون علىٰ الكتاب والسنة، ولهذا جاء في الأثر: «إنَّه ما أعرض النّاس عن الكتاب والسنة إلاّ ابتُلوا بعلم الجدل؛ لأنَّ من ترك الحق ابتُلي بالباطل». وقال ﷺ: «ما ضل قوم بعد =

فـدخلتُـمْ دارَيْـنِ دارَ الجهـلِ فـي الـدْ
دُنْيـا ودارَ الخِـزي فـي النيـرانِ(١)
وطَعِمْتُـمُ لَـوْنيْـنِ لـونَ الشَّـكِّ والتْـ
تَشْكيـكِ بعـدُ فبئسـتِ اللـونـانِ(٢)

= هدىٰ كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»(*). وليس في علم الكلام فائدة ولهذا قال فيه بعض العُلماء: «إنَّه لحم جملٍ غث علىٰ جبلٍ وعر لا سهلٌ فيُرتقىٰ، ولا سمينٌ فيُنتقل»(**).

(١) عشتم في دا الدُّنيا علىٰ الجهل لا علىٰ الإيمان، فشغلتم أنفسكم بهذا العلم الباطل، وفي الآخرة تدخُلون النار لأنَّكم دخلتم إلىٰ الآخرة وليس معكم إيمان، وضيعتم دُنياكم بالجدل الباطل وما صوَّرَهُ رحمهُ الله عن واقعهم في هذه الأبيات هو عين الحقيقة لو كانوا يعقلون.

(٢) طعمُ هذه العلوم هو الشكُّ ـ والعياذُ بالله ـ والتشكيك للنَّاس في علم الكتاب والسُّنة، وما انفتح هذا الباب من علم منطق اليونان إلا لمَّا عُرِّبت الكتب الرومية في عهد المأمون الذي فتح علىٰ المسلمين باب شر، ويُقال: إنَّه لمَّا طلب الكتب من الرومان واليونان عارض بعضُهم ومانع في إرسالها، وقال عُقلاؤهم: أرسلُوها إليهم لأنها ما دخلت بلاداً إلاّ وأفسدتها فصارت غزواً وسلاحاً، فتكوا به في عقائد المسلمين والعياذُ بالله.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/ ٤٩٣ (٢٢١٦٤)، وابن ماجه (٤٨)، والترمذي (٣٢٥٣) من حديث أبي أمامة الباهلي، وهو حديث حسن بطرقه وشواهده، وانظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

(**) هذا اقتباس من حديث أم زرع المشهور عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

وركبتُـمُ أمـريْـنِ كـم قـد أهلكـا
مِـن أُمـةٍ فـي سـالـفِ الأزمـانِ
تقـديـمَ آراءِ الـرجـالِ علـىٰ الـذي
قـالَ الـرسـولُ ومُحْكَـمِ القـرآنِ
والثـانِـي نِسْبَتُهُـمْ إلـىٰ الألغـازِ والتْـ
تَلْبيـسِ والتـدليـسِ والكتمـانِ[1]
ومكـرتُـمُ مكـريْـنِ لـو تمَّـا لكُـمْ
لتفصَّمَـتْ فينـا عُـرىٰ الإيمـانِ[2]
أطفـأتُـمُ نـورَ الكتـابِ وسُنَّـةَ الـ
ـهـادي بـذا التحـريـفِ والهَـذَيـانِ[3]

---

(١) يقولون: علم المنطق هو العلمُ الصحيح الذي يُفيد اليقين، أمّا أدلة الكتاب والسُّنة فهي ألغاز، لأنها تحتمل عدة معانٍ، ولا يُدري ما المقصودُ منها؟ ولأنها تصف الرب بأشياء لا تليقُ به، فالمرادُ غيرُ ما يظهرُ منها، فهي ألغاز، وعلىٰ هذا يكون الله أنزلَ أحاجي وألغازاً يبتلي بها العباد، هذا وصفُهم للقُرآن والسُّنة أنَّهما ألغاز وأحاجٍ.

(٢) المكر هو من البشر عملُ الباطل بخُفيه، فهم عملوا هذا في كتاب الله وسُنَّة رسوله، ولو تَمَّ لهم مكرُهُم لانعزل الكتاب والسُّنة نهائياً، ولكنَّ الله سبحانَه وتعالىٰ قيَّض لكتابه وسُنَّة رسوله من يقوم بهما ويدعو إليهما ولم يتأثَّر بهذه المذاهب الباطلة فلذلك بقي الكتاب والسُّنة ـ والحمدُ لله ـ.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨] هذا وعدٌ من الله تعالىٰ علىٰ ظهورِ الدِّين مهما تكالب عليه =

لكنَّكُـــمْ أوْقَــدْتُـــمُ للحـــربِ نـــا
راً بيـــن طـــائفتيـــنِ مُختلفـــانِ
والله مُطفيهـــا بـــألْسِنَـــةِ الأُوْلَـــىٰ
قَــدْ خَصَّهُــمْ بــالعلــمِ والإيمــانِ
والله لـو غَـرِقَ المُجسِّـمُ فـي دمِ التْـ
تَجْسِيـــمِ مِـــن قَـــدَمٍ إلـــىٰ الآذانِ
فـــالنـصُّ أعظـمُ عنـدَهُ وأجـلُّ قَـدْ
راً أنْ يُعـــارِضَـــهُ بقـــولِ فُـــلان(١)

* * *

= الأعداء فإنَّ الله سيُظهر هذا الدِّينَ علىٰ أيدي رجال لا تأخُذُهم في الله لومةُ لائم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] فالله حافظٌ وناصرٌ لدينه فإذا تولَّىٰ عنه قومٌ أبدلَهُم اللهُ بآخرين.

(١) يعني: مهما عيَّرتُم أهل الإثبات بالتجسيم، وأجمعتُم علىٰ ذمهم، فإنَّ هذا لا يصرفُهم عن الحقِّ، ولا يعدلهم عن الحق، بل يتمسكون به، ولا يعارضون النصوص بأقوال الرجال.

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت[(١)]

(١) لمَّا ذكر أنَّ آفتَهم وعلَّتَهم هي قاعدة التجسيم، وأن هذا اللفظ اتخذوه سلاحاً ضدَّ النصوص وضدَّ أهل الإيمان فسمَّاه طاغوتاً، لأن الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحدِّ، وهو يطلق علىٰ أشياء كثيرة:

١ ـ يُطلق علىٰ ما عُبِد من دون الله، فكلُّ ما عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ فهو طاغوت، ومن لم يرضَ كالمسيح والأولياءِ والصالحين المستقيمين علىٰ طاعةِ الله، فهؤلاء لا يُقال لهم طواغيت، لكنَّ عبادةَ الناس لهم عبادةٌ للطاغوت الذي هو الشيطان لأنه هو الذي أمرهم بها، أمّا نفس الشخص من الأنبياء والصالحين فإنه لا يُسَمَّىٰ طاغوتاً، لأنه لم يرض بعبادة غير الله عزَّ وجلَّ بل كان في حياته يُحَذِّرُ من هذا فلمَّا مات عبدوهُ فهذا لا يضرُّه، أما مَن عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ فهو طاغوت، وكذلك الأشجار والأحجار والجمادات فعبادتها تُسمَّىٰ: عبادة للطاغوت.

٢ ـ وكذلك يُطلق الطاغوت علىٰ من حكمَ بغيرِ ما أنزلَ الله، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] فيكون علم الكلام والتجسيم طاغوتاً، لأنَّهم يتحاكمون إليه ويُعرِضُون عن الكتاب والسنة هذا هو وجهُ تسميته بالطاغوت.

=

أهْـوِنْ بـذا الطـاغـوتِ لا عَـزَّ اسْمُـهُ
طـاغـوتُ ذي التعطيـلِ والكُفْـرانِ[١]

كَـمْ مِـن أسيـرٍ بـل جـريـحٍ بـل قتيـ
ـلٍ تحَت ذا الطاغوتِ في الأزمانِ[٢]

وتَـرَىٰ الجَبـانَ يكـادُ يُخلَـعُ قلبُـهُ
مِـن لفظِـهِ تبّـاً لكُـلِّ جَبـانِ[٣]

وتَـرَىٰ المُخَنَّـثَ حيـن يَقـرعُ سَمْعَـهُ
تَبـدو عليـه شمـائـلُ النِّسـوانِ[٤]

= ٣ ـ ويُطلق الطاغوت علىٰ الشَّيطان، وهو رأسُ الطواغيت، فكل من تمرَّدَ عن طاعةِ اللهِ من جنودِ إبليس فهو طاغوت.

(١) «أَهْوِنْ»: هذه كلمة تعجب، والمعنىٰ: ما أشدَّ هوانه لأنه ليسَ بشيء.

(٢) كم أهلكَ هذا الطاغوت من أتباعه؟ فصارُوا جهمية أو معتزلة أو أشاعرة، كُلُّهم صَرعىٰ لهذا الطاغوت الذي حملهم علىٰ نفي ما أثبته اللهُ لنفسه أو أثبتَه له رسوله.

(٣) ترىٰ الجبانَ يخاف من هذا الطاغوت لكن المؤمن القوي لا يهمُّهُ لأنّه باطلٌ، والباطل لا يقوم أبداً.

(٤) المُخنَّث هو المشتبه أمرُه، والانخناث هو الاشتباه، فهو مذبذب لا يكون مع أهلِ الحقِّ، ولا يكون مع أهلِ الباطل، فتبدو عليه صفات النساء من الذِّلة والمهانة، فيتحوَّل من كونه رجلاً إلىٰ صفة امرأة.

ويظــلُّ مَنكــوحــاً لكــلِّ مُعطِّــلٍ
ولكُــلِّ زِنــديــقٍ أخــي كُفــرانِ[1]

وتَـرَىٰ صَبِـيَّ العقـلِ يُفـزِعُـهُ اسمُـهُ
كـالغُـولِ حيـن يُقـالُ للصبيـانِ[2]

كُفْــرانَ هــذا الإســمِ لا سُبحــانَــهُ
أبــداً وسُبحــانَ العظيــمِ الشــانِ[3]

---

(١) منكوح عقله بالآراء والمعتقدات، وليس منكوحاً، بفعل الفاحشة، لكنه منكوح بالآراء والاعتقادات الباطلة، فأدخلوها عليه، وأفسدُوه بها كما يُفسد الملوط به، فيتحول من الرجولية إلىٰ الأنوثية، وربما يُصاب بمرضٍ لا يصبر معه عن اللواط ويطلبُه بكلِّ وسيلة، ويدعو الناس للفعلِ به، وهذا واقعٌ ومعروف ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ فهكذا هؤلاء لمّا فتحوا علىٰ أنفسهم ترك الكتابِ والسُّنة، وأخذوا علم الكلام، نكحهم هؤلاء الكُفَّار، بمعنىٰ: أنَّهُم أفسدُوا عقائِدَهُم كما يُفسد صاحبُ اللواط من يفعل به الفاحشة، هذا وهذا من بابِ التشبيه.

(٢) صبي العقل: هو الذي عقلُهُ صغير مثل عقل الطفل وإن كان كبيراً في جسمه، ولذلك يقول حسَّان:

لا عيب في القومِ من طولٍ ومن قِصَرٍ   جسـمُ البِغـالِ وأحـلامُ العصـافيـرِ

يعني: أَنَّ أجسامُهُم كبيرة لكن ليس لهم أحلامٌ ولا عقول، فعقُولهم صغيرة.

(٣) يقول: كفرتُ بهذا الاسم اسم الطاغوت الذي هو التجسيم واعتقدتُ بُطلانَه، لا سبحانه كما يُنزهُهُ ويُقدسُه أصحابكم ويُحكِّمونه، فأنا لا أُنزهُه ولا أقدسُهُ وإنّما أُنزِّه وأسبِّح الله الذي يستحقّ التسبيح والتنزيه.

كَـمْ ذا التَّتَـرُّسُ بـالمُحـالِ أمـا تـرىٰ
قَــدْ مَــزَّقَتْــهُ كثـرةُ السُّهْمــانِ[١]
جِسْـــمٌ وتجسيـــمٌ وتشبيـــهٌ أمـــا
تَعْيُـونَ مِـن فَشْـرٍ ومِـنْ هَـذيـانِ[٢]
أنتُـمْ وضعتُـمْ ذلـكَ الطـاغـوتَ ثُـمْ
مَ بِـهِ نَفَيْتُـمْ مُـوجِـبَ القُـرآنِ[٣]
وجعلتمُـوه شـاهِـداً بـل حـاكمـاً
هـذا عَلىٰ مَنْ يـا أُوْلـي العُـدوانِ[٤]

---

(١) يتترسون بعلم الكلام كما يتترس المقاتلُ بالتُّرس الذي يقيه من السلاح، فهم يَتَّقون الكتاب والسُّنة بعلم الجدل والكلام، وهذا التُّرس مزقته سهام الحقِّ فلا ينفع أصحابه، ولا يدفع عنهم سهام الكتاب والسُّنة.

(٢) هذه اصطلاحات عقيدتكم وهي: نفي الجسم والتجسيم، أمَّا إثبات الأسماء والصفات كما جاءت في الكتابِ والسُّنَّة فهذا لا تلتفتون إليه، وإنَّما تشتغلون بالجسم والتركيب ومصطلحاتٍ ما أنزلَ الله بها من سُلطان، والفشر والهذيان اسمان للكذب.

(٣) وضعتم هذا الطاغوت وهو التجسيم، ونفيتم به موجب القرآن فالأصل عندهم هو قواعد المنطق، فما وافقها قبلوه وما خالفها ردُّوه بالتحريفِ والتأويل.

(٤) هذا وجه تسمية التجسيم بالطاغوت أنَّهم جعلوه حاكماً يحكم في العقيدة فما وافقه فإنَّه يُقبل وما خالفَهُ فإنَّه يُردّ.

أعلىٰ كتابِ اللهِ ثُمَّ رسولِهِ
بالله فاسْتَحْيُوا مِن الرحمٰنِ(١)

فَقَضَاؤُهُ بِالجَوْرِ والعُدْوانِ مِثْـ
ـلُ قِيَامِهِ بالزُّورِ والعُدْوانِ

وقيامُهُ بالزُّورِ مثلُ قضائِهِ
بالجَوْرِ والعُدوانِ والبُهتانِ(٢)

كم ذي الجعاجِعُ ليس شيءٌ تحتَها
إلاَّ الصدَىٰ كالبُومِ في الخِربانِ(٣)

ونظيرُ هذا قولُ مُلْحِدِكُم وقَدْ
جَحَدَ الصفاتِ لفاطرِ الأكوانِ

---

(١) علىٰ ماذا نصبتم هذا الطاغوت، نصبتموه علىٰ كتاب الله وسنة رسوله، استحيوا من أنفسكم أنّكم تقابلون كلام الله ورسوله بهذا الطاغوت، وترفضون كلام الله والرسول، وتعتقدون ما يقتضيه هذا الطاغوت ويحكم به.

(٢) قضاء هذا الحاكم الذي هو الطاغوت بالجورِ والظُّلمِ؛ لأنَّ أصله مزور لا حقيقة له ولا يقضي بالحقّ، فالقضاء قضاءُ الله ورسوله، أمَّا قضاء غير الله ورسوله فهو قضاءٌ باطلٌ ليسَ بشيء، فهو كلُّهُ زور، والزور هو الكذب، فشهادة الزُّور تعني: شهادة الكذب، وسمِّيت زُوراً من التزوير، وهو تزيين الشيء وتحسينه وتزويقه حتىٰ يُقبل.

(٣) شبَّهَ ابن القيم هذا الطاغوت بنعيقِ البوم علىٰ الخراب، فالبوم يصيحُ علىٰ الخراب وليس لصوتها فائدة، فكلام هؤلاء مثل أصواتِ البومِ علىٰ الخِربان لا يُلتفت إليه ولا يُقام له وزن، وإنَّما المُعوّل علىٰ الكتاب والسُّنة.

لـو كـان مـوصـوفـاً لكـانَ مُـركَّبـاً
فـالـوصـفُ والتـركيـبُ مُتَّحِـدانِ
ذا المَنجَنيـقُ وذلـكَ الطـاغـوتُ قـد
هَـدَمـا ديـارَكُـمُ إلـىٰ الأركـانِ[1]
واللهُ ربِّـي قـد أعـانَ بكسـرِ ذا
وبِقطـعِ ذا سُبحـانَ ذي الإحسـانِ[2]
فلئـن زعمتُـمْ أنَّ هـذا لازمٌ
لِمَقـالِكُـمْ حقـاً لُـزُومَ بيـانِ

---

(١) مثلُ التجسيم في البطلان قولُ مُلحدِهم: إنَّ إثبات الصفات يقتضي التركيب، أي أنَّ الله مُرَكَّب من هذه الصفات، وهذا كلامٌ باطل، فالتركيب لم يُذكر في الكتاب ولا في السنة لا نفياً ولا إثباتاً، فنحنُ لا نثبتُه ولا ننفيه، فلا نُقيم له وزناً إلاّ من بابِ الردِّ عليه وإبطاله، ولا يلزم من إثبات الصفات التركيب.

هذا المنجنيق الذي نصبتموه علىٰ أهلِ السُّنة والجماعة لرميهم به، والطاغوت الذي حكَّمتموه، هذا يرجع ضررُه عليكم أنتم، ولا يضرُّ أهلَ السُّنة والجماعة، وذلك لأنَّهم متحصنون بالكتابِ والسُّنة.

(٢) أعان اللهُ أهلَ السُّنة علىٰ تدميرِ هذه الأقاويل وإبطالها بمعاول الكتاب والسُّنة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] وقال الإمام المجدِّد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهُ الله في رسالة كشف الشبهات: «لا يأتي أهلُ الباطل بشبهة إلاّ وفي القرآن ما يُبطلها ويُبينُها» وهذا في مختلف الأزمان.

فلنـــا جـــوابـــاتٌ ثـــلاثٌ كُلُّهـــا
معلـــومَـــةُ الإيضـــاحِ والتِّبيـــانِ[1]
مَنْـعُ اللـزومِ ومـا بـأيـديكُـمْ سِـوَىٰ
دَعْـــوَىٰ مُجـــرَّدَةٍ عـــن البُـــرهـــانِ
لا يـــرتضيهـــا عـــالِـــمٌ أو عـــاقـــلٌ
بَـــلْ تلـــكَ حيلـــةُ مُفلـــسٍ فَتَّـــانِ[2]
فلئـــن زعمتُـــمْ أنَّ مَنْـــعَ لـــزومِـــهِ
منكُـــمْ مكـــابـــرةٌ علـــىٰ البُطـــلانِ
فجـوابُنـا الثـانـي امتنـاعُ النفـيِ فـي
مـــا تَـــدَّعُـــون لُـــزومَـــهُ ببيـــانِ

---

(١) إذا قلتم: إنَّه يلزم من إثبات الصفات، إثبات التجسيم، واللازم إذا كان باطلاً فإنَّ الملزومَ يكونُ باطلاً. فابن القيم يقول: نُجيبكم عن ذلك بثلاثة أجوبة:

الأول: نُجيب بأنَّه لا يلزم من إثبات الصفات التجسيم، ولم يقل بهذا إلا أنتم، وأمّا الرُّسل وأتباعُهم فلم يقولوا بهذا.

الثاني: إذا تنزَّلنا معكم وقلنا: إنَّه يلزم ذلك فلازمُ الحقِّ حقٌّ كما أن لازمَ الباطل باطلٌ، لكن أثبتوا لنا أنَّه يلزم ذلك فلا يُمكن أن يلزم إلا وهو حق. ويأتي الجواب الثالث.

(٢) إذا قُلتم: إنَّه لازم ولكنكم تنفونه وهو لازم، قلنا: إذا كان يلزمُ القرآن والسُّنة فلازمُ القرآن والسنة صحيح، فلازم الحقِّ حقٌّ لكن عليكم الإثبات بأنَّه يلزمُ أوَّلاً.

إنْ كـانَ ذلـك لازمـاً للنـصِّ والْـ
ـمَلْـزومُ حـقٌّ وهـو ذُو بُـرهـانِ
والحـقُّ لازِمُــهُ فحــقٌّ مِثلُــهُ
أنّـىٰ يكــونُ الشــيءُ ذا بُطــلانِ
ويكــون ملـزومـاً بـهِ حقّـاً فـذا
عيـنُ المُحـالِ وليـسَ فـي الإمكـانِ
فتعيَّــنَ الإلــزامُ حينئــذٍ علــىٰ
قـولِ الـرَّسُـولِ ومُحْكَـمِ القُـرآنِ[1]
وجعلتُــمُ أتبــاعَــهُ مــا نَسْتُــراً
خـوفـاً مـن التصـريـحِ بـالكُفـرانِ
واللهِ مــا قُلْنــا سِـوىٰ مـا قـالَـهُ
هــذي مقــالَتُنــا بــلا كِتمــانِ
فجعلتُمــوهــا جُنَّــةً والقصــدُ مفـ
ـهــومٌ فنحــنُ وقــايــةُ القُـرآنِ[2]

---

(١) من المُحالِ أنَّ الحق يلزمُ عليه باطلٌ، فالحقُّ لازمُه حقٌّ.

(٢) يقول الناظم: أنتم سميتم أتباع القرآن والسُّنة مُجسِّمة تستراً، وأنتم تريدون أنَّ القرآن والسُّنة جاءا بالتجسيم، لكن لم تُصَرِّحُوا بهذا، فهذا معنىٰ كلامكم، فأنتم لو قلتم: إنَّ القرآن والسنة جاءا بالتجسيم لكان هذا كُفراً صريحاً، فأنتم تحاشيتُم هذا ووجَّهتم التجسيم لأهلِ السُّنَّة والجماعة من باب التستر، فنحنُ لم نأتِ إلاّ بمثل ما أتىٰ به القرآن والسُّنة فقط، =

هـذا وثـالـثُ مـا نُجيـبُ بـه هـو اسْـ
ـتِفْسَـارُكُـمْ يـا فِـرقـةَ العِـرفـانِ

مـاذا الـذي تَعنُـون بـالجسـمِ الـذي
ألـزَمْتُمـونـا أوْضِحُـوا ببيـانِ

تَعنـونَ مـا هُـوَ قـائـمٌ بـالنفـسِ أوْ
عَـالٍ علـىٰ العـرشِ العظيـمِ الشـانِ

أو ذا الذي قامَتْ به الأوصافُ أوْ
صَـافُ الكمـالِ عـديمـةُ النقصـانِ

أو مـا تَـرَكَّـبَ مـن جـواهِـرَ فَـرْدَةٍ
أو صُـورَةٍ حَلَّـتْ هَيُـولَـىٰ ثـانِ

أوْ ما هُوَ الجسمُ الذي في العُرفِ أوْ
فـي الـوضـعِ عنـدَ تخـاطُـبٍ بلسـانِ

أو ما هُوَ الجسمُ الذي في الذِّهْنِ ذا
كَ يقـالُ تَعْليـمٌ لـذي الأذهـانِ

مـاذا الـذي فـي ذاكَ يلـزمُ مِـنْ ثبـو
تِ عُلُـوِّه مِـن فَـوْقِ كُـلِّ مكـانِ

فَـأْتُـوا بتعييـنِ الـذي هـو لازمٌ
فـإذا تعيَّـنَ ظـاهـرُ التبيـانِ

= فإذا رميتمونا بالتجسيم فمعنىٰ ذلك: أنَّكم رميتم الكتاب والسُّنة بالتجسيم وهذا كفرٌ صريح.

فَـأْتُـوا بِبُـرهـانَيْـنِ بُـرهـانِ اللـزُو
مِ ونفــيِ لازِمِــهِ فــذانِ اثنــانِ(١)

واللهِ لــو نُشِـرَتْ لكـم أشيـاخُكُـمْ
عَجَـزُوا ولــو واطـاهُـمُ الثقــلانِ

---

(١) الجواب الثالث: الاستفصال، ماذا تُريدون بالتجسيم، هل تريدون إثبات الأسماء والصفات؟ فهذا حق ولا نسمِّيه تجسيماً، أم تريدون بالتجسيم أجسام المخلوقين؟ فهذا منفيٌّ عن الله تعالىٰ فالله تعالىٰ يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] فالتجسيم لفظٌ مُحْدَث لا يُثْبَت ولا يُنفَىٰ ولكن يستفصل فيه، فإن كان المعنىٰ صحيحاً قيل به، وإن كان باطلاً رُدَّ، أم تريدون بالتجسيم ما وصف اللهُ به نفسه من العُلوِّ والاستواء والنزول والسمع والبصر والحياة إلىٰ غير ذلك من الصفات؟ فهذا حقٌّ ولكن لا نُسمِّيه تجسيماً، أم تريدون بالجسم ما تركَّب من الأجزاء كالجدار يتركَّب من اللبنات والطِّين، والباب يتركَّب من الخشب والمسامير؟ أم تريدون بالتجسيم ما يُريدُه عُلماء المنطق أو علماء الفلسفة حيثُ إنَّ التجسيم عندهم ما رُكِّب من الهَيُولَىٰ والصورة، فأَيُّ المعاني تريدون؟ فالمعنىٰ الأول صحيح وهو أنَّ الجسم ما تقوم به الصفات فهذا معنىً صحيح، وأمَّا المعنىٰ الثاني والثالث فهما باطلان، فالمهم أنَّ الجسم لهُ معانٍ كثيرة فحَدِّدُوا مُرادكُم بذلك واتركوا الإجمال فإنَّه لا يقبل، لأنَّه من التلبيس، فإذا بيَّنتُم ماذا تريدُون بالتجسيم من هذه المعاني، فحينئذ هاتوا أدلَّة علىٰ أنَّ إثبات الأسماء والصفات يقتضي التجسيم، وأنَّىٰ لكم ذلك؟

إنْ كُنْتُـمْ أنْتُـمْ فُحُـولاً فـابْـرُزُوا
ودَعُـوا الشكـاوَىٰ حيلـةَ النِّسـوانِ[١]
وإذا اشْتكَيْتُمْ فاجْعلُوا الشكوىٰ إلىٰ الْـ
ـوَحْيَيْنِ لا القاضي ولا السُّلطانِ[٢]
فَنُجِيـبُ بـالتَّـرْكيـبِ حِينَئِـذٍ جَـوَا
بـاً شَـافيـاً فِيـهِ هُـدَىٰ الحَيْـرَانِ
الحَـقُّ إثْبَـاتُ الصِّفَـاتِ ونَفْيُهَـا
عَيْـنُ المُحَـالِ وليْـسَ فـي الإمْكـانِ
فـالجسـمُ إمَّـا لازمٌ لثبـوتِهَـا
فهـو الصـوابُ وليـسَ ذا بُطْـلانِ
أَوْ لَيـسَ يلـزَمُ مِـن ثبُـوتِ صفـاتِـهِ
فشنـاعَـةُ الإلـزامِ بـالبُهتـانِ[٣]

---

(١) والله لو اجتمعتم أنتم وشيوخكم الأموات ما استطعتم تصحيح هذا الباطل الذي تفوهتم به، وهو أنَّ إثبات الصفات يقتضي التجسيم.

(٢) إذا عجزتم أنتم وأشياخُكم عن أن إثبات الصفات يقتضي التجسيم فلا تلجؤوا إلىٰ الشكوىٰ إلىٰ السلاطين والأمراء ليُعزُّوكُم وينتقموا لكم من أهل السُّنة والجماعة كما حصل من أسلافكم مع الإمام أحمد وغيره، ولكن الجؤوا إلىٰ الكتابِ والسُّنة إن كنتم تريدُون الحقَّ، والعاجز عن الحقِّ هو الذي يلجأ إلىٰ السُّلطة.

(٣) نقول: إذا صحَّ القول بأنَّ إثبات الصفات يستلزمُ التجسيم، فهذا حقٌّ، ولازمُ الحقِّ حقٌّ، ولكن أنَّىٰ لكم إثبات هذا كما سبق.

فـالمنعُ فـي إحدىٰ المقـدِّمَتيْنِ مَعْـ
ـلُـــومُ البيـــانِ إذاً بِـــلا نكـــرانِ

فـالمنْـعُ إمَّـا فـي اللـزومِ أو انتفـا
ءِ الـــلازمِ المنســـوبِ للبُطـــلانِ

هذا هو الطاغوت قد أضحىٰ كما
أبصـــرتُمـــوهُ بِمِنَّـــةِ الـــرحمٰـــنِ[1]

* * *

---

(١) يقولون: إثبات الصفات يلزم منه التجسيم والتجسيمُ باطلٌ، إذن إثبات الصفات باطلٌ، فالقاعدة عندهم مركبة من مقدمتين ونتيجة، فنحنُ أبطلنا المقدمة الأولىٰ وقلنا: لا يلزم من أنَّ إثبات الصفات يقتضي التجسيم، ثمَّ أبطلنا المقدمة الثانية وقُلنا: وإذا لزِمَ أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم فلازم الحق حقٌّ وليس بباطل، فبطلت النتيجة لأنَّ المُقدِّمة باطلة، فإذن انكسر هذا الطاغوت الذي بنوا عليه حُجَّتهم والحمد لله، ولذا قال الناظم:

هذا هو الطاغوت قد أضحىٰ كما أبصـــرتمـــوه بمِنَّـــةِ الـــرحمٰـــن

فانكسر هذا الطاغوت الذي بنوا عليه مذهبهم في نفي الصفات.

فصل

في مبدأ العداوة الواقعة
بين المُثبتين الموحدين وبين النُفاة المُعطِّلين

يــا قــومُ تَــدرُونَ العــداوةَ بيننــا
مِـن أجـلِ مـاذا فـي قـديـمِ زَمـانِ(١)

إنَّــا تَحَيَّــزنــا إلــىٰ القــرآنِ والنْـ
نَقْــلِ الصَّحِيــحِ مُفَسِّــرِ القُــرآنِ

وكذا إلىٰ العقلِ الصريحِ وفطرة الر
رَحمٰــنِ قبــلَ تغيُّــرِ الإنســانِ

هــي أربــعٌ متــلازمــاتٌ بعضُهــا
قَــدْ صَــدَّقَــتْ بعضــاً علــىٰ ميــزانِ

---

(١) نحن نسأل المعطلة ما هو السبب في العداوة التي بيننا معشر أهل السنة والجماعة وبينكم، وإنَّما عاديتمونا من أجل اتباع الكتاب والسنة خصوصاً في إثبات الأسماء والصفات، هذا هو سبب العداوة، واتباع الكتاب والسنة لا يوجب العداوة وإنَّما يجمع القلوب، وإنَّما الذي يوجبُ العداوة هو الأهواء والنزاعَات والحزبيات، قال تعالىٰ: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] فلا يُوَحِّد المسلمين إلاَّ اتباعُ الكتاب والسُّنة.

والله ما اجتمعت لديكم هذه
أبداً كما أقررتم بلسان[١]
إذ قلتم العقل الصحيح يعارض الْـ
ـمنقول من أثر ومن قرآن
فنقدم المعقول ثم نصرف الْـ
ـمنقول بالتأويل ذي الألوان[٢]
فإذا عجزنا عنه ألقيناه لم
نعبأ به قصداً إلىٰ الإحسان[٣]

---

(١) فنحنُ اتبعنا هذه الأصول:

الأول: الكتاب: وهو كلامُ الله عزَّ وجل.

الثاني: السُّنة: وهي كلام الرسولِ المفسِّرة للقُرآن.

الثالث: العقل الصريحُ وهو لا يخالف النقل الصحيح.

الرابع: الفطرة السليمة التي فطرَ اللهُ النَّاسَ عليها قبل فساد النَّاسِ في فطرهم أمَّا أنتم فليست هذه الأُمور الأربعة عندكم.

(٢) قُلتم: إنَّ النقل الصحيح لا يوافق العقلَ الصريحَ فنحنُ نُقدِّم العقلَ لأنَّهُ يُفيد اليقين، والنقل لا يفيد إلا الظن، فهم يعتمدون علىٰ العقلِ ويُقدِّمونه، فهذا هو الذي سبَّبَ هلاكَهُم، وماذا يفعلون بالنقل من القرآنِ والسُّنَّةِ؟ يُصَرِّفُونَهُ إمَّا بالتحريف والتأويل أو بالتفويضِ، بحيث لا يُعرف لَهُ معنىٰ بل هو مُجرَّد ألفاظ تُردَّد لا يُعرف لها معنىٰ، فهو من الألغازِ والأحاجي، فهذه قيمة الكتابِ والسُّنة عندهم أنها لا تفُيد علماً.

(٣) قالوا: إذا عجزنا عن تأويله اعتبرنا العقلَ، وردَدْنا النقلَ، وفوَّضْنا معناه إلىٰ الله.

ولَكَــمْ بــذا سَلَــفٌ لهــم تــابَعْتُــمُ
لمَّــا دُعُــوا لــلأخــذِ بــالقُــرآنِ
صَــدُّوا فلمــا أنْ أُصيبــوا أقسَمُــوا
لمُــرادُنــا تــوفيــقُ ذي الإحســانِ[1]
ولقــد أُصِيبُــوا فــي قلــوبِهِــمُ وفــي
تلــكَ العقــولِ بغــايــةِ النقصــانِ
فــأتَــوْا بــأقــوالٍ إذا حَصَّلْتَهَــا
أَسْمِعْــتَ ضَحْكَــةَ هــازلٍ مَجَّــانِ[2]
هـذا جـزاءُ المُعْـرِضيـنَ عـن الهُـدَىٰ
مُتَعَــوِّضِيــنَ زخــارفَ الهَــذيــانِ

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦١-٦٢]، فالمصيبة إمَّا أن تكون في الأموال والأنفس، وإمَّا أن تكون المصيبة في القلوب، وهي التي تكون بالزيغ والضلال، وهذا أشدّ، وهو جزاء من أعرضَ عن الكتاب والسُّنَّة أنَّهُ يُعاقب، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وهو القتل والتشريد أو زيغ القلوب.

(٢) أتوا بأقوال واعتذارات كُلّها أُضحوكات لا تغني من الحق شيئاً، وهذه صفةُ مَن أعرضَ عن الكتاب والسُّنة، يأتون بالعجب العُجاب.

واضْـرِبْ لهـم مثـلاً بشيـخِ القـومِ إذْ
يَـأبـىٰ السُّجُـودَ بِكِبْـرٍ ذي طُغيـانِ
ثـمَّ ارتضَـىٰ أن صَـارَ قـوَّاداً لأرْ
بـابِ الفُسـوقِ وكُـلِّ ذِي عِصْيـانِ[1]
وكذاكَ أهلُ الشركِ قالوا كيفَ ذا
بَشَـرٌ أتـىٰ بـالـوَحْـيِ والقُـرآنِ[2]
ثـم ارْتَضَـوْا أن يجعلُـوا معبُـودَهُـمْ
مِـن هـذه الأحجـارِ والأوثـانِ[3]

---

(١) وهو إبليس لمَّا أمرَهُ اللهُ بالسجود لآدم امتنع واحتـجَّ علىٰ الله بأنَّه خيـرٌ من آدم، فاحتجَّ بالقياس حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وزعمَ أنَّ النار خيرٌ من الطِّين فاحتج بالقياس الفاسِد، فالنار في الحقيقة ليست خيراً من الطين، فالطين ينبت فيه النبات والكلأ، وتُغرس به الأشجار فتثمر بخلاف النار، فإنَّها تُحرق وتُتلف، فهذا قياسٌ فاسد، وقد لجأ إليه عدوُّ الله لأنَّهُ لم يجد دليلاً، فهذا ما أنتم عليه يا معشر المتكلمين يُشبه ما كان عليه إبليس من قبل، وكلُّ مذاهب أهل الباطل مأخوذة من إبليس، والذي حمل إبليس علىٰ ذلك الكِبْر عن أمر الله، والحسد لآدم عليه السلام.

(٢) وهذا القياس الفاسدُ أيضاً استعملَهُ المشركون في نفي الرسالة فقالوا: كيف يكون الرسول من البشر ونحنُ بشر، فهو بشرٌ مثلُنا حيث قال الله عنهم: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ [القمر: ٢٤].

(٣) وهذا من العجب أنَّهم استغربُوا أن يكون الرسول من البشر، ولم يستغربوا أن يكون المعبود من الحَجر، فعبدوا الأحجار والأشجار لانتكاس قلوبهم.

وكـذاك عُبَّـادُ الصليـبِ حَمَـوْا بَتَـا
رِكَهُـم مـن النِّسـوانِ والـوِلـدانِ
وأتـوا إلـىٰ ربِّ السمٰـواتِ العُلـىٰ
جَعَلُـوا لَـهُ ولَـداً مـن الـذُّكـرانِ(١)
وكـذلِـكَ الجَهْمِـيُّ نَـزَّهَ رَبَّـهُ
عَـنْ عَـرْشِـهِ مِـن فـوقِ ذي الأكـوانِ
حَـذَراً مِـن الحَصْـرِ الـذي فـي ظَنِّـه
أو أنْ يُـرَىٰ متحيِّـزاً بمكـانِ
فـأصـارَهُ عـدمـاً وليـس وجـودُهُ
مُتحقِّقـاً فـي خـارِجِ الأذهـانِ(٢)

---

(١) البطارقة أو البتاركة: شيوخُ النصارىٰ، فيقُولُون: إنَّ البطريق أو البتريك أو القسيس أو الأب لا يليق به أن يكون له أولاد وزوجة، فنزهوا بطارقتهم عن الزوجة والأولاد ولم يُنزهُوا الله عن الصاحبة والولد، هذا من التناقض ـ والعياذ بالله ـ وعُبّاد الصليب هم النصارىٰ الذي يعبدُون الصليب، والصليب: هو عبارة عن صورة آدمي مصلوبة علىٰ خشبة، يزعمُون أنَّها صورة المسيح عليه السلام لمَّا قُتل وصُلِبَ علىٰ الخشبة، فهم يعبدون هذا الصليب، وابن القيم يقول: كان الواجب عليهم تكسير الصليب، لأنَّهُ عارٌ عليهم، لأنَّهم يزعمُون أنَّ اليهود قتلوا نبيَّهم وصلبُوه، وهذا عارٌ علىٰ النصارىٰ، فكيف يُظهرون هذا الصليب ويعبدونه، هذه مظاهر يفرح بها اليهود، لأنَّها إعادة ذكرىٰ قتل اليهود للمسيح عليه السلام بزعمهم فهذا من غباوتهم.

(٢) كذلك الجهمية وتلاميذهم ومَن حذا حذوَهُم في نفي الصفات، نزَّهُوا الله =

لكنَّمـا قُـدمـاؤكـم قـالـوا بـأنَّ
الـذاتَ قَـدْ وُجِـدَتْ بكـلِّ مكـانِ[١]
جعلـوه فـي الآبـار والأنجـاس والـْ
ـحـانـاتِ والخَـربـاتِ والقِيعـانِ[٢]
والقصـدُ أنّكُـمُ تَحَيَّـزْتُـمْ إلـىٰ الآ
راءِ وهْـيَ كثيـرةُ الهَـذيـانِ
فتلـوَّنَـتْ بكُـمُ فجِئْتُـم أنتُـمُ
مُتَلَـوِّنيـنَ عجـائـبَ الأكـوانِ
وعَرَضْتُمُ قولَ الرسولِ علىٰ الذي
قَـدْ قـالَـهُ الأشيـاخُ عَـرْضَ وِزانِ

= عن صفاتِه فسلبُوا عنه الكمال بحجة التنزيه، فلمَّا نفوا عنه الصفات لزم أن يكون معدوماً، لأنَّ الذي ليس لَهُ صفات هو المعدوم، فليس هناك شيءٌ موجود إلاَّ ولهُ صفات، فنزهُوا الله عن الصفات ولم يُنزِّهُوهُ من العدم.

(١) الحُلوليّة يقولون: لا يختصُّ الله بمكان فلا يكون فوق العرش ولا فوق السماوات. وإنّما هو في كلِّ مكان نفياً للعُلو عندهم؛ لأنَّه يقتضي التجسيم، ويلزم علىٰ قولهم: أنَّ الله في الحُشوش ومحلِّ القاذورات وفي كلِّ مكانٍ سيِّء.

(٢) لأنَّهم ما نَزَّهُوهُ عن الأمكنة القذرة ولا عن الخرائب ولا عن دورات المياه ولا عن أيِّ مكانٍ لا يليقُ بالبشرِ فكيف يليقُ بالله تعالىٰ.

وجعلتُـمُ أقـوالَهُـمْ ميـزانَ مـا
قَـدْ قـالَـهُ والعَـوْلُ فـي الميـزانِ[(١)]
وَوَرَدْتُـمُ سُفْـلَ الميـاهِ ولـم نَـكُـنْ
نَـرْضـىٰ بـذاكَ الـوِرْدِ للظمـآنِ
وأخـذتُـمْ أنتُـمْ بُنَيّـاتِ الطـريـقِ ونَحْـ
ـنُ سِرْنا في الطريقِ الأعظمِ السلطاني[(٢)]

---

(١) عكستم الأمور، فالواجب أنَّكم تعرضُون كلامَ الشيوخ علىٰ كلام الله ورسوله، فما صَحَّحاهُ فهو صحيح، وما أبطلاه فهو باطل، أما أنتم فقد عكستم، حيث عرضتُم أقوالَ الكتاب والسنة علىٰ أقوال الشيوخ فما وافقوهُ أخذتم به وما خالفوه رددتموه، وهذه طريقة أهلِ الباطل وردّهم للنصوص إمَّا أن يكون بالتحريف والتأويل، وإمَّا أن يكون بالتفويض.

(٢) بُنيات الطريق: هي الطرق الصغيرة المختلفة المنشقة عن طريق الحق الخارجة عنه، كما ورد عن عبد الله بن مسعود، قال: خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ خَطّاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل متفرقة علىٰ كل سبيل شيطان يدعو إليه»[(*)] والنبيُّ ﷺ ضرب هذا المثال بالمحسوس حتىٰ يُقرِّب به المعاني، وهؤلاء سَلكُوا بُنيات الطريق، وهي الجَوَادُّ المختلفةُ، وأمَّا أهل السنة فسلكوا الطريق الأعظم السلطاني، الطريق الواضح الذي ليس فيه تعاريج ولا التواءات.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٧/٢٠٧-٢٠٨ (٤١٤٢)، والدارمي (٢٠٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» ١٠/٩٥ (١١١٠٩)، والحاكم في «المستدرك» ٢/٣٤٨-٣٤٩ (٣٢٤١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وجعلْتُـمُ تُـرُسَ الكـلامِ مِجَنَّكُـمْ
تَبّـاً لِـذاكَ التُّـرسِ عنـدَ طِعـانِ[١]

ورميتُـمُ أهـلَ الحـديـثِ بـأسْهُـمٍ
عـن قـوسِ مَـوْتُـورِ الفـؤادِ جَبـانِ

فتتـرَّسُـوا بـالـوحـي والسُنـنِ التـي
تَتْلُـوهُ نِعْـمَ التُّـرسُ للشجعـانِ

هـو تُـرْسُهُـمْ واللهِ مِـنْ عُـدْوانِكُـمْ
والتُّـرْسُ يَـوْمَ البعـثِ مِـن نيـرانِ[٢]

أفتـارِكُـوهُ لِفَشْـرِكُـمْ ومُحَـالِكُـمْ
لا كـانَ ذاكَ بِمِنَّـةِ الـرَّحمٰـنِ

ودَعَـوْتُمـونـا للـذي قُلْتُـم بِـهِ
قُلْنـا مَعـاذَ اللهِ مِـنْ خِـذلانِ[٣]

---

(١) واتخذتم علم الكلام والجدل وقاية تترسُون به من الحقِّ، ولكنَّهُ لا يقيكم هذا الترسُ من سهام الحق، فهي تخترقُهُ وتصل إليكم لأنَّهُ ليس بشيء.

(٢) أهل الحديث: هم المتمسكون بالكتاب والسُّنة فهم يأخذون عقيدتهم منهما، وتترسُوا بتُرس الكتاب والسُّنَّةِ، يدفعُون به الأهواء والشبهات، فبهما العصمة من الخطأ والضلال، وهذا في الدُّنيا، وفي الآخرة يقيهم هذا الترس من النَّارِ، لأنَّهُ يُوصِّل إلىٰ الجنَّة، فنحنُ لا نترك هذا التُّرسَ من أجلِ أهوائِكُم ومن أجل رغباتكم.

(٣) تدعوننا إلىٰ علم الجدلِ وعلمِ الكلامِ ونحنُ نستعيذُ باللهِ أن نجيبكم إلىٰ هذه الدعوىٰ، لأنَّها دعوةٌ إلىٰ الضلالِ.

فـاشتـدَّ ذاكَ الحـربُ بيـن فـرِيقِنـا
وفـريقِكُـمْ وتفـاقَـمَ الأمـرانِ[١]

وتـأصَّلَـتْ تلـك العـداوةُ بيننـا
مِـن يـومِ أمـرِ اللهِ للشيطـانِ

بسجـودِهِ فعصـىٰ وعـارضَ أمـرَهُ
بقيـاسِـهِ وبعَقْلِـهِ الخَـوَّانِ[٢]

فـأتـىٰ التـلاميـذُ الـوِقَـاحُ فعـارضُـوا
أخبـارَهُ بـالفَشْـرِ والهَـذيـانِ[٣]

ومُعَـارِضٌ لـلأمـرِ مثـلُ معـارضِ الْـ
أخبـارِ هُـمْ فـي كُفـرِهـم صِنْـوانِ[٤]

---

(١) لمَّا أبينا أن نأخذ ما دعوتمونا إليه، واعتصمنا بالكتاب والسُّنَّةِ، حصلت الحربُ بيننا وبينكم، الحرب الكلامية الجدلية، وتارةً تكون حرباً بالسِّلاح.

(٢) فالحرب قائمة بيننا وبينكم منذ أن أمرَ اللهُ الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس حيث لجأ إلىٰ القياس فعارَضَ أمر الله تعالىٰ وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] فأول من قاسَ القياسَ الفاسِدَ هو إبليس، فحصلت الحرب بين حزب الله وحزب الشيطان من ذلك الوقت.

(٣) تلاميذ الشيطان هم: أهلُ الضلال نَحَوْ مَنْحَىٰ الشيطان فعارضوا الوحيَ بقواعدهم العقلية والجدلية والمنطقية. هذا هو سلاحُهُم وهذا ما عندهم.

(٤) الوحي قسمان: إمَّا أمر: وهو التشريع، وإمَّا خبرٌ عن الله وأسمائِهِ وصفاته وعن علم الغيب، وما يكون في آخر الخليقة، فلا بد من تصديق الخبر وامتثال الأمر، وأهل الباطل يُعَارِضون الخبر والأمر، فيكذبون بالخبر ولا يمتثلُون الأمر.

مَنْ عارضَ المنصوصَ بالمعقولِ قدْ
ماً أخبرونا يا أُولِي العِرفانِ(١)

أوَ مَا عَرَفْتُمْ أنَّهُ القَدَرِيُّ والْـ
ـجَبْرِيُّ أيضاً ذاكَ في القرآنِ

إذْ قال قد أغويْتَنِي وفتَنْتَنِي
لأُزَيِّنَنَّ لهُمْ مدَىٰ الأزمانِ

فاحْتَجَّ بالمَقْدورِ ثُمَّ أبانَ أنْ
نَ الفِعْلَ مِنهُ بِغَيَّةٍ وزِيانِ(٢)

---

(١) من الذي عارضَ المنصوصَ وهو الكتاب والسنة بالمعقول؟ هل عارضَهُ الصحابة أو التابعون أو أهل القرون المفضلة حاشا وكلاَّ، إنَّما عَارَضَهُ الخلفُ المتأخرون، الذين دبَّ إليهم علمُ الجدل والكلام مِن قِبَلِ الفلاسفة وأهلِ الكلام، فحصلت عندَهم المعارضةُ بزعمهم بين المنقول والمعقول، والنقلُ الصحيحُ لا يخالف العقلَ الصريح أبداً، فالشرع لا يأتي بما تُحيلُهُ العقول، لكن يأتي بما تحارُ فيه العقول، لأنَّ العقولَ لا تُدرك كلَّ شيء بل تتوقَّف وتُسلِّم أمرَها لله تعالىٰ.

(٢) الذي عارض النقلَ بالعقلِ هو الشيطان، عارضَ أمرَ الله تعالىٰ بالقدرِ وأنَّ إغواءهُ بقدر الله، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحجر: ٣٩] فاحتجَّ بالقدر علىٰ الله ولم يَلُمْ نفسَه ويقول: أنا الذي عصيْتُ وفرَّطت، بل أضاف هذا إلىٰ الله وبرّأ نفسَهُ من ذلك، وقال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ فصار في الأول جبري وفي الثاني قدري، فالتزيين نسبَهُ إلىٰ نفسه ولم ينسبْهُ إلىٰ قدر الله عزَّ وجلَّ، وهذا قول القدرية في أنَّ العبد يخلق فِعْلَ نفسِه، وهذا شأن أهل الضلال دائماً يتناقضُون.

فانظرْ إلىٰ ميراثِهِمْ ذا الشيخَ بالتْـ
تَعْصِيبِ والميراثِ بالسُّهمانِ[١]
فسألْتُكُمْ باللهِ مَنْ وُرَّاثُهُ
مِنَّا ومنكُمْ بعدَ ذا التِّبْيانِ[٢]
هذا الذي ألقىٰ العداوةَ بيننا
إذْ ذاكَ واتَّصَلَتْ إلىٰ ذا الآنِ[٣]
أصَّلْتُمُ أصْلاً وأصَّلَ خصمُكُمْ
أصْلاً فحينَ تقابلَ الأصلانِ
ظهرَ التبايُنُ فانتشَتْ ما بيننا الْـ
ـحَرْبُ العوانُ وصِيحَ بالأقرانِ[٤]

---

(١) عُلماء المنطق وعلماء الكلام الذين خالفوا الكتاب والسُّنة ورثوا إبليس في هاتين النقطتين:
الأولىٰ: الجبر.
الثانية: نفي القدر. فهم ورثوا إبليس بالفرض والتعصيب.

(٢) نحنُ اتبعنا الملائكة في امتثالهم لأمرِ الله بالسُّجودِ لآدم، وأنتم اتبعتم الشيطان في امتناعه عن السُّجودِ بالقياس الفاسد، فمن هو الذي أولىٰ بإبليس أنحنُ أم أنتم؟

(٣) هذا هو سبب العداوة بيننا وبينكم، أنَّنا ورثنا الكتاب والسُّنة، وأنتم ورثتم ميراث إبليس في إنكارِ الخبرِ وعصيان الأمر، فَسَبَّبَ ذلك العداوةَ بيننا وبينكم.

(٤) الحرب العوان: هي الحرب المستمرة الدائمة، لمَّا أصَّلنا علىٰ الكتاب =

أصَّلْتُـمُ آرا الـرجـالِ وخَـرْصَهـا
مِـن غيـرِ بُـرهـانٍ ولا سُلطـانِ[١]
هـذا وكَـمْ رأيٍ لَهُـمْ فَبِـرَأْيِ مَـنْ
نَـزِنُ النصـوصَ فـأَوْضِحُـوا ببيـانِ[٢]
كـلٌّ لَـهُ رأيٌ ومعقـولٌ لَـهُ
يَـدعُـو ويَمْنَـعُ أخـذَ رأيِ فُـلانِ[٣]
والخَصْـمُ أصَّـلَ مُحْكَـمَ القُـرآنِ مـع
قَـوْلِ الـرسـولِ وفِطْـرةِ الـرحمٰـنِ[٤]
وبنـىٰ عليـه فـاعتلـىٰ بُنيـانُـهُ
نحـو السمـا أعْظِـمْ بِـذا البُنيـان

= والسُّنة وأصَّلتُم علىٰ غيرهما، حصلت الحرب والأخذُ والرد والمناوشات بيننا وبينكم، وستستمر إلىٰ أن تقوم الساعة.

(١) أصلُكُم آراءُ الرجال، قال فلان وقال فلان، وأمَّا أصلنا فقال اللهُ، وقال رسوله لا نعدل عن ذلك أبداً.

(٢) «كم» هنا بمعنىٰ كثير، فإذا كان المصدر هو الآراء فالآراء كثيرة ومختلفة فمن نتَّبع من الآراء، والآراء تتناقض وتتضارب وتختلف فمن نتَّبع؟ وأمّا أهلُ الكتابِ والسُّنة فمصدرهم واحد لا يختلف، هو قال الله وقال رسوله.

(٣) ولهذا هم فيما بينهم متناقضون ومختلفون، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

(٤) أمَّا أهلُ السنة والجماعة فأصلهم قولُ الله ورسوله والفطرةُ السليمةُ والعقلُ السليمُ، فهم اعتمدُوا علىٰ هذا وعلموا أنَّها لا تتعارض.

وعلىٰ شفا جُرُفٍ بَنَيْتُمْ أنتُمُ
فأتَتْ سُيولُ الوَحْيِ والإيمانِ[١]
قَلَعَتْ أساسَ بِنائِكُمْ فتَهَدَّمَتْ
تلكَ السقوفُ وخَرَّ للأركانِ[٢]
اللهُ أكبَرُ لَوْ رأيتُمْ ذلك الـ
ـبُنْيَانَ حينَ علا كمثلِ دُخانِ
تَسْمُو إليه نواظرٌ مِن تحتِهِ
وهْوَ الوَضيعُ ولو يُرىٰ بِعينانِ
فاصْبِرْ لَهُ وَهْناً وَرُدَّ الطَّرْفَ تَلْـ
ـقاهُ قريباً في الحضيضِ الداني[٣]

---

(١) بنيان أهل الحقِّ بُني علىٰ أساس صحيح فاعتلىٰ إلىٰ السماء؛ لأنَّ الأساس إذا كان سليماً ثبت البناء وارتفع، بخلاف الأساس الفاسد والمُنهار لا يُبنىٰ عليه شيء، ولو بُني عليه شيء فإنَّه ينهارُ سريعاً.

(٢) هذا اقتباس من القرآن ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩] فهذه الأبيات اقتباس من هذه الآية.

(٣) يعني بنيانكم حين ارتفع، فهو كالدخان يرتفع إلىٰ عَنانِ السَّماء لكنَّه ليس بشيءٍ لأنه هباء، فكذلك بنيان أهل الباطلِ يرتفع وليس بشيء، فيعجبون به ويظنونَه بنياناً قوياً وهو في الواقع هباء ودُخَّان سُرعَان ما يَضمَحِلّ، فلا تعجبْ به ولا بارتفاعه واصبرْ قليلاً حتىٰ يتبين لكَ حقيقته ويذهب هباءً منثوراً.

فصل

في بيان أنَّ التعطيلَ أساسُ الزندقة والكُفران، والإثباتَ أساسُ العلمِ والإيمان[١]

مَـــن قـــال إنَّ الله ليـــس بفـــاعـــلٍ
فِعْـــلاً يقـــومُ بـــه قيـــامَ معـــانِ
كـــلاَّ وليْـــسَ الأمـــرُ أيضـــاً قـــائمـــاً
بـــالـــرَّبِّ بـــلْ مِـــن جُملـــةِ الأكـــوانِ
كـــلاَّ وليـــس اللهُ فـــوقَ عبـــادِهِ
بَـــلْ عـــرشُـــهُ خِلْـــوٌّ مـــن الـــرحمٰـــنِ
فثـــلاثـــةٌ واللهِ لا تُبقِـــي مِـــن الْـ
إيمـــانِ حَبَّـــةَ خَـــرْدَلٍ بِـــوِزانِ
وقـــد استـــراحَ مُعطِّـــلٌ هـــذي الثـــلا
ثَ مِـــن الإلـــٰـهِ وجُملـــةِ القـــرآنِ[٢]

---

(١) التعطيل لأسماء الله وصفاته أساسُ الزندقة، وإثباتُ الأسماء والصفات هو أساسُ المعرفة والهُدىٰ والإيمان.

(٢) من نفىٰ أفعال الله تعالىٰ ونفىٰ كلامَه وقال: إنَّه مخلوق، ونفىٰ عُلُوَّه فوقَ مخلوقاته وقال: ليس له مكان، فماذا بقي عندَه من الإيمان؟ ليس عندَه شيء من الإيمان، لأنه ليس عندَه وحيٌ من الله ولا معرفة بالله، ولا عنده ثقة بكلام الله وكلام رسوله، فماذا يبقىٰ عندَه؟ هذا هو التعطيل ومقتضىٰ =

وَمِنَ الرَّسُولِ ودينِهِ وشريعةِ الـ
إسلامِ بَلْ مِن جُملةِ الأديانِ[١]
وتمامُ ذاكَ جُحودُهُ لصفاتِهِ
والذاتُ دُونَ الوصفِ ذُو بُطلانِ[٢]
وتمامُ ذا الإيمانِ إقرارُ الفتَىٰ
باللهِ فاطِرِ هذِهِ الأكوانِ
فإذا أقَرَّ بِه وعَطَّلَ كُلَّ مَفْـ
ـرُوضٍ ولم يَتَوَقَّ مِن عِصيانِ
لمْ يَنقُصِ الإيمانُ حبَّةَ خردلٍ
أنَّىٰ وليس بقابلِ النُّقصانِ[٣]

= هذا: أنَّهم جحدُوا وجود الله نهائياً، وهذا هو المعدوم، وهم لا يُسمُّونَه تعطيلاً وإنَّما يسمونه تنزيهاً، من أجل التمويه علىٰ النَّاس، فصار المُعَطِّلُ ملحداً لا يستدل بالكتاب ولا بالسُّنة، ولا يؤمن بربٍّ ولا بكتاب ولا بشيء.

(١) إذا نفىٰ هذه الثلاثة لزِمَ من ذلك: أن ينفي رسالات الرسل، وإنزال الكتب، وجميع الشرائع، فمعنىٰ ذلك أنَّه عاد مُلحداً.

(٢) هذا الأمر الرابع: وهو نفي الصفات، ويلزم منه نفي الموصوف، لأنَّه ما من شيء موجود إلاّ وله صفات، والذي ليس له صفات هو المعدوم، فيلزم من نفيهم للصفات عدمُ إيمانهم بالله تعالىٰ.

(٣) من جملة أقوال الجهمية القول بالإرجاء، وهو القول بأن الأعمال ليست من الإيمان، فيقولون: الإيمان هو المعرفة في القلب، فتعترف بقلبك =

وتمـــامُ هـــذا قـــولُـــهُ إنَّ النُّبُـــوْ
وَةَ ليـــسَ وصفـــاً قـــامَ بـــالإنســـانِ
لكِـــنْ تَعَلُّـــقُ ذلِـــكَ المعنَـــىٰ القـــديـ
ـــمِ بـــواحـــدٍ مِـــن جُمْلَـــةِ الإنســـانِ

= بوجود الربِّ، ولو فعلت ما فعلت فأنتَ مؤمن، ومسألة الأعمال هذه أمرُها سهل، حتىٰ ولو لم تفعل شيئاً من الطاعات، ولا تركت شيئاً من المنكرات، فأنت مؤمن، هذا هو قول المرجئة الغُلاة، وهم الجهمية الذين يقولون: إنَّ الإيمان هو المعرفة بالقلب، ويليه قولُ الأشاعرة وهو أنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب، ويليه قول الكرَّامية وهو أنَّ الإيمان هو القولُ باللسان فقط ولو لم يعترف بالقلب، ويليه قول مُرجئة الفقهاء وهو أنَّ الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والنطق باللسان، وأمَّا الأعمال فليست داخلة في مُسمَّىٰ الإيمان؛ بل هي من لوازمه، فهؤلاء هم أخفُّ فِرق المرجئة، ولكنَّ قولَهم قولٌ باطل.

وأمَّا أهل السُّنَّة فيقولون: الإيمان هو قولٌ باللسانِ، واعتقادٌ بالقلبِ، وعملٌ بالأركانِ، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا القول مأخوذٌ من الكتاب والسُّنة. فالجهمية يرون أنه إذا فعلَ الشخص ما فَعَلَ من المكفرات، وتَرَكَ جميعَ الطاعات، فليس عندهم بكافر ما دامَ يعترف بقلبه بالله، ولذا يقولون: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب.

فإيمان جبريل مثل إيمان أفسق المسلمين عندَهُم، وهذا قول جميع فرق المرجئة الأربع، وظهر الآن مَن يُناصرون قولَ المرجئة ويُدافِعونَ عنه.

هـــذا ومـــا ذاك التَّعَلُّـــقُ ثـــابتـــاً
فـي خـارجٍ بـل ذاكَ فـي الأذهـانِ[١]
فَتَعَلُّـــقُ الأقْـــوَالِ لا يُعْطِـــي الـــذي
وقَفَـتْ علَيْـهِ الكَـوْنُ فـي الأعْيَـانِ
هـذا إذا مـا حصَّـلَ المَعْنَـىٰ الـذي
قُلْتُـمْ هُـوَ النَّفْسِـيُّ فـي البُـرْهَـانِ
لكـنَّ جُمْهُـورَ الطـوَائِـفِ لَـمْ يَـرَوْا
ذا مُمْكِنـــاً بَـــلْ ذاكَ ذُو بُطْـــلانِ
ما قال هذا غيرُكُم من سائرِ النْـ
نُظَّـــارِ فـــي الآفـــاقِ والأزمـــانِ[٢]

---

(١) يقولون: إنَّ الله لم يخاطب الرُّسل، لأنَّ الخطاب معنىً قائمٌ بالنفس، أي: بذات الربِّ، وهو لم يخاطب الرُّسل، وليست النبوَّة صفةً قامت بالرُّسل، فاللهُ تعالىٰ لا يتكلَّم ولا يأمر ولا ينهىٰ عندهم، هـذا من فروع قولهم بالكلام النفسيِّ ونفي الكلام عن الله وأنَّ كلامه مخلوقٌ وقالوا: إسنادُه إلىٰ الله مجاز والأشاعرة يقولون: قام الكلام به سبحانَه وتعالىٰ ليس بحرفٍ ولا بصوتٍ، ويسمُّونَه الكلام النفسانيَّ، فهم مثل الجهمية إلاّ أنَّهم أضافُوا إليه الكلام النفساني وقالوا: إنَّ الله لا يتكلَّم.

(٢) ما قال بالكلام النفساني أحدٌ غير الأشاعرة، حتىٰ الجهمية التي هي أكفرُ الطوائف لم تقل بالكلام النفساني.

تِسعــونَ وجُهــاً بَيَّنــتْ بُطــلانَــهُ
لــولا القَــريـضُ لسُقتُهــا بِــوزانِ[١]

يــا قــومُ أيــن الــرَّبُّ أيــن كــلامُــهُ
أيــنَ الــرُّســولُ فــأوْضِحُــوا ببيــانِ

ما فوقَ عرشِ الرَّبِّ مَن هو قَائِلٌ
طــٰـهَ ولا حــرفــاً مــن القــرآنِ[٢]

ولقَــدْ شَهِــدْتُــمْ أنَّ هــذا قــوْلُكُــمْ
واللهُ يَشْهَــدُ مــعْ أُولــي الإيمَــانِ

وارحْمَتَــاهُ لكُــمْ غَبَنْتُــمْ حظَّكُــمْ
مِــنْ كُــلِّ معْــرِفَــةٍ ومِــنْ إيمَــانِ

ونَسَبْتُــمُ للكفــرِ أوْلَــىٰ منكُــمُ
بــالله والإيمــانِ والقــرآنِ[٣]

هــذي بضــاعتكُــمْ فمَــنْ يستــامُهــا
فقــد ارتضَــىٰ بــالجهــلِ والخُســرانِ[٤]

---

(١) وذلك في الرسالة التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية ردَّ فيها علىٰ هذا القول من تسعين وجهاً، وذلك ردٌّ علىٰ الأشاعرة في قولهم بالكلام النفساني.

(٢) ما دام نفيتم الكلام فإن الربّ، فالذي لا يتكلَّم لا يكون ربّاً، وما دام نفيتم الكلام فكيف يُرسل الرسول من لا يتكلم.

(٣) نسبتم للكفر أهل السُّنة وهم أولىٰ بالإيمان منكم لأنَّهم صدقوا الكتابَ والسُّنة.

(٤) هذه بضاعتكم من يشتريها ويتعلمُّها باء بالخُسرانِ لأنَّها ضلال.

وتمـامُ هـذا قـولكُـمْ فـي مَبْـدَإٍ
ومَعَـادِنَـا أعْنِـي المَعَـادَ الثَّـانِـي

وتمـامُ هـذا قـولكُـمْ بفنـاءِ دا
رِ الخُلْـدِ فـالـدَّارانِ فـانيتـانِ(١)

يَـا قَـوْمَنَـا بلَـغَ الـوُجُـودُ بِأسْـرِهِ الـدْ
دُنْيَـا مَـعَ الأُخْـرىٰ مـعَ الإيمـانِ

والخَلْـقَ والأمْـرَ المُنَـزَّلَ والجَـزَا
ومَنَـازِلَ الجَنَّـاتِ والنِّيـرَانِ

والنَّـاسُ قَـدْ ورِثُـوهُ بَعْـدُ فَمْنهُـمْ
ذُو السَّهْـمِ والسَّهْمَيْـنِ والسُّهْمَـانِ

بئْـسَ المُـوَرِّثُ والمُـوَرَّثُ والتُّـرا
ثُ ثَـلاثَـةٌ أهـلٌ لِكُـلِّ هَـوانِ(٢)

يَـا وارِثِيـنَ نَبِيَّهُـمْ بُشْـرَاكُـمُ
مَـا إرْثُكُـمْ مَـعَ إرْثِهِـمْ سِيَّـانِ

---

(١) قولهم بفناء الجنَّة والنار لئلا تُشارِكَ الله تعالىٰ في البقاء كما قالوا بنفي تسلسلِ أفعالِ الله في الماضي لئلا تشارك الله تعالىٰ في القدم، وقالوا: حدثت له الصفات بعد أن لم يكن مُتَّصفاً بها لئلا تُشارِك الله في القِدَمِ، وكذلك قالوا بفناءِ الجنّة والنار لئلا تشارك الله بالبقاء والأبدية، وهذا ضلال لأن الجنة والنار داران باقيتان لا تفنيان.

(٢) المورِّث بكسر الراء: الذي ورَّث هذه الضلالات وابتدأها، والمورَّث بفتح الراء هو الذي تعلَّمَها واعتقدها ونفس الإرث وهي الضلالات، كلُّها باطلة.

شَتَّــانَ بيْــنَ الــوارِثيــنَ وبيْــنَ مَــوْ
رُوثَيْهِمَــــا وسِهَــــامِ ذي سُهْمَــــانِ
يـا قـومُ مـا صـاحَ الأئمـةُ جَهْـدَهُـم
بــالجَهْــمِ مِــنْ أقطــارِهــا بــأذانِ
إلاَّ لِمــا عَــرَفُــوهُ مــن أقــوالِــهِ
ومــآلِهــا بحقيقــةِ العِــرفَــانِ
قـولُ الـرَّسـولِ وقـولُ جَهْـمٍ عندنـا
فـي قلـبِ عبـدٍ ليـس يجتمعـانِ[١]
نصحــوكُــمُ واللهِ جَهْــدَ نصيحــةٍ
مــافيهِــمُ واللهِ مِــنْ خَــوَّانِ[٢]
فخـذوا بهـدْيِهِـمُ فـربِّـي ضـامِـنٌ
ورسُــولُــهُ أنْ تفعلــوا بجِنــانِ[٣]

---

(١) ما أنكرَ الأئمة علىٰ الجهم بن صفوان إلاّ لما يتضمنُه مذهبُه من هذه الدواهي، وهذا يوجب علىٰ أهلِ الحق فضح أهل الباطلِ دائماً وأبداً، فلا يجتمع قولُ الرسول ﷺ مع قول الجهم بن صفوان لأنَّ قولَ الرسول إيمانٌ، وقولَ الجهم كفرٌ.

(٢) مُرادُ أهلِ الحقِّ بالردِّ علىٰ الجهم وغيره بيان الحقّ لئلا يَغْتَرَّ به الجُهَّال ويروج الباطل علىٰ النَّاس، وليس القصد الشخصيات أو الحسد.

(٣) مَن يقومُ بالحقِّ فإنَّ الله يتكفلُ له بالجنة، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال جلَّ وعلا: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[محمد: ٧] يعني: النُّصرة لدينه الذي هو من مصلحتكم وهدايتكم.

فـإذا أبيتُـمْ فـالسـلامُ علـىٰ مـن اتْـ
تَبَـــعَ الهُـــدَىٰ وانقـــادَ للقُـــرآنِ
سِيرُوا علىٰ نُجُبِ العزائم واجعلوا
بِظُهُـورِهَـا المسـرَىٰ إلـىٰ الـرحمٰـنِ
سبـــقَ المُفَـــرِّدُ وهـــو ذاكِـــرُ رَبِّـــهِ
فـي كـلِّ حـالٍ ليـس ذا نِسيـانِ(١)
لكـــنْ أخـــو الغفـــلاتِ مُنقَطِـــعٌ بـــه
بيـن المفـاوِزِ تَحْـتَ ذي الغِيـلانِ(٢)

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] فالفرار إلىٰ الله: يعني الرجوع إلىٰ كتابه وإلىٰ سنة رسوله ﷺ وترك ما خالفهُما، هذا هو الفرار إلىٰ الله، وقوله: «سبق المفرد وهو ذاكرُ ربِّه» هذا مأخوذٌ من الحديث وهو أنَّ النبي ﷺ قال: «سبقَ المُفَرِّدُونَ» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»(*)، فالمفردون: هم الموحِّدون الذين أفردُوا الله جلَّ وعلا بالعبادة والتوحيد.

(٢) أمَّا الذي لم يكن مع المفردين فإنَّه قد قعدت به راحلته وانقطعت به في المفاوز المُهلكة، فالنَّاس إما سابقٌ للخير أو منقطعٌ به في مفاوز الهلاك فليس هناك قسمٌ ثالث. والغيلان ما يتراءىٰ للناس في المفاوز في ظلام الليل من تشكل الأضواء هو من عمل الجن لتضليل الناس عن الطريق.

(*) أخرجه مسلم (٢٦٧٦) باللفظ المذكور من حديث أبي هريرة.

صيدُ السباعِ وكلِّ وحشٍ كاسرٍ
بِئْسَ المُضيفُ لأعْجَزِ الضِّيفانِ[1]
وكذلك الشيطانُ يصطادُ الذي
لا يذكُرُ الرَّحمٰنَ كُلَّ أوانِ[2]
والذكرُ أنواعٌ فأعلىٰ نوعِهِ
ذكرُ الصفاتِ لربِّنا المَنَّانِ[3]
وثبوتُها أصلٌ لهذا الذكرِ والنْـ
ـنَافِي لها داعٍ إلىٰ النِّسيانِ[4]
فلذاكَ كانَ خليفةَ الشيطانِ ذا
لا مرحباً بخليفةِ الشيطانِ[5]

---

(١) فإذا انقطعت به السبل، وبقي في أثناء الطريق تسلَّطت عليه السباع تنهشُهُ وتأكلُه فصار ضيفاً لها، وهي بئس المضيف، والمراد هنا الشياطين.

(٢) لا يُبعد الشيطان عن الإنسان إلا ذكر الله سبحانه وتعالىٰ ولذا سمَّاه الله بـ ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] فهو يوسوس إذا غفل الإنسان عن ذكر الله، ويخنس، أي: يتأخَّر عنه إذا ذكر الله تعالىٰ، فهو وسواس خنَّاس.

(٣) إذا كان لا ينجو من الشيطان إلاَّ مَنْ ذكر الله، فأعلىٰ أنواع الذكر: ذكرُ صفات الله وأسمائه جلَّ وعلا بأن نُسبِّحَه ونُقَدِّسَه ونتوسَّلَ إليه بأسمائِه وصفاته، هذا هو أعلىٰ أنواع الذكر.

(٤) إذا نُفيت الأسماء والصفات فبماذا يُذكر الله تعالىٰ وبم يُعظَّم ويُعرف؟ فلا يُذكر ويُعظَّم ويُعرف إلاّ بأسمائِه وصفاته سبحانَه وتعالىٰ.

(٥) الذي ينفي الأسماء والصفات يكون خليفة للشيطان ولا مرحباً به.

والــذاكــرون علــىٰ مــراتبِهِــمْ فــأعْـ
ــلاهُــمْ أُوْلُــوا الإيمــانِ والعِــرفــانِ
بصفــاتــه العُلْيــا إذا قــامــوا بِحَمْـ
ــدِ اللهِ فــي سِــرٍّ وفــي إعــلانِ[1]
وأخصُّ أهلَ الذكرِ بالرحمٰنِ أعْـ
ـلَمُهُـمْ بهـا هُـمْ صَفْـوَةُ الـرحمٰنِ[2]
وكــذاكَ كــانَ مُحَمَّــدٌ وأبُــوهُ إبْـ
ــرَاهِيــمُ والمَــوْلُــودُ مِــنْ عِمْــرَانِ
وكـذاكَ نُـوحٌ وابـنُ مَـرْيَـمَ عِنْـدَنَـا
هُــمْ خَيْــرُ خَلْــقِ اللهِ مِــنْ إنْســانِ
لِمَعَــارِفٍ حَصُلَــتْ لهُــمْ بِصِفَــاتِــهِ
لَــمْ يُــؤْتَهَــا أحَــدٌ مِــنَ الإنْسَــانِ
وهُـمْ أُولُـو العَـزْمِ الـذيـنَ بِسُـورَةِ الْـ
أحْــزَابِ والشُّــورىٰ أتَــوْا بِبَيَــانِ

---

(١) الذاكرون الله تعالىٰ علىٰ مراتب: أعلاهُم أهل المعرفة بالله تعالىٰ وبأسمائه وصفاته، فهؤلاء هم أعلىٰ أنواع الذاكرين لله تعالىٰ، فهم يُناجونَه تعالىٰ ويتقرَّبون إليه بالتوسل بأسمائه وصفاته، ويمدحونه ويثنون عليه بها.

(٢) أخصُّ أهلِ الذكرِ وأعرفُهم أعلَمُهم بمعاني أسماء الله وصفاته، وفي هذا ردٌّ علىٰ الذين يقولون: إنَّها ألفاظ بدون معانٍ، أو يقولون: لها معانٍ ويُفوضون علمها إلىٰ الله تعالىٰ، أو يقولون: لها معانٍ علىٰ غيرِ ظاهِرِه.

وكـذلـك القُـرآنُ مملـوءٌ مـن الْـ
أوصـافِ وهـي القَصْـدُ بـالقُـرآنِ
ليصيـرَ معـروفـاً لنـا بصفـاتِـهِ
ويصيـرَ مـذكـوراً لنـا بِجَنـانِ[1]
ولِسَـانٍ أيْضـاً مَـعْ مَحَبَّتِنَـا لَـهُ
فـلأجْـلِ ذا الإثْبـاتُ فـي الإيمـانِ
مِثْلُ الأسَـاسِ مِـنَ البِنَـاءِ فَمَـنْ يَـرُمْ
هَـدْمَ الأسَـاسِ فكَيْـفَ بـالبُنْيَـانِ
واللهِ مـا قـامَ البنـاءُ لـديـنِ رُسْـ
ـلِ اللهِ بـالتعطيـلِ للـدَّيَّـانِ[2]
مـا قـام إلاَّ بـالصفـاتِ مُفصَّـلاً
إثبـاتَهـا تفصيـلَ ذي عِـرفـانِ

---

(١) وكذلك القرآن إذا تدبرت الآيات لم تجد آية تخلو من ذكرِ صفةٍ من صفات الله أو اسمٍ من أسمائه سبحانه وتعالىٰ، فالقرآن مملوء من أسماء الله وصفاته، والقصد من إنزالِ القرآن هو التعلق بالله سبحانَه وتعالىٰ بأسمائه وصفاته، والأوامر والنواهي، والحلال والحرام، كل هذا تابع لهذا الأصلِ ومن حقوق هذا الأصل، فالأصل في القرآن هو التوحيد، وبقية معاني القرآن تابعة لهذا الأصل ومكملة له.

(٢) لا يقوم الدِّين مع التعطيل ونفي الأسماء والصفات؛ لأنَّ هذا يهدم الأصلَ والأساسَ، وهو التوحيد.

فهـي الأسـاسُ لـدينـا ولكـلِّ ديـ
ـنٍ قَبْلَـهُ مِـن سـائـرِ الأديـانِ[١]
وكـذاك زنـدقـةُ العبـادِ أسـاسُهـا التْـ
تعطيـلُ يَشهـدُ ذا أُولْـو العِـرفـانِ
والله مـا فـي الأرضِ زَنْـدَقـةٌ بـدَتْ
إلاَّ مِــن التعطيــلِ والنُّكــرانِ[٢]
والله مـا فـي الأرضِ زَنْـدَقـةٌ بـدَتْ
مِـن جـانـبِ الإثبـاتِ والقُـرآنِ[٣]

---

(١) ما قام الدين إلاّ بمعرفة الله تعالىٰ بأسمائِه وصفاته، فهي الأساس لدينِ محمد ﷺ ولدين إخوانه من النبيين؛ لأنّ دين الأنبياء واحد وهو التوحيد، وأمّا الشرائع والأوامر والنواهي فهي تختلف باختلاف حاجات الناس في كلِّ زمانٍ ومكان، لكن الأصل وهو التوحيد لا يختلف، فالأنبياء إخوة ودينهم واحد وشرائعهم شتىٰ، فالله يشرع لكلِّ أُمةٍ ما يُناسبُها في وقتها، إلىٰ أن جاء دين الإسلام فنسخ جميع الأديان والشرائع السابقة.

(٢) أصل التوحيد هو إثبات الأسماء والصفات، فليختر هؤلاء ما شاؤُوا. إن شاؤوا فليختارُوا طريق الأنبياء وأتباعهم، وإن شاؤوا أخذوا بطريق الزندقة والإلحاد فصارُوا مع فرعون وهامان وجماعة الملاحدة وأهل الزندقة، والتعطيل وجاء من مذهب الجهمية الذين تبنوا مذهب اليهود الذين يلحدون في أسماء الله وآياته، فورثهم الجهمية ونفوا الأسماء والصفات بقصد إفساد الأديان كلها.

(٣) لم يحصل من جانب الإثبات والقرآن إلاّ التوحيد والإيمان، وما حَدَثَت الزندقة والإلحاد إلا من جانب التعطيل والإنكار والنفي.

هــذي زنــادقــةُ العبــادِ جميعُهُــمْ
ومُصَنَّفَـــاتُهُـــمُ بكُـــلِّ مكـــانِ
مــا فيهِــمُ أحــدٌ يقــولُ اللهُ فَــوْ
قَ العـرشِ مُسْتَوْلٍ علىٰ الأكـوانِ[١]
ويقـــولُ إنَّ الله جـــلَّ جـــلالُـــهُ
مُتكلِّـــمٌ بـــالـــوحـــي والقُـــرآنِ
ويقـــول إنَّ الله كلَّـــمَ عبـــدَهُ
مـوسـىٰ فـأسمَعَـهُ بـذي الآذانِ[٢]
ويقــولُ إنَّ النقــلَ غيــرُ معــارضٍ
للعقـــلِ بـــل أمـــرانِ متفقـــانِ[٣]

---

(١) هذه كتب الجهمية وتلاميذهم ممن جاء بعدهم من الفرق الضالة موجودة فتش فيها، إنك لن تجد فيها العناية بالتوحيد والعناية بإثبات الأسماء والصفات، فليس فيها إثبات العلوِّ ولا الاستواء علىٰ العرش، وإنما هي معنية بالتحريف والتعطيل وصرف النصوص عن ظاهرها، وهذا موجود في كتبهم، وسجَّلوه بأقلامهم، وقد أبقىٰ الله هذه الكتب الفاسدة لتكون حُجَّةً عليهم.

(٢) ليس في كتبهم إثبات الكلام لله عزَّ وجل، وأنَّ الله تكلَّم بالوحي والقرآن وكلَّم موسىٰ، فليس فيها إلاّ نفي الكلام بالوحي والقرآن ونفي تكليم موسىٰ، فليس فيها إلاّ نفي الكلام عن الله تعالىٰ والقول أنَّ كلام الله مخلوق.

(٣) ليس في كتبهم أنَّ النقل يتوافق مع العقل كما هو في كتب أهل السنة، بل فيها أنَّ العقلَ يُخالف النقلَ وأنَّ الأصلَ عندهم هو العقل، والنقل عندهم يفيد الظنَّ لا اليقين وهو مستفاد قواعد المنطق.

والنقـلُ جـاء بمـا يَحـارُ العقـلُ فيـ
ـهِ لا بـالمُحـالِ البيِّـنِ البُطـلانِ(١)

فانظُرْ إلىٰ الجَهْمِيِّ كيف أتىٰ إلىٰ
أُسِّ الهُـدىٰ ومعـاقـلِ الإيمـانِ

بمعـاولِ التعطيـلِ يَقْطَعُهـا فمـا
يُبقِـي علـىٰ التعطيـلِ مـن إيمـان(٢)

يَـدْرِي بهـذا عـارِفٌ بمـآخـذ الْـ
أقـوالِ مُضْطَلِـعٌ بهـذا الشـانِ(٣)

---

(١) هذه قاعدة وهي: أنَّ العقلَ الصريحَ لا يخالف النقلَ الصحيحَ، فإن اختلفا فلا بُدَّ أنَّ العقلَ غيرُ صريح، وإمَّا إنَّ النقلَ غيرُ صحيح، فهذه قاعدةٌ عظيمة، وإذا لم يُدرك العقلُ ما جاء في أمور الآخرة فإنه يُسلِّم للنص، فالنقل لا يأتي بما يُحيلُه العقلُ بل بما يحار فيه العقل؛ لأنه لم يُدركْهُ ولم يُحط به، فموقفُهُ في ذلك هو التسليم لله عزَّ وجلَّ، ولا يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩] فالوحي قد يأتي بما يحار فيه العقول ولم يأت بما يُخالف العقولَ أبداً.

(٢) هذه مهنة الجهمي. إنَّه يقطع أُصول الإيمان، وإذا قطعها فلا يبقىٰ إلاّ التعطيل المحض والإلحاد والزندقة. هذه مهنة الجهمي وأتباعه.

(٣) إنَّما يعرف بُطلان مذهب الجهمية وأتباعهم مَنْ سَبَرَ أحوالهم، وعرف مقالاتهم، وتنبّه لمقاصدهم. أمّا الإنسان الغر والجاهل، فقد تنطلي عليه أقوالُهم لا سيَّما وأنَّهم يكسونها بزخارف القول والحُجج، لكن العارف بأدلة الكتاب والسُّنة لا تنطلي عليه الزخارف فينظر إلىٰ الحقائق لا الزخارف والتمويهات.

واللهِ لـــو حَـــدَّقْتُـــمُ لـــرأيتُـــمُ
هــذا وأعظــمَ منــه رأي عِيــانِ[١]
لكِــنْ علــىٰ تلــكَ العُيــونِ غِشــاوةٌ
مــا حيلــةُ الكَحّــالِ فــي العُميــانِ[٢]

* * *

(١) لو أنَّكم حَدَّقْتُم بأبصارِكم وبصائركم وتفحصتم هذه الأقوال التي أتىٰ بها الجهمية لتبيَّن لكم بُطلانُها، أمّا إنَّكم تأخُذونها علىٰ علّاتها وينطلي عليكم زُخرفُها فهذا هو الهلاك، وهذا يوجب علىٰ طالب العلم ألآ يستعجل، بل يجب عليه أن ينظر في الأقوال ويعرضها علىٰ الكتاب والسُّنة حتىٰ يتبين الحق من الباطل.

(٢) يعني: أن الأعمىٰ لا ينفعُه الكحل أو ينفعُهُ العلاج، فكذلك هؤلاء عُميان لا تنفعُهم النصيحة والبيان، لأنَّه عميت بصائرهم بسبب قبولهم الباطل: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] وهذا عقوبة لهم علىٰ إعراضهم عن الكتاب والسُّنة، فالواجب علىٰ طالب العلم إذا صحَّ عنده الدليلُ أن يقبلَهُ ولا يتوقَّفَ فيه أبداً، فإن توقَّف أو شكَّ فإنَّه حَرِيٌّ أن يُصاب بالزيغ في قلبه والعمىٰ في بصيرته.

فصل

في بَهْتِ أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات بتنقيصِ الرسول ﷺ[١]

قــالــوا تَنَقَّصْتُــم رســولَ اللهِ وا
عَجَبــاً لِهــذا البَغْــي والبُهتــانِ[٢]

عَــزَلُــوهُ أن يُحْتَــجَّ قــطُّ بقــولِــهِ
فــي العلــمِ بــاللهِ العظيــمِ الشــانِ[٣]

---

(١) كذبوا علىٰ أهل السُّنة والجماعة وقالوا: إنَّهم تنقَّصُوا الرسول ﷺ.

(٢) أتدرون لماذا قالوا: تنقصتم رسول الله ﷺ؟ قالوا ذلك: لأنَّ أهل السُّنة لم يعبُدُوا الرَّسولَ ﷺ ولم يطلبُوا منه الحوائج بعد موته، ولم يأتوا إلىٰ قبره ويستغيثوا به لأنه نهاهم عن ذلك، فهذا تنقُّص للرسول ﷺ بزعمهم كما أنَّ عدم طلب ذلك من الأولياء تنقُّص للأولياء، هذا هو التنقُّص عندهم، أمَّا إذا أشركت الرسولَ مع الله تعالىٰ فقد وفيته حقَّه. فهو رحمهُ الله قد بيَّن في هذا الفصل أنّ الله له حقّ، وأنَّ الرسول ﷺ له حق، وقال: إنَّ الحقوق ثلاثة: حقٌّ خاصٌّ بالله تعالىٰ، وحقٌّ خاصٌّ بالرسول ﷺ، وحقٌّ مشترك بين الله وبين الرسول ﷺ وهو الإيمان بالله ورسوله، والمحبة لله ورسوله، وطاعة الله ورسوله، هذا حقٌّ مشترك، لكن العبادة حقٌّ خاص لله تعالىٰ، والاتباع والطاعة حقٌّ للرسول ﷺ.

(٣) أيُّنا الذي تنقَّص الرسول ﷺ؟ الذي عزل أحاديث الرسول ﷺ وقال: لا يُحتجّ بها، أو الذي قال: يجب طاعة الرسول فيما أمر، وتصديقُه فيما =

عَــزَلُــوا كَــلامَ اللهِ ثُــمَّ رسُــولِــهِ
عَــنْ ذاكَ عَــزْلاً لَيــسْ ذا كِتْمَــانِ

جعلــوا حقيقتَــهُ وظَــاهِــرَهُ هــو الْـ
ـكُفْــرُ الصــريــحُ البيِّــنُ البُطْــلانِ[1]

قــالــوا وظَــاهِــرُهُ هُــو التشبيــهُ والتْـ
تَجْسِيــمُ حــاشــا ظَــاهِــرَ القُــرآنِ[2]

من قال في الرحمٰنِ ما دلَّت عَلَيْـ
ـــهِ حقيقَــةُ الأخبــارِ والفُــرقَــانِ

= أخبر، واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر، وألاّ يُعبد الله إلاّ بما شرع، فأيُّنا أحق بمعرفة قول الرسول ﷺ نحنُ أم أنتم الذين تقولون: إنَّ أحاديث الرسولِ ﷺ لا يُعتمدُ عليها، وأخبارَه لا تُفيد العلم. فيا عجباً كيف يقلبون معايبهم ويلبسوننا إيَّاها، وهي لهم وبهم ألصق. وقالوا: القرآن والسُّنة لا يُفيدان اليقين وإنَّما يفيدان الظن، والعقائد يقينية، واليقين لا يكون إلا بالأدلة العقلية، فالأدل العقلية هي الأصلُ عندهم. وأمَّا الكتاب والسُّنة فما وافقا فيه العقلَ أخذوا به، وما خالفا فيه العقلَ بزعمهم أوَّلُوه أو فوَّضُوه.

(١) جعلوا ظواهر النصوص تُفيد الشرك والكفر والتجسيم، فلذلك صارُوا فريقين: إمّا مفوِّضة يفوضُون معانيها إلىٰ الله بزعمهم، وإمّا مؤوِّلة يُحرِّفونها إلىٰ معانٍ باطلة.

(٢) قالوا في القرآن والسنة: إنَّهما لا يُفيدان إلاّ التجسيم والتشبيه والتمثيل فلا تُبنىٰ عليهما العقائد. إذاً من هو الذي تنقَّص الله أو تنقَّص الرسول ﷺ علىٰ الحقيقة. نحن أم هم؟

فهــو المُشَبِّــهُ والمُمَثِّــلُ والمُجَسْـ
سِـمُ عـابـدُ الأوثـانِ لا الـرَّحمٰـنِ[١]

تـالله قـد مُسِخَـتْ عُقُـولُكُـمُ فليـ
ـسَ وراءَ هـذا قـطٌّ مِـنْ نُقْصـانِ[٢]

ورَمَيْتُـمُ حِـزْبَ الـرسُـولِ وجُنـدَهُ
بِمُصَـابِكُـمْ يـا فِـرقـةَ البُهتـانِ[٣]

وجعلْتُـمُ التنقيـصَ عيـنَ وِفـاقِـهِ
إذْ لَـمْ يُـوافِـقْ ذاكَ رأيَ فُـلانِ[٤]

---

(١) عندهم أنَّ الذي يُثبت ما أثبتَه القرآن والسنة فهو مثبت للتجسيم والتشبيه فيكون مشركاً عابداً للأوثان، ولهذا يقول الرازي في تفسيره عن كتاب «التوحيد» لابن خُزيمة: إنه كتاب الشرك، لماذا؟ لأنَّه يُثبت الأسماء والصفات لله عزَّ وجل.

(٢) فأيُّنا الذي تنقَّصَ الله ورسوله؟ الذي اتبَّعَ الكتابَ والسُّنة وآمن بهما، واعتقد ما فيهما، أم الذي حرَّف الكتابَ والسُّنَة وكذلك افترىٰ عليهما وحرَّف معانيهما وقال: لا يُفيدان إلاّ التشبيه والتجسيم والتمثيل؟ فعادة أهل الباطل أنَّهم يقلبون عيوبهم وعَوارَهم علىٰ أهل الحق.

(٣) هذا مصابُكم أنتم، فالتعطيل والتشبيه والتمثيل، ليس من طريق ومسلك أهلِ السُّنة والجماعة، وإنما هو مذهبكم.

(٤) وجعلتم التنقيص عين وفاق الرسول ﷺ إذ لم يوافق قول فلان من أئمتكم، وهذا من قلب الحقائق.

أنتُـــمْ تنقَّصتُـــمُ إلـــهَ العــرشِ والْـ
ـقُــرآنَ والمبعُــوثَ بـــالقُـــرآنِ(١)

نَـــزَّهتُمُــوهُ عــن صِفــاتِ كَمــالِــهِ
وعـن الكـلامِ وفـوقَ كُـلِّ مكـانِ(٢)

وجعلتُـــمُ ذا كُلَّـــهُ التشبيـــهَ والتْـ
ـمْثيـــلَ والتجسيـــمَ ذا البُطـــلانِ(٣)

وكـلامُكُـمْ فيـه الشفـاءُ وغـايـةُ التْـ
ـحْقِيـقِ يـا عَجَبـاً لِـذا الخِـذلانِ(٤)

---

(١) أنتم يا معشر المعطلة تنقَّصْتُم الربَّ سبحانَه وتعالىٰ فنفيتم أسماءَه وصفاته، وتنقَّصْتُم القرآنَ فوصفتموه بأنه كتاب ضلال وأنَّه تجسيم وتمثيل ولا يعتمد عليه، وإنَّما يُعتمد علىٰ العقل فقط، وتنقَّصْتم الرسول ﷺ فيما بلَّغ عن الله، ورميتموه بالخيانة والتلبيس علىٰ النَّاسِ، وأنَّه ما جاء بالحقائق العقلية.

(٢) هذا من قلب الحقائق، أنَّهم يُسمُّون التعطيل تنزيهاً، فالتعطيل ليس تنزيهاً وإنَّما هو إلحاد وكفر، وإنَّما التنزيه الصحيح إثبات ما أثبته اللهُ لنفسه أو أثبتَه له رسولُه ﷺ مع نفي التمثيل بالمخلوقات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] هذا هو التوحيد وهو التنزيهُ الصحيح، فهم أخذوا لفظ التنزيه سُترة لهم يسترون به التعطيلَ والإلحادَ، والأسماء لا تُغيِّرُ الحقائق فالعبرة بالحقائق لا بالأسماء.

(٣) جعلتم القرآن والسُّنة لا يُفيدان اليقين وليس فيهما شفاء.

(٤) وجعلتم كلامَ أهلِ المنطق والنُّظَّار هو الذي يشفي ويُثبت العقائد اليقينة، فعلىٰ كلامِكُم لا حاجة إلىٰ إرسالِ الرسل وإنزال الكتب، وإنما نرجع إلىٰ =

جَعَلُـوا عُقُـولَهُـمُ أَحَـقَّ بِـأَخْـذِ مَـا
فِيهَـــا مِـــنَ الأَخْبَـــارِ والقُـــرْآنِ
وكَـــلامُــــهُ لا يُستفَـــادُ بِـــه اليقيـ
ـــنُ لأجـلِ ذا لا يَقْبَـلُ الخصمـانِ
تحكيمَـــهُ عنـد اختـلافِهمـا بـل الْـ
ـمعقـولَ ثُـمَّ المَنطـقَ اليُـونـانـي
أيُّ التنقُّـصِ بعـدَ ذا لـولا الـوقـا
حَـةُ والجـراءَةُ أُوْلـي العُـدوانِ[1]
يـا مَـنْ لَـهُ عَقْـلٌ ونـورٌ قَـدْ غـدا
يَمْشِـي بـه فـي النَّـاسِ كُـلَّ زَمـانِ[2]
لكِنَّنَـــا قُلْنَـــا مَقَـــالَـــةَ صَـــارِخٍ
فـــي كُـــلِّ وقْـــتٍ بَيْنَكُـــمْ بـــأذَانِ

= العقول، إلىٰ عقل أفلاطون وغيره من الفلاسفة كابن سينا والفارابي ويكفينا هذا عن الكتاب والسُّنة علىٰ قولكم.

(١) عند النزاع في العقيدة لا يتحاكمون إلىٰ كتاب الله وإلىٰ سُنة رسوله لأنَّهما لا يفيدان اليقين عندهم، فلا يُحكِّمونَهما عند النزاع في أمور العقيدة، ولا يقبلُون إلاّ حكم العقل فقط، ولمَّا بيَّن حقيقتهم وكشف عَوارَهم قال: أيُّ الفريقين أحقُّ بالتنقُّصِ، هل نحنُ أهل السنة والجماعة أم أنتم يا أهل التعطيل؟

(٢) لمَّا فرغَ منهم وأسقطَهُم صرعىٰ، توجَّه إلىٰ أهلِ الحقِّ وحثَّهُم علىٰ الثبات علىٰ ما هم عليه، وألاّ يتأثَّرُوا بهذه الشَّنْشَناتِ من أعداء الله ورسوله.

الـــرَّبُّ ربٌّ والـــرســـولُ فعبــدُهُ
حقّـــاً وليـــس لنـــا إلـــهٌ ثـــانِ

فلـذاك لـم نعبُـدْهُ مِثْـلَ عبـادةِ الـرْ
رَحْمٰـنِ فِعْـلِ المشـركِ النَّصـرانـي(١)

كــلاَّ ولَــمْ نَغْـلُ الغُلُـوَّ كمـا نَهـىٰ
عنـهُ الـرسُـولُ مخـافـةَ الكُفـرانِ

---

(١) عاد إليهم في رَدِّ دعواهم في قولهم. تنقصتُم الرسول ﷺ حيث لم تعطوهُ حقَّ الله كما فعلت النصارىٰ مع عيسىٰ ابن مريم أنه ابن الله أو هو الله أو ثالثُ ثلاثة فأنتم يجب أن تقولوا في محمدٍ كذلك وفاءً بحقِّه ﷺ وتعظيماً له، هذا هو مذهبُهم الخبيث، ونحنُ نقول: لا نُعطي الرسول ﷺ حقَّ الله تعالىٰ، ولا نهضم الرسول ﷺ حقَّهُ الذي أعطاهُ الله، بل نُنزلُه منزلَتَه عليه الصلاة والسلام، فنعطي الله حقَّه بالعبادة، ونُعطي الرسول ﷺ حقَّهُ في الطاعة والمحبة والاتباع والتوقير والاحترام، وما كان مشتركاً بين الله ورسوله من الإيمان بالله ورسوله وطاعة اللهِ ورسوله ومحبة الله ورسوله فهذا مشترك، فالحقوق ثلاثة: حقٌّ خاصٌّ بالله لا يُشارِكُه فيه أحد، لا مَلَكٌ مُقرَّب، ولا نبيٌّ مُرسل، وهو العبادة بجميع أنواعها، وحقٌّ للرسُلِ عليهم السلام، وهو الاتباع والاقتداء والتعزير الذي هو التوقير والاحترام، هذا هو حَقُّ الرسُل علينا، ولذا قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنَّما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسولُه»(*) يعني: لا تغلو في مدحي، فهذا حقُّه ومنزلتُه، لا يُرفع فوقَ حقِّه ومنزلته، ولا يُنقَّص شيءٌ من حقِّه عليه السلام.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١/ ٢٩٥ (١٥٤)، والبخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب.

للهِ حَقٌّ لا يكونُ لغيرِهِ
ولعبدِهِ حَقٌّ هُما حَقَّانِ[١]
لا تجعلوا الحَقَّيْنِ حقّاً واحداً
مِن غيرِ تَمْييزٍ ولا فُرقانِ[٢]
فالحَجُّ للرَّحمٰنِ دُونَ رسولِهِ
وكذا الصلاةُ وذَبْحُ ذا القُربانِ
وكذا السُّجودُ ونَذْرُنا ويمينُنا
وكذا مَتابُ العبدِ مِنْ عِصيانِ
وكذا التوكُّلُ والإنابَةُ والتُّقىٰ
وكذا الرَّجاءُ وخشيةُ الرحمٰنِ[٣]
وكذا العبادَةُ واستعانَتُنا بهِ
إيَّاكَ نعبدُ ذانِ توحيدانِ

---

(١) لا ننقصُه حقَّه كما فعلت اليهود مع أنبيائهم، ولا نغلو في حقه كما فعلت النصارىٰ بعيسىٰ ابن مريم؛ بل نحنُ نُنَزِّل الرسول منزلتَه التي أنزلَه الله بها، ولذا قال في الحديث: «إنَّما أنا عبدٌ فقولُوا عبدُ الله ورسولُه»(*).

(٢) لله حقٌّ لا يكون لعبده، ولعبدِه حقٌّ خاصٌّ به. لا تخلطوا بين الحقَّيْنِ وتجعلوا حقَّ الرسول ﷺ مع حقِّ الله تعالىٰ من غير تمييزٍ بينهما، فهذا من لبس الحقِّ بالباطل، فحقُّ الله هو العبادة، وحقُّ الرسول ﷺ هو الطاعةُ والاتباع والمحبة والتوقير.

(٣) ومَثَّل حقَّ الله بالحجِّ والصلاة وهذا من باب التمثيل، وإلاّ فجميع أنواع العبادة خاصة بالله عزَّ وجل.

(*) سلف تخريجه ص٩٤٢.

وعليهمـا قـامَ الـوجـودُ بـأسـرِهِ
دُنيـا وأُخـرىٰ حبَّـذا الـرُّكنـانِ(١)
وكـذلِـكَ التَّسبِيـحُ والتَّكبِيـرُ والتْـ
تَهْلِيـلُ حَـقُّ إلٰهِنَـا الـدَّيَّـانِ
لكِنَّمـا التعـزيـرُ والتـوقيـرُ حـقْـ
قٌ للـرسـولِ بمقتضَـىٰ القُـرآنِ(٢)
والحـبُّ والإيمـانُ والتصـديـقُ لا
يَخْتَـصُّ بـل حَقَّـانِ مشتـركـانِ(٣)

---

(١) «إيَّاكَ نعبدُ» هذا يفيدُ حصر العبادة لله تعالىٰ.

(٢) التعزير يُطلق ويُرادُ به التأديب كما في باب التعزير من كتب الفقه، ويُطلق ويُرادُ به الاحترام وهذا هو المقصود هنا، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩] فجعل الإيمان مشتركاً بينهما، والتوقير والتعزير خاصاً بالرسول ﷺ، ولذا فالضمير يرجع إليه في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ وجعل التسبيح لله تعالىٰ، فذكر حَقَّيْنِ: حقٌّ مشتركٌ وهو الإيمانُ، وحقٌّ خاصٌّ بالله عزَّ وجلَّ وهو التسبيح، وحقٌّ خاصٌّ بالرسول ﷺ وهو التعزير والتوقير.

(٣) هذا هو الحقُّ المشتركُ كالحبِّ كما في الحديث: «أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممّا سواهُما»(*)، وكذلك الإيمان: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح: ٩].

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٩/ ٦١ (١٢٠٠٢)، والبخاري (١٦) ومسلم (٤٣) (٦٧) من حديث أنس بن مالك.

هـــذي تفــاصيــلُ الحقــوقِ ثــلاثــةٌ
لا تَجْهلُــوهــا يــا أُوْلِــي العُــدوانِ(١)

حـــقُّ الإلٰـــهِ عبــادةٌ بـــالأمـــرِ لا
بِهَـــوَىٰ النُّفـــوسِ فـــذاكَ للشيطـــانِ

مـــن غيـــرِ إشـــراكٍ بـــه شيئـــاً هُمَـــا
سببـــا النجـــاةِ فحبَّـــذا السَّبَبـــانِ(٢)

ورسُـــولُـــهُ فهـــو المُطـــاعُ وقـــولُـــهُ الْـ
ـمقبولُ إذْ هو صاحبُ البُرهانِ(٣)

والأمـــرُ منـــه الحتـــمُ لا تخييـــرَ فِيْـ
ـــهِ عنـــدَ ذي عَقْـــلٍ وذي إيمـــانِ(٤)

---

(١) لا بُدَّ من تمييز حقِّ الله عن حقِّ الرسول والحقِّ المشترك بينهما حتىٰ تكون علىٰ بصيرة.

(٢) حقُّ الله عبادَتُه بالأمرِ، يعني بالشرعِ، لا عبادةٌ بالهوىٰ والبدع والمحدثات، فالعبادة مبناها علىٰ التوقيف، والمراد اتباع ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، فالعبادة لا تصحُّ إلاّ بشرطين:
الأول: الاتباع للرسول ﷺ فلا يكون فيها بدعة.
الثاني: الإخلاص لله عز وجل فلا يكون فيها شرك.

(٣) فالرسولُ ﷺ هو المُبلِّغُ عن الله، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] وهذا مقتضىٰ شهادة أنَّ محمداً رسول الله، طاعتُه فيما أمر وتصديقُه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهىٰ وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

(٤) فأمر الله ورسوله لا يقبل التخيير، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ =

مَـن قـال قـولاً غيـرَهُ قُمْنـا علـىٰ
أقـوالِـهِ بـالسَّبْـرِ والميـزانِ
إن وافقَـتْ قـولَ الـرسُـولِ وحُكمَـهُ
فعلـىٰ الـرؤوسِ تُشـالُ كـالتِّيجـانِ
أو خـالَفَـتْ هـذا رَدَدْنـاهـا علـىٰ
مَـن قـالَهـا مَـن كـان مِـن إنسـانِ
أو أُشكِلَـتْ عنَّـا تـوقَّفْنـا ولَـمْ
نَجْـزِمْ بـلا عِلْـم ولا بُـرهـانِ
هـذا الـذي أَدَّىٰ إليـه علمُنـا
وبـه نَـدِيـنُ اللهَ كـلَّ أوانِ[1]

= ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] فأمرُ الله وأمر الرسولِ واجبٌ اتباعُه وطاعتُه والانقيادُ والتسليمُ له.

(١) أمَّا قول غيره من المشايخ والعُلماء فهذا محلُّ نظر، يُعرض علىٰ الكتاب والسُّنة لأنَّهم غيرُ معصومين، فما وافق الكتابَ والسُّنةَ قُبِلَ، وما خالفَهما فيُعتذر عن صاحبه ويُردّ، لأنَّه مجتهد لم يصب الحقَّ، والاجتهادُ يكون فيما إذا كان المجال محلَّ اجتهاد. أمَّا أمور العقائد والعبادات فليست محلًّا للاجتهاد؛ لأنَّ مبناها علىٰ التسليم والقَبُول والاتباع. والأئمة يقولون: إذا خالف كلامُنا كلام الرسول فردُّوهُ ولا تقبلوه.

وهناك طرفان ووسط في هذا: فمن النَّاس من لا يقبل أقوالَ العُلماء مُطلقاً، ويقولون: هم رجال ونحنُ رجال، وهذا غلطٌ كبير وضلال، والعكس مَن يأخذُ أقوالَ العُلماء قضيَّةً مُسلَّمةً ويقبلها مطلقاً، ويقول: =

فهـو المطـاعُ وأمـرُهُ العـالـي علـىٰ
أمـــرِ الـــوَرَىٰ وأوامـــرِ السُّلطـــانِ
وهـو المُقَـدَّمُ فـي مَحَبَّتنـا علـىٰ الـ
أهليـــنَ والأزواجِ والـــولـــدانِ
وعلىٰ العبادِ جَميعِهِمْ حتىٰ علىٰ النْـ
نَفْـسِ التـي قـد ضَمَّهـا الجَنْبـانِ(١)

= الإمام فلان يقول كذا وهو أعلمُ مِنَّا، فيرفضون نصوص الكتاب والسُّنة، ويأخذون أقوالَ مشايخهم تعصباً، وهذا موجود عند المتعصبين من أتباع المذاهب الأربعة وغيرهم، تقديم قول فلان وفلان علىٰ كلام الله ورسوله، وهذا ضلال، ومن تعمدَهُ فهو كافر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من زعم أنَّ أحداً تجب طاعتُه مطلقاً غير الرسول ﷺ فإنَّه يُستتاب فإن تاب وإلاّ قُتِلَ» فهذا طرفٌ غالٍ في قبولِ أقوالِ العُلماء ولو كانت باطلةً، والوسط هو الصحيح، أنَّنا نعرض أقوال أهل العلم علىٰ الكتاب والسُّنَّة فما وافقها فهو مقبول، وما خالفها فهو مردود. هذا هو القول الوسط وهو الحق، فإذا وافقت أقوالُ العلماء قولَ الرسول فإنَّها تحملُ علىٰ الرؤوس إكراماً لها كالتيجان، وإذا خالفت قولَ الله ورسوله فهذه لا مجال لقبولها بل تُردّ.

وإذا لم يتبيَّن لنا لا الموافقة ولا المخالفة فنتوقف فيها، وهذا هو القول الحقُّ في أقوال أهل العلم لا إفراط ولا تفريط.

(١) فالرسول هو المُطاع مطلقاً، وأمرُه مُقدَّمٌ علىٰ الجميع كائناً من كان، فلا قولَ لأحد مع قول الرسول، وكذلك محبته ﷺ مُقدَّمة علىٰ محبة أيِّ مخلوق علىٰ النفس وعلىٰ الوالدين وعلىٰ الأولاد وعلىٰ النَّاس أجمعين، =

ونظيـــرُ هـــذا قـــولُ أعـــداءِ المسيـ
ـــحِ مِنَ النَّصـارَىٰ عـابـدي الصُّلبـانِ
إنَّـــا تنقَّصْنـــا المسيـــحَ بقـــولنـــا
عبـــدٌ وذلـــك غـــايـــةُ النُّقصـــانِ(١)

= ولذا قال ﷺ: «لا يؤمِنُ أحدُكُم حتىٰ أكون أحبَّ إليه من والدِه وولده والنَّاس أجمعين»(*).

وقال عمر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله لأنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلاّ من نفسي، فقال ﷺ: «لا والذي نفسي بيده، حتىٰ أكون أحبَّ إليكَ من نفسك» فقال عُمر: واللهِ يا رسول الله لأنت الآن أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: «الآن يا عمر»(**) فلا يُشارِك الرسولَ مخلوقٌ في محبته لا النفس ولا الوالدان ولا الأموال والأولاد وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] وهذا تهديد بمعنىٰ انتظروا ماذا يقع بكم؟ فلا يُقدَّمُ علىٰ محبة الله ورسوله محبةُ شيء كائناً من كان.

(١) الذين يغلون في حقّ نبينا محمد ﷺ، ويرفعُونَه فوق منزلتَه، ويعطونَه شيئاً من العبادة، منَ الدُّعاء والاستغاثة، هؤلاء فِعْلُهم نظيرُ فِعْلِ النصارىٰ =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٠/ ٢٠٢ (١٢٨١٤)، والبخاري (١٥)، ومسلم (٤٤) (٦٩) من حديث أنس بن مالك.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٩/ ٥٨٣ (١٨٠٤٧)، والبخاري (٦٦٣٢) من حديث عبد الله بن هشام.

لــو قُلتُــمُ وَلَــدٌ إلــهٌ خــالــقٌ
وفَّيْتُمُـــوهُ حَقَّـــهُ بـــوِزانِ[١]
وكــذاكَ أشبـاهُ النَّصـارىٰ قـد غَلَـوْا
فــي دِينهِــمْ بــالجهــلِ والطغيــانِ
صــارُوا مُعــادِيــنَ الــرسـولَ ودينَـهُ
فــي صــورةِ الأحبـابِ والإخـوانِ[٢]

= مع المسيح عليه السلام، فالنصارىٰ غَلَوْا في المسيح حتىٰ عبدُوه من دونِ الله، وعبدوا الصليب الذي يزعمُون أنَّه علىٰ صورته وهو مصلوب، ولذا قال ﷺ: «لا تُطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنَّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»(*).

(١) هذا قول النصارىٰ قالوا: إذا قُلنا: إنَّ المسيح عبد فقد تنقَّصناه، والصواب عندهم: أنه ابن الله أو أنَّه هو الله أو ثالثُ ثلاثة قالوا: هذا حقُّ المسيح، فأعطوا حقَّ الله للمسيح ـ قبَّحهم الله ـ، كذلك من غلا من هذه الأمة في محمد ﷺ يكون أعطىٰ محمداً حقَّ الله تعالىٰ.

(٢) مَن شابه النصارىٰ في الغلو في محمد حيث عبده من دون الله، صار معادياً للرسول ﷺ في هذا الفعل، وهو في صورة مَن يحبونه، وأنَّ هذا الغلو فيه لأنهم يزعمون أنَّه من حُبِّه، وأما من اعتدل في حقه فإنهم يزعمُون أنَّه مبغض للرسولِ وجاف في حقه، فالغلو يسمونه حبّاً، وهذا من أقبحِ الكذبِ والافتراء.

(*) سلف تخريجه ص٩٤٢.

فـانظُـرْ إلـىٰ تَبْـدِيلِهِـمْ تـوحيـدَهُ
بـالشـرْكِ والإيمـانِ بـالكُفْـرانِ(١)
وانظـرْ إلـىٰ تَجْـرِيـدِهِ التـوحيـدَ مِـنْ
أسبـابِ كُـلِّ الشِّـرْكِ بـالـرَّحمٰـنِ(٢)
واجْمَـعْ مقـالتَهُـم ومـا قـد قـالَـهُ
واسْتَـدْعِ بـالنَّقَّـادِ والـوَزَّانِ
عَقْـلٌ وفطـرتُـك السليمـةُ ثـمَّ زِنْ
هـذا وذَا لا تَطْـغَ فـي الميـزانِ(٣)
فهُنـاكَ تعلَـمَ أيُّ حِـزْبَيْنـا هـوُ الـ
ـمُتَنَقِّـصُ المَنْصُـوصُ ذُو العُـدْوانِ

---

(١) فبدَّلوا الإيمان بالكُفر والتوحيدَ بالشرك وهم يُسمّونَه محبة.

(٢) انظر إلىٰ تجريد الرسول ﷺ، أي: تخليصه التوحيد من كلِّ أسباب الشرك، فقد اهتمَّ الرسول ﷺ بالتوحيد غاية الاهتمام وسدَّ كلَّ الوسائل التي تُفضي إلىٰ الشركِ كالغلو في مدحه، ونهىٰ عن الصلاة عند القبور، ونهىٰ عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، لأنَّها صورة للتشبُّه بعُبَّادِ الشمس ووسيلة للشرك، ونهىٰ عن تجصيص القبور والكتابة عليها وعن البناء عليها، لأنَّ هذه من وسائل الشرك فقد حمىٰ عليه السلام التوحيد.

(٣) اجمع مقالة الرسول ﷺ مع مقالة هؤلاء الضُلاَّلِ واعرضها علىٰ أهل العلم ليبينوا لك الحق من الباطل، واعرضها علىٰ الكتاب والسنة وفطرتك السليمة وعلىٰ عقلك وانظر مدىٰ الموافقةِ فيها والمُخالفة.

رامــي البَــرِيءِ بِــدَائِــهِ ومُصَــابِــهِ
فِعْــلَ المُبَــاهِــتِ أوْقَــحِ الحيــوانِ
كمُعَيِّــرٍ للنَّــاسِ بــالــزَّغَــلِ الــذي
هُو ضَرْبُهُ فاعْجَبْ لِذي البُهتانِ(١)
يـا فِـرْقَـةَ التنقيصِ بـل يـا أمَّـةَ الـدْ
دَعــوىٰ بــلا علــمٍ ولا عِــرفــانِ
واللهِ مــا قــدَّمْتُــمُ يــومــاً مقَــا
لَتَــهُ علــىٰ التقليــدِ لــلإنســانِ(٢)

---

(١) مثلهم كالذي يضرب نقوداً مغشوشة ويرمي النَّاس بذلك ويقول: أنتم تبخسون النَّاس أشياءَهم وتغشونهم وهو الذي ضربها، فمصدر الغش من عنده. فهم الذين ضربُوا هذه السكةَ الخبيثة وهي الشرك، وألقوا بالملامة علىٰ الناسِ للتلبيس عليهم، فكيف من فعل هذا مع الرسول ﷺ وقال: أنتَ في درجة الله ولستَ بعبدٍ، أنتَ تقضي حوائجَ النَّاسِ وتفعل وتفعل، وأنت الذي خُلِق الخلقُ مِن أجلك، وهذا في الحقيقة تنقُّص للرسول ﷺ لأنَّه إنزالٌ له فوق منزلته التي أعطاهُ الله إيَّاها.

(٢) أنتم أيها القبوريون تغلُون في حقِّ الرسول ﷺ وتَصِفُونَه بما ليس من صفاته وبما لا يليقُ به، ومع غُلُوِّكُم في حقِّه فأنتم لا تمتثلُون أمره بل تُخالفونَه وتتبعون قول شيوخكم، فما قاله شيوخ الطرق وأئمة المذاهب فهو حقٌّ عندكم، وما قالَهُ الرسول فيه نظر. فهذا تنقصٌ وغلوٌّ وتنقُّصٌ.

والله مـا قـالَ الشيـوخُ وقـالَ إلْـ
لاَ كنتُـمُ مَعَهُـمْ بـلا كِتمـانِ[١]

واللهِ أغـلاطُ الشيـوخِ لـديكُـمُ
أَوْلَـىٰ مـن المعصـومِ بـالبرهـانِ[٢]

وكـذا قضيتُـمْ بـالـذي حَكَمَـتْ بـه
جَهْـلاً علـىٰ الأخبـارِ والقُـرآنِ[٣]

واللهِ إنَّهُـمُ لـديكُـمْ مِثْـلُ مَعْـ
ـصُـومٍ وهـذا غـايـةُ الطُّغيـانِ[٤]

---

(١) إذا قال الرسول قولاً وقال أشياخُكم قولاً ذهبتم مع أشياخكم ولم تذهبوا مع قول الرسول ﷺ، والواجبُ هو العكس أن تذهبوا مع قول الرسول وتُخالِفُوا ما قالَه أشياخُكم. فأيُّنا المتنقِّص للرسول نحنُ أم أنتم؟

(٢) تتعصبون لأقوالِ أئمتكم وهي ضلالٌ أحياناً، وترفضون قول الرسول ﷺ وهو القائل: «لا تتخذوا القبور مساجد فإنِّي أنهاكم عن ذلك»[*] وهم يبنُون علىٰ القبور ويُسرِجُونها ويُزخرفونها ويعملون لها سدنة وأنتم تمشون علىٰ أثرهم.

(٣) تقضون بقول أشياخكم علىٰ القرآن والسُّنَّة، فتجعلون أقوالَ الشيوخ هي الحَكَم بينكم وبين القرآن والسُّنَّة، ما وافقها من القرآن والسُّنَّة قَبِلْتُمُوهُ، وما خالفها رفضتموه، وكان الواجب هو العكس أن تُعرضَ أقوالُ شيوخكم علىٰ الكتابِ والسُّنَّة فما وافقهما قُبِلَ وما خالفهما رُدَّ.

(٤) غلوتم في حق شيوخكم حتىٰ أنزلتموهم منزلة المعصوم ﷺ وقلتم: إنَّ =

(*) أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث جندب بن عبد الله.

تبّـاً لكُـمْ مـاذا التنقُّـصُ بعـدَ ذا
لَـوْ تَعْـرِفُـونَ العـدلَ مِـن نُقْصـانِ[١]

واللهِ مـا يُـرضيـه جَعْلُكُـمُ لَـهُ
تُـرْسـاً لِشِـرْكِكُـمُ ولِلْعُـدوانِ[٢]

وكـذاك جَعْلُكُـمُ المشـايـخَ جُنَّـةً
بخـلافِـهِ والقصـدُ ذُو تِبْيـانِ[٣]

= الشيوخ لا يُخطئون أبداً وهم أعلمُ مِنَّا، وأنتم ترون أن أقوالَهم مخالفةٌ لقولِ الرسول ﷺ.

(١) ما هو التنقص إذاً؟ هل هو عندنا أو عندكم؟ نحنُ الذين نتبع قول الرسول ﷺ ونُقدِّم أقوالَه علىٰ قولِ كُلِّ أحد، ونعرض أقوال أئمتنا علىٰ قول الرسول ﷺ، أما أنتم فبالعكس من ذلك، تعرضون قول الرسول ﷺ علىٰ قول أئمتكم فما وافقها قبلتموه، وما خالفها رددتموه فأيُّنا المتنقِّص للرسول ﷺ نحن أم أنتم؟

(٢) أي لا يُرضي الرسول ﷺ جعلكُم له تُرساً للشركِ بأن تصرفُوا له أنواعاً من العبادة باسم محبته وتعظيمه، وهذا الذي تترسُون من ورائِه لئلا تنكشف حقيقتكم، فأنتم تُظهرون محبة الرسول ﷺ وتعظيمه وهذا في الواقع كذب وبهتان؛ لأنَّه لو كان حقيقة لاتبعتم قول الرسول ﷺ.

(٣) وهـذه فعلـة عظيمـة أنَّهـم يجعلـون قـول المشـايـخ جُنَّةً يستترون بها ويقولون: أفتىٰ فلان بكذا، ويتبعون أقوال المفتين، ويأخذون منها ما يوافق هواهُم، ويقولون: نجعل هذا الشيخ جُنَّةً وتُرساً بيننا وبين النار، وهذا من أعظمِ الخُذلان.

والله يَشْهَدُ ذا بِجِذْرِ قُلوبِكُمْ
وكذاك يشهدُهُ أُوْلُو الإيمانِ[١]
واللهِ ما عَظَّمْتُمُوْهُ طاعةً
ومَحَبَّةً يا فِرْقَةَ العِصيانِ[٢]
أنَّىٰ وجَهْلُكُمُ بِهِ وبِدِينِهِ
وخِلافُكُمْ لِلْوَحْيِ مَعْلُومَانِ
أوصاكُمُ أشياخُكُمْ بخلافِهِمْ
لِوِفاقِهِ في سالِفِ الأزمانِ[٣]

---

(١) الله يعلم أنَّكم أصحابُ هوىً لا أصحابُ علم، وأنَّكم لم تأخذوا قولَ هذا العالِمِ حُبّاً له بل لأنَّه وافق هواكُم ووافق رغبتكم.

(٢) ليس تعظيم الرسول يحصل بعبادته، بل بطاعته ومحبته باتباع أمره ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١] فذكر سبحانه وتعالىٰ علامة المحبة الصحيحة وهي الاتباع والطاعة.

(٣) الأشياخ والأئمة رحمهم الله أوصوكُم بتركِ أقوالهم لقول الرسول ﷺ، وأقوالهم معروفة ومشهورة.

يقول الشافعي رحمه الله: «أجمع المسلمون علىٰ أنَّ من استبانت له سُنَّةُ النبي ﷺ لم يكن له أن يَدَعَها لقول أحد».

ويقول الإمام مالك رحمه الله: «كُلُّنا رادٌّ ومردودٌ عليه إلاّ صاحب هذا القبر» يعني رسول الله ﷺ.

ويقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله وهو أقدم الأئمة الأربعة: «إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء الحديث عن =

خــالَفْتُــمُ قَــوْلَ الشيــوخِ وقــولَــهُ
فغــــدا لكـــم خُلْفـــانِ مُتَّفِقـــانِ
واللهِ أمـــرُكُـــمُ عَجيـــبٌ مُعْجِـــبٌ
ضِـــدّان فيكُـــمْ ليـــس يَتَّفقـــانِ[1]
تقـديــمُ آراءِ الــرجــالِ عليــه مَــعْ
هــذا الغُلُــوِّ فكيــفَ يَجتمعــانِ[2]
كَفَّــرْتُــمُ مَــنْ جَــرَّدَ التــوحيـدَ جَهْـ
ــلاً مِنْكُــمُ بحقـائـــقِ الإيمـــانِ

= صحابة رسول الله ﷺ فعلىٰ الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحنُ رجال وهم رجال».

والإمام أحمد رحمه الله وهو آخر الأئمة الأربعة يقول: «عجبتُ لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبُون إلىٰ رأي سفيان والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

(١) خالفتم قول الرسول ﷺ وقولَ إمامِكم الذي تزعمُون أنَّكم تتبعونه، ويعني بذلك بعض أتباع الأئمة الأربعة الذين يتعصبون لقول إمامهم، فإمامُكم أحالَكُم علىٰ سُنة الرسول ﷺ.

(٢) فعندكم آفتان: آفة الغلوِّ بالرسول ﷺ وآفة تقديم آراء الرجال علىٰ قوله ﷺ، وهذا تناقض، تزعمُون أنَّكم تحبونَه وأنتم تغلُون في حقِّه، وتُخالفونه وتعصونَه ﷺ، وهذا من التناقض العجيب.

لكِـنْ تَجَـرَّدْتُـمْ لنصـرِ الشِّـرْكِ والـ
ـبِدَعِ المُضِلَّةِ في رِضا الشيطانِ[١]
واللهِ لَـمْ نَقْصِـدْ سـوىٰ التجريـدِ للتْـ
ـتَـوْحيـدِ ذاكَ وصيَّـةُ الـرحمٰـنِ[٢]
ورضـا رسـولِ اللهِ مِنَّـا لا غُلُـوْ
وَ الشـركِ أصـلِ عبـادةِ الأوثـانِ[٣]
واللهِ لـو يـرضىٰ الـرسـولُ دُعـاءَنـا
إيَّـاهُ بـادَرْنـا إلـىٰ الإذعـانِ

---

(١) مَن أخلصَ التوحيد لله تعالىٰ، وترك عبادة الأضرحة والقبور، تقولون عنه: هذا كافر؛ لأنَّه مخالف لدين المسلمين، وعندكم: أنَّ المسلمين هم عُبَّاد القبور، هذا هو الإسلام عندكم، والواقع أنكم تنصرون الشيطان وتنصُرون الباطل، ما دُمتم علىٰ هذا الأمر وهذه العقيدة، فهذا أمرٌ خطيرٌ جداً فيجبُ الوقوف عندَه وعدم الانسياق وراء التقليدِ الأعمىٰ، وما عليه النَّاسُ بدون تمحيص ونظر وتمييز.

(٢) ما قصدنا إلاّ إخلاص التوحيد لله تعالىٰ، فهذا هو ذنبنا عندكم، وقد أوصانا اللهُ بهذا فقال: ﴿ ۞ وَاعْبُدُواْ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦] وقال: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] هذا الذي أوصانا اللهُ به وهو: إخلاصُ التوحيد له سبحانَه وتعالىٰ.

(٣) إخلاص التوحيد للهِ تعالىٰ، وإخلاص المتابعة للرسول ﷺ من غير غلوٍّ في حقِّه عليه الصلاة والسلام، هذا الذي يرضاه منا رسول الله، لأنَّ الغلوَّ في حقِّه من عبادة الشيطان.

والله لو يرضىٰ الرسولُ سُجُودَنا
كُنَّا نَخِرُّ لَهُ علىٰ الأذْقانِ

والله ما يُرْضِيه منا غيرَ إخْـ
ـلاصٍ وتحكيمٍ لذا القرآنِ[(١)]

ولقد نهىٰ ذا الخَلْقَ عن إطرائِهِ
فِعْلَ النصارىٰ عابدي الصُّلْبانِ[(٢)]

ولقد نهانا أن نُصيِّرَ قَبْرَهُ
عِيداً حَذارِ الشِّركِ بالرحمٰنِ[(٣)]

---

(١) لو أمَرَنا الرسولُ بدُعَائِه لأطعناه، وكذلك لو أمرنا بالسجودِ لَه، فنحنُ ندور مع قول الرسول ﷺ لكنَّه نهانا عن ذلك أشدَّ النهي فنمتثل نهيَه، فالذي يُرضي رسول الله هو إخلاصُ العبادة لله، واتباعُ القرآن والسُّنَّة، وترك ما خالفها من أقوالِ الشيوخ.

(٢) يشيرُ إلىٰ الحديث: «لا تُطروني كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»[(*)] والإطراء هو المبالغة في المدح، وهذا محرم لأنَّه وسيلةٌ إلىٰ الشرك.

(٣) هذا في حديثٍ صحيحٍ «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً»[(**)] والعيد: هو المكان الذي يُتردد إليه، أي: لا ترددوا إلىٰ قبري كلما دخل إنسان يذهب يُسلِّم علىٰ الرسول، وإنَّما هذا خاص =

(*) سلف تخريجه ص٩٤٢.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/٤٠٣ (٨٨٠٤)، وأبو داود (٢٠٤٢)، من حديث أبي هريرة، وهو حديث إسناده حسن.

ودعـا بـألاَّ يُجْعَـلَ القبـرُ الـذي
قَـدْ ضَمَّـهُ وثَنـاً مـن الأوثـانِ
فـأجـاب ربُّ العـالميـنَ دعـاءَهُ
وأحـاطَـهُ بثـلاثـةِ الجُـدْرانِ
حتّـىٰ اغتـدَتْ أرجـاؤه بـدُعـائِـهِ
فـي عِـزَّةٍ وحمـايـةٍ وصِيـانِ[1]

= بمن قدم مِن سفر، أمَّا من جاءَ للمسجد يريد الصلاة فلا يتردد علىٰ القبرِ، لأنَّ هذا غلوٌّ يؤول إلىٰ الشركِ وكذلك الجلوس عند قبر الرسول هذا من اتخاذِه عيداً.

(١) وهذا حديثٌ آخر: قال فيه ﷺ: «اللهُمَّ لا تجعل قبري وثناً يُعبدُ»(*) فدلَّ علىٰ أنَّ كُلَّ ما عُبِدَ من دونِ الله فهو وثن، ولو كان قبر نبي، ولو كان قبر أفضل المرسلين فإنَّه يُصيرُ وثناً، فاستجاب اللهُ دعاءَ رسولِه فحمىٰ قبره، وأحاطه بثلاثة جُدران وصار قبر الرسول ﷺ في وسط الحُجرة، ولا يراهُ أحدٌ وإنَّما النَّاس يقفُون في المسجد ويُسلمُون عليه ولا يصلُون إلىٰ قبره ﷺ، ودُفن في بيته ولم يُدفن في البقيع خشية أن يُتخذ قبرُه مسجداً فيُصلىٰ عنده ويُدعىٰ عنده، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك أُبرزَ قبرُه غير أنَّه خُشي أن يُتَّخذ مسجداً»(**) فهذا سرُّ دفن الرسول في =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٢/ ٣١٤ (٧٣٥٨)، من حديث أبي هريرة، وإسناده قوي وانظر تمام تخريجه وتنقيده فيه.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٤١/ ٥٨ (٢٤٥١٣)، والبخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ولقد غدا عندَ الوفاةِ مُصَرِّحاً
بالَّلعنِ يَصْرُخُ فيهم بأذانِ
وعنىٰ الأُوْلىٰ جَعَلُوا القبورَ مساجداً
وهُم اليهودُ وعابدُو الصُّلبانِ(١)
واللهِ لولا ذاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ
لكنَّهُمْ حَجَبُوهُ بالحيطانِ
قَصَدُوا إلىٰ تَسْنيمِ حُجْرَتِهِ لِيَمْـ
ـتَنِعَ السُّجودُ لَهُ علىٰ الأذقانِ

= حُجرة عائشة حفاظاً عليه من الغُلوِّ ومن أن يُعبد من دون الله، ولا يزال مصوناً ومُحاطاً بثلاثة جدران؛ لأنَّ الصحابة لما دفنُوه في الحُجرة جاؤوا إلىٰ الجدار الشمالي وجعلوه علىٰ شكل مُثلث لئلا يستقبله الناس في الصلاة.

(١) قال ﷺ وهو يُعاني من سكرات الموت: «لعنةُ اللهِ علىٰ اليهودِ والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(*) «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنِّي أنهاكم عن ذلك»(**) فهذا من كمال بيانه عليه السلام في النهي عن البناء علىٰ القبور ولا سيَّما قبرُهُ ﷺ، وهذا من كمال نُصْحِه وشفقته لأمتِه، لأن البناء علىٰ القبور وسيلة من وسائل الشرك.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٣/ ٨٧-٨٨ (٢٥٩١٦)، والبخاري (٤٣٥، ٤٣٦)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة وابن عباس.

(**) سلف تخريجه ص٩٥٢.

قَصدُوا مُوافقةَ الرسولِ وقَصْدَهُ التـ
تَجْـريـدَ للتـوحيـدِ للـرحْمٰـنِ[١]
يـا فِـرْقَـةً جَهِلَـتْ نُصـوصَ نَبِيِّهِـمْ
وقُصُــودَهُ وحقيقــةَ الإيمــانِ[٢]

---

(١) لولا خشية أن يُتَّخذَ قبره مسجداً أو يُصلَّىٰ عندَه أو يُدعَىٰ عندَه، لأبرِزَ مع قبور أصحابِهِ في البقيع، ولكنَّهم خشوا من اتخاذِه مسجداً فدفنُوه في حُجرته، وجاء في الحديث أنَّه عليه السلام قال: «لا ينبغي أن يُدفن نبيٌّ إلاّ حيث يموت»[*]، فالأنبياء يُدفنون في البقعة التي ماتوا فيها، وهو مات في الحجرة النبوية فدفنُوه فيها، ولذلك ليس هناك قبر من قبور الأنبياء السابقين معروف إلاّ قبر هذا الرسول وهو مصونٌ ومحميٌّ، وقصد الصحابة إلىٰ تسنيم حجرته يعني: جعلها علىٰ شكل مثلث من الناحية الشمالية لئلا يصلىٰ إلىٰ جدار القبر.

(٢) يُخاطب بذلك الخرافين والقبوريين الذين لم يتلفتوا إلىٰ هذه النصوص ولا إلىٰ هذا التحذير، فصارُوا يغلون في حقِّ الرسول ﷺ وفي حقِّ الأولياءِ والصَّالِحين، ويصرفُون لهم من أنواعِ العبادة من دون الله عزَّ وجلَّ أنواعاً كثيرة.

(*) ورد في «السيرة النبوية» لابن هشام ٤/ ٢٣٣، وفي «سنن ابن ماجه» (١٦٢٨): قال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض». وفي «سنن الترمذي» (١٠١٨) عن أبي بكر قال: سمعت من رسول الله شيئاً ما نسيته، قال: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه». قال الترمذي: هذا حديث غريب.

فَسَطَــوْا علــىٰ أتْبــاعِــهِ وجُنُــودِهِ
بــالبَغْــيِ والعُــدوانِ والبُهتــانِ[١]

لا تَعْجَلُــوا وتَبَــيَّنُــوا وتَثَبَّتُــوا
فمُصــابُكُــم مــا فيــه مِــن جُبــران[٢]

قلنــا الــذي قــال الأئمــةُ قبلَنــا
وبــه النُّصــوصُ أتَــتْ علىٰ التِّبيــانِ[٣]

القصدُ حَجُّ البيتِ وهو فريضَةُ الرْ
رَحمٰــنِ واجبــةٌ علــىٰ الأعيــانِ[٤]

---

(١) إذا روىٰ العلماء لهم سنة رسول الله وبلَّغُوهم إيَّاها سطوا عليهم بالسباب والشتمِ ويقولون: أنتم تُبغضون الرسول ﷺ، وتنقُّصون رسول الله ﷺ، لأنَّنا لا نعبدُه كما هم يعبدونه. والعجيب أنَّهم يتنقَّصون ربَّ العالمين ويُشركون به ويعبدُون غيرَه ولا ينظرون إلىٰ ذلك.

(٢) مصابهم لا يجبر لأنَّه شرك، وقد قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨] فالشرك لا يدخل تحت الغُفران إلاّ من تاب منه فإنَّ الله يتوب عليه.

(٣) إن كان هذا مذمة فياحبذا المذمة، اتباع الأئمة أئمة السلف الذين أخذُوا بنصوص الوحيين ولم يتجاوزوا الكتاب والسنة، فإن كان هذا ذماً عندكم فنحنُ لا نعبأُ بهذا الذم، لأنَّه هو الكمال والمدح عند الله تعالىٰ وعند أهل التحقيق والإيمان.

(٤) شرع الناظم رحمهُ الله في بيان حكم السلف للعبادة في مكان من الأمكنة، فليس هُناك مكان يُسافر إليه ويُعتقد فيه الفضل إلاّ ثلاثةُ مساجد: المسجد=

. . . .

= الحرام وهو أولُ بيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ، وهو أفضل المساجد، ثمَّ المسجد النبوي في المدينة ثمَّ المسجد الأقصىٰ في فلسطين، هذه المساجد يُسافر إليها لأجل الصلاة فيها والاعتكاف، فصلاةٌ في المسجدِ الحرام عن مائة ألف صلاة، وصلاةٌ في المسجد النبوي عن ألف صلاة، وصلاةٌ في المسجد الأقصىٰ عن خمسمائة صلاة، وما عدا هذه الثلاثة لا ميزة له علىٰ غيره من المساجد، ومن سافر إلىٰ مسجدٍ غير هذه المساجد الثلاثة فهو مبتدع، لقوله ﷺ: «لا تُشدُّ الرحال إلاّ إلىٰ ثلاثة مساجد»(*) وفي رواية: «لا تشدُّوا» بالنهي إلاّ إلىٰ ثلاثة مساجد، وهذا حصر.

وأمَّا القبور فلا يُسافر إليها لا إلىٰ قبور الأنبياء ولا إلىٰ غيرهم، ولم يأتِ دليلٌ صحيح يدل علىٰ مشروعية السفر لزيارة قبر الرسول ﷺ وإنَّما السفر لمسجده ويدخل قبرُه تبعاً، فأنت تسافر لقصد الصلاة في المسجد، أمَّا قصد زيارة القبر فهذا القصد بدعة ما أنزَلَ اللهُ بها من سُلطان، والأحاديث الواردة التي يروونها في السفر لزيارة القبر بعد الحج أو قبل الحج كُلُّها ضعيفة شديدة الضعف أو موضوعة كما نبَّه علىٰ ذلك الأئمة، وبعضُ الخرافيين صنَّفُوا كتباً في فضل زيارة القبر، والسفر لزيارة القبر مناقضة لنصوص الرسول ﷺ مثل ما صنَّف السبكي كتاباً في ذلك وردَّ عليه الحافظ ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي» فلا يسافر إلا إلىٰ المساجد الثلاثة، فأول مسجد وُضع في الأرض هو المسجد الحرام ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا =

(*) سلف تخريجه ص٦٨٧.

ورِحَـالُنَـا شُـدَّتْ إليْـهِ مِـنْ بِقَـا
عِ الأرْضِ قَـاصِيهَـا كـذَاكَ الـدَّانِـي

مـن لـم يَـزُرْ بيـتَ الإلـٰـهِ فمـا لَـهُ
مِـنْ حَجِّـهِ سَهْـمٌ ولا سَهْمَـانِ(١)

وكـذا نَشُـدُّ رِحـالَنـا للمسجـدِ الْـ
ـنَّبَـوِيِّ خيـرِ مسـاجـدِ البُلْـدانِ(٢)

مِـن بعـدِ مكَّـةَ أو علـىٰ الإطـلاقِ فيـ
ـهِ الخُلْفُ بينَ القومِ مُنذُ زَمانِ(٣)

= ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧] فحجُّ البيت فريضة علىٰ المسلم وركن من أركان الإسلام إذا كان يستطيع وعندَه «الزاد والراحلة» وتشدُّ الرحال إليه لأجلِ العمرة في كلِّ وقت، وتُشدُّ الرحال فيه لأجلِ الصلاة والاعتكاف، وكذلك المسجد النبوي والمسجد الأقصىٰ.

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٢) وهذا هو المسجد الثاني في الأرض بعد المسجد الحرام الذي يسافر إليه لأجل الصلاة والاعتكاف فيه.

(٣) اختلف العُلماء: أيُّهما أفضل مكة أم المدينة؟ فالجمهور علىٰ أنّ مكة أفضل، ومن العُلماء من يرىٰ أنَّ المدينة أفضل من مكة لأنَّها مُهاجَر الرسول ﷺ ولكن الصحيح هو الأول، أن مكة هي أفضل البقاع لأنَّ الرسول ﷺ لما أخرجوهُ منها وقف في مكان يُقال له: الحزورة وقال: =

وَنَـراهُ عنـدَ النَّـذْرِ فَـرْضـاً لكـنِ النْـ
نُعمـــانُ يـــأبـــىٰ ذا وللنُّعمـــانِ
أصـلٌ هـو النـافـي الـوجـوبَ فـإنَّـهُ
مـا جِنْسُـهُ فـرضٌ علـىٰ الإنسـانِ[1]
ولنـــا بـــراهيـــنٌ تـــدلُّ بـــأنَّـــهُ
بـالنَّـذْرِ مُفتَـرَضٌ علـىٰ الإنسـانِ

= «إنَّكِ لأحبُّ البلاد إليّ ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت»(*) فدلَّ علىٰ أنَّها أحبُّ البلاد إلىٰ الله تعالىٰ وإلىٰ رسوله ﷺ فدلَّ هذا علىٰ أنَّ مكة أفضل.

(١) يعني: لو نذر الإنسان أنَّه يزور المسجد الحرام أو يزور المسجد النبوي أو المسجد الأقصىٰ فعند الجمهور يجب عليه الوفاء بالنذر لقوله ﷺ: «من نذرَ أن يُطيعَ الله فليُطعه»(**) وهذا طاعة، أمَّا النُّعمان وهو أبو حنيفة رحمهُ الله فإنَّه يقول: النذر فيه تفصيل: إن كان جنسُه واجباً في الشرع فإنَّ النذر يجب، مثل الصلاة والصيام فهذه جنسُها واجب بالشرع، أمَّا زيارة المساجد الثلاثة فهذه جنسُها ليس بواجب في الشرع فيكون الوفاء بالنذر مستحبّاً وليس بواجب، لكن عموم قول النبي ﷺ: «من نذرَ أن يُطيعَ الله فليُطعه» يدلُّ علىٰ أنَّ الأول هو الراجح وهو قولُ الجمهور.

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ٣١/ ١٠-١٤ (١٨٧١٥-١٨٧١٨)، والترمذي (٣٩٢٥) من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري، وهو حديث إسناده صحيح، وانظر تمام تخريجه في «المسند».

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٠/ ٨٦ (٢٤٠٧٥)، والبخاري (٦٦٩٦) و(٦٧٠٠)، وأبو داود (٣٢٨٩)، والترمذي (١٥٢٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أمـرُ الـرسـولِ لكُـلِّ نـاذرِ طـاعـةٍ
بـوفـائِـهِ بـالنَّـذْرِ بـالإحسـانِ[١]
وصـلاتُـنـا فيـه بـألـفٍ فـي سـوا
هُ مـا خـلا ذا الحِجْـرِ والأركـانِ[٢]
وكـذا صـلاةٌ فـي قِبـا فكعُمْـرَةٍ
فـي أجـرِهـا والفضـلُ للمنَّـانِ[٣]

---

(١) لنا دليل علىٰ أنَّ النذر واجبٌ مُطلقاً سواءٌ كان جنسُه واجباً أو لم يكن وهو قولُه ﷺ: «من نذر أن يُطيع الله فليُطعه»(*) والأمر يقتضي الوجوب وهذا عام في كلِّ نذر فلم يستثن نذراً دون نذر.

(٢) صلاتُنا بالمسجد النبوي عن ألف صلاة ما خلا مسجد الكعبة فالصلاةُ فيه عن مائة ألف صلاة.

(٣) كذا يستحبُّ لمن زار المدينة أو كان مُقيماً فيها يستحبُّ له أن يزور مسجد «قباء» ويصلِّي فيه كُلَّ أُسبوع لفعل النبي ﷺ لكن لا يُسافر من بلده لأجل مسجد «قُباء»؛ لأنَ السفر مخصوص بالمساجد الثلاثة، والدليل علىٰ فضل زيارة مسجد قباء، والصلاة فيه أن النبي ﷺ حث علىٰ زيارته، وكان يزورُهُ عليه السلام كلَّ سبت وقال: «من تطهَّر في بيته، ثم أتىٰ مسجد قباء، فصلىٰ فيه صلاة، كان له كأجر عمرة»(**) وهذا فضل عظيم لكن لا يُسافر إليه وإنَّما يدخلُ تبعاً.

(*) سلف تخريجه في الصفحة السابقة.

(**) أخرجه ابن ماجه (١٤١٢) وبنحوه عند النسائي ٢/ ٣٧ (٦٩٨) من حديث سهل بن حنيف وهو في «مسند أحمد» ٢٥/ ٣٥٨ (١٥٩٨١) وهو حديث صحيح بشواهده. انظر تمام تخريجه في «المسند».

فــإذا أتينــا المسجـدَ النبــويَّ صَلْـ
لَيْنَـــا التحيـــةَ أولاً ثِنتـــانِ
بتمــامِ أركــانٍ لهــا وخُشُــوعِهــا
وحضُورِ قلبٍ فِعْلَ ذي الإحسانِ(١)
ثــمَّ انثنينــا للــزيــارةِ نقصِــدُ الْـ
ـقبـرَ الشـريـفَ وَلَـوْ علىٰ الأجفـانِ
فنقــومَ دونَ القبــرِ وَقفــةَ خــاضِــعٍ
مُتَــذَلِّــلٍ فــي السِّــرِّ والإعــلانِ
فكــأنَّــهُ فــي القبــرِ حــيٌّ نــاطــقٌ
فــالــواقفــون نــواكِــسُ الأذقــانِ(٢)

---

(١) شرع الناظم الآن يُبيِّن آداب دخول المسجد النبوي، فإذا وصلت إلىٰ المسجد النبوي فأول شيء تُصلي تحية المسجد، لقوله ﷺ: «إذا دخل أحدُكم المسجد فلا يجلس حتىٰ يُصلِّي ركعتين»(*) ثمَّ بعد الصلاة ركعتين تتجِّه إلىٰ القبر وتُسلِّم علىٰ الرسول ﷺ وعلىٰ صاحبيه.

(٢) هذه آداب الوقوف عند القبر فيقف الإنسان بسكينة وعدم رفع صوت، ويُسلِّم علىٰ النبي ﷺ لأنَّ الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾ [الحجرات: ٢] فتعظيمُه وتوقيرُه واجب في حياته وبعد موته، فهو حيٌّ في قبره حياةً =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ٢٨٧-٢٨٨ (٢٢٦٠١)، ومسلم (٧١٤) (٧٠) من حديث أبي قتادة.

ملكَتْهُـمُ تلـكَ المهـابـةُ فـاعْتَـرَتْ
تلـكَ القـوائـمَ كثـرةُ الـرَّجَفَـانِ
وتفجَّـرَتْ تلـك العيـونُ بمـائِهـا
ولطـالمـا غـاضَـتْ علـىٰ الأزمـانِ(١)
وأتـىٰ المُسَلِّـمُ بـالسـلامِ بِهَيْبَـةٍ
وَوَقـارِ ذي علـمٍ وذي إيمـانِ
لم يرفعِ الأصواتَ حولَ ضريحِهِ
كـلاَّ ولـم يَسْجُـدْ علـىٰ الأذْقـانِ
كـلاَّ ولـم يُـرَ طـائفـاً بـالقبـرِ أُسْـ
ـبـوعـاً كـأنَّ القبـرَ بيـتٌ ثـانِ(٢)

= برزخيّةٌ ليست هي كحياته علىٰ وجه الأرض، فنحترمُه كما لو كان بيننا عليه الصلاة والسلام، أمّا الحياة البرزخيّة فإنَّها ثابتة له عليه الصلاة والسلام لأنَّه إذا كان الشهداء أحياء فالأنبياء من باب أولىٰ.

(١) وذلك محبةً لرسول الله ﷺ وإجلالاً له تنبعث الدموع من العُيون عند زيارته عليه السلام.

(٢) لا يجوز الصخب ولا رفعُ الصوت ولا طلب الحوائج منه ولا الطواف به، وإنَّما هذا خاصٌّ بالكعبة المشرفة قال تعالىٰ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩] فليس علىٰ وجه الأرض بيتٌ يُطاف به إلاّ البيت العتيق، كذلك ليس هناك شيء يستلم ويُقبّل سوىٰ الحجر الأسود.

ثُمَّ انثنىٰ بدعائِهِ مُتَوَجِّهاً
لله نحوَ البيتِ ذي الأركانِ[١]

هذي زيارةُ مَنْ غدا مُتَمَسِّكاً
بشريعةِ الإسلامِ والإيمانِ[٢]

مِنْ أفضلِ الأعمالِ هاتيكَ الزيا
رَةُ وهْيَ يومَ الحشرِ في الميزانِ[٣]

لا تلْبِسُوا الحَقَّ الذي جاءَتْ بِهِ
سُنَنُ الرَّسُولِ بأعْظَمِ البُرْهَانِ

هذي زيارتُنا ولم نُنْكِر سوىٰ الْـ
ـبِدَعِ المُضِلَّةِ يا أُوْلي العُدوانِ

---

(١) إذا أردت أن تدعو بعد زيارة قبر النبي ﷺ فاذهب وتوجَّه لاستقبال القبلة لأنها قبلة المسلمين في الدُّعاء والصلاة ووضع الأموات في القبور.

(٢) هذه الزيارة المذكورة هي الزيارة الشرعية، لكنها لا تُرضي الخرافيين والقبوريين.

(٣) زيارة المسجد النبوي والسلامُ علىٰ رسول الله من أفضل الأعمال إذا كانت علىٰ الوجه الشرعي كما ذكرَها الناظم هنا، وهي مُستوحاة من النصوص، أمَّا إذا كانت زيارةً شركية أو بدعية فإنَّها تكونُ في ميزان السيئات.

وحـديـثُ شَـدِّ الـرَّحْـلِ نـصٌّ ثـابـتٌ
يجـب المصيـر إليـه بـالبُـرهـانِ[1]

* * *

(١) يُخاطب الخرافيين: ويقول لهم: لا تخلطوا الحقَّ بالباطل، لا تقلبُوا الزيارة الشرعية ولا تعدلوا إلىٰ زيارةٍ شركية أو زيارةٍ بدعية، فنحنُ لا نمنع الزيارة الشرعية؛ بل نفعلُها ونأمُرُ بها ولكن نمنع الزيارة البدعية والشركية فنحنُ لا نفعلُ شيئاً إلاّ حسب الأدلة الصحيحة، أمَّا أنتم فتبتدعُون وتشرعون من عند أنفسكم ما لم يأذن به اللهُ عزَّ وجل، وحديث شدِّ الرحال صحيح ثابت وهو قولُهُ ﷺ: «لا تُشدُّ الرحال إلاّ إلىٰ ثلاثة مساجد»(*) فحصرها في المساجد الثلاثة دون غيرها من بقية المساجد، فلا يجوز السفر لزيارة مسجد غير المساجد الثلاثة ولا السفر لزيارة القبور، حتىٰ مسجد «قباء» لا يسافر لأجله وإنَّما يدخل تبعاً في حق من زار المسجد النبوي أو كان مقيماً بالمدينة.

(*) سلف تخريجه ص٦٨٧.

فصل

في تعيين أن اتباع السُّنة والقرآن

طريق النجاة من النيرانِ[1]

يــا مَــنْ يُــريــد نجــاتَــهُ يــومَ الحســا
بِ مــن الجَحيــم ومُــوقَــدِ النيــرانِ

اتْبَــعْ رســولَ الله فــي الأقــوالِ والْـ
أعمــالِ لا تخــرُجْ عــن القُــرآنِ

وخذ الصحيحيْنِ اللذين هما لِعقْـ
ـدِ الــدِّيــنِ والإيمــانِ واسطتــانِ[2]

واقــرأهُمــا بعــدَ التجــرُّدِ مِــنْ هــوىٰ
وتَعَصُّــبٍ وحَمِيَّــةِ الشيطــانِ

---

(١) لا شكَّ أنَّهُ لا نجاة من النيران إلاَّ باتباع الكتاب والسنة، وأمَّا من أعرض عن الكتاب والسُّنَّة فإنّه لا ينجو من النيران، لأنَّهُ ترك السبب الذي فيه النجاة.

(٢) يعني تمسك بالكتاب والسُّنَّة، وأعظمُ الكتب وأصحها في حديث الرسول ﷺ هما صحيحا البخاري ومسلم، لأنَّ كلَّ ما فيهما من الأحاديث فهو صحيح، وهذا بإجماع العُلماء، وأمَّا ما عداهُما من السنن الأربع والمسانيد فهذه لم يلتزم أصحابها الصحة بل يروون فيها الصحيح والحسن والضعيف ويبين ذلك سند كل حديث.

واجْعَلْهُمَا حَكَماً ولا تَحْكُمْ علىٰ
مَا فيهِما أصلاً بقولِ فُلانِ(١)

واجعلْ مقالتَهُ كبعضِ مقالةِ الْـ
أشياخِ تَنْصُرُها بكُلِّ أوانِ

وانْصُرْ مقالتَهُ كنصرِكَ للذي
قَلَّدْتَهُ من غيرِ ما بُرهانِ(٢)

قَدِّرْ رَسُولَ اللهِ عِنْدَكَ وحْدَهُ
والقَوْلُ مِنْهُ إليْكَ ذُو تِبْيَانِ

ماذا ترىٰ فرضاً عليك مُعَيَّناً
إن كُنتَ ذا عقلٍ وذا إيمانِ

---

(١) لا تحكم علىٰ ما في الصحيحين بل هو صحيح لا يحتاج إلىٰ نظرك وحكمك.

(٢) اجعل مقالة الرسول علىٰ الأقل مثل مقالة مَن تُعظمهم من مشائخك، وإلاَّ فهو فوق أقوال الناس كلهم فالبدع من يفضل قول شيخه علىٰ قول الرسول ﷺ فهذا ما يُسمَّىٰ بالتعصب أو التقليد الأعمىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] وأمَّا غير الرسول ﷺ فيُتَّبع قولُهُ فيما وافق فيه الرسول ﷺ وأمَّا ما خالف فيه الرسول فإنَّهُ لا يُتَّبع ولو كان من الأئمة الكبار، لأنَّه بشر يخطىء ويُصيب بخلاف الرسول ﷺ فإنَّه معصومٌ من الخطأ.

عَـرْضَ الـذي قـالُـوا علىٰ أقـوالِـهِ
أو عَكْـسَ ذاكَ فـذانِـكَ الأمـرانِ[١]
هـي مَفْـرِقُ الطُّـرُقَـاتِ بيـن طـريقنـا
وطـريـقِ أهـلِ الـزيـغِ والعُـدوانِ[٢]
قَــدِّرْ مقــالاتِ العبــادِ جميعِهِــمْ
عَـدَمـاً وراجِـعْ مَطْلَـعَ الإيمـانِ[٣]
واجْعَلْ جلوسَكَ بينَ صَحْبِ محمدٍ
وتلَـقَّ مَعْهُـمْ عنـهُ بـالإحسـانِ

---

(١) هل ترىٰ أنَّ الواجبَ عليك اتباع الرسول أو غير الرسول؟ فإنْ كان الواجب عليك اتباع الرسول قدَّمتَ قولَهُ علىٰ قول غيره كائناً من كان، وإن كان الواجب هو العكس فهذا هو الضَّلال ـ والعياذ بالله ـ فلا بُدَّ من أحد أمرين: إمَّا أنَّكَ ترىٰ أقوالَ العُلماء تُعرض علىٰ أقوال الرسول ﷺ فما شهد لَهُ الرسول فهو حق، وإمَّا أنَّكَ ترىٰ العكس، وهو أنَّكَ تعرض أحاديث الرسول علىٰ أقوال العُلماء فما وافق قولَ العالم الذي أُعجِبتَ به أخذتَه وما خالفَهُ رددته، فليس هناك إلاَّ هذين القسمين فالواجب هو الأول، وهذا هو قول الأئمة، وهم يوصُوننا بذلك.

(٢) افترقت هذه الفرق عند هذا المنعطف، فأهل الإيمان أخذوا طريق الرسول ﷺ ومشوا فيه ولو خالف قول أئمتهم ومشايخهم، لأنَّ قول الرسول معصوم، وقول أئمتهم غير معصوم، أمَّا أهلُ الضلال فبالعكس أخذوا بقول مشايخهم وتركوا قول الرسول ﷺ، فهذا مفترق الطرق.

(٣) إذا خالفت أقوال العباد أقوالَ الرسول ﷺ قَدِّرْها غير موجودة وخُذ بقول رسول الله ﷺ الذي هو مطلعُ الإيمانِ.

وتَلَـقَّ عَنْهُـمْ مـا تلَقَّـوْهُ هُـمُ
عَنْـهُ مـن الإيمـانِ والعِـرفـانِ(١)

أفلَيْـسَ فـي هـذا بـلاغُ مُسـافـرٍ
يَبْغـي الإلٰـهَ وجَنَّـةَ الحيـوانِ(٢)

لـولا التنـافس بيـن هـذا الخَلْقِ مـا
كـانَ التَّفَـرُّقُ قَـطُّ فـي الحُسْبـانِ(٣)

فـالـرَّبُّ ربٌّ واحـدٌ وكتـابُـهُ
حـقٌّ وفَهْـمُ الحَـقِّ منـهُ دانِ(٤)

ورسُـولُـهُ قـد أوضـحَ الحـقَّ المبيـ
ـنَ بغـايـةِ الإيضـاحِ والتِّبيـانِ

---

(١) تلقَّ أحاديث الرسول ﷺ من الكتب الصحاح وعظمها كأنَّك جالس بين يدي الرسول ﷺ مع أصحابه، فإذا سمعت كلام رسول الله ﷺ فتأدَّب معه ولتأخذك الهيبة والوقار.

(٢) جنة الحيوان: يعني جنة الحياة الكاملة، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني: الحياة الكاملة التي لا موت فيها.

(٣) الذي حمل الناس علىٰ التفرُّق والاختلاف علىٰ رسول الله ﷺ إنَّما هو التنافس علىٰ الرئاسة والمكانة بين الناس، هذا هو الذي فرَّق النَّاس.

(٤) الربُّ واحدٌ والطريق المُوصِّل إليه واحد وهو كتابُهُ وسُنَّة رسوله ﷺ فإذا كنتَ تريد أن تصل إلىٰ الله فخُذ هذا الطريق، طريق الكتاب والسُّنَّة.

مـا ثَـمَّ أوضـحُ مـن عبـارتِـهِ فـلا
يحتـاجُ سـامِعُهـا إلـىٰ تِبيـانِ(١)

والنصـحُ منـهُ فـوق كـلِّ نصيحـةٍ
والعلـمُ مـأخـوذٌ عـن الـرحمٰـنِ(٢)

فـلأيِّ شـيءٍ يَعْـدِلُ البـاغـي الهُـدىٰ
عـن قـولِـهِ لـولا عَمَـىٰ الخِـذْلانِ(٣)

---

(١) اللهُ أرسل إليك هذا الرسُول ليُبلغك ويدُلَّكَ علىٰ الله تعالىٰ فاتبعه، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢] فليس هناك كلام أوضح من كلام الله ورسوله فلا يحتاج إلىٰ ترجمة لأنَّهُ بلسانٍ عربي مبين فليس فيه ألغاز ولا أحاج أمَّا كلام غير اللهِ ورسوله فهو عُرضة للتعقيد وعدم الفهم.

(٢) لا أحد من الخلق أعلم من الرسول ﷺ ولا أفصح من الرسول ﷺ، ولا أحد من الخلق أنصح من الرسول ﷺ، فاجتمع في حقِّه ثلاثة أُمور: العلم والفصاحة والنُصح فهو أعلم الناس وأفصح الناس وأنصح الناس، وعلم الرسول ﷺ مأخوذ من الرحمٰن لأنَّ الرسول هو الواسطة لتبليغ الرسالة بين الله وبين خلقه، فالرسالة اختيارٌ من اللهِ تعالىٰ، ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فالله تعالىٰ أعلم بمن يختارُ للرسالة.

(٣) لأيِّ شيءٍ يعدلُ الإنسان عن قولِ الرسول ﷺ إذا كان يريدُ النجاة والسلامة، فمَنْ تلكَّأ عن أن يأخذ ما جاء في القرآن والسنة فإنَّه يُصاب =

فـالنَّقْـلُ عَنْـهُ مُصَـدَّقٌ والقـولُ مِـنْ
ذِي عِصْمَـةٍ مـا عِنـدنـا قَـولانِ
والعكسُ عندَ سِواهُ في الأمرين يا
مَـنْ يَهْتَـدي هـل يستـوي النَّقـلانِ[1]
تـالله قـد لاحَ الصَّبـاحُ لمَـن لَـهُ
عَينـانِ نحـو الفجـرِ نـاظـرتـانِ
وأخـو العمـايـة فـي عمـايتـه يقـو
لُ الليـلُ بعـدُ أيستـوي الـرجُـلانِ[2]

= بالزيغ، أمَّا من أقبلَ علىٰ كلام الله ورسُولِهِ برغبة ومحبة فهذا يُوَفَّق للهداية ويستنير قلبُهُ بالوحي.

(١) فما نقل عن غير الرسول ﷺ فهو عُرضَةٌ للكذبِ وعدم قول الحقِّ، فالإنسان بشر يخطىء ويُصيب، وقد يُصيبه شيءٌ من الهوىٰ ـ والعياذُ بالله ـ فهل يُسوَّىٰ هذا بالرسول ﷺ؟ ولو كان من أصلح الناس، فهو عُرضةٌ للخطأ، فكيف لو كان من أهلِ الأهواءِ والضلال، فهذا يترك الحق عن عمد، فهو كمن قال الله فيهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣] فليحذر الإنسان من أن يكون عندَهُ تردُّد عند سماع كلام اللهِ ورسُوله أو يكون في قلبه إعراض عن كلام اللهِ ورسُولِهِ.

(٢) إذا طلع الفجر فالذي بصرُهُ صحيح يرىٰ الفجر، لكن الأعمىٰ لا يرىٰ الفجر ولو كان واضحاً، كذلك المؤمن يرىٰ الحق ببصيرته وأمَّا الضال فلا يرىٰ الحق لعمىٰ قلبه.

تــاللهِ قَــدْ رُفِعَــتْ لَـك الأعــلامُ إنْ
كُنــتَ المُشَمِّــرَ نلــتَ دارَ أمــانِ(١)
وإذا جَبُنْــتَ وكنــتَ كســلانــاً فمــا
حُــرِمَ الــوصــولَ إليــه غيــرُ جَبــانِ(٢)
فَاقْدِمْ وعِدْ بالوَصْلِ نفسَك واهجُرِ الْـ
ـمَقْطُــوعَ مِنْــهُ قــاطِــع الإنســانِ
عَــن نَيْــلِ مَقْصِــدِهِ فــذاك عَــدُوُّهُ
وَلَــوَ انَّــهُ منــهُ القــريــبُ الــدانــي(٣)

* * *

(١) فأهل الحقِّ يسيرون في طريقٍ واضحٍ لا غموضَ فيه ولا تيه، وعندهم أمارات تدلُّهم علىٰ هذا الطريق، وأمَّا أهل الضلال فليس لهم طريقٌ واضحٌ يمشُون عليه، وليست لهم أعلام يهتدون بها، وإنَّما يتيهون مع الأفكار والأهواء المنحرفة، وهذا مأخوذ من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(٢) الطريق واضح، فالشجاع والقوىٰ يسير مع هذا الطريق ولا يتكاسل، والحقُّ أحبُّ إليه من كُلِّ شيء، أمَّا صاحب الشهوات والأهواء فإنَّهُ يتكاسل عن السير وإن كان الطريقُ واضحاً، فالأمر يحتاج إلىٰ جد وصبر.

(٣) عليك بالجد في السير إلىٰ اللهِ تعالىٰ، ولا تستمع لقول المرجفين والمُخَذِّلين، وكذلك لا تطع النفس الأمَّارة بالسوء.

فصل

في تيسير السير إلىٰ الله علىٰ المُثْبتين الموحدين وامتناعه علىٰ المعطِّلين والمشركين[١]

يـا قـاعـداً سـارَتْ بـه أنفـاسُـهُ
سَيْـرَ البـريـدِ وليـسَ بـالـذَّمَـلانِ[٢]

---

(١) السير إلىٰ الله تعالىٰ سهلٌ علىٰ مَن وفَّقَهم اللهُ وهم أهلُ التوحيد، والسير المرادُ به: طريق العبادة فهو سيرٌ معنوي من صلاةٍ وصيامٍ وجهادٍ في سبيل الله وأعمال صالحة بعد معرفتهم لربِّهم وأسمائِهِ وصفاتِهِ التي تحثُّهم علىٰ ذلك وتُحببُهم إليه، فإنَّ الأسماء والصفات تُحبِّب العبد إلىٰ ربِّه وتُرغبهُ في السير إليه، وأمَّا أهل الضلال فعندهم أنَّ إثبات الأسماء والصفات من التشبيه، فلا يعرفون ربَّهم، وبالتالي فلا يسيرون إليه، لأنَّهم لما عطَّلُوهُ عن الأسماء والصفات صاروا لا يعرفونه.

(٢) كل إنسان فإنه يسير إلىٰ الله سبحانَهُ وتعالىٰ: إمَّا أن يسير إلىٰ اللهِ بالعمل الصالح والجدِّ في طاعة الله عزَّ وجل، وهذا هو السير المفيد، فإن لم يسر إلىٰ الله بالعمل الصالح والجد في طاعته سارت به أنفاسُهُ وأيَّامُهُ حتىٰ تُوصِلهُ إلىٰ الله وهو علىٰ غير استعداد، فأنفاسُهُ معدودة، إذا انتهت الأنفاس انتهت الحياة، فأنتَ سائرٌ إلىٰ الله وإن لم تسر باختيارك فأنتَ يُسارُ بك، تسيرُ بك الأيام والليالي والأنفاسُ فأنت سائرٌ إلىٰ الله إمَّا برغبة أو بغير رغبة، ومعروفٌ أنَّ البريد يُسرع بالأخبار والرسائل، فأسرع الركبان هو البريد لتوصيل الرسائل والأُمور المهمة، فأيامُك تسيرُ بكَ سير البريد سيراً حثيثاً وليس بالذملان: وهو السير البطيء.

حتَّىٰ متىٰ هـذا الـرُّقَـادُ وقـد سَـرَىٰ
وفْـدُ المحبَّـةِ مـع أُولـي الإحسـانِ(١)
وحَـدَتْ بهـم عَـزَمـاتُهُـم نحـو العُـلا
لا حــادِيَ الــرُّكبــانِ والأظعــانِ(٢)
ركبـوا العـزائِـمَ واعْتَلَـوْا بظهـورِهـا
وسَــرَوْا فمــا حَنُّــوا إلـىٰ نُعمــانِ(٣)

---

(١) لماذا لا تسير مع أهل محبة الله؟ الذين عرفُوا أسماءَهُ وصفاتِهِ وأحبُّوه وأحبُّوا لقاءَهُ سبحانَهُ وتعالىٰ واستعدُّوا، لماذا تخلَّفَت عنهم؟ فما حَرَمْتَ إلاَّ نفسك ولا جنيت إلاَّ علىٰ نفسك، فلا ينفعك التوسُّل بجاه فُلان أو بحقِّ فُلان، فتوسل إلىٰ اللهِ بأعمالِك الصالحة، فلا ينفعك عملُ الصالحين ولو كانوا من أقرب النَّاس إليك. قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

(٢) من العادة أنَّ الذين يسيرون في الليل يحدو بهم الحادي بصوته حتىٰ تتبعَهُ الإبل، وحتىٰ ينشط النَّاسُ في السير في الليل، ويسمونَهُ حادي الركب، وهذا من عادَة النَّاس في الأسفار خصوصاً في الليل، يتخذون حادياً بصوتٍ شجي وبصوتٍ بليغ، وحتىٰ لا يضيع أحد فيمشون خلفه والإبل يحدوها الحادي فتتبعُ صوته إذا سمعته، لكن الصالحين لا يحدوا بهم حادي المسافرين، بل أنفسُهم هي التي تحدو بهم لرغبتها في اللهِ عزَّ وجلَّ، فهي حاديهم الذي يحدو بهم إلىٰ الله تعالىٰ، فلم يَحْدُ بهم غيرُهُم، وإنَّما عزَماتُهم ورغبَاتُهُم هي التي حدت بهم إلىٰ الله جلَّ وعلا.

(٣) ركبوا العزائم وهي جمعُ عزيمة وهي القصد والجد فجعلُوها مراكبَهُم، يسيرون بها إلىٰ الله سبحانَه وتعالىٰ، وما حنُّوا إلىٰ نُعمان: وهو اسم =

ســـارُوا رُويـــداً ثـــمَّ جـــاؤوا أوَّلاً
سَيْـرَ الـدليـلِ يَـؤُمُّ بـالـرُّكْبـانِ(١)
سارُوا بإثْباتِ الصفاتِ إليه لا التْـ
تعْطيـلِ والتَّحْـريـفِ والنُّكـرانِ(٢)

= موضع ومكان، والمعنىٰ: أنَّهُ ليس همُّهُم الديار والأماكن والمواضع يحنُون إليها كما يحنُّ الشُعراء ويتغنون بالمواضع والآثار والديار كما قال الشاعر:

كم منزل في الأرض يألفه الفتىٰ وحنينـــه أبـــداً لأوَّلِ منـــزل

فهؤلاء لا يحنون إلىٰ المنازل وإلىٰ الأطلال وإنَّما يحنون إلىٰ الله جلَّ وعلا.

(١) هذه صفة السير إلىٰ الله تعالىٰ والتي حثَّ عليها النبي ﷺ السير رويداً، فالرسول حثَّ علىٰ الاقتصاد في العبادة مع المداومة، فصفة السير إلىٰ الله تعالىٰ الوسط من غير تشديد ومن غير تساهل، فالمُنبَّت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقىٰ، وهذا السير المتوسط يكسب قطع الطريق والراحة أيضاً، فهذا هو المقتصد والمتوسط فيكسب الأمرين: قطع الطريق والراحة وعدم المشقة وكما قال الشاعر:

يـا عجبـاً مـن سيـركَ المُـدلَّـل تمشي رويداً وتجي في الأولِ

فهذا هو المتوسط، وهذا البيت الذي ذكرهُ الشيخ مقتبس من بيت هذا الشاعر، وابن القيم رحمهُ الله أديب عندَهُ إلمام بأقوال الشُعراء فهو يقتبس منها.

(٢) ساروا بإثبات أسماء الله وصفاته التي عَرَّفتهُم به، وحبَّبتُهم إليه سبحانَهُ وتعالىٰ، فهذه الأسماء والصفات هي التي عَرَّفتهُم بالله وعرَّفتهم بفضله =

عـرَفُـوهُ بـالأوصـافِ فـامتـلأتْ قُلـو
بُهُـمُ لَـهُ بـالحـبِّ والإيمـانِ
فتطـايـرَتْ تلـك القلـوبُ إليـه بـالـ
أشـواقِ إذ مُلِئَـتْ مـن العِـرفـانِ[1]
وأشـدُّهُـمْ حُبَّـاً لَـهُ أدارهُـمُ
بصفـاتِـهِ وحقـائـقِ القـرآنِ
فـالحـبُّ يَتْبَـعُ للشعـورِ بِحَسْبِـهِ
يقـوىٰ ويَضْعُـفُ ذاكَ ذو تبيـانِ[2]

= وكرمه وغضبه وبطشه، فجمعوا بين الخوفِ والرجاء، فساروا إلىٰ الله علىٰ هذا المنهاج بين الخوف والرجاء، وأمّا أهل التعطيل الذين نفوا الأسماء والصفات وقالوا: إنَّها تقتضي التشبيه والتجسيم فهؤلاء يجهلُون الله تعالىٰ ولا يعرفُونه، لأنَّهم قطعوا سبيل المعرفة باللهِ تعالىٰ، فتخلَّفُوا عن الوصول إلىٰ اللهِ تعالىٰ، فهذا فيه فائدة إثبات الأسماءِ والصفات واعتقاد صحتها، وما تدلُّ عليه، وفيه ضرر نفي الأسماء والصفات أنَّهُ يقطع عن اللهِ جلَّ وعلا.

(١) هذه ثمرة الإيمان بالأسماء والصفات، فليست هي مُجرَّد ألفاظ فقط بل هي أسماء وصفات تدلُّ علىٰ معانٍ جليلة وتُعرِّفُ باللهِ عزَّ وجل وتُعلِّق القلب بالله خوفاً ورجاءً.

(٢) لا شكَّ أنَّ أهل الإيمانِ يتفاوتُون فأشدَّهُم حباً لهُ أعرفُهُم بالله عزَّ وجل وأعلمُهم بمعاني كلامِهِ وهو «القرآن» كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] فهم أشدُّ خشية لأنَّهُم يعرفُون الله عزَّ وجل، =

وَلِذَاكَ كَانَ العَارِفُونَ صِفَاتِهِ
أَحبابَهُ هُمْ أَهلُ هذا الشَانِ(١)
وَلِذَاكَ كَانَ العَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ
أَحْبَابَهُ وبِشِرْعَةِ الإيمانِ
وَلِذَاكَ كان المنكرون لها هم الـ
أعداءُ حَقّاً هُمْ أُولُو الشَّنآنِ(٢)
وَلِذَاكَ كَانَ الجَاهِلُونَ بِذَا وذا
بُغَضَاءَهُ حَقّاً ذوِي شَنَآنِ

= ويعرفُون كلامه ومعانيه، فتزداد معرفتهم بالله، أمَّا المؤمن الذي ليس عندَهُ تمكّن في العلم فهذا لا يصل إلىٰ درجة العُلماء وإن كان علىٰ طريق خيرٍ ونجاة. وهذا بخلاف قول المرجئة الذين يقولون: الإيمان شيءٌ واحد لا يزيد ولا ينقص، فإيمان جبريل كإيمان أفسق المسلمين، فحبك لله ينبني علىٰ معرفتك بالله، فإذا كانت معرفتُكَ قوية فإنَّ حُبَّك للهِ يكونُ قوياً، وإذا كانت معرفتُكَ دون ذلك فإنَّ حُبَّكَ لله ينقص بقدر ما تجهل من حقائق الأسماء والصفات.

(١) أي هم أهل المعرفة بالله عزَّ وجلَّ هم الذين يعرفُون أسماءه وصفاته.

(٢) المنكرون لأسماء الله وصفاته هم أعداءُ الله وأهل الشنآن، يعني البُغض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ [المائدة: ٢] أي: بُغضُهُم، فهم أعداءٌ للهِ جلَّ وعلا، لأنَّهم نفوا أسماءَهُ وصفاته، وجحدوا معنىٰ كلامه، وقالوا: القرآن مخلوق، وهم أهلُ الشنآن والبغض، يُبغضُون الله عزَّ وجل ويُبغضُهم الله تعالىٰ.

وحيـاةُ قلـبِ العبـدِ فـي شيئيـن مَـنْ
يُــرْزَقْهُمــا يحيــا مــدىٰ الأزمــانِ
في هذه الدُّنيا وفي الأخرىٰ يَكُو
نُ الحــيَّ ذا الــرِّضْـوانِ والإحســانِ
ذِكْــرُ الإلٰــهِ وحُبُّــهُ مِــن غيــرِ إشـ
ــــراكٍ بِــــهِ وهُمــا فمُمْتَنِعـــانِ
مِـنْ صـاحـبِ التعطيـلِ حقّـاً كـامتنـا
عِ الطائرِ المقصوصِ مِن طَيرانِ[1]

---

(١) يكون حياً في الدنيا والآخرة من يعرف هذين الأمرين:

الأول: ذكر الإلـٰه: أن يُكثر من ذكرِ اللهِ تعالىٰ بالتسبيحِ والتهليل وقراءة القُرآنِ.

الثاني: حبّ اللهِ جلَّ وعلا، فمحبة الله تعالىٰ أعلىٰ أنواعِ العبادة، فمن رُزِق هذين الأمرين: ذكر الله تعالىٰ ومحبته فهذا هو الذي يحيا قلبُهُ في الدُّنيا والآخرة، قال ﷺ: «مثلُ الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكر ربه مثلُ الحيِّ والميت»(*) وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ومع حياة قلبه فإنَّ الله يذكرهُ في الملأ الأعلىٰ، فمن ذكر الله في ملأٍ ذكرهُ في ملأٍ خير منه يعني ـ الملائكة ـ ومن ذكر الله في نفسه ذكرَهُ في نفسه كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] والإشراك باللهِ تعالىٰ لا ينفع معهُ عمل، لا ذكر ولا غير ذكر، وكذلك صاحب التعطيل =

(*) أخرجه البخاري (٦٤٠٧) من حديث أبي موسىٰ الأشعري.

أيحبُّــهُ مَــنْ كــان يُنْكِــرُ وصْفَــهُ
وعُلُــوَّهُ وكــلامَــهُ بِقُــرانِ

لا والذي حقّاً علىٰ العرش استوىٰ
مُتَكَلِّمـاً بـالـوحـي والفُـرقـانِ(١)

اللهُ أكبــرُ ذاك فضــل الله يُــؤْ
تِيـهِ لمـن يَـرْضَـىٰ بـلا حُسبـانِ(٢)

وترىٰ المُخَلَّفَ في الدِّيارِ تقولُ ذا
إحدىٰ الأثافي خُصَّ بالحِرْمانِ(٣)

= الذي يُعطِّل أسماء الله وصفاته، هذا مثل الطير الذي كُسرت جناحاهُ لا يستطيع أن يطير، فلا يعرف ربَّهُ عزَّ وجلَّ ما دام أنَّهُ جحد أسماء الله وصفاته فلا يعرف الله بشيء.

(١) هل يحبُّ الله تعالىٰ من ينكر صفاتِ الله والقرآن ويقول: هو مخلوق وينكر علو الله علىٰ عرشه وفوق سماواته ويقول: هو في كلِّ مكان، هل هذا يحبُّ الله عزَّ وجلَّ؟.

(٢) قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] وهو يحرم من يشاء ممن لا يستحق، يحرمُهُ مِن ذكرِه ومن عبادته ومن فضله بسبب فعلِ العبد نفسِهِ.

(٣) أمَّا المتخلِّف فهو مثل الأثافي، وهي مناصب القدر التي يوضع عليها، فهي مُثبتة لا تتحرَّك، وهذا لا يتحرَّك قلبُهُ ولا جسمُهُ في عبادة الله عزَّ وجلَّ، ولا تتحرَّك عزيمتُهُ فهو ثابتٌ علىٰ بدعته وضلاله، لا يُغادرُ مكانه، وهو في طريقِ غير طريقِ الله عزَّ وجلّ.

اللهُ أكبــــرُ ذاكَ عــــدلُ الله يَقْـ
ـضِيهِ علىٰ مَن شاءَ مِن إنسانِ[١]

ولَهُ علىٰ هذا وهذا الحمدُ في الْـ
أولىٰ وفي الأخرىٰ هُما حَمْدانِ

حَمْدٌ لذاتِ الربِّ جلَّ جلالُهُ
وكذاك حَمْدُ العَدْلِ والإحسانِ[٢]

يا مَنْ تَعِزُّ عليهم أرواحُهُمْ
ويَرَوْنَ غَبْناً بَيْعَهَا بهوانِ

---

(١) العقاب عدل منه سبحانَهُ وتعالىٰ، وأمَّا الثواب فإنَّهُ فضل منه سبحانه وتعالىٰ.

(٢) يُحمَد اللهُ جلَّ وعلا علىٰ عدله وعلىٰ فضله فيُحمَد علىٰ معاقبته للكفَّار والمشركين وأصحاب الجرائم، لأنَّ هذا عدل، فهو سبحانَهُ وتعالىٰ يوقع عقوبتَهُ بمن يستحقُّها ممن خالف أمره وارتكب نهيه، واللهُ تعالىٰ يُحمَدُ لذاته ولأسمائه وصفاته ولأفعاله جلَّ وعلا، أي: يثنىٰ عليه بذلك، وأمَّا الشُّكر فإنَّه لا يكون إلا علىٰ الأفعالِ فقط، فلذاك صار الحمدُ أعمَّ من الشكر، ومن أفعاله سبحانه وتعالىٰ الجزاء علىٰ الأعمال، لا يُسوِّي بين المؤمن والكافر وبين المطيع والعاصي، بل يُجازي كلاًّ علىٰ حسب عمله، هذا هو العدل من الله تعالىٰ فلا يُعاقب المحسن ولا يُثيب المسيء علىٰ إساءته بل يوقع عليه عدله، فيثيب المحسنين ويُعاقب المسيئين، ولذا قال جلَّ وعلا: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

ويَــرَوْنَ خُســرانـاً مبينـاً بيعَهَـا

فـي إثْـرِ كـلِّ قبيحـةٍ ومُهـانِ

ويَــرَوْنَ ميـدانَ التسـابُـقِ بـارزاً

فَيُتَـارِكُـونَ تَقَحُّـمَ المَيـدانِ

ويَــرَوْنَ أنفـاسَ العبـادِ عليْهِـمُ

قَـدْ أُحْصِيَـتْ بـالعَـدِّ والحُسْبـانِ

ويَــرَوْنَ أنَّ أمـامَهُـمْ يـومَ اللِّقَـا

للهِ مسـألتـانِ شـاملتـانِ(١)

مـاذا عَبَـدْتُـمْ ثُـمَّ مـاذا قَـدْ أَجَبْـ

ـتُـمْ مَـنْ أتـىٰ بـالحـقِّ والبُـرهـانِ

---

(١) الشيخ الناظم رحمهُ الله يُخاطب النَّاس بأن يهتموا بهذا الأمرِ بعد أن وجَّه لهم النصيحة وقال: الآن تبين لكم الحق من الباطل فلا تبيعوا أنفسكم بالشهوات المُحرَّمة والغفلات والإعراض عن الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ من فعل ذلك فقد باع نفسه التي هي أعزُّ إليه من كل شيء، فباعها بالشهواتِ والمُحرَّماتِ والكسل، فباعها رخيصة، أمَّا الذي باع نفسه في طاعة الله والجهاد في سبيل الله فهذا هو الذي أكرمَ نفسه، ولذا قال تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] فهذا هو البيع الرابح.

هــاتــوا جــوابــاً للســؤالِ وهَيِّئــوا
أيضــاً صــوابــاً للجــواب يَــدانِ[(١)]
وتَيَقَّنُــوا ليْــسَ يُنْجيكُــمْ سِــوىٰ
تجْــرِيــدِكُــمْ لِحقَــائِــقِ الإيمــانِ
تجْــرِيــدُكُــمْ تــوْحِيــدَهُ سُبْحَــانَــهُ
عَــنْ شِــرْكَــةِ الشَّيْطَــانِ والأوْثَــانِ

---

(١) كلُّ الناس يوم القيامة يُسألون عن هاتين المسألتين، فمن أجاب بجوابٍ صحيحٍ فقد نجا، ومن أجاب بجوابٍ خاطىء فقد هلكَ، فيُسألون من ربكم؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ وجاء في الأثر: أنَّ مسألتين يُسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدُون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فهل تعبدون الله وحده أو تعبدون القبور والأضرحة والأشجار والأحجار والأهواء والشهوات والسلاطين والملوك وكلَّ من دعاكُم للخضوعِ له والاستكانة له. المسألة الثانية: ماذا أجبتم المرسلين، قال تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥] ما هي استجابتك للرسل، هل أطعتهم واتبعتهم؟ هل عصيتهم وخالفتهم؟ فلا نجاة إلاَّ بعد الجواب الصحيح عن هاتين المسألتين، وهما: ما هو معبودكم؟ وما هو متبوعكم؟ فهذا حاصل ما يُسأل عنهُ النَّاس يوم القيامة: العبادة والاتباع، وهذا هو معنىٰ الشهادتين شهادة ألاَّ إلـٰه إلاَّ الله، أي: لا معبود بحقٍّ إلاَّ الله، وشهادة أنَّ محمداً رسول الله، معناها لا متبوع غير رسول الله الذي تجب طاعتُهُ واتباعُهُ والانقياد له وترك مخالفته، ولا بُدَّ أن يكون جوابُكم صواباً قال تعالىٰ: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨]، فليس أيَّ جواب من حيلةٍ ومكرٍ أو كذب أو خداع فهذا كلُّه لا يقبل عند الله تعالىٰ.

وكــذاك تجــريــدُ اتبــاعِ رســولِــهِ
عَــنْ هــذِهِ الآراءِ والهَــذيــانِ[١]
واللهِ مــا يُنْجِــي الفَتَــىٰ مِــنْ ربِّــهِ
شَــيْءٌ ســوىٰ هــذا بِــلاَ رَوَغَــانِ
يــا رَبِّ جَــرِّدْ عَبْــدَكَ المسكيــنَ را
جي الفَضْلِ مِنْكَ وأضْعَفَ العُبْدانِ[٢]
لَــمْ تَنْسَــهُ وذَكَــرْتَــهُ فــاجْعَلْــهُ لا
يَنْســاكَ أنــتَ بــدأتَ بــالإحســانِ
وبــه خَتَمْــتَ فَكُنْــتَ أولــىٰ بــالجميـ
ـلِ وبالثناءِ مِنَ الجَهُولِ الجَاني[٣]
فــالعَبْــدُ ليْــسَ يَضِيــعُ بَيْــنَ فــواتِــحٍ
وخَــواتِــمٍ مِــنْ فَضْــلِ ذي الغُفْــرَانِ
أنــتَ العليــمُ بــه وقَــدْ أنشــأتَــهُ
مِــنْ تُــرْبَــةٍ هــي أضْعَــفُ الأرْكــانِ[٤]

---

(١) أي إخلاص متابعة الرسول وترك الآراء والبدع والمحدثات والخُرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان واتخذها كثيرٌ من النَّاس ديناً يتبعونه ويتوارثونه ويتواصون به، وهي مهالك ـ والعياذ بالله ـ وتركوا السنة الواضحة.

(٢) لمَّا بيَّن هذا رحمَهُ الله توجَّه إلىٰ الله بالدُّعاء حيث خاف علىٰ نفسه ودعا ربَّه في نفسه، فلا يفخر الإنسانُ بنفسِه وبعبادته ويغترّ بهذا.

(٣) بدأت بالخير فاختم لنا بالخير.

(٤) خلقت آدمَ عليه الصلاة والسلام من طين لازب وحمإٍ مسنون.

كـلٌّ عليهـا قـد عـلا وهَـوَتْ إلـىٰ
تَحْـتِ الجميـعِ بـذِلَّـةٍ وهـوانِ
وعَلـتْ عليهـا النَّـارُ حتـىٰ ظُـنَّ أَنْ
يَعْلُـو عليهـا الخَلْـقُ مِـنْ نيـرانِ[1]
وأتـىٰ إلـىٰ الأبـويـنِ ظنّـاً أنَّـهُ
سَيُصَيِّـرُ الأبـويْـنِ تَحْـتَ دُخـانِ[2]
فَسَعَتْ إلىٰ الأبويْنِ رحمتُكَ التي
وسِعَتْهُمَـا فعـلا بـك الأبـوانِ[3]
هـذا ونحـنُ بنُـوهُمـا وحلـومُنـا
فـي جَنْـبِ حِلْمِهمـا لـدىٰ الميـزانِ

---

(١) ظنَّ بعض الخلق أنَّ الذين يُخلقون من النار خيرٌ من الذين يخلقون من طين كما قاله إبليس لعنَهُ الله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢] مع أنَّ الكرامة ليست في أصل الخِلْقة وإنَّما هي في العمل، فالعمل هو الذي يُزكي الإنسان.

(٢) يعني يرتفع عليهم.

(٣) قال تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١-١٢٢] والسبب في نجاتها هو: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فاعتذرا إلىٰ الله تعالىٰ واستغفرا من الذنب فغفر اللهُ لهما، وأمّا إبليس فعصىٰ وتمرَّد فلعنَه الله وأبعدَه وطردَه، وهذا يشمل كلَّ مَن تابَ إلىٰ الله وكلَّ مَن تمرَّد علىٰ طاعة الله عز وجل.

جــزءٌ يسيــرٌ والعــدوُّ فــواحِــدٌ
لهمــا وأعْــدانــا بــلا حُسبــانِ[١]
والضَّعْفُ مُسْتَوْلٍ عَلَيْنَا مِنْ جَميعـ
ـع جَهَـاتِنَـا سيمَـا مِـنَ الأيْمَـانِ
يـا رَبِّ مَعْـذِرَةً إليْـكَ فَلَـمْ يَكُـنْ
قَصْـدُ العِبَـادِ رُكُـوبَ ذا العِصْيَـانِ
لكــنْ نُفُــوسٌ سَـوَّلَتْـهُ وغَـرَّهَـا
هــذا العَــدُوُّ لهَــا غُــرُورَ أمــانِ
فتيَقَّنَــتْ يــا ربِّ أنَّــكَ واسِــعُ الْـ
ـغُفْــرانِ ذُو فَضْــلٍ وذُو إحْسَــانِ
ومقــالُنَــا مــا قــالَــهُ الأبــوانِ قَبْـ
ـلَ مقـالـةِ العَبْـدِ الظَّلُـومِ الجَـانِـي
نحنُ الأُوْلىٰ ظَلَمُوا وإنْ لمْ تَغْفِرِ الذْ
ذَنْـبَ العظيـمَ فنحـنُ ذُو خُسـرانِ[٢]

---

(١) آدم وحواء عليهما السلام أعظم منّا عقولاً، أمّا نحن فعقولنا ضعيفة لا تُوازن عقل أبينا وأُمّنا عليهما السلام، وكذلك آدم عدوُّه واحد وهو إبليس، أمّا أعداؤنا فأكثرُ، وهم إبليس وذُريته والأهواء والشهوات وشياطين الإنس وشياطين الجن فأعداؤنا كثُر فنحن في خطرٍ أشدُّ.

(٢) هذا إشارة لما قاله آدم وحواء عليهما السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فيجب علىٰ بني آدم المبادرة إلىٰ التوبة إذا أخطؤوا اقتداء بالأبوين.

يـا ربِّ فـانْصُـرْنـا علىٰ الشيطـانِ لَيْـ
ـــسَ لنَـا بـه لـولا حِمـاكَ يَـدانِ[(١)]

* * *

(١) كما قال الله عنه: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧] فيأتيك من كُلِّ جهة وليس لك قُدرة علىٰ مُقاومته إلا بالله جلّ وعلا، ولذلك تستعيذ بالله منه استعاذة مع حضور قلب، وتكثر من الصلاة والذكر والعبادة حتىٰ يُطرد عنك وسوسة الشيطان.

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه إلا علىٰ مَنْ ليس بذي عينين[١]

والفَـرْقُ بيْنكُـمُ وبيْـنَ خُصُـومِكُـمْ
مِـنْ كُـلِّ وجْـهٍ ثَـابِـتٌ بِبَيَـانِ

مـا أنتُـمُ منهُـمْ ولا هُـمْ منكُـمُ
شَتّـانَ بيـنَ السَّعْـدِ والـدَّبْـرانِ[٢]

فـإذا دعـونـا للقُـرآنِ دَعَـوْتُـمُ
للـرأي أيـنَ الـرأيُ مِـنْ قُـرآنِ

وإذا دعـونـا للحـديـثِ دَعَـوْتُـمُ
أنتُـمْ إلـىٰ تقليـدِ قـولِ فُـلانِ[٣]

وكـذا تَلَقَّينـا نصـوصَ نبيِّنـا
بِقَبُـولِهـا بـالحَـقِّ والإذْعـانِ

---

(١) الطائفتان: طائفة الإيمان وطائفة الكفر.

(٢) ليس أهل الحقِّ كأهل الضلال ولا العكس، فهما مختلفان ومتضادَّانِ لا يجتمعان أبداً.

(٣) نحنُ ندعو إلىٰ اتباع الكتاب والسنة، وأنتم تدعون إلىٰ اتباعِ الآراء، فما أضلَّ النَّاسَ إلاّ اتباعُ رأي فلان وفلان وتركُ الكتاب والسُّنة.

مِـنْ غيـرِ تحـريـفٍ ولا جَحْـدٍ ولا
تفـويـضِ ذي جَهْـلٍ بـلا عِـرْفـانِ[١]
لكــن بــإعــراضٍ وتَجْهِيــلٍ وتَــأْ
وِيــلٍ تَلَقَّيْتُــمْ مــع النُّكْــرانِ
أنكـرْتُمُـوهَـا جَهْـدَكُـمْ فـإذا أتـىٰ
مــا لا سَبِيــلَ لَــهُ إلــىٰ نُكْــرَانِ
أعْــرَضْتُــمُ عنــه ولَــمْ تَسْتَنْبِطُــوا
منــه هُــدىً لحقــائــقِ الإيمــانِ
فــإذا ابتُلِيتُــمْ مُكْــرَهِيــنَ بِسَمْعِهــا
فَــوَّضْتُمُــوهــا لا علــىٰ العِــرفــانِ
لكِــنْ بجهــلٍ للــذي سِيقَــتْ لَــهُ
تَفْـوِيـضَ إعـراضٍ وجَهْـلِ معـانِ[٢]

---

(١) نحن تلقينا أقوالَ الرسول ﷺ بالقَبُولِ وآمنّا بها في الأسماء والصفات وفي غيرها، وأمَّا أنتم فتلقيتم الأسماء والصفات بالجحد والتأويل أو تفويض المعنىٰ، وتقولون: إنَّها تجسيم وتشبيه فهل نجتمع مع هؤلاء؟

(٢) فهم بين ثلاثة أمور: إما أن يرفضوا سماعها من الأصل ويقولوا: هذه أدلة سمعية ونحن عندنا أدلة عقلية وبراهين يقينية. هذه أدلة سمعية ليست بقطعية الثبوت ولا الدلالة فنحن لا نرد القواطع العقلية، وإذا أُكرهوا علىٰ سماعها قالوا: نؤولُها فليست علىٰ ظاهرها فنلتمسُ لها تفسيراً علىٰ مُرادنا، وإذا عجزوا عن التأويل قالوا: تُفوَّض ليس لها معنىٰ، الله أعلم بها، ومعنىٰ هذا أنَّ الله أنزل علينا ما لا نعرفُه.

فـإذا ابْتُلِيتُـمْ بِـاحْتِجَـاجِ خُصُـومِكُـمْ
أوليْتُمُــوهَــا دفْــعَ ذي صَــوَلانِ

فالجَحْدُ والإعْرَاضُ والتَّأْوِيلُ والتْـ
تَجْهِيـلُ حَـظُّ النَّـصِّ عِنْـدَ الجَـانِـي

لكِــنْ لــدَيْنَـا حَظُّـهُ التَّسْلِيـمُ مَـعْ
حُسْـنِ القَبُـولِ وفَهْـمِ ذي الإحْسَـانِ

* * *

فصل

في التفاوت بين حَظِّ المُثبتين والمعطِّلين من وحْي ربِّ العالمين(١)

ولنـــا الحقيقــةُ مِــنْ كــلامِ إلـٰهنــا
ونَصيبُكُــمْ مِنْــهُ المَجَــازُ الثــانِــي(٢)

---

(١) أراد المصنف رحمهُ الله بهذا الفصل أن يُبيِّن انتفاعَ أهل السُّنة والجماعة من نصوص الكتابِ والسُّنَّة واهتداءَهم بهما، ويُبيِّن ما حُرِم المعطلةُ من الانتفاع بالوحيين، وأنهم اتبعُوا غير الكتاب والسُّنة فلم ينتفعوا منهما، بل إنَّهم صار حظهم من الكتاب والسنة هو العبث والتأويل والتحريف لتوافق مذاهبهم، فهم لا يعتمدون علىٰ الكتاب والسُّنَّة وإنَّما يعتمدون علىٰ القواعد التي قَعَّدُوها لأنفسهم من علم المنطق والجدل والكلام، لأنَّهم يقولون: إنَّها قواعد عقلية يقينية، وأمَّا ما جاء في الكتاب والسُّنة فإنَّه إذا جاء بما يخالف هذه القواعد المنطقية فإنَّهم لا يقبلونه وإنَّما يُحرفونه عن معانيه الصحيحة ليوافق مذهبهم، وما عجزوا عن تحريفه فَوَّضُوهُ وقالوا: هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلاّ الله، ما وافق مذهبهم قبلوهُ لا لأنَّه من الكتاب والسنة بل لأنَّه يوافق مذهبهم، فهذا هو موقفهم من الكتاب والسنة، أمّا علماء المسلمين فإنَّهم يقبلون كل ما جاء في الكتاب والسُّنة علىٰ ما جاء وعلىٰ معناه ولا يُحرفُونه ولا يؤولونه بل يُبقُونَه علىٰ ما دلَّ عليه وعلىٰ ظاهره.

(٢) أهل السنة يقولون: كل كلام الله حقيقة وكذا كلام رسوله، أمّا أولئك فيقولون: هو محمولٌ علىٰ المجازِ وليس هو علىٰ ظاهره.

وقـواطِـعُ الـوَحْيَيْـنِ شـاهـدةٌ لنـا
وعليكُـمُ هَـلْ يستـوي الأمـرانِ[(١)]

وأدِلَّـةُ المعقـولِ شـاهـدةٌ لنـا
أيضـاً فقـاضُـونـا إلـىٰ البُـرهـانِ[(٢)]

وكذاكَ فطرةُ ربِّنا الرحمٰنِ شاهدةٌ
لنـا أيضـاً شُهـودَ بيَـانِ[(٣)]

وكـذاكَ إجمـاعُ الصحـابَـةِ والأُوْلـىٰ
تَبِعُـوهُـمُ بـالعِلْـمِ والإحْسَـانِ[(٤)]

---

(١) قواطع نصوص الكتاب والسنة شاهدةٌ لنا، يعني أهل السنة والجماعة بصحة ما نحن عليه، وهي شاهدة عليكم بالبُطلان، فهل يستوي الفريقان؟ مَن يشهد له الكتابُ والسُّنَّةُ أنَّه علىٰ الحقِّ ومَن يشهد عليه الكتاب والسنة أنَّه علىٰ الباطل لا يستويان.

(٢) كما أنَّ الكتاب والسُّنَّة شاهدان لنا، فكذلك العقل الصريح شاهدٌ لنا؛ لأنَّ الكتاب والسُّنَّة لا يمكن أن يُخالفا العقل الصريح فلا يتعارضان أبداً، وأمَّا العقل الفاسد فلا عبرة به، فالعقل الصريح يوافق الكتاب والسُّنَّة ولا يُخالفهما، ولذلكَ صنَّف شيخ الإسلام كتابَه المشهور: «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» وهو من أجود ما ألَّفه الشيخ رحمهُ الله.

(٣) الأمر الثالث ممَّا يشهدُ لأهل السُّنَّة والجماعة: الفطر السليمة التي سلمت من التغير لأنَّ كلَّ مولود يولد علىٰ الفطرة وهي دين الإسلام فأبواهُ يُهودانه أو يُنصرانه أو يُمجسانه، فالفطر السليمة توافق ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

(٤) الأمر الرابع ممّا يؤيِّد أهل السُّنَّة والجماعة: هو الإجماع إجماع أهل الحق من الصحابة والتابعين والقُرون الثلاثـة المفضلة علىٰ إثبات =

وكـــذاكَ إجمـــاعُ الأئمـــةِ بَعْـــدَهُـــمْ
هـــذا كـــلامُهُـــمُ بكـــلِّ مكـــانِ(١)

هــذي الشهــودُ فهــل لــدَيْكُــمْ أنتُــمُ
مِــنْ شــاهــدٍ بــالنفــيِ والنُكــرانِ(٢)

وجنــودُنــا مَــنْ قَــدْ تقــدَّمَ ذِكْــرُهُــمْ
وجُنُــودُكُــمْ فعســاكِــرُ الشيطــانِ(٣)

= الأسماء والصفات له سبحانَه وتعالىٰ، وقد قال ﷺ: «لا تجتمع أُمتي علىٰ ضلالة»(*).

(١) يعني الأئمةَ الأربعةَ أصحابَ المذاهب المتبوعة أجمعُوا علىٰ هذا ولم يخالفوا فيه، وكلام الأئمة هؤلاء مُدَوَّن وموجود في كتب السنة مثل: كتاب «شرح أُصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة» للالكائي، وكتاب «السُّنة» لابن أبي عاصم، وكتاب «الشريعة» للآجُرِّي، تحكي أقوال أئمة أهلِ العلم علىٰ هذا الشيء، وكلُّهم متفقون فليس بينُهم اختلاف ـ والحمد لله ـ.

(٢) نحنُ لنا شهود أربعة: الكتاب والسُّنَّة، والعقل والفطرة والإجماع كلها متفقة علىٰ ما ذهب إليه أهل السُّنَّة والجماعة، وأما أنتم فليس عندكم ما يشهدُ لكم، فليس عندكم إلا الأباطيل والمُراوغات والمُغالطات.

(٣) جنود أهل السنة الذين هم علىٰ هذه العقيدة هم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين والأئمة من بعدهم كُلُّهم تحت هذه الراية ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣] وأما أنتم فجنُودُكم الشياطين مِن كلِّ جَهْمِيٍّ ومعتزليّ وصوفيّ وفيلسوف وقرمطي، كلّ طوائف الضلال، هذه جنودُكم.

(*) سلف تخريجه ص٣٨٠.

وخيـامُنـا مَضْـروبـةٌ بمشـاعـرِ الْـ
ـوَحيَيْـنِ مـن خَيْـرٍ ومِـنْ قُـرآنِ
وخيـامُكُـمْ مَضْـروبَـةٌ بـالتيـهِ فـالسُّـ
ـكَّـانُ كـلُّ مُلَـدَّدٍ حَيْـرانِ[1]
هـذي شهـادَتُهُـم علىٰ مَحْصُـولِهِـمْ
عنـدَ المَمَـاتِ وقَـوْلُهُـمْ بِلِسَـانِ
واللهُ يَشْهَـدُ أَنَّهـم أيضـاً كـذا
تَكْفِـي شهـادةُ رَبِّنـا الـرحمٰـنِ[2]
ولنا المَسانِدُ والصِّحاحُ وهذه السُّـ
ـنَنُ التـي نـابَـتْ عـن القُـرآنِ

---

(١) خيامُ أهلِ العقيدة الصحيحة مضروبة علىٰ الوحيين: الكتاب والسُّنَّة، والمشاعر: أعلام الحق، وأمَّا خيامِ أهل الباطل فهي منصوبة علىٰ التيه فليس عندهم دليل فهم تائهون في الصحراء والبراري، فليس عندهم ما يدلُّهم علىٰ الحق، مثل أصحاب التيه، ويشهد لذلك ما ذكرَه أساطينهم كالرازي عند وفاته، والشهرستاني كما في كتابه «الملل والنحل»، ومثل ما قال غيرهما من أساطين علماء الكلام أنَّهم عندما حضرهم الموت اعترفُوا أنَّهم ليسُوا علىٰ حق وكلامهم مُدوَّن، وذكر شيخ الإسلام في «الحموية» شيئاً من نصوصهم حيث اعترفوا أنَّهم ليسوا علىٰ شيء.

(٢) واللهُ علىٰ كلِّ شيء شهيد، يشهد علىٰ أهل الحقِّ وعلىٰ أهلِ الباطل فلا يخفىٰ عليه شيء.

ولكُـمْ تصـانيـفُ الكـلامِ وهـذِهِ الْـ
آراءُ وهْـــيَ كثيـــرةُ الهَـــذَيـــانِ(١)
شُبَـــهٌ يُكَسِّـــرُ بَعْضُهـــا بَعْضـــاً كبيـ
ـــتٍ مِـن زجـاجٍ خـرَّ لـلأركـانِ(٢)
هـلْ ثَـمَّ شَـيءٌ غيـرَ رأيٍ أوْ كـلا
مِ بـــاطـــلٍ أوْ منطـــقِ اليـــونـــانِ

---

(١) نحن نعتمد علىٰ كتب السُّنَّة: الصحاح كصحيح البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان، والمسانيد كمسند الإمام أحمد وأبي داود الطيالسي، وكتب السنن الأربع كالترمذي وأبي داود وابن ماجه والنسائي، فالمسانيد هي الكتب التي تذكر الأحاديث التي رواها كلُّ صحابي علىٰ حدة، وأمَّا الصحاح فهي الكتب التي التزم أصحابُها فيها الصحة، وأمّا السُّنن: فهي الكتب التي أُلِّفت علىٰ أبواب الفقه، وأمّا أنتم فتعتمدُون علىٰ تصانيف علم الكلام مثل كتاب الجويني الإرشاد، والجوهرة، وكلُّها علىٰ قواعد علم الكلام، وليس فيها قال الله وقال رسوله، وإنَّما فيها قواعد منطقية وبراهين تسمونها عقلية فهذه هي عمدتهم.

(٢) الشبه المتعارضة مليئة بها مؤلفاتهم، يُكسِّرُ بعضها بعضاً؛ لأنَّها آراءُ رجال، وهي ليست معصومـة، واللهُ تعالىٰ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ولذا قال الشاعر:

حججٌ تهافتُ كالزجاجُ تخالها حَقّاً وكلٌّ منها كاسر مكسور

وَنَقُـولُ قَـالَ اللهُ قَـالَ رسـولُـهُ
فـي كـلِّ تصنيـف وكُـلِّ مكـانِ[١]

لكـنْ تقـولُـوا قـال آرِسْطُـوا وقـا
ل ابـنُ الخطيـبِ وقـال ذُو العِرفـانِ

شيخٌ لكُم يُدعَىٰ ابنَ سينا لم يَكُنْ
متقيِّـداً بـالـدِّيـنِ والإيمـانِ[٢]

وَخِيـارُ مـا تـأتـون قـالَ الأشعـريْ
يُ وتشهـدون عليـه بـالبُهتـانِ[٣]

---

(١) هل في كتبكم إلاّ الآراء، إمّا آراء الفلاسفة كابن سينا والفارابي وأرسطو من أساطين اليونان وإمّا من أساطين المتكلمين كالرازي والجويني وفلان وعلان فهذا هو محتوىٰ كتبهم، وأمّا تصانيف أهل السنة فإنَّهم يعتمدون فيها علىٰ القُرآن والسنة فلا يعتمدون علىٰ قواعد المنطق وعلم الكلام.

(٢) أرسطو من الفلاسفة، وابن الخطيب هو الرازي لأنَّ أباهُ كان خطيب الري، وابن سينا هو الفيلسوف الذي كان من الشيعة الباطنية وهو قد ادَّعىٰ الإسلام، وهو من أئمة الباطنية، وتصانيفه فيها من الضلال والتشكيكات الشيء الكثير وقد نقضها وردَّ عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتبه.

(٣) أحسن ما عندكم هو: أبو الحسن الأشعري الذي رجع لمذهب أهل السنة والجماعة وصرتم تعيبون عليه رجوعه. هذا أحسن ما عندكم، وهم الآن ينكرون رجوع الأشعري ولا يرتضون رجوعه وهو ثابت كما في «الإبانة عن أُصول الديانة» أثبت فيه أنَّه علىٰ طريقة الإمام أحمد رحمه الله، وأنَّ الله فوق مخلوقاته مستوٍ علىٰ عرشه.

فـــالأشعـــريُّ مُقَـــرِّرٌ لعُلُـــوِّ رَبْـ
بِ العرشِ فوق جميعِ ذي الأكوانِ
فـي غـايـةِ التقـريـرِ بـالمعقـولِ والْـ
ـمنقـولِ ثـم بفطـرةِ الـرحمٰـنِ[١]
هـذا ونحـنُ فتـاركـو الآراءِ للنْـ
نَقْـلِ الصحيـحِ ومُحْكَـمِ الفُـرقَـانِ
لَكِنَّكُـمْ بـالعكـسِ قَـدْ صَـرَّحْتُـمُ
ووَضَعْتُـمُ القـانـونَ ذا البُهتـانِ[٢]
والنفيُ عنـدَكُـمُ علىٰ التفصيـلِ والـ
إثبـاتُ إجمـالاً بـلا نُكـرانِ[٣]

---

(١) راجعوا كتابه «الإبانة» و«مقالات الإسلاميين» وكل منهما مطبوع ومُتداول.

(٢) أهل السُّنَّة لا يعدلون بالكتاب والسنة شيئاً حتىٰ ولو كانت الآراء المخالفة لعلماء أفاضل، فإذا عارضت الكتاب والسنة فإنَّهم يردونها؛ لأنَّ هذا المخالف ليس بمعصوم، فإذا كانوا يردُّون قولَ أهل الفضلِ من العلماء، فكيف لا يَردّون قول الفلاسفة وعلماء الكلام والباطنية وغيرهم، وأمَّا أنتم فبعكس ذلك تقبلون أقوال أئمتكم وتردون نصوص الكتاب والسُّنَّة.

(٣) خالفتم ما جاء في القرآن، فالقرآن جاء بإثبات مفصل لصفات الكمال لله عزَّ وجل، وجاء بنفي النقائص عن الله نفياً مجملاً كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: لا أحد يُساويه ويشاركه، والقرآن جاء بالنفي المُجمل والإثبات المُفصَّل، وأمَّا أنتم فبالعكس فنفيتم مفصلاً وأثبتم =

وَالمُثْبِتُونَ طَرِيقُهُمْ نَفِيٌّ عَلَىٰ الْـ
إجمالِ والتفصيلِ بالتِّبيانِ[١]

فَتَدَبَّرُوا القُرآنَ مَعْ مَنْ مِنْكُما
وشَهادةَ المَبْعُوثِ بالقُرآنِ

وعَرَضْتُمُ قولَ الرسولِ علىٰ الذي
قالَ الشيوخُ ومُحْكَمِ الفُرْقَانِ[٢]

فالمُحْكَمُ النَّصُّ الموافِقُ قَوْلَهُمْ
لا يَقْبَلُ التأويلَ في الأذهانِ[٣]

لكنَّما النَّصُّ المُخالِفُ قَوْلَهُمْ
مُتَشابِهٌ مُتَأَوَّلٌ بمَعانِ

= مُجملاً، تقولون: اللهُ لا داخل العالم ولا خارجه ولا يمين ولا شمال ولا فوق ولا تحت، فتصفون الله بالسلوب والنفي المُفصَّل، وأما الإثبات فلا تُثبتون له إلاّ ذاتاً مجردةً من الصفاتِ، فكل عقائدهم نفي الكمال عن الله تعالىٰ ممَّا يؤول إلىٰ العدم لأنَّه يستحيل وجود ذات مجرَّدة بدون صفات.

(١) هذا هو طريق الكتاب والسُّنّة، الإثبات لله في الأسماء والصفات مُفصَّلاً والنفي عن الله مُجملاً.

(٢) جعلتم أقوال عُلمائكم هي الحَكَم علىٰ الكتاب والسنة، وأمَّا أهلُ السُّنَّة فبالعكس، عرضُوا أقوال الشيوخ علىٰ الكتاب والسُّنَّة فما وافق الكتاب والسُّنَّة قبلوه، وما خالفهما ردُّوه ولو كان صادراً عن أفضلِ العلماء.

(٣) فعندكم أن الذي يوافق قول علماء الكلام لا يقبل التأويل، والذي يُخالف رأيهم يُسلِّطُون عليه التأويل والتفويض والتضعيف في سنده.

وإذا تَـأَدَّبْتُـمْ تقـولـوا مُشْكِـلٌ
أَفَـواضِـحٌ يـا قـومُ رأيُ فـلانِ(١)

واللهِ لـو كـانَ المـوافـقَ لـم يَكُـنْ
مُتَشـابهـاً مُتـأَوَّلاً بلسـانِ(٢)

لكِـنْ عَـرَضْنـا نحـنُ أقـوالَ الشُّيـو
خِ علىٰ الـذي جاءَتْ بـه الـوَحْيـانِ

مـا خـالَـفَ النَّصَّيْـنِ لـم نَعْبَـأْ بِـهِ
شيئـاً وقلنـا حَسْبُنـا النَّصَّـانِ(٣)

والمُشْكِـلُ القَـوْلُ المُخـالِـفُ عنـدَنـا
فـي غَـايَـةِ الإشكَـالِ لا التِّبْيَـانِ

والعـزْلُ والإبقـاءُ مَـرْجِعُـهُ إلـىٰ الْـ
آراءِ عنـدَكُـمُ بـلا كِتْمـانِ(٤)

---

(١) يعني رأي فلان عندكم ليس بمُشكل وكلام الله مُشكل.

(٢) لو كان يوافق هواكم لما قلتم: إنَّ هذا متشابه أو هذا مؤول.

(٣) أما نحن معشر أهل السنة ما خالف الكتاب والسنة لا نقبلُهُ ولو قال به من قال من أفاضل العُلماء، والأئمة يوصون بذلك، فنحنُ يكفينا النصان من الكتاب والسنة.

(٤) أما أنتم ما خالف مذهبكم من النصوص عزلتموهُ ولم تقبلوه وما وافق قبلتموه.

لَكِــنْ لــدينــا ذاكَ مَــرْجِعُــهُ إلــىٰ
قَــوْلِ الــرسـولِ ومُحْكَــمِ القُــرآنِ[١]

والكفــرُ والإســلامُ عيــنُ خِــلافِــهِ
وَوِفَــاقُــه لا غيــرُ بــالبُــرهــانِ

والكفْـرُ عنـدكـم خـلافُ شيـوخِكُـمْ
ووِفَــاقُهُــمْ فحقيقَــةُ الإيمــانِ[٢]

هــذي سبيلُكُــمُ وتلــكَ سبيلُنــا
فــالمــوعــدُ الــرحمٰــن بعْــدَ زمــانِ

وهنــاكَ يُعْلَــمُ أيُّ حِــزْبَيْنَــا علــىٰ الْـ
ـحــقِّ الصــريــحِ وفِطْــرَةِ الــدَّيَّــانِ[٣]

فــاصْبِــرْ قليــلاً إنَّمــا هــي ســاعــةٌ
فــإذا أُصِبْــتَ ففــي رِضــا الــرحمٰــنِ

---

(١) فنحنُ عندنا الحَكَم هو الكتاب والسُّنة، وأمَّا أنتم فالحَكَم عندكم قول فلان وفلان، فهذا هو الفرق بيننا وبينكم.

(٢) الكفر عندنا مخالفة الكتاب والسُّنَّة، والإسلام موافقة الكتاب والسنة، وأمَّا الكفر عندكم فمخالفة شيوخكم، والإسلام هو موافقة شيوخكم، فهذا هو الفرق بيننا وبينكم.

(٣) فاللهُ يحكم بين عبادِه فيما كانوا فيه يختلفون يوم القيامة، ويحكم الله به بين الفريقين، ويتبين هناك من هو المُحِقّ والمُبطل.

١٠٠٤

فـالقـومُ مِثْلُـكَ يـألمـون ويصبِـرُوْ
نَ وصَبْـرُهُـمْ فـي طـاعَـةِ الشيطـانِ[1]

* * *

(١) يُقال لأهل الحقِّ التزموا الصبر علىٰ أذىٰ أهل الباطل ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥] فالدنيا عمرها قليل من نصيب الآخرة، ولذا قال جلَّ وعلا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فالصبر هو رأسُ الدينِ فلا بُدَّ من الصبر، ومقامُه عظيم، فالذي علىٰ الحقِّ سيُبتلىٰ، فلا بد من الصبر. ويقول تعالىٰ: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ﴾ [النساء: ١٠٤] فهم يصبرون لأنَّهم في رضا الشيطان، وأهل الحقِّ يصبرون لأنَّهم في رضا الرحمٰن.

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المُنزَّل من السماء عن تقليد الرجال والآراء(١)

يـا طـالـبَ الحـقِّ المبيـنِ ومُـؤْثـراً
عِلْـمَ اليقيـنِ وصِحَّـةَ الإيمـانِ

اسْمَـعْ مقـالـةَ نـاصـحٍ خَبِـرَ الـذي
عنـدَ الـورَىٰ مُـذْ شَـبَّ حتـىٰ الآنِ(٢)

مـا زالَ مُـذْ عَقَـدَتْ يـداه إزارَهُ
قـد شَـدَّ مِيـزَرَهُ إلـىٰ الـرحمٰـنِ(٣)

وتَخَلُّـلُ الفتـراتِ للعَـزَمـاتِ أمْـ
ـرٌ لازمٌ لطبيعَـةِ الإنسـانِ(٤)

---

(١) أغنانا الله تعالىٰ بالقرآن والسنة عن اتباع الأقوال والآراء. قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

(٢) يعني نفسه رحمهُ الله، يقول: أنَّه خَبِرَ ما عند النَّاس من الأقوال والاعتقادات، ودَرَسَ ما جاء في الكتاب والسنة، فهو رحمهُ الله يخبرك عن علم لا عن ظنٍّ بل عن علمٍ وتجربة.

(٣) لأنَّه رحمه الله منذُ ميَّز فإنَّه يتعلَّم ويتفقه في دين الله فهو لم يقل عن غير علم.

(٤) يقول رحمهُ الله: قد يحصل منِّي فتور وكسل لكن هذه طبيعة الإنسان وهذا من باب عدم تزكية النفس.

وتَـولَّـدُ النقصـانِ مِـن فتـراتِـهِ
أوَ لَيْسَ سائِرُنا بني النُّقْصانِ[١]

طـافَ المـذاهِـبَ يبتغي نـوراً ليَهْـ
ـدِيـهِ ويُنْجيـه مـن النيـرانِ

وكـأنَّـهُ قـد طـافَ يبغـي ظلمـةَ الـ
ـلَيْـلِ البهيـمِ ومَـذْهَـبَ الحيـرانِ

والليـلُ لا يـزدادُ إلاَّ قـوَّةً
والصبْـحُ مقهـورٌ بـذي السلطـانِ

حتَّـىٰ بَـدَتْ فـي سَيْـرِهِ نـارٌ علـىٰ
طُـوْرِ المـدينـةِ مَطْلَـعِ الإيمـانِ[٢]

---

(١) هذا منه رحمهُ الله عدم تزكيةٍ لنفسه لكنَّه يقول: إنَّه في الجملة اعتنىٰ بهذا الأمر ودرسه وليس معنىٰ هذا أنَّه أحاط بكل شيء.

(٢) يقول رحمهُ الله: إنِّي درست مذاهب المتكلمين والفلاسفة ومذهب أهل السنة حتىٰ تبين لي نارٌ علىٰ جبل، وهذه النَّار هي نار الوحي، ومن عادة العرب أنَّهم يوقدون النار علىٰ رؤوس الجبال لأجل هداية السائرين، فالذي يدرس هذه المذاهب مثل الذي يسير في ظلمة الليل. لا يدري الطريق الصحيح من الحفر والشوك، لكن بدت له نارٌ علىٰ مُرتفع فذهب إليها، وإذا هذه النار هي مدينة الرسول ﷺ منبع الإيمان والوحي، وهذا تشبيهٌ بقصة موسىٰ لما ذهب بأهله وأصابهم البرد وأضاعوا الطريق، رأىٰ ناراً فذهب إليها ليقتبس منها ناراً يوقد منها ناراً يصطلُون عليها، ويسأل عن الطريق الذي يذهب به إلىٰ مصر، وكانت هذه النار التي رءاها ابن القيم =

فـأتـىٰ لِيَقْبِسَهَـا فلَـمْ يُمْكِنْـهُ مَـعْ
تِلْـكَ القُيُـودِ منَـالُهَـا بِـأمَـانِ
لـولا تَـدَارَكَـهُ الإلـٰهُ بِلُطْفِـهِ
ولَّـىٰ علـىٰ العَقِبَيْـنِ ذا نُكْصَـانِ
لكـنْ تـوَقَّـفَ خَـاضِعـاً مُتَـذَلِّـلاً
مُسْتَشْعِـرَ الإفـلاسِ مِـنْ أثْمَـانِ
فـأتَـاهُ جُنْـدٌ حَـلَّ عَنْـهُ قُيُـودَهُ
فـامْتَـدَّ حِينَئِـذٍ لَـهُ البَـاعَـانِ
واللهِ لـوْلا أنْ تُحَـلَّ قُيُـودُهُ
وتَـزُولَ عَنْـهُ رِبْقَـةُ الشَّيْطَـانِ
كـانَ الـرُّقَـىٰ إلـىٰ الثُّـرَيَّـا مُصْعِـداً
مِـنْ دُونِ تِلْـكَ النَّـارِ فـي الإمْكَـانِ
فـرأىٰ بِتِلْـكَ النَّـارِ آطَـامَ المَـدِيـ
ـنَـةِ كـالخِيَـامِ تَشُـوفُهَـا العَيْنَـانِ
ورأىٰ هُنـالِـكَ كُـلَّ هَـادٍ مُهْتَـدٍ
يَـدْعُـو إلـىٰ الإيمـانِ والإيقَـانِ
فَهُنـاكَ هنَّـأ نَفْسَـهُ مُتَـذَكِّـراً
مـا قَـالَـهُ المُشْتَـاقُ مُنْـذُ زمَـانِ

= نار الهُدىٰ والوحي، وابن القيم رحمهُ الله أديبٌ كبير ويسوق الكلام ويُحسن التعبير ويقتبس فهو من كبار الأدباء.

والمُسْتَهَـامُ علـىٰ المَحبَّـةِ لَـمْ يَـزَلْ
حَـاشَـا لِـذِكْـرَاكُـمْ مِـنَ النِّسْيَـانِ
لـوْ قِيـلَ مـا تَهْـوىٰ لقَـالَ مُبَـادِراً
أهْـوىٰ زِيَـارَتَكُـمْ علـىٰ الأجْفَـانِ
تـاللهِ إنْ سَمَـحَ الـزَّمَـانُ بِقُـرْبِكُـمْ
وحَلَلْـتَ مِنْكُـمْ بـالمَحَـلِّ الـدَّانِـي
لأُعفِّـرَنَّ الخَـدَّ شُكْـراً فـي الثَّـرَىٰ
وأُكَحِّلَـنَّ بِتُـرْبِكُـمْ أجْفَـانِـي
إنْ رُمْتَ تُبْصِرُ ما ذَكَرْتَ فَغُضَّ طَرْ
فـاً عَـنْ سِـوىٰ الآثـارِ والقُـرآنِ[1]
واتْـرُكْ رُسُـومَ الخَلْـقِ لا تَعْبَـأْ بهـا
في السَّعْدِ ما يُغْنيكَ عَنْ دَبْرانِ[2]

---

(١) يقول: إذا أردت أن تصل إلىٰ الهُدىٰ فلا تنظُر إلاّ إلىٰ الكتاب والسنة مثل الذي حصل لي لمّا اهتديت إلىٰ أعلام المدينة، ولقيت أهلها من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، واطمأننت بعد الحيرة، وأنست بعد الوحشة بلقياهم. إذا كنت تريد هذا فعليك أولاً: بالصبر والتحمُّل، وثانياً: بأن تغمض عيونك عن الشبهات والشكوك وأقوال النَّاس، ولا تنظر إلاّ إلىٰ الوحي حتىٰ تصل إلىٰ الحق.

(٢) يعني: سعد السعُود ونظمُهُ هذا من باب الأدب الرفيع والتشبيه البليغ، فهو يقول: إنَّ هناك نجماً يُسمَّىٰ سعد السعود يُغنيك عن دبران وهو نجم خفي يخرج خلف الثُريا، وسعد السعُود واضح وبيِّن، فهذا النجم الواضح يُغنيك عن هذا النجم الخفي.

حَدِّقْ بقلبِكَ في النصوصِ كمثل ما
قَدْ حَدَّقُوا في الرأيِ طُولَ زمانِ[1]

واكْحَلْ جُفونَ القلبِ بالوَحْيَيْنِ واحْـ
ــذَرْ كُحْلَهُـمْ يـا كثـرةَ العُميـانِ[2]

فــاللهُ بيَّــن فيهمــا طُــرُقَ الهُــدىٰ
لِعبــادِهِ فــي أحســنِ التِّبيــانِ[3]

لــم يُحْــوِجِ اللهُ الخــلائــقَ مَعْهُمــا
لخيــالِ فَلْتــانٍ ورأيِ فُــلانِ[4]

فــالـوَحْـيُ كـافٍ للـذي يُعْنَـي بـه
شَــافٍ لــداءِ جَهــالَــةِ الإنســانِ[5]

---

(١) يعني تدبّر النصوص فلا تقرأها وأنت غافلٌ لا تتدبرها، ولذا قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] فالتدبُّر للنصوص يجعل الإنسان يقتدي وينتفع بها.

(٢) عيون القلب هي التي تُبصر الهدىٰ فالقلب إمّا أنَّه يُبصر أو أنَّه يعمىٰ، فالبصر بصر القلب والعمىٰ عمىٰ القلب، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

(٣) أي: بالكتاب والسنة، وهذا البيان يحتاج إلىٰ تدبُّر وتأمُّل وسؤال أهل العلم.

(٤) أغنىٰ الله سبحانه وتعالىٰ الخلائق عن الأقوالِ والآراء بالكتابِ والسُّنَّة.

(٥) لأن اللهَ جعلَه شفاء قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] شفاءٌ للقلوب من =

وتفـاوتُ العُلمـاءِ فـي أفهـامِهِـمْ
للـوحـي فـوقَ تفـاوُتِ الأبـدانِ[1]
والجَهْـلُ داءٌ قـاتـلٌ وشِفـاؤُهُ
أمـرانِ فـي التـركيـبِ مُتَّفِقـانِ
نـصٌّ مـن القـرآنِ أو مِـنْ سُنَّـةٍ
وطبيـبُ ذاك العـالـمُ الـرَّبّـانـي[2]

= الشكوك والأوهام والشرك والعقائد الباطلة، وشفاءٌ للأبدان من الأمراض الحسِّية والمعنوية، فهو شفاء حسيّ ومعنويّ.

(١) العُلماء ليسوا علىٰ وتيرةٍ واحدة، منهم من يُوفَّق لفهم ثاقب وفقهٍ غزير ويستوعب من الكتاب والسنة الشيء الكثير، ومنهم من يستوعب شيئاً قليلاً، ومنهم المتوسط، فهو فضل الله يؤتيه من يشاء، فأفهام العلماء متفاوتة، كما أن أجسام بني آدم متفاوتة، فمنهم الصحيح ومنهم السقيم ومنهم المعتل وهكذا.

(٢) الجهل داءٌ قاتل بلا شك لكن له علاج وطبيب، فالعلاج وحدَه لا يكفي فلا بُدَّ من طبيب يُرشد إلىٰ طريقة الاستعمال، فالعلاج موجود وهو الكتاب والسنة، مثل ما تُركَّب الأدوية بعضُها مع بعض، وهذا يكون بمراجعة العلماء وسؤالهم، فلا تعتمد علىٰ فهمك وكتبك، بل لا بُدَّ من مراجعة أهل العلم والجلوس عندهم في الحلقات، فلا يصلح أبداً أن نأخذ العلم بدون مُعلِّم، كما أنَّ الدواء لا يؤخذ إلا بمشاورة طبيب، ولا بُدَّ أن يكون العالم ربانياً؛ لأن العُلماء منهم من يكون من عُلماء الضلال، لكن عليك بالعالم التقي سليم العقيدة والنية والقصد، والرباني: الذي يُربي النَّاس علىٰ الحقِّ، قال ابن عباس: الرباني: الذي يُعلِّم النَّاس =

والعلـــمُ أقســـامٌ ثـــلاثٌ مـــا لَهـــا
مِـــن رابـــعٍ والحـــقُّ ذو تِبيـــانِ
عِلْـــمٌ بـــأوصـــافِ الإلـٰــه وفِعْلِـــهِ
وكـــذلـــكَ الأسمـــاءُ للـــرحمٰـــنِ
والأمـــرُ والنَّهْـــيُ الـــذي هـــو دِينُـــهُ
وجَـــزاؤُهُ يـــومَ المَعـــادِ الثـــانـــي
والكـــلُّ فـــي القـــرآنِ والسُّنَـــنِ التـــي
جـــاءَتْ عـــن المبعـــوثِ بـــالفـــرقـــانِ[١]

= صغار العلم قبل كباره. والرباني: هو المربي الذي يُحسن التعليم شيئاً فشيئاً، يُعلِّم النَّاس المسائل شيئاً فشيئاً، هذه هي الطريقة الصحيحة فلا بد من التدرُّجِ في طلب العلم شيئاً فشيئاً.

(١) تكلَّم الشيخ رحمهُ الله عن العلم والجهل والمراد بالعلم هنا: العلم الشرعي، هذا إذا أُطلق، وأمَّا غيرُه فيُقيَّد فيُقال: علم الهندسة والزراعة، ولا يُطلق، لأنَّ الإطلاق يكون خاصّاً بالعلم الشرعي، والعلم كما عرَّفهُ الأصوليون: تصوُّر الشيء المعلوم علىٰ ما هو عليه في الواقع، والجهل: تصوُّر الشيء علىٰ خلاف ما هو عليه في الواقع، والجهل ينقسم إلىٰ قسمين:

الأول: جهلٌ بسيط.

الثاني: جهلٌ مُركَّب، والمُركَّب أشد وأخطر من البسيط، والجاهل البسيط: هو الإنسان لا يدري ويعرف أنَّه لا يدري، وهذا يزول بالتعلُّم، لذا سُمي بالبسيط؛ لأنَّه يمكن علاجُه بالتعلُّم. =

والله مـا قـالَ امـرؤٌ مُتَحَـذْلِـقٌ
بِسـواهُمـا إلَّامـن الهَـذَيـانِ[١]

= وأما الجهل المركب فهو أن يكون الإنسان لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري، فيظن أنَّه عالم، فهو جاهلٌ بالشيء فيرىٰ أنَّه عالم فلا يتعلَّم ولا يسأل غيره، وهذا صعب وقلَّ من يسلم منه إلاّ من وَفَّقَهُ الله للرجوع إلىٰ الحقِّ وإلاّ فإنَّه يتعصب لجهله.

ولذا قال الشاعر:

قـال حمـارُ الحكيـم تـومـا   لو أنصف الدهرُ كنتُ أركب
لأننـي جـاهـلٌ بسيـطٌ   وصـاحبي جـاهـلٌ مـركَّـب

وأمَّا العلم فهو علىٰ أقسام ثلاثة:

الأول: علم التوحيد، وأشار إليه الشيخ بقوله:

عِلْمٌ بأوصاف الإلـه وفعله   وكـذلـك الأسمـاءُ للـرحمٰـن

وهذا هو الأصل وهو المهم، وهو الذي من أجله أرسل اللهُ الرسل وأنزل الكتب.

الثاني: علمٌ بالأوامر والنواهي، والحلال والحرام والأحكام في المعاملات والأخلاق وفي جميع الأمور.

الثالث: علم اليوم الآخر، وهو يوم القيامة وما يكون فيه من الحساب والميزان والصحف والصراط والجنَّة والنار، وكل هذه الأقسام الثلاثة جاءت في الكتاب والسنة، وهذا التقسيم حاصر لجميع أقسام العلم وليس هناك قسمٌ رابع.

(١) المُتحذلق: من ادَّعىٰ الحذق وهو ليس كذلك، ويدعي أن هناك علماً شرعياً في غير الكتاب والسُّنَّة.

إنَّ قُلْتُمُ تَقْرِيرُهُ فمُقَرَّرٌ
بأَتَمِّ تقريرٍ من الرَّحْمٰنِ
أَوْ قُلْتُمُ إيضاحُهُ فمُبَيَّنٌ
بأَتَمِّ إيضاحٍ وخَيْرِ بيانِ
أَوْ قُلْتُمُ إيجازُهُ فهو الذي
في غايةِ الإيجازِ والتِّبيانِ(١)
أَوْ قُلْتُمُ معناهُ هذا فاقْصِدُوا
مَعْنَىٰ الخطابِ بعينه وعِيانِ(٢)
أَوْ قُلْتُمُ نَحْنُ التَّراجِمُ فَاقْصِدُوا الْـ
ـمَعْنَىٰ بِلاَ شَطَطٍ ولا نُقْصَانِ
أو قلتُمُ بخلافِهِ فكلامُكُمْ
في غايةِ الإنكارِ والبُطلانِ(٣)
أو قلتُمُ قِسْنا عليه نَظيرَهُ
فقياسُكُمْ نوعانِ مُختلفانِ

---

(١) جميع هذه الأقسام الثلاثة موجودة في الكتاب والسنة لكن معرفة ذلك تحتاج إلىٰ تعلُّم وبصيرة.

(٢) إن طالبتم ببيان المعنىٰ، فالمعنىٰ واضحٌ لمن تدبَّر وأحضر قلبَه، وإنَّما يخفىٰ المعنىٰ علىٰ من لا يتدبَّر كلام الله ورسوله.

(٣) من يدعي أنَّ علم التوحيد يؤخذ من غير الكتاب والسنة، أو أنَّ علم الحلال والحرام يؤخذ من غير الكتاب والسُّنَّة، أو أنَّ أمور الآخرة تؤخذ من غيرهما فهذا في غاية البطلان.

نــوعٌ يُخـالـفُ نَصَّـهُ فهـو المُحـا
لُ وذاكَ عنــــدَ اللهِ ذو بُطــــلانِ
وكــلامُنــا فيــه وليــس كــلامُنــا
فــي غيــرِهِ أعنــي القيــاسَ الثــانــي
مــا لا يُخـالـف نصَّـهُ فـالنَّـاس قـد
عَمِلُـوا بـه فـي سـائـرِ الأزمـانِ[1]
لكنَّــهُ عنــد الضَّــرورَةِ لا يُصــا
رُ إليـــه إلاَّ بعـــدَ ذا الفُقْـــدانِ[2]

---

(١) الأدلة عند الأصوليين علىٰ قسمين:
١ ـ قسمٌ متفقٌ عليه.
٢ ـ وقسمٌ مختلفٌ فيه.
فالمتفق عليه:
الكتاب. السنة. الإجماع.
وقسم مختلف فيه هو القياس: وهو إلحاقُ فرع بأصل في حُكْمٍ لعلَّةٍ جامعةٍ بينهما، فالجمهور علىٰ أنَّه دليلٌ يُستدلُّ به وهو الصحيح، والظاهرية ينكرون القياس وإنكارهم ليس بصحيح، فالقياس موجود في الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم، وهناك أدلة أيضاً مختلف فيها كقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والمصالح المرسلة، وأما القياس الفاسد فهو المخالف للنصّ فلا يصحّ الاستدلالُ به.
والقياس الصحيح الذي هو علىٰ وفق الضوابط، هذا ما عليه جمهور النَّاس في سائر الأزمان، وإنَّما أنكرهُ الظاهرية.
(٢) لا يُستدل بالقياس إلاّ إذا لم يوجد دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع، =

هـذا جـوابُ الشـافعـيِّ لأحمـدِ

للهِ دَرُّكَ مِـن إمـامِ زمـانِ[(١)]

واللهِ مـا اضْطَـرَّ العبـادُ إليـه فيـ

ـمـا بينَهُـمْ مـن حـادِثٍ بـزمـانِ[(٢)]

فـإذا رأيـتَ النـصَّ عنـه سـاكتـاً

فسكـوتُـهُ عَفْـوٌ مـن الـرحمٰـنِ[(٣)]

= والإمام أحمد رحمَه الله مشهورٌ عنه تقديم الحديث الضعيف علىٰ القياس، فالقياسُ إنَّما يُحتاج إليه عند الضرورة وبقدر الحاجة.

(١) الإمام الشافعي: هو محمد بن إدريس، وهو من الأئمة الأربعة وهو شيخ للإمام أحمد، فالشافعي قال للإمام أحمد: «إنّ القياس لا يُحتاج إليه إلاّ عند الضرورة».

(٢) يعني لو عمل الناس بهذه القاعدة، صار الاستدلال بالقياس قليلاً جدّاً، لأنَّ الأدلة المتفق عليها تُغني، فيُصار إلىٰ القياس عند الضرورة مثل: الميتة للمضطر.

(٣) لأن الرسول ﷺ قال: «إنَّ الله فرضَ فرائض فلا تضيعوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رَحْمَةً لكم غيرَ نِسيانٍ فلا تبحثوا عنها»[(*)] فما سكت عنه الوحي فإنَّه معفوٌّ عنه منه.

(*) رواه الدارقطني ٤/ ١٨٣-١٨٤، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٥٨٩)، والبيهقي ١٠/ ١٢-١٣، من حديث أبي ثعلبة الخشني ١٧/٩. وانظر تنقيده وشرحه في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب ٢/ ١٥٠، الحديث الثلاثون.

وهْـوَ المُبَـاحُ إبَـاحَـةَ العَفْـوِ الـذي
مـا فيـهِ مِـنْ حَـرَجٍ ولا نُكْـرَانِ

فأضِفْ إلىٰ هذا عُمُومَ اللفظِ والـ
ـمَعْنَىٰ وحُسْنَ الفَهْمِ في القُرآنِ[١]

فهُنَـاكَ تُصْبِـحُ فـي غِنـىً وكِفَـايَـةٍ
عَـنْ كُـلِّ ذي رأْيٍ وَذِي حُسْبَـانِ

ومُقَـدّراتُ الـذِّهْـنِ لـم يَضْمَـنْ لنـا
تِبْيـانُهـا بـالنـصِّ والقـرآنِ[٢]

وهْـيَ التـي فيهَـا اعْتِـرَاكُ الـرَّأْيِ مِنْ
تَحْـتِ العَجَـاجِ وجَـوْلَـةِ الأذْهَـانِ

لكِـنْ هنـا أمـرانِ لـو تَمَّـا لمـا احْـ
ـتَجْنـا إليـه فَحَبَّـذا الأمـرانِ

---

(١) إذا عرفت الكتاب والسنة معرفة صحيحة لم تحتج إلىٰ الآراء والاجتهادات فتستغني بالكتاب والسُّنَّة، ولا تقلِّد أحداً، وهذا يتحقق في المجتهد المطلق الذي توفرت له شروط الاجتهاد، وأمَّا من كان دون ذلك وعندَه قُدْرَةٌ علىٰ الترجيح فإنَّه يُرجِّحُ إذا أمكنَهُ ذلك، فيأخذ ما يظهر لَهُ دليله، وأمَّا العامي أو المبتدىء الذي ليس عندَه علمٌ أصلاً فهذا يسأل أهل العلم ويقلِّدهم.

(٢) الاجتهاد يخطىء ويُصيب فلا يُعتمد عليه، لكن يعتبر بالدليل ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] فالآراء تُرَدُّ إلىٰ الأدلة.

جَمْعُ النصوصِ وفَهْمُ معناها المرا
دِ بلفظِهــا والفَهْــمُ مَــرْتَبتــانِ
إحـداهُمـا مَـدْلُـولُ ذاكَ اللفـظِ وضْـ
ـعـاً أوْ لـزومـاً ثُـمَّ هـذا الثانـي
فيــه تفــاوَتَــتِ الفُهــومُ تفــاوُتــاً
لَـمْ يَنْضَبِـطْ أبـداً لَـهُ طَـرَفـانِ[1]
فــالشَّــيْءُ يَلْــزَمُــهُ لــوَازِمُ جَمَّــةٌ
عنْـدَ الخَبيــرِ بِــهِ وذِي العِــرْفَــانِ
فَبِقَـدْرِ ذاكَ الخَبْـرِ يُحْصِي مِـنْ لـوَا
زِمِــهِ وهــذا واضِــحُ التِّبْيَــانِ
ولـذاك مَـنْ عَـرَفَ الكتـابَ حقيقـةً
عَــرَفَ الـوجـودَ جميعَـهُ ببيـانِ[2]

---

(١) هذه مرتبة المجتهد المطلق: وهو الذي جمع النصوص من الكتاب والسنة وعرفها واستقرأها وفهمها، وهذه مرتبة نادرة لا يحصل عليها إلاّ أكابر العُلماء، وهي الإلمام بالنصوص، وفهمها الفهم الصحيح، ودلالة النص علىٰ قسمين: دلالة بالوضع، ودلالة باللزوم، فالدلالة بالوضع هي استعمال اللفظ فيما وضع له، ودلالة باللزوم وهي استعمال اللفظ في شيء خارج عن معناه لكنه لازم له، لأنَّ لازمَ الحقِّ حقٌّ.

(٢) يعني من فهم القُرآن، ويدخل فيه السُّنَّة، فمن أُعطي فهم الكتاب والسُّنَّة فإنَّه قد عرف الوجود كُلَّهُ؛ لأنَّ الله يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وأفهام الناس متفاوتة وتختلف من عالم إلىٰ عالم.

وكـذاكَ يَعْـرِفُ جُملَـةَ الشـرعِ الـذي
يَحْتَــاجُــهُ الإنســانُ كــلَّ زمــانِ
علْمــاً بتفصيــلٍ وعِلْمــاً مُجْمَــلاً
تفصيلُــهُ أيضــاً بِــوَحْــيٍ ثــانِ[1]
وكِـلاهُمَـا وحْيَـانِ قَـدْ ضَمِنَـا لنَـا
أعلــىٰ العُلُــومِ بِغَــايــةِ التِّبْيَــانِ
ولـذاكَ يُعْـرَفُ مِـن صفـاتِ الله والْـ
أفعــالِ والأسمــاءِ ذي الإحســانِ
مـا ليـسَ يُعْـرَفُ مِـن كتـابٍ غيـرِهِ
أبــداً ولا مــا قــالــتِ الثقــلانِ[2]
وكذاكَ يُعْرَفُ مِن صفاتِ البعثِ بالتْـ
تَفْصيــلِ والإجمــالِ فــي القُــرآنِ

---

(١) النصوص منها ما هو مُحْكَم ظاهرُ المعنىٰ لا يحتاج إلىٰ دليل آخر يُفَسِّرُهُ ويُوَضِّحُهُ، ومنها ما هو متشابه، وهو ما يحتمل عدة احتمالات ولا يُدرىٰ أيُّها المراد، فهذا يُفسِّرُهُ المُحْكَم حينما يرد إليه، وهذه طريقة أهل العلم، وهي ردُّ المتشابه إلىٰ المُحْكَم، وأمّا أهل الزيغ فيأخذون المتشابه ويتركون المحكم.

(٢) أسماء الله وصفاتُه إنَّما تُعرَف من الكتاب والسُّنَّة، فلا تُعرف لا من العقل ولا من القياس، فالعقائد توقيفية، فالمرجع في ذلك من جهة الإثبات والنفي إلىٰ الكتاب والسنة، وكذلك إثبات العبادات توقيفي لا يدخله الاجتهاد.

مـا يَجْعَـلُ اليـومَ العظيـمَ مُشـاهَـداً
بـالقَلْـبِ كـالمشهـودِ رأْيَ عيَـانِ[١]

وكـذاكَ يُعْـرَفُ مِـن حقيقـةِ نفسِـهِ
وصفـاتِهـا بحقيقـةِ العِـرفـانِ

يَعْـرِف لـوازِمَهـا ويَعْـرِفُ كـونَهـا
مَخلُـوقَـةً مَـرْبُـوبَـةً ببيـانِ[٢]

وكذاكَ يَعْرِفُ ما الذي فيهَا مَن الْـ
ـحَـاجَـاتِ والإعْـدَامِ والنُّقْصَـانِ

---

(١) البعث في اليوم الآخر من علم الغيب لا يُعرف بالعقل، لا يُعرف إلاّ من الكتاب والسنة؛ لأنَّه من علم الغيب الذي اختص اللهُ بعلمه، مثل عذاب القبر ونعيمه، ولذلك لما دخل أُناسٌ في ذلك ضَلُّوا كالمعتزلة فأنكروا عذابَ القبرِ لعدم رؤيتهم له، وهذا ليس مَحَلاًّ للإدراك؛ لأنَّه من أُمور الآخرة التي لا يعلمُها إلاّ الله فنُهينا عن الدخول في ذلك، فأمور البعث لا يُقال فيها بالرأي، وإنَّما يُقال فيها بالدليل من الكتاب والسُّنَّة لأنَّها من أمور الغيب.

وإذا قرأت ما ذكرَهُ اللهُ في اليوم الآخر، فإنك تكون كأنَّك تشاهدُهُ بقلبك لأنَّكَ توقن بهذه النصوص وتؤمن بها فتصبح كأنَّكَ تراها.

(٢) النفس وهي الروح موجودة بلا شك، ومع ذلك فإنَّك لا تراها؛ لأنَّها من علم الغيب، وهي مخلوقة تُقبض وتُرسَل وتُنعَّم وتُعذَّب فلا يعلمها إلاّ الذي خلقها.

وكـــذاكَ يُعـــرفُ ربَّـــهُ وصفــاتِـــهِ
أيضـــاً بـــلا مِثْـــلٍ ولا نُقْصـــانِ[١]
وهنـــا ثـــلاثـــةُ أوْجُـــهٍ فـــافْطِـــنْ لهـــا
إنْ كنـــتَ ذا علـــمٍ وذا عِـــرفـــانِ
بـــالضِّـــدِّ والأوْلَـــىٰ كـــذا بـــالإمتنـــا
عِ لعلْمِنـــا بـــالنَّفْـــسِ والـــرَّحْمٰـــنِ
فـــالضِّـــدُّ معـــرفَـــةُ الإلـٰــه بضِـــدِّ مـــا
فـــي النفـــسِ مِـــن عَيْـــبٍ ومِـــنْ نُقْصـــانِ
وحقيقـــةُ الأوْلَـــىٰ ثُبـــوتُ كمـــالِـــهِ
إذْ كـــان مُعْطيـــهِ علـــىٰ الإحســـانِ[٢]

---

(١) كذلك أسماءُ الله وصفاته هي من علم الغيب فلا ندخل فيها بآرائنا وعقولنا.

(٢) هناك ثلاثة أشياء:

الأول: الضد.

الثاني: الأوْلَىٰ.

الثالث: الامتناع.

والمراد بالأوْلَىٰ قياسُ الأوْلَىٰ فيقال: ما ثبت للمخلوق من كمال لا يستلزم نقصاً فالله أولىٰ به، وما يُنزَّه عنه المخلوق فالله أولىٰ بالتنزيه عنه، كالنقائص والعيوب.

والامتناع أن يقال: هذه صفة نقص فتمتنع في حق الله تعالىٰ، والضد أن يقال: كل عيب ونقص فالله يوصف بضدهما وهو السلامة.

فصل

في بيان شروط كفاية النَّصَّيْنِ والاستغناء بالوَحْيَيْنِ

وكفَـايَـةُ النَّصَّيْـنِ مشـروطٌ بتجـ
ـــريـدِ التَّلَقِّـي عنهمـا لِمَعَـانِ[١]

وكـذاك مشـروطٌ بخَلْـعِ قيـودِهِـمْ
فقُيُـودُهُـمْ غُـلٌّ إلـىٰ الأذقـانِ[٢]

وكـذاكَ مشـروطٌ بهَـدْمِ قـواعـدٍ
مـا أُنْـزِلَـتْ بِبيـانِهـا الـوحيـانِ[٣]

وكـذاك مشـروطٌ بـإقـدامٍ علـىٰ الْـ
آراءِ إن عَـرِيَـتْ عـنِ البُـرهـانِ

---

(١) هذا هو الشرط الأول: تجريد التلقِّي من الكتاب والسُّنة فلا تتلقَّىٰ من أقوال النَّاس وإنَّما تتجرَّد للتلقِّي من الوحيين.

(٢) الشرط الثاني: ترك القيود التي يضعونها لأنها تُعوق عن فهم الكتاب والسُّنَّة فهي قيود وضعُوها من عندهم.

(٣) الشرط الثالث هدم قواعد علم المنطق وعلم الكلام بحيث لا تلتفت إليها إذا كنت تريد الاستفادة من الكتاب والسُّنة فاخلع قواعد المنطق، ولا تعتبرها شيئاً، وارفضها رفضاً تاماً.

بـــالـــرَّدِ والإبطـــالِ لا تعبَـــأ بهـــا
شيئـــاً إذا مـــا فـــاتَهـــا النَّصَّـــانِ[١]
لـــوْلا القَـــوَاعِـــدُ والقُيُـــودُ وهـــذِهِ الْـ
آراءُ لاتَّسَعَـــتْ عُـــرَىٰ الإيمَـــانِ
لكنَّهَـــا واللهِ ضَيِّقَـــةُ العُـــرَىٰ
فـــاحْتَـــاجَـــتْ الأيْـــدِي لِـــذَاكَ تَـــوَانِ
وتَعَطَّلَـــتْ مِـــن أجلِهـــا واللهِ أعْـ
ـــدادٌ مِـــن النَّصَّيْـــنِ ذاتُ بيـــانِ[٢]
وتَضَمَّنَـــتْ تقييـــدَ مُطْلَقِهـــا وإطـ
ـــلاقَ المُقَيَّـــدِ وهـــو ذُو ميـــزانِ[٣]

---

(١) الشرط الرابع يشترط في الاستفادة من الوحيين: ألاّ تُقدِّم عليهما شيئاً من أقوال الناس والشيوخ والعُلماء، فتُقدِّم الوحيين دائماً وأبداً. وما حصل في الأمة الخلل إلا من هذه الناحية، وهي أنَّه تُؤخذ أقوال الرجال ويُترك الكتاب والسُّنَّة.

(٢) هذه سلبيات الأخذ بالآراء المخالفة للكتاب والسُّنة. الأولىٰ أنهم لا يأخذون من النصوص إلاّ ما وافق هواهُم، ويردّون ما خالف ما هُم عليه، وقالوا: عُلماؤُنا أعرف بالقرآن والسنة، فتعطَّلَتْ من أجل آراء النَّاس النصوصُ من الكتاب والسُّنَّة.

(٣) الثانية أنهم صارُوا يُقيِّدُون المطلق ويُطلقُون المقيَّد بأهوائهم بدون أدلة من الكتاب والسُّنة، فالمطلق لا يُقيَّد إلاّ بدليل، ولا يُخصص العامّ إلاّ بدليل من الكتاب والسُّنَّة.

وتَضَمَّنَتْ تَخْصِيصَ ما عَمَّتْهُ والتْـ
تَعْمِيمُ لِلْمَخْصُوصِ بالأعْيَانِ
وتَضَمَّنَتْ تفريقَ ما جمعَتْ وجَمْـ
ـعاً للذي وسَمَتْهُ بالفُرقَانِ(١)
وتَضَمَّنَتْ تضييقَ ما قد وسَّعَتْـ
ـهُ وعكسُهُ فَلْتَنْظُرِ الأمرانِ(٢)
وتَضَمَّنَتْ تحليلَ ما قد حَرَّمَتْـ
ـهُ وعكسُهُ فَلْتَنْظُرِ النوعانِ(٣)
سكَتَتْ وكان سُكوتُها عَفْواً فَلَمْ
تَعْفُ القواعدُ باتِّساعِ بِطانِ(٤)

---

(١) الثالثة أن هذه الآراء تضمنَّت تفريق ما جمع الله سبحانَه وتعالىٰ وجمع ما فرق الله.

(٢) الرابعة أنهم ضيّقوا الواسع ووسَّعُوا الضيّق عكس النصوص.

(٣) الخامسة تغير الأحكام الشرعية فمثلاً حرَّمت النصوص الربا والميسر الذي هو القمار، والآن يوجد مَن يفتي بحل الفوائد الربوية، ويُفتي بالميسر ويسميه مسابقات وجوائز ونحو ذلك فسمَّوها بغير اسمها واستحلوها، وحرَّموا ما أحلَّ الله كما فعل الرهبان والأحبار ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] وذلك بتحليل الحرام وتحريم الحلال كما قاله ﷺ فاتخذوهم أرباباً.

(٤) السادسة أن النصوص إذا سَكتت عن شيءٍ فهو مباح، فيأتي بعض النَّاس ويقول: هو حرام، فهذا عكس ما شرعه الله تعالىٰ، وما سكت عنه فهو عفو، فقواعدهم لم تسكت عن هذا الشيء الذي سكت الله عنه.

وتَضَمَّنَتْ إهْدَارَ مَا اعْتَبَرَتْ كَذَا
بِالعَكْسِ والأمْرَانِ مَحْذُورَانِ
وتَضَمَّنَتْ أيضاً شروطاً لم تكُنْ
مَشْروطَةً شَرْعاً بلا بُرهانِ[١]
فمثالُها واللهِ في قَلْبِ الفتىٰ
وثَباتُها في مَنْبَتِ الإيمانِ
كالزَّرْعِ يَنْبُتُ حولَه دَغَلٌ فَيَمْـ
ـنَعُهُ النَّما فتراهُ ذا نُقْصانِ[٢]

---

(١) السابعة وضع شروط مخالفة لكتاب الله وقد قال ﷺ: «ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط»[*]، وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلمون علىٰ شروطهم إلاّ شرطاً حرَّم حلالاً أو أحلَّ حراماً»[**].

(٢) أي مثال شبه أهل الباطل وما تورثه في القلوب مثل ما ينبت في الزرع من النوابت الفضوليّة؛ لأنَّ الزرع إذا بُذر ونبت ينبت معه نباتات طُفيلية، فهذه النباتات إن تركت فإنَّها تتعاظم وتغطي علىٰ الزرع، وقد تقضي عليه فلا يحصل منه غلَّة، أمّا إذا أُتلفت هذه النباتات الطفيلية وأُبيدت فإنَّ الزرع يقوىٰ ويُثمر غلةً طيبة.

(*) قطعة من حديث عائشة أخرجه أحمد في «المسند» ٤٣/ ٣٥٥ (٢٦٣٣٥)، والبخاري (٢٥٦١)، ومسلم (١٥٠٤) (٨).

(**) أخرجه ابن ماجه (٢٣٥٣)، والترمذي (١٣٥٢) من حديث عمرو بن عوف، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وكـذلـك الإيمـانُ فـي قَلْبِ الفَتَىٰ
غَرْسٌ مِن الرحمٰنِ في الإنسانِ[1]
والنفسُ تُنْبِتُ حولَه الشهواتِ والشْـ
ـبُهَـاتِ وَهْـي كثيـرةُ الأفنـانِ
فيعـودُ ذاكَ الغـرْسُ يَبْسـاً ذاويـاً
أو نـاقـصَ الثمـراتِ كـلَّ أوانِ
فتـراهُ يَحْـرُثُ دائبـاً ومَغَلُّـهُ
نَـزْرٌ وذا مِـنْ أعظـمِ الخُسْـرانِ
واللهِ لـو نَكَـشَ النبـاتَ وكـان ذا
بَصَـرٍ لـذاكَ الشَّـوْكِ والسَّعْـدانِ
لأتـىٰ كـأمثـالِ الجبـالِ مَغَلُّـهُ
ولكـانَ أضعـافـاً بـلا حُسبـانِ[2]

---

(١) الإيمان في القلب هو زرع الرحمٰن تؤثر عليه الشبه كما يؤثر الدغل في الزرع الذي يزرعه الإنسان.

(٢) وهكذا مذاهب أهل الباطل وشبههم مثل النباتات الطفيلية التي تنبت مع الزروع يجب مراقبتها ومراعاتُها والعمل علىٰ إزالتها وإتلافها وألاّ يغفل المُزارع عنها، فالمُزارع هنا هم العلماء الذين يعرفُون هذه الآفات وما يُضادُّها ويقضي عليها، فيجب العناية بهذا الأمر فإذا نكشها، يعني أزالها وإلاّ فإنها تصبح ذات أغصان وأفنان وتغطي علىٰ الزرع، بل تصبح ذات شوك مثل شوك السعدان والنباتات الشوكية فتشوِّه منظر الزرع وتغمرهُ، وهذا مثلٌ آخر لشبه أهل الباطل.

وتَضَمَّنَتْ أيضاً موانعَ لم تكُنْ
ممنوعةً شَرْعاً بلا تِبْيانِ[1]

إلاَّ بِأقْيِسَةٍ وآراءٍ وتَقْـ
ـلِيدِ بِلاَ عِلْمٍ أوِ اسْتِحْسَانِ

عمَّنْ أتَتْ هذي القواعدُ من جميـ
ـعِ الصَّحْبِ والأتباعِ بالإحسانِ

ما أسَّسُوا إلاَّ اتباعَ نبيِّهِمْ
لا عقلَ فَلْتانٍ ورأيَ فلانِ[2]

بَلْ أنْكَرُوا الآرَاءَ نُصْحاً مِنْهُمُ
للهِ والدَّاعِي ولِلْقُرْآنِ

أوَ لَيْسَ في خُلْفٍ بها وتناقُضٍ
ما دَلَّ ذا لُبٍّ وذا عِرْفَانِ[3]

---

(١) تضمنت هذه الآراء والقواعد المنطقية موانع لم تكن ممنوعة من قبل الشرع، فعملوا بقواعدهم ومنعوا من أشياء والشرع لم يمنع منها.

(٢) هذه القواعد المنطقية لم تأت عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين لأنَّهم يمشون علىٰ الكتاب والسنة، وإنَّما حدثت هذه القواعد العقلية بعد القرون المفضلة، وهي قول فلان وعلاّن.

(٣) يعني أن تناقضها واختلافها يدلُّ علىٰ بُطلانها، يعني أنَّها لو كانت حقاً ما تناقضت ولا اختلفت.

والله لو كانت مِن الرحمٰنِ ما اخْـ
ـتَلَفَتْ ولا انتقَضَتْ مدىٰ الأزمانِ[١]
شُبَـهٌ تهـافَـتُ كـالـزجـاجِ تَخـالُهـا
حقّـاً وقـد سَقَطَـتْ علـىٰ صَفْـوانِ[٢]
واللهِ لا يـــرضـــىٰ بهـــا ذو همَّـــةٍ
عليـــاءَ طـــالِبَـــةٍ لهـــذا الشَّـــانِ[٣]

* * *

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] فالقرآن والسنة لا يختلفان إلىٰ قيام الساعة أبداً.

(٢) هذه الآراء والقواعد المنطقية مثل الزجاج إذا سقط علىٰ الحصىٰ ينكسر، وشبهت هذه الآراء والقواعد بالزجاج؛ لأنَّها برَّاقة يظهر للذي يقرؤها أنَّها صحيحة لأنها مُزوقة، والشاعر يقول:

في زخرف القول تزيينٌ لباطله   والحقُّ قد يعتريه سوء تعبير

(٣) والله لا يرضىٰ بقواعدِ المنطق وعلم الكلام. من له همةٌ علياء في فهم الكتاب والسنة، فالمسلم لا يعدل بالكتاب والسنة شيئاً من آراء الناس ولا أقوال الناس.

فصل

هــذا وليــس الطَّعْــنُ بــالإطــلاق فيــ
ــهـا كُلِّهـا فِعْـلَ الجَهُـولِ الجـانِـي

بل في التي قَدْ خالفت قولَ الرسو
لِ ومُحْكَـمَ الإيمـانِ والفُـرقـانِ[1]

أو فـي التي مـا أنـزلَ الـرحمٰـنُ فـي
تَقْـريـرِهـا يـا قَـوْمِ مِـنْ سُلطـانِ[2]

---

(١) ليس الكلام في حُجج المخالفين معناه: أنها تكون كلها باطلة فقد يكون فيها شيءٌ من الحق فيقبل ما فيها من الحق ويُردّ ما فيها من الباطل، هذه طريقة أهل السنة والجماعة مع خصومهم، فالرسول ﷺ قَبِلَ مقالةَ اليهود في بعض الأمور مثل قول اليهودي حين قال: إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: ما شاء الله، ثم شئت، وقولوا: ورب الكعبة»[*]، فأهل العلم كذلك ينظرون ما مع خصومهم، فما كان فيه من حق قبلوه، فالحق ضالة المؤمن، وما كان فيه من باطل ردُّوه، بخلاف أهل الباطل فإنَّهم يردون كلَّ ما مع خصومهم ويكون ذلك من باب الحسد والحقد والاستكبار عن قبول الحق دون نظر وتبصُّر.

(٢) فالأشياء التي تُرد هي الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤٥/ ٤٣ (٢٧٠٩٣)، والنسائي ٧/ ٦ (٣٧٨٢)، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣٣١ (٧٨١٥) من حديث قُتيلة بنت صيفي وقال: هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي.

فهـي التـي كـم عطَّلَـتْ مِـنْ سُنَّـةٍ
بَـلْ عَطَّلَـتْ مِـنْ مُحْكَـمِ القـرآنِ[١]

هــذا ونــرجــو أنَّ واضِعَهــا فــلا
يَعْـــدُوهُ أجـــرٌ أوْ لَـــهُ أجـــرانِ

إذ قـال مَبْلَـغُ عِلْمِـهِ مِـن غيـرِ إيجـ
ـــابِ القَبُـولِ لـهُ علـىٰ إنسـانِ[٢]

---

(١) ترد لأنها عطَّلت نصوص الكتاب والسنة حيث نفوا أسماء الله وصفاته من أجل قواعدهم وشُبههم، كذلك ما مع القبوريين من الشبهات عطَّلوا ما جاء في القرآن من الدعوة إلىٰ التوحيد ومن إنكار الشرك، وصار الكتاب والسنة لا مجال لهما عندهم، فالحق عندهم ما وافق قول شيوخهم.

(٢) لمَّا ذكر رحمهُ الله أنّ ما مع النَّاس من قواعد وشُبه إذا خالف شيء منها القُرآن والسنة فإنَّه يُردّ ويُترك، سواءاً كان أصحابها من الفقهاء أو من علماء الكلام، لكن إذا كان هؤلاء الذين ذكروا هذه القواعد ذكروها عن اجتهاد وعن حُسن قصد فإنَّنا مع ردِّنا لها نعتذر لهم؛ لأنَّهم مجتهدون يريدون الحق ولكنَّهم لم يوفقوا، والنبي ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم، فاجتهد فأخطأ فلَه أجرٌ»(*) وهذه قاعدة عظيمة ينبغي لطلبة العلم السير عليها، وأمّا إذا كان من وضع هذه الأشياء متعمداً يريدُ بها الاستغناء عمّا جاء في القرآن والسنة، وهم =

(*) سلف تخريجه ص٥٦١.

بـل قَـدْ نهـانـا عـنِ قَبُـولِ كـلامِـهِ
نَصّــاً بتقليــدِ بـــلا بُـــرهـــانِ[١]
وكــذاكَ أوصــانـا بتقــديـمِ النُّصـو
صِ عليـه مِـن خَبَـرٍ ومِـنْ قـرآنِ[٢]

- يعلمون أنَّها خطأ فهؤلاء لا اعتذار لهم ولا احترام لهم، بخلاف من كان متحرياً للحق وقصدُه الاجتهاد ولم يوفَّق لذلك فإنَّه يُعذر بذلك.

والنَّاس تجاه هٰذه الأشياء علىٰ ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم يقبل أقوال النَّاس بلا تمحيص وبدون نظر ويعتبرها أقوالاً معصومة فهذا قول المتعصبة والمقلدين التقليد الأعمىٰ.

٢ ـ وقسم يرفضها كليةً ولا يلتفت إلىٰ ما فيها من حق، ويتهجم علىٰ العُلماء، وهذا أيضاً مرفوض، وهو نقيض الأول.

٣ ـ الوسط: هم الذين ينظرون في هذه الأقوال وهذه القواعد ويعرضونها علىٰ الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة أخذوا به، وما خالف الكتاب والسنة تركوه، واعتذروا لصاحبه، ولم يتهجموا عليه، بل يحترمونه؛ لأنَّ هذا هو مبلغ علمه، وهو الذي أدَّىٰ إليه اجتهادُه، وقصدُه الحقُّ ولكنه لم يتمكن من الوصول إليه.

(١) نهىٰ الأئمة عن قبول كلامهم من غير استنادٍ إلىٰ الدليل الذي بنوا عليه، فالأئمة كلُّهم يوصُون باتباع الكتاب والسنة، ويُوصون بترك ما خالف الكتاب والسنة من أقوالهم، ولا يتعصبون لأقوالهم.

(٢) كلُّ إمامٍ من أئمة أهل السنة فإنَّه يوصينا بتقديم النصوص من القرآن والحديث.

نصَـحَ العبـادَ بـذا وخلَّـص نَفْسَـهُ
عِنْـدَ السـؤالِ لهـا مِـن الـدَّيَّـانِ[١]

والخوفُ كلُّ الخوفِ فهو علىٰ الذي
تَرَكَ النصوصَ لأجلِ قولِ فلانِ[٢]

وإذا بَغَـىٰ الإحسـانَ أَوَّلَهَـا بمـا
لَـوْ قـالَـهُ خَصْـمٌ لَـهُ ذُو شـانِ

لَـرَمـاهُ بـالـداءِ العُضـالِ منـادياً
بفسـادِ مـا قـد قـالَـهُ بـأذانِ[٣]

* * *

(١) لأنَّه يتقي الله ويخاف الله فهو قد نصح العباد أنْ يقلِّدوه علىٰ خطأ، وبرّأ ذمته أمام الله تعالىٰ إذا سألَه يوم القيامة.

(٢) هذا هو الذي يُخاف عليه، مَن قدَّم قول فلان علىٰ النصوص، فيُخاف عليه من الهلاك والزيغ والخروج من الدين.

(٣) وإذا أحسن هذا الذي يردّ النصوصَ لقولِ إمامه فإنه يؤوّل النصوص تأويلاً باطلاً حتىٰ توافق هواه، ويرتضي هذه الطريقة السيئة لنفسه في حين لو أن خصمه فعل مثل فعله لشنع عليه علانية.

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهبٌ أم لا[١]

---

(١) هذه مسألةٌ مهمة جداً: هل لازمُ المذهب مذهبٌ أم لا؟ أنواع الدلالات ثلاث:

١ ـ دلالة مطابقة. ٢ ـ دلالة تضمُّن. ٣ ـ دلالة التزام.

فدلالة المطابقة والتضمُّن هذه لا شك أنَّها حق ويُقال بها، لكنَّ دلالةَ الالتزام وهي دلالة الشيء علىٰ شيءٍ خارج عن معناه محلُّ بحث، ومنه قولُهم: هل لازمُ المذهب مذهبٌ أم لا؟

نقول: ما كان لازماً لكلام الله وكلام رسوله فإنَّه حق، لأنَّ كلام الله ورسوله حق فلازمُهما حق، أمَّا لازم مذاهب المجتهدين فهذا هو الذي فيه التفصيل:

١ ـ إذا كان صاحب المذهب عرف لازم المذهب وقصدَه فإنَّه مذهبٌ له، لأنَّه عرف لازم مذهبه وقصدَهُ.

٢ ـ إذا كان صاحب المذهب لا يعرف هذا اللازم ولا تَصَوَّرَهُ عندما قال قولَه، فإنَّ هذا اللازم لا ينسب لمذهبه، لأنَّه ما عرف هذا اللازم ولا تَصَوَّرَهُ عندما تكلَّم، فلا يُلصق به، ويُقال: لزم علىٰ كلام فلان كذا وكذا، وهو لم يعرف هذا اللازم ولا تَصَوَّرَهُ عند تبنيه للمذهب الذي يختارُهُ ويقول به.

أمَّا كلام الله ورسوله فلازمُهما حق؛ لأنَّ الله تعالىٰ عالمٌ بكلِّ شيء، لا يخفىٰ عليه شيء، فهو يعلم سبحانه وتعالىٰ ما يتناولُه كلامُه، وما يلزم علىٰ كلامه، لا يخفىٰ عليه شيء سبحانَه وتعالىٰ، فلازم كلام الرب حق، وكذلك لازم كلام رسول الله فهو حق، لأنَّه معصوم عن الخطأ.

ولــوازِمُ المَعْنَــىٰ تُــرادُ بــذكــرِهِ
مِـنْ عـارفٍ بلـزومِهـا الحَقّـانـي
وسِــواهُ ليــس بــلازمٍ فــي حَقِّــهِ
قَصْــدَ اللــوازِمِ وهــيَ ذو تِبيـانِ
إذْ قَـدْ يكـون لـزومُها المجهـولَ أوْ
قَــدْ كــان يعلمُــهُ بــلا نُكــرانِ
لكــنْ عَــرَتْــهُ غَفْلَــةٌ بِلُــزومِهَــا
إذْ كــانَ ذا سَهْــوٍ وذا نِسْيــانِ
ولـذاك لَـمْ يَكُ لازمـاً لمـذاهـبِ الْـ
ـعُلمـاءِ مـذهَبُهُـمْ بـلا بُـرهـانِ
فـالمُقْـدِمُـونَ علـىٰ حكـايـةِ ذاكَ مَـذْ
هَبُهُـمْ أُولُـو جَهْـلٍ مـع العُـدوانِ[١]
لا فَــرْقَ بَيْــنَ ظُهُــورِهِ وخَفَــائِــهِ
قَـدْ يَـذْهَلُـونَ عَـنِ اللُّـزُومِ الـدَّانِـي
سِيمَــا إذا مــا كــانَ لَيْــسَ بِــلاَزِمٍ
لكِــنْ يُظَــنُّ لُــزُومُــهُ بِجَنَــانِ

---

(١) الذين يُلزمُون العُلماء بلوازم مذهبِهِم هؤلاء معتدون علىٰ العُلماء ومتقوِّلُون عليهم.

لا تَشْهَـدوا بـالـزُّورِ ويُحَكِّـمُ علـىٰ
مـا تُلـزِمـونَ شهـادةَ البُهتـانِ[١]

بخـلافِ لازمِ مـا يقـولُ إلـٰهنـا
ونَبِيُّنـا المعصـومُ بـالبُـرهـانِ[٢]

فلـذا دلالاتُ النُّصـوصِ جَلِيَّـةٌ
وخَفِيَّـةٌ تَخْفَـىٰ علـىٰ الأذهـانِ[٣]

واللهُ يـرزقُ مَـن يشـاءُ الفَهْـمَ فـي
آيـاتِـهِ رِزْقـاً بِـلا حُسْبـانِ[٤]

---

(١) لا تُلزِموا الأئمة بأشياء لم يُصرِّحوا بها إلاّ إذا كان عندكم دليل علىٰ أنَّهم قصدوها، وأنَّهم يعرفونها، فحينئذٍ تقولون: إنَّ لازم المذهب مذهب، لأنَّهم عرفوها وقصدوها.

(٢) أمّا ما يلزم علىٰ كلام الله وكلام الرسول فهو حق؛ لأنَّ الله عالمٌ بكلِّ شيء، ولا يذهل سبحانَه ولا ينسىٰ بخلاف المخلوق فإنه يجهل كثيراً، ولو علم فإنه ينسىٰ ويذهل، وكذلك النبي ﷺ فهو معصوم فيما يُبلغ عن الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] فما يُبَلِّغُهُ الرسول عن ربِّه فهو حق ولا يتطرق إليه شك؛ لأنَّه معصوم عليه السلام، أمّا ما عدا الرسول من أهل العلم فليس بمعصوم.

(٣) دلالات النصوص من الكتاب والسنة تنقسم إلىٰ قسمين:
١ ـ نصوص جليّة واضحة.
٢ ـ ونصوص خفيّة، يعني معناها خفي لا يتفطن له إلاَّ الراسخون في العلم.

(٤) يرزق اللهُ الفهم لكلامه وكلام رسوله من يشاء، وقد يُعطي بعضَ النَّاس =

واحــذَرْ حكــايــاتٍ لأربــابِ الكــلا
مِ عــن الخُصُــومِ كثيــرةِ الهَــذيــانِ
فحَكَــوْا بمــا ظَنُّــوهُ يُلْــزِمُهُــمْ فَقَــا
لُــوا ذاكَ مَــذْهَبُهُــمْ بــلا بُــرهــانِ(١)
كَــذَبُــوا عَلَيْهِــمْ بَــاهِتِيــنَ لَهُــمْ بِمَــا
ظَنُّـــوهُ يُلْـــزِمُهُـــمْ مِـــنَ البُهْتَـــانِ
فحكىٰ المُعَطِّلُ عن أُوْلي الإثباتِ قَوْ
لَهُـــمْ بـــأَنَّ اللهَ ذُو جُثمـــانِ(٢)
وحكــىٰ المُعَطِّـلُ أنهــم قــالــوا بــأَنْ
نَ اللهَ ليــسَ يُــرَىٰ لنــا بِعِيــانِ(٣)

= أكثرَ من بعض في الفهم، فالعلماء ليسوا علىٰ درجة واحدة في الفهم بل يتميَّز بعضهم عن بعض، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(١) مثل قولهم: إن إثبات الصفات يلزم منه التجسيم، وسمَّوْا أهلَ السنة مُجسِّمة، فهذا اللازمُ باطلٌ لم يقل به أحدٌ من أهل السنة، فأهل السنة يقولون: نحنُ نُثبت ما أثبتَهُ الله لنفسه، وما أثبتَهُ له رسولُه من غير تحريفٍ ولا تمثيل، وأمَّا لفظ الجسم فنحنُ لا نتعرَّضُ له لا بإثباتٍ ولا بنفي، لأنَّه لم يرد لا في كتاب ولا في سنة فنسكت عنه.

(٢) الجثمان هو «الجسم»، وهذا لم يقل به أهلُ السنة والجماعة أبداً؛ لأنَّه لم يأتِ به كتابٌ ولا سُنة، وإنَّما هو من قول علماء الكلام واختراعهم.

(٣) قال المُعطِّلة: إنَّ الله لا يُرىٰ أبداً، لأنَّه لو ثبتت الرؤية للزم أن يكون جسماً، لأنَّه لا يُرىٰ إلاَّ الأشياء التي هي أجسام، أو التي تكون في جهة =

وحكىٰ المُعَطِّلُ أَنَّهُمْ قالوا يَجُوْ
زُ كلامُهُ من غَيْرِ قَصْدِ معانِ[١]

وحكىٰ المعطِّلُ أنهم قالوا بِتَحْـ
ـييز الإلٰهِ وحَصْرِهِ بمكانِ[٢]

وحكىٰ المعطِّلُ أنهم قالوا له الْـ
أعضاءُ جَلَّ اللهُ عن بُهْتانِ[٣]

= وحيِّز، فنقول: كلُّ هذه لوازم ما قال بها أهل السنة ولا قصدوها، فالله تعالىٰ يُرىٰ كما أخبر بذلك عن نفسه وكما أخبر رسولُه، وأمّا اللوازم التي جئتم بها من عند أنفسكم فهذه لا تلزم أهل السنة والجماعة.

(١) يعني كما قال الأشاعرة، أن كلام الله كلام مجرد بدون حرف ولا صوت، بل هو كلام نفساني، ولا يدل علىٰ صفة التكلم.

(٢) قالوا: يلزم من إثبات العلوِّ والاستواء علىٰ العرش كما قال أهل السنة أنَّ الله متحيزٌ في مكان، فأهل السنة يثبتون صفة العلو والاستواء علىٰ العرش كما أخبر عن نفسه من دون ذكر هذه اللوازم الباطلة، وأمّا لفظ: التحيُّز والمكان فهذه من اختراعات أهل الباطل، لا تلزم أهل السنة والجماعة، لأنَّه ما جاء فيها نصٌّ لا من الكتاب ولا من السنة، فنحنُ لا نُثبتها ولا ننفيها بل نتوقف عنها.

(٣) لمَّا أثبت أهل السنة لله ما أثبتَه الله لنفسه من الوجه واليدين قالوا: إنَّ أهل السنة يُثبتون الأعضاء لله تعالىٰ والأبعاض ونحن نقول: هذه اللوازم لا تلزم أهل السنة والجماعة، ولم يتعرضُوا للكيفية، ولا أنَّ هذه أعضاء أو أبعاض، فهذه اللوازم التي أتيتم بها هي من اختراعِكُم الباطل ولا تلزم أهل السنة.

وحكىٰ المعطِّلُ أنَّ مذهبَهُمْ هو التـ
تَشبيــــهُ للخــــلاّقِ بـــالإنســــانِ[١]
وحكـىٰ المعطِّـلُ عنهُـمُ مـا لَـمْ يَقُـوْ
لُـــوهُ ولا أشيـــاخُهُـــمْ بلســـانِ[٢]
ظـــنَّ المعطِّـــلُ أنَّ هـــذا لازمٌ
فلــذا أتــىٰ بــالــزُّورِ والعــدوانِ[٣]
فعليـــه فـــي هـــذا معـــاذيـــرٌ ثــلا
ثٌ كلُّهـــا مُتَحقِّـــقُ البُطـــلانِ

---

(١) لأنَّ أهل السنة لما أثبتوا لله يدين وسمعاً وبصراً قال المعطلة: هذه الأشياء أعضاء في الإنسان فإذا أثبتناها شبَّهنا الله بالإنسان، فنقول: إن هذا باطل، وذلك لأنَّ الله له صفات تخصه، والإنسان له صفات تخصه، ولا تشابه بينهما لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] فنفىٰ عن نفسه المثلية وأثبت لنفسه السمع والبصر مع أن الإنسان فيه سمع وبصر، فالله له صفاتٌ تخصُّهُ والمخلوق كذلك له صفات تخصُّهُ.

(٢) فلم يقل أحد من أهل السنة: إنَّ الله جسم، أو أنَّه في مكان من المخلوقات، ولا قال: إنَّ الله ذو أبعاض وأعضاء فهذه اصطلاحات من المعطلة.

(٣) وهذا كُلُّه مبنيٌّ علىٰ قاعدتهم وهي: أنَّ لازم المذهب مذهب، فيلزم عندهم علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة من إثبات هذه الصفات وصف الله بهذه اللوازم الباطلة فنقول: هذا لا يلزم.

ظَــنُّ اللــزومِ وقــذفُهُــمْ بلــزومِــهِ
وتمــامُ ذاك شهــادةُ الكفــرانِ[١]

يا شاهداً بالزُّورِ ويْحَكَ لَمْ تَخَفْ
يــومَ الشهــادةِ سَطْــوَةَ الــدَّيَّــانِ

يــا قــائــلَ البُهتــانِ غَــطِّ لَــوازِمــاً
قَــدْ قلــتَ مَلــزومــاتِهــا بِبيــانِ[٢]

---

(١) يعني: ارتكب المعطلة ثلاثة محاذير:

الأول: ظنهم بوجـود لوازم تلزم علىٰ إثبات الأسماء والصفات لله عزَّ وجل.

الثاني: شهادتهم علىٰ أهل السنة أنَّهم قالوا بهذه الأشياء وكذبوا عليهم فيها، وأهل السنة يقولون: نحنُ نُثبت ما أثبتَهُ الله أو أثبتَهُ له الرسول ولا نتعرَّض للكيفية، فما سكت الله عنه أو رسوله فنحنُ نسكت عنه ولا نتعرَّض له فلا نثبتُهُ ولا ننفيه.

الثالث: أنَّهم شهدوا علىٰ أهل السنة أنَّهم قالوا بهذه الأشياء شهادة زور.

(٢) لأنَّ الرسول ﷺ لما أخبر عن الكبائر قال: «الإشراكُ بالله، وعقوق الوالدين» وكان مُتكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» فما زال يُرددها حتىٰ قُلنا ليته سكت(*)، فشهادة الزور خطرها عظيم =

(*) قطعة من حديث أبي بكرة نُفَيْع بن الحارث بن كلدة أخرجه أحمد في «المسند» ٣٤/ ٢٢ (٢٠٣٨٥)، والبخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧)، والترمذي (١٩٠١).

واللهِ لازِمُها انتفاءُ الذاتِ والْـ
أوصافِ والأفعالِ للرحمٰنِ

والله لازِمُها انتفاءُ الدِّينِ والـ
ـقرآنِ والإسلامِ والإيمانِ

ولزومُ ذلك بيِّنٌ جداً لِمَنْ
كانَتْ لَهُ أُذنانِ واعيتانِ

واللهِ لولا ضيقُ هذا النظمِ بيِّـ
ـيَنْتُ اللزومَ بأوضحِ التِّبيانِ

ولقدْ تقدَّمَ منه ما يكفي لِمَنْ
كانت لَهُ عينانِ ناظرتانِ[1]

= لا سيّما في حق الله ورسوله وهم يقولون لك: هات بياناً علىٰ ما قُلت وإلاّ فإنّك مسؤول أمام الله تعالىٰ، وسيخاصمك أهل السنة عند الله يوم القيامة عمّا قلته في حقهم، وهم لم يقولوه وإنّما قالوا ما قاله الله ورسوله فقط، ولم يقولوا شيئاً من عند أنفسهم.

(١) إنَّ اللوازم الباطلة هي في أقوالكم أنتم، فأقوال المعطلة هي التي يلزم عليها اللوازم الباطلة، فإذا قُلتم: إنّ الله ليس له يدان ولا سمع ولا بصر واعتمدتم علىٰ النفي فنفيتم ما أثبته الله وقلتم: إنَّ الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا يمنة ولا يسرة فما الذي يلزم علىٰ هذا؟ يلزم علىٰ هذا ـ والعياذ بالله ـ نفي وجود الله ونفي الدين والقرآن والإسلام والإيمان وغير ذلك مما لا يتسع هذا النظم لبيانه ويكفي ما ذكر منه.

إنَّ الـذكـيَّ ببعـضِ ذلـكَ يكتفـي
وأخـو البـلادةِ سـاكـنُ الجَبَّـانِ[١]
يا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِجَهْلِ شُيُوخِكُمْ
بِحَقَـائِـقِ الإيمـانِ والقُـرْآنِ
أَوَ مـا سمعتُـمْ قـولَ أفضـلِ وقْتِـهِ
فِيكُـمْ مقـالَـةَ جـاهـلٍ فَتَّـانِ
إنَّ السمـواتِ العُلـىٰ والأرضَ قَبْـ
ـلَ العرشِ بالإجماعِ مَخلوقانِ[٢]

---

(١) الجبّان: المقبرة، فأخو البلادة مثل الميت ليس فيه فائدة لكن الذكي يتنبه إذا أعطيتَه مثالاً أو إشارة عرف الباقي، فالشيخ أعطاكم إشارة علىٰ ما يلزم مذهبكم أيها المُعطِّلة، وهذه الإشارة تكفيكم عن البقية.

(٢) قال قائلٌ من شيوخهم وهم يُعظمونَه لأنه من أكابرهم: إنَّ العرش مخلوق بعد خلق السماوات والأرض وخالف بذلك الكتاب والسنة والإجماع ودليلُه: قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فرتَّب الاستواء علىٰ العرش علىٰ خلق السماوات والأرض بـ«ثمَّ» فدلَّ علىٰ أنّ خلق العرش بعد خلق السماوات والأرض، ففسَّر الاستواء علىٰ العرش بالخَلْقِ وما قال أحدٌ من أهل اللغة فضلاً عن أهل العلم: إنَّ الاستواء معناهُ الخلق، وأيضاً هذا يُخالف قولَه تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] فبيَّن سبحانَه أنَّ عرشَه سابق علىٰ خلق السماوات والأرض، وبيَّن ذلك الرسول ﷺ بقوله: «كتب الله =

واللهِ مــا هَــذي مَقَــالَــةُ عَــالِــمٍ
فَضْــلاً عَــنِ الإجْمَــاعِ كُــلَّ زَمَــانِ

مَنْ قالَ ذا قَدْ خالفَ الإجماعَ والـ
ـخَبَـرَ الصحيـحَ وظـاهـرَ القُـرآنِ[1]

فـانظـرْ إلـىٰ مـا جـرَّهُ تـأويـلُ لَفْـ
ـــظِ الاستــواءِ بظـاهــرِ البُطــلانِ

زَعَـمَ المُعَطِّـلُ أنَّ تـأْوِيـلَ اسْتَـوَىٰ
بِــالخَلْــقِ والإقْبَــالِ وضْــعَ لِسَــانِ

كذَبَ المُعَطِّلُ ليسَ ذا لُغَةَ الأُولىٰ
قَـدْ خُـوطِبُـوا بـالـوَحْـيِ والقُـرْآنِ

= مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علىٰ الماء»(*) فالعرش مخلوق قبل السماوات والأرض، فمثل هذا الذي يقول: إنّ الاستواء بمعنىٰ الخلق هل مثلُ هذا يُقلَّد؟ ويؤخذ بكلامه وهو يُفسِّر كلام الله بغير معناه ويكذب علىٰ اللغة.

(١) من قال ذلك القول فقد خالف إجماع المسلمين في أنَّ العرش مخلوقٌ قبل السماوات وخالف خبر الرسول ﷺ في الحديث، وخالف القرآن كما في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

(*) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد سلف تخريجه ص٢٦٣.

فـأحـارَهُ هـذا إلـىٰ أنْ قـالَ خَلْـ
ـقُ العَرْشِ بَعْدَ جَمِيعِ ذي الأكْوَانِ
يَهْنِيـهِ تكـذيـبُ الـرسـولِ لَـهُ وإجْـ
ـمـاعِ الهُـداةِ ومُحْكَـمِ القـرآنِ[1]

* * *

(١) يَهْنيه هذا الجهل المركب حيث فسَّر الاستواء علىٰ العرش بالخلق، ولم يقل هذا أحدٌ من أهل اللغة، لأن الاستواء عندهم هو العلو والارتفاع.

فقد افتضح في هذه المقالة، لأنَّ القرآن كذَّبه والسنة كذَّبَتْه وإجماع المسلمين يُكذّبُه، والذي حملَه علىٰ هذا نفي الصفات.

فصل

في الردِّ عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم إلىٰ أهلِ الجهلِ والتفريط والبدع والكفران[1]

---

(١) هذا الفصل الذي ذكرَه الإمام ابن القيم رحمهُ الله فصلٌ مهمٌ جداً لأنَّه في بحث في مسألة التكفير، والتكفير حقٌّ لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ فلا يجوز لأحدٍ أن يُكفِّر من عنده أو برأيه أو بهواه، فالتكفير حكم شرعي لا يتولاَّهُ إلاَّ الله أو رسُوله فمن حكم الله بكفره فهو كافر، كذلك من حكم الرسول ﷺ بكفره فهو كافر، لا خلاف في ذلك، ومسألة التكفير أصبحت الآن سهلة يقتحمها كثير من أنصاف المتعلمين أو المتعالمين، ويُطلقون الكفر علىٰ النَّاس بدون دليل من الكتاب والسنة، وتجد طرفاً متساهلاً في حكم الإيمان والكفر، فالكفر عندَه خاصٌّ بالاعتقاد، وإذا حققت الموضوع وجدت أن كلا الطرفين ليس عندَه علم وإنَّما يتبع هواه أو يُخيَّل إليه أنَّ عندَه علم وليس كذلك، فالواجب في هذه المسائل الكبار ألاَّ يخوض فيها إلاَّ من عندَه أهلية ورصيدٌ من العلم الصحيح، وأسلافنا رحمهم الله أراحونا وبحثوها علىٰ وفق ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله وبينوها غاية البيان، والشيخ رحمهُ الله في هذا الفصل قسَّم هؤلاء الذين يكفرون أهل السنة والجماعة إلىٰ أقسام:

القسم الأول: الذين عرفوا الحقَّ ولكنَّهم خالفُوه عن عناد وعن تمرُّد فهؤلاء لا شك في كفرهم مثل: الجهمية وغلاة الرافضة وغلاة الصوفية =

ومِـنَ العجـائـبِ أنَّكُـمْ كَفَّـرْتُـمُ
أهــلَ الحــديــثِ وشيعَــةَ القــرآنِ

= الذين عرفوا الحق ولكنّهم ما تنازلوا عن باطلهم، لأنَّهم يفوتُهم شيءٌ من رئاستهم، ومدح الناس لهم، والأطماع التي يحصُلون عليها، فهؤلاء لا شكَّ في كفرهم، ولا عُذر لهم لأنَّهم عرفوا الحق ولكنَّهم لم يقبلوه.

القسم الثاني: قالوا هذه المقالات ولكنَّهم ما عرفُوا الحق، وعندهم أهلية لو بحثوا لعرفوا الحق، ولكنَّهم قَصَّرُوا ولم يبحثوا عن الحق، مع أنَّهم عندهم أهلية لو قرؤوا، فهؤلاء لا شكَّ في أنَّهم فُسَّاق، ولكن اختلف أهل العلم في تكفيرهم فمنهم من يرىٰ كفرهم ومنهم من لا يرىٰ كفرهم، فمن كفَّرهم قال: إنَّ عندهم أهلية وهم أهل معرفة ومع ذلك قصَّروا في البحث عن ذلك، فهم يعرفون الحق ويقدرون عليه لو أرادوا، وبعضهم يرىٰ أنَّهم لا يُكفَّرون لأنهم ما عرفوا الحق، والإمام ابن القيم رحمه الله توقَّف في تكفير هؤلاء، ففسقهم ولكنَّه توقف في تكفيرهم.

القسم الثالث: أُناس لم يعرفوا الحق، وليس عندهم أهلية للبحث والوصول إلىٰ الحق وهم علىٰ قسمين:

قسمٌ قلَّدُوا مَن أحسنوا فيهم الظن من أهل الضلال فهم جُهَّال قلَّدُوا أُناساً لم يدرُوا أنهم من أهل الضلال.

وقسم ما عرفوا الحق ولكن أرادُوا البحث عنه فلم يوفقُوا، وأخفقوا في بحثهم حيث أتوا الأمور من غير أبوابها، فهؤلاء لا شكَّ أنَّهم ضالون في عملهم لكن لا يُفسقون، فمن بحث منهم عن الحق ووصل إليه فلَه أجران، ومن بحث منهم ولم يصل إليه فلَه أجرٌ واحد، هذا هو التفصيل الذي لا بُدَّ منه في هذه المسألة، وهذا هو مُلَخَّصُ ما ذكرهُ ابن القيم رحمهُ الله في هذه الأبيات المهمة.

إذ خـــالَفُـــوا رأيـــاً لـــهُ رأيٌ ينـــا
قِضُـــهُ لأجـــلِ النَّـــصِّ والبُـــرهـــانِ[1]

وجعلتُـــمُ التكفيـــرَ عيـــنَ خـــلافِكُـــمْ
وَوِفـــاقِكُـــمْ فحقيقـــةُ الإيمـــانِ

فـــوِفـــاقُكُـــم ميـــزانُ ديـــنِ الله لا
مَـــن جـــاء بـــالبـــرهـــانِ والفُـــرقـــانِ[2]

ميـــزَانُكُـــمْ مِيـــزَانُ بَـــاغٍ جَـــاهِـــلٍ
والعَـــوْلُ كُـــلَّ العَـــوْلِ فـــي المِيـــزَانِ

أهْـــوِنْ بـــهِ ميـــزانَ جَـــوْرٍ عـــائِـــلٍ
بِيَـــدِ المُطَفِّـــفِ ويـــلَ ذا الـــوَزّانِ[3]

لـــو كـــان ثَـــمَّ حَيـــاً وأدنَـــىٰ مِسْكَـــةٍ
مِـــنْ ديـــنٍ أو علـــمٍ ومِـــن إيمـــانِ

---

(١) ما كفَّروا أهل الحقِّ إلاّ لأنَّهم خالفوهم فيما هم عليه، وأهل الحق خالفوهم من أجل أخذ الحق بالدليل واتباع القرآن، وهذا التكفير في غير محلِّه؛ لأنَّ الذي يقول بالكتاب والسنة لا يُكفَّر وإنَّما يُكفَّر من تعمَّد المخالفة للكتاب والسنة.

(٢) جعلوا الكفر والإيمان تابعاً لما هُم عليه، فمن وافقهم فإنَّه مؤمن ومن خالفهم فهو الكافر عندهم، وهذا الضابط في الكفر والإيمان باطل، فأهل الحديث ميزانهم الكتاب والسنة، فما وافقهما فهو حق، وما خالفهما فهو باطل، وأمّا ميزان أهل الضلال فهو ما هم عليه، ففرقٌ بين الميزانين.

(٣) «أهون به» صيغة تعجب، فأهون بهذا الميزان الجائر العائل وأهون بمن يزن به.

لـــم تَجعلُـــوا آراءكُـــم ميـــزانَ كُفْـ
ـــرِ النَّـاسِ بـالبُهتـانِ والعُـدوانِ[١]
هَبْكُـمْ تـأوَّلْتُـمْ وسـاغَ لكُـمْ أيكْـ
ـفُـرُ مَـن يُخـالِفُكُـمْ بـلا بُـرهـانِ[٢]
هَـذي الْـوَقَـاحَـةُ والجَـرَاءَةُ والجَهَـا
لَـةُ وَيْحَكُـمْ يـا فِـرْقَـةَ الطُّغْيَـانِ
اللهُ أكبَـــرُ ذا عقـــوبَـــةُ تـــارِكِ الْـ
ـــوَحْيَيْــنِ لــلآراءِ والهَــذَيــانِ[٣]
لكننــــا نــــأتــــي بِحُكْــــمِ عــــادِلٍ
فيكُـمْ لأجـلِ مخـافـةِ الـرحمٰـنِ[٤]

---

(١) لو كان عندهم شيء من الحياء أو أدنىٰ مِسْكَة من العقل، لعرف هؤلاء أنَّ ميزانهم هذا باطل، لكن لا حياء من الله تعالىٰ عندهم ولا عقل ولا علم، والآراء ليست ميزاناً وإنَّما الآراء توزن ولا يُوزن بها، فالذي يُوزَن به هو الكتاب والسنة.

(٢) هبكم أنَّكم قلتم: إننا مُتأولون، وهذا الذي ظهر لنا من النصوص، فإذا كنتم متأولين فغيرُكم كذلك متأوِّل فلا تكفروهم. ما الذي جعلكم تحكمون بقطعية آرائكم، وتحكمون ببُطلان آراء غيركم من غير بُرهان إلاَّ الهوىٰ والتعصُّب.

(٣) هذه عقوبة من الله جلَّ وعلا، لمّا انصرفُوا عن كتاب الله وسنة رسوله ابتلاهم الله بالهوىٰ. وهكذا من ترك الحق فإنّه يُبتلىٰ بالباطل دائماً وأبداً.

(٤) نحن نُقابل السيئة بالحسنة، فأنتم كفرتمونا لكننا لا نُكفرُكم إلا بالعدل فيكم، فمن يستحق الكفر كفَّرناه، ومن لا يستحق الكفر لا نُكفِّرُهُ، وأمّا =

فـاسْمَـعْ إذاً يـا مُنْصِفـاً حُكْمَيْهِمـا
وانظـرْ إذاً هـل يستـوي الحُكْمـانِ[1]

هُـمْ عنـدنـا قسمـانِ أهـلُ جهـالـةٍ
وذَوُو العنـــادِ وذلـــكَ القِسمـــانِ

جَمْـعٌ وفَـرْقٌ بيـنَ نَـوْعَيْهِـمْ هُمـا
فــي بِـدْعَـةٍ لا شَـكَّ يجتمعـانِ[2]

وذوو العنـادِ فـأهـلُ كُفْـرٍ ظـاهـرٍ
والجـاهلُـونَ فـإنَّهـم نـوعـانِ[3]

= أنتم فبالعكس تكفرون أهل الحديث لأنَّهم اتبعوا الكتاب والسنة وخالفوا أهواءكم.

(١) انظر في حكم أهل السنة علىٰ مخالفيهم وحكم أهل الباطل علىٰ مخالفيهم لترىٰ من هو أحقُّ بالصواب؟

(٢) هم في الأصل قسمان:
أهل جهل ولهم حكم، وأهل عنادٍ ولهم حكم، وهذان القسمان يجتمعان في شيء واحد وهو مخالفة الكتاب والسنة وعلىٰ عداوة أهل السنة، ولكنَّهم يختلفون في الحكم عليهم فمنهم من هو كافر، ومنهم من هو فاسق، ومنهم من هو ضال، ومنهم من هو مجتهد يريد الحقَّ ولكنَّه لم يوفَّق له، فهم أربعة أقسام.

(٣) أهل العناد: وهم من عرف الحقَّ ورفضه، وهؤلاء كفار مثل ما كان أهل الجاهلية، حيث عرفوا أنَّ محمداً علىٰ حق وقالوا: نحن لا نتنازل عن رئاستنا لمحمد الفقير اليتيم، وهذا ما قاله أبو جهل وأبو لهب، فالذي منعهم من الإيمان بالرسول هو الكِبْر، وإلاّ فإنَّهم يعرفون أن محمداً علىٰ=

مُتَمَكِّنونَ منَ الهُدىٰ والعلمِ بالـ
أسبابِ ذاتِ اليُسْرِ والإمكانِ
لكنْ إلىٰ أرضِ الجهالةِ أخلَدوا
واسْتَسْهلُوا التقليدَ كالعُميانِ
لم يبذُلُوا المَقْدُورَ في إدراكِهِمْ
لِلْحَقِّ تَهْوِيناً بهذا الشانِ
فهُمُ الأُوْلَىٰ لا شكَّ في تَفْسيقِهِمْ
والكفرُ فيه عندنا قولانِ[1]

= حق، ولذا قال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وأهل الكتاب كذلك يعرفُونَه كما يعرفون أبناءَهُم ولكن منعهم من ذلك الحسد والكبر. كرهوا أن تظهر النبوة في العرب وكانوا يريدون أن تظهر في بني إسرائيل ولذلك حسدوهم.

(١) هؤلاء جهال عندهم قدرة علىٰ طلب الحق ولم يطلبوه زهداً فيه فهؤلاء لا شكَّ في فسقهم، وفي تكفيرهم قولان، وابن القيم رحمه الله توقَّف.

فهؤلاء قصروا في طلب الحقِّ وقلَّدوا غيرَهم كالعميان الذين يُهدَون إلىٰ الطريق مِن غيرهم مع أنَّهم ليسوا عُمياناً ولكن هذا من باب التشبيه، وبعض الناس اليوم يقول: إنَّ هؤلاء الذين يعبدون القبور معذورون بالجهل فنقول: هؤلاء يقدرون علىٰ إدراك الحق لو أرادوا، فكيف يُعذرون وعندهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم، ولكنَّهم ما حرَّكُوا ساكناً ولا طلبوا الحق بل بقوا علىٰ ما هم عليه مع قدرتهم علىٰ معرفة الحق، فهؤلاء لا يُعذرون، لأنَّ القاعدة عند أهل العلم: أنَّ مَنْ بَلَغَتْهُ الحُجةُ وهو يقدر علىٰ فهمها لو أراد، لكنَّه تركَها تهاوناً فهذا يُكفَّر، فهؤلاء لا يُعذرون بما يرتكبون من الشرك وعبادة القبور.

والـوقـفُ عنـدي فيهِـمُ لسـتُ الـذي
بـــالكُفْـــرِ أنْعَتُهُـــمْ ولا الإيمـــانِ
واللهُ أعلـــمُ بـــالبِطـــانَـــةِ مِنْهُـــمُ
ولنَـــا ظَهـــارَةُ حُلَّـــةِ الإعـــلانِ[١]
لَكِنَّهُـــمْ مُسْتَـــوْجِبُـــونَ عِقـــابَـــهُ
قَطْعـــاً لأجْـــلِ البَغْـــي والعُـــدوانِ
هَبْكُـمْ عُـذِرْتُـمْ بـالجهـالَـةِ إنَّكُـمْ
لَـنْ تُعْـذَروا بـالظُّلْـمِ والطُّغيـانِ[٢]
والطَّعْـنِ فـي قَـوْلِ الـرَّسُـولِ ودِينِـهِ
وشَهَـــادَةٍ بـــالـــزُّورِ والبُهْتَـــانِ
وكــذلــكَ استحــلالُ قَتْــلِ مُخــالِفيـ
ـكُمْ قَتْلَ ذي الإشراكِ والكُفْرانِ[٣]

---

(١) هذا رأي ابن القيم في هؤلاء وهو التوقف في تكفيرهم لا في تفسيقهم، وذلك لأنَّ لنا الظاهر وأمّا الباطن فلا يعلمُهُ إلاّ الله.

(٢) هم فُسّاق ولا شك، ومستوجبون للعقوبة، وإنَّما الكلام في إخراجهم من الإسلام إلىٰ الكفر. هذا هو محل الخلاف، ونقول لهم: إذا لم تكْفُروا فلا تُعذرون في عدم طلبكم للعلم وبحثكم عن الحق، ولا تُعذرون أيضاً بظلمكم لأهل السنة وتعديكم عليهم بالسب، وتلقيبهم بالألقاب الشنيعة، كل هذا لا تُعذرون به.

(٣) وكذلك لا تعذرون في استحلالِكُم دم المخالفين لكم وهم مُسلمون، وهذا لا شكَّ أنَّه فسق وخروج عن طاعة الله عزَّ وجل، مع تفريطكم في طلب الحق مع أنَّكم تقدرون عليه فهذه أمور تؤاخذون عليها.

إنَّ الخــوارجَ مــا أَحَلُّــوا قَتْلَهُــمْ
إلاَّ لِمَــا ارتكبُــوا مِــن العِصيــانِ(١)
وسمعْتُــمُ قَــولَ الــرسـولِ وحُكْمَــهُ
فيهِــمْ وذلــك واضــحُ التبيــانِ(٢)
لكنَّكُــمْ أنتُــمْ أبحْتُــمْ قَتْلَهُــمْ
بِــوِفــاقِ سُنَّتِــهِ مــع القُــرآنِ
واللهِ مــا زادُوا النقيــرَ عليهمــا
لكــنْ بتقــريــرٍ مــع الإيمــانِ(٣)

---

(١) فالخوارج ما قوتلوا إلاّ لأنَّهم استحلُّوا دماء المسلمين كما في الحديث: «يقتلون أهل الإسلام ويدعُون أهل الأوثان»(*).

(٢) النبي ﷺ قال في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم»(**)، وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد»(***) فقتلهم المسلمون بقيادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النهروان وهزموهم شرَّ هزيمة.

(٣) لا فرق بينكم وبين الخوارج في هذا المسلك، ولكن الخوارج خيرٌ منكم لأنَّهم أهلُ تقىٰ وعبادة ونسك، وهم أبعد النَّاس عن الكذب، وأمَّا هؤلاء المعطلة فهم من أكذب النَّاس علىٰ أهل السنة والجماعة، ومن أكسل الناس في الطاعات والعبادات.

(*) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد في «المسند» ١٨/ ١٩١ (١١٦٤٨)، والبخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(**) قطعة من حديث علي بن أبي طالب أخرجه أحمد في «المسند» ٢/ ٥٢-٥٣ (٦١٦)، والبخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦).

(***) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري المذكور قبل الحديث السابق.

فبحقِّ مَن قد خَصَّكُمْ بالعلمِ والتْـ
تَحْقيــقِ والإنصــافِ والعِــرفــانِ
أنتُــمْ أحــقُّ أمِ الخــوارجُ بــالــذي
قــالَ الــرسُــولُ فــأوْضِحُــوا ببيــانِ
هُــمْ يقتلُــونَ لعــابِــدِ الــرحمْــن بَــلْ
يُــدْعَــوْنَ أهــلَ عبــادةِ الأوثــانِ
هــذا وليسُــوا أهــلَ تعطيــلٍ ولا
عَـزْلِ النُّصوصِ الحـقِّ بـالبُرهـانِ(١)

* * *

(١) هذا من التهكم بالمعطلة، يقول: إن كان عندكم هذه الأمور فأسألكم بالذي أعطاكم هذه الصفات إن كانت عندكم، فأنتم شرٌّ من الخوارج وهم أحسن منكم، ومع ذلك قال فيهم ﷺ: «يمرقُون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»(*) فالخوارج يقتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان دائماً وأبداً، هذه صفاتهم ـ والعياذ بالله ـ، وهم أحسن منكم، لأنَّهم ما عطَّلُوا الصفات، والخوارج لا يكذبون ففيهم صفات طيبة ليست فيكم، ومع ذلك قال الرسول ﷺ فيهم ما قال من الأمر بقتلهم وكفِّ شرِّهم عن المسلمين.

فالذي أوقع الخوارج فيما وقعُوا فيه هو الغُلو في التدين، وأمَّا أنتم فليس عندكم تديُّن بل عندكم استهانة بالدين واستهانة بالنصوص.

(*) قطعة من حديث أبي سعيد الخدري، سلف تخريجه ص١٠٥٠.

فصل

والآخـرونَ فـأهـلُ عَجْـزٍ عـن بُلُـو
غِ الحـقِّ مـع قَصْـدٍ ومـع إيمـانِ[١]

بـالله ثُـمَّ رَسُـولِـهِ ولقـائِـهِ
وَهُـمُ إذا مَيَّـزْتَهُـمْ ضَـرْبـانِ

---

(١) هذا هو القسم الثالث: الذين لا يعرفُون الحق ويعجزون عن البحث فيه وهم علىٰ قسمين:

١ ـ قسمٌ منهم أحسنوا الظنَّ بأهل الضلال وقلَّدُوهم.

٢ ـ وقسمٌ منهم حاولوا معرفة الحق لكن أتوا الأمور من غير بابها فلم يوفقوا.

فالقسم الثالث علىٰ ضربين:

قسمٌ أخلد إلىٰ التقليد واعترف بعجزه عن البحث وقلد من يحسن به الظن ممن هم من كبار السن ولهم مكانة فظنُّوا بهم الظن الحسن علىٰ ما عندهم من ضلال وهم لم يدروا أنَّهم ضالون، وهذا مثل عوام الأشاعرة والمعتزلة الذين ليس عندهم قدرة علىٰ طلب العلم، فأحسنوا الظنَّ بهؤلاء فقلَّدوهم لا عن محبةٍ في الشر ولا عن مخالفة، لكن ظنُّوا أنَّهم علىٰ حق، فهم وقعوا في الضلال عن حُسن ظن لا بإرادتهم للضلال، ولكن لجهلهم وعدم قدرتهم علىٰ البحث، فهذا الصنف من الناس معذورون بجهلهم بشرط ألاّ يكفروا أهل السنة ويتطاولوا عليهم ويذموهم، أما إن تكلَّموا في أهل السنة وردُّوا عليهم فعليهم إثم.

قــومٌ دَهــاهُــمْ حُسْــنُ ظَنِّهِــمُ بمــا
قـــالَتْـــهُ أشيـــاخٌ ذَوُو أسنـــانِ

وَدِيانةٍ في الناس لم يَجِدوا سوىٰ
أقــوالِهِــمْ فَــرَضَــوْا بِهــا بــأمــانِ

لَوْ يقدِرونَ علىٰ الهُدىٰ لم يَرتضُوا
بــدلاً بــه مِــن قــائــلِ البُهتــانِ

فــأُوْلاءِ معــذورونَ إن لــمَّ يَظْلِمُــوا
ويكفِّــروا بــالجهــلِ والعُــدوانِ

والآخــرونَ فطــالبــونَ الحــقَّ لــ
ـكــنْ صَــدَّهُــمْ عَــن عِلْمِــهِ شيئــانِ

مَــعْ بَحْثِهِــمْ ومُصنَّفــاتٍ قَصْــدُهُــمْ
مِنهــا وصــولُهُــمُ إلــىٰ العِــرفــانِ

إحداهُما طَلَبُ الحقائقِ مِن سِوَىٰ
أبــوابِهــا مُتَسَــوِّرِي الجُــدرانِ

وسُلُــوكُ طُــرْقٍ غيْــرِ مُــوصِلَــةٍ إلــىٰ
دَرْكِ اليقيــنِ ومَطْلَــعِ الإيمــانِ

فتشــابَهَــتْ تلــك الأمــورُ عليهِــمُ
مِثْــلَ اشتبــاهِ الطُّــرْقِ بــالحَيْــرانِ[١]

---

(١) هذا هو الصنف الثاني من القسم الثالث: أناس جُهَّال وليس عندهم مقدرة علىٰ البحث عن الحق، ولكن حاولوا وأتوا الأمور من غير أبوابها=

فتـرَىٰ أفـاضِلَهُـمْ حَيـارَىٰ كُلُّهَـا
فـي التِّيـهِ يَقْـرَعُ نـاجِـذَ النَّـدْمـانِ
ويقـولُ قـد كَثُـرَتْ علـيَّ الطُّـرْقُ لا
أدرِي الطـريـقَ الأعظـمَ السلطـانـي
بَـلْ كُلُّهُـمْ طُـرْقٌ مَخُـوفَـاتٌ بِهَـا الْـ
آفَـاتُ حَـاصِلَـةٌ بِـلا حُسْبَـانِ
فـالـوقـفُ غـايتُـهُ وآخِـرُ أمـرِهِ
مِـن غيـرِ شـكٍّ منـهُ فـي الـرحمٰـنِ[1]
أوْ دينِـــهِ وكتَـــابِـــهِ ورَسُـــولِـــهِ
ولقـــائِـــهِ وقِيَـــامَـــةِ الأبْـــدَانِ

= فلم يُصيبُوا الحق، فهؤلاء أيضاً معذورون ولهم أجرٌ علىٰ اجتهادهم، لأنَّ قصدهم الحق، ويرغبون في الحق، وما وقعوا فيه من الخطأ ليس عن تعمُّد ولا عن قصدٍ له، فهؤلاء معذورون لجهلهم حيث أخذوا طُرقاً لا تذهب بهم إلىٰ شيء ظناً منهم أنَّها طيبة.

(١) كل من أفراد هذا الصنف متحيِّر وتائه لا يدري أين يذهب.

وآخر أمرهم هو التوقف، لأنَّهم بحثوا ولم يصلوا إلىٰ شيء فيكون عندَه توقف، لكنه مؤمن بالله مع ذلك فهو يُقرُّ بأصول الإيمان، فيؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه، ولكن وقعَ ما وقع فيه من الضلال عن جهل وعن عدم قدرة علىٰ البحث عن الحق مع بذله لما يستطيع ولم يصل إلىٰ الحق.

فـأُولاءِ بيـنَ الـذنـبِ والأجـرَيْـنِ أَوْ
إحــداهُمــا أَوْ واســعِ الغُفــرانِ[١]
فـانظـرْ إلـىٰ أحكـامِنـا فيهِـمْ وقَـدْ
جَحَـدوا النُّصـوصَ ومُقتضَـىٰ القـرآنِ
وانظـرْ إلـىٰ أحكـامِهِـمْ فينـا لأجـ
ـلِ خـلافِهِـمْ إذ قـادَهُ الـوَحْيـانِ
هَـلْ يستـوي الحُكْمـانِ عنـدَ اللهِ أَوْ
عِنْـدَ الـرسـولِ وعِنْـدَ ذي إيمـانِ[٢]

---

(١) من كان هذا شأنه فإنه إمَّا أنَّه يؤجر أجرين إن أصاب الحق، أو يؤجر أجراً واحداً إن لم يُصب الحق لاجتهاده ونيته الطيبة، أو أنّ الله يغفر له فهو واسع المغفرة سبحانه وتعالىٰ.

(٢) انظر إلىٰ العدل الذي عند أهل الحديث وأهل السنة مع خصومهم، وأنَّهم لا يُكفرونهم في الجملة، وإنَّما يُفصلون وينظرون في أحوالهم، ويعطون كلاًّ حكمه من الكفر والضلال والفسق أو العذر لبعضهم، فهذا هو الحكم العادل الذي ليس مصدرُه التعصُّب وإنَّما مصدرُه الكتاب والسنة، فهذا التقسيم الذي ذكرَه الشيخ في أصناف النَّاس مع الحق مبنيٌّ علىٰ الكتاب والسنة، فالنَّاس مع الحق أقسام:

القسم الأول: من عرفوا الحق واتبعوه. هؤلاء أهل الإيمان الصحيح، وأهل السنة والجماعة.

القسم الثاني: من عرفوا الحق ولم يقبلوه فهؤلاء كفار، مثل دعاة أهل الضلال الذين تركوا الحقَّ تكبراً وعناداً وبغياً وحسداً فهؤلاء كفار. =

الكُفْـــرُ حَـــقُّ اللهِ ثُـــمَّ رســـولِـــهِ
بـــالنَّـــصِّ يَثْبُـــتُ لا بقـــولِ فـــلانِ
مَـــنْ كـــانَ ربُّ العـــالميـــنَ وعَبْـــدُهُ
قَـــدْ كَفَّـــراهُ فـــذاك ذُو الكُفْـــرانِ(١)

= **القسم الثالث**: من لم يعرف الحق لكن عندَه قدرةٌ علىٰ البحث، ولم يبذل هذه القدرة، وأخلد إلىٰ الراحة، فهذا فاسق بلا شك، وفي تكفيره قولان كما قال ابن القيم رحمهُ الله.

القسم الرابع: من جهل الحق ولم يكن عندَه مقدرة علىٰ طلبه وفي قلبه إيمان، ويؤمن بأصول الإيمان كُلِّها، ويريد الحق لو تبين له، ولكنَّه لم يتبين له، فهذا يؤجر إمَّا أجرين أو أجراً واحداً أو يغفر الله له.

وأمَّا حكمهم في أهل السنة فإنهم يُكفِّرون أهل السنة جملةً ولا يُفصِّلُون، بل يفعلون كفعل الخوارج والجهمية والمعتزلة والروافض، وليس عندهم شبهة في تكفير أهل السنة إلا اتباع الوحي، وهم لا يريدون اتباع الوحي، بل يُريدُون اتباعهم هم وشيوخهم، فلا يستوي حكم أهل السنة والجماعة علىٰ المخالفين وحكم المخالفين من أهل الضلال علىٰ أهل السنة والجماعة عند الله تعالىٰ لأنَّ هذا عدلٌ وذاك جور.

(١) هذه هي القاعدة التي يجب الوقوف عندها وهي: أنّ التكفير حق لله ولرسوله، وهو حكمٌ شرعي لا يجوز لأحدٍ أن يدخل فيه إلاّ بدليل من كتاب الله تعالىٰ أو من سنة رسوله ﷺ، فالواجب عدم إطلاق هذا الحكم إلاّ علىٰ مَنْ يستحقه، فمن ارتكب ناقضاً مِن نواقض الإسلام التي دلَّ عليها الكتاب والسنة فهو كافر؛ لأنَّ الله كفَّره، وكفَّرهُ رسولُه، وعبادتُه لا تصح منه لو تعبَّد الليل والنهار.

فَهَلُـمَّ وَيْحَكُـمُ نُحـاكِمْكُـمْ إلـىٰ
النَّصَّيْـنِ مِـنْ وَحْـيٍ ومِـنْ قُـرآنِ
وهنـاكَ يُعْلَـمُ أي حِـزْبَيْنـا علـىٰ الْـ
ـكفـرانِ حقـاً أو علـىٰ الإيمـانِ[١]
فَلْيَهْنِكُـمْ تكفيـرُ مَـن حَكَمَـتْ بـإِسْـ
ـلَامٍ وإيمـانٍ لَـهُ النَّصَّـانِ[٢]
لكـنَّ غـايتَـهُ كغـايـةِ مَـن سـوىٰ الـ
ـمَعْصُـومِ غـايَـةِ نـوعِ ذا الإحسـانِ[٣]
خَطَـأٌ يُصِيـرُ الأجـرَ أجـراً واحـداً
إنْ فـاتَـهُ مِـنْ أجلِـهِ الكِفْـلانِ[٤]

---

(١) يقول لهم: ندعوكم إلىٰ التحاكم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن حكما له بالإيمان فهو مؤمن، ومن حكما له بالكفر فهو كافر.

(٢) التهنئة هٰذه من باب التهديد مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] فليس العذاب الأليم مما يبشر به لكن هذا من باب التهكم بهم وتحقيرهم، يقول: ليهنكم تكفير أهل السنة والجماعة وما يترتب عليه عند الله تعالىٰ من العقوبة العاجلة والآجلة.

(٣) من حَكَمَ الكتاب والسنة بإسلامه فهو مُسلم لكنَّه ليس بمعصوم، وإنَّما العصمة لله ولرسوله ولكتابه، فالإنسان ولو كان من اتقىٰ الناس فهو محلُّ الخطأ والتقصير.

(٤) العلماء إذا اجتهدوا في طلب الحق ووفقوا إليه فلهم أجران، وإذا اجتهدوا في طلبه وأخطؤوا فلهم أجرٌ واحد علىٰ الاجتهاد، فأخطاء الأئمة في =

إنْ كـانَ ذاكَ مُكَفِّـراً يـا أُمَّـةَ الْـ
ـعُـدْوانِ مَـنْ هـذا علـىٰ الإيمـانِ

قَـدْ دارَ بيْـنَ الأجْـرِ والأجْـرَيْـنَ والتْـ
تكْفِيـرِ بـالـدَّعْـوىٰ بِـلا بُـرْهـانِ

كَفَّـرْتُـمُ واللهِ مَـنْ شَهِـدَ الـرسُـو
لُ بـأنَّـهُ حَقّـاً علـىٰ الإيمـانِ

ثِنتـانِ مِـنْ قِبَـلِ الـرسـولِ وخَصْلَـةٌ
مِـنْ عِنْـدِكُـمْ أفـأنْتُمـا عِـدْلانِ[1]

* * *

= مسائل العلم والفقه لهم فيها أجر، وصوابهم في المسائل لهم فيه أجران، فهم لا يعدوهم الأجر.

(١) أنتم شهدتم علىٰ الصحابة بالكفر، والرسول ﷺ شهد لهم بالإيمان، فهذه شهادتان فأيُّهما علىٰ الحق؟ فلا أحد يقول: إنَّ شهادتكم مُقَدَّمة علىٰ شهادة الله وشهادة الرسول ﷺ، فشهادتكم شهادة زور، والحاصل أنَّ هذا الفصل فصلٌ عظيم، يجب تكرارُه والتأمل فيه وتدبُّرُه لأنَّ الحاجة ماسةٌ إليه سيَّما في هذا الوقت.

فصل

في تلاعب المُكَفِّرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان(١)

كَمْ ذا التَّلاعُبُ مِنْكُمُ بالدِّينِ والـ
إيمـانِ مِثْـلَ تَـلاعُـبِ الصِّبيـانِ

خُسِفَتْ قلوبُكُمُ كما خُسِفَتْ عُقُو
لُكُـمُ فـلا تَـزْكُـوا علىٰ القرآنِ(٢)

---

(١) إنَّ المخالفين لأهل السنة والجماعة يتلاعبون بالدين وبأهل الدين كتلاعب الصبيان، فهم لا يعملون بالدين كما أوجب الله سبحانَه وتعالىٰ اعتقاداً وعملاً، ويتنقَّصُون أهل الدين ويسخرون منهم لتمسكهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وهذا لا شك أنَّه أشدّ أنواع التلاعب المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠] ويتلاعبون بالنصوص والأدلة ويُحرِّفونها حتىٰ توافق أهواءَهم، ولا يخافون الله تعالىٰ، فهذه صفتهم وموقفهم من كتاب الله تعالىٰ وأهل الإيمان، وإن كانوا يتسمون بالنُّظَّار وأنهم أهل عقل وبراهين عقلية، فهم في الواقع ليسوا من العقل في شيء، لأنَّ العقل الصريح لا يُخالف النقل الصحيح، فهم ليسُوا مع الكتاب ولا مع العقُول فضيعُوا الجميع.

(٢) الخسوف والكسوف: ذهاب ضوء أحد النَّيِّرين وهما الشمس والقمر أو بعضه، فهم كذلك عقولهم خُسفت، أي: ذهب ضوؤها وذهب نورها وأصبحت في ظُلمة بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأظلمت عقولُهم وأصبحت مكسوفة أو مخسوفة لا ضوء فيها.

كـم ذا تَقـولُـوا مُجْمَـلٌ وَمُفَصَّـلٌ
وظـواهِـرٌ عُـزِلَـتْ عـنِ الإيقـانِ[1]
حتَّـىٰ إذا رأيُ الـرجـالِ أتـاكُـمُ
فـاسْمَـعْ لمـا يُوحَـىٰ بـلا بُرهـانِ[2]
مِثْـلَ الخفـافيـشِ التـي إنْ جـاءَهـا
ضَوْءُ النهارِ ففي كُوَىٰ الحيطانِ[3]
عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ المُنيرَةِ لا تُطيـ
ـقُ هِـدَايَـةً فيهـا إلـىٰ الطَّيَـرَانِ
حتَّـىٰ إذا مـا اللَّيْـلُ جـاءَ ظَـلاَمُـهُ
جَـالَـتْ بِظُلْمَتِـهِ بِكُـلِّ مَكَـانِ

---

(١) هذا رأيهم في نصوص الكتاب والسنة قالوا: إنَّها لا تُفيد اليقين ولا العلم، لأنها مُجملات ومُطلقات وظواهر، فلا يُستفاد منها اليقين، وإنما اليقين يُستفاد من قواعد المنطق وعلم الكلام لأنَّه هو البراهين القطعية عندهم.

(٢) وأمَّا آراء الرجال فهي عندكم الحق، فتُقدمون آراء الرجال والشيوخ لأنَّها هي اليقين عندكم.

(٣) الخفافيش: جمعُ خُفَّاش وهو حيوان معروف ويُسمَّىٰ الوطواط، وهو الذي يطير في الليل لأنَّه في النهار لا يرىٰ، فهو يأوي إلىٰ الجحور ويبقىٰ فيها إلىٰ الليل ثم يخرج، ولذلك سُمي بالخفاش لصغر عينيه وضعف بصره، والأخفش: ضعيف البصر. فهذا مثل ضربهُ لهم: وهو أنَّه إذا جاءت نصوص الكتاب والسنة فإنَّهم لا يُبصرون، أما إذا جاءت عقول الرجال وأفكارهم فهو يُسَرّون ويستدلُون بها فهذا مثلٌ مطابق لحالهم.

فترىٰ المُوَحِّدَ حين يَسْمَعُ قولَهُمْ
ويَــراهُــمُ فــي مِحْنَــةٍ وهَــوانِ

وارَحْمَتــــاهُ لِعَيْنِيــــهِ ولأُذْنِــــهِ
يــا مِحْنَــةَ العَيْنَيْــنِ والأُذُنــانِ

إنْ قــالَ حقّــاً كَفَّــروه وإن يقــو
لــوا بــاطِــلاً نسَبُــوهُ لــلإيمــانِ[1]

حتــىٰ إذا مــا رَدَّهُ عَــادَوْهُ مِثْـ
ـــلَ عَــداوةِ الشيطــانِ لــلإنســانِ[2]

---

(١) فالموحد الذي يتبع الكتاب والسنة يكون معهم في محنة، ماذا يعمل معهم؟ لا يقبلون الحق، بل يُريدُونَه أن يأتي معهم إلىٰ الضلال، وهو يريدهم أن يأتوا معه إلىٰ الحق، فلا يسمع ولا يرىٰ إلاّ باطلاً منهم، فهو ممتحن بينهم، فإن قال: قال الله وقال رسولُهُ كفَّروهُ، لأنَّه يقول: الله في السماء ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وإذا أثبت الوجه واليدين، قالوا: هذا مُجسِّم فهو كافر. وإذا جاءت الأقوال الباطلة فإنَّهم يقولون: هذا هو الإيمان وهذه هي العقيدة الصحيحة، ولذلك يسمون كتبهم التي هي علم الكلام والجدل كتب التوحيد، وأمّا أدلة الكتاب والسنة فلا يُسمونها علم التوحيد، فعندهم علم التوحيد هو الجدل، وكلها عقليات وليس فيها نصٌّ لا من الكتاب ولا من السنة، ولذا يقول الرازي في تفسيره: ولمحمد ابن خزيمة كتاب يُسميه «كتابُ التوحيد» وهو في الحقيقة كتاب الشرك.

(٢) إذا لم يقبل الموحد آراء شيوخهم عادَوهُ، مثل عداوة الشيطان للإنسان، فهي عداوة عميقة لا لشيء إلاّ لأنَّ الموحد يتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ولا يعدل بهما شيئاً.

قـالـوا لَـهُ خـالَفْـتَ أقـوالَ الشُّيُـو
خ ولَـمْ يُبَـالُـوا الخُلْـفَ للفُـرقـانِ[١]
خـالَفْـتُ أقـوالَ الشيـوخِ فـأنْتُـمُ
خـالفتُـمُ مَـنْ جـاءَ بـالقـرآنِ[٢]
خَـالَفْتُـمُ قَـوْلَ الـرَّسُـولِ وإنَّمَـا
خَـالَفْـتُ مِـنْ جَـرَّاهُ قَـوْلَ فُـلانِ
يـا حبَّـذا ذاكَ الخِـلافُ فـإنَّـهُ
عَيْـنُ الـوِفـاقِ لِطـاعَـةِ الـرَّحْمٰـنِ[٣]
أوَ مـا عَلِمْـتَ بِـأنَّ أعْـدَاءَ الـرَّسُـو
لِ عَلَيْـهِ عَـابُـوا الخُلْـفَ بِـالبُهْتَـانِ
لِشُيُـوخِهِـمْ ولِمَـا عَلَيْـهِ قَـدْ مضَـىٰ
أسْـلافُهُـمْ فـي سَـالِـفِ الأزْمَـان

---

(١) يغارون لأقوال الشيوخ مع أن الواجب أن أقوال الشيوخ تُعرض علىٰ الكتاب والسنة فما كان منها صواباً فإنَّه يُقبل، وما كان منها مِن خطأ فإنَّه يُردّ، وهم عندهم العكس، يُقدِّمون أقوال الشيوخ علىٰ الكتاب والسنة.

(٢) نحن مخالفون وأنتم مخالفون فأيُّ الخلافين حق، نحن خالفنا أهل الضلال ووافقنا أهل القرآن، وأنتم بالعكس، وافقتم أهلَ الضلال وخالفتم أهل القُرآن، فأيُّ الخلافين أولىٰ بالحق؟ لا شك أنَّ الأولىٰ بالحق مخالفة أهل السنة والجماعة للقولِ الباطلِ.

(٣) هذا هو الحق فمن خالف الباطل ووافق الحق فنعم المخالف.

مـا العيـبُ إلاَّ فـي خـلافِ النَّصِّ لا
رأيِ الـرجـالِ وفكـرةِ الأذهـانِ[١]

أنتُـمْ تُعيبُـونـا بهـذا وهـو مِـنْ
تَـوْفِيقنـا والفضـلُ للمنَّـانِ[٢]

فَلْيَهْنِكُـمْ خُلْـفُ النُّصـوصِ ويَهْنِنـا
خُلْفُ الشيـوخِ أيستـوي الخُلْفـانِ[٣]

والله مـا تَسْـوِي عقـولُ جميـعِ أهْـ
ـلِ الأرضِ نَصّـاً صَـحَّ ذا تِبيـانِ

حتـىٰ نُقـدِّمَهَـا عليـه مُعْـرِضِـ
ـيـنَ مُـؤَوِّليـنَ مُحَـرِّفـي القُـرآنِ[٤]

---

(١) العيب في مخالفة النصوص، وأمّا مخالفة الرجال فليست عيباً بل هي الكمال.

(٢) تعيبون علينا التمسك بالكتاب والسنة وهذا من توفيق الله لنا وله الفضل والمِنة حيث هدانا لذلك.

(٣) هذا من باب السخرية بهم، يقول: فليهنكم مخالفة النصوص إن كان في هذا تهنئة، ولكن الواقع أنَّ هذا ليس من باب التهنئة بل من باب السُخرية بهم، مثل قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] فالبشارة تكون للخير ولكنَّها هنا من باب التهكُّم بهم، وليهن أهل السنة مخالفة آراء الرجال واتباع الكتاب والسنة، وهذه تهنئة حقيقية.

(٤) جميع آراء النَّاس من أول الخلق إلىٰ آخرهم لا تُعادل نصاً واحداً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتىٰ نُحَرِّفَه من أجلها.

واللهِ إنَّ النَّـــصَّ فيمـــا بيننـــا
لأجَــلُّ مِـــنْ آراءِ كُــلِّ فــلانِ[١]
واللهِ لـــم يَنْقِـــمْ علينـــا مِنْكُـــمُ
أبــداً خِــلافَ النَّـصِّ مِـن إنســانِ
لكــنْ خــلافَ الأشعـريِّ بِـزَعْمِكُـمْ
وكَــذَبْتُــمُ أنتُــمْ علــىٰ الإنســانِ[٢]
كفَّــرْتُــمُ مَــنْ قــالَ مـا قَـدْ قـالَـهُ
فـــي كُتْبِـــهِ حَقّـــاً بـــلا كِتْمَـــانِ

---

(١) النص أجلُّ عند أهل الحق من جميع الآراء فهدفُهم الحق.

(٢) يخاطب الأشاعرة الذين ينتسبون إلىٰ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وكان في أول أمره معتزلياً؛ لأنَّه تتلمذ علىٰ أبي علي الجُبائي، وأخذ عنه علم الاعتزال، وعاش علىٰ الاعتزال ثمَّ إنَّ الله هداهُ وأدرك أن الاعتزال باطل، فقام أمام النَّاس يوم الجمعة وأعلن رجوعَه عن مذهب الاعتزال وقال: «إني خلعت مذهب المعتزلة كما خلعت ثوبي هذا» ثمّ خلع ثوبه أمامهم وتبرأ منهم، ثم آل أمره إلىٰ الأخذ بقول أهل السنة خصوصاً الإمام أحمد في كثير من الصفات كما صرَّح بذلك في كتابه: «مقالات الإسلاميين» وفي كتابه «الإبانة عن أصول الديانة» والذين ينتسبون إليه اليوم ما رجعوا كما رجع، وكذبوا عليه حيث يسمُّون أنفسهم أشاعرة، فهم بقَوْا علىٰ مذهبه الأول، وينتسبون إليه اليوم زوراً وبُهتاناً وإلاّ فهم كُلاّبيّة.

هــذا وخــالَفنــاه فــي القــرآنِ مثـ
ـلَ خلافِكُمْ في الفوقِ للرحمٰنِ(١)

فــالأشعــريُّ مصــرحٌ بــالاستــوا
ءِ وبــالعلُــوِّ بغــايــة التِّبيــانِ(٢)

ومُصَــرِّحٌ أيضــاً بــإثبــاتِ اليــدَيْـ
ـنِ وَوَجْهِ رَبِّ العرشِ ذي السلطانِ

ومصــرحٌ أيضــاً بــأنَّ لــرَبِّنــا
سبحــانَــهُ عَينــانِ نــاظــرتــانِ(٣)

ومصــرحٌ أيضــاً بــإثبــاتِ النُّــزُوْ
لِ لــربِّنــا نَحْــوَ الــرَّفيــع الــدانــي(٤)

---

(١) وبقيت عند الأشعري مسألة لم يرجع عنها، وهي مسألة القول بكلام الله، لأنَّه يقول: إنَّ كلام الله عبارة عن المعنىٰ النفسي القائم بذات الله، وليس هو بحرفٍ ولا صوت، ولم يرجع عن ذلك وهذا كلامٌ باطل، فنحن خالفناه في هذا القول، وقبلنا منه قول الحق في غيره، وهذا هو الواجب في أقوال العُلماء، أنَّها تُعرض علىٰ الكتاب والسنة فما كان فيها من حقٍّ قُبِلَ، وما كان فيها من باطلٍ رُدَّ ولم يُقْبَل.

(٢) صَرَّح برجوعه في كتابين من كتبه وهما «مقالات الإسلاميين» و«الإبانة» وهُما مطبوعان ومُتداولان.

(٣) وأيضاً: يُثبت العينين لله جلَّ وعلا.

(٤) كما في الحديث: «ينزل ربُّنا إلىٰ السماء الدنيا»(*).

(*) سلف تخريجه ص٣١٥.

ومصــرِّحٌ أيضــاً بــإثبــات الأصــا
بعِ مِثْلَ ما قد قالَ ذو البُرهانِ[١]

ومصــــرحٌ أيضـــاً بـــأنَّ الله يَـــوْ
مَ الحَشْـرِ يُبْصِرُه أُوْلُـو الإيمـانِ[٢]

جَهْـراً يَـرَوْنَ اللهَ فَـوْقَ سَمَـائِـهِ
رُؤْيَـا العِيَـانِ كَمَـا يُـرَىٰ القَمَـرَانِ

ومصــرحٌ أيضــاً بــإثبــاتِ المجـي
ءِ وأنَّـــهُ يــأتـــي بـــلا نُكـــرانِ[٣]

ومُصــــرحٌ بفســـادِ قَـــولِ مُـــؤوِّلٍ
لـــلاستـــواءِ بقهـــرِ ذي سُلطـــانِ[٤]

---

(١) إثبات الأصابع لله تعالىٰ حق كما في الحديث: «إن الله يجعل السماوات علىٰ أصبع والأرضين علىٰ أصبع والشجر علىٰ أصبع وسائر الخلق علىٰ أصبع ثمّ يهزُهُنَّ ويقول: أنا الملك أين الجبارون»[*].

(٢) يُثبت أبو الحسن الأشعري الرؤيةَ لله تعالىٰ كما هو مذهب السنة، وأنَّ المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارِهم كما يرون القمر ليلة البدر.

(٣) يُثبت أبو الحسن الأشعري أنَّ الله يجيء يوم القيامة لفصل القضاء ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

(٤) ينكر أبو الحسن الأشعري تفسير الاستواء بالاستيلاء ويقول: الاستواء حقيقي كما يليق به سبحانَه وتعالىٰ.

(*) سلف تخريجه ص١٢٨.

ومصرحٌ أنَّ الأُوْلىٰ قالوا بذا التْـ
تأويلِ أهلُ ضَلالةٍ ببيانِ[١]

ومصرحٌ أنَّ الذي قد قَالَهُ
أهلُ الحديثِ وعَسْكَرُ القُرآنِ

هو قولُهُ يَلْقَىٰ عليه ربَّهُ
وبه يَدينُ اللهَ كلَّ أوانِ[٢]

لكنَّه قَدْ قال إنَّ كلامَهُ
مَعْنىً يقومُ بِرَبِّنا الرحمٰنِ

في القولِ خالفناهُ نحنُ وأنتُمُ
في الفوقِ والأوصافِ للدَّيَّانِ[٣]

لِمَ كانَ نَفْسُ خِلافِنا كُفْراً وكا
نَ خلافُكُمْ هو مُقْتَضَىٰ الإيمانِ[٤]

---

(١) صرح أبو الحسن بأنَّ الذين قالوا: إنَّ الاستواء بمعنىٰ الاستيلاء أنَّهم أهلُ ضلال وأهل باطل.

(٢) صرَّح كذلك بأنَّه يقول بقول الإمام أحمد في هذه المسائل، وأنه يلقىٰ ربه يوم القيامة بذلك.

(٣) هذه التي أُخذت علىٰ أبي الحسن الأشعري ونرجو أنَّ الله يغفر له، وهذا غلط؛ لأنَّ كلام الله حقيقي يُسمع بحرف وصوت، سمعهُ جبريل وبلَّغَه لرسول الله ﷺ نحن خالفناه في هذه المسألة. وأنتم خالفتموه في مسألة العلو ومسائل الصفات.

(٤) لماذا كان خلافُنا لأبي الحسن الأشعري في مسألة الكلام كفراً، وخلافُكم له في كثيرٍ من مسائل الحق لا يكونُ كفراً فهل هذا إلاّ هوىٰ؟

هـذا وخـالفتُـمْ لنَـصٍّ حيـن خـا
لَفْنـا لـرأيِ الجَهْـمِ ذي البُهتـانِ[١]

واللهِ مـا لَكُـمُ جـوابٌ غيـرُ تكْـ
ـفيـرٍ بـلا عِلْـمٍ ولا إيقـانِ[٢]

أستغفـرُ اللهَ العظيـمَ لكـمْ جـوا
بٌ غيرُ ذا الشكوَىٰ إلىٰ السُّلطانِ[٣]

فَهْـوَ الجَـوابُ لـدَيْكُـمُ ولنَحْـنُ مُنْـ
ـتَظِـرُوهُ مِنْكُـمْ يَـا أُولِـي البُـرْهـانِ

واللهِ لا لـلأشعـريِّ تَبِعْتُـمُ
كـلَّا ولا للنَّـصِّ بـالإحسـانِ[٤]

---

(١) نحنُ خالفنا الآراء الباطلة كرأي الجهم بن صفوان وغيره من أهل الضلال وأنتم تُخالفون النصوص، فأيُّ الخلافيين هو الحق؟ الحقُّ أنّ خلاف آراء الرجال الضالين هو الحق وأنّ خلاف النصوص القرآنية هو الباطل.

(٢) لمَّا سألهُم: أيُّنا أشد خلافاً لأبي الحسن الأشعري، خلافُنا أو خلافكم؟ وأيُّهما أولىٰ أن يُسمَّىٰ كفراً أو ضلالاً خلافُكم للقرآن أو خلافنا لأبي الحسن الأشعري لم يستطيعوا الجواب.

(٣) ما عندكم جواب إلاّ أنكم لما عجزتم عن الحقِّ شكيتمونا إلىٰ السلطان، حيث فعلوا هذا مع شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا هو دأب أهل الباطل في كلِّ زمانٍ ومكان استعمال القوة لردِّ الحق ونُصرة الباطل، وذلك بالشكوىٰ إلىٰ السلاطين.

(٤) أنتم تسمون أنفسكم الأشاعرة وأنتم تُخالفُون الأشعريّ فهذه النسبة باطلة.

يـا قـومُ فـانتبهـوا لأنفسِكُـمْ وخَلْـ
لُوا الجهلَ والدَّعوىٰ بلا بُرهانِ[١]

ما في الرِّياسَةِ بالجهالةِ غيرُ ضَحْـ
ـكَـةِ عـاقـلٍ منكُـمْ مـدَىٰ الأزمـانِ[٢]

لا تَـرْتَضُـوا بـريـاسـةِ البَقَـرِ التـي
رُؤسـاؤُهـا مِـن جملـةِ الثيـرانِ[٣]

* * *

---

(١) هذه نصيحة لهم بعد أن بيَّن لهم بُطلان ما هم عليه من الاعتقاد بأن يتركوا العصبية وطلب الجاه وحب الرئاسة.

(٢) لا تتركوا الحق من أجل تحصيل الرياسة والملك والوظيفة؛ لأن هذا يضحك العقلاء عليكم.

(٣) أنتم تترأسُون علىٰ أُناس مثل البقر ضُلّال وجُهّال لا يعرفون الحق، فأنتم مثل الثيران التي تترأس علىٰ البقر وبئست الرّئاسة.

فصل

في أنَّ أهل الحديث هم أنصارُ رسول الله ﷺ وخاصته، ولا يُبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر[١]

يا مُبغضاً أهلَ الحديثِ وشاتِماً
أبْشِــرْ بِعَقْــدِ ولايــةِ الشيطــانِ
أوَ مَـا عِلِمْـتَ بـأنَّهُـمْ أنْصَـارُ ديـ
ـــنِ اللهِ والإيمـــانِ والقُـــرْآنِ
أو مـا عَلِمْـتَ بـأنَّ أنصـارَ الـرسُـو
لِ هُـــمُ بـــلا شـــكٍّ ولا نُكـــرانِ[٢]

---

(١) الأنصار: في الأصل هم الأوس والخزرج وسمُّوا بذلك لنصرتهم لرسول الله ﷺ، فصار لهم فضلٌ في ذلك إلىٰ يوم القيامة، حيث أثنىٰ عليهم تعالىٰ في القرآن فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ...﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقد قال ﷺ في الأنصار: «لا يُبغضهم إلاّ مُنافق»(*)، ويطلق لقب الأنصار أيضاً علىٰ أنصار الحديث هم أنصار رسول الله إلىٰ يوم القيامة، ومن يبغضهم فهو كمن يبغض أنصار الرسول من الأوس والخزرج.

(٢) ليس لفظ الأنصار خاصّاً بالأوس والخزرج بل هو عامّ لكلِّ من نصر سنة رسول الله في كلِّ وقت.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/ ٤٥٩ (١٨٥٠٠)، والبخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥)، وابن ماجه (١٦٣)، والترمذي (٣٩٠٠) من حديث البراء بن عازب، وانظر «جامع الأصول» لابن الأثير ٩/ ١٦٠ الفصل الرابع في فضائل الأنصار.

هـل يُبغِـضُ الأنصـارَ عبـدٌ مـؤمـنٌ
أوْ مُــدرِكٌ لــروائــحِ الإيمــانِ[١]

شَهِـدَ الـرَّسُـولُ بِـذَاكَ وهْـيَ شَهَـادَةٌ
مِــنْ أصْـدَقِ الثَّقَلَيْــنِ بـالبُـرْهَــانِ

أَوَ مــا عَلِمْــتَ بــأنَّ خَــزْرَجَ دينِـهِ
والأوسَ هُــمْ أبــداً بكــلِّ زمــانِ[٢]

مــا ذَنْبُهُــمْ إذْ خــالفـوكَ لقـولِـهِ
مـا خــالَفُـوه لأجـلِ قـولِ فُـلانِ[٣]

لَــوْ وافَقُــوكَ وخــالَفُــوهُ كنـتَ تَشْـ
ـهَـدُ أنَّهُــمْ حَقّــاً أُوْلُــو الإيمــانِ[٤]

---

(١) كما جاءت في الحديث: «لا يُحبُّ الأنصار إلاّ مؤمن ولا يُبغضهم إلاّ منافق»(*).

(٢) فهم الأنصار في كُلِّ زمان، ليس هذا خاصاً بالأنصار الذين في زمن النبي ﷺ.

(٣) لا يُخالفون الناس من أجل قول فلان، وإنَّما يُخالفون من أجل قول الرسول ﷺ فلا يعدله عندهم شيء، فهؤلاء هم أنصاره في كل زمان ومكان.

(٤) لو خالفوا الرسول ﷺ ووافقوك أيُّها الضال لشهدتَ لهم بالإيمان، ولكن لمَّا خالفوك ووافقوا الرسول شهدت عليهم بالكفر؛ لأنَّك منافق تظهر الإسلام وتُبطن الكفر.

(*) انظر تخريج الحديث السابق، حديث البراء بن عازب.

لمَّـا تَحَيَّـزْتُـمْ إلـىٰ الأشْيَـاخِ وانْـ
ـحَـازُوا إلـىٰ المَبْعُـوثِ بِـالْقُـرْآنِ
نَسَبُـوا إليْـه دُونَ كُـلِّ مَقَـالَـةٍ
أوْ حَـالَـةٍ أوْ قـائـلٍ ومَكَـانِ
هـذا انتسـابُ أُولـي التَّفَـرُّقِ نِسْبَـةً
مِـنْ أرْبَـعٍ معلـومَـةِ التِّبْيَـانِ[1]
فلـذا غَضِبْتُـمْ حينَمَـا انْتَسَبُـوا إلـىٰ
خَبَـرِ الـرَّسُـولِ بِنسْبَـةِ الإحْسَـانِ
فَـوَضَعْتُـمُ لهُـمُ مِـنَ الألْقَـابِ مـا
تَسْتَقْبِحُـونَ وذا مِـنَ العُـدْوانِ
هُـمْ يُشْهِـدُونكُـمُ علـىٰ بُطْـلانِهَـا
أفَتُشْهِـدُونَهُـمُ علـىٰ البُطْـلانِ

---

(١) لم ينتسبُوا إلىٰ مقالة كمقالة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ولم ينتسبُوا إلىٰ قائل مثل الجهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاَّف والنَّظام، ولم ينتسبوا إلىٰ الطرق الصوفية والأحوال ولم ينتسبوا إلىٰ قادة التصوف كالنقشبندي والرفاعي ولم ينتسبوا إلىٰ مكان مثل: عراقي ونجدي وحجازي فهذه نسبة إلىٰ مكان، فأهل الحق لا ينتسبون لهذه الأشياء بل للرسول ﷺ، فالأحوال التي ينتسب إليها أربع:

الأولىٰ: المقالة. **الثانية**: الحال.

الثالثة: القائل. **الرابعة**: المكان.

مَـا ضَـرَّهُـمْ واللهِ بُغْضُكُـمُ لَهُـمْ
إذْ وافَقُـوا حَقّـاً رَضَـا الـرَّحْمٰـنِ
يـا مَـنْ يُعـاديهِـمْ لأجـلِ مـآكـلٍ
ومَنـاصـبٍ وريـاسـةِ الإخـوانِ
تَهْنيـكَ هـاتيـكَ العـداوةُ كَـمْ بهـا
مِـنْ حَسْـرَةً ومَـذَلَّـةٍ وهَـوانِ[(١)]
ولسـوفَ تَجْنـي غِبَّهـا واللهِ عَـنْ
قُـرْبٍ وتَـذكُـرُ صِـدقَ ذي الإيمـانِ[(٢)]
فـإذا تَقَطَّعَـتِ الـوَسَـائِـلُ وانْتَهَـتْ
تِلْـكَ المَـآكِـلُ فـي سَـرِيـعِ زَمَـانِ
فَهُنَـاكَ تَقْـرَعُ سِـنَّ نَـدْمَـانٍ علىٰ التْـ
تَفْـرِيـطِ وقْـتَ السَّيْـرِ والإمْكَـانِ
وهُنَـاكَ تَعْلَـمُ مَـا بِضَـاعَتُـكَ التـي
حَصَّلْتَهَـا فـي سَـالِـفِ الأزْمَـانِ

---

(١) يا من يعادي أهل الحق لأجل مطامع الدنيا وهو يعرف أنَّهم علىٰ حق، وإنما عاداهم لأجل المنصب، فهذا ممن آثر الدنيا علىٰ الآخرة، وهي لذةٌ عاجلة لكن تعقبُها حسرةٌ دائمة والعياذ بالله.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

إلاَّ الـوَبَـالُ عَلَيْـكَ والحَسَـرَاتُ والْـ
ـخُسْـرَانُ عنْدَ الـوَضْـعِ فـي الميزانِ
قِيـلٌ وقَـالٌ مَـا لَـهُ مِـنْ حَـاصِـلٍ
إلاَّ العَنَـــاءُ وكُـــلُّ ذِي الأذْهَـــانِ
واللهِ مـا يُجْـدي عليـك هنـاك إلْـ
لاَ ذا الـذي جـاءَتْ بـه الـوحيـانِ
والله مـا يُنجيـكَ مِـن سجـنِ الجحيـ
ـمِ سِوَىٰ الحديثِ ومُحْكَمِ القرآنِ
واللهِ ليـــسَ النـــاسُ إلاَّ أهْلَـــهُ
وسـواهـم مِـن جملـةِ الحيَـوانِ[١]
ولسَوْفَ تَذْكُرُ بِرَّ ذي الإيمانِ عَنْ
قُــرْبٍ وتَقْــرَعُ نَــاجِـذَ النَّـدْمَـانِ
رَفَعُـوا بـه رأسـاً ولـم يَـرْفَـعْ بِـهِ
أهْـلُ الكـلامِ ومَنْطِـقِ اليـونـانِ[٢]

---

(١) نصحهم رحمهُ الله نصيحةً بليغة، فقال: لا ينقذك من النّار إلاّ اتباع الحديث ومُحْكَم القرآن، وأمّا غيرُهما فلا يُنجيك من عذاب الله إذا وقعت فيه، فالناس الذين يعتد بهم هم مَن يتمسك بالقرآن والسنة، وأمّا غيرهم فهم شرٌّ من الحيوان بسبب أنَّهم آثروا الباطل علىٰ الحق، وآثروا الدنيا علىٰ الآخرة.

(٢) أهل الحق رفعوا بقول الرسول رؤوسهم، وأمّا أهل منطق اليونان فلم يرفعوا بالقرآن والسنة رأساً، وقالوا: هذه أدلة وظواهر ظنية لا تُفيد اليقين.

فهـم كمـا قـال الـرسـولُ مُمَثِّـلاً
بـالمـاءِ مَهْبِطَـهُ علـىٰ القيعـانِ[١]
لا المَـاءُ تُمْسِكُـهُ ولا كَـلأٌ بِهَـا
يَـرْعَـاهُ ذُو كَبِـدٍ مِـنَ الحَيَـوانِ
هـذا إذا لَـمْ يَحْـرِقِ الـزَّرْعَ الـذي
بِجِـوَارِهَـا بِـالنَّـارِ أَوْ بِـدُخَـانِ
والجَـاهِلُـونَ بِـذَا وهـذا هُـمْ زَوَا
نُ الــزَّرْعِ إيْ واللهِ شَـرُّ زَوَانِ
وهُـمُ لَـدَىٰ غَـرْسِ الإلٰـهِ كَمِثْلِ غَرْ
سِ الـدُّلْـبِ بَيْـنَ مَغَـارِسِ الـرُّمَّـانِ
يَمْتَـصُّ مَـاءَ الـزَّرْعِ مَـعْ تَضْيِيقِـهِ
أَبَـداً عَلَيْـهِ ولَيْـسَ ذا قِنْـوَانِ

---

(١) يشير في هذا البيت إلىٰ الحديث الصحيح: «مَثَلُ ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادِبُ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورَعَوْا، وأصاب طائفة منها أخرىٰ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً. فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه الله بما بعثني به فعلم وعلَّم. ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به»(*).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٢/ ٣٤٣ (١٩٥٧٣)، والبخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

ذا حـالُهُـمْ مع حـالِ أهلِ العلـمِ أنْـ
ـصارِ الرسـولِ فـوارسِ الإيمـانِ[١]
فعليــه مِــنْ قِبَــلِ الإلــهِ تحيــةٌ
واللهُ يُبقيـــهِ مَـــدَىٰ الأزمـــانِ
لـولاَهُ مـا سُقِـيَ الغِـرَاسُ فَسَوْقُ ذا
كَ المَـاءِ للـدُّلْـبِ العَظِيـمِ الشَّـانِ
فـالغَـرْسُ دُلْـبٌ كُلُّـهُ وهـوَ الـذي
يُسْقَـىٰ ويُحْفَـظُ عِنْـدَ أهـلِ زمَـانِ
فالغَرْسُ في تلكَ الحضَارَةِ شَارِبٌ
فَضْــلَ المِيَــاهِ مَصَــارُهُ البُسْتَــانِ
لكنَّمَـا البَلْـوَىٰ مِـنَ الحَطَّـابِ قَـطْ
طَـاعِ الغِـرَاسِ وعَـاقِـرِ الحِيطَـانِ
بالفُوسِ يَضْرِب في أُصُولِ الغَرْسِ كَيْ
يَجْتَثَّهَـــا ويُظَـــنُّ ذا إحْسَـــانِ
ويَظَـلُ يَحْلِـفَ كـاذِبـاً لَـمْ أَعْتَمِـدْ
فــي ذا سِــوىٰ التَّثْبِيــتِ لِلْعِيــدَانِ
يــا خَيْبَــةَ البُسْتَــانِ مِــنْ حَطَّــابِــهِ
مَــا بَعْــدَ ذا الحَطَّــابِ مِــنْ بُسْتَــانِ

---

(١) هذا حال أهل الضلال مع أهل الإيمان أنصار الرسول وفوارس الإيمان.

فـي قَلْبِـهِ غِـلٌّ علـىٰ البُسْتَـانِ فَهْـ
ـوَ مُـوَكَّـلٌ بـالقَطْـعِ كُـلَّ أوانِ

فـالجَـاهِلُـونَ شِـرَارُ أهْـلِ الحَـقِّ والْـ
ـعُلَمَـاءُ سَـادَتُهُـمْ أُولُـو الإحْسَـانِ

والجَـاهِلُـونَ خِيَـارُ أحْـزَابِ الضَّـلا
لِ وشِيعَـةُ الكُفْـرَانِ والشَّيْطَـانِ

وشِـرارُهُـم عُلمَـاؤُهُـمْ هُـمْ شَـرُّ خَلْـ
ـقِ اللهِ آفَـةُ هـذهِ الأكْـوَانِ

* * *

فصل

في تعيُّن الهِجْرة من الآراء والبدع إلىٰ سُنَّته كما كانت فرضاً من الأمصار إلىٰ بلدته عليه السلام[١]

---

(١) الهِجْرة في اللغة: مأخوذة من الهجر وهو الترك، يُقال: هَجَرَ الشيء إذا تركَه قال تعالىٰ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥] فالرجز: الأصنام، وهَجْرُها: تركُها، ومنه: الكلام الهُجْر: وهو القبيح، سُمي هُجْراً: لأنَّه مهجور ومتروك، وسميت الهِجْرة هِجْرةً لأنَّ المُنتقَل عنه يكون متروكاً.

والهجرة في الشرع علىٰ نوعين:

النوع الأول: هجرةٌ للأبدان.

النوع الثاني: هجرةٌ للقلوب، فهجرة الأبدان: هي الانتقال من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام فراراً بالدين. وهذه هي التي جاء ذكرُها في القرآن وأثنىٰ الله علىٰ أهلها، حيث أثنىٰ علىٰ المهاجرين الذي تركوا ديارهم وأموالهم فراراً بالدين، ومن ذلك الانتقال من بلد فيه كفرٌ وشرٌّ وضلال إلىٰ بلدٍ أقلَّ منه شراً، ولو كان هذا البلد بلد كفر، كما هاجر الصحابة إلىٰ الحبشة الهجرة الأولىٰ، فالحبشة بلاد كفر ولكن المسلمين يأمنون علىٰ دينهم فيها عند ملكها النجاشي، حيث كان رجلاً عادلاً لا يُظلم أحدٌ عندَه، وكان نصرانياً، فأمر رسول الله أصحابه بالهجرة للحبشة خشيةً عليهم من أذىٰ كفار قريش.

والهجرة من بلدٍ إلىٰ بلد فراراً بالدين باقية إلىٰ قيام الساعة كما قال النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتىٰ تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتىٰ =

. . . .

= تطلع الشمس من مغربها»(*) وقد توعَّد الله من تركوا الهجرة وهم يقدرون عليها مع أنَّهم لا يأمنون علىٰ دينهم قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ. . .﴾ الآية [النساء: ٩٧-٩٨]».

وأما قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونيّة»(**) فهذا في الهجرة من مكة خاصّة لمّا فُتحت وصارت تحت ولاية المسلمين فإنَّ الهجرة منها انتهت شرعيتها؛ لأنَّها صارت تحت ولاية المسلمين، وليس في الحديث دليل علىٰ انقطاع الهجرة مطلقاً، وإنَّما هذا في هجرةٍ خاصة من مكة بعد أن صارت بلد إسلام، فهذه الهجرة بالبدن وهي تخضع للاستطاعة وعدم الاستطاعة واختلاف الأحوال، وأمّا النوع الثاني: وهو هجرة القلب إلىٰ الله ورسوله فهذه لا يُعذر أحدٌ فيها، فهي واجبةٌ علىٰ كلِّ مسلم وجوباً عينياً، أن يُهاجر بقلبه، بالإخلاص لله تعالىٰ والتوجه إليه وترك الشرك والكفر، والهجرة إلىٰ الرسول ﷺ بالاتباع والاقتداء وترك البدع والمحدثات، وقد صنَّف ابن القيم رحمهُ الله في هذا كتاباً سمَّاهُ: «سفر الهجرتين» وهو كتابٌ ضخم ومفيدٌ جداً.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ١١١ (١١٩٠٦)، وأبو داود (٢٤٧٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» ٨/ ٦٧ (٨٦٥٨) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وهو حديث حسن، وانظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ٣/ ٤٤٨ (١٩٩١)، والبخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث عبد الله بن عباس.

يـا قَـوْمُ فَـرْضُ الهجـرتيـنِ بحـالِـهِ
والله لَـــمْ يُنْسَـــخْ إلـــىٰ ذا الآنِ[١]

فالهجرةُ الأولىٰ إلىٰ الرحمٰنِ بالْـ
إخـلاصِ فـي سِـرٍّ وفـي إعْـلانِ[٢]

حتَّـىٰ يَكُـونَ القَصْـدُ وَجْـهَ اللهِ بِـالْـ
أقْـــوَالِ والأعْمَـــالِ والإيمـــانِ

ويكـونَ كـلُّ الـدِّيـنِ للـرحمٰـنِ مـا
لســـواهُ شـــيءٌ مِـــن إنســـانِ[٣]

والحـــبُّ والبُغْـــضُ اللـــذان هُمـــا
لكـــلِّ ولايَـــةٍ وعـــداوةٍ أصـــلانِ[٤]

---

(١) الهجرة إلىٰ الله وإلىٰ رسوله بالقلب لم تُنسخ أبداً فهي باقية إلىٰ قيام الساعة.

(٢) فالهجرة الأولىٰ إلىٰ الله تعالىٰ بإخلاص العبادة والنية له والقصد وترك الشرك الأكبر والأصغر وترك النفاق الأكبر والأصغر.

(٣) لا يكون في الدين شيءٌ لغير الله رياء أو سُمعةً أو قصداً لطلب الدنيا بل يكون الدين كلُّه لله تعالىٰ ظاهراً وباطناً.

(٤) ثمّ يتبع إخلاص العبادة: الحبُّ والبُغض، الحبُّ لأوليائه والبغض لأعدائه، فلا يكون مؤمناً إلاّ من اتصف بالولاء والبراء. فأوثق عُرىٰ الإيمان: الحبُّ في الله والبغض في الله، وباب الولاء والبراء هو الذي يُميِّز المسلم الصادق من غيره.

لله أيضـــاً هكـــذا الإعطـــاءُ والـ
ـمَنْــعُ اللـــذان عليهمـــا يَقِفـــانِ[١]

والله هـــذا شَطْـــرُ ديـــنِ اللهِ والتْـ
ـتَحْكيـــمُ للمختـــارِ شطـــرٌ ثـــانِ

وكـلاهمـا الإحسـانُ لـن يَتقبَّلَ الرْ
رحمٰـنُ مِـن سَعْـيٍ بـلا إحسـانِ[٢]

والهجرةُ الأخرىٰ إلىٰ المبعوثِ بالـ
إســـلامِ والإيمـــانِ والإحســـانِ[٣]

أتـــروْنَ هـــذي هجـــرةَ الأبـــدانِ لا
واللهِ بـــل هـــي هجـــرةُ الإيمـــانِ[٤]

---

(١) كذلك في الإعطاء والمنع يكون لله تعالىٰ، فيُعطي المال تعبداً لله وتقرباً إليه، ويمنع المال لله عزَّ وجل، وهذا تابع للهجرة الأولىٰ وهي الإخلاص لله تعالىٰ.

(٢) هجرة القلب إلىٰ الله فيها تحقيق الركن الأول وهو شهادة أنْ لا إلـٰه إلاّ الله، بالتوحيد والإخلاص والحب والبغض والمنع والإعطاء وغير ذلك، وهجرة القلب إلىٰ الرسول فيها تحقيق شهادة أنّ محمداً رسول الله، من الاقتداء والمتابعة والتأسي به، ومن حقَّق الإخلاص لله تعالىٰ والمتابعة للرسول ﷺ فهذا أعلىٰ درجات الدين التي هي الإسلام والإيمان والإحسان.

(٣) وذلك بتحقيق سنته واتباع ما جاء به وتقديم سنته علىٰ كل شيء، وترك البدع والمحدثات، والعوائد الضالة.

(٤) وهي هجرة القلوب، وأما هجرة الأبدان فقد سبق الكلام عليها.

قَطْعُ المسافةِ بالقلوبِ إليه في
دَرْكِ الأصولِ مع الفروعِ وذانِ
أبداً إليه حُكْمُها لا غيرُهُ
فالحكْمُ ما حَكَمَتْ به النَّصَّانِ[١]
يا هِجْرَةً طالتْ مَسافتُها علىٰ
كَسْلانَ مَنْخُوبِ الفُؤادِ جَبَانِ
يا هِجْرَةً والعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ
سَبَقَ السُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوانِ
سَارُوا أَحَثَّ السَّيْرِ وهوَ فَسَيْرُهُ
سَيْرُ الدَّلالِ وليْسَ بِالذَّمَلانِ
هذا وتَنْظُرُهُ أمَامَ الرَّكْبِ كالْـ
ـعَلَمِ العَظِيمِ يُشَافُ في القِيعَانِ
رُفِعَتْ لَهُ أعْلامُ هَاتِيكَ النُّصُو
صِ رُؤُوسُهَا شابَتْ مِنَ النِّيرَانِ
نَارٌ هِيَ النُّورُ المُبِينُ ولَمْ يَكُنْ
لِيَرَاهُ إلاَّ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

---

(١) فالحكم: حكم الكتاب والسنة، وهجرة القلوب إلىٰ هذا الحكم، وترك حكم غيرهما، وهذه هي التي تصعب إلاّ علىٰ مَن وفقه الله ويسَّر له الهجرة إليها فلا يصبر عليها إلاّ الصادقون.

مَكْحُـولتَـانِ بِمِـرْوَدِ الـوَحْيَيْـنِ لا
بِمَـــرَاوِدِ الآراءِ والهَـــذَيَـــانِ

فَلِـذَاكَ شَمَّـرَ نَحْـوَهَـا لَـمْ يَلْتَفِـتْ
لا عَـــنْ شَمَـــائِلِـــهِ ولا أيْمَـــانِ

يـا قـومُ لـو هـاجـرْتُـمُ لـرأيْتُـمُ
أعـــلامَ طيبـــةَ رؤيـــةً بعيـــانِ[١]

ورأيْتُـمُ ذاكَ اللِّـواءَ وتَحْتَـهُ الـرُّ
رُسْـلُ الكِـرَامُ وعَسْكَـرُ القُـرْآنِ

أصْحَـابُ بَـدْرٍ والأُلىٰ قَـدْ بَـايَعُـوا
أزْكَـىٰ البَـرِيَّـةِ بَيْعَـةَ الـرِّضْـوَانِ

وكذا المُهَاجِرَةُ الأُلىٰ سَبَقُوا كذا الْـ
أنْصَـارُ أهْـلُ الـدَّارِ والإيمـانِ

والتَّـابِعُـونَ لهُـمْ بـإحْسَـانٍ وسَـا
لِـكُ هَـدْيِهِـمْ أبَـداً بِكُـلِّ زَمَـانِ

لكــن رَضيتُـمْ بـالأمـانـي وابتُليـ
ـتُمْ بـالحظـوظِ ونَصْـرَةِ الإخـوانِ[٢]

---

(١) لو هاجرتم هجرة القلوب لأبصرتم أعلام طيبة، وهي المدينة النبوية التي شعَّ منها نور الإيمان والقرآن.

(٢) هذا لوم للذين آثروا المناصب والمآكل والمشارب ورضا الناس علىٰ متابعة السنة والاقتداء بالسلف الصالح.

بـل غـرَّكُـمْ ذاكَ الغـرورُ وسـوَّلَـتْ
لكُمُ النفـوسُ وسـاوِسَ الشيطـانِ[١]

ونَبَـذْتُـمُ غَسْـلَ النُّصُـوصِ وراءَكُـمْ
وقَنْعتُـــمُ بِقُطَـــارَةِ الأذْهَـــانِ

وتــركتُـمُ الــوَحْيَيْـنِ زُهــداً فيهمــا
ورغبتُـــمُ فـــي رأيِ كُـــلِّ فـــلانِ[٢]

وعَـــزَلْتُـــمُ النَّصَّيْـــنِ عَمَّـــا وُلِّيَـــا
لِلْحُكْـــمِ فيـــهِ عَـــزْلَ ذي عُـــدْوانِ

وزعمتُـــمُ أن ليـــس يحكُـــمُ بيننـــا
إلاَّ العقـــولُ ومنطـــقُ اليـــونـــانِ[٣]

---

(١) أي يخذِّلُهم شياطين الجن والإنس فيقولون: هؤلاء متشددون وعندهم قصور نظر.

(٢) هذا أيضاً من الملامة علىٰ هؤلاء الذين تعوّضوا عن الوحيين بآراء الرجال كمقلدة المذاهب الذين لا يُميِّزون بين ما خالف الكتاب والسنة وبين ما وافق الكتاب والسنة.

(٣) الذين يُقدِّمُون العقول علىٰ النصوص هم علماء المنطق وأهل الكلام ومن اقتدىٰ بهم حيث يقولون: إن أدلة السمع دلالتُها ظنية، وأمّا دلالة العقول فهي يقينية، وكذبوا في هذا بل الصواب أنّ نصوص الكتاب والسنة هي اليقينية، وذلك لأنَّها كلام الله ورسوله ودلالة العقول هي الظنية: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فَهُنَا بحُكْمِ الحقِّ أَوْلَىٰ منهما
سبحانَكَ اللهمَّ ذا السُّبحانِ[(١)]

حتَّىٰ إذا انْكَشَفَ الغِطَاءُ وحُصِّلَتْ
أَعْمَالُ هذا الخَلْقِ في المِيزَانِ

وإذا انْجَلَىٰ هذا الغُبَارُ وصارَ مَيْـ
ـدَانُ السِّبَاقِ تَنَالُهُ العَيْنَانِ

وبَدَتْ علىٰ تلكَ الوجوهِ سِماتُها
وَسْمَ المليكِ القادرِ الدَّيَّانِ[(٢)]

مُبْيَضَّةً مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةٍ
والسُّودُ مِثْلَ الفَحْمِ للنِّيرَانِ

فهُنَاكَ يَعْلَمُ راكِبٌ ما تَحْتَهُ
وهُنَاكَ يَقْرَعُ نَاجِذَ النَّدْمَانِ

وهُنَاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ ما الذي
مَعَهَا مِنَ الأَرْبَاحِ والخُسْرَانِ

---

(١) هذا تنزيه لله سبحانَه وتعالىٰ لأنَّه يلزم منه النقص في حقِّ الله تعالىٰ، إذا قيل: إنَّ كلامَه لا يفيد إلا الظن، وأن قواعد المنطق هي المعصومة، فهذا تنقُّصٌ لله تعالىٰ، ولهذا سبَّح الله من هذا التنقص.

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧] وهذه نتيجة أعمال العباد يوم القيامة، قال بعض السلف: تسودُّ وجوه أهل الفرقة والابتداع، وتبيض وجوه أهل السنة والاتباع.

وهُنَـاكَ يَعْلَـمُ مُـؤْثِـرُ الآراءِ والشْـ
شَطَحَـاتِ والهَـذَيَـانِ والبُطْـلانِ
أيُّ البَضَـائِعِ قَـدْ أضَـاعَ ومَـا الـذي
مِنْهَـا تَعَـوَّضَ فـي الـزَّمَـانِ الفَـانِـي
سبحـانَ رَبِّ الخلـقِ قـاسِـمِ فَضْلِـهِ
والعَـدْلِ بيـن النـاسِ بـالميـزانِ[1]
لـو شـاءَ كـان النَّـاسُ شيئـاً واحـداً
مـا فيهـمُ مِـنْ تـائـهٍ حَيـرانِ[2]
لكِنَّـهُ سُبْحَـانَـهُ يَخْتَـصُّ بـالْـ
ـفَضْـلِ العَظِيـمِ خُـلاصَـةَ الإنْسَـانِ
وسِـوَاهُـمُ لا يَصْلُحُـونَ لِصَـالِـحٍ
كـالشَّـوْكِ فَهْـوَ عِمَـارَةُ النِّيـرَانِ
وعِمَـارةُ الجَنَّـاتِ هُـمْ أهْـلُ الهُـدَىٰ
اللهُ أكْبَـرُ لَيْـسَ يَسْتَـوِيَـانِ

---

(١) اللهُ سبحانَه وتعالىٰ يهدي من يشاء تفضلاً منه للحق والعلم النافع، ويُضلُّ من يشاء عدلاً منه سبحانَه وتعالىٰ.

(٢) اقتضت حكمتُه سبحانه أن يُفرِّق بين أهل الضلال وأهل الحق من باب الامتحان والابتلاء، ولأجل أن يتميز المؤمن من الكافر، والصادق من الكاذب، فيتميز هذا من هذا، فهذه حكمة الله تعالىٰ، لأنه لولا الابتلاء والامتحان لما تميز الخبيث من الطيب.

فسَـلِ الهـدايـةَ مَـنْ أزِمَّـةُ أمْـرِنـا
بِيَـدَيْـهِ مَسْـأَلَـةَ الـذليـلِ العـانـي[١]
وسَـلِ العيـاذَ مِـن اثنتَيْـنِ همـا اللتـا
نِ بِهُلْـكِ هــذا الخَلْـقِ كـافِلَتـانِ
شـرُّ النفـوسِ وسيِّـىءُ الأعمـالِ مـا
واللهِ أعظـــمُ منهمـــا شَـــرّانِ
ولقــد أتــىٰ هــذا التعــوُّذُ منهمــا
فــي خُطبــةِ المبعــوثِ بـالقـرآنِ[٢]

---

(١) كذلك من الحكمة في ذلك سؤال الله تعالىٰ، أمَّا لو كان النَّاس كُلُّهم سواء ما احتاجُوا إلىٰ الدعاء والتضرُّع والعبادة لله تعالىٰ، وكذلك أيضاً لو كان النَّاس كلهم سواء في الخير لبطل جهاد النفس والشيطان والكفار، فوجود الخير والشر والكفر والإيمان فيه حِكَمٌ عظيمة، ويترتب عليه أحكام عظيمة.

(٢) أخطر ما علىٰ الإنسان شيئان:

الأول: شرُّ نفسه.

الثاني: سيئات عمله، ولذا كان ﷺ يستعيذ بالله منهما في خطبه فيقول: «إنَّ الحمد لله، نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»[*] فشر النفس: هو الهوىٰ والكبر والحقد والحسد وهذه تُهلك الإنسان، وشرُّ الأعمال: المعاصي والذنوب والأفعال المُحرَّمة، فإذا سلم الإنسان من هاتين الآفتين نجا وأفلح.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٦/ ٢٦٤ (٣٧٢١)، والترمذي (١١٠٥)، وابن ماجه (١٨٩٢) من حديث عبد الله بن مسعود وهو حديث صحيح.

لـو كـان يَـدْرِي العبـدُ أنَّ مُصابَـهُ
فـي هـذه الـدنيـا همـا الشـرَّانِ
جعــل التعــوُّذَ منهمــا دَيْــدانَــهُ
حتَّــىٰ تــراهُ داخــلَ الأكفــانِ[١]
وسَـلِ العيـاذَ مِـن التَّكبُّـرِ والهـوىٰ
فهمــا لكــلِّ الشــرِّ جـامعتـانِ[٢]
وهُمَـا يَصُـدَّانِ الفَتَـىٰ عَـنْ كُـلِّ طُرْ
قِ الخَيْـرِ إذْ فــي قَلْبِــهِ يَلِجَــانِ
فتـــراهُ يمنَعُـــهُ هــــواهُ تــــارةً
والكِبْـرُ أُخـرىٰ ثُـمَّ يشتـركـانِ[٣]
والله مــا فــي النَّــار إلاَّ تــابــعٌ
هـذيـن فـاسـألْ سـاكنـي النيـرانِ[٤]
والله لــو جَــرَّدْتَ نفسَــكَ منهمــا
لأتَــتْ إليـك وفـودُ كُـلِّ تَهـانِ[٥]

---

(١) يعني: لازم هذا الدعاء حتىٰ يتوفىٰ.

(٢) هذا من شرِّ النفس، فأخطر آفات النفس: الكبر والهوىٰ.

(٣) أحياناً يُسلَّط عليه الاثنان: الكبر والهوىٰ وأحياناً ينفرد أحدهُما: إمَّا الكبر وإمَّا الهوىٰ.

(٤) فالذي أوجب دخول النَّار هو هذان الأمران: الكبر واتباع الهوىٰ.

(٥) لو سلمت من الكبر والهوىٰ لسلمتَ من كلِّ شَرٍّ.

فصل

في ظهور الفَرْق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المُعطِّلين(١)

والفَـرْقُ بيـن الـدعـوتَيْـنِ فظـاهـرٌ
جِـدّاً لمـن كـانَـتْ لَـهُ أُذنـانِ(٢)

---

(١) هذا الفصل لبيان الفرق بين دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ودعوة المُعطلين لأسماء الله وصفاته من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وكل مَن عطَّل شيئاً من الأسماء والصفات، ويتضح الفرق في أنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام أثبتوا لله تعالىٰ هذه الأسماء والصفات علىٰ وجه التفصيل، ونفوا عنه النقص علىٰ سبيل الإجمال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] فالرسل جاؤوا بإثبات مُفصَّل للأسماء والصفات، وبنفي مجمل للنقائص والعيوب، وأمّا المعطلة فهم علىٰ النقيض جاؤوا بإثباتٍ مُجمل، ونفي مُفصَّل عكس دعوة الرسل، فنفوا عن الله تعالىٰ كُلَّ ما أثبتَه لنفسِه أو أثبتَهُ له رسولُه علىٰ وجه التفصيل، وأثبتوا وجود الله تعالىٰ علىٰ وجه الإجمال، فلم يُثبتُوا لله تعالىٰ إلا ذاتاً مُجردَّة عن الأسماء والصفات، وقالوا: موجود مُطلق بشرط الإطلاق.

(٢) الفرق بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين واضح لمن كانت له أذنان يسمع بهما الحق، أمّا الذي أصمَّ أذنيه عن سماع الحق وعمّا جاءَت به الرسل فهذا لا فائدة منه.

فـرقٌ مُبِيـنٌ ظـاهـرٌ لا يَخْتَفِـي
إيضـاحُـهُ إلاَّ علـىٰ العُميـانِ[١]

فـالـرُّسْـلُ جَـاؤونَـا بـإثْبَـاتِ العُلُـوْ
وِ لِـرَبِّنَـا مِـنْ فَـوْقِ كُـلِّ مَكَـانِ

وكـذا أتـونـا بـالصفـاتِ لـربِّنـا الرْ
رَحْمٰـنِ تفصيـلاً بكـلِّ بَيَـانِ[٢]

وكـذاكَ قـالـوا إنَّـهُ مُتَكَلِّـمٌ
وكَـلامُـهُ المَسْمُـوعُ بِـالآذانِ

وكـذاكَ قـالـوا إنَّـهُ سُبْحَـانَـهُ الْـ
ـمَـرْئِـيُّ يَـوْمَ لِقَـائِـهِ بِعِيَـانِ

وكـذاك قـالـوا إنَّـهُ الفعَّـالُ حَقْـ
ـقـاً كـلَّ يـومٍ ربُّنـا فـي شـانِ[٣]

وأتَيْتُمُـونـا أنتُـمُ بـالنفـي والتْـ
تَعْطيـلِ بـل بشهـادَةِ الكُفـرانِ[٤]

---

(١) فإذا قرأت النصوص في القرآن وجدت أنّ النفي مُجملٌ والإثباتَ مُفصَّلٌ بخلاف ما إذا قرأت كتب عُلماء الكلام فإنّك تجدُ العكس فيها إثباتٌ مُجمل ونفي مُفَصَّل.

(٢) مِنْ سَمْع وبَصَر وقُدرةٍ وإرادةٍ لكن بالتفصيل.

(٣) وذلك أنَّ أفعاله سبحانَه وتعالىٰ تتجدد كلَّ يوم، وكل وقت كما يشاء سبحانَه وتعالىٰ كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

(٤) أمَّا أهل التعطيل فأتونا بالنفي المُفصَّل حيث نفوا عنه كُلَّ اسم وكلَّ صفة أثبتهما لنفسه، ولم يكتفوا بذلك بل حكموا علىٰ من أثبتَها أنَّه كافر.

لِلْمُثْبِتِيــنَ صِفَــاتِــهِ وعُلُــوَّهُ
وِنــدَاءَهُ فــي عُــرْفِ كُــلِّ لِسَــانِ

شَهِــدُوا بــإِيمــانِ المُقِــرِّ بِــأَنَّــهُ
فَــوْقَ السَّمَــاءِ مُبَــايِــنُ الأكْــوَانِ

وشَهِــدْتُــمُ أَنْتُــمْ بِتَكْفِيــرِ الــذي
قَــدْ قــالَ ذلــكَ يَــا أُولِــي العُــدْوَانِ

وأتــىٰ بــأيــن اللهُ إقــراراً ونُطْـ
ـقــاً قلتُــمُ هــذا مِــن البِهتــانِ[1]

فسَلُــوا لنــا بــالأيــنِ مثــلَ سؤالِنــا
مــا الكــون عنــدكم همــا شيئــانِ[2]

---

(١) وكذلك أهل السنة أثبتوا السؤال: بأين الله؟ كما أثبته الرسول حينما سأله سائل: فقال: أين كان ربُّنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟(*) فلم ينكر عليه، وكذلك هو ﷺ نطق بهذا حيث قال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء قال: «أعتقها فإنَّها مؤمنة»(**). وأين: إشارة إلىٰ المكان.

(٢) يقولون: نعم الرسول ﷺ قال: «أين» ومعناها «ما» فهو يقول للجارية: «ما الله» وهذا من أبطل الباطل، وذلك لأنَّ «أين» سؤالٌ عن المكان و«ما» سؤالٌ عن الحقيقة حقيقة الشيء، فهذه لغة العرب، وأما المعطلة فهم يقولون: السؤال بـ«أين» و«ما» سواء وهذه مكابرة ومخالفة للغة العرب.

(*) سلف تخريجه ص٣٣٩.

(**) سلف تخريجه ص٣١٩.

وكـــذا أتـــونـــا بـــالبيـــانِ فقلتُـــمُ

بـــاللغـــزِ أيـــنَ اللغـــزُ مِـــن تِبيـــانِ[١]

إذا كـــان مـــدلـــولُ الكـــلامِ ووضعُـــهُ

لَـــمْ يَقْصِـــدوهُ بِنُطْقِهِـــمْ بلســـانِ[٢]

والقصـــدُ منـــه غيـــرُ مفهـــومٍ بـــه

مـــا اللغـــزُ عنـــدَ النـــاسِ إلاَّ ذانِ[٣]

يـــا قـــومِ رُسْـــلُ اللهِ أعـــرفُ منكُـــمُ

وأتَـــمُّ نُصْحـــاً فـــي كمـــالِ بَيـــانِ

أتـــرونَهُـــمْ قـــد ألغـــزوا التـــوحيـــدَ إذْ

بَيّنتُمُـــوهُ يـــا أُوْلـــي العِـــرفـــانِ

---

(١) الرسل أتوا بالبيان الواضح، وأنتم تزعمون أنَّهم أتوا بالألغاز، لأنكم تقولون: إنَّ كلام الرسل في الأسماء والصفات ليس المقصود منه ظاهره، وإنَّما المقصود منه معنىً آخر لم يُبينوه، فليس هو على ظاهره. وهذا اتهام للرسل أنَّهم أتوا بالألغاز وأنَّهم غشوا الناس ولم يُبينوا لهم وإنَّما حيَّروهم.

(٢) هذا معنى اللغز: أن يكون اللفظ ليس المقصود منه ما يظهر منه، وإنَّما المقصود منه شيءٌ آخر، وهذا لم تأت به الرسل.

(٣) اللغز هو الذي لا يُقصد معناه الظاهر وإنَّما يُقصد معنىً خفي قلَّ من يعثر عليه.

أتـرونَهُـمْ قـد أظهـروا التشبيـهَ وَهْـ
ـــوَ لـديكُـمُ كعبـادةِ الأوثـانِ(١)

ولأيِّ شـيءٍ لـم يقـولـوا مثـلَ مـا
قَـدْ قُلْتُـمُ فـي رَبِّنـا الـرحمٰـنِ(٢)

ولأيِّ شـيءٍ صـرَّحـوا بخـلافِـهِ
تَصْـريـحَ تَفصيـلٍ بـلا كِتمـانِ(٣)

---

(١) لا شكَّ أنَّ الرسل أعلم الخلق، وأنهم أعظم الخلق بياناً وتوضيحاً، ولا شك أنَّ مَنْ وصَفَهم بعدم البيان أنَّه كافر، لأنَّه تنقص الرسل، فهل أنتم بيَّنتم التوحيد وهم ألغزوا فيه. إن اعتقدتم ذلك فهذا كفر. ويقولون: لو أجرينا نصوص الأسماء والصفات علىٰ ظاهرها للزم التشبيه؛ لأنَّ هذه الأسماء والصفات موجودة في المخلوقين، فإذا أثبتناها علىٰ ظاهرها فهذا تشبيه وهو كفر. ونحن نقول: ليست أسماء الله وصفاته مثل أسماء المخلوقين وصفاتهم، فهناك فارق بين الخالق والمخلوق، فأسماء الله وصفاته تليق به، وكذلك أسماء المخلوقين وصفاتهم تليقان بهم، فمن لم يُفرِّق بين الخالق والمخلوق فقد كفر، وهم إنَّما أتوا من عدم الفرق بين الخالق والمخلوق.

(٢) لو أنَّكم علىٰ حق فيما تقولون: إنَّ هذه النصوص ليست علىٰ ظواهرها، وأنَّها تقتضي التشبيه لبيَّن ذلك الرسل عليهم السلام ووضحوهُ للنَّاس، فلما لم يقولوا بذلك، دلَّ علىٰ أنَّ ظاهرها مقصود، وأنَّه لا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق.

(٣) أي لأيِّ شيء خالفكم الرسل فيما ذهبتم إليه إلاّ لأنَّكم علىٰ باطل.

ولأيِّ شيءٍ، بالغُوا في الوصفِ بالـ

إثبـات دونَ النفـيِ كـلَّ زمـانِ

ولأيِّ شـيءٍ أنتُـمُ بـالغتُـمُ

فـي النفسِ والتعطيـلِ بـالقُفْـزانِ[١]

فجَعَلْتُـمُ نَفْـيَ الصِّفَـاتِ مُفَصَّـلاً

تَفْصِيـلَ نَفْـيِ العَيْـبِ والنُّقْصَـانِ

وجَعلْتُـمُ الإثْبَـاتِ أمْـراً مُجْمَـلاً

عَكْـسَ الـذي قـالُـوهُ بِـالْبُـرْهَـانِ

أتـراهُـمُ عَجَـزوا عـن التِّبيـانِ واسـ

ـتـوليتُـمُ أنتُـمْ علـىٰ التِّبيـانِ[٢]

أتـرونَ أفـراخَ اليهـودِ وأُمَّـةَ التْـ

تَعْطِيـلِ والعُبَّـادِ للنيـرانِ

وَوَقـاحَ أربـابِ الكـلامِ البـاطـلِ الْـ

ـمَـذْمُـومِ عنـدَ أئمـةِ الإيمـانِ

---

(١) لأيِّ شيءٍ بالغ الرسل بالوصف بالإثبات وفَصَّلُوا فيه، وأجملوا في النفي إلّا لأجل أنَّ هذا هو الحق عند الرسل وأتباعهم، وأمّا مخالفوهم فعلىٰ العكس عندهم إثبات مجمل ونفي مفصل. بالقُفْزان: يعني جُزافاً لا حصر له، والقُفْزان: جمع قَفيز وهو مكيال معروف.

(٢) هذا اتهامٌ للرسل بالعجز وأنكم أحسن وأعرف منهم ببيان الحق، وكفىٰ بهذا كفراً وضلالاً.

مِـنْ كـلِّ جَهْمِـيٍّ ومعتـزلٍ ومَـنْ
والاهُمـا مِـن حِـزبِ جَنْكِسْخـانِ
بـاللهِ أعلـمَ مِنْ جميعِ الرُّسْلِ والتْـ
ـتَـوراةِ والإنجيـلِ والقـرآنِ(١)
فسَلُـوهُـمْ بسـؤالِ كُتْبِهِـمُ التـي
جاؤوا بها عن عِلْمِ هذا الشانِ(٢)
وسَلُـوهُـمُ هـل رَبُّكُـمْ فـي أرضِـهِ
أو فـي السمـاءِ وفـوقَ كـلِّ مكـانِ
أمْ ليـسَ مِـن ذا كُلِّـه شـيءٌ فـلا
هُـوَ داخـلٌ أوْ خـارجُ الأكـوانِ(٣)

---

(١) أفراخ اليهود: الجهمية، وأئمة التعطيل: هم أتباع فرعون المُعطِّل، والعباد للنيران: هم المجوس، وأرباب الكلام: أهل علم المنطق، فهل هؤلاء الطوائف أعلم بالله من جميع الرسل؟

(٢) اسألوا الرسل، أي: الكتب التي جاءت بها الرسل هل تتفق مع ما أنتم عليه أو تختلف؟ فإن اختلفت فالحقُّ مع ما جاءت به الرسل كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

(٣) ارجعوا إلىٰ الكتب الإلهية، هل ترون فيها أنَّ الله في كلِّ مكان؟ تعالىٰ الله عن ذلك، أو تجدون فيها أنَّ الله في السماء، فكل الكتب فيها أنَّ الله في السماء، وأعظم كتاب دل علىٰ ذلك القرآن ففيه أنَّ الله في السماء عالٍ علىٰ خلقِه مستوٍ علىٰ عرشه، فليس فيها أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا يمنة ولا يسرة كما تقولُه المعطلة، لأنَّ هذا معناه أنه معدوم.

فَـالعِلْـمُ والتِّبْيَـانُ والنُّصْـحُ الـذي
فِيهِـمْ يُبِيـنُ الحَـقَّ كُـلَّ بَيَـانِ
لكنَّمـا الإلغـازُ والتَّلْبِيـسُ والْـ
ـكِتْمَـانُ فِعْـلُ مُعَلِّـمِ الشيطَـانِ[1]

* * *

(١) الألغاز والإجمال هذه كلها من علوم مُعلِّم الكفر، وهو الفيلسوف الذي وضع علم المنطق.

فصل

في شكوىٰ أهل السنة والقرآن أهلَ التعطيل والآراء المخالفين للرحمٰن(١)

يـا ربِّ هُـمْ يشكـوننـا أبـداً بِبَغْـ
ـيِهِـمُ وظُلْمِهِـمُ إلـىٰ السُّلطـانِ

ويُلَبِّســونَ عليــه حتَّــىٰ إنَّــهُ
لَيَظُنُّهُـمْ هُـمْ نـاصِـرو الإيمـانِ(٢)

فيُـرُونَـهُ البـدعَ المُضِلَّـةَ فـي قَـوا
لِـبِ سُنَّـةٍ نبـويَّـةٍ وقُــرآنِ(٣)

ويُـرُونَـهُ الإثبـاتَ لـلأوصـافِ فـي
أمْـرٍ شنيـعٍ ظـاهـرِ النُّكـرانِ

---

(١) حصلت المعركة بين أهل الحق وأهل الباطل، وتبيَّن منهجُ أهل الحق وأهل الباطل، فأهل الحق يشكون إلىٰ الله تعالىٰ، وأمَّا أهل الباطل فيشكون إلىٰ السلطان إذا عجزوا عن الأدلة والبراهين، والناظم رحمهُ الله قد نالَهُ شيءٌ من هذا.

(٢) فهم يوشون بأهل السنة إلىٰ السلطان لا سيَّما إذا قالوا: إنَّهم يفسدون عليكم الملك، ويفسدون الناس عليكم، فالسلاطين يغارون علىٰ ملكهم، وهذا هو الذي فعلوه مع المأمون والمعتصم في حق الإمام أحمد، واغتر بهم السلطان يظنَّ أنَّهم علماء وقضاة حيث يتزيون بزيِّ أهل العلم والزهد والورع والصدق.

(٣) يُلبِّسون عليه السنة فيجعلونها بدعة، ويجعلون البدعة هي السنة، ويقولون: إنَّ أهل السنة مشبهة ومجسمة وحشوية.

فَيُلَبِّســونَ عليــه تَلْبِيسَيْــنِ لَــوْ
كُشِفـا لَــهُ بــاداهُــمُ بطعــانِ[١]
يَــا فِــرْقَــةَ التَّلْبِيــسِ لا حُيِّيْتُــمُ
أبــداً وحُيِّيْتُــمْ بِكُــلِّ هــوَانِ
لكننــا نشكــوهُــمُ وصنيعَهُــمْ
أبـداً إليـكَ فـأنـتَ ذو السُّلطـانِ[٢]
فـاسْمَـعْ شكـايتَنـا وأشْـكِ مُحِقَّنـا
والمُبْطِــلَ ارْدُدْهُ عــن البُطــلانِ[٣]
راجِـعْ بـه سُبُـلَ الهُـدىٰ والْطُـفْ بـه
حتَّــىٰ تُــرِيــهِ الحــقَّ ذا تِبيــانِ[٤]
وارْحَمْهُ وارْحَمْ سَعْيَهُ المِسْكِينَ قَدْ
ضَــلَّ الطَّــرِيــقَ وتَــاهَ فــي القِيعَــانِ

---

(١) التلبيس الأول قلب الحق باطلاً، والتلبيس الثاني قلب الباطل وجعلُه حقاً.

(٢) أهل السنة يشكون إلىٰ الله تعالىٰ ولا يشكون إلىٰ السلاطين، بل إلىٰ ملك الملوك، وهو ينتصر لهم ولو بعد حين، وقد حصل هذا فبان الحق واندحض الباطل، والربّ تعالىٰ هو السلطان الحقيقي، وأمَّا سلاطين أهل الأرض فسلطتهم ضعيفة ومُلكُهم يزول، لكن سلطان الله هو الحق وهو الباقي.

(٣) يدعو الله أن يُؤيِّدَ من معَه الحق من الفريقين، وأما صاحب الباطل فارْدُدْهُ، وهذا هو الإنصاف.

(٤) وهذا من إنصافه رحمهُ الله: أنّه دعا لهم بالهداية وأن يردهم الله إلىٰ الصواب.

يـا رَبِّ قَـدْ عَـمَّ المُصَـابُ بهَـذِهِ الْـ
آرَاءِ والشَّطَحَــــاتِ والبُهْتَــــانِ

هَجَرُوا لَهَا الوَحْيَيْنِ والفِطْرَاتِ والْـ
آثَـارَ لَـمْ يَعْبُـوا بـذَا الهِجْـرَانِ

قـالـوا وتلـكَ ظـواهـرٌ لفظيَّـةٌ
لَـمْ تُغْـنِ شيئـاً طـالـبَ البُـرهـانِ

فـالعقـلُ أَوْلَـىٰ أنْ يُصـارَ إليـه مِـنْ
هذي الظواهرِ عندَ ذي العِرفانِ(١)

ثـمَّ ادَّعـىٰ كُـلٌّ بِـأنَّ العَقْـلَ مَـا
قَـدْ قُلْتُـهُ دُونَ الفَـرِيـقِ الثَّـانـي

يَـا رَبِّ قَـدْ حَـارَ العِبَـادُ بِعَقْـلِ مَـنْ
يَـزِنُـونَ وحْيَـكَ فَـاتِ بِـالْمِيـزَانِ

وبِعَقْـلِ مَـنْ يَقْضِـي عَلَيْـكَ فَكُلُّهُـمْ
قـدْ جـاءَ بِـالمَعْقُـولِ والبُـرْهَـانِ

---

(١) عاد إلىٰ ذكر ما هم عليه وأنّهم يقولون: إنَّ القرآن والسنة ظواهر ظنية لا تُفيد اليقين، وأنَّ قواعد المنطق علمية تفيد اليقين. هذا هو سبب الضلال، ثمّ اختلفوا فيما بينهم فكلٌّ يدعي أنّ ما هو عليه هو الحق، وأن غيره ليس عندَه حق، وهكذا سنة الله فيمن ابتُلي بترك الحق أن يُبتلىٰ بالخلاف والجدال والافتراق حتىٰ إن بعضهم يُكَفِّر بعضاً ويُضَلِّلُ بعضهم بعضاً، فكلٌّ يدعي أنَّه عندَه العقل الصحيح.

يَـا رَبِّ أَرْشِـدْنَـا إِلـىٰ مَعْقُـولِ مَـنْ
يَقَـعُ التَّحَـاكُـمُ إِنَّنَـا خَصْمَـانِ

جـاؤوا بِشُبْهَـاتٍ وقـالُـوا إِنَّهَـا
مَعْقُـولَـةٌ بِبَـدَائِـهِ الأَذْهَـانِ

كُـلٌّ يُنَـاقِـضُ بَعْضُـهُ بَعْضـاً ومَـا
فـي الحَـقِّ مَعْقُـولانِ مُخْتَلِفَـانِ

وقَضَـوْا بِهـا كَـذِبـاً عليـكَ وجُـرأَةً
مِنهُـمْ ومـا التفتُـوا إلـىٰ القـرآنِ[١]

يـا ربُّ قـد أَوْهَـىٰ النفـاةُ حبائـلَ الـ
ـقـرآنِ والآثـارِ والإيمـانِ[٢]

يـا ربُّ قـد قَلَـبَ النُّفَـاةُ الـدِّيـنَ والْـ
إِيمـانَ ظَهْـراً مِنْـهُ فَـوْقَ بِطَـانِ

يـا ربُّ قَـدْ بَغَـتِ النُّفَـاةُ وأَجْلَبُـوا
بِـالخَيْـلِ والـرَّجْـلِ الحَقيـرِ الشّـانِ

نَصَبُـوا الحَبَـائِـلَ والغَـوَائِـلَ لـلأُلَـىٰ
أَخَـذُوا بِـوَحْيِـكَ دُونَ قَـوْلِ فُـلانِ

---

(١) حكموا علىٰ الله بعقولهم، ونفوا عنه الأسماء والصفات، ولم يلتفتوا إلىٰ القرآن الذي أُثبتَ لله فيه الأسماءُ والصفات.

(٢) يعني أضعفُوا حبائل الإيمان وأدلةَ الشرع عند الناس، وأساؤوا الظنَّ بها وزهّدوا فيها.

وَدَعَوْا عِبَادَكَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ فَمَنْ
يَعْصِيهُمُ سَامُوهُ شَرَّ هَوَانِ

وقضَوْا علىٰ مَن لَمْ يَقُلْ بضلالِهِمْ
باللعنِ والتضليلِ والكفرانِ[١]

وقضَوْا علىٰ أَتْبَاعِ وحْيِكَ بالذِي
هُمْ أَهْلُهُ لا عَسْكَرُ الفُرْقَانِ

وقَضَوْا بعزلِهِمُ وقتلِهِمُ وحَبْـ
ـسِهِمُ ونفيِهِمُ عَنِ الأَوطانِ[٢]

وتَلاعَبُوا بالدِّينِ مِثْلَ تَلاعُبِ الْـ
ـحُمُرِ التي نفَرَتْ بِلا أَرْسَانِ

حتَّىٰ كأَنَّهُمُ تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ
يُوصي بذلكَ أَوَّلٌ للثَّاني

هَجَروا كلامَكَ هَجْرَ مُبتدِعٍ لمنْ
قَدْ دانَ، بالآثارِ والقرآنِ[٣]

---

(١) كما هو موجود في كتبهم حيث يُشنعون علىٰ أهل السنة ويصفونهم بالمجسمة والمشبهة والحشوية والغُثاء وغير ذلك من الألفاظ.

(٢) قضوا علىٰ عُلماء أهل السنة بالعزل من الوظائف، والقتل لبعضهم، والنفي من الأوطان، وشرَّدوهم وأخرَجوهم من ديارهم.

(٣) جعلوا أهل الآثار والقرآن هم المبتدعة فهجروهم مع أنَّ الواجب هو العكس، وأنَّ الذي يُهجر هو المبتدع، وهو المخالف للكتاب والسنة.

فكـأنّـهُ فيمـا لـديهِـمْ مُصْحَـفٌ
فـي بيـتِ زنـديـقٍ أخِـي كُفـرانِ[١]
أو مسجـدٌ بجـوارِ قَـوْمٍ هَمُّهُـمْ
في الفسقِ لا في طاعةِ الرحمٰنِ[٢]
وخـواصُّهُـمْ لـم يقـرؤوهُ تَـدبُّـراً
بَـلْ للتَّبَـرُّكِ لا لِفَهْـمِ مَعـانِ
وعـوامُّهُـمْ فـي الشِّبْعِ أو فـي خَتْمَـةٍ
أو تُـرْبَـةٍ عِـوَضـاً لِـذي الأثْمـانِ
هـذا وَهُـمْ حَـرْفِيَّـةُ التجـويـدِ أوْ
صَـوْتِيَّـة الأنغـامِ والألحـانِ[٣]

---

(١) كأن أهل السنة عند أهل الباطل مصحف عند زنديق فلا قيمة للمصحف، وكذلك العالم من أهل السنة عند هؤلاء لا قيمة له.

(٢) أو أن أهل السنة عندهم كمسجد في حارةٍ أهلُها لا يُصلُّون وإنَّما يشتغلون بالزنا وشرب الخمور والمعاصي، فلا قيمة للمسجد لأنَّه لا يرتادُه أحد.

(٣) خواصُّهم يقرؤون القرآن لا لأجل التدبُّر والاستدلال به، لأنَّهم مكتفون بأدلة العقل، وإنَّما يقرؤون القرآن تُبرُّكاً به، والعوام منهم يقرؤون القرآن لأجل حصول المآكل به فيحصلون علىٰ الشبع والختمة الكاملة للقرآن عند الموتىٰ كما هو معروف، أو يقرؤونه عند التربة في المقابر كما هو موجود الآن، فهم لا يستعملون القرآن إلاّ لهذه الأغراض الثلاث فالقرآن عندهم لم يكن للعمل والاتباع والاستدلال، وقُرَّاؤهم بين نوعين: =

يا ربِّ قد قالوا بأنَّ مصاحِفَ الْـ
إِسلامِ ما فيها مِن القرآنِ
إلاَّ المدادُ وهذه الأوراقُ والْـ
ـجِلْدُ الذي قد سُلَّ مِن حَيوانِ
والكلُّ مخلوقٌ ولستَ بقائلٍ
أصلاً ولا حَرْفاً مِن القرآنِ
إنْ ذاكَ إلاَّ قَوْلُ مَخْلوقٍ وهَلْ
هُوَ جِبْرائيلُ أو الرسولُ فذانِ
قولانِ مشهورانِ قد قالتْهُمَا
أشياخُهُمْ يا مِحْنَةَ القرآنِ
لو داسَهُ رَجُلٌ لقالوا لَمْ يَطَأْ
إلاَّ المدادَ وكاغَدَ الإنسانِ
يا ربِّ زالَتْ حرمةُ القرآنِ مِنْ
تلكَ القلوبِ وحُرْمَةُ الإيمانِ

= النوع الأول: الذين يعتنون بالتجويد «مخارج الحروف والغُنَّة» والقراءات السبع، وأمَّا العمل فليس عندهم عمل، بل هم من أفسق النَّاس، ومن أبعد النَّاس عن القرآن فَهَمُّهُم اللفظُ، يُقيمون حروفَه ويُضيعُون حدودَه، أو يعتنون بالأصوات والتنغيم كأنهم مغنون وليس عندَهم تدبر ومعرفة وتفسير للقرآن، والعجيب أنَّ ما ذكرَه الناظم هو الموجود الآن.

وجرىٰ علىٰ الأفواه منهُمْ قولُهُمْ
مـا بيننـا للهِ مِـنْ قُـرآنِ
مـا بيننـا إلاّ الحكـايـةُ عنـه والتْـ
تَعبيـرُ ذاكَ عِبـارةٌ بلسـانِ[١]

---

(١) يُبيِّن الشيخ رحمهُ الله في هذه الأبيات وما بعدها مذهب الأشاعرة في كلام الله عزَّ وجل وهو قريبٌ من مذهب الجهمية، فالجهمية يقولون: القرآن مخلوق لفظُه ومعناه وليس هو كلام الله، ويقرُب منه قول الأشاعرة والكُلّابية: إنَّ القرآن ليس بمخلوق معناه، وأمّا لفظهُ فهو مخلوق، فكلام الله عندهم هو المعنىٰ القائم بالنفس الإلهية ولم يتكلم به تعالىٰ بحرف وصوت، ولكنَّ جبريل حكىٰ عمَّا في نفس الله، أو أنَّ محمداً هو الذي عبَّر عمَّا في نفس الله تعالىٰ، فهو إمّا كلام الرسول الملكي أو الرسول البشري، والكلام النفسي اخترعوه من عندِ أنفسهم، فليس في لغة العرب أنَّ ما في النفس يُسمَّىٰ كلاماً، فلا يسمّىٰ كلاماً حتىٰ يُنطق ويُتكلَّم به، فلم يقل أحد هذه المقالة لا من أهل اللغة ولا من علماء الكلام وغيرهم، ويحكون بيتاً للأخطل وهو شاعر نصراني في وقت بني أمية قال فيه:

إنَّ الكلام لفي الفؤاد وإنَّما ... جُعل اللسانُ علىٰ الفؤاد دليلاً

قالوا: فهذا دليل علىٰ أنَّ ما في النفس يُسمَّىٰ كلاماً. والرد عليه من وجهين:

الأول: أنَّ هذا البيت مكذوب علىٰ الأخطل لم يوجد في ديوانه ولا في شعره.

هــذا ومــا التّــالُــونَ عُمَّــالاً بــه
إذ هُـمْ قـد اسْتَغْنَـوْا بقـولِ فـلانِ[١]
إنْ كـانَ قَـدْ جَـازَ الحَنَـاجِـرَ مِنْهُـمُ
فَبِقَــدْرِ مَــا عَقَلُــوا مَــنِ القُــرْآنِ
والبَـاحِثُــونَ فَقَـدَّمُـوا رأْيَ الـرِّجَـا
لِ عَلَيْــهِ تَصْــرِيحــاً بِــلا كِتْمَــانِ

= الثاني: لو صحَّ عن الأخطل أنَّه قال هذا فهو نصراني والنصارىٰ يقولون في الله تعالىٰ أعظم من هذا، يقولون: إنَّ اللاهوت قد اتحد في الناسوت فتكوَّن عيسىٰ بينهما، فهم في الحقيقة شابهوا النصارىٰ فيما قالُوه في المسيح، حيث يقولون: القرآن بعضُه إلـٰهي وبعضُه بشري - والعياذ بالله.

ولذلك لا يُقيمون وزناً للمصاحف؛ لأنَّهم يقولون: الذي فيها ليس كلام الله، فكلام الله ما في نفسه، والقرآن الذي في المصاحف مخلوق لأنَّه عبارة عن حروف وأصوات وجلد، فليس هو كلام الله، بل هو كلام جبريل أو كلام محمد، وهذا يلزم علىٰ مذهبهم، وبعضهم يُصَرِّح بذلك، أي بعدم احترام وتوقير ما في المصحف، فلو أنَّ رجلاً وَطِيء علىٰ المصحف وجلس عليه ما استنكروا ذلك، لأنَّهم يقولون: ما في المصحف مخلوق، فيترتب علىٰ ذلك زوال حرمة القرآن فيتهاون به النَّاس.

(١) ما سبق هو من ناحية الاعتقاد بالقرآن وأنَّه ليس كلام الله، وكذلك من ناحية العمل، فإنَّهم لا يعملون بالقرآن بل بالأدلة العقلية، فالقرآن عندهم لا يُفيد اليقين، فهم عزلُوه عن الاستدلال، فالقرآن لا يتجاوز حناجرهم لأنَّهم لا يفقهون معناه ولا يعملون بمقتضاه.

عَـزَلُـوهُ إذْ ولَّـوْا سِـوَاهُ وكـانَ ذا
كَ العَـزْلُ قـائِـدَهُـمْ إلـىٰ الخِـذْلانِ

قـالـوا ولَـمْ يَحْصُـلْ لنـا منـه يقيـ
ـنٌ فهـو مَعْـزولٌ عـن الإيقـانِ[١]

إنَّ اليقيـــنَ قـــواطـــعٌ عقليَّـــةٌ
ميـزانُهـا هـو منطـقُ اليـونـانِ[٢]

هـذا دَليـلُ الـرَّفْـعِ منْـهُ وهـذِهِ
أعْـلامُـهُ فـي آخِـرِ الأزْمَـانِ

يـا ربُّ مَـن أهْلُـوهُ حَقّـاً كَـيْ يَـرَىٰ
أقـدامَهُـم مِنَّـا علـىٰ الأذقَـانِ[٣]

أهْلُـوهُ مَـنْ لا يَـرْتَضِـي مِنْـهُ بَـديـ
ـلاً فَهْـوَ كَـافِيِهِـمْ بِـلا نُقْصَـانِ

---

(١) هذه شبهتهم: أنَّ أدلة القرآن لا تفيد اليقين، والعقائد إنَّما تُبنىٰ علىٰ اليقين.

(٢) أصل المنطق جاء من اليونان، وكان اليونان موطناً للفلاسفة الذين وضعُوا علم المنطق، فدرس هؤلاء كتبهم وتوارثوها، بسبب أنّ المأمون جلب هذه الكتب من اليونان وكوَّن لها «دار الحكمة» ووضع فيها مترجمين، فتغيَّرت عقائد هؤلاء، ونسوا القرآن، وصرفتهم عنه، ولذا يقول الإمام أحمد: «لا أظنُّ أنَّ الله ينسىٰ المأمون فقد أدخل في الإسلام ما ليس منه».

(٣) يقول: يا رب دُلَّنا علىٰ أهل الحق المتمسكين به حتىٰ نُجلَّهم، ونجعلَهم يمشون علىٰ أذقاننا، ونخضع لهم بالأدب ونتواضع معهم.

وهوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وهَادِيهِمْ إلىٰ الْـ

إيمـــانِ والإيقَـــانِ والعِـــرْفَـــانِ

هـو مُـوصِـلٌ لهـم إلـىٰ دَرْكِ اليقيـ

ـــنِ خقيقـةً وقـواطـعِ البُـرهـانِ[(١)]

يـا ربُّ نحـنُ العـاجـزونَ بِحُبِّهِـمْ

يـــا قِلَّـــةَ الأنصـــارِ والأعـــوانِ[(٢)]

* * *

(١) هذا ردّ علىٰ هؤلاء الذين يقولون: إنَّ القرآن لا يفيد اليقين ولا قواطع البراهين لأنَّه ظني بزعمهم.

(٢) هؤلاء هم الذين يستحقون البحث والتقدير ونحن عاجزون أن نوفِّيَهم حقهم، لأنهم هم الذين حفظ الله بهم هذا الدين، وحفظ الله بهم القرآن والسنة.

فصل

في أذان أهل السنة الأعلام بصريحها جهراً على رؤوس منابر الإسلام(١)

يا قومُ قَدْ حانَتْ صلاةُ الفَجْرِ فانْـ
ـتَبِهُـوا فـإنـيَ مُعْلِـنٌ بـأذانِ(٢)

---

(١) لمَّا كان مذهب أهل السنة والجماعة هو العمل بالسنة والقرآن في العقائد وغيرها نادَوا بهذا وأعلنُوا وصرَّحُوا على رؤوس المنابر وفي دروسهم، وأمروا النَاس بالرجوع إلى الكتاب والسنة. والأذان في اللغة: هو الإعلام، فأذان أهل السنة على المنابر: هو الإعلان في الخطب على المنابر بالرجوع إلى الكتاب والسنة وترك ما سواهما، ولولا أنَّ الله قيَّضهم فنادوا بهذا النداء لهلك النَّاس وضلُّوا عن الصراط المستقيم.

(٢) هذا من التشبيه، شبَّه بعثة النبي ﷺ بطلوع الفجر الذي به يتضح به ما حول الإنسان، ويظهر النور، وتزول الظلمة، وهكذا بعثة رسول الله ﷺ، فبعثته طلوع للفجر بعد الظلمة المستحكمة. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] وكذلك كلُّ مُجددٍ يأتي بعدَه في وسط الظلمات فإنَّه فجرٌ يطلع على المسلمين كما هو معلوم من دعوة المجددين لهذا الدين كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه والشيخ محمد بن عبد الوهاب وأحفاده رحمهم الله.

لا بِـالمُلَحَّـنِ والمُبَـدَّلِ ذَاكَ بَـلْ

تَـأْذيـنَ حَـقٌّ واضـحِ التِّبْيَـانِ

وهْـوَ الـذي حَقّـاً إجَـابَتُـهُ علـىٰ

كُـلِّ امـرِىءٍ فَـرْضٌ علـىٰ الأعْيَـانِ

اللهُ أكبـرُ أن يكـونَ كـلامُـهُ الْـ

ـعَـرَبِـيُّ مخلـوقـاً مِـنَ الأكـوانِ[١]

واللهُ أكبـرُ أن يكـونَ رسـولُـهُ الْـ

ـمَلَكِـيُّ أنشـاهُ عـن الـرحمٰـنِ

واللهُ أكبـرُ أن يكـونَ رسـولُـهُ الـ

ـبشـريُّ أنشـاهُ لنـا بلسـانِ[٢]

هـذي مَقَـالاتٌ لَكُـمْ يَـا أُمَّـةَ التْـ

تَشْبِيـهِ مـا أنْتُـمْ علـىٰ إيمـانِ

---

(١) هذا ردٌّ علىٰ الجهمية الذين يقولون: إن القرآن لفظُهُ ومعناهُ مخلوق، والأشعرية الذين يقولون: لفظُه مخلوق ومعناه غير مخلوق فالحكم واحد في ذلك.

(٢) لهم قولان فيمن تكلَّم بالقرآن:

القول الأول: أنَّه الرسول الملكي وهو جبريل.

القول الثاني: أنَّه الرسول البشرىٰ وهو محمد عليه السلام، وهذا لا يختلف عن قول الوليد بن المغيرة فيما حكاه الله عنه حين قال عن القرآن ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

شَبَّهْتُـمُ الـرحمٰـنَ بـالأوثـانِ فـي
عَـدَمِ الكـلامِ وذاكَ لـلأوثـانِ[١]
مِمَّـا يَـدُلُّ بِـأَنَّهَـا ليْسَـتْ بِـآ
لِهَـةٍ وذا البُـرْهَـانِ فـي الفُـرْقَـانِ
فـي سُـورَةِ الأعْـرَافِ مَـعْ طَـهَ وثَـا
لِثِهَـا فـلا تَعْـدِلْ عَـنِ القُـرْآنِ
أفْصِـحْ بـأنَّ الجـاحـديـنَ لكـوْنِـهِ
مُتكلِّمـاً بحقيقـةٍ وبيَـانِ
هـم أهْـلُ تَعْطيـلٍ وتَشْبيـهٍ معـاً
بـالجـامِـداتِ عظيمـةِ النُّقْصـانِ[٢]
لا تَقْـذِفُـوا بِـالـدَّاءِ مِنْكُـمْ شِيعَـةَ الـرْ
رَحْمٰـنِ أهْـلَ العِلْـمِ والعِـرْفَـانِ

---

(١) الذي حملهم علىٰ نفي صفة الكلام عن الله نفي التشبيه، فهم بزعمهم نزهوا الله عن مشابهة المخلوقين فنفوا عنه الكلام. فنقول: إنَّ الذي لا يتكلَّم ليس بإلـٰه كما في الأعراف في نفي ألوهية العجل ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨] وفي سورة (طـٰه) في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طـٰه: ٨٩] لكلام صفة كمال وضدهُ وهو الخرس صفة نقص، والله تعالىٰ منزَّه عن النقص.

(٢) كل من نفىٰ كلام الله فإنَّه مشبِّهٌ ومعطِّلٌ في آنٍ واحد، لأنَّه لما شبَّهَهُ بالجامدات التي لا تتكلَّم عطله عن الكلام فهو جمع بين التعطيل والتشبيه.

إنَّ الــذي نَــزَلَ الأميــنُ بــه علــىٰ
قلـبِ الـرسـولِ الـواضـحِ البـرهـانِ
هو قولُ ربِّي اللفظُ والمعنَىٰ جَميـ
ـعـاً هُمــا أخَــوانِ مُصْطَحبــانِ[(١)]
لا تَقْطَعُوا رَحِماً توَلَّىٰ وصْلَهَا الرْ
رَحْمٰــنِ تَنْسَلِخُــوا مِــنَ الإيمــانِ
ولقـد شفـانـا قـولُ شـاعـرِنـا الـذي
قــالَ الصــوابَ وجــاءَ بــالإحســانِ
إنَّ الذي هُوَ في المصاحِفِ مثبتٌ
بــأنَــامــلِ الأشيــاخِ والشُّبّــانِ
هــو قــوْلُ ربِّــي آيُــهُ وحــروفُــهُ
ومِــدادُنــا والــرَّقُّ مَخلــوقــانِ[(٢)]

---

(١) نحن نقول: الذي نزل به الأمين وهو جبريل علىٰ قلب الرسول ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٤] هو كلام الله لفظُهُ ومعناه، ردّاً علىٰ الذين يقولون: إنَّه مخلوق لفظُهُ ومعناه أو الذين يقولون: إن معناه من الله ولفظُه من جبريل أو محمد.

(٢) هذا قول القحطاني في نونيته التي ردَّ بها علىٰ الأشاعرة وقصيدتُهُ جيدة، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّه قبل ابن القيم في الزمان. فالمعنىٰ واللفظ ليسا مخلوقين ومِدادُنا وهو الحبر الذي نكتب به القرآن، والرَّق وهو القرطاس الذي نكتب عليه كلاهما مخلوق، وأمّا الكلام المكتوب فهو كلام الله غير مخلوق.

واللهُ أكبرُ مَنْ علىٰ العرشِ استوىٰ
لكنَّـهُ اسْتَـوْلَـىٰ علـىٰ الأكْـوانِ[١]

واللهُ أكبـرُ ذو المعـارجِ مَـن إليـ
ـه تَعْـرُجُ الأمـلاكُ كُـلَّ أوانِ[٢]

واللهُ أكبـرُ مَـن يخـافُ جـلالَـهُ
أمـلاكُـهُ مِـن فـوقِهِـمْ بِبيـانِ[٣]

---

(١) انتقل من مسألة الكلام إلىٰ مسألة الاستواء؛ لأنَّ الأشاعرة أيضاً ينفون الاستواء علىٰ العرش، ويقولون: معنىٰ استوىٰ: استولىٰ، فيزيدون اللام علىٰ كلام الله؛ ومعنىٰ استوىٰ علىٰ العرش عند أهل السنة علا وارتفع، وهذا مقتضىٰ اللغة العربية، ولو كان الاستواء بمعنىٰ الاستيلاء للزم أن يكون العرش قَبْل استيلاء الله عليه بولاية غيره، كما تقول: استولىٰ الملك علىٰ المكان الفلاني، ألا يدلُّ ذلك علىٰ أنَّه قبل الاستيلاء كان في ملك غيره، هذا هو مقتضىٰ هذا اللفظ، ثم لو كان الاستواء بمعنىٰ الاستيلاء لم يكن هناك فرقٌ بين العرش وغيره، لأنَّ الله مستولٍ علىٰ كلِّ الكون، والاستواء صفة فعلية، ولذلك رُتب علىٰ خلق السماوات بـ«ثم» قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

(٢) العلو: صفة ذاتية لله تعالىٰ لا تنفك عنه، والمعارج: المصاعد ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [المعارج: ٤] أي: تصعد إليه، فالعروج لا يكون إلا إلىٰ أعلىٰ، والعلو ثبت بالدليل السمعي والعقلي والفطري بخلاف الاستواء فبالدليل السمعي.

(٣) هذا أيضاً فيه إثبات الفوقية لله تعالىٰ، والعلو والفوقية بمعنىً واحد =

واللهُ أكْبَـرُ مَـنْ غَـدَا لِسَـريـرِهِ
أطٌّ بـهِ كـالـرَّحْـلِ لِلـرُّكْبَـانِ
واللهُ أكْبَـرُ مَـنْ أتـانَـا قَـوْلُـهُ
مِـنْ عِنْدِهِ مِـنْ فَـوْقِ سِـتٍّ ثَمَـانِ[1]
نَـزَلَ الأمِيـنُ بِـهِ بِـأمْـرِ اللهِ مِـنْ
ربٍّ علـىٰ العَـرْشِ اسْتَـوىٰ الـرَّحْمٰـنِ
واللهُ أكْبَـرُ قَـاهِـرٌ فَـوْقَ العِبَـا
دِ فَـلاَ تَضَـعْ فَـوْقِيَّـةَ الـرَّحْمٰـنِ
مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ تلـكَ ثـابِتَـةٌ لَـهُ
لا تَهْضِمـوهـا يـا أُوْلـي البُهتـانِ[2]
قَهْـراً وقَـدْراً واسْتِـوَاءَ الـذَّاتِ فَـوْ
قَ العَـرْشِ بِـالبُـرْهَـانِ[3]

= وهما ثلاثة أنواع:

الأول: علو وفوقية القَدْر.

الثاني: علو وفوقية القهر.

الثالث: علو وفوقية الذات، كما قال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٥٠].

(١) الله أكبر فهو الذي أتانا وحيه وقرآنه من عنده من فوق ثمان، أي من فوق سبع سماوات والعرش.

(٢) يعني هذه الوجوه الثلاثة ثابتةٌ لله من كلِّ وجه، فلا تهضموه بجحد فوقية الذات وتثبتون فوقية القهر والقدر.

(٣) لقد ثبتت فوقيته تعالىٰ من كل وجه قهراً وقدراً واستواء بذاته علىٰ عرشه.

فبــذاتِــهِ خَلَــقَ السمــاواتِ العُلَــىٰ
ثــمَّ استــوىٰ بــالــذاتِ فــافْهَــمْ ذانِ

فضميــرُ فعــلِ الاستــواءِ يعــودُ للــذْ
ذَاتِ التــي ذُكِــرَتْ بــلا فُــرْقــانِ[1]

هُــوَ ربُّنَــا هُــوَ خَــالِــقٌ هُــوَ مُسْتَــوٍ
بــالــذَّاتِ هــذي كُلُّهَــا بِــوِزَانِ

واللهُ أكْبَــرُ ذُو العُلُــوِّ المُطْلَــقِ الْـ
ـمَعْلُــومِ بِــالفِطْــرَاتِ والإيمــانِ

فَعُلُــوُّهُ مِــنْ كُــلِّ وجْــهٍ ثَــابِــتٌ
فَــاللهُ أكْبَــرُ جَــلَّ ذُو السُّلْطَــانِ

واللهُ أكبــرُ مَــن رَقَــىٰ فــوقَ الطِّبــا
قِ رســولُــهُ مِــن الــدَّيَّــانِ[2]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالضمير في قوله: ﴿خَلَقَ﴾ يرجع إلىٰ الله كذلك قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يرجع إلىٰ الله تعالىٰ، فدلَّ علىٰ أنّه استوىٰ علىٰ العرش بذاته سبحانَه وتعالىٰ، فكما أنّه هو الذي خلق الخلق بذاته، فلا يصح التفريق بينهما بأن يقال استوىٰ أمره وتدبيره واستيلاؤه لأنَّ الضمير واحد، ومرجعُهُ في الفعلين واحد، فلماذا تُفرِّقون؟

(٢) هذا كما في أول سورة النجم ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨-٩] فالعروج دليل علىٰ إثبات العُلوِّ لله تعالىٰ، والإسراء والمعراج كانا بالروح والبدن جميعاً في اليقظة وليس هو بالروح فقط، وذلك لأنَّ الله قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] والعبد اسمٌ للروح والبدن.

وإليــهْ قَــدْ صَعِــدَ الــرَّسُــولُ حَقِيقَــةً
لا تُنْكِــرُوا المِعْــرَاجَ بِــالبُهْتَــانِ
ودنَــا مِــنَ الجَبَّــارِ جَــلَّ جَــلالُــهُ
ودَنَــا إليْــهِ الــرَّبُّ ذُو الإحسَــانِ
واللهُ قَــدْ أحْصَــىٰ الــذي قَــدْ قُلْتُــمُ
فــي ذلِــكَ المِعْــرَاجِ بــالمِيــزَانِ
قُلْتُــمْ خَيَــالاً أوْ أكــاذِيبــاً أو الْـ
ـمِعْرَاجُ لَــمْ يَحْصُــلْ إلــىٰ الــرَّحْمٰــنِ
إذْ كــانَ مَــا فَــوْقَ السَّمٰــوَاتِ العُلَــىٰ
رَبٌّ إليْــــهِ مُنْتَهَـــىٰ الإنْسَـــانِ
واللهُ أكبــرُ مَــنْ أشــارَ رســولُــهُ
حَقّــاً إليــه بــأُصْبُــعٍ وبَنَــانِ[1]
فــي مَجْمَــعِ الحَــقِّ العَظِيــمِ بمَــوْقِــفٍ
دُونَ المُعَــرَّفِ مَــوْقِــفَ الغُفْــرَانِ

---

(١) أشار النبي ﷺ إلىٰ ربّه في خطبة «حجة الوداع» في عرفة لمّا خطب في الحجاج وقال: «ألا هل بلّغت»؟ فرفع أصبعَهُ إلىٰ السماء وقال: «اللهمَّ اشهد»(*) فإشارتُهُ إلىٰ السماء دليلٌ علىٰ عُلُوِّ الله تعالىٰ، والمعطلة عندهم أنَّ الله لا يُشار إليه في العلو.

(*) سلف تخريجه ص٣٢٧.

مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بِأُصْبُعٍ
قُطِعَتْ فَعِنْدَ اللهِ يَجْتَمِعَانِ
واللهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ
شيْءٌ وشَأْنُ اللهِ أعْظَمُ شَانِ
واللهُ أكبَرُ عَرْشُهُ وسِعَ السَّمَا
والأرضَ والكرسيَّ ذا الأركَانِ[(١)]
وكذلِكَ الكُرْسيُّ قَدْ وسِعَ الطِّبَا
قَ السَّبْعَ والأَرَضِينَ بِالبُرْهَانِ
والربُّ فوقَ العرشِ والكرسِيِّ لا
يَخْفَىٰ عليه خواطِرُ الإنسانِ[(٢)]
لا تَحْصُروهُ في مكانٍ إذ تقو
لُوا ربُّنا حقّاً بكلِّ مكانِ[(٣)]

---

(١) من الأدلة علىٰ عظمة الله سبحانَه وتعالىٰ أن عرشه الذي استوىٰ عليه عرشٌ عظيم، قال تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] فهو عرش عظيم، وهو أعلىٰ المخلوقات، والمخلوقات تحته، فإذا كان هذا عظم العرش، فكيف بالخالق سبحانَه وتعالىٰ، فهو أكبر وأعظم من كلِّ شيءٍ.

(٢) الله فوق المخلوقات مستوٍ علىٰ عرشه ليس حالاً في شيء من مخلوقاته وليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ومع علوه علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه يعلم ما يخطر في نفس الإنسان.

(٣) هذا رد علىٰ الحلولية، ونفاة العلوِّ عموماً الذين ينفون علوَّ الله واستواءَه علىٰ عرشه، فالله فوق مخلوقاته بائنٌ عنها.

نـزَّهْتُمـوهُ بِجَهْلِكُـمْ عـن عـرشِـهِ
وحَصَـرْتُمُـوهُ فـي مكـانٍ ثـانِ[١]

لا تَعْـدِمُـوه بِقَـوْلِكُـمْ لا داخـلٌ
فينـا ولا هُـوَ خـارجُ الأكـوانِ[٢]

اللهُ أكْبَـرُ قَـدْ هَتَكْـتُ سِتَـارَكُـمْ
وبَـدَتْ لِمَـنْ كـانَـتْ لَـهُ عيْنَـانِ

والله أكبـرُ جَـلَّ عـن شَبَـهٍ وعَـنْ
مَثَـلٍ وعـن تَعطيـلِ ذي كُفْـرانِ[٣]

---

(١) نزَّهوه عن العلوِّ فوقَ مخلوقاته لأنَّهم يقولون: إنّه ليس له مكان، ولكنهم تناقضوا فقالوا: إنّه في كلِّ مكان، وهكذا أهلُ الضلال إذا فرُّوا من شيءٍ، وقعوا في شيءٍ أعظم منه، فلا يليق بالعبد إلاّ التسليم لله ورسوله، وعدم الدخول في شأن الله، لأنّه سبحانَه أعلم بنفسه وبغيره، فلا يليق بالمؤمن إلا أن يُثبت ما أثبتَه الله لنفسه أو أثبتَه له رسولُه.

(٢) وهؤلاء قالـوا: لا داخل العالم ولا خارجه ولا فـوق ولا تحت ولا مُباين ولا يمنة ولا يسـرة، وهـذا هـو العدم المحض، تعالىٰ الله عن ذلك.

(٣) لما فرغ من المُعطلة النُفاة شرع في الرد علىٰ المشبهة الذين غلوا في الإثبات، حيث شبهوا أسماء الله وصفاته بصفات خلقه تعالىٰ، فهم غلوا في الإثبات، والذين مِن قبلهم غلوا في النفي والتنزيه بزعمهم، وكلا طرفي الأمور ذميم وخير الأمور الوسط.

والله أكبَرُ مَنْ لَهُ الأسماءُ والْـ
أوْصافُ كاملةً بلا نُقصانِ(١)
والله أكبرُ جلَّ عَنْ ولدٍ وصا
حِبَةٍ وعَنْ كُفْءٍ وعَنْ أخْدانِ(٢)
والله أكبرُ جَلَّ عن شَبَهِ الجما
دِ كقولِ ذي التعطيلِ والكفرانِ(٣)
هُمْ شَبَّهُوهُ بِالجَمَادِ وليْتَهُمْ
قَدْ شبَّهُوهُ بِكَامِلٍ ذي شَانِ
الله أكبرُ جَلَّ عن شَبَهِ العبا
دِ فذانِ تشبيهانِ مُمتنعانِ(٤)

---

(١) له الأسماء الحسنىٰ ومعنىٰ كونها حُسنىٰ أنَّها الكاملة التي لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، وكذلك يُشتق من أسمائِه صفات فليست ألفاظاً مجردة لا معاني لها بل هي أسماء لها معانٍ.

(٢) هذا ردٌّ علىٰ قول النصارىٰ ومشركي العرب الذين أثبتوا لله الولد والصاحبة ـ تعالىٰ الله عن ذلك ـ وهؤلاء أقبح المشبهين حيث إنّ الولد شبيه لوالده كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥] يعني ولداً، فالله ليس له مثيل ولا شبيه ولا كفوٌ.

(٣) هم فرُّوا من كون إثبات الصفات يقتضي التشبيه، ولكنَّهم وقعوا في تشبيهٍ أعظم وهو تشبيهُهُ بالجمادات التي لا تسمع ولا تعقل، ولا تُبصر وليس فيها حياة.

(٤) فهو منزَّهٌ عن مشابهة الموجودات، ومن باب أولىٰ هو منزَّهٌ عن مشابهة المعدومات، ومنزَّه عن مشابهة العباد.

والله أكبــرُ واحِــدٌ صَمَــدٌ فكُــلْ
لُ الشـأنِ فـي صَمَـدِيَّـةِ الـرحمْـنِ[١]

نفَــتِ الــولادةَ والأُبُــوَّةَ عنــه والـ
ـكُـفْءَ الـذي هـو لازِمُ الإنسـانِ[٢]

وكــذاكَ أثبتَــتِ الصفـاتِ جميعَهـا
للهِ ســالمــةً مِــن النُّقصــانِ[٣]

وإلَيْــهِ يَصْمُــدُ كُــلُّ مَخْلُــوقٍ فَــلا
صَمَــدٌ ســوَاهُ عَــزَّ ذُو السُّلْطَــانِ

لا شَـيْءَ يُشْبِهُـهُ تعـالـىٰ كَيْـفَ يُشْـ
ـبِـهُ خَلْقَـهُ مَـا ذَاكَ فـي إمْكَـانِ

لَكِــنْ ثُبُــوتُ صِفَــاتِــهِ وكــلامِــهِ
وعُلُــوِّهِ حَقّــاً بِــلا نُكْــرَانِ

---

(١) الصمد: الذي تصمد إليه الخلائق بحوائجها، يعني تقصُدُه سبحانَه لحوائجها لأنَّه الغنيُّ الكريم.

(٢) يعني: سورة الإخلاص نفت الولادة عن الله ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ والأبوة ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ونفت المشابهة عنه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ولذا سميت الإخلاص.

(٣) أي صمديَّتُه نفت هذه الأشياء، ويلزم من نفي الكفؤ نفي الولادة والأبوّة عنه، ويلزم منها إثبات صفات الكمال له سبحانَه وتعالىٰ.

لا تجعلُــوا الإثبــاتَ تشبيهــاً لَــهُ
يــا فِــرْقَــةَ التشبيــهِ والطُّغيــانِ[١]
كــم تــرتقــونَ بِسُلَّــمِ التنــزيــهِ للتْـ
تَعْطيــلِ تَــرْويجــاً علــىٰ العُميــانِ[٢]
فــاللهُ أكْبَــرُ أنْ يَكُــونَ صِفَــاتُــهُ
كَصِفَــاتِنَــا جَــلَّ العَظِيــمُ الشَّــانِ
هــذا هــو التشبيــهُ لا إثبــاتُ أوْ
صــافِ الكمــالِ فمــا هُمــا سِيّــانِ[٣]

* * *

(١) يردُّ علىٰ المعطلة الذين نفوا الصفات بحجة أنَّ إثباتها يقتضي التشبيه بزعمهم، وهذا باطل، لأنَّنا عرفنا الفرق بين صفات الخالق والمخلوق، وهم فرُّوا من تشبيهه بالموجودات فوقعوا في تشبيهه بالمعدومات والناقصات والجمادات.

(٢) هم ملاحدة ولكنهم اتخذوا سُلَّم التنزيه للوصول إلىٰ إلحادهم فقالوا: ننزه الله عن هذه الصفات ليتوصلوا بها إلىٰ نفي وجوده تباركَ وتعالىٰ، فتستروا بهذه الشبهة وهم يريدون الإلحاد في حقِّ الله تعالىٰ.

(٣) هذا هو التشبيه الغليظ وهو نفي الصفات، لأنَّهم شبهُوهُ بالمعدومات والناقصات والجمادات. لا ما ادعوه أن إثبات الصفات يقتضي التشبيه.

فصل

في تلازُم التعطيلِ والشرك

واعْلَـمْ بـأنَّ الشـركَ والتعطيـلَ مُـذْ
كـانـا هُمـا لا شَـكَّ مُصْطَحِبـانِ(١)

---

(١) النفي والجحود هو التعطيل، والشرك: إثبات الشريك لله سبحانَه وتعالىٰ في عبادته. والتعطيل علىٰ قسمين:

الأول: تعطيل للكون عن خالقه، كتعطيل فرعون وتعطيل النمروذ والدهرية الذين قالوا: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] وهؤلاء ردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] وقوله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦] وهذا برهان عقلي، ولذا لمَّا سمع جُبير بن مُطعم رسول الله يتلو هذه الآية في صلاة المغرب وكان كافراً حينذاك ففكَّر وقال: كاد قلبي أن يطير(*)، لأنَّه عربي فصيح يفهم عظمة هذا البُرهان.

الثاني: معطلة الخالق عن أسمائه وصفاته، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، لأنَّ التعطيل أصلُه إخلاءُ الشيء، كما تقول: امرأةٌ عاطل، يعني: خالية من الحُلي، والمعطل مشرك لأنَّ الخلق لا بُدَّ لهم من رب يدعونَه ويسألونَه ويرفعون حوائجهم إليه، فإذا عُطِّل هذا الكون من خالقه، أو عُطِّل الربُّ من صفاته، توجَّه الخلقُ إلىٰ غيره، فيلزم علىٰ التعطيل حينئذٍ الشرك، والمشرك مُعطِّلٌ؛ لأنَّه عَطَّلَ الله سبحانه مِن حقِّه الذي لا يُشـارِكُه فيه أحد وهو العبادة.

(*) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

أَبَــداً فَكُــلُّ مُعَطِّــلٍ هُــوَ مُشْــرِكٌ
حَتْمــاً وهَــذَا واضِــحُ التِّبْيَــانِ

فالعبدُ مُضْطَرٌّ إلىٰ مَنْ يكشفُ الـ
ـبلــوىٰ ويُغنِــي فــاقــةَ الإنســانِ

وإليــه يَصْمُـدُ فــي الحــوائـجِ كُلِّهـا
وإليــهِ يَفْــزَعُ طــالبــاً لأمــانِ

فــإذا انتفَــتْ أوصــافُــهُ وفعــالُـهُ
وعُلُــوُّهُ مِــنْ فَــوْقِ كُـلِّ مكــانِ

فَــزِعَ العبــادُ إلــىٰ سِــواهُ وكـان ذا
مِــنْ جـانــبِ التعطيــلِ والنُّكـرانِ[1]

فمُعَطِّــلُ الأوصــافِ ذاك معطِّــلُ التْـ
ـتَــوْحيــدِ حَقّــاً ذانِ تعطيــلانِ[2]

قَــدْ عطَّــلا بلســانِ كـلِّ الــرُّسْلِ مِـنْ
نُــوحٍ إلــىٰ المبعــوثِ بــالقــرآنِ[3]

---

(١) هذا وجه كون المُعطِّل مشركاً؛ لأنّ العبد مضطرٌ إلىٰ إلٰهٍ يسألُه ويدعوه ويطلب منه مقصودَه وما يُصلحُه، وإذا كان الرب لا يقدر علىٰ ذلك توجَّه العباد إلىٰ غيره وهذا هو الشرك.

(٢) الذي يقر بوجود الله لكنه يشرك في توحيد العبادة يكون مُعطلاً لله، وذلك لأنَّه صرف حقَّ الله لغيره، وجعل لله شريكاً، وهذا تعطيل التوحيد.

(٣) يعني أنّ المشرك معطِّل، والمُعطِّل مشرك، هذا علىٰ ألسنة جميع الرسل عليهم السلام، إلاّ أنّ المشرك أكثر وجوداً من الملحد المُعطِّل.

والنـاسُ فـي هـذا ثـلاثُ طـوائـفٍ
مـا رابـعٌ أبـداً بـذي إمكـانِ

إحـدىٰ الطـوائـفِ مُشْـرِكٌ بـإلٰهـهِ
فـإذا دعـاهُ دعـا إلٰهـاً ثـانِ

هـذا وثـانـي هـذِهِ الأقسـامِ ذا
لِـكَ جـاحـدٌ يَـدعُـو سِـوَىٰ الـرحمٰنِ

هُـوَ جـاحـدٌ لـلـرَّبِّ يـدعُـو غيـرَهُ
شِـرْكـاً وتَعطيـلاً لـهُ قَـدَمـانِ

هـذا وثـالـثُ هـذه الأقسـامِ خَيْـ
ـرُ الخلـقِ ذاك خـلاصـةُ الإنسـانِ

يَـدْعُـو الإلٰـهَ الحَـقَّ لا يَـدْعُـو سـوا
هُ قَـطُّ فـي الأشيـاء والأكـوانِ

يدعُوهُ في الرغباتِ والرهباتِ والْـ
ـحَـالاتِ مِـنْ سِـرٍّ ومِـنْ إعـلانِ[1]

---

(١) هذا مُلخَّص لما سبق وبيان انقسام الناس نحو التعطيل من عدمه إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل المشركين الذين عطلوا الرب من إفراده بالعباده.

القسم الثاني: معطلة الكون من خالقه وهم الذين نفوا وجود الرب ونسبوا الكون إلىٰ الطبيعة.

القسم الثالث: الذين عطلوا الله من أسمائه وصفاته من الجهمية ومن تابعهم.

تــوحيــدُهُ نــوعــانِ عِلْمِــيٌّ وقَصْـ
ــدِيٌّ كمــا قَــدْ جُــرِّدَ النــوعــانِ
في سورةِ الإخلاصِ مع تالٍ لنصْـ
ـــرِ اللهِ قــل يــا أيُّهــا بِبيــانِ
ولـذاك قَـدْ شُـرِعـا بسُنَّـةِ فَجْـرِنـا
وكــذاك سُنَّــةِ مغــربٍ طَـرَفـانِ
ليكــونَ مَفْتَتَــحُ النهــارِ وخَتْمُــهُ
تَجْـرِيــدَكَ التــوحيــدَ للــدَّيَّــانِ
وكـذاك قـد شُـرِعـا بخـاتَـمِ وَتْـرِنـا
خَتْمــاً لسعــي الليــلِ بــالآذانِ
وكـذاكَ قـد شُـرِعـا بِـرَكْعَتَـي الطـوا
فِ وذاك تحقيــقٌ لهــذا الشــانِ
فهُمــا إذاً أخَــوانِ مُصْطَحِبــان لا
يتفــارقــانِ وليــسَ ينفصــلانِ
فمُعطِّـلُ الأوصـافِ ذو شِـرْكٍ كـذا
ذُو الشِّـرْكِ فهـو مُعطِّـلُ الـرحمٰـنِ
أو بعضِ أوصافِ الكمالِ لَـهُ فَحَقْـ
ـقِـقْ ذا ولا تُشْـرِعْ إلـىٰ نُكـرانِ[1]

---

(١) أنواع التوحيد علىٰ الإجمال اثنان:

الأول: توحيد خبري علمي: وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

الثاني: توحيد عملي طلبي: وهو توحيد الألوهية، وقد جُرِّد هذان =

. . . .

= النوعان من التوحيد في سورتين:

الأولىٰ: سورة الإخلاص: وهي في توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

الثانية: سورة الكافرون: وهي في توحيد الألوهية، ولكون هاتين السورتين العظيمتين تتضمنان نوعي التوحيد: العملي والعلمي كان النبيُّ ﷺ يقرأُ بهما في ركعتي الفجر الراتبة(*)، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ في الأولىٰ وفي الثانية ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليفتتح النهار بنوعي التوحيد، وكان ﷺ يقرأ بهما في راتبة المغرب(*) ليفتتح بهما الليل بنوعي التوحيد العلمي والعملي، وكان أيضاً يقرأ بهما في ركعتي الطواف(**) لتضمنهما لنوعي التوحيد، وكذلك في الشفع والوتر(***) في هذه المواضع وذلك لختام عمل الليل وهو القيام والتهجد يختمه بالتوحيد فصار يقرؤُهما في أربعة مواضع:

الأول: في راتبة الفجر.

الثاني: الشفع والوتر من قيام الليل.

الثالث: راتبة المغرب.

الرابع: ركعتي الطواف. وهذا يدلُّ علىٰ أنَّه لا يكفي توحيد الربوبية بل لا بُدَّ معَه من توحيد الألوهية لأنَّهما أخوان مصطحبان.

ومعطلة الأسماء والصفات ليسُوا علىٰ حدٍّ سواء منهم من يُعطل الأسماء والصفات كالجهمية، ومنهم من يُعطِّل الصفات كلها ويُقر بالأسماء كالمعتزلة، ومنهم من يُثبت الأسماء وبعض الصفات ويُعطل البقية وهم الأشاعرة والماتريدية.

(*) انظر «مسند أحمد» ١٠/ ٣٢ (٥٧٤٢) حديث ابن عمر، و«تفسير ابن كثير» ٨/ ٥٠٦ أول تفسير سورة قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ.

(**) انظر «صحيح مسلم» (١٢١٨) حديث جابر بن عبد الله.

(***) انظر «مسند أحمد» ٣٥/ ٧٨ (٢١١٤١) حديث أبي بن كعب.

فصل

في بيان أنَّ المُعطِّلَ شرٌّ من المُشْرك[١]

لكنْ أخو التعطيلِ شرٌّ مِن أخي الـ
إشـــراكِ بـــالمَعْقُـــولِ والبُـــرهـــانِ
إنَّ المُعطِّـــلَ جـــاحـــدٌ للـــذاتِ أوْ
لكمـــالِهـــا هـــذان تَعطيـــلانِ
مُتضمِّنـــانِ القَـــدْحَ فـــي نفس الألُـــو
هَةِ كمْ بذاكَ القَدْحِ مِنْ نُقْصانِ[٢]
والشِّـــرْكُ فَهُـــوَ تَـــوَسُّـــلٌ مقصـــودُهُ الـــزْ
زُلْفَـــىٰ مِـــن الـــرَّبِّ العظيـــمِ الشـــانِ[٣]

---

(١) المعطل شر من المشرك؛ لأنَّ المُعطِّل ينفي وجود الله تعالىٰ بالكلية أو يكون معطلاً لأسمائه وصفاته، وأمّا المشرك فهو يُقِرُّ بوجود الله مع شركه في العبادة.

(٢) المُعطِّل: لا يخلو من حالتين:

الأولىٰ: إمّا إنَّه جاحدٌ بوجود الذات.

الثانية: وإمّا إنّه مُعطل لكمالها بنفي الأسماء والصفات، وهؤلاء هم الجهمية ومشتقاتُهم من فرق الضلال.

(٣) المشركون يقرّون بوجود الله تعالىٰ وبأسمائه وصفاته ويعبدون الله، ولكنَّهم يقولون: إننا لن نصل إلىٰ الله بدون واسطة فنحنُ بحاجة إلىٰ وسطاء وشفعاء إلىٰ الله، فالمشركون أخفُّ من المعطِّلة.

بعبـادةِ المخلـوقِ مِـنْ حَجَـرٍ ومِـنْ
بَشَـــرٍ ومِـــنْ قَبْـــرٍ ومِـــنْ أوثـــانِ[١]
فــالشــركُ تعظيــمٌ بجهــلٍ مِــن قيــا
سِ الـــرَّبِّ بـــالأُمـــراءِ والسُّلطـــانِ[٢]
ظَنُّــوا بــأنَّ البَــابَ لا يُغْشَــىٰ بِــدُو
نِ تَـــوَسُّـــطِ الشُّفَعَـــاءِ والأعْـــوَانِ
ودَهَـــاهُـــمُ ذاكَ القيَـــاسُ المُسْتَبِيـ
ـــنُ فَسَـــادُهُ بِبَـــدَاهَـــةِ الإنْسَـــانِ
الفـــرقُ بيـــنَ اللهِ والسُّلطـــانِ مِـــنْ
كـــلِّ الـــوجـــوهِ لمَـــنْ لَـــهُ أُذنـــانِ
أنَّ الملــوكَ لعــاجــزون ومــا لَهُــمْ
عِلْـــمٌ بـــأحـــوالِ الـــدُّعـــا بـــأذانِ

---

(١) كل ما يعبدُون من دون الله يقصدون به التوسط منه لهم عند الله، سواء كان معبودهم من الأحجار أو الأشجار أو الملائكة أو الصالحين أو القبور والأضرحة.

(٢) والذي حملهم علىٰ اتخاذ الشفعاء والوسائط التي يعبدونها من دون الله، أنّهم قاسُوا الخالق علىٰ المخلوق، لمّا رأوا سلاطين وملُوك الدنيا لا يُتوصَّل إليهم، إلاّ بشفعاء قاسوا الله عليهم ـ تعالىٰ الله عن ذلك ـ فالله تعالىٰ لا يُقاس بأحدٍ من خلقه، وذلك لأنَّ السلاطين لا يعلمون بأحوال الرعيّة إلاّ بعد أن يبلغهم الشفعاء، والله تعالىٰ يعلم كلَّ شيء لا يخفىٰ عليه شيء.

كـلاَّ ولا هُـمْ قـادرون علـىٰ الـذي
يحتـاجُـهُ الإنسـانُ كُـلَّ زمـانِ
كـلاَّ ومَـا تِلْـكَ الإرادَةُ فيهِـمُ
لِقَضَـا حَـوَائِـجِ كُـلِّ مَـا إنْسَـانِ
كـلاَّ ولا وسِعُـوا الخليقـةَ رحمـةً
مِـنْ كـلِّ وجـهٍ هُـمْ أُوْلـو النُّقصـانِ
فلـذَلِـكَ احْتَـاجُـوا إلىٰ تِلْـكَ الـوَسَـا
ئِـطِ حَـاجَـةً منْهُـمْ مَـدَىٰ الأزْمَـانِ
أمَّـا الـذي هُـوَ عَـالِـمٌ لِلْغَيْـبِ مُقْـ
ـتَـدِرٌ علـىٰ مـا شَـاءَ ذُو إحْسَـانِ
وتَخَـافُـهُ الشُّفَعَـاءُ ليْـس يُـرِيـدُ مِنْـ
ـهُـمْ حَـاجَـةً جَـلَّ العَظِيـمُ الشَّـانِ
بَـلْ كُـلُّ حَـاجَـاتٍ لهُـمْ فَـإلَيْـهِ لا
لِسِـوَاهُ مِـنْ مَلِـكٍ ولا إنْسَـانِ
وَلـهُ الشفـاعـةُ كُلُّهـا وهـو الـذي
فـي ذاك يـأْذَنُ للشفيـعِ الـدانـي
لمنِ ارتضَىٰ ممَّنْ يُوَحِّدُهُ ولم يُشرك به
شيئـاً لمـا قـد جـاء فـي القـرآن[1]

---

(١) هناك فروق بين الله وبين الملوك والسلاطين تتلخص فيما يلي:

الأول: أن الملوك عاجزون عن إجابة طلبات الرعية. =

سَبَقَــتْ شَفَــاعَتُــهُ إليْــهِ فَهْــوَ مَشْــ
ــفُــوعٌ إليْــهِ وشَــافِــعٌ ذُو شَــانِ

فلــذا أقــامَ الشــافِعيــنَ كــرامــةً
لَهُــمُ ورحمــةَ صــاحِــبِ العِصيــانِ[1]

فَــالكُــلُّ مِنْــهُ بَــدَا ومَــرْجِعُــهُ إلَيْــ
ــهِ وحْــدَهُ مَــا مِــنْ إلَــهٍ ثَــانِ

غلَطَ الأُلىٰ جَعَلُوا الشَّفاعَةَ مِنْ سِوَا
هُ إلَيْــهِ دُونَ الإذْنِ مِــنْ رَحْمٰــنِ

هــذي شَفَــاعَــةُ كُــلِّ ذِي شِــرْكٍ فَــلا
تَعْقِــدْ عَلَيْهَــا يَــا أخَــا الإيمــانِ

= الثاني: أنَّهم لا يعلموا أحوال الرعية إلا بعد أن يبلغهم الوسطاء.

الثالث: عدم قدرتهم علىٰ قضاء حوائج الناس دائماً.

الرابع: لقسوتهم وعدم رحمتهم للرعية.

الخامس: أنَّ الشفاعة كُلَّها لله فلا أحد يشفع عندَه إلاّ بإذنه ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أمّا الملوك فليس بلازم أن يأذنوا لمن يشفع عندهم.

(١) والحكمة في أنَّ الله يُشفِّع من يشاء من عباده المؤمنين من وجهين:

الأول: أنّ الله يريدُ بذلك إكرام «الشافع» وإظهار فضله.

الثاني: الرحمة بالمشفوع فيه لأنّه من عصاة الموحدين فهو محلٌّ للرحمة.

والله في القُرآنِ أبْطَلَهَا فلا
تَعْدِلْ عَنِ الآثَارِ والقُرْآنِ
وكذا الوَلايَةُ كلُّها للهِ لا
لِسِواهُ مِن مَلَكٍ ولا إنْسانِ[1]
واللهِ لَمْ يَفْهَمْ أُوْلُو الإشراكِ ذا
ورآهُ تَنْقيصاً أُوْلُو النُّقصانِ

---

(١) الولاية: بفتح الواو، معناها المحبة، فالله هو الذي يستحق المحبة الكاملة دون ما سواه، وهي أعظم أنواع العبادة. قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ﴾ [البقرة: ١٦٥] ولكن لا يقتصر الدين علىٰ المحبة كما يقول الصوفيّة، بل العبادة أنواع كثيرة كالخوف والتوكل والنذر والذبح فلا تقتصر علىٰ المحبة، فالصوفية يقولون: نحن نعبدُه من أجل المحبة فقط، وهذا باطل لأنّ الرسل وهم أعظم النّاس محبةً لله يعبدونه بالخوف والرجاء قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبياء: ٩٠] فالرغب: هو الرجاء والرهب هو الخوف، فلا بُدَّ من الجمع بين الرجاء والخوف، ولذا يقول العلماء: من عَبَدَ الله بالرجاء فقط فهو صوفي ومن عبد الله بالخوف فقط فهو خارجي. ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مرجىء، فلا بد من الجمع بين الخوف والرجاء والمحبة.

فالولاية كلُّها لله، فلا يبقىٰ في الآخرة إلا المحبة لله وفي الله ولذا قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فلا يبقىٰ إلاّ محبة الله يوم القيامة ومحبة ما يُحبه الله تعالىٰ.

إذ قَدْ تَضَمَّنَ عَزْلَ مَنْ يُدْعَىٰ سوىٰ الرْ
رَحْمٰـنِ بَـلْ أَحَـدِيَّـةَ الـرحمٰـنِ[١]

بَـلْ كـلُّ مَـدْعُـوٌّ سِـواهُ مِـنْ لَـدُنْ
عَرْشِ الإلـٰهِ إلىٰ الحضيضِ الداني

هـو بـاطـلٌ فـي نفسِـهِ ودُعـاءُ عـا
بِـدِهِ لـهُ مِـن أبطـلِ البُطـلانِ[٢]

فَلَـهُ الـوَلايَـةُ والـوَلايَـةُ مَـا لَنَـا
مِـنْ دُونِـهِ والٍ مِـنَ الأكْـوَانِ

فـإذا تَـوَلاَّهُ امْـرُؤٌ دونَ الـوَرىٰ
طُـرّاً تَـوَلاَّهُ العظيـمُ الشـانِ[٣]

وإذا تـولَّـىٰ غَيْـرَهُ مِـنْ دُونِـهِ
ولاَّهُ مـا يَـرْضَـىٰ بِـهِ لِهَـوانِ

---

(١) إذا كانت الولاية لله تعالىٰ فهذا يتضمن عزل من سواه من الأصنام والأحجار التي يعبدها المشركون، فليس لها مُلك ولا ولاية، فأهل الإشراك لم يفهموا هذا، ولذا عدلُوا إلىٰ الأصنام والأحجار فعبدُوها من دون الله، ويزعمون أنّ لها ملكاً وتدبيرا.

(٢) كل من عُبد من دون الله من أهل السماوات وأهل الأرض فعبادتُه باطلة لأنّه لا يصلح للعبادة، فالعبادة حقٌّ لله جلَّ وعلا لا يُشاركُه فيها أحد.

(٣) إذا تولَّىٰ العبد ربَّه بمعنىٰ إذا أحبَّه، فإنَّ الله يتولاَّهُ ويُحبُّه من باب الجزاء، وأمَّا مَن تولَّىٰ غيرَ الله فإنَّ الله يكِلُه إلىٰ مَن تولَّىٰ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

فــي هــذِهِ الــدُّنْيَــا وبَعْــدَ مَمَــاتِــهِ
وكـــذَاكَ عِنْـــدَ قِيَـــامَـــةِ الأَبْـــدَانِ
حَقّــاً يُنَــادِيهِــمْ نِــداً سُبْحَــانَــهُ
يَـــوْمَ المَعَـــادِ فَيَسْمَـــعُ الثَّقَـــلاَنِ
يـا مَـنْ يـريـدُ وَلايـةَ الـرحمٰـنِ دو
نَ وَلايـــةِ الشيطـــانِ والأوْثـــانِ
فـارِقْ جميعَ النَّاسِ في إشراكِهِمْ
حتــىٰ تنــالَ ولايــةَ الــرحمٰــنِ[١]
يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الخَلائِقَ رحْمَةً
وكِفَــايَــةً ذُو الفَضْــلِ والإحْسَــانِ
يَكْفِيــكَ رَبٌّ لَــمْ تَــزَلْ ألطَــافُــهُ
تَــأْتِــي إلَيْــكَ بِــرَحْمَــةٍ وحَنَــانِ
يَكْفِيــكَ رَبٌّ لَــمْ تَــزَلْ فِــي سِتْــرِهِ
وَيَــرَاكَ حِيــنَ تَجِــيءُ بِــالعِصْيَــانِ

---

(١) إذا أردت ولاية الله تعالىٰ لك فاترك ولاية غيره من الأحجار والأشجار والقبور والأضرحة وكل المعبودات، أمّا إذا اتخذت هذه الأشياء من دون الله فإنَّ الله يتخلَّىٰ عنك ويكِلُكَ إليها، وفي الحديث: «من تعلَّق شيئاً وُكل إليه»(*).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣١/ ٧٧-٧٨ (١٨٧٨١)، والترمذي (٢٠٧٢) من حديث عبد الله بن عُكَيْم، وهو حديث حسن لغيره، انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ في حِفْظِهِ
وَوِقَايَةٍ مِنْهُ مَدَىٰ الأزْمَانِ
يَكْفِيكَ رَبٌّ لَمْ تَزَلْ في فَضْلِهِ
مُتَقَلِّباً في السِّرِّ والإعْلانِ
يدعوه أهلُ الأرضِ مع أهلِ السما
ءِ فكلَّ يومٍ ربُّنا في شانِ[1]
وهو الكفيلُ بكلِّ ما يَدْعُونَهُ
لا يَعْتَرِي جَدْواهُ مِنْ نُقصانِ[2]
فَتَوَسُّطُ الشفعاءِ والشُّركاءِ والظُّ
هَراءِ أمرٌ بيِّنُ البُطلانِ
ما فيه إلاَّ مَحْضُ تَشبيهٍ لَهُمْ
باللهِ وَهْوَ فأقْبَحُ البُهتانِ[3]
مَعْ قَصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ
مَا عَطَّلُوا الأوْصَافَ لِلرَّحْمٰنِ

---

(١) إذا كانت الخلائق جميعها تقصد اللهَ بحوائجها فكيف أنت تعرض عن هذا الربِّ وتدعو سواه وتخشىٰ غيره!

(٢) هو الغني الذي إذا أعطىٰ لم ينقص ذلك ما عندَه سبحانَه وتعالىٰ بخلاف المخلوق فإنه ولو كان عندَه أموال كثيرة فهي علىٰ سبيل الزوال والنقص فإذا ما دفع منها شيئاً نقصت.

(٣) من اتخذ عند لله الوسائط والشُفعاء وتقرب إليهم فقد شبَّه الله بالملوك والرؤساء الذين لا يقضون حوائج الناس إلا بالشفعاء والوسطاء وهذا من أقبح التشبيه.

لكِـنْ أخـو التَّعْطِيـلِ ليْسَ لَـدَيْـهِ إلْ
لا النَّفْـيُ أيْـنَ النَّفْـيُ مِـنْ إيمـانِ
والقَلْـبُ ليْـسَ يُقِـرُّ إلاَّ بِـالتَّعَبْـ
بُـدِ فَهْـوَ يَـدْعُـوهُ إلـىٰ الأكْـوَانِ
فتـرىٰ المعطِّـلَ دائمـاً فـي حِيـرَةٍ
مُتَنَقِّـلاً فـي هـذِهِ الأعيـانِ
يَـدْعُـو إلٰهـاً ثـمَّ يَـدْعُـو غَيْـرَهُ
ذا شَـأْنُـهُ أبـداً مـدَىٰ الأزمـانِ
وتَـرَىٰ المُـوَحِّـدَ دائمـاً مُتنقِّـلاً
بمنـازِلِ الطـاعـاتِ والإحسـانِ
مـا زال يَنْـزِلُ فـي الـوفـاءِ مَنـازلاً
وهـي الطـريـقُ لَـهُ إلـىٰ الـرحمٰـنِ
لَكِنَّمـا مَعْبـودُهُ هُـوَ واحِـدٌ
مـا عِنْـدَهُ رَبَّـانِ مُعْبـودانِ(١)

---

(١) العلماء يقولون: إنَّ المُعطِّل يعبدُ عدماً، لأنَّه يعبدُ ربّاً ليس له أسماء ولا صفات وهذا معدوم، والممثل يعبد صنماً فهو يعبد مخلوقاً، لأنَّه شبَّه الله بالمخلوق، فلا فرق بين الله وبين المخلوق عندَه، فهو يعبدُ صنماً، والمشركون يعبدون آلهة متعددة من الأحجار والأشجار والقبور والأضرحة فآلهتُهم متفرقة، والموحِّدُ يعبدُ إلٰهاً واحداً فرداً صمداً، لأنَّه يثبت لله تعالىٰ الأسماء والصفات، فالموحِّد يشتغل بجميع أنواع العبادة لله القلبيّة كالمحبة والخوف والرجاء، والعبادة البدنية كالصلاة والصيام والحج، والقولية كالتسبيح والتهليل والاستغفار.

فصل

في مثل المشرك والمعطل(١)

أينَ الذي قد قالَ في مَلِكٍ عَظِيـ
ـمٍ لَسْتَ فينا قَطُّ ذا سُلطانِ

ما في صفاتِكَ مِن صفاتِ المُلْكِ شيءٌ
كُلُّها مَسْلُوبَةُ الوِجْدانِ

فهلْ استويتَ علىٰ سريرِ المُلْكِ أوْ
دَبَّرْتَ أمْرَ المُلْكِ والسُّلْطانِ

أو قُلْتَ مرسوماً تُنَفِّذُهُ الرَّعا
يَا أوْ نطقْتَ بلفظةٍ بِبيانِ

أوْ كُنْتَ ذا أمْرٍ وذا نَهْيٍ وتكْـ
ـليمٍ لِمَنْ وافىٰ مِنَ البُلْدانِ

أو كُنْتَ ذا سَمْعٍ وذا بَصَرٍ وذا
عِلْمٍ وذا سُخْطٍ وذا رِضْوانِ

---

(١) أراد الشيخ أن يضرب مثلاً للمُعطِّل أولاً، فالمعطل يقول لله: ليس لكَ سمعٌ ولا بصر ولا كلام ولا وجه ولا إرادة ولا أنت داخل العالم ولا خارج العالم، إذاً هذا الرب أصبح معدوماً، فيلزم علىٰ مذهبه العدم، بل انتهىٰ للمستحيل، وأمّا المشرك فمثلُه كمثل الذي أقرَّ بوجود الله، وأقرّ له بالأسماء والصفات، ولكن اتخذ مع الله شركاء يُبلِّغونه حوائج خَلْقِه، أي أنَّ المشركَ أقلُّ شراً من المُعطِّلِ لأنَّه أقرَّ بالله وبأسمائه وصفاته وعَبَدَ غيرَه معه.

أو كُنْــتَ قَــطُّ مُكَلِّمــاً مُتَكَلِّمــاً
مُتَصَــرِّفــاً بــالفعــلِ كــلَّ زَمــانِ
أو كُنْتَ تَفعـلُ مـا تشـاءُ حقيقـةَ الْـ
ـفِعْـلِ الـذي قَـدْ قـامَ بـالأذهـان
أو كُنْــتَ حَيّــاً فــاعــلاً بمشيئــةٍ
وبِقُــدْرَةٍ أفعــالَ ذي السُّلْطــانِ
فِعْـلٌ يقـومُ بغيـرِ فـاعِلِـهِ مُحَـا
لٌ غيـرُ مَعقـولٍ لـذي الإنسـانِ
بـل حـالَـةُ الفَعّـالِ قَبْـلُ ومَـعْ وبَعْـ
ـدُ هِـيَ التـي كـانَـتْ بـلا فُـرقـانِ
واللهِ لســتَ بفــاعــلٍ شيئــاً إذا
مـا كـان شـأنُـكَ مِنْـكَ هـذا الشَّـانِ
لا داخــلاً فينــا ولســتَ بخــارجٍ
عَنّــا خيــالاً دُرْتَ فــي الأذهــانِ
فبــأيِّ شــيءٍ كُنْـتَ فينـا مَـالِكـاً
مُلْكـاً مُطَـاعـاً قـاهِـرَ السُّلْطـانِ
اسمْــاً وَرَسْمــاً لا حَقيقَــةَ تَحْتَــهُ
شأنُ الملوكِ أَجَلُّ مِن ذا الشانِ[١]

---

(١) هذا كلُّه مذهب المعطِّل في حق الله تعالىٰ، فهو رحمهُ الله قد جمع كلَّ قول المعطِّلة في هذه الأبيات. والمعطلة أصناف كما مر. فمنهم المعطلة المحضة الذين ينكرون وجود الرب. ومنهم معطلة الأسماء والصفات. ومنهم معطلة العبادة الذين عطلوا الله عن إفراده بالعبادة.

هــذا وثــانٍ قــال أنــتَ مَليكُنــا
وسِــواكَ لا نَــرْضَــاهُ مِــن سُلطــانِ
إذْ حُـزْتَ أوصـافَ الكمـالِ جميعَهـا
ولأجْـلِ ذا دانَــتْ لــكَ الثقــلانِ
وقَدْ استويتَ علىٰ سريرِ المُلْكِ واسـ
ـتَـوْلَيـتَ مَـع هـذا علـىٰ البلـدانِ
لكــنَّ بــابَـكَ ليـسَ يغشـاهُ امْـرُؤٌ
إنْ لَـمْ يَجِـىءْ بـالشّـافِـعِ المِعْـوانِ
وَيَــذِلُّ للبــوّابِ والحُجّــابِ والشْـ
ـشُفعــاءِ أهــلِ القــربِ والإحســانِ
أفَيَسْتَــوِي هــذا وهــذا عنــدَكُــمْ
واللهِ مــا استــويــا لــدَىٰ إنســانِ[1]
والمُشْـرِكُـونَ أخـفُّ فـي كُفْـرانِهـمْ
وكِــلاهُمــا مِــن شيعــةِ الشَّيطــانِ

---

(١) هذا مثلُ المُشرك الذي أقرَّ بتوحيد الربوبيّة وأنكر توحيد الألوهية، أمّا المُعطِّل فإنَّه جحد توحيد الربوبيّة وتوحيد الألوهيّة، والخللُ عندَ المشرك أنّه يقول: ما نصل إلىٰ الله تعالىٰ إلاّ بالوسطاء أو الشُفعاء فشبَّه الله بملوك الدنيا.

فالمُعطِّل أشدُّ ضلالاً من المشرك.

١١٣٨

إنَّ المُعَطِّـلَ بـالعـدواةِ قـائِـمٌ
فـي قـالـبِ التنـزيـه للـرحمٰـنِ[1]

* * *

(١) المشركون أخف من المعطلة ضلالاً وإن كان الكلُّ من شيعة الشيطان، فالمُعطِّل غلا بالتنزيه حتىٰ وصف الله بالعدم ونفىٰ عنه الأسماء والصفات، ويزعم أنّ هذا تنزيه لله تعالىٰ، وهذا زعمٌ باطل؛ لأنَّ أسماء المخلوقين وصفاتهم تليق بهم، فهي مخلوقة، وأمّا أسماء الله فهي تليق به.

فصل

فيما أعدَّ الله تعالىٰ من الإحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان(١)

هــــذا وللمُتَمَسِّكيــــنَ بِسُنَّــــةِ الْـ
ـمختــارِ عنــد فَســادِ ذي الأزمــانِ

أجــرٌ عظيــمٌ ليــسَ يَقْــدِرُ قَــدْرَهُ
إلاَّ الــــذي أعطــــاهُ لــــلإنســــانِ

فــروَىٰ أبــو داودَ فــي سُنَــنٍ لَــهُ
ورواهُ أيضــاً أحمــدُ الشيبــانــي(٢)

---

(١) هذا وما بعدَه كلُّه كالخاتمة لهذه المنظومة، حيث ذكر قبل ذلك كل أقوالِ الفرق وفصَّلها ثمّ انتهىٰ إلىٰ النتيجة.

(٢) مضمون الحديث أن الذي يتمسك بالسنة في آخر الزمان له أجر خمسين من صحابة رسول الله ﷺ(*).

(*) هو حديث أبي ثعلبة الخشني وفيه: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القابض علىٰ الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم» قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين رجلاً منكم» أخرجه أبو داود (٤٣٤١) وابن ماجه (٤٠١٤) والترمذي (٣٠٥٨)، وله شاهد يقويه وهو «العبادة في الهرج كهجرة إليّ» رواه مسلم (٢٩٤٨) من حديث معقل بن يسار.

أَثَـراً تَضَمَّـنَ أَجْـرَ خَمْسِيـنَ امْـرأً
مِـنْ صَحْـبِ أَحْمَـدَ خِيـرَةِ الـرَّحْمٰـنِ
إِسْنَــادُهُ حَسَــنٌ ومِصْــدَاقٌ لَــهُ
فــي مُسْلِـمٍ فَـافْهَمْـهُ بـالإِحْسَـانِ
إِنَّ العِبَــادَةَ وَقْــتَ هَــرْجٍ هِجْـرَةٌ
حَقّــاً إِلــيَّ وذَاكَ ذُو بُــرْهَــانِ
هذا فَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لكَ أَيُّها السْـ
سُنِّــيُّ بِــالتَّحْقِيــقِ لا بِــأَمَــانِ
هــذا وكَــمْ مِــنْ هِجْــرَةٍ لهـم بمـا
قَـالَ الـرسـولُ وجـاءَ فـي القـرآنِ[١]
ولقَـدْ أتـىٰ مِصـداقُـهُ فـي التِّـرْمِـذِي
ي لِمَــنْ لَــهُ أُذُنَــانِ واعيَتَــانِ
فـي أَجْـرِ مُحْيِـي سُنَّـةٍ مـاتَـتْ فـذَا
كَ مَـعَ الـرَّسُـولِ رَفِيقُـهُ بِجِنَـانِ

---

(١) الهجرة علىٰ قسمين كما سبق:

القسم الأول: هجرة بالأبدان.

القسم الثاني: هجرة بالأقوال والنيات.

فتجب الهجرة بالأبدان إذا توفرت شروطُها، ولا تجب علىٰ كلِّ النَّاس، فتجب علىٰ مَن لا يقدر علىٰ إظهار دينه في بلاد الشرك، لكن الهجرة بالقلوب من الأقوال الباطلة إلىٰ الوحي من الكتاب والسنة تجب دائماً وأبداً لا يُعذر فيها أحد فهي فرض عين.

هــذا ومصــداقٌ لَــهُ أيضــاً أتــىٰ
فــي التــرمــذيِّ لِمَــنْ لَــهُ عينــانِ
تشْبيـــــهُ أُمَّتِـــــهِ بغيـــــثٍ أوّلٌ
مِنْـــــهُ وآخـــــرُهُ فمشتبهـــــانِ
فلـذاك لا يَـدْرِي الـذي هُـو مِنْهُما
قَـدْ خُـصَّ بـالتفضيـلِ والـرُّجْحـانِ[١]
ولقد أتىٰ أثرٌ بأن الفضلَ في الطْـ
طَـرَفَيْـنِ أعنـي أوّلاً والثـانـي[٢]
والـوسَـطُ ذُو ثَبَجٍ فـأعْـوَجُ هكَـذَا
جَـاءَ الحَـديـثُ وليـسَ ذا نُكْـرَانِ
ولقـد أتـىٰ فـي الـوحـي مصـداقٌ لَـهُ
فــي الثُّلَّتَيْــنِ وذاكَ فــي القُــرآنِ

---

(١) هذه الأمة شبهها الرسول ﷺ بالغيث لا يُدرىٰ الخير في أوله أو في آخره(*) لأنّ آخرها من أهل السنة والاستقامة يُشبه أوَّلها فلا يُدرىٰ أيّهما الخير، فهذه الأمة خيرٌ كُلُّها.

(٢) الطرفان أول الأمة وآخرها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤].

(*) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يدرىٰ أوله خير أم آخره». رواه الترمذي (٢٨٦٩) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وهو في «مسند أحمد» ١٩/ ٣٣٤ (١٢٣٢٧) وهو حديث قوي بطرقة وشواهده، انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند».

أهــلُ اليَميــنِ فَثُلَّــةٌ مــع مِثْلِهــا
والسَّـابقـونَ أقـلُّ فـي الحُسْبـانِ[(١)]

مــا ذاكَ إلاَّ أنَّ تــابِعَهُــمْ هُــمُ الْـ
ـغُـرَبـاءُ لَيْسَـتْ غـربـةَ الأوطـانِ

لكنَّهــا واللهِ غُــرْبَــةُ قــائِــمٍ
بـالـدِّيـنِ بيـنَ عسـاكـرِ الشيطـانِ[(٢)]

فلــذاك شَبَّهَهُــمْ بِــهِ مَتْبُــوعُهُــمْ
فــي الغُــرْبَتَيْــنِ وذاكَ ذُو تِبيــانِ[(٣)]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠-١٤] ثمَّ قال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧﴾ إلىٰ قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠﴾ [الواقعة: ٢٧-٤٠] وهؤلاء يكونون في أول الأمة وآخر الأمة، فأصحاب اليمين في أولها وفي آخرها سواء، وأمّا السابقون فهم في أولها أكثر من المتأخرين منها.

(٢) ليس هو غريب وطن ولكن هو غريبٌ في دينه بين الفاسدين في بلده فهذه الغربة غربة أديان.

(٣) المراد بالغربتين الغربة الأولىٰ: في وقت الرسول ﷺ في أول الدعوة والغربة الثانية: في آخر الزمان، وهذه أشد من الأولىٰ، لأنّه في آخر الزمان ليس عندهم أنصار ولا أعوان، ولهذا عظُم أجرُهُم. وقد قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبىٰ للغرباء»(*).

(*) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة، وسلف تخريجه ص٨٢٢.

لَـمْ يُشْبِهـوهُـمْ فـي جميـعِ أمـورِهِـمْ
مِـنْ كُـلِّ وَجْـهٍ لَيْـسَ يَسْتـويـانِ[١]

فـانْظُـرْ إلـىٰ تفسيـرِهِ الغـربـاءَ بـالْـ
ـمُحْيِيـنَ سُنَّتَـهُ بكُـلِّ زَمَـانِ[٢]

طوبىٰ لَهُمْ والشَّوْقُ يَحْدُوهُمْ إلىٰ
أخْـذِ الحَـديـثِ ومُحْكَـمِ القُـرْآنِ

طُـوبَـىٰ لَهُـمْ لَـمْ يَعْبَـؤُوا بِنُحَـاتَـةِ الْـ
أفكَـارِ أو بِـزِبَـالَـةِ الأذْهَـانِ

---

(١) يعني في قوله: «له أجر خمسين»(*) ليس معناه: أنَّ المتمسك بالدين في آخر الزمان يكون أفضل من الصحابة من كل وجه، وإنَّما هو أفضل من الصحابة في هذه الناحية فقط، وأمَّا الصحابة فهم أفضل منه في أمورٍ كثيرة أعظمها صحبة الرسول ﷺ ويقولون: الفضيلة الخاصة لا تقضي علىٰ الفضيلة العامّة، فالصحابة أفضل من حيث العموم، ولهم فضائل كثيرة. والمتأخرون إنَّما عندهم فضيلة واحدة: وهي التمسُّك بالدين مع شدة الغُربة.

(٢) لمَّا سُئل: قيل من الغرباءُ يا رسول الله؟ قال: «المتمسكون بسنتي عند فساد أمتي» وفي رواية: «الذين يصلحُون إذا فسد النَّاس»(**) وفي روايةٍ ثالثة: «الذين يصلحون ما أفسد النَّاس»(***).

(*) سلف تخريجه ص١١٣٩.

(**) أخرجه الطبراني في «الصغير» ١/ ١٨٣ (٢٩٠) و«الأوسط» ٣/ ٢٥٠ (٣٠٥٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي.

(***) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) من حديث عمرو بن عوف المزني.

طُوبَىٰ لَهُمْ رَكُبوا علىٰ مَتْنِ العَزَا
ئِمِ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الإيمانِ
طُوبَىٰ لَهُمْ لَمْ يَعْبَؤُوا شَيْئاً بذي الْـ
آراءِ إذْ أغْنَاهُمُ الوَحْيَانِ
طُوبَىٰ لهُمْ وإمَامُهُمْ دُونَ الورَىٰ
مَنْ جَاءَ بالإيمانِ والفُرْقَانِ
واللهِ ما ائتمُّوا بشخصٍ دُونَهُ
إلاَّ إذا ما دلَّهُمْ بِبيانِ[(١)]
في البابِ آثارٌ عظيمٌ شأنُها
أعيَتْ علىٰ العلماء في الأزمانِ[(٢)]

---

(١) لا يأتمون بشخصٍ غير الرسول ﷺ كما قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١] وكذلك يأتمون بالعلماء المقتدين بآثار الرسول ﷺ.

(٢) النصوص التي جاءت في وصف أهل الغُربة أعجزت العلماء في الجمع بينها كمثل حديث: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبرُ فيهن مثل القبض علىٰ الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم» قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين رجلاً منكم»(*)، مع أن الصحابة هم خير الأمة علىٰ الإطلاق بالإجماع.

(*) سلف تخريجه ص١١٣٩.

إذْ أجمعَ العُلماءُ أنَّ صحابةَ الـ
ـمختارِ خَيرُ طوائفِ الإنسانِ
ذا بالضرورةِ ليس فيه الخُلْفُ بيْـ
ـنَ اثنينِ ما حُكِيَتْ به قولانِ[1]
فلذاكَ ذي الآثارِ أعْضَلَ أمْرُهَا
وبَغَوْا لهَا التَّفْسيرَ بالإحْسَانِ
فاسْمَعْ إذاً تأْويلَهَا وافْهَمْهُ لا
تَعْجَلْ بِرَدٍّ مِنْكَ أوْ نُكْرَانِ
إنَّ البَدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحَطْ
عِلْماً بِهِ سَبَبٌ إلىٰ الحِرْمَانِ
الفَضْلُ منهُ مطلقٌ ومقيَّدٌ
وهما لأهلِ الفضلِ مَرْتَبَتانِ
والفضلُ ذو التقيدِ ليس بمُوجِبٍ
فَضْلاً علىٰ الإطلاقِ مِن إنسانِ
لا يُوجِبُ التقييدَ أن يَقْضِي لَهُ
بالإستواءِ فكيف بالرُّجْحَانِ

(١) لا شكَّ أنَّ الصحابة هم أفضل الأمة فهو فضلٌ مُسلَّم به، لكن جاء أنَّه في آخر الزمان يكون أُناس لهم أجر خمسين من الصحابة فما الجواب عن ذلك؟ يأتي الجواب في الأبيات التي بعده.

إذْ كان ذو الإطلاقِ حازَ مِن الفَضا
ئِـلِ فـوقَ ذي التقييـدِ بـالإحسـانِ

فـإذا فَـرَضْنـا واحـداً قـد حـازَ نَـوْ
عـاً لَـمْ يَحُـزْهُ فـاضـلُ الإنسـانِ

لم يُوجِبِ التَّخصيصُ مِنْ فَضْلٍ عَلَيْـ
ـه ولا مُسـاواةٍ ولا نُقصـانِ[1]

مـا خلـقُ آدمَ بـاليـديْـنِ بمـوجِـبٍ
فَضْـلاً علـىٰ المبعـوثِ بـالقـرآنِ

وكذا خصائصُ مَنْ أتىٰ مِنْ بعدِهِ
مِـنْ كـلِّ رُسْـلِ الله بـالبـرهـانِ

فمحمـدٌ أعـلاهُـمُ فـوقـاً ومـا
حَكَمَـتْ لَهُـمْ بمـزِيَّـةِ الـرُّجْحـانِ[2]

---

(١) فالصحابة لهم فضلٌ مُطلق لا يُجاريهم فيه أحد وهذا بالإجماع، وأمّا من يأتي بعدهم فلهم فضلٌ خاصّ لسبب من الأسباب، وهذا لا يقتضي أن يكونوا أفضل من الصحابة، فالصحابة عندهم فضائلُ كثيرة، وهذا ليس عنده إلاّ هذه الفضيلة، فلا يستوي من يأتي في آخر الزمان مع صحب الرسول ﷺ، فالفضيلة الخاصة لا تقضي علىٰ الفضيلة العامة.

(٢) هذا بيان أن الفضيلة الخاصة لا تقضي علىٰ الفضيلة العامة ومثال ذلك ليس آدم أفضل من محمد ﷺ مع أنَّ آدم خلقه الله بيده فهذه فضيلة خاصة وأمّا محمد فعندَه فضائل عامة أكثر من هذا، وكذلك كل رسول له فضيلة ولكن لا يكون أفضل ممَّن عندَه فضائلُ كثيرة.

فـالـحـائـزُ الـخـمـسـيـنَ أجـراً لـم يَـحُـزْ
هـا فـي جـمـيـعِ شـرائـعِ الإيـمـانِ
هل حازَها في بدرٍ أو أُحدٍ أوِ الْـ
ـفَتْـحِ المبيـنِ وبَيْعَـةِ الـرِّضْـوانِ
بـل حـازَهـا إذْ كـان قـد فَقَـد المُعِيـ
ـنَ وهم فَقَدْ كانوا أُولي أعوانِ[1]
والـرَّبُّ ليْـسَ يُضِيـعُ مـا يَتَحَمَّـلُ الْـ
ـمُتَحَمِّلُـونَ لأجْلِـهِ مِـنْ شَـانِ
فَتَحَمُّـلُ العبـدِ الـوحيـدِ رِضـاهُ مَـعْ
فَيْـضِ العـدُوِّ وقِلَّـةِ الأعـوانِ
ممَّـا يَـدُلُّ علـىٰ يقيـنٍ صـادقٍ
ومَحَبَّـةٍ وحقيقَـةِ العِـرفـانِ[2]

---

(١) الآن وصل إلىٰ الجواب وما مضىٰ كان مقدمة له، فالحائز للخمسين أجراً إنما حازَها بالصبر والثبات علىٰ الدين، فلم يحزها بصحبة الرسول ولا بالجهاد ولا بالهجرة، فالغريب في آخر الزمان حازها لأنّه لم يجد معيناً علىٰ الدين والحق فصبر وثبت، وأمّا الصحابة فكان عندهم أعوان، وكان الرسول ﷺ موجوداً بينهم، فأصحاب الغربة في آخر الزمان من هذه الناحية صار عندهم فضيلة خاصة، والصحابة عندهم فضائل عامة.

(٢) تمسكهم في الدين مع كثرة المخالفين وصبرهم علىٰ ذلك دليلٌ علىٰ صدق إيمانهم، ودليل علىٰ علمهم وفقههم في دين الله تعالىٰ، فلذلك لا يُضيع الله تعالىٰ ذلك عليهم بل يحفظه لهم ويُجازيهم عليه أعظم الجزاء يوم القيامة.

يَكْفِيـــهِ ذُلاً واغْتِــرَابــاً قِلَّــةُ الْـ
أنْصَــارِ بَيْــنَ عَسَــاكِـرِ الشَّيْطَــانِ
فــي كُــلِّ يَــوْمٍ فِــرْقَــةٌ تَغْــزُوهُ إنْ
تَـرْجِـعْ يُـوَافِيـهِ الفَـرِيـقُ الثَّـانِـي
فَسَلِ الغَرِيبَ المُسْتَضَامَ عَنِ الذي
يَلْقَــاهُ بَيْــنَ عِــداً بِــلا حُسْبَــانِ
هــذا وقَـدْ بَعُـدَ المَـدَىٰ وتَطَـاوَلَ الْـ
ـعَهْـدُ الـذي هُـوَ مُـوجِـبُ الإحْسَانِ
ولـذاكَ كـانَ كَقَـابِـضٍ جَمْـراً فَسَـلْ
أحْشَــاءَهُ عَــنْ حَــرِّ ذِي النِّيــرَانِ
واللهُ أعْلَــمُ بــالــذي فــي قَلْبِــهِ
يَكْفِيــهِ عِلْــمُ الــواحِــدِ المَنَّــانِ
فـي القَلْـبِ أمْـرٌ لَيْـسَ يَقْـدِرُ قَـدْرَهُ
إلاَّ الــــذي آتَــاهُ لــــلإنْسَــــانِ
بِــرٌّ وتَــوْحِيــدٌ وصَبْــرٌ مَــعْ رِضَــا
والشُّكْــــرُ والتَّحْكِيـــمُ لِلْقُــرْآنِ
سُبْحَــانَ قَــاسِـمِ فَضْلِـهِ بَيْـنَ العِبَـا
دِ فَـذَاكَ مُـولِـي الفَضْـلِ والإحْسَـانِ
فَـالفَضْـلُ عِنْـدَ اللهِ لَيْـسَ بِصُـورَةِ الْـ
أعْمَــالِ بَــلْ بِحَقَــائِــقِ الإيمــانِ

وتَفَـاضُـلُ الأعْمَـالِ يَتْبَـعُ مـا يَقُـو
مُ بقلـبِ صـاحِبِهـا مِـن البُـرهـانِ
حتـىٰ يكـونَ العـامـلانِ كـلاهُمـا
فـي رُتْبَـةٍ تَبْـدُو لنـا بِعيـانِ
هـذا وبينَهُمـا كمـا بيـنَ السمـا
والأرضِ في فَضْلٍ وفي رُجْحانِ[1]
ويكـونُ بَيْـنَ ثـوابِ ذا وثـوابِ ذا
رُتَـبٌ مُضـاعَفَـةٌ بـلا حُسْبـانِ
هـذا عطـاءُ الـرَّبِّ جَـلَّ جـلالُـهُ
وبـذاكَ تَعْـرِفُ حكمـةَ الـرحمٰـنِ

* * *

---

(١) مثلاً يعمل عاملان عملاً واحداً وهما سواء، ولكن يتفاضلان في الأجر والثواب بسبب ما في القلب من الإيمان فبينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، هذا أجرُه عظيم وهذا أقل. فالله يُعطي كلاً علىٰ حسب الإيمان الذي معه.

فصل

في ما أعدَّ الله تعالىٰ في الجنةَّ لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة[(١)]

يا خاطبَ الحُورِ الحسانِ وطالباً

لِـوِصَـالِهِـنَّ بجنَّـةِ الحيـوانِ[(٢)]

لو كُنْتَ تدري مَنْ خَطَبْتَ ومَنْ طَلَبْـ

ـتَ بَذَلْتَ ما تَحوي من الأثمانِ[(٣)]

أَوْ كنـتَ تـدري أيْـنَ مَسْكَنُهـا جَعَلْـ

ـتَ السَّعْيَ منكَ لها علىٰ الأجفانِ[(٤)]

---

(١) الأبيات من هنا إلىٰ آخر القصيدة كلُّها في وصف الجنة وما فيها ليُرغِّبَ بالتمسك بالسنة والثبات عليها، وترك ما عليه المخالفون لها، وعدم الاغترار بالكثرة.

(٢) يعني دار الحياة الكاملة في الآخرة قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

(٣) لو كنت تدري ما هي الجنَّة وما فيها لبذلت ما تحوي من الأثمان لطلبها وهو قليل بالنسبة إلىٰ الجنة.

(٤) لو كنت لا تستطيع أن تسعىٰ علىٰ أقدامك لسعيت لها علىٰ أجفانك من الحرص.

ولقـد وَصَفْـتُ طـريـقَ مسكنِها فـإنْ
رمـتُ الـوصـالَ فـلا تكـن بـالـوانـي

أسْـرِعْ وحُـثَّ السَّيْـرَ جَهْـدَكَ إنَّمَـا
مَسْـرَاكَ هـذا سَـاعَـةٌ لِـزَمَـانِ

فَاعْشَقْ وَحَدِّثْ بِالوِصَالِ النَّفْسَ وابْـ
ـذُلْ مَهْـرَهَـا مَـا دُمْـتَ ذا إمْكَـانِ

واجعـلْ صيـامَـكَ قَبْـلَ لُقْيـاهـا ويَـوْ
مَ الوصلِ يَوْمَ الفِطْرِ مِن رَمضانِ[١]

واجْعلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الحَادِي وَسِرْ
نَلْـقَ المَخَـاوِفَ وَهْـيَ ذاتُ أمَـانِ

لا يُلْهِينَّـكَ مَنْـزِلٌ لَعِبَـتْ بِـهِ
أيْـدِي البِـلا مِـنْ سَـالِـفِ الأزْمَـانِ

فَلَقَـدْ تَـرَحَّـلَ عَنْـهُ كُـلُّ مَسَـرَّةٍ
وتَبَـدَّلَـتْ بِـالْهَـمِّ والأحْـزَانِ

---

(١) الصوم علىٰ نوعين:

الأول: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس.

الثاني: الصوم عن المحرَّمات وهذا دائم من حين أن تبلغ سنَّ التكليف إلىٰ الوفاة ولا تُفطر إلاّ عند لقاء الله.

سِجْـنٌ يَضيـقُ بصَـاحِـبِ الإيمـانِ لَـ
ـكِـنْ جَنَّـةُ المَـأْوىٰ لـذي الكُفْـرَانِ
سُكَّـانُهَـا أهْـلُ الجَهَـالَـةِ والبَطَـا
لَـةِ والسَّفَـاهَـةِ أنْجَـسُ السُّكَّـانِ
وألَـذُّهُـمْ عَيْشـاً فجَـاهِلُهُـمْ بِحَـقْ
قِ اللهِ ثُـمَّ حَقَـائِـقِ القُـرْآنِ
عَمُـرَتْ بِهِـمْ هَـذي الـدِّيَارُ وأقْفَرَتْ
مِنْهُـمْ رُبُـوعُ العِلْـمِ والإيمـانِ
قَـدْ آثَـرُوا الـدُّنْيَـا ولـذَّةَ عَيْشِهَـا الْـ
ـفَـانِـي علىٰ الجَنَّـاتِ والـرِّضْـوَانِ
صَحِبُـوا الأمانـي وابْتُلُـوا بِحُظُـوظِهِمْ
وَرَضُـوا بِكُـلِّ مَـذَلَّـةٍ وَهَـوَانِ
كَـدْحـاً وكَـدّاً لا يُفَتَّـرُ عَنْهُـمُ
مَـا فِيـهِ مِـنْ غَـمٍّ ومِـنْ أحْـزَانِ
واللهِ لـو شَـاهَـدْتَ هَـاتِيـكَ الصُّـدُو
رَ رأيْتَهَـا كَمَـرَاجِـلِ النِّيـرَانِ
وَوَقُودُهَا الشَّهَوَاتُ والحَسَرَاتُ والْـ
آلامُ لا تَخْبُـو مَـدَىٰ الأزْمَـانِ
أبْـدَانُهُـمْ أجْـدَاثُ هَـاتِيـكَ النُّفُـو
سِ الـلاءِ قَـدْ قُبِـرَتْ مَـعَ الأبْـدَانِ

أرواحُهُـمْ فـي وَحْشَـةٍ وَجُسُـومُهُـمْ
فـي كَدْحِهـا لا فـي رِضـا الـرحمٰـنِ
هَـرَبُـوا مِـن الـرِّقِّ الـذي خُلِقـوا لَـهُ
فَبُلُـوا بِـرِقِّ النفـسِ والشيطـانِ[١]
لا تَرْضَ ما اخْتَارُوهُ هُمْ لِنُفُوسِهِمْ
فَقَـد ارْتَضَـوْا بِـالـذُّلِّ والحِـرْمَـانِ
لـو سـاوتِ الـدنيـا جنـاحَ بَعـوضَـةٍ
لـم يَسْـقِ منهـا الـربُّ ذا الكفـرانِ
لكنهـا واللهِ أحقـرُ عنـدَهُ
مِـنْ ذا الجَنـاحِ القـاصـرِ الطيـرانِ[٢]

---

(١) هذا البيت فيه حكمة عظيمة يبين حالة الكفار حيث هربوا من الرقِّ الذي خُلقوا من أجله، وهو عبادةُ الله تعالىٰ، فبلُوا برقّ النفس والشيطان، يتبعُون أوامر النفس والشيطان، ويتجنبون ما أمرهم به الله ورسوله فصارُوا عبيداً للشيطان.

(٢) هذا معنىٰ حديث الرسول ﷺ: «لو كانت الدنيا تَعْدِل عندَ الله جناح بعوضة ما سقىٰ منها كافراً شربةَ ماء»(*) فإعطاءُ الله الدنيا للكافر دليلٌ علىٰ هوانها عليه.

(*) أخرجه ابن ماجه (٤١١٠)، والترمذي (٢٣٢٠) من حديث سهل بن سعد، وقال: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

ولَقَـدْ تَـوَلَّـتْ بَعْـدُ عَـنْ أصْحَـابِهَـا
فَـالسَّعْـدُ مِنْهَـا حَـلَّ بِـالـدَّبَـرَانِ

لا يُـرْتَجَـىٰ منهـا الـوفـاءُ لِصَبِّهـا
أيـنَ الـوفـا مِـن غـادرٍ خَـوَّانِ[١]

طُبِعَـتْ علـىٰ كَـدَرٍ فَكَيْـفَ ينَـالُهَـا
صَفْـوٌ أهـذا قَـطُّ فـي الإمْكَـانِ

يـا عـاشِـقَ الـدُّنيـا تَـأَهَّـبْ للـذي
قـد نَـالَـهُ العشـاقُ كـلَّ زمـانِ[٢]

أو ما سَمِعْتَ بل رأيتَ مصارعَ الْـ
ـعُشـاقِ مـن شِيـبٍ ومِـن شُبَّـانِ[٣]

* * *

(١) لا تركن إلىٰ الدنيا لأنَّها لا تدوم وإن أُعطي منها الشخص ما أُعطي فسرعان ما تتغيَّر وتتقلب عليه.

(٢) تأهب للعاقبة حيث إنَّ الدنيا صرعت عُشَّاقها وقتلتهم، ولهذا يُروىٰ أنَّ عيسىٰ عليه السلام: رأىٰ الدُّنيا في صورة عجوز شمطاء عليها من كلِّ زينة فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أُحصي عددهم. قال: هل كلُّهم مات عنك؟ قالت: كلَّهم قتلتُ فقال: بئسا لأزواجك الباقين حيث لم يعتبروا بأزواجك السابقين.

(٣) أما رأيت كيف صنعت بهم، هل دامت لهم، أو داموا لها بل إنها قتلتهم كلهم.

فصل

في صفة الجنة التي أعدَّها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة[١]

فاسْمَعْ إذاً أوْصَافَهَا وصِفَاتِ هَا
تيـكَ المَنَـازِلِ رَبَّـةِ الإحْسَـانِ

هـي جنـةٌ طـابَـتْ وطـابَ نعيمُهـا
فنعيمُهـا بـاقٍ وليـس بفـانِ[٢]

دارُ السـلامِ وجَنَّـةُ المـأوىٰ ومَنْـ
ـزِلُ عَسْكَـرِ الإيمـان والقُـرآنِ[٣]

---

(١) لمَّا فرغ من ذكر الدنيا وذكر صفات أهلها الذين عشقوها انتقل إلىٰ صفة الجنة والدار الآخرة من أجل الزهد في الدنيا وطلب الجنة، والزهد ليس هو ترك الدنيا نهائياً، بل هو ترك ما لا حاجة لكَ به، فتأخذ من الدنيا قدر ما تحتاج، وأمَّا الفضول وما ليس لك به حاجة فإنك تتركه.

(٢) هذا أول فرق: أنَّ الدنيا فانية بخلاف الجنة فنعيمها باقٍ وليس بفانٍ.

(٣) هذا فرقٌ آخر: أنَّها دارُ السلام كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥] والسلام اسم الله فهي دار الله، وقيل: السلام معناه السلامة من الآفات والهموم والأحزان، فالذين يسكنونها يسلمون من المكدِّرات والمُنغصات والأمراض والهموم والكبر، إنَّ سُكَّانها هم أولياء الله وصفوته من خلقه، وأمَّا النار ـ والعياذ بالله ـ فهي دار الأشقياء والكفار والمنافقين.

فــالــدار دارُ ســـلامــةٍ وخِطــابُهُــمْ
فيهــا ســلامٌ واسْــمُ ذِي الغُفْــرانِ[١]

* * *

(١) وأيضاً من معاني دار السلام: السلامة من كل خبث وأذىٰ، فلا نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولأنَّ تحيتهم فيها سلام، يُسلِّم بعضُهم علىٰ بعض بخلاف أهل النَّار فإنَّهم يلعن بعضُهم بعضاً.

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين[(١)]

درجـــاتُهـــا مِئـــةٌ ومـــا بيـــن اثنتيـ
ـــنِ فـذاكَ فـي التحقيـقِ للحُسبـانِ
مِثْـلُ الـذي بيـن السمـاء وبيـن هـ
ـذي الأرضِ قولُ الصادقِ البُرهانِ[(٢)]
لكـنَّ عـالِيَهـا هـو الفـردوسُ مَسْـ
ـقوفٌ بعـرشِ الخـالـقِ الـرحمٰـنِ
وَسْـطَ الجِنـانِ وعُلْـوُهـا فلـذاك كـا
نَـتْ قُبَّـةٌ مِـن أحْسَـنِ البُنيـانِ
مِنْـهُ تَفَجَّـرَ سـائـرُ الأنهـارِ فـالْـ
ـمَتْبُـوعُ مِنـهُ نـازِلٌ بِجِنـانِ[(٣)]

---

(١) الجنَّات درجات بعضُها فوق بعض، وأمّا النار ـ والعياذ بالله ـ فهي دركات بعضُها أسفل من بعض وما بين الدرجتين في الجنّة كما بين السماء والأرض.

(٢) كما في الحديث: «إنَّ في الجنة مِئةَ درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض»(*).

(٣) كما في الحديث: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنَّه وَسَطُ الجنة وأعلىٰ الجنَّة، وفَوقَهُ عرشُ الرحمٰن، ومنه تُفجَّر أنهار الجنة»(**).

(*) قطعة من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد في «المسند» ١٤/ ١٤٣ (٨٤١٩) والبخاري (٢٧٩٠).

(**) قطعة من حديث أبي هريرة السابق.

فصل

في أبواب الجنَّة

أبــوابُهــا حــقٌّ ثمــانيــةٌ أتَــتْ
في النَّصِّ وَهْيَ لصاحبِ الإحسانِ

بـابُ الجهـادِ وذاكَ أعـلاهـا وبـا
بُ الصومِ يُدعىٰ البابُ بالرَّيَّانِ[(١)]

ولِكُـلِّ سَعْـيٍ صَـالِـحٍ بَـابٌ وَرَبْ
بُ السَّعْـيِ مِنْـهُ دَاخِـلٌ بِـأمَـانِ

(١) عدد أبواب النار سبعة كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] وأمَّا الجنَّة فلم يُصرَّح في القرآن بعدد أبوابها ولكن جاء ذلك إشارة في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] فهو مثل قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ويسمون هذه الواو واو الثمانية، وفي الحديث تصريح بأنَّ أبواب الجنَّة ثمانية كما في حديث الوضوء «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إلـٰه إلاّ الله وأنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، إلا فُتِحَتْ له أبواب الجنَّة الثمانية، يدخل من أيِّها شاء»(*) وكلُّ باب مخصص لعمل من الأعمال فالصائمون لهم باب، والمجاهدُون لهم باب، وكل باب لنوع من الأعمال.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٨/ ٥٤٩ (١٧٣١٤)، ومسلم (٢٣٤) من حديث عمر بن الخطاب. وانظر تمام تخريجه في «المسند».

ولسوف يُدْعَىٰ المرءُ مِن أبوابِها
جَمْعاً إذا وَفَّىٰ حُلَىٰ الإيمانِ
منهُمْ أبو بكرٍ هو الصِّدِّيقُ ذا
ك خليفةُ المبعوثِ بالقرآنِ(١)

* * *

---

(١) وهذا في الحديث الصحيح: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمَّىٰ الريان لا يدخله إلا الصائمون»(*)، وفي «الصحيح» وبعد ذكر أبواب الجنة سأل أبو بكر الصديق هل يُدعىٰ أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال الرسول ﷺ: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»(**).

(*) أخرجه البخاري (٣٢٥٧) من حديث سهل بن سعد.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٣/ ٧٢ (٧٦٣٣)، والبخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧) (٨٦) من حديث أبي هريرة.

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

سبعونَ عـامـاً بيـنَ كُـلِّ اثنيـنِ منـ
ـهـا قُــدِّرَتْ بـالعَـدِّ والحُسبـانِ
هـذا حـديـثُ لَقِيـطِ المعـروفِ بـالـ
ـخَبَـرِ الطـويـلِ وذا عظيـمُ الشـانِ
وعليـه كُـلُّ جـلاَلـةٍ ومهـابـةٍ
ولكَـمْ حـواهُ بَعْـدُ مِـنْ عِـرفـانِ[1]

* * *

(١) يعني: بين البابين من أبواب الجنَّة: سبعون سنة، والباب الواحد من مصراعين، وبين كلِّ مصراعين أربعون سنة كما في حديث لقيط بن عامر الطويل[*].

(*) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زياداته على «المسند» ٢٦/ ١٢١-١٢٨ (١٦٢٠٦). انظر تمام تخريجه وتنقيده في «المسند». وقد ساقه ابن القيم في «زاد المعاد» ٣/ ٥٨٨-٥٩١.

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

لكـــنَّ بينهمـــا مَسِيـــرةَ أربعيـ
ـــنَ رواهُ حَبْـرُ الأُمَّـةِ الشيبـانـي

فـي مسنـدٍ بـالـرَّفْـعِ وهـو لِمُسْلِـمٍ
وقْـفٌ كمـرفـوعٍ بـوَجْـهٍ ثـانِ

ولقــد روىٰ تقــدِيــرَه بثــلاثـةِ الـ
أيــامِ لكــنْ عنــدَ ذِي العِــرفــانِ

أعنـي البخـاريَّ الـرِّضـا هـو منكـرٌ
وحــديــثُ راوِيــهِ فــذُو نُكــرانِ[1]

---

(١) رواية الثلاثة أيام ليست بصحيحة وإنَّما الصحيح رواية أربعون سنة[*].

(*) حديث مسيرة أربعين عاماً أخرجه أحمد في «المسند» ٣٣/ ٢٢٨ (٢٠٠٢٥) من حديث معاوية بن حيدة وهو حديث إسناده حسن.

وحديث مسلم عن عتبة بن غزوان ورقمه (٢٩٦٧) (١٤) وهو حديث موقوف، وهو مرفوع في «المسند» ٢٩/ ١١٤-١١٥ (١٧٥٧٥).

وحديث الثلاثة أيام رواه الترمذي (٢٥٤٨) عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون عليه، حتىٰ تكاد مناكبهم تزول» وقال: هذا حديث غريب، سألت محمداً ـ أي البخاري ـ عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: لخالد بن أبي بكر ـ أحد رواته ـ مناكير عن سالم بن عبد الله.

وأورده الذهبي في «تهذيب الكمال» ٨/ ٣٤ في ترجمة خالد بن أبي بكر بن عبيد الله.

فصل

في مفتاح باب الجنَّة

هـذا وفَتْـحُ البـابِ ليـسَ بِمُمْكِـنٍ
إلاَّ بِمفتـــاحٍ علـــىٰ أسنـــانِ

مفتـاحُـهُ بشهـادَةِ الإخـلاصِ والتْـ
ـتَـوْحيـدِ تلـك شَهـادةُ الإيمـانِ

أسنـانُـهُ الأعمـالُ وهـي شـرائـعُ الْـ
إسْـلامِ والمفتـاحُ بـالأسنـانِ

لا تُلْغِيَـنْ هـذا المثـالَ فكـم بِـهِ
مِـنْ حَـلِّ إشكـالٍ لـذي العِـرفـانِ[1]

---

(١) مفتاح الجنة: لا إلـٰه إلا الله ولكن ليس المقصودُ لفظَها، وإنَّما المقصود لفظها ومعناها والعملُ بمقتضاها، ولهذا لمَّا سُئل وهب بن مُنبِّه: أليس لا إلـٰه إلا الله مفتاح الجنة قال: نعم ولكن ما من مفتاح إلاّ وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك وإلاّ لم يُفتَح لك[*]. فأسنان هذا المفتاح: هي الأعمال من الصلاة والزكاة والصيام والحج، ولا يكفي مفتاح بدون أسنان، فلا بُدَّ من الإيمان بمعناها والعمل به، فالمفتاح بالأسنان، أمَّا إذا لم يكن للمفتاح أسنان فإنَّه كما لو لم يكن هناك مفتاح =

(*) أورده البخاري تعليقاً في كتاب الجنائز قبل الحديث (١٢٣٧) وانظر «فتح الباري» لابن حجر ٣/ ١٤٢ وفيه شرح ما قال وهب بن منبه.

. . . .

= ولا ينفع صاحبَه، وبعض الناس يأخذ حديث: «مفتاح الجنَّة شهادة أن لا إلـٰه إلا الله»(*) علىٰ ظاهره بأنَّه من قال هذه الكلمة ولم يعمل شيئاً أبداً فإنَّه مؤمن ويدخل الجنة، والحديث في الحقيقة مُقيَّد وليس بمُطلق فهو مُقيَّد بأحاديث أُخرىٰ، وأحاديث رسول الله ﷺ يُفسِّر بعضُها بعضاً فالرسول قيَّد «لا إلـٰه إلا الله» بقيود، بأن يقولها من قالها مُخلصاً من قلبه، من قالها وكفر بما يعبد من دون الله، أي: لا بد من هذه القيود التي هي أسنان المفتاح. وهذه المسألة عظيمة ضلَّ بسبب عدم فهمها بها من ضل يأخذون بالمتشابه ويتركون المُحكم من كلام الله ورسوله وأهل العلم.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/ ٤١٨ (٢٢١٠٢) من حديث معاذ بن جبل، وقد صح معناه عن معاذ، انظر ما ورد في «المسند» ٣٦/ ٣٢٣ (٢١٩٩٨) عن معاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وأني رسول الله، يرجع ذاك إلىٰ قلب موقن، إلا غفر الله لها». وهو حديث صحيح.

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها[1]

هـذا ومَـنْ يَـدخـلْ فليس بـداخـلٍ
إلاَّ بتـــوقيـــعٍ مِـــن الـــرحمٰـــنِ

وكـذاك يُكْتَـبُ للفتـىٰ لـدخـولـهِ
مِـــنْ قَبْـلُ تـــوقيعـــانِ مشهـــورانِ

إحـداهُمـا بعـدَ الممـاتِ وعَـرْضِ أرْ
واحِ العبـــادِ بـــه علـــىٰ الـــدَّيَّـــانِ

فيقــولُ ربُّ العــرشِ جــلَّ جـلالُـهُ
للكـــاتبيـــنَ وهُـــمْ أُوْلُـــو الـــدِّيـــوانِ

ذا الاسْمُ في الديوانِ يُكْتَبُ ذاكَ دِيـ
ـــوَانُ الجِنـــانِ مُجَـــاورَ المَنَّـــانِ

ديـــوانُ عِلِّيِّيْـــنَ أصحـــابُ القـــرآ
نِ وسُنَّـــةِ المبعـــوثِ بـــالقـــرآنِ[2]

---

(١) كلٌّ واحد من أهل الجنة يأخذ معه صكاً من الله جلَّ وعلا بدخول الجنة.

(٢) لأنَّه إذا مات الميت وقُبضت روحه تصعد بها الملائكة سواءٌ روح الكافر أو المسلم، فإذا وصلت إلىٰ السماء الدنيا فإن كان مؤمناً فإنه يُفتح له ويقول الله تعالىٰ: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأرجُعوه إلىٰ الأرض =

فـإذا انتهـىٰ للجسـرِ يـومَ الحشـرِ يُعْـ
ـطـىٰ للـدخـولِ إذاً كتـابـاً ثـانِ[١]

عِنْـوانُـهُ هـذا الكتَـابُ مِـنْ عَـزِيـ
ــزٍ رَاحِـمٍ لِفُـلانِ بْـنِ فُـلاَنِ

فَدَعُوهُ يَدْخُلْ جَنَّةَ المَأْوَىٰ التي ارْ
تَفَعَـتْ ولكِـنَّ القُطُـوفَ دَوَانِ

= فإني منها خلقتُه وفيها أُعيدُه ومنها أُخرجُهُ تارةً أُخرىٰ» فترجع روحه إلىٰ الأرض ويكون قبرُه روضة من رياض الجنَّة وأمَّا روح الكافر فلا يفتح لها باب السماء ويقول الله: «اكتبوا كتاب عبدي في سجين فتُطرحُ روحُه طَرْحاً»(*) ـ والعياذ بالله ـ كما قال تعالىٰ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] وسم الخياط هو ثقب الإبرة، أي: لا يدخلون الجنة حتىٰ يدخل البعير في ثقب الإبرة، وقُرِىء (حتىٰ يلجَ الجُمَّلُ في سَمِّ الخياط) وهي قراءة شاذة، والجُمَّل هو حبل السفينة الغليظ فإنه لا يدخل في منفذ الإبرة، فكذلك الكافر لا يدخل الجنَّة وهذا من باب المستحيل.

(١) فالكتاب الأول عند الوفاة، والكتاب الثاني عند عبور الجسر المنصوب علىٰ متن جهنم وهو الصراط فالمؤمنون يُعطون كل واحد منهم كتاباً لدخول الجنة.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/ ٤٩٩-٥٠٣ (١٨٥٣٤) من حديث البراء بن عازب، وهو حديث إسناده صحيح، وهو عند أبي داود (٣٢١٢) و(٤٧٥٣) وانظر تمام تخريجه في «المسند».

هذا وقد كُتِبَ اسمُهُ مُذْ كانَ في الْـ

أرحــامِ قَبْــلَ ولادةِ الإنســانِ[١]

بَلْ قَبْلَ ذلِكَ وهْوَ وقْتَ القَبْضَتَيْـ

ـنِ كِـلاهُمَـا لِلْعَـدْلِ والإحْسَـانِ

سُبْحَانَ ذي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والْـ

إجْـلالِ والإكْـرَامِ والسُّبْحَـانِ

واللهُ أكْبَـرُ عَـالِـمُ الأسْـرَارِ والْـ

إعْـلانِ واللَّحَظَـاتِ بِـالأجْفَـانِ[٢]

والحَمْـدُ للهِ السَّمِيـعِ لِسَـائِـرِ الْـ

أصْـوَاتِ مِـنْ سِـرٍّ ومِـنْ إعْـلانِ

وهْـوَ المُـوَحِّـدُ والمُسَبَّـحُ والمُمَجْـ

جَـدُ والحَمِيـدُ ومُنْـزِلُ القُـرْآنِ

والأمْـرُ مِـنْ قَبْـلٍ ومِـنْ بَعْـدٍ لَـهُ

سُبْحَـانَـكَ اللَّهُـمَّ ذا السُّلْطَـانِ

* * *

---

(١) هذا التقدير العام الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وأمّا الكتابان المذكوران فهما مأخوذان من الكتاب العام الذي هو اللوح المحفوظ فلا تعارض بين الكتابات.

(٢) لا يخفىٰ عليه شيء كما قال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

فصل

في صفوف أهل الجنَّة

هــذا وإنَّ صفـوفَهُـم عِشْـرونَ مَـعْ
مِئَـــةٍ وهـــذي الأُمَّـــةُ الثُّلُثـــانِ

بــرويــه عنــهُ بــريــدةٌ إسنــادُهُ
شَرْطُ الصحيـحِ بمُسْنَدِ الشيبانـي[١]

ولَهُ شَواهِدُ مِنْ حَديثَ أبي هُرَيْـ
ـرَةَ وابْـنِ مَسْعُـودٍ وحَبْـرِ زَمَـانِ

أعْنِـي ابْـنَ عَبَّـاسٍ وفـي إسْنَـادِهِ
رَجُــلٌ ضَعِيــفٌ غَيْــرُ ذي إتْقَــانِ

ولقَـدْ أتَـانَـا فـي الصَّحِيـحِ بِـأنَّهُـمْ
شَطْــرٌ ومَــا اللَّفْظَــانِ مُخْتَلِفَــانِ

إذْ قـالَ أرجـو أن تكـونـوا شطـرَهُـمْ
هـــذا رجـــاءٌ منـــه للـــرحمٰـــنِ

أعطـاهُ ربُّ العـرشِ مـا يـرجـو وزا
دَ مِن العطاءِ فِعالَ ذِي الإحسانِ[٢]

---

(١) صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفاً وهذه الأمة تعادلُ الثلثين منها؛ لأنَّ رسولنا محمداً ﷺ هو أكثر الأمم أتباعاً يوم القيامة.

(٢) وهذا رجاء من الرسول أن تكون أمته نصف أهل الجنة، وليس إخباراً عن مقدار هذه الأمة في الجنة فأعطاه الله أكثر مما رجاه فجعلهم ثلثي أهل الجنة.

فصل

في صفة أوَّلِ زُمْرَةٍ تدخُل الجنَّة

هــذا وأَوَّلُ زُمْــرَةٍ فــوجــوهُهُــمْ
كــالبــدْرِ لَيْــلَ السِّــتِّ بعــدَ ثَمــانِ

الســابقــونَ هُــمُ وقَــدْ كــانــوا هُنــا
أيضــاً أُوْلــي سَبْــقٍ إلىٰ الإحســانِ[(١)]

* * *

(١) هذا في بيان دخول هذه الأمة وغيرهم الجنة فأول من يدخلها السابقون من الأمم الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١] فهم السابقون في الدنيا إلىٰ اتباع الرسل وهم السابقون في الآخرة إلىٰ دخول الجنّات، وتكون وجوههم كالقمر ليلة البدر[(*)] في ليلة الرابع عشر من الشهر، ويليهم أصحاب اليمين يدخلون الجنة وجوههم كالكوكب الدرّي.

(*) انظر ما ورد في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/ ٥٢٥-٥٢٦ (٨٠٧٦).

فصل

في صفة الزمرة الثانية

والـزُّمْـرَةُ الأُخـرىٰ كـأَضْـوَإِ كـوكـبٍ
فـي الأُفْـقِ تَنظُـرُهُ بـه العَينـانِ
أمشـاطُهُـمْ ذهـبٌ ورشْحُهُـمُ فَمِسْـ
ـكٌ خـالـصٌ يـا ذِلَّـةَ الحِـرمـانِ[١]

* * *

(١) أمشاط أهل الجنّة من الذهب، وعرقهم المسك، وهم لا يبولون ولا يتغوطون وإنما يكون لهم رشحٌ كرشح المسك(*). فيا ذلة من حرمه الله من هذا الفضل العظيم.

(*) انظر ما ورد في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/ ٥٢٥-٥٢٦ (٨٠٧٦).

١١٧٠

فصل

في تفاضل أهل الجنَّة في الدرجات العُلىٰ

ويَـرَىٰ الـذيـن بـذَيْلِهـا مَـنْ فَـوقَهـم
مثـلَ الكـواكـبِ رؤيـةً بِعيـانِ
مـا ذاك مُختصّـاً بِـرُسْـلِ اللهِ بَـلْ
لهـم وللصِّـدِّيـقِ ذي الإيمـانِ[١]

* * *

(١) إذا دخلوا الجنَّة فإنَّهم يتفاضلُون في الدرجات بحسب أعمالهم، فأدنىٰ أهل الجنَّة منزلة يرون أصحاب المنازل العالية كالكواكب الدرية في السماء لرفعة منزلتهم. وهذا يدل علىٰ تفاوت أهل الجنة في منازلهم، وأنَّ أدناهم يرىٰ عاليهم كالكواكب في السماء. قيل يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلىٰ والذي نفسي بيده قومٌ آمنوا بالله وصدَّقُوا بالمرسلين»[*] وأمَّا الرسل فهم فوق هؤلاء أيضاً لأنه لا أحد يساوي الرسل.

(*) أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

فصل

في ذكر أعلىٰ أهل الجنَّة منزلةً وأدناهُم

هــذا وأعــلاهــم فنــاظِــرُ ربِّــه
فــي كــلِّ يــومٍ وَقْتُــهُ الطَّــرَفــانِ

لكــنَّ أدنــاهُــمْ ومــا فيهِــمْ دَنِــي
إذْ ليــسَ فــي الجنــاتِ مِــن نُقصــانِ

فهــو الــذي تُلْفَــىٰ مســافَــةُ مُلْكِــهِ
بسنينِنــــا ألفــــانِ كــــاملتــــانِ

فَيَــرَىٰ بهــا أقصَــاهُ حَقّــاً مِثْــلَ رُؤْ
يَتِــهِ لأدنــاهُ القــريــبِ الــدانــي

أو مــا سمِعْــتَ بــأنَّ آخِــرَ أهلِهــا
يُعطيــهِ رَبُّ العــرشِ ذو الغُفــرانِ

أضعــافَ دنيــانــا جَميعــاً عَشْــرَ أمْـ
ـثَــالٍ لهــا سُبحــانَ ذي الإحســانِ[1]

---

(١) أعلىٰ أهل الجنَّة منزلة من يرىٰ ربَّه مرتين في الصباح والمساء وهذا أعظم نعيم يحصلون عليه في الجنة قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٥] والمزيد: رؤية وجه الله تعالىٰ، وأدناهم منزلة من ينظر في ملكه في الجنَّة مسيرة ألفي سنة. هذا أدنىٰ أهل الجنة منزلة. وآخر مَن يدخُلون الجنة قومٌ يُخرجون من النّار بعد التعذيب فيها لتمحيصهم من ذنوبهم وسيئاتهم، ويمكثون في النار ما شاء الله فيها ثمّ يُخْرَجون من النار وقد احترقوا، فيُلقَون في نهرٍ يُقالُ له: نهر الحياة فتنبت أجسامُهم ثمّ يدخلون الجنَّة، فهؤلاء يعطي الله تعالىٰ الواحد منهم مثل الدنيا عشر مرات.

فصل

في ذكرىٰ سنِّ أهل الجنَّة

هــذا وسِنُّهُــمُ ثــلاثٌ مَــعْ ثــلا

ثيــنَ التــي هــي قُــوَّةُ الشُّبَّــانِ

وصغيــرُهُــمْ وكبيــرُهُــمْ فــي ذا علىٰ

حَــدٍّ ســواءٍ مــا سِــوَىٰ الــوِلْــدانِ

ولَقَــدْ روَىٰ الخُــدْرِيُّ أيْضــاً أنَّهُــمْ

أبْنَــاءُ عَشْــرٍ بَعْــدَهَــا عَشْــرَانِ

وكــلاهُمــا فــي الترمــذيِّ وليــس ذا

بِتنــاقُــضٍ بَــلْ هــا هُنــا أمــرانِ

حَــذْفُ الثــلاثِ ونَيِّــفٍ بعــدَ العقــو

دِ وذكــرِ ذلــكَ عنــدَهُــم سِيّــانِ

عنــدَ اتســاعٍ فــي الكــلامِ فعنــدَمــا

يــأتُــوا بتحــريــرٍ فبــالميــزانِ(١)

---

(١) يعني سِنُّهم واحد فليس فيهم كبير ولا صغير بل هم أبناء ثلاثٍ وثلاثين سنة(*) وهي غاية القوة في العمر، وفي حديثٍ آخر أنَّ أسنانهم علىٰ ثلاثين سنة(**) ولا تناقض بين الحديثين: لأنّ من عادة العرب: أنّهم يحذفون «الكسر» والنيّف ويقتصرون علىٰ العقود فيذكرون «ثلاثين» ويحذفون «الثلاث» فهذا من عادة العرب، وبعضهم يذكر الكسر فهي لُغتان عند العرب، وجاء في الحديثين هذا وهذا فلا تناقُض.

(*) انظر «جامع الترمذي» (٢٥٤٥) حديث معاذ بن جبل. وانظر ص١١٧٤.

(**) انظر «جامع الترمذي» (٢٥٦٢/ ١) حديث أبي سعيد الخدري.

فصل

في طول قامات أهل الجنَّة وعرضهم

والطـولُ طُـوْلُ أبِيهِـمُ سِتُّـونَ لـ
ـكِـنْ عَـرْضُهُـمْ سَبْـعٌ بـلا نُقْصَـانِ

الطولُ صَحَّ بغيرِ شكٍ في الصحيـ
ـحَيْـنِ اللـذيـن همـا لنـا شمسـانِ

والعَـرْضُ لـم نَعْـرِفْـهُ فـي إحـداهُمـا
لَكِـنْ رواهُ أحمـدُ الشيبـانـي

هـذا ولا يخفـىٰ التنـاسُـبُ بيـن هـٰ
ـذا العرضِ والطولِ البديعِ الشانِ

كـلٌّ علـىٰ مقـدارِ صـاحِبـه وذا
تقـديـرُ مُتْقِـنِ صَنْعَـةِ الإنسـانِ[١]

---

(١) الطول ثبت في الحديث: أنَّ طولَهم طول أبيهم آدم ستون ذراعاً[*]، وأمَّا العرض فلم يرد فيه حديثٌ قوي[**]، لكن من جهة التناسب أنَّ الطويل يحتاج إلىٰ عرض، فطول الواحد منهم ستون ذراعاً كطول آدم عليه السلام وأمَّا العرض فسبعة أذرُع وهذا لتناسب الخلقة، فالطول صَحَّ به الحديث وأمّا العرض فلم يصح فيه حديث لأنه ليس في الصحيحين وإنَّما هو في «مسند الإمام أحمد» ولكن المعنىٰ صحيح لأنَّه يناسب الطول.

(*) انظر حديث أبي هريرة في «المسند» ١٣/ ٥٠٤ (٨١٧١)، والبخاري (٣٣٢٦) و(٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) (٢٨).

(**) انظر حديث أبي هريرة في «المسند» ١٣/ ٣١٥ (٧٩٣٣) وفيه ذكر أن العرض سبع أذرع ولكن ذلك القول تفرد به علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. انظر ص١١٧٤.

فصل

في لحاهُم وألوانهم[١]

ألــوَانُهُــمْ بِيــضٌ ولَيْــسَ لَهُــمْ لِحــىً
جُعْــدُ الشُّعُــورِ مُكَحَّلُــو الأجْفَــانِ
هــذا كَمَــالُ الحُسْــنِ فــي أبْشَــارِهِــمْ
وشُعُــورُهُــمْ وكــذَلِــكَ العَيْنَــانِ

* * *

(١) روىٰ الترمذي عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرْداً مُرْداً مكحلين أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين سنة»(*).

وروىٰ الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرْداً، مُرْداً، بيضاً، جعاداً، مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، علىٰ خلق آدم؛ ستون ذراعاً في عرض سبع أذرع»(**).

(*) أخرجه الترمذي (٢٥٤٥) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(**) أخرجه أحمد في «مسنده» ١٣/ ٣١٥ (٧٩٣٣) وهو حديث حسن بطرقه وشواهده، دون قوله: «في سبع أذرع» فقد تفرد بها علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف.

فصل

في لسان أهل الجنة

ولَقَـدْ أتـىٰ أثَـرٌ بِـأنَّ لِسَـانَهُـمْ
بِـالمَنْطِـقِ العَـرَبِـيِّ خَيْـرِ لِسَـانِ

لكِـنَّ فـي إسْنَـادِهِ نَظَـراً فَفِيـ
ـهِ رَاوِيَـانِ ومَـا هُمَـا ثَبْتَـانِ

أعْنِي العَلاَءَ هُوَ ابْنُ عَمْرو ثُمَّ يَحْـ
ـيَـىٰ الأشْعَـرِيُّ وذَانِ مَغْمُـوزَانِ

* * *

فصل

في ريح أهل الجنة من مسيرة كم يُوجَد

والـرِّيـحُ يُـوجَـدُ مِـنْ مَسِيـرَةِ أَرْبَعِيـ
ـــنَ وإنْ تَشَـــأْ مِئَـــةً فَمَـــرْوِيَّـــانِ
وكـذَا رُوِي سَبْعِيـنَ أيْضـاً صَـحَّ هَـٰ
ــــذَا كُلُّـــهُ وأتَـــىٰ بِـــهِ أثَـــرَانِ
مـا فـي رِجَـالِهِمـا لنـا مِـنْ مَطْعَـنٍ
والجَمْـعُ بَيْـنَ الكُـلِّ ذُو إمكـانِ[١]
ولَقَـدْ أتَـىٰ تَقْـدِيـرُهُ مِئَـةً بِخَمْـ
ــسٍ ضَـرْبُهَـا مِـنْ غَيْـرِ مَـا نُقْصَـانِ
إنْ صَـحَّ هـذا فَهْـوَ أَيْضـاً والـذي
مِـنْ قَبْلِـهِ فـي غَـايَـةِ الإمْكَـانِ

---

(١) يعني رُوي في مسافة إدراك رائحة أهل الجنَّة أنَّه من أربعين سنة، وروي: من سبعين سنة، وروي من مئة سنة، وروي من خمس مئة سنة. روايات مختلفة ولا تناقض بينهما لأنَّ هذا اختلاف بحسب السير، فسير السريع غير سير البطيء فاختلاف الروايات بحسب السير، والحاصل أنَّ رائحة الجنة تدرك من مسافة بعيدة مما يدل علىٰ عظم هذه الجنة، وأهل الجهاد في سبيل الله قد يشمُّون رائحتها حتىٰ وهم في الدنيا كما حصل لأنس بن النضر في وقعة أحد رضي الله عنه.

إمَّـا بِحَسْـبِ المُـدْرِكِيـنَ لِـرِيحِهـا
قُــرْبــاً وبُعْــداً مــا هُمــا سِيَّــانِ
أو بــاخْتــلافِ قَــرارِهــا وعُلُــوِّهــا
أيضــاً وذلـــكَ واضــحُ التِّبْيــانِ
أو بــاخْتِـلافِ السَّيْـرِ أيضـاً فهـو أنـ
ـــواعٌ بِقَــدْرِ إطــاقَــةِ الإنســانِ
مـا بيـنَ ألفـاظِ الـرسُـولِ تَنـاقـضٌ
بَـلْ ذلاك فـي الأفهـامِ والأذهـانِ[1]

* * *

(١) وقيل: إن اختلاف المسافة التي تدرك منها رائحة الجنة لاختلاف إدراك الناس وقيل: لاختلاف درجات الجنَّة. والنَّاس ليسوا سواء فأحدٌ يُدركها من قريبٍ وآخر يُدركها من بعيد، أو هذا بحسب السير السريع والبطيء، وأيضاً يمكن أن يكون اختلاف الرائحة بحسب اختلاف الجنَّات، فهي درجات، فاختلاف الروايات باختلاف درجات الجنَّة، فتحصل ثلاثة احتمالات:

الأول: إمَّا إنَّه لاختلاف مدارك النَّاس فأحدٌ يُدرك من مسافة قريبة وآخر يُدرك من مسافة بعيدة.

الثاني: أو الاختلاف في السير بحسب السرعة والبطء.

الثالث: أو هو الاختلاف في الجنَّات وذلك لأنَّ كلام الرسول حقٌّ ولا يتناقض.

فصل

في أسبق النَّاس دخولاً إلىٰ الجنَّة

ونظيـرُ هـذا سَبْـقُ أهـلِ الفَقْـرِ للـ
ـجنـاتِ فـي تقـديـرِهِ أثَـرانِ

مئـةٌ بخمـس ضَـرْبُهـا أو أربعيـ
ـنَ كِـلاهُمـا فـي ذاكَ مَحفـوظـانِ

فـأبـو هـريـرةَ قـد روىٰ أُولاهُمـا
وروىٰ لنـا الثـانـي صحـابيـان[١]

هذا بحسبِ تفاوتِ الفقراءِ في اسْـ
ـتحقـاقِ سَبْقِهِـمْ إلـىٰ الإحسـانِ

أو ذا بحسـبِ تفـاوتٍ فـي الأغنيـا
ءِ كـلاهُمـا لا شـكَّ مـوجـودانِ[٢]

---

(١) يعني: أنَّ الناس في دخول الجنَّة يتفاوتون فبعضهم أسبق من بعض، فالفقراء يسبقون الأغنياء، لأنَّ الأغنياء سيُسألون أثناء الحساب عن أموالهم، وأمَّا الفقراء فليس لهم أموال يسألون عنها كذلك. ونظير اختلاف الروايات في رائحة الجنَّة الاختلاف في روايات أسبق أهل الجنَّة دخولاً. فالفقراء ورد أنَّهم يسبقون الأغنياء: بخمس مئة سنة أو بأربعين سنة كلاهما مرويان عن الرسول ﷺ.

(٢) هذا تفسير الاختلاف علىٰ قولين:

الأول: أن ذلك باختلاف تفاضل الفقراء فبعضهم أفضل من بعض. =

هــذا وأَوَّلُهــم دخُــولاً خيــرُ خَلْـ
ـقِ اللهِ مَـنْ قَـدْ خُـصَّ بـالقـرآنِ[١]
والأنبيـاءُ علـىٰ مـراتِبِهِـمْ مِـن التَّـ
ـفْضيـلِ تلـكَ مـواهـبُ المنَّـانِ[٢]
هــذَا وأُمَّـــةُ أحْمَـــدٍ سَبَّــاقُ بَــا
قِـي الخَلْـقِ عِنْـدَ دُخُـولِهِـمْ بِجِنَـانِ
وأحَقُّهُـمْ بِـالسَّبْـقِ أسْبَقُهُـمْ إلـىٰ الْـ
إسْـــلاَمِ والتَّصْـــدِيــقِ بـــالْقُـــرْآنِ
وكـذا أبـو بكـر هـو الصِّـدِّيـقُ أسـ
ـبَقُهُـمْ دخـولاً قـولَ ذي البُرهـانِ[٣]

= الثاني: أنَّه بحسب تفاوت الأغنياء، فالأغنياء لا يدخلون جميعاً، يتفاوتون، فبعضهم أسبق من بعض، فكلما كثر المال صَعُب الحساب، وكثُر الحساب، فالأغنياء ليسوا علىٰ حدٍّ سواء، كذلك الفقراء ليسُوا علىٰ حدٍّ سواء في الصبر والاحتساب والإيمان فهم يتفاوتون.

(١) يعني: أن محمداً ﷺ هو أول من يدخل الجنَّة من الأنبياء وكذلك أول من يدخلها من الأمم أمته.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فالرسل يتفاوتون، وأفضلهم علىٰ الإطلاق نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فهو أول من يدخل الجنة. وأول الأمم تدخل الجنَّة أُمته، وأول من يدخل الجنة من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) أخبر الرسول ﷺ بذلك أنَّ أبا بكر هو أول من يدخل الجنَّة من الأمّة لسبقه في الإيمان ولصديقيته فهو أفضل الأمة علىٰ الإطلاق.

وروىٰ ابـنُ مـاجـةَ أنَّ أوَّلَهـم يُصـا
فِحُـهُ إلـٰـهُ العـرشِ ذو الإحســانِ
ويكــونُ أوَّلُهُــمْ دخــولاً جَنَّـةَ الْـ
ـفـردوسِ ذلـكَ قـامِـعُ الكفـرانِ
فـاروقُ ديـنِ اللهِ نـاصـرُ قـولِـهِ
ورسُـولِـهِ وشـرائِـعِ الإيمـانِ
لكنَّــه أثــرٌ ضعيــفٌ فيــه مجـ
ـروحٌ يُسمَّــىٰ خــالــداً ببيــانِ
لو كان صحَّ عمومُهُ المخصوصُ بالصْـ
ـصِـدِّيـقِ قطعـاً غيـرَ ذي نُكـرانِ[1]

---

(١) جاء أنَّ عمر رضي الله عنه هو أولُ من يدخل جنة الفردوس ويصافحه ربه[*] فأوليّة عمر إن صحت مقيَّدة بسبق الصديق، ولكن هذا الحديث فيه راو مجروح. وأمَّا الأوليّة المُطلقة فهي لأبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه.

(*) أورد ذلك ابن ماجه في «سننه» (١٠٤) عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة» قال في الزوائد: إسناده ضعيف. فيه داود بن عطاء المديني، وقد اتفقوا علىٰ ضعفه.

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في «جامع المسانيد» هذا الحديث منكر جداً وما هو أبعد من أن يكون موضوعاً.

ولا يوجد في رواته من يسمىٰ خالداً كما ذكر ابن القيم.

هــذا وأَوَّلُهُــم دخــولاً فهــو حمْـ
مَـادٌ علـىٰ الحـالاتِ للـرحمْـنِ[١]
إنْ كَـانَ فـي السَّـرَّاءِ أَصْبَـحَ حَـامِـداً
أوْ كــانَ فــي الضَّــرَّا فَحَمْــدٌ ثَــانِ
هــذا الــذي هُــوَ عَـارِفٌ بـإلٰهِـهِ
وصِفَــاتِــهِ وكمَــالِــهِ الــرَّبَّــانــي
وكـــذا الشهيـــدُ فسبقُـــهُ مُتَيَقَّـــنٌ
وهـو الجـديـرُ بِـذَلِـكَ الإحسـانِ[٢]
وكـذلـك المملـوكُ حيـن يقـومُ بـالْـ
ـحَقَّيْـــنِ سَبَّـــاقٌ بغيـــرِ تـــوانِ
وكــذا فقيــرٌ ذو عيــال ليــس بــالْـ
ـمِلْحــاحِ ذُو عِفَّـــةً وصِيــانِ[٣]

---

(١) أول من يدخل الجنَّة بعد أبي بكر وعمر من الأمة أكثرُهُم حمداً لله تعالىٰ في هذه الدنيا، وذلك علىٰ حالات الشدة أو الرخاء.

(٢) كذلك من أوائل من يدخل الجنَّة الشهداء وهم مَن قُتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله عزَّ وجل.

(٣) وكذلك من أوائل من يدخل الجنَّة المملوك الذي يقوم بحقِّ ربِّه وحقِّ سيده فإنَّه من السابقين لدخول الجنَّات، وكذلك الفقير الذي له عيال وتعفف عن سؤال النَّاس، هذا ممَّن يسبقون غيرهم في دخول الجنَّة لصبره واحتسابه وتَعفُّفه عن النَّاس.

فصل

في عدد الجنَّات وأجناسها(١)

والجنَّـةُ اسـمُ الجِنْـسِ وهْـيَ كثيـرةٌ
جــدّاً ولكِــنْ أصلُهَــا نَــوعَــانِ(٢)
ذَهَبِيَّــانِ بِكُــلِّ مَــا حَــوَتَــاهُ مِــنْ
حَلْــيٍ وآنِيَــةٍ وَمِــنْ بُنْيَــانِ

(١) الجنَّات درجات عند الله، يقول النبي ﷺ: «إنَّ في الجنَّة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض»(*).

(٢) أصل الجنَّات أربع مذكورة في سورة «الرحمٰن» قال تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] هاتان أعلىٰ الجنَّات، وهاتان كُلُّهما من ذهب آنيتهما وما فيهما من ذهب، وذكر فيهما مزايا من قوله تعالىٰ: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٨] إلىٰ قوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠] وجنتان من فضة قال تعالىٰ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٢] وهما من فضة آنيتهما وما فيهما وذكر الله ما فيهما من المزايا في آخر سورة الرحمٰن. وأمَّا أسماء الجنَّات: فهي جنَّة عدن والخُلد هذه أسماء متعددة للجنة؛ لأنَّ الشيء إذا صار عظيماً تعددت أسماؤه فهذا تعدُّد الأسماء لا الجنَّات.

(*) سلف تخريجه ص١١٥٧.

وكــذاكَ أيْضــاً فِضَّــةٌ ثِنْتَــانِ مِــنْ
حَلْـــيٍ وبُنْيَـــانٍ وكُـــلٌّ أوَانِ
لكــنَّ دارَ الخُلْــدِ والمــأوىٰ وَعَــدْ
نِ والســلامِ إضــافــةٌ لمعــانِ
أوصــافُهــا استــدعَــتْ إضــافتَهــا إليــ
ـهــا مِــدْحَــةً مــع غــايــةِ التِّبيــانِ[1]
لكنَّمــا الفــردوسُ أعــلاهــا وأوْ
سَطُهــا مســاكــنُ صَفْــوَةِ الــرحمٰــنِ[2]
أعْــلاهُ مَنْــزِلَــةً لأعْلــىٰ الخَلْــقِ مَنْــ
ــزِلَــةً هُــوَ المَبْعُــوثُ بِــالقُــرْآنِ
وهْــيَ الــوَسِيلَــةُ وهْــيَ أعلــىٰ رُتْبَــةً
خَلُصَــتْ لَــهُ فَضْــلاً مِــنَ الــرَّحْمٰــنِ
ولقــد أتــىٰ فــي ســورةِ الــرحمٰــن تَفْــ
ــضيــلُ الجنــانِ مُفَصَّــلاً ببيــانِ

---

(١) فدار الخلد وجنة المأوىٰ وجنات عدن ودار السلام كلها أسماء لجنة واحدة تعددت صفاتها فتعددت أسماؤها.

(٢) قال ﷺ: «إذا سألتم الله تعالىٰ فاسألُوهُ الفردوس الأعلىٰ فإنَّه أعلىٰ الجنَّة ووسط الجنَّة وفَوْقَه عرشُ الرحمٰن»(*).

(*) سلف تخريجه ص١١٥٧.

هــي أربــعٌ ثنتــانِ فــاضلتــان ثُــمْ

مَ يَليهِمــا ثِنتــانِ مَفضــولانِ[١]

فــالأُوْليــانِ الفُضْلَيــان لأوْجُــهٍ

عَشْــرٍ ويَعْسُــر نَظْمُهــا بــوزانِ

وإذا تــأمَّلــتَ السيــاقَ وجــدْتَهــا

فيــه تلــوحُ لمــن لَــهُ عينــانِ[٢]

سبحــانَ مَــنْ غَـرَسَـتْ يـداهُ جنـةَ الـ

ـفـردوسِ عنـد تكـامُـلِ البُنْيَـانِ[٣]

ويــدَاهُ أيْضــاً أتْقَنَــتْ لِبنَــائِهَــا

فتَبَــارَكَ الــرَّحْمٰــنُ أعظَــمُ بَــانِ

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦] ثمّ ذكر أوصافهما، ثمّ قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٢] وذكر أوصافهما.

(٢) فُضلت الأُوْلَيان لعشرةِ أوجهٍ ذكرها الله في كتابه، فإذا قرأت الآيات فارصد ما فيها تجد عشر صفات للجنتين الأُولَيين من قوله تعالىٰ: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ [الرحمٰن: ٤٨] إلىٰ قوله: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠] ثم ذكر جنتين وذكر أوصافهما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٢].

(٣) تمتاز جنة الفردوس عن جنَّة عدن بأنَّ الله غرس أشجارها بيده سبحانَه وتعالىٰ، كما أنَّه خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده.

هــي فــي الجنــانِ كــآدمٍ وكــلاهُمــا
تَفْضيلُــهُ مِــن أجــلِ هــذا الشَّــانِ[١]

لكنّمــا الجَهْمِــيُّ ليــس لــديــه مِــن
ذا الفضــلِ شــيءٌ فهــو ذُو نُكــرانِ

وَلَــدٌ عَقُــوقٌ عَــقَّ والــدَهُ ولَــمْ
يُثْبِــتْ بــذا فضــلاً علــىٰ شيطــانِ[٢]

فكِــلاهُمَــا تَــأْثِيــرُ قُــدْرَتِــهِ وتَــأْ
ثِيــرُ المَشِيئَــةِ ليْــسَ ثَــمَّ يَــدَانِ

آلاهُمَـــا أوْ نِعْمَتَـــاهُ وخَلْقُـــهُ
كُـــلٌّ بِنِعْمَـــةِ ربِّـــهِ المَنَّـــانِ

لمَّــا قَضَــىٰ ربُّ العبــادِ العــرشَ قــا
لَ تكلَّمـــي فتكلَّمَـــتْ ببيـــانِ

---

(١) هي في الجنان خلقها الله بيده تمتاز علىٰ غيرها من الجنان كآدم خلقه الله بيده.

(٢) الجهميُّ ينكر صفة اليدين لله تعالىٰ حيث جاء الخبر بأن الله غرس جنة الفردس بيده وبناها بيده كما خلق آدم بيده، فهذا الجهميُّ عقوقٌ لأبيه آدم لم يعترف بفضله، وأنكر أنَّ الله خلقَهُ بيده، وجعل أباه آدم والشيطان سواء، لأنَّه يقول: خَلَقَه بيده، يعني بقدرته، وأيضاً: خلق الله تعالىٰ الشيطان بقدرته، وعليه فلا فضل ولا مزية لآدم علىٰ الشيطان، كلاهُما خلقَه الله بقدرته عند الجهمي، فهل هناك أشدُّ من هذا العقوق؟ ـ والعياذ بالله ـ فالجهمي ينكر اليدين لله تعالىٰ ويُفسِّرها بالقُدرة، وينكر فضل آدم.

قـد أفلـحَ العبـدُ الـذي هـو مـؤمـنٌ
مـاذا ادّخَـرْتُ لَـهُ مـن الإحسـانِ(١)
ولقَـدْ روىٰ حَقّـاً أبـو الـدرداء ذا
ك عـويمـرٌ أثـراً عظيـمَ الشـانِ
يَهْتَـزُّ قلـبُ العَبْـدِ عنـدَ سمـاعِـهِ
طَـرَبـاً بِقَـدْرِ حـلاوةِ الإيمـانِ
مـا مثلُـهُ أبـداً يُقَـالُ بـرأيِـهِ
أو كـان يـا أهـلاً بـذا العِـرفـانِ(٢)

---

(١) هذا كما في الحديث: «أنَّ الله لما خلق جنَّة عدنٍ بيده قال لها: تكلمي، قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]»(*).

(٢) يعني: هذا الذي قاله أبو الدرداء لا يُقال من قبيل الرأي بل هو مرفوعٌ إلىٰ رسول الله ﷺ، وإن كان قد قاله برأيه فهذا يدلُّ علىٰ عرفانه وعلمه رضي الله عنه، وعلىٰ كلا الأمرين فهذا يدلُّ علىٰ عظم شأنه سواءٌ كان مرفوعاً أو موقوفاً علىٰ أبي الدرداء فقد روىٰ: ينزل الله تعالىٰ في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر الله تعالىٰ في الساعة الأولىٰ في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن، وهي مسكنه الذي يسكن فيه لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم يره أحد، ولا خطر علىٰ قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر =

(*) انظر الأحاديث والآثار التي وردت في خلق جنة عدن في «تفسير ابن كثير» ٥/ ٤٦٠-٤٦١ أول تفسير سورة المؤمنون.

فِيهِ النُّزُولُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ فَإِحْـ
ـدَاهُنَّ يَنْظُرُ فِي الكِتَابِ الثَّانِي
يَمْحُو ويُثْبِتُ مَا يشَاءُ بِحِكْمَةٍ
وبِعِزَّةٍ وبِرَحْمَةٍ وحَنَانِ
فترىٰ الفتىٰ يُمسِي علىٰ حالٍ ويُصْـ
ـبِحُ في سِواها ما هُما مِثلانِ
هو نائمٌ وأُمورُهُ قد دُبِّرَتْ
ليلاً ولا يَدرِي بذاك الشَّانِ[1]
والساعةُ الأُخرىٰ إلىٰ عَدْنٍ مسا
كنِ أهلِهِ هُمْ صَفْوَةُ الرحمٰنِ
الرُّسْلُ ثمَّ الأنبياءُ ومعهُمُ الصْـ
ـصِدِّيقُ حَسْبُ فلا تكُنْ بجبانِ

= يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له، حتىٰ يطلع الفجر»(*).

(١) هذا من آثار أنَّ الله تعالىٰ ينظر شأن عباده، يقضي بتوبة العاصي واستغفار المذنب فتتحسَّن أحوالُهم، وذلك لتقديره تعالىٰ ذلك حين نُزولُه إلىٰ السماء الدنيا في كلِّ ليلة، ولذا يقول جلَّ وعلا: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] يُعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويُعز ويذل هذا في الساعة الأولىٰ.

(*) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» ٨/ ٢٨٠ (٨٦٣٥).

فيهـا الـذي واللهِ مـا عيـنٌ رأتْ
كـلاَّ ولا سَمِعَـتْ بـه الأُذنـانِ[١]
كـلاَّ ولا قَلْـبٌ بِـهِ خَطَـرَ المِثَـا
لُ لَـهُ تَعَـالـىٰ اللهُ ذُو السُّلْطَـانِ
والساعةُ الأُخرىٰ إلىٰ هذي السما
ءِ يقـول هـل مِـنْ تـائـبٍ نَـدْمـانِ
أوْ داعٍ أو مُستَغْفِـرٍ أو سـائـلٍ
أُعطيـه إنـي واسِـعُ الإحسـانِ
حتّىٰ يُصلّىٰ الفجرُ يشهدُها مع الـ
أمـلاكِ تِلـكَ شهـادةُ القـرآنِ[٢]
هـذا الحـديـثُ بطـولِـهِ وسيـاقِـهِ
وتمـامِـهِ فـي سُنَّـة الطبـرانـي

---

(١) والساعة الأخرىٰ: ينظرُ فيها إلىٰ جنَّة عدن وما فيها ويُهيِّئُها لعباده، ويُعدُّ فيها لعباده ما لا عينٌ رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، وهي مسكن الرسل والأنبياء والصديقين. ذكرَ الله في القرآن بعض أوصاف الجنة، وكذلك ذكر في الأحاديث الصحيحة لأجل ترغيب المؤمنين بالعمل، وفيها أشياء لا تتحملُها عقولُ النَّاس فلذلك أخفاها الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

(٢) يعني: ينزل إلىٰ السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأستجيب له، حتىٰ يطلع الفجر كما سبق ذكره في الأثر الذي رواه أبو الدرداء.

فصل

في بناء الجنَّة

وبنـاؤُهـا اللبنـاتُ مِـن ذَهَـبٍ وأُخْـ
ـــرَىٰ فضـــةٌ نـــوعـــانِ مختلفـــانِ

وقصـــورُهـــا مِـــن لـــؤلـــؤٍ وزَبَـــرْجَـــدٍ
أوْ فِضَّـــةٍ أو خـــالـــصِ العِقيـــانِ

وكـــذاك مِـــنْ دُرٍّ ويـــاقـــوتٍ بـــه
نُظِـــمَ البنـــاءُ بغـــايـــةِ الإتقـــانِ

والطيـــنُ مِسْـــكٌ خـــالِـــصٌ أو زعفـــرا
نٌ جَـــا بـــذا أثـــرانِ مقبـــولانِ

ليســـا بمختلفيْـــنِ لا تنكِـــرْهُمـــا
فهمـــا المِـــلاطُ لـــذلـــك البُنيـــانِ[١]

* * *

(١) بناء الجنة من هذه الأنواع وذلك لحسنها وبهائها وبقائها وجمالها، فكل ما هو من مقتضىٰ الحُسن والجمال والبقاء والدوام وحُسن المنظر وطيب الرائحة كُلُّه في الجنَّة، وكذلك الطينة من المسك ومن الزعفران وهُما طيبا الرائحة وليس بين الأحاديث في ذلك اختلاف.

فصل

في أرضها وحصبائها وتُرْبها[١]

والأرْضُ مَـرْمَـرَةٌ كَخَـالِـصِ فِضَّـةٍ
مِثْـلَ المِـرَاتِ تَنَـالُـهُ العَيْنَـانِ

في مُسْلِمٍ تَشْبِيهُهَا بِالدَّرْمَكِ الصْـ
ـصَافِي وبِـالمِسْـكِ العَظِيـمِ الشَّـانِ

هـذا لِحُسْـنِ اللَّـوْنِ لكِـنْ ذا لطِيـ
ـبِ الـرِّيـحِ صَـارَ هُنَـاكَ تَشْبِيهَـانِ

حَصْبَـاؤهَـا دُرٌّ ويَـاقُـوتٌ كـذا
كَ لآلِـيءٌ نُثِـرَتْ كَنَثْـرِ جُمَـانِ

وتُـرابُهـا مِـن زعفـرانٍ أو مِـن الْـ
ـمِسْكِ الذي ما اسْتُلَّ مِنْ غُزْلانِ[٢]

* * *

(١) هذا في أرضيّة الجنَّة وتُرابها وحصبائها.

(٢) أرضيتها المرمر الذي يشبه الفضة في المنظر، ويشبه المسك في الرائحة، وحصباؤها من الدر والياقوت واللؤلؤ، وتربتها المسك والزعفران.

فصل

في صفة غرفاتها

غُـرُفـاتُهـا فـي الجَـوِّ يُنْظَـرُ بطنُهـا
مِـنْ ظهـرِهـا والظَّهْـرُ مِـن بَطنـانِ

سكـانُهـا أهـلُ القيـامِ مـع الصيـا
مِ وطِيـبِ الكلمـاتِ والإحسـانِ

ثِنتـانِ خـالـصُ حَقِّـهِ سبحـانَـهُ
وعبيـدُهُ أيضـاً لهـم ثِنْتـانِ[١]

* * *

---

(١) يعني: أنَّ غرف الجنَّة يرُىٰ ظاهرُها من باطنها وباطنُها من ظاهرها كما جاء في الحديث[*] وذلك من صفاء جُدرانها، ومع هذا لا يرىٰ بعضهم بعضاً، وهذه الغرف تكون لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام فهذا هو الإحسان إلىٰ الخلق، وقيام الليل والصيام حقُّ الله، فمن قام بهذه الصفات الأربع صار من أهل هذه الغرف، كما جاء في الحديث.

(*) انظر حديث علي بن أبي طالب في «جامع الترمذي» (١٩٨٤) ولفظه: «إن في الجنة غرفاً ترىٰ ظهورها من بطونها، وبطونها من ظهورها» فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلىٰ بالليل والناس نيام» وهو حديث حسن.

فصل

في خيام أهل الجنَّة

للعبدِ فيهـا خيمـةٌ مِـن لـؤلـؤٍ
قَدْ جُوِّفَتْ هي صَنْعَةُ الرحمٰنِ[١]

سِتُّونَ ميلاً طُولُهَا في الجَوِّ في
كُـلِّ الـزَّوَايَـا أجْمَـلُ النِّسْـوَانِ

يغشىٰ الجميعَ فلا يُشاهِدُ بعضُهُمْ
بعضـاً وهـذا لاتِّسـاعِ مكـانِ[٢]

فيهَـا مَقَـاصِيـرٌ بِهَـا الأبْـوابُ مِـنْ
ذَهَـبٍ ودُرٍّ زِيـنَ بِـالمُـرْجَـانِ

وخيـامُهـا منصـوبـةٌ بـريـاضِهـا
وشـواطِـىءُ الأنهـارِ ذي الجَـرَيـانِ[٣]

---

(١) خيام الجنَّة ليست كخيام الدنيا، فالاسم واحد والشكل مختلف، قال تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٢] دليل علىٰ أنَّ الجنَّة فيها خيام، وهذا من تمام السرور والنعيم.

(٢) لاتساع الخيمة كل زاوية فيها زوجة من الحور العين يغشاها ولا يرىٰ بعضهم بعضاً مِن بُعد المسافة.

(٣) هذه الخيام غير البيوت، وهي علىٰ ضفاف الأنهار وفي رياض الجنَّة يتوسَّعُون ويتفسحون فيها.

ما في الخيامِ سِوىٰ التي لو قابلَتْ
للنَّيِّــرَيْــنِ لقُلْــتُ مُنْكَسِفــانِ[١]

للهِ هَــاتِيــكَ الخِيَــامُ فَكَــمْ بِهَــا
لِلْقَلْــبِ مِــنْ عُلْــقٍ ومَــنْ أَشْجَــانِ

فيهــنَّ حُــورٌ قــاصـراتُ الطَّـرْفِ خَيْـ
ــراتٌ حســانٌ هُــنَّ خيــرُ حِســانِ

خَيْــراتُ أخــلاقٍ حِســانٌ أوجهــاً
فــالحُسْــنُ والإحســانُ مُتَّفِقــانِ[٢]

* * *

(١) يعني فيها الحور العين التي لو ظهرت لطمست نور الشمس والقمر من حُسنها.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمٰن: ٧٠] أي: خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

فصل

في أرائكها وسررها

فيهـا الأرائـك وهْـيَ مِـنْ سُـرُرٍ عليـ
ـهِـنَّ الحِجَـالُ كثيـرةُ الألـوانِ
لا تَسْتَحِـقُّ اسْـمَ الأرائِـكِ دُونَ هـا
تِيـكَ الحِجَـالِ وذاك وضْـعُ لِسَـانِ
بَشْخَـانَـةٌ يَـدْعُـونَهـا بِلسـانِ فـا
رِسَ وهو ظهرُ البيتِ ذي الأركانِ[1]

* * *

(١) البشخانات عند الفرس، وهي الخيام والحجال عند العرب، وهي الأسرة عليها الحجال.

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

أشجـارُهـا نـوعـانِ منهـا مـا لَـهُ
فــي هــذه الــدنيــا مثــالٌ ذانِ

كـالسِّـدْرِ أصـلُ النَّبْـقِ مخضـودٌ مَكـا
نَ الشـوكِ مِـنْ ثَمَـرٍ ذَوي ألـوانِ[1]

هـذا وظِـلُّ السِّـدْرِ مِـنْ خَيْـرِ الظِّـلَا
لِ ونَفْعُــهُ التِّــرْويــحُ لــلأبْــدَانِ

وثِمَــارُهُ أيْضــاً ذواتُ مَنَــافِــعٍ
مِـنْ بَعْضِهَـا تَفْـرِيـحُ ذي الأحْـزانِ

والطَّلْـحُ وهـو المَـوْزُ مَنْضُـودٌ كمـا
نُضِــدَتْ يَــدٌ بــأصــابِــعٍ وبَنَــانِ

---

(١) أشجار الجنَّة علىٰ نوعين:

النوع الأول: أشجار لها نظير في الدنيا كالسدر والطلح والنخل والرُّمان والأعناب، فهذه تشترك مع أشجار الدنيا بالاسم ولكن تختلف عنها بالحقيقة والكيفية.

النوع الثاني: ليس في الدنيا منه شيء، ولا يعلمُه إلاّ الله تعالىٰ.

والسدر والنبق هما: بمعنىً واحد، فسدر الدنيا له شوك وسدر الجنَّة ليس فيه شوك.

أو أنَّـهُ شَجَـرُ البـوادي مُـوقَـراً
حَمْلاً مكانَ الشوكِ في الأغْصانِ[١]

وكـذلـك الـرُّمّـانُ والأعنـابُ والنْـ
نَخْـلُ التـي منهـا القطـوفُ دَوانِ[٢]

هـذا ونـوعٌ مـا لَـهُ فـي هـذه الـدْ
دُنيـا نظيـرٌ كَـيْ يُـرىٰ بِعيـانِ[٣]

يكفـي مِـن التَّعـدادِ قـولُ إلـٰهنـا
مِـنْ كُـلِّ فـاكهـةٍ بهـا زَوْجـانِ[٤]

وَأُتُـوا بـه مُتشـابهـاً فـي اللـونِ مُخْـ
ـتَلِـفَ الطُّعُـومِ فـذاكَ ذو ألـوانِ[٥]

---

(١) قيل: شجر الطلح هو شجر الموز، وقيل: هو غير شجر الموز، بل هو شجر البوادي، لكن طلح الجنَّة يختلف عنه.

(٢) القطوف: يعني الثمار، والدواني: يعني القريبة، فلا يحتاجون أنْ يصعدُوا لأخذ الثمار ويتكلفوا مثل ما في الدنيا، بل هي دوان يحصلُون عليها من دون تعب كما قال تعالىٰ: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[الحاقة: ٢٣] قريبة ممَّن يريدُها.

(٣) هذا النوع الثاني وهو ما ليس له نظيرٌ في الدنيا، لا يعلمه إلا الله.

(٤) يعني: شكلان.

(٥) قال تعالىٰ: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] فالمتشابه: قيل: متشابهٌ في اللون مختلفٌ في الطعُوم، وقيل: متشابه في الحُسن، وقيل: متشابه لما في الدنيا في الاسم ولكن يختلف عنه في المعنىٰ والطعم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ فيشبه ما في الدنيا من الاسم ولكن يختلف عنه في الطعم والثمرة، ففيه ثلاثة أقوال.

أَوْ أَنَّــهُ مُتَشَــابِــهٌ فــي الإسْــمِ مُخْـ

ـتَلِــفُ الطُّعُــومِ فَــذَاكَ قَــوْلٌ ثَــانِ

أَوْ أَنَّـــــهُ وسَـــــطٌ خِيَـــارٌ كُلُّـــــهُ

فَـــالفَحْـــلُ مِنْـــهُ ليْــسَ ذا ثِنْيَـــانِ

أو أَنَّـــــهُ لِثِمَــــارِنَــــا ذي مُشْبِـــهٌ

فــي اسْــمٍ ولَــوْنٍ ليْـس يَخْتَلِفَــانِ

لكـــنْ لِبَهْجَتِهَـــا ولَــــذَّةَ طَعْمِهَـــا

أَمْـــرٌ سِـــوَىٰ هَـــذا الــذي تَجِــدَانِ

فَيَلَــذُّهَــا فــي الأكْــلِ عنْــدَ مَنَــالِهَــا

وتَلَـــذُّهَـــا مِـــنْ قَبْلِـــهِ العَيْنَــــانِ

قــالَ ابْــنُ عبَّــاسٍ ومَــا بِــالْجَنَّــةِ الْـ

ـعُلْيَــا سِــوىٰ أَسْمَــاءِ مَــا تَــرَيَــانِ

يَعْنِــي الحَقَــائِــقَ لا تُمَــاثِــلُ هــذِهِ

وكِـــلاهُمَـــا فـــي الإسْــمِ مُتَّفِقَــانِ

يَــا طِيــبَ هَــاتِيــكَ الثِّمَــارِ وغَــرْسِهَــا

فِـــي المِسْــكِ ذاكَ التُّــرْبُ للْبُسْتَــانِ

وكَــذَلِــكَ المَــاءُ الــذي يُسْقَــىٰ بِــهِ

يَـــا طيـــبَ ذاكَ الـــوِرْدِ لِلظَّمْـــآنِ

وإذا تَنــاولْــتَ الثمــارَ أتَــتْ نظيـ
ـــرَتُهــا فَحَلَّــتْ دُونَهــا بمكــانِ[١]

لَـمْ تَنْقَطِـعْ أبَـداً ولَـمْ تَـرْقُـبْ نُـزُو
لَ الشَّمْـسِ مِـنْ حَمَـلٍ إلـىٰ مِيـزَانِ

وكـذَاكَ لَـمْ تُمْنَـعْ ولـم تَحْتَـجْ إلـىٰ
أنْ تَـرْتَقــي للْقَنْــوِ فــي العيــدَانِ

بَـلْ ذُلِّلَـتْ تِلْـكَ القُطُـوفُ فَكَيْفَمَـا
شِئْـتَ انْتَـزَعْـتَ بـأسْهَـلِ الإمْكَـانِ

ولقــد أتــىٰ أثَـرٌ بـأنَّ السَّـاقَ مِـنْ
ذهــبٍ رواه التــرمــذيُّ بِبيــانِ[٢]

قــال ابْـنُ عبَّـاسٍ وهَـاتيـكَ الجُـذُو
عُ زَمُــرُّدٌ مِــنْ أحْسَــنِ الألْــوَانِ

ومُقَطَّعــاتُهُــمُ مِـن الكَـرْمِ الـذي
فيهـا ومِـنْ سَعَـفٍ مـن العِقيـانِ[٣]

---

(١) إذا أُخذ من ثمارها فإنَّه يحلُّ محلَّها ثمرٌ آخر، ليس مثل شجر الدنيا إذا أخذ من ثمره بقي موضع هذا الثمر خالياً.

(٢) سيقان شجرها من ذهب ليس مثل شجر الدنيا الذي هو من خشب[*].

(٣) يعني: ثيابُهُم وحُللهم من سعف النخل.

(*) روىٰ الترمذي في «جامعه» (٢٥٢٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب» وهو حديث حسن.

وثمـارُهـا مـا فيـه مِـنْ عَجَـمٍ كـأمـ
ـثالِ القـلالِ فَجَـلَّ ذو الإحسـانِ[1]

وظـلالُهـا مُمْتَـدَّةٌ ليسـت تَقِـي
حَـرّاً ولا شمسـاً وأنـىٰ ذانِ[2]

أو مـا سَمِعْـتَ بظـلِّ أصْـلٍ واحـدٍ
فيـه يسيـرُ الـراكـبُ العَجـلانِ

مِئـةً سنيـنَ قُـدِّرَتْ لا تَنقضِـي
هـذا لعظيـمُ الأصـلِ والأفنـانِ[3]

ولقـد رَوىٰ الخُـدرِيُّ أيضـاً أنَّ طُـو
بَـىٰ قَـدْرُهـا مِئَـةٌ بـلا نُقصـانِ

تَتفتَّـحُ الأكمـامُ فيهـا عـن لبـا
سِهِـمُ بمـا شـاؤوا مِـن الألـوانِ[4]

---

(١) العَجَمُ: النَّوَىٰ، يعني ثمر الجنة ليس في داخله نَوَىٰ مثل ثمار الدنيا، وحجم الثمرة الواحدة منها مثل قلال هَجَر ليست صغيرة.

(٢) ليسوا يستظلون من الشمس كما في الدنيا، فالجنة ليس فيها شمس ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

(٣) يعني: الشجرة الواحدة يسير الراكب في ظلِّها مئة سنة كما قال تعالىٰ: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠].

(٤) طوبىٰ، قيل: إنَّها اسمٌ للجنَّة، وقيل: إنَّها اسمٌ لشجرةٍ في الجنَّة يسير الراكب في ظلِّها مائة سنة تتفتح عن لباس أهل الجنة.

فصل

في سماعِ أهل الجنة[١]

قــال ابــنُ عبـاسٍ ويــرســلُ ربُّنــا
ريحــاً تَهُــزُّ ذَوائــبَ الأغْصَــانِ
فَتُثِيــرُ أصــواتــاً تَلَــذُّ لِمَسْمَــعِ الْـ
إِنْسَــانِ كــالنَّغَمَــاتِ بِــالأوْزَانِ
يَــا لَــذَّةَ الأسْمَــاعِ لا تَتَعَــوَّضِــي
بِلَــذَاذَةِ الأوْتَــارِ والعِيــدَانِ[٢]
أوَ مَا سَمِعْـتَ سَمَاعَهُـمْ فيهَـا غِنَـا
ءُ الحُـورِ بِــالأصْـوَاتِ والألْحَــانِ
واهــاً لِــذَيَّــاكَ السَّمَــاعِ فَــإنَّــهُ
مُلِئَــتْ بِــهِ الأُذُنَــانِ بِــالإحْسَــانِ
واهــاً لِــذَيَّــاكَ السَّمَــاعِ وطيبِــهِ
مِــنْ مِثْــلِ أقْمَــارٍ علــىٰ أغْصَــانِ

---

(١) الذي يسمعونَه ويتلذذون به من الأصوات التي في الجنة.

(٢) سماع أهل الجنة نوعان:

الأول: سماع من الأشجار تحرِّكها الريح ويكون لها صوتٌ لذيذ.

الثاني: سماع من غناء الحور العين يغنين لهم، ومن كان يريد أن يسمع سماع أهل الجنَّة فليُعرض عن الغناء الذي في الدنيا وعن سماع المزامير. وهذه موعظة وتذكير من الشيخ رحمهُ الله.

واهـاً لِـذَيَّـاكَ السَّمَـاعِ فَكَـمْ بِـهِ
لِلْقَلْـبِ مِـنْ طَـرَبٍ ومَـنْ أشْجَـانِ
واهـاً لِـذَيَّـاكَ السَّمَـاعِ ولـمْ أقُـلْ
ذَيّـاكَ تصغيـراً لَـهُ بلسـانِ[١]
مَـا ظَـنُّ سَـامِعِـهِ بِصَـوْتِ أطْيَـبِ الْـ
أصْـوَاتِ مِـنْ حُـورِ الجِنَـانِ حِسَـانِ
نحـنُ النـواعِـمُ والخـوالِـدُ خَيِّـرا
تٌ كـامـلاتُ الحُسْـنِ والإحسـانِ
لَسْنَـا نَمُـوتُ ولا نَخَـافُ ومَـا لنَـا
سَخَـطٌ ولا ضِغْـنٌ مِـنَ الأضْغَـانِ
طُـوبَـىٰ لِمَـنْ كُنَّـا لَـهُ وكـذاكَ طُـو
بـىٰ للـذي هُـوَ حَظُّنَـا لَفْظَـانِ[٢]

---

(١) يعني: هو لم يُصغِّر «ذيّاك» لحقارة شأنه، لأن التصغير في اللغة يأتي علىٰ أنواع:

الأول: تصغير تحقير كما تقول: رويجل تصغير رجل.

الثاني: تصغير تعظيم مثل: دويهية تَصْفَرُّ منها الأنامل: يعني الموت فهذا تصغير تعظيم.

الثالث: تصغير تمليح وهو ما ذكرَه هنا.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] مطهَّرات الأخلاق ومُطهَّرات من الدنس، فليس هناك حيض ولا ولادة ولا مُخاط ولا بُصاق كما في نساء الدنيا، وإنَّما رشح المسك، ولا يمتن=

فِــي ذاكَ آثــارٌ رُويــنَ وذِكْــرُهــا

فــي التِّـرْمـذيِّ ومُعْجَـمِ الطَّبَـرانِـي

ورواهُ يحيــىٰ شيــخُ الأوزاعــيِّ تفـ

ـسِيــراً للفظــةِ يُحْبَــرُون أغــانِ[1]

نَــزِّهْ سَمَـاعَـكَ إنْ أَرَدْتَ سَمَـاعَ ذَيْـ

ـيَــاكَ الغِنَــا عَــنْ هــذه الألحَــانِ

لا تُـؤْثِـرِ الأدْنَـىٰ علـىٰ الأعْلَـىٰ فَتُحْـ

ـرَمَ ذَا وذَا يَــا ذِلَّــةَ الحِـرْمَــانِ

إنَّ اختيــارَكَ للسمــاعِ النــازِلِ الْـ

أدْنَـىٰ علـىٰ الأعلـىٰ مَـنِ النُّقْصـانِ[2]

= فهن دائمات، ولا يهرمن مثل نساء الدنيا. بل شبابهن دائم، وهذا الذي ذكرَه من أحوال الحور العين هو الذي ورد في الحديث(*).

(١) يحيىٰ بن أبي كثير هو: شيخ الإمام الأوزاعي عالم الشام روىٰ أنهم يحبرون بسماع الأصوات الحسنة ويتلذذون بها(**) قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] يعني: يتلذذون بسماع أصوات نسائهم في الجنة.

(٢) إن اختيار سماع اللهو والغناء المحرم في هذه الدنيا علىٰ السماع المباح في الجنة دليل علىٰ خفة العقل وسوء الاختيار، وفي هذا إشارة إلىٰ تحريم الأغاني في هذه الدنيا.

(*) انظر ما رواه الترمذي في «جامعه» (٢٥٦٤) عن علي بن أبي طالب.

(**) انظر «تفسير الطبري» ١٠/ ١٧٣ (٢٧٩١٦) سورة الروم، تفسير الآية ١٥.

والله إنَّ سماعَهُمْ في القلبِ والْـ
إيمانِ مثلُ السُّمِّ في الأبدانِ[١]
واللهِ ما انْفكَّ الذي هو دأْبُهُ
أبداً من الإشْراكِ بالرَّحمٰنِ[٢]
فالقلبُ بيْتُ الربِّ جَلَّ جلالُهُ
حُبّاً وإخلاصاً مع الإحسانِ[٣]
فإذَا تَعَلَّقَ بالسَّماعِ أصارَه
عَبْداً لكُلِّ فُلانَةٍ وفُلانِ
حبُّ الكتابِ وحبُّ ألحانِ الغِنا
في قلبِ عَبْدٍ ليس يجتمعانِ[٤]

---

(١) يعني: أن سماع الأغاني مثل السم للأبدان، لكنَّها لا تُسمِّم الأبدان وإنَّما تُسمِّم القلوب.

(٢) لأنَّه يتعلَّق قلبُه بهذه الأغاني ويترك التعلُّق بالله، وهذا شرك ـ والعياذ بالله ـ فيُقدِّم طاعة هذه الأشياء علىٰ طاعة الله عزَّ وجل وهذا هو شرك الطاعة.

(٣) فالقلب هو محل نظر الرب سبحانه وتعالىٰ كما في الحديث: «ألا وإنَّ في الجسد مُضغة إذا صلحت صلُح الجسد كلُّه وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه ألا وهي القلب»(*)، وقوله: «القلب بيتُ الرّبِّ». هذا من إضافة المخلوق إلىٰ خالقه إضافة تشريف.

(٤) لا تجد شخصاً يُحبُّ الأغاني والمزامير ويحبُّ القرآن فهما ضدان لا يجتمعان، فهذا قرآن الشيطان وكتاب الله قرآن الرحمٰن.

(*) قطعة من حديث النعمان بن بشير، أخرجه البخاري (٥٢) و(٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) انظر «جامع العلوم والحكم» ١/١٩٣ الحديث السادس.

ثَقُـلَ الكتـابُ عليهِـمُ لمّـا رأوْا
تَقْييـدَهُ بشـرائـعِ الإيمـانِ
واللهْـوُ خَـفَّ عليهِـمُ لمـا رأوْا
مـا فيـه مِـنْ طـربٍ ومِـن ألحـانِ[١]
قُـوتُ النُّفُـوسِ وإنَّمـا القُـرْآنُ قُـو
تُ القَلْـبِ أنَّـىٰ يَستَـوِي القُـوْتَـانِ
ولـذا تـراهُ حَـظُّ ذي النقصـانِ كـالْـ
ـجُهَّـالِ والصِّبيـانِ والنِّسْـوانِ
وألَـذُّهُـمْ فيـه أقلُّهُـمُ مِـنَ الـ
ـعقلِ الصحيحِ فَسَلْ أخا العِرفانِ[٢]
يَـا لـذَّةَ الفُسَّـاقِ لسْـتِ كَلَـذَّةِ الْـ
أبْـرَارِ فـي عَقْـلٍ ولا قُـرْآنِ

* * *

---

(١) ثقُل عليهم القرآن لمَّا رأوا فيه أوامر ونواهي ووعداً ووعيداً، وفيه ذكر للجنَّة وللنَّار، ويخف عليهم الغناء واللهو لما فيه من الطرب والانحلال من الأوامر والنواهي.

(٢) يقصد رحمهُ الله: أنَّ الأغاني والمزامير واللهو إنَّما تتعلَّق بها قلوب قليلي العقول كالنساء والأطفال، وأمَّا الذين يفكرون في العواقب فإنَّهم يترفعُون عن هذه الأمور، فلا ترىٰ العُقلاء يتعلَّقون بهذه الأمور، وكلما خف عقل الإنسان تعلق بالغناء. وألذهم في هذا اللهو أقلُّهم عقولاً.

فصل

في أنهار الجنَّة(١)

---

(١) ذكر الله أنهار الجنة في قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى . . .﴾ [محمد: ١٥] فذكر أربعة أنواع من الأنهار يشرب منها أهل الجنة وهي تختلف عن أنهار الدنيا من جميع الوجوه:

أولاً: أنَّها تجري من غير أخاديد، وأنهار الدنيا لا تجري إلاّ في أخاديد، لو لم تكن في أخاديد لساحت، وأنهار الجنة ليس لها أخاديد ولا تسيح، وهذا من قُدرة الله تعالىٰ.

ثانياً: أنَّ أنهار الدنيا يعتريها النضوب والجفاف إذا قلَّت الأمطار وقلَّت الثلوج فإنَّها تنضب، وقد تنقطع بخلاف أنهار الجنة فهي دائماً تجري ولا تنقص كما تنقص أنهار الدنيا.

ثالثاً: أنَّ الله أجرىٰ أنهار الجنَّة بأشياء لم تجر العادة بها في الدنيا، فاللبن لا يكون أنهاراً في الدنيا وإنَّما هو في ضروع الحيوانات وهو قليل، وأمَّا الجنة فاللبن يجري فيها في أنهار، كذلك: العسل في الدنيا من النحل والمناحل وأمَّا في الآخرة فهو أنهار، وكذلك الأنهار في الدنيا يتغير ماؤها، أما ماء أنهاء الجنة لا يأسن بخلاف الماء في أنهار الدنيا، فإنَّ الماء يأسن وذلك باختلاف رائحته إذا حُبس أو تأخَّر النزح والأخذ منه، فإنَّه يكون له رائحةٌ كريهة، وكذلك الخمر، لأنَّ خمر الدنيا قبيحة، وهي أم الخبائث، وتغتال العقل، ويُصبح شاربُها مخبل العقل، ويُصاب من يشرب الخمر بأمراض فتّاكَة يعرفُها الأطبـاء، بخلاف خمر الآخرة =

أنهـارُهـا فـي غيـرِ أُخْـدُودٍ جَـرَتْ
سُبْحـانَ مُمْسِكِهـا عـن الفَيَضـانِ
مِنْ تَحْتِهِمْ تَجري كما شاؤوا مُفَجْـ
جَـرَةً ومـا للنَّهْـرِ مِـنْ نُقصـانِ
عَسَـلٌ مُصَفَّـىٰ ثـمَّ مـاءٌ ثـمَّ خَمْـ
ـرٌ ثُـمَّ أنهـارٌ مِـن الألبـانِ
واللهِ مـا تلـكَ المـوادُ كهـذِهِ
لَكِـنْ همـا فـي اللفـظِ مُجتمعـانِ
هـذا وبينهمـا يَسيـرُ تَشـابُـهٍ
وهـو اشتـراكٌ قـامَ بـالأذهـانِ[1]

* * *

= فإنَّ الله نفىٰ عنها كلَّ الآفات، ولذا قال: ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦] وفي الآية الأخرىٰ: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: ٤٧] فالغول: هو السُّكْر، فهي لا تغتال العقل، ولا يحصل من آثارها شيء ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ فلا تتصدع رؤوسهم بخلاف خمر الدنيا، فلا يُنزفون: في عقولهم ولا أموالهم بخلاف خمر الدنيا، فالله تعالىٰ نفىٰ عن مشارب الجنَّة كُلَّ الآفات التي تكون في مشارب الدنيا، لأنَّ الجنَّة ليس فيها مُكدِّر.

(١) تشترك مع أنهار الدنيا في الاسم والمعنىٰ وأمَّا في الحقيقة فإنَّها تختلف تماماً.

فصل

في طعام أهل الجنَّة

وطعـامُهُـمْ مـا تَشْتَهيـهِ نفـوسُهُـمْ
ولحـومُ طيـرٍ نـاعِـمٍ وسِمَـانِ

وفـواكـهٌ شتَّـىٰ بِحَسْـبِ مُنـاهُـمُ
يـا شَبْعَـةً كَمُلَـتْ لـذِي الإيمـانِ

لَحْـمٌ وخَمْـرٌ والنسـا وفـواكِـهٌ
والطيـبُ مَـعْ رَوْحٍ ومَـعْ رَيْحـانِ

وصِحـافُهُـمْ ذهـبٌ تطـوفُ عليهـمُ
بِـأَكُـفِّ خُـدَّامٍ مِـن الـوِلْـدانِ

وانظـرْ إلـىٰ جَعْـلِ اللـذاذَةِ للعيـو
نِ وشَهْـوَةٍ للنفـسِ فـي القـرآنِ

للعيـنِ منهـا لـذَّةٌ تَـدْعُـو إلـىٰ
شَهـواتِهـا بـالنَّفْـسِ والأمْـرانِ

سَبَـبُ التنـاولِ وهـو يُـوجِـبُ لـذةً
أُخـرىٰ سِوىٰ مـا نـالـتِ العَينـانِ[1]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] فجعل اللذة للأعين والشهوة للنفوس. ينظرون إليها فتتلذذ بها أعينهم وتشتهيها نفوسهم. أوانيهم من الذهب الخالص ومن الفضة الخالصة. لما حرم الله عليهم أواني الذهب والفضة في الدنيا وتركوها طاعة لله أباحها لهم في الآخرة.

فصل

في شرابهم

يُسْقَوْنَ فِيهـا مِـن رحيـقٍ خَتْمُـهُ
بـالمِسْـكِ أوّلُـهُ كمِثْـلِ الثـانـي
مَـعْ خَمْـرَةٍ لَـذَّتْ لشـارِبِهـا بـلا
غَـــوْلٍ ولا داءٍ ولا نُقصـــانِ[١]
والخمـرُ فـي الـدنيـا فهـذا وصفُهـا
تَغتـالُ عقـلَ الشـاربِ السَّكْـرانِ
وبهـا مـن الأدواءِ مـا هـي أهلُـهُ
ويَخـافُ مِـنْ عَـدَمٍ لـذي الـوِجْدانِ
فنفىٰ لنـا الـرحمٰنُ أجمعَهـا عـن الـ
ـخَمْـرِ التـي فـي جَنَّـةِ الحيـوانِ
وشـرابُهُـمُ مِـنْ سَلْسَبيـلٍ مَـزْجُـه الـ
ـكـافـورُ ذاك شـرابُ ذِي الإحْسَـانِ
هـذا شـرابُ أُوْلـي اليميـنِ ولكـنِ الـ
أبـرارُ شُـرْبُهُـمُ شـرابٌ ثـانِ

---

(١) خمر الآخرة ليس فيها سكر ولا غول ولا أمراض ولا طعمٌ كريه، ولا يترتب علىٰ شربها مثل ما يترتب علىٰ خمر الدنيا من الأمراض الفتاكة والأفعال القبيحة، كالقتل والضرب والكلام الفاحش، فالاسم واحد ولكنَّ الحقيقة مختلفة.

يُـدعَـىٰ بتسنيـمٍ سَنـامٌ شُـرْبُهُـمْ
شِـرْبُ المُقَـرَّبِ خِيـرَةِ الـرحمٰـنِ
صَفَّـىٰ المُقَـرَّبُ سَعْيَـهُ فصفـا لَـهُ
ذاكَ الشـرابُ فتلـكَ تَصْفِيَتـانِ
لكـنَّ أصحـابَ اليميـنِ فـأهـلُ مَـزْ
جٍ بـالمُبـاحِ وليـس بـالعِصيـانِ
مُزِجَ الشرابُ لهم كما مَزَجُوا هم الـ
أعمـالَ ذاكَ المَـزْجُ بـالميـزانِ
هـذا وذو التخليـطِ مَـزْجـاً أمـرُهُ
والحُكْـمُ لـربِّـهِ الـدَّيَّـانِ[1]

---

(١) أصحاب الجنَّة علىٰ ثلاثة أقسام:

المخلِّطون: الذين جمعوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهم الظالمون لأنفسهم، لكن مآلهم إلىٰ الجنَّة وإن عُذِّبوا بالنار، هؤلاء سكت الله عن شرابهم فلم يُبينه وإنما بيّن شراب المقربين، وشراب الأبرار وهم أصحاب اليمين، فأصحاب اليمين وهم المقتصدون الذين فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، فقد يكون منهم من فعل بعض المكروهات، والمكروه من المباحات لا من المُحرَّمات فلما صار عندهم شيء من النقص، مُزج لهم الشراب في الآخرة بالكافور ومُزج بالزنجبيل ولذا لم يحصل لهم الشراب الصافي في الآخرة، فالجزاء من جنس العمل، فالمزج إنَّما هو للأبرار أصحاب اليمين. وأمَّا الشراب الصافي الخالص فهو للمُقرَّبين، الذين صفوا أعمالهم في الدنيا فصفي لهم الشراب في الآخرة، لأن الجزاء من جنس العمل، وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات فيكون شرابهم من التسنيم.

فصل

في مَصْرف طعامهم وشرابهم وهضمه

هـذا وتصـريـفُ المـآكِـلِ مِنْهُـمُ
عَـرَقٌ يَغيـضُ لَهُـمْ مِـن الأبـدانِ
كروائحِ المِسْكِ الذي ما فيه خَلْـ
ـطٌ غَيْـرُهُ مِـنْ سـائـرِ الألـوانِ
فتعـودُ هـاتيـكَ البطـونُ ضـوامِـراً
تَبْغِـي الطعـامَ علـىٰ مـدىٰ الأزمـانِ
لا غــائــطٌ فيهــا ولا بــولٌ ولا
مَخْــطٌ ولا بَصْـقٌ مِـن الإنسـانِ[(١)]
ولهـم جُشـاءٌ ريحُـهُ مِسْـكٌ يكـو
نُ بـه تمـامُ الهضـمِ بـالإحسـانِ
هـذا وهـذا صَـحَّ عنـه فـواحـدٌ
فــي مُسْلِـمِ ولأحمـدَ الأثـران[(٢)]

---

(١) معلوم أن من يأكل ويشرب في الدنيا يحتاج إلىٰ التبول والتغوط فهل يكون أهل الجنة كذلك. الجواب كما جاء في الحديث لما سأل اليهود رسول الله ﷺ. فبين لهم أنهم يعرقون عرقاً ريحه المسك فتضمر بطونهم.

(٢) أما الحديث الذي رواه مسلم فهو حديث جابر، وروىٰ الإمام أحمد حديث جابر بالإضافة إلىٰ حديث زيد بن أرقم[(*)].

(*) انظر «صحيح مسلم» (٢٨٣٥)، وهو في «مسند أحمد» ٢٢/ ٢٩٣ (١٤٤٠١)، أما حديث زيد بن أرقم فهو في «مسند أحمد» ٣٢/ ١٨-١٩ (١٩٢٦٩).

فصل

في لباس أهل الجنَّة

وهُمُ الملوكُ علىٰ الأسِرَّةِ فَوْقَ ها
تِيـكَ الـرُّؤوسِ مُـرَصَّـعُ التِّيجـانِ

ولبـاسُهُـمْ مِـنْ سُنْـدُسٍ خُضْـرٍ ومِـنْ
إسْتَبْــرَقٍ نــوعــانِ معــروفــانِ

مـا ذاك مـن دُودٍ بَنَـىٰ مِـن فَـوْقِـهِ
تلـك البيـوتَ وعـادَ ذا الطيـرانِ

كـلاَّ ولا نُسِجَتْ علىٰ المنوالِ نَسْـ
ـجَ ثيـابِنـا بـالقُطـنِ والكِتّـانِ

لَكِنَّهـا حُلَـلٌ تَشُـقُّ ثمـارَهـا
عنهـا رأيْـتَ شَقـائـقَ النُّعْمَـانِ

بيـضٌ وخُضْـرٌ ثـمَّ صُفْـرٌ ثـمَّ حُمْـ
ـرٌ كـالـرِّبـاطِ بـأحسـنِ الألـوانِ

لا تَقْـرَبُ الـدنـسَ المُقَـرِّبِ للبِلَـىٰ
مـا لِلْبِلَـىٰ فيهـنَّ مِـن سُلطـانِ

ونَصيـفُ إحـداهُـنَّ وهـو خِمـارُهـا
لَيْسَـتْ لَـهُ الـدُّنيـا مِـن الأثمـانِ

سَبعُـونَ مِـنْ حُلَـلٍ عليهـا لا تَعُـو
قُ الطَّـرْفَ عَـنْ مُـخٍّ ورا السِّيقـانِ
لكِـنْ يـراهُ مِـن ورا ذا كُلِّـهِ
مِثْـلَ الشـرابِ لِـذِي زُجـاجٍ أوانِ(١)

---

(١) عليهم تيجان مرصعة علىٰ رؤوسهم، وعلىٰ أبدانهم ملابس من الحرير والديباج والإستبرق وفي أيديهم أساور الحُلي: الرجال والنساء يتحلَّون في الجنَّة ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] والإستبرق: ما غُلظ من الحرير، وأمَّا الديباج: فهو ما رَقَّ من الحرير.

والحرير الذي في الجنَّة يختلف عن الحرير الذي في الدنيا، فالحرير الذي في الدنيا يؤخذ من دود القز الذي يجعل له بيتاً مدوراً من الخيوط التي تخرج من بطنه يُديرها لتكون بيتاً فيأخذها الناس قبل أن تتحول إلىٰ فراشة، وأمَّا حرير الجنَّة فليس هو من دود القز وإنَّما هو من صنيع الرحمٰن يخرج من شجر الجنَّة، ثمار تتشقق ويخرج منها لباسُهم، وأيضاً: ملابس الدنيا تُنسج بالمناسج والمعامل بخلاف ملابس أهل الجنَّة فليس لها مصانع ولا مناسج، وإنَّما تخرج من ثمار الجنَّة من صنع الله تعالىٰ، وشقائق النُعمان يُراد بها: الورد الجميل البهي المنظر وهذا من باب التشبيه والتقريب، فأحسن ما ترىٰ في الدنيا شقائق النعمان وهي أزهار وورود جميلة، وأيضاً ملابس أهل الدنيا وإن كانت جميلة فإنَّها تتوسخ وتتراكم عليها الأوساخ وتحتاج إلىٰ تنظيف وغسل، ثمّ في النهاية تبلىٰ من كثرة الأوساخ والاستعمال والغسيل، بخلاف ملابس أهل الجنة فلا تتسخ ولا تبلىٰ ولا تتمزق، ثمّ بين رحمهُ الله ملابس النساء، =

. . . .

= والنصيف: هو ما يكون علىٰ الرأس، فلو جمعت أموال الدنيا كلها ما بلغت قيمة نصيف امرأة من نساء الجنة، لأنَّ ما في الجنَّة لا يُدرِك بالأثمان. وتلبس سبعين من الحُلل ومع ذلك يرىٰ زوجها مخ ساقها من وراء ذلك، فزوجها ينظر وينفذ نظرُه ملابسها ويرىٰ جمالها حتىٰ المخ الذي في ساقها، وهذا من قوة الإبصار والنعيم. مثل ما تضع الشراب في زُجاجة صافية، فهل الزجاجة تستر الشراب؟ لا تستره فيُرىٰ الشراب داخل الزُجاجة، كذلك الحوراء ترىٰ جمالها من وراء الملابس والأستار.

فصل

في فُرُشِهم وما يتبعُها

فـالفُـرْشُ مـن إسْتَبْـرَقٍ قَـدْ بُطِّنَـتْ
مـــا ظَنُّكُـــمْ بِظَهَـــارَةٍ لبِطـــانِ

مـرفـوعـةٌ فـوقَ الأسِـرَّةِ يَتَّكِـي
هُـــوَ والحبيـــبُ بخَلْـــوَةٍ وأمـــانِ

بتحـدَّثـانِ علـىٰ الأرائـكِ مـا تَـرىٰ
حِبَّيْـــنِ فـــي الخَلَـــواتِ يَنْتَجِيـــانِ

هـــذا وكـــم زَرْبِيَّـــةٍ ونمـــارقٍ
ووســائـدٍ صُفَّـتْ بـلا حُسبَـانِ(١)

* * *

(١) والإستبرق هو ما رَقَّ وصفا من الحرير، يجلس هو وحبيبته علىٰ السرير في خلوة ما يخاف من أحد، فيخلو بها خلوة القرير العين علىٰ فراشه ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤] فإذا اجتمع الحبيب والحبيبة في الخلوة لا يخافُونَ من مُكدر ولا رقيب فهذه من أعظم النعم.

فصل

في حُلِيّ أهل الجنَّة

والحِلْـيُ أصفـىٰ لُـؤْلُـؤٍ وَزَبَـرْجَـدٍ
وكَـذاكَ أَسْـورَةٌ مِـنَ العِقْيـانِ[(١)]

مـا ذاكَ يَخْتَـصُّ الإنـاثَ وإنَّمـا
هُـوَ لـلإنـاثِ كـذاكَ للـذُّكْـرانِ

التـاركيـن لبـاسَـهُ فـي هـذه الـدْ
دُنْيـا لأجـلِ لبـاسِـهِ بجِنـانِ[(٢)]

أو مـا سَمِعْـتَ بـأنَّ حِلْيَتَهُـمْ إلـىٰ
حيـثُ انتهـاءِ وُضـوئِهِـمْ بِـوِزانِ

وكـذا وُضُـوءُ أبـي هـريـرةَ كـان قـد
فـازَتْ بـه العَضُـدانِ والسَّـاقـانِ[(٣)]

---

(١) العقيان: الذهب.

(٢) الحُليُّ في الدنيا: خاصٌ بالنساء، وأمّا في الآخرة فإنَّه يكون عامّاً للرجال وللنساء من باب الجمال واللذة والسرور، فهم ـ يعني الرجال ـ لا يلبسونَه في الدنيا طاعةً لله تعالىٰ، وأمّا في الآخرة فيُبيح الله ذلك لهم إكراماً لهم.

(٣) «تبلغ الحليةُ من المؤمن حيث يبلُغُ الوضوء»[(*)] في الدنيا كما في الحديث وفي الحديث الآخر: «إنَّ أمتي يُدعون يوم القيامة غراً محجلين =

(*) هذا من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم (٢٥٠).

وســـواهُ أنكـــرَ ذا عليـــه قـــائـــلاً
مـا السَّـاقُ مـوضِـعُ حِلْيَـةِ الإنسـانِ
مـا ذاك إلاَّ مَـوْضِـعُ الكَعْبَيْـنِ والـزْ
زِنْـدَيْـنِ لا السَّـاقـانِ والعَضُـدانِ
وكـذاكَ أَهْـلُ الفِقْـهِ مُخْتَلِفُـونَ فـي
هـــذا وفيـــهِ عِنْـــدَهُـــمْ قَـــولانِ
والـراجـحُ الأقـوىٰ انتهـاءُ وُضُـوئِنـا
للمِـــرْفَقَيْـــنِ كـــذلـــكَ الكَعْبـــانِ
هذا الذي قد حَدَّهُ الرحمٰنُ في الْـ
ـقُـــرآن لا تَعْـــدِلْ عـــنِ القـــرآن
واحْفَـظْ حُـدُودَ الـرَّبِّ لا تَتَعَـدَّهـا
وكـــذاكَ لا تَجْنَـــحْ إلـــىٰ النُّقْصَـــانِ
وانْظُرْ إلىٰ فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدْهُ قَدْ
أَبـــدَىٰ المُـــرادَ وجـــاءَ بـــالتِّبيـــانِ(١)

= من آثار الوضوء»(*) فالوضوء عبادةٌ عظيمة ويكون في الآخرة نوراً علىٰ أعضاء المسلم.

(١) أبو هريرة رضي الله عنه لمَّا روىٰ حديث: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء»(**) صار يُطيل الغرة والتحجيل فيغسل بعض رأسه مع =

(*) أخرجه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦) (٣٥) من حديث أبي هريرة.

(**) سلف تخريجه في الصفحة السابقة.

وَمَـنِ اسْتَطَـاعَ يُطِيـلُ غُـرَّتَـهُ فَمَـوْ
قُـوفٌ علىٰ الـرَّاوِي هُـوَ الفَـوْقَـانِـي

فـأبـو هـريـرة قـال ذا مِـنْ كِيسِـهِ
فغـدا يُميِّـزُهُ أُوْلُـو العِـرفـانِ(١)

ونُعَيْـمٌ الـرَّاوِي لَـهُ قَـدْ شَـكَّ فـي
رَفْـعِ الحـديـثِ كَـذَا رَوَىٰ الشَّيْبَـانِـي

وإطَـالَـةُ الغُـرَّاتِ لَيْـسَ بِمُمْكِـنِ
أَبَـداً وذَا فـي غَـايَـةِ التِّبْيَـانِ

= وجهه ويغسل عضديه مع يديه وساقيه مع رجليه طمعاً ورغبةً منه في امتداد الحلية، وهذا اجتهادٌ منه رضي الله عنه، ولم يوافق عليه وليس مشروعاً، فقوله: «فمن استطاع منكم أن يُطيل غُرَّتَه فليفعل»(*)، مدرج في الحديث من كلام أبي هريرة وبعض الفقهاء قلَّد أبا هُريرة وصار يغسل الساقين مع الرجلين، والعضدين مع اليدين، ومُقدَّم الرأس مع الوجه، فقلد أبا هريرة في هذا، والصواب عدم ذلك؛ لأنَّه خلاف الدليل، وفعلُه هذا اجتهادٌ منه، فالواجب أن تلتزم الحدَّ الذي حدَّدَه الله تعالىٰ فلا تزد عليه ولا تنقص عنه. فالرسول ﷺ لما توضأ وغسل يديه أدار الماء علىٰ مرفقيه ولمَّا غسل رجليه أدار الماء علىٰ كعبيه فهذا تفسير من الرسول ﷺ للآية الكريمة، ولم يغسل عضديه ولا ساقيه، فالقرآن والسنة ليس فيهما غسل العضدين والساقين.

(١) يعني: قال ذلك من اجتهاده، فأهل الحديث ميَّزوا كلام رسول الله ﷺ من كلام أبي هريرة رضي الله عنه.

(*) قطعة من حديث أبي هريرة، سلف تخريجه في الصفحة السابقة.

فصل

في صفة عرائس الجنَّة وحُسْنهنَّ وجمالهنَّ ولذَّة وصالهنَّ ومهورهن

يا مَنْ يَطُوفُ بكعبةِ الحُسْنِ التي
حُفَّتْ بِذاكَ الحِجْرِ والأرْكانِ
ويظلُّ يسعىٰ دائماً حولَ الصَّفا
ومُحَسِّرٍ مَسْعاهُ لا العلمانِ(١)

(١) بعض الناس يتعلَّق قلبُه في هذه الدنيا بالجمال والعشق والغرام فيتغنىٰ بالجمال ووصف الجميلات، فهذا لا يصل إلىٰ شيء، وإنَّما يصلُ إلىٰ التعب، وهذا تصوير من ابن القيم رحمهُ الله لهذا النوع من النَّاس الذي يتعلَّق قلبُهُ بالحبِّ والغرام والجمال والعشق فهذا لا يصل إلىٰ شيء، وأمَّا الصنف الثاني فهم الذين شمَّروا عن ساعد الجدِّ، وعملوا الأعمال الصالحة، وأدَّوا المناسك التي شرعها الله في الحجِّ والعمرة، وبذلوا حياتهم في طاعة الله، فهؤلاء هم الذين ينالون الجمال والزوجات الصالحات الجميلات. وقوله: «يا من يطوف بكعبة الحُسن»: هذا من باب التشبيه فقط، ليس المراد: كعبة الحَرَم.

وكذلك قوله: «ويظل يسعىٰ دائماً حول الصفا» ليس المراد به: المشعر المعروف ولكن هذا من باب التشبيه، ومُحَسِّر مكان بين منىٰ ومزدلفة، تطلب السرعة عند المرور به، لأنَّه موطن عذاب، وهو محل سعي أصحاب الحب والغرام في الدنيا، لا مواطن السعي المشروع وهو ما بين العلمين مما بين الصفا والمروة.

ويَـرُومُ قُـرْبَـانَ الـوِصَـالِ علىٰ مِنَىٰ
والخِيـفُ يُحْجُبُـه عَـنِ القُـرْبَـانِ

فَلِـذا تَـرَاهُ مُحْـرِمـاً أَبَـداً ومَـوْ
ضِـعُ حِلِّـهِ مِنْـه فليـسَ بِـدَانِ

يَبْغِـي التَّمَتُّـعَ مُفْـرِداً مِـنْ حُبِّـهِ
مُتجـرِّداً يَبغـي شفيـعَ قِـرانِ[١]

فيظَـلُّ بـالجمـراتِ يَـرْمـي قَلْبَـهُ
هـذي منـاسِكُـهُ بكُـلِّ زَمـانِ[٢]

والنـاسُ قَـدْ قَضَّـوْا منـاسِكَهُـمْ وقَـدْ
حَثُّـوا ركـائِبَهُـمْ إلـىٰ الأوطـانِ[٣]

وحَـدَتْ بهـم هِمَـمٌ لهـم وعـزائـمٌ
نحـوَ المنـازِلِ أوَّلَ الأزمـانِ

رُفِعَتْ لهم في السيرِ أعلامُ الوصا
لِ فَشَمَّـرُوا يـا خيبـةَ الكسـلانِ[٤]

---

(١) يعني: يريد العشيقة يتمتع بها، ليس المراد تمتع العمرة أو الحج، ويريد الاقتران وهو الاتصال بها.

(٢) الجمرات: هي الحب وليست جمارات المناسك، فيرمي قلبَه علىٰ العشيقة والمحبوبة فهذه مناسكُه، دائماً وراء العشق والغرام والنساء وهذا لا يصل إلىٰ شيء ويبقىٰ مُحرماً طول حياته.

(٣) أدُّوا مناسك الحج والعمرة ورجعوا فهؤلاء أصحاب الأعمال الصالحة.

(٤) شمَّروا إلىٰ الآخرة.

ورأوْا علـىٰ بُعْـدٍ خيـامـاً مُشْـرِفـا

تِ مُشْـرِقـاتِ النُّـورِ والبُـرهـانِ

فَتيَمَّمُـوا تلـك الخيـامَ فـآنَسُـوا

فيهـنَّ أقمـاراً بـلا نُقصـانِ

من قاصراتِ الطَّرْفِ لا تبغي سوىٰ

مَحْبُـوبِهـا مِـن سـائـرِ الشُّبّـانِ[1]

قَصَـرَتْ عليـه طـرفَهـا مِـنْ حُسْنِـهِ

والطَّـرْفُ فـي ذا الـوجـهِ للنِّسْـوانِ

أو أنَّهـا قَصَـرَتْ عليـه طَـرْفَـهُ

مِـنْ حُسْنِهـا فـالطَّرْفُ للـذُّكْـرانِ[2]

والأولُ المعهـودُ مِـنْ وضـعِ الخطـا

بِ فـلا تَحِـدْ عَـن ظـاهـرِ القـرآنِ

---

(١) يعني: ظهرت لهم الجنة وما فيها من النعيم والسرور فرأوها بقلوبهم وبصائرهم فشمَّروا لطلبها في هذه الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٢].

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمٰن: ٥٦] فيه تفسيران:

الأول: أنَّ المراد به أن النساء قصرن نظرهنَّ علىٰ أزواجهنَّ فلا ينظرن إلىٰ غيرهم، لأنهنَّ مقتنعات بأزواجهن ولا يرين من هو أحسن من أزواجهن.

الثاني: أنَّ زوجها قَصَر طرَفَهُ عليها فلا يريد غيرها، لأنَّه لا يرىٰ أحسن منها، بخلاف الرجال في الدنيا فتجدُهم يتشوفون لفلانة وفلانة.

ولـربمـا دَلَّـتْ إشـارتُـهُ علـىٰ الثْـ

ثَـانـي فتلـكَ إشـارةٌ لِمَعَـانِ[١]

هذا وليسَ القاصراتُ كَمَنْ غَدَتْ

مقصـورةٌ فهمـا إذاً صِنْفَـانِ[٢]

يا مُطْلِقَ الطَّرْفِ المُعَذَّبِ في الأُلىٰ

جُـرِّدْنَ عَـنْ حُسْـنٍ وَعَـنْ إحْسَـانِ

لا تَسْبِيَنَّـكَ صُـورَةٌ مِـنْ تَحْتِهـا الـدْ

دَاءُ الـدَّوِيُّ تَبُـوءُ بـالخُسْـرَانِ

قَبُحَـتْ خَـلائِقُهـا وقُبِّـحَ فِعْلُهـا

شَيْطَـانَـةٌ فـي صُـورَةِ الإنْسَـانِ

تَنْقَـادُ لـلأنْـذَالِ والأرْذَالِ هُـمْ

أكْفَـاؤُهَـا مِـنْ دُونِ ذي الإحْسَـانِ

مَـا ثَـمَّ مِـنْ دِيـنٍ ولا عَقْـلٍ ولا

خُلُـقٍ ولا خَـوْفٍ مِـنَ الـرَّحْمٰـنِ

---

(١) يُرجِّح الأول أنهن هنَّ قَصَرن طرفَهُنَّ علىٰ أزواجهن، وإذا كانت قد قصرت طرفها علىٰ زوجها فإنَّه يلزمُ من ذلك أنَّ زوجَها يقصُر طرفه عليها لأنَّ الجزاء من جنس العمل.

(٢) يعني أن قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمٰن: ٥٦] ليس مثل قوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٢] فمقصورات غير قاصرات.

وجَمَــالُهــا زُورٌ ومَصْنُــوعٌ فــإنْ
تَــرَكَتْــهُ لَــمْ تَطْمَــحْ لهــا العَيْنَــانِ
طُبِعَتْ علىٰ تَرْكِ الحِفَاظِ فَمَا لَهَا
بِــوَفَــاءِ حَــقِّ البَعْــلِ قَــطُّ يَــدَانِ
إنْ قَصَّــرَ السَّــاعِــي عَلَيْهــا سَــاعَــةً
قــالَــتْ وهَــلْ أوْلَيْــتَ مِــنْ إحْسَــانِ
أوْ رَامَ تَقْــوِيمــاً لهــا اسْتَعْصَــتْ ولــم
تَقْبَــلْ ســوَىٰ التَّعْــوِيــجِ والنُّقْصَــانِ
أفْكَــارُهَــا فــي المَكْــرِ والكَيْــدِ الــذي
قَــدْ حَــارَ فيــه فِكْــرَةُ الإنْسَــانِ
فَجَمَــالُهــا قِشْــرٌ رَقِيــقٌ تَحْتَــه
مــا شِئْــتَ مِــنْ عَيْــبٍ ومِــنْ نُقْصَــانِ
نَقْــدٌ رَدِيءٌ فَــوْقَــهُ مِــنْ فِضَّــةٍ
شَــيْءٌ يُظَــنُّ بــه مِــنَ الأثْمَــانِ
فــالنَّــاقِــدُونَ يَــرَوْنَ مــاذَا تَحْتَــهُ
والنَّــاسُ أكْثَــرُهُــمْ مِــنَ العُمْيَــانِ
أمَّــا جَمِيــلاتُ الــوُجُــوهِ فخَــائِنَــا
تُ بُعُــولِهِــنَّ وَهُــنَّ لــلأخْــدَانِ
والحَــافِظَــاتُ الغَيْــبِ مِنْهُــنَّ التــي
قَــدْ أصْبَحَــتْ فَــرْداً مِــنَ النِّسْــوَانِ

فانْظُرْ مَصَارِعَ مَنْ يَليكَ ومَنْ خَلا

مِـنْ قَبْـلُ مِـنْ شِيـبٍ ومِـنْ شُبَّـانِ

وارْغَـبْ بعَقْلِـكَ أنْ تَبيعَ العَـالِيَ الْـ

ـبَاقِـي بِـذَا الأدْنَـىٰ الـذي هُـوَ فَـانِ

إنْ كـانَ قَـدْ أعْيَـاكَ خُـودٌ مثـلُ مَـا

تبْغِــي ولَــمْ تَظْفَــرْ إلــىٰ ذَا الآنِ

فاخطبْ مِن الرحمٰنِ خُوْداً ثُمَّ قَدْ

دِمْ مَهْـرَهـا مـا دُمْـتَ ذا إمكـانِ(١)

ذَاكَ النِّكَـاحُ عَليـكَ أيْسَـرُ إنْ يَكُـنْ

لـــكَ نِسْيَـــةٌ للعِلْـــمِ والإيمَـــانِ

واللهِ لَـمْ تَخْـرُجْ إلـىٰ الـدنيـا للَـذْ

ذَةِ عَيْشِهـا أو للحُطـامِ الفـانـي(٢)

لكـن خـرجَـتْ لكـي تُعِـدَّ الـزادَ للـ

أُخـرىٰ فَجئْـتَ بـأقبـحِ الخُسـرانِ

---

(١) بدأ يتكلَّم عن الحور العين، فنساء أهل الجنَّة من الحور العين ولِيُّهنَّ الرحمٰن، يزوجهن من عباده الصالحين، وهو قريبٌ مجيب، والمهر هو العمل الصالح.

(٢) لا بُدَّ أن تلاقي من الأتعاب ومن المشقة في هذه الدنيا، لأنَّك لم تُخلق للدنيا بل للآخرة فلا تركن للدنيا.

أهملـتَ جَمْـعَ الـزادِ حتىٰ فـاتَ بَـلْ
فــاتَ الــذي ألهــاكَ عــن ذا الشــانِ
واللهِ لَـــوْ أنَّ القلـــوبَ سليمـــةٌ
لَتقطَّعَــتْ أسفــاً مِــن الحــرمــانِ
لكنَّهـا سَكْـرىٰ بِحُـبِّ حيـاتِهـا الـدْ
دُنيـا وسـوفَ تُفِيـقُ بعـدَ زمـانِ[1]

* * *

(١) وهذا الخُسران الذي لا يجبر هو خسران الآخرة، وقد فاتك أمران:

الأول: قد فاتتك الدنيا التي شغلتك.

الثاني: وفاتتك الآخرة، كما قال تعالىٰ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، فلو أنَّ القلوب سليمة من الغفلة ومن الإعراض والنسيان لتقطعت من الأسف علىٰ ما حُرمت، وهذه حالة أكثر الخلق.

فصل

فاسْمَعْ صفاتِ عرائسِ الجناتِ ثُمْ
مَ اخْتَرْ لنفسِكَ يا أخا العِرفانِ(١)

حورٌ حِسانٌ قد كَمُلْنَ خَلائقاً
ومَحاسِناً مِن أجملِ النِّسوانِ

حتىٰ يَحارُ الطَّرْفُ في الحُسنِ الذي
قَدْ أُلبِسَتْ فالطَّرْفُ كالحَيْرانِ

ويقولُ لمَّا أنْ يُشاهِدَ حُسْنَهَا
سُبحانَ مُعْطي الحُسنِ والإحسانِ(٢)

والطَّرْفُ يَشربُ مِن كؤوسِ جمالِها
فتراهُ مِثْلَ الشارِبِ النَّشْوانِ(٣)

كَمُلَتْ خَلائِقُها وأُكْمِلَ حُسْنُها
كالبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بعدَ ثَمانِ

---

(١) لمَّا أنَّه حثَّكَ علىٰ أن تخطب من الرحمٰن من نساء الجنَّة بتقديم العمل الصالح، أراد أن يصف لك نساء الجنَّة حتىٰ تتشوَّق إليهنَّ.

(٢) حسن نساء الجنَّة والحور العين لا يدور في خيال أحد، ولا يُدركُه عقلُ أحد، فهنَّ جمعن بين حُسْنِ الخَلْق والجمال بكلِّ أنواعه وحُسْنِ الخُلُق فجمعن بين الحُسنين.

(٣) لا يملُّ الطرف من النظر إليها لأنَّه كلَّما نظر إليها أعجبتهُ لأنَّه تجدد جمالها.

والشمسُ تَجْرِي في مَحاسِنِ وجهها
والليـلُ تحـتَ ذوائـبِ الأغصـانِ
فتراهُ يَعْجَبُ وَهْوَ مَوضِعُ ذاك مِنْ
ليـلٍ وشمـسٍ كيـفَ يَجتمعـانِ[1]
فَيَقُـولُ سُبْحَـانَ الـذي ذا صُنْعُـهُ
سُبْحَـانَ مُتْقِـنِ صَنْعَـةِ الإنْسَـانِ
لا اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَها فتَغِيبَ عِنْـ
ـدَ مَجِيئِـهِ حَتَّـىٰ الصَّبَـاحِ الثَّـانِـي
والشَّمْسُ لا تَـأْتِـي بطَـرْدِ اللَّيْـلِ بَـلْ
يَتَصـاحَبَـانِ كِـلاهُمَـا أخَـوَانِ
وكِـلاهُمَـا مـرآةُ صـاحِبِـهِ إذا
مـا شـاءَ يُبْصِـرُ وجْهَـهُ يَـرَيـانِ[2]
فَيَرىٰ مَحَاسِـنَ وَجْهِـه فـي وَجْهِهَـا
وتَـرَىٰ مَحَـاسِنَهَـا بِـه بعِيَـانِ

---

(١) جمعت بين ليل ونهار، ليل في شعرها ونهار في وجهها، وهذا في الحور العين في الجنَّة، وأمَّا في الدنيا فلا يجتمع الليل والنَّهار لأنه ينسخ أحدهما الآخر.

(٢) كلا الزوجين مرآةٌ للآخر ينظر صورتَهُ في جمالها، لأنه يعكسُ صورتَه، وهي كذلك تنظر جمالها في وجهه، وهذا من صفاء لون الزوجين.

حُمْرُ الخُدُودِ ثُغُورَهُنَّ لآلِىءٌ
سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأجْفَانِ
والبَرْقُ يَبْدُو حينَ يَبْسِمُ ثَغْرُها
فَيُضِيءُ سَقْفُ القَصْرِ بالجُدْرَانِ
ولقد رُوِينا أن بَرْقاً ساطعاً
يبدو فيسألُ عنه مَن بِجِنانِ
فيُقالُ هذا ضَوْءُ ثَغْرِ ضاحِكٍ
في الجَنَّةِ العُلْيا كَمَا تَرَيانِ[1]
لله لاثِمُ ذَلِكَ الثَّغْرِ الذي
في لَثْمِهِ إدْرَاكُ كُلِّ أمانِ
رَيّانَةُ الأعطَافِ مِنْ ماءِ الشَّبَا
بِ فَغُصْنُها بالمَاءِ ذُو جَرَيَانِ
لَمَا جَرَىٰ ماءُ النَّعِيمِ بغُصْنِها
حَمَلَ الثِّمارَ كَثيرةَ الألْوَانِ
فالوَرْدُ والتُّفَّاحُ والرُّمَّانُ في
غُصْنٍ تَعَالَىٰ غارِسُ البُسْتَانِ

---

(١) يعني: جاء في الأثر: «أن برقاً يسطعُ في الجنَّة فيتساءل أهل الجنَّة ما هذا البرق؟ فيُقال: هذه حوراء في الدرجات العُليا من الجنَّة ضحكت لزوجها» فما ظنكم بمن يُقَبِّل هذا الثغر ويذوق اللذة بقبلته.

والقَـدُّ مِنْهـا كـالقَضِيـب اللَّـدْنِ فـي
حُسْـنِ القَـوَامِ كـأَوْسَـطِ القُضبـانِ
فـي مَغْـرَسٍ كـالعَـاجِ تَحْسَـبُ أنَّـه
عَـالِـي النَّقـا أو وَاحِـدُ الكُثْبَـانِ
لا الظَّهْـرُ يَلْحَقُهَـا ولَيْـس ثُـدِيُّهَـا
بِلَـوَاحِـقٍ للبَطْـنِ أوْ بِـدَوَانِ
لَكِنَّهُـنَّ كَـوَاعِـبٌ ونَـوَاهِـدٌ
فثُـدِيُّهُـنَّ كـأَلْطَـفِ الـرُّمَّـانِ
والجِيـدُ ذُو طُـولٍ وحُسْـنٍ فـي بيـا
ضٍ واعتـدالٍ ليْـسَ ذا نُكْـرانِ[1]
يَشكُـو الحُلِـيُّ بِعـادَهُ فلَـهُ مـدى الـ
أيـام وسـواسٌ مِـن الهُجْـرانِ[2]
والمِعْصَمـانِ فـإنْ تَشَـأْ شَبِّهْهُمَـا
بِسبكَتَيْـنِ عَليهِمـا كفَّـانِ
كـالـزُّبْـدِ ليناً فـي نُعُـومَـةِ مَلْمَـسٍ
أصـدافُ دُرٍّ دُوِّرَتْ بِـوزانِ[3]

---

(١) الجيد: العنق، يصف بدن الحوراء ويصفُ قوامها ورقبتها كما وصف شعرها وذلك حسب النصوص الواردة.

(٢) الحلي الذي في أُذنيها يشكو من البعاد عن الكتفين فيكون له صوت لأنَّه ملتصق بالرقبة لا الكتفين.

(٣) المعصم هو طرف الذراع ممَّا يلي الزند وهو محلُّ الحُلي.

والصَّــدْرُ مُتَّســعٌ علــىٰ بَطْــنٍ لَهــا
حُفَّــتْ بــه خَصْــرَانِ ذَاتُ ثَمَــانِ
وعَلَيْـه أحْسَـنُ سُـرَّةٍ هـي مَجْمَـعُ الْـ
ـخَصْـرَيْـنِ قَـدْ غَـارَتْ مِـنَ الأعْكَـانِ
حُـقٌّ مِـنَ العَـاجِ اسْتَـدَارَ وحَـوْلَـه
حَبَّــاتُ مِسْــكٍ جَــلَّ ذُو الإتْقَــانِ
وإذا انحـدرتَ رأيـتَ أمـراً هـائـلاً
مــا للصِّفــاتِ عليــه مِــنْ سُلطــانِ
لا الحيــضُ يغشــاهُ ولا بــولٌ ولا
شــيءٌ مـن الآفـاتِ فـي النسـوانِ(١)
فَخِـذَانِ قَـدْ حَفَّـا بـه حَـرَسـاً لَـهُ
فَجَنَــابُــهُ فــي عِــزَّةٍ وَصيَــانِ
قَــامَــا بخِـدْمَتِـه هُـوَ السُّلْطَـانُ بَيْـ
ـنَهُمَــا وحَــقٌّ طَــاعَــةُ السُّلْطَــانِ
وهــو المطــاعُ أميــرُهُ لا ينثنــي
عَنْــهُ ولا هــو عِنــدَهُ بجبــانِ

---

(١) هذا كناية عن فرج الحوراء الذي هو محلُّ الاستمتاع، وهذا الفرج لا يخرج منه البول ولا الفضلات، بل هو مُطهَّر، كما قال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [النساء: ٥٧] فهي ليست كنساء الدنيا.

وجماعُهَا فهو الشفاءُ لِصَبِّها
فالصَّبُّ منه ليسَ بالضَّجْرانِ[1]
وإذا يُجامِعُها تعودُ كما أتَتْ
بِكْراً بغيرِ دمٍ ولا نُقْصانِ
فهو الشَّهِيُّ وعُضْوُهُ لا يَنْثَني
جاءَ الحديثُ بذا بلا نُكرانِ[2]
ولقد رَوَيْنا أنَّ شُغْلَهُمُ الذي
قَدْ جاءَ في يَس دونَ بيانِ[3]
شُغْلُ العَرُوسِ بعُرْسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا
عَبَثَتْ به الأشْوَاقُ طَولَ زَمَانِ
بالله لا تَسْأَلْهُ عَنْ أشْغَالِهِ
تِلْكَ اللَّيالي شَأْنُهُ ذُو شَانِ

---

(١) الجماع في الدنيا يورث الضعف والكسل بخلاف جماع نساء الجنَّة فإنَّه يورث النشاط ولا يملُّ زوجُها منه ولا يكل.

(٢) لا تنفض بكارتُها وتذهب كنساء الدنيا، فإنه كُلَّما فضَّها عادت كما كانت ففرجها شهي وذَكرُهُ قائم لا ينثني.

(٣) كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ﴾ [يسٓ: ٥٥] جاء تفسير «الشغل» بأنّه: افتضاض الأبكار، فهم مشغولون بلذة افتضاض الأبكار.

وَاضْرِبْ لهم مثلاً بِصَبٍّ غابَ عنْ
مَحبُوبِهِ في شاسِعِ البُلدانِ[١]
والشَّوْقُ يُزْعِجُه إلَيْهِ ومَا لَهُ
بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الإمْكَانِ
وَافَىٰ إلَيْه بَعْدَ طُولِ مَغِيبِهِ
عَنْهُ وصَارَ الوَصْلُ ذَا إمْكَانِ
أَتَلُومُه إنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ
لا والَّذي أَعْطَىٰ بِلاَ حُسْبَانِ
يا ربُّ غَفْراً قد طَغَتْ أقلامُنا
يا ربُّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغيانِ[٢]

* * *

(١) اضرب مثلاً لأهل الجنة مع أزواجهم حين يلتقون بالأزواج في الدنيا إذا غاب أحدهما عن الآخر مدةً طويلة ثمَّ التقىٰ به ماذا يكون فرَحُهُ به ولذتُهُ به، هذا شيء معروف عند أهل الدنيا، والصب: بمعنىٰ المُحب، من الصبابة وهي المحبة.

(٢) يعني: أنه استرسل في هذه الأوصاف التي ذكرها فهو يستغفر ربَّه من هذا الاسترسال.

فصل

أقـدامُهـا مِـن فِضَّـةٍ قـد رُكِّبَـتْ

مِـنْ فَـوْقِهـا سـاقـانِ مُلْتفّـانِ

والسـاقُ مِثْلُ العـاجِ مَلمُـومٌ يُـرَىٰ

مُـخُّ العظـامِ وراءَهُ بِعيـانِ

والـرِّيحُ مِسْـكٌ والجُسـومُ نـواعِـمٌ

واللـونُ كـاليـاقـوتِ والمَـرجـانِ

وكـلامُهـا يَسْبِـي العقـولَ بنغمـةٍ

زادَتْ علـىٰ الأوتـارِ والعِيـدانِ

وَهـيَ العَـروبُ بشكلِهـا وبِـدُرِّهـا

وتَحَبُّـبٍ للـزوجِ كُـلَّ أوانِ[١]

وهـي التـي عنـدَ الجمـاعِ تَـزيـدُ فـي

حَـركـاتِهـا للعيـنِ والأُذُنـانِ

لُطْفـاً وحُسْـنَ تَبَعُّـلٍ وتَغَنُّـجٍ

وتَحَبُّـبٍ تفسيـرَ ذي العِـرفـانِ

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]
والعُرب: جمع عروب وهي: المحبوبة.

تلـك الحـلاوةُ والمـلاحـةُ أوجبـا
إطـلاقَ هـذا اللفـظِ وَضْـعَ لسـانِ[١]

فَمَـلاحَـةُ التَّصْـوِيـرِ قَبْـلَ غِنَـاجِهَـا
هِـيَ أوّلٌ وَهْـيَ المَحَـلُّ الثَّـانـي

فـإذَا هُمَـا اجْتَمَعَـا لِصَـبٍّ وَامِـقٍ
بَلَغَـتْ بِـهِ اللَّـذَاتُ كُـلَّ مَكَـانِ

* * *

---

(١) آخرُ اتصاله بها كأوله في اللذة، وقوله: «أتراباً» يعني: مُساويات لأزواجهن في السن لأنَّ أهل الجنَّة علىٰ سنٍّ واحد سن الثلاثين.

فصل

أتــرابُ سِــنٍّ واحــدٍ مُتمــاثِــلٍ
سِــنُّ الشبــابِ لأجمــلِ الشُبَّــانِ
بِكْرٌ فَلَمْ يَأْخُذْ بَكَارَتَهَا سِوىٰ الـ
ـمحبوبِ مِنْ إنسٍ ولا مِنْ جَانِ(١)
حِصْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أَعْظَمِ الْـ
ـحُـرَّاسِ بَـأْسـاً شَـأْنُـهُ ذُو شَـانِ
فـإذا أَحَـسَّ بِـدَاخِـلٍ لِلْحِصْـنِ ولْـ
ـلَـىٰ هَـارِبـاً فتَـرَاهُ ذا إمْعَـانِ
ويَعُودُ وهْناً حينَ رَبُّ الحِصْنِ يَخْـ
ـرُجُ مِنْـهُ فَهْـوَ كـذا مَـدَىٰ الأزْمَـانِ
وكــذا رواهُ أبُــو هُــريــرةَ أنَّهَــا
تَنْصَــاغُ بِكْــراً لِلْجِمَــاعِ الثَّــانــي
لكِــنَّ دَرَّاجــاً أَبَــا السَّمْــحِ الــذي
فيــهِ يُضَعِّفُــهُ أُولُــو الإتْقَــانِ
هـذا وبعْضُهُـمُ يُصَحِّحُ عَنْه في التـْ
ـتَفْسِيـرِ كـالمَـوْلُـودِ مِـنْ حِبَّـانِ

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٥٦].

فَحَــدِيثُــهُ دُونَ الصَّحِيــحِ وإنَّــهُ
فَــوْقَ الضَّعيــفِ ولَيْــسَ ذا إتْقَــانِ

يُعطىٰ المُجامِعُ قوةَ المِئةِ التي اجْـ
ـتَمَعَــتْ لأقــوىٰ واحــدِ الإنســانِ

لا أنَّ قــوَّتَــهُ تَضــاعَــفُ هكــذا
إذ قَــدْ يكــونُ لأضعــفِ الأركــانِ

ويكـون أقـوىٰ منـه ذا نَقْصٍ مِـنَ الْـ
إيمــانِ والأعمــالِ والإحســانِ[١]

ولَقَــدْ رَوَيْنَــا أنَّــهُ يَغْشَــىٰ بِيَــوْ
مٍ واحِــدٍ مِئَــةً مِــنَ النِّسْــوَانِ

ورِجَـالُـهُ شَـرْطُ الصَّحِيـحِ رووْا لَهُـمْ
فيــهِ وَذا فــي مُعْجَـمِ الطَّبـرَانِـي

هــذَا دَلِيــلٌ أنَّ قَــدْرَ نِسَــائِهِــمْ
مُتَفَــاوِتٌ بِتَفَــاوُتِ الإيمَــانِ

وبِـهِ يَـزُولُ تَـوَهُّـمُ الإشْكَـالِ عَـنْ
تِلْــكَ النُّصُــوصِ بِمِنَّــةِ الــرَّحْمٰــنِ

وبقُــوَّةِ المِئَــةِ التــي حَصَلَــتْ لَــهُ
أفْضَــىٰ إلــىٰ مِئَــةٍ بِــلاَ خَــوَرَانِ

---

(١) يُعطىٰ الرجلُ في الجنَّة قوة مئة رجل في الجماع.

وأعَفُّهُــمْ فــي هــذه الــدنيــا هــو الْـ
أقـوىٰ هنـاك لِـزُهـدِهِ فـي الفـانـي[١]
فَاجْمَعْ قُوَاكَ لِمَا هُنَاكَ وغَمِّضِ الْـ
ـعَيْنَيْــنِ واصْبِــرْ سَــاعَــةً لِــزَمَــانِ
مَــا هَــا هُنَــا واللهِ مَــا يَسْـوي قُــلاَ
مَــةَ ظُفْــرِ واحِــدَةٍ تُــرىٰ بِجِنَــانِ
مــا هَــا هُنــا إلاَّ النِّقَــارُ وسَيِّــىءُ الـ
أخــلاقِ مَــعْ عَيْــبٍ ومَــعْ نُقصَــانِ
هــــمٌّ وغــــمٌّ دائــــمٌ لا ينتهــــي
حتّىٰ الطـلاقِ أو الفـراقِ الثـانـي[٢]
واللهُ قَــدْ جَعَــلَ النِّسَــاءَ عَــوَانِيــاً
شَرْعاً فَأضْحَىٰ البَعْلُ وهْوَ العَانِي
لا تُــؤْثِــرِ الأدْنــىٰ علــىٰ الأعلــىٰ فــإنْ
تَفْعَــلْ رَجَعَــتْ بِــذِلَّــةٍ وَهَــوَانِ

* * *

---

(١) من حفظ فرجَه عن الحرام في هذه الدنيا وحفظ بصرَه وسَمَعَه عن الحرام فهو يكون أقوىٰ أهل الجنّة وألذهم في الجماع يوم القيامة.

(٢) هذه حالة غالب الأزواج في الدنيا، الرجال مع النساء في هم وغم ونزاع وشكايات وقد يُفضي ذلك إلىٰ الطلاق والفِراق بينهما بخلاف حالة الأزواج في الجنة فليس فيها شيء من ذلك.

فصل

وإذا بَـدَتْ فـي حُلَّـةٍ مِـن لِبْسِهـا
وتمـايلَـتْ كتمـايُـلِ النشـوانِ
تهتَـزُّ كـالغصـنِ الـرطيـبِ وحَمْلُـهُ
وَرْدٌ وتُفَّـاحٌ علـىٰ رُمّـانِ
وتَبختَـرَتْ فـي مَشْيِهـا ويَحِـقُّ ذا
كَ لمثلِهـا فـي جَنَّـةِ الحيـوانِ
ووصـائِـفٌ مِـن خَلْفِهـا وأمـامَهـا
وعلـىٰ شمـائِلِهـا وعـن أيمـانِ[١]
كـالْبَـدْرِ لَيْلَـةَ تَمِّـهِ قَـدْ حُـفَّ فـي
غَسَـقِ الـدُّجَـىٰ بِكَـوَاكِـبِ المِيـزَانِ
فلسَـانُـهُ وفُـؤَادُهُ والطَّـرفُ فـي
دَهَـشٍ وإعْجَـابٍ وفـي سُبْحَـانِ
فـالقَلْـبُ قَبْـلَ زِفَـافِهَـا فـي عُـرْسِـهِ
والعُـرْسُ إثْـرَ العُـرْسِ مُتَّصِـلاَنِ
حتَّـىٰ إذا مَـا واجَهَتْـهُ تَقَـابَـلاَ
أرأيْـتَ إذْ يتَقَـابَـلُ القَمَـرَانِ

---

(١) الوصائف: جمع وصيفة وهي الخادم.

فَسَلِ المتيَّمَ هل يَحِلُّ الصبرُ عن
ضَمٍّ وعن تَقْبيلٍ وعن فَلَتانِ[1]
وسَلِ المُتيَّمَ أيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ
في أيِّ وادٍ أمْ بِأيِّ مَكَانِ
وسَلِ المُتيَّمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وقَدْ
مُلِئَتْ لَهُ الأُذُنَانِ والعَيْنَانِ
مِنْ مَنْطِقٍ رَقَّتْ حواشيهِ وَوَجْـ
ـهٍ كَمْ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرَيَانِ
وسَلِ المُتيَّمَ كَيْفَ عِيشَتُهُ إذاً
وَهُمَا على فَرْشَيْهِمَا خَلِوَانِ
يتَسَاقَطَانِ لآلِئاً منْثُورَةً
مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنَظْمِ جُمَانِ
وسَلِ المُتيَّمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعْ الْـ
ـمَحْبُوبِ في رَوْحٍ وفي رَيْحَانِ
وتَدُورُ كاسَاتُ الرَّحِيقِ عَلَيْهِمَا
بِأكُفِّ أقْمَارٍ مِنَ الوِلْدَانِ
يَتَنَازَعَانِ الكَأْسَ هذَا مَرَّةً
والخُودُ أُخْرَىٰ ثُمَّ يَتَّكِئَانِ

---

(١) المتيَّم: يعني المشتاق، فالمحبة درجات، أعلاها الخُلَّة، ومن درجاتها: درجة المُتيَّم، أي: المُحب.

فَيَضُمُّهَــا وتَضُمُّــهُ أرأيْــتَ مَعْـ
ـشُــوقَيْــنِ بَعْــدَ البُعْــدِ يَلْتَقِيَــانِ
غَـابَ الـرَّقِيـبُ وغَـابَ كُـلُّ مُنَكِّـدٍ
وَهُمَـا بِثَـوْبِ الـوَصْـلِ مُشْتَمِـلانِ
أتَرَاهُمَا ضَجِرَيْنِ مِنْ ذا العَيْشِ لا
وحَيَـاةِ رَبِّـكَ مَـا هُمَـا ضَجِـرَانِ
ويَـزِيـدُ كُـلٌّ مِنْهُمَـا حُبّـاً لِصَـا
حِبِـهِ جَـدِيـداً سَـائِـرَ الأزْمَـانِ
وَوِصَــالُــهُ يَكْسُــوهُ حُبّـاً بَعْــدَهُ
مُتَسَلْسِــلاً لا يَنْتَهِــي بِــزَمَــانِ
فـالْـوَصْـلُ مَحْفُـوفٌ بِحُـبٍّ سَابـقٍ
وبِــلاحِــقٍ وكِــلاهُمَــا صِنْــوانِ
فَــرْقٌ لَطِيــفٌ بَيْــنَ ذاكَ وبَيْــنَ ذا
يَــدْرِيــهِ ذُو شُغْــلٍ بِهــذا الشَّــانِ
ومَـزِيـدُهُـمْ فـي كُـلِّ وقـتٍ حـاصـلٌ
سُبحـانَ ذي الملكُـوتِ والسُّلطـانِ(١)
يـا غَـافِـلاً عَمَّـا خُلِقْـتَ لَـهُ انْتَبِـهْ
جَـدَّ الـرَّحِيـلُ فَلَسْـتَ بـالْيَقْظَـانِ

---

(١) مع هذا النعيم يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٥] وهو النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ فينسون كُلَّ ما عندَهم من النعيم.

سَـارَ الـرِّفَـاقُ وخَلَّفُـوكَ مَـعَ الأُلَـىٰ
قَنَعُـوا بِـذَا الْحَـظِّ الْخَسيسِ الفَـانِـي
ورأيْــتَ أكْثَـرَ مَـنْ تَـرَىٰ مُتَخَلِّفـاً
فَتَبِعْتَهُــمْ وَرَضِيــتَ بِــالْحِـرْمَــانِ
لكــنْ أتَيْـتَ بِخُطَّتَــيْ عَجْـزٍ وَجَهْـ
ـــلٍ بَعْـدَ ذا وصَحِبْـتَ كُـلَّ أمَـانِ
مَنَّتْـكَ نَفْسُـكَ بِـاللِّحَـاقِ مَـعَ القُعُـو
دِ عَـــنِ المَسِيــرِ ورَاحَــةِ الأبْــدَانِ
ولَسَـوْفَ تَعْلَـمُ حيـنَ يَنْكشِـفُ الغِطَـا
مَــاذا صَنَعْــتَ وكُنْــتَ ذا إمْكَــانِ

* * *

فصل

في ذكر الخلاف بين النَّاس هل تحبل نساء أهل الجنَّة أم لا؟

والنَّـاسُ بينهُـمُ خـلافٌ هـل بهـا
حَبَـلٌ وفـي هـذا لهـم قـولانِ

فنفـاهُ طـاووسٌ وإبـراهيـمُ ثُـمَّ
مجـاهِـدٌ وهُـمُ أُولُـو العِـرفـانِ

وروىٰ العُقيلـيُّ الصـدوقُ أبـو رَزِيـ
ـنِ صـاحـبُ المبعـوثِ بـالقـرآنِ

أنْ لا تـوالُـدَ فـي الجنـانِ رواهُ تعـ
ـليقـاً مُحَمـدٌ العظيـمُ الشـانِ

وحكـاه عنـه التـرمـذيُّ وقـال إسـ
ـحـاقُ بـنُ إبـراهيـمَ ذُو الإتقـانِ[1]

(١) هذه مسألة حصل فيها الخلاف بين العُلماء: هل نساء أهل الجنَّة يحملن ويلدن مثل: نساء الدنيا أَوْ لا، علىٰ قولين:

القول الأول: لا حمل في الجنَّة ولا توالد، وهذا فيه حديث أبي رزين العقيلي عن رسول الله ﷺ في نفي الولادة في الجنَّة، وبه قال جمعٌ من الأئمة كطاووس بن كيسان الصنعاني وإبراهيم النخعي ومجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، هؤلاء الأئمة قالوا بهذا القول، وهذا دليلُهم وهو =

لا يَشْتَهِـي ولَـداً بِهَـا ولَـوِ اشْتَهَـا
هُ لكَـانَ ذَاكَ مُحَقَّـقَ الإمْكَـانِ

وروىٰ هشـامٌ لابنِـه عـن عـامـرٍ
عـن نـاجي عـن سعـدِ بـنِ سنـانِ

أنَّ المُنَعَّـمَ بـالجِنـانِ إذا اشتهـىٰ الْـ
ـوَلَـدَ الـذي هـو نُسْخَـةُ الإنسـانِ

فالحملُ ثمَّ الوضعُ ثمَّ السِّنُّ في
فَـرْدٍ مـن السـاعـاتِ فـي الأزمـانِ[1]

= حديثٌ رواهُ البخاريُّ تعليقاً، حكاه عنه الترمذي في «جامعه»(*).

(١) هذا هو القول الثاني أنهم يتوالدون إذا اشتهوا ذلك ودليله ما روىٰ سعد ابن سنان وهو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ «المؤمن إذا اشتهىٰ الولد في الجنَّة كان حمله ووضعه وسِنُّه في ساعة كما يشتهي»(**). ثم قال الترمذي: وقال محمد ـ يعني البخاري ـ: قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي السابق: ولكن لا يشتهي. قال محمد ـ يعني البخاري ـ: وقد روي عن أبي رزين العقيلي، عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنّة لا يكون لهم فيها ولد». فاختلف الحديثان: حديث أبي سعيد وحديث أبي رزين هذا يثبت وهذا ينفي فما الجواب؟ سيذكرُه الناظم رحمهُ الله، وإسنادُ حديث أبي سعيد الخدري عند الناظم صحيح؛ لأنَّ رواتَه ثقات، ولكنَّ الحديث غريب، والغريب ما تفرَّد بروايته واحد.

(*) انظر التعليق التالي.

(**) أخرجه أحمد في «المسند» ١٧/ ١١٦ (١١٠٦٣)، والترمذي (٢٥٦٣)، وابن ماجه (٤٣٣٨)، وابن حبان (٧٤٠٤)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

إسنَــادُهُ عِنْــدِي صَحِيــحٌ قَــدْ رَوَا
ﻫُ التِّــرْمِــذِيُّ وأحْمَــدُ الشَّيْبَــانِــي

ورِجَــالُ ذا الإسْنَــادِ مُحْتَــجٌّ بِهِــمْ
فــي مُسْلِــمٍ وهُــمُ أولُــو إتْقَــانِ

لكــنْ غَــرِيــبٌ مَــا لَــهُ مِــنْ شَــاهِــدٍ
فَــرْدٌ بِــذا الإسْنَــادِ لَيْــسَ بِثَــانِ

لــوْلا حَــدِيــثُ أبِــي رَزِيــنٍ كــانَ ذا
كــالنَّــصِّ يَقْــرُبُ مِنْــهُ فــي التِّبْيَــانِ

ولــذاك أوَّلَــهُ ابــنُ إبــراهيــمَ بــالشْــ
شَــرْطِ الــذي هــو مُنتفــي الــوِجْـدانِ

وبــذاك رامَ الجَمْــعَ بَيْــنَ حَــديثِــهِ
وأبــي رَزِيــنٍ وهــو ذُو إمكــانِ(١)

---

(١) كما سبق عن إسحاق بن إبراهيم: أنَّه يرىٰ حصول الولادة في الجنَّة لكن إذا اشتهىٰ الولد في الجنة وهو في الحقيقة لا يشتهيه فالشرط هنا غير مُحقَّق، ولكنَّ الناظم لم يرتض هذا التأويل من إسحاق بن إبراهيم لأنَّ «إذا» للذي يتحقَّق وقوعُه، أمَّا لو كان كما يقول إسحاق لجاء بـ«إن» الشرطيّة، فإنَّ «إن» لما لا يلزم تحقق الوقوع، وأمَّا «إذا» فهي من حروف الشرط التي يتحقق وقوعُها.

فـ«إذا» لما يتحقق وقوعُه في المستقبل، فدلَّ الحديث علىٰ أنَّه يكون في الجنَّة ولادة، وعليه فتأويل إسحاق فيه نظر، وسيذكر الجواب فيما بعد.

هـذا وفـي تـأويلـهِ نَظَـرٌ فَـإنْ
نَ إذا لتَحْقِيــقٍ وَذي إتْقَــانِ
ولَـرُبَّمَـا جَـاءَتْ لِغَيْـرِ تَحَقُّـقٍ
والعَكْسُ فـي إنْ ذاكَ وضْـعُ لِسَانِ
واحْتَجَّ مَنْ نَصَرَ الولادةَ أن في الْـ
ـجنَّـاتِ سـائـرَ شَهْـوةِ الإنسـانِ[1]
واللهُ قـد جعـلَ البنيـنَ مـع النِّسـا
مِـن أعظـمِ الشهـواتِ فـي القـرآنِ[2]
فـأُجِيـبَ عنـه بـأنَّـهُ لا يَشْتَهـي
ولـداً ولا حَبَـلاً مـن النِّسْـوانِ[3]
واحتـجَّ مَـن مَنَـعَ الـولادةَ أنَّهـا
مَلـزومـةٌ أمْـرَيْـنِ مُمتنعـانِ
حيـضٌ وإنـزالُ المَنِـيِّ وذاك الْـ
أمـرانِ فـي الجنـاتِ مفقـودانِ

---

(١) احتجَّ من يثبت الولادة في الجنّة مع هذا الحديث بشيءٍ آخر وهو: أن أهل الجنّة يُعطون ما اشتهوا وما تمنَّوا، ولا شكَّ أنَّ الولد ممّا يُشتهىٰ في الجنَّة، فهذا يؤيِّد القول الثاني.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...﴾ [الكهف: ٤٦] ولا شكَّ أنَّ ألذَّ شيءٌ عند الإنسان هو النساء والأولاد.

(٣) نقول: نعم إنَّ أهلَ الجنَّة يُعطون ما اشتهوا وما تمنَّوا ولكن من يثبت أنَّهم يشتهون الولد في الجنَّة ويتمنونه هذا يحتاج إلىٰ دليل.

ورویٰ صُـدَيٌّ عـن رسـولِ اللهِ أنْ
نَ مَنِيَّهُـــمْ إذ ذاكَ ذُو فُقْـــدانِ

بـل لا مَنِـيَّ ولا مَنِيَّـةَ هكـذا
يَـرْوِي سُليمـانُ هـو الطبـرانـي(١)

وأُجيـبَ عنـه بـأنَّـهُ نـوعٌ سِـوىٰ الْـ
ـمعهـودِ فـي الـدنيـا مِـن النِّسـوانِ

فالنفيُّ للمعهودِ في الدنيا مِن الْـ
إيـلادِ والإثبـاتُ نـوعٌ ثـانِ

واللهُ خـالـقُ نَـوْعِنـا مِـن أربـعٍ
مُتقـابـلاتٍ كُلُّهـا بِـوِزانِ

ذكـرٌ وأنثـىٰ والـذي هُـوَ ضِـدُّهُ
وكـذاكَ مِـن أُنْثَـىٰ بـلا نُكـرانِ

---

(١) احتج من نصر القول الأول بحديث أبي رزين وبأنَّ الولادة يلزم منها الحيض والدم وخروج المني، وهذه فضلات وقاذورات مستكرهة، والجنَّة ليس فيها شيءٌ مستكره، وأُجيب عن هذا: بأنَّه لا يلزم أن يكون فيها مني ولا حيض فيحصل الولد بدون ذلك والله علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، فالحاصل أنَّ القولين متكافئان لا يظهر ترجيح أحدهما علىٰ الآخر:

وجاء في حديث أبي أُمامة صُدي بن عجلان الباهلي: أنّ النبي ﷺ قال: «ليس في الجنَّة مَنِيٌّ ولا مَنِيَّة» لا مني: هو الذي يخرج من الرجل، ولا مَنِيَّة: وهي الموت، رواهُ الطبراني في «المعجم الكبير» ٨/ ٩٦ (٧٤٧٩).

والعكــسُ أيضــاً مِثْــلُ حــوَّا أُمِّنــا

هــي أربــعٌ معلــومــةُ التِّبيــانِ

وكــذاك مــولــودُ الجِنــانِ يجــوزُ أنْ

يــأتــي بــلا حَيْــضٍ ولا فَيضــانِ

والأمــرُ فــي ذا مُمْكِــنٌ فــي نفسِــه

والقطــعُ مُمْتَنِــعٌ بــلا بُــرهــانِ(١)

---

(١) أجيب عن هذا الاعتراض بأنَّه لا يلزم من الولادة في الجنة ما يلزم في الدنيا، فلا يلزم عند وجود الولادة في الجنة وجود الدم أو المني من الرجل، فالجنة غير الدنيا، الولادة في الجنة نوعٌ ثان ليست كولادة الدنيا، وهذا جوابٌ قوي لأن خلق الإنسان في هذه الدنيا لا يخلو عن أربعة أقسام:

الأول: مِنَ النَّاس مَنْ خُلق من أمٍّ وأب وهم سائر البشر ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

الثاني: ومِن الناس مَنْ خلق بلا أم ولا أب وهو آدم عليه السلام خلقَه الله من تراب ليس له أب ولا أم.

الثالث: مَنْ خُلق من أنثىٰ بلا ذكر كعيسىٰ ابن مريم عليه السلام.

الرابع: مَنْ خُلق من ذكر بلا أنثىٰ كأمنا حواء خلقت من آدم بلا أُمٍّ.

فالقادر علىٰ خلق هذه الأقسام الأربعة المتقابلة قادرٌ علىٰ أن يخلق مولوداً بلا حيضٍ ولا دم، والإمام ابن القيم رحمهُ الله لمَّا ساق الخلاف توقَّف في هذه المسألة فلم يقطع بأحد القولين، ولذا قال: فالقطع ممتنع بلا برهان.

فصل

في رؤية أهل الجنَّة ربَّهم تبارك وتعالىٰ ونظرهم إلىٰ وجهه الكريم(١)

(١) ممَّا يكون في الجنة وهو أعظم وألذُّ شيء فيها رؤية وجه الله تعالىٰ، فإنَّ أهل الجنَّة يرون ربَّهم تعالىٰ كما دلَّت عليه الأحاديث والقرآن؛ لأنَّهم آمنوا به في الدنيا ولم يروه، بل آمنوا به غيباً في الدنيا، فجازاهُم الله بأن يتجلَّىٰ لهم يوم القيامة ويرونَه عياناً، وأمَّا الذين كفروا به في الدنيا فإنَّهم يُحجبون عنه في الآخرة لأنَّ الجزاء من جنس العمل، ولذا قال جلَّ وعلا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ولقد تواترت النصوص في إثبات رؤية المؤمنين لربِّهم تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فسَّر الرسول ﷺ الزيادة بأنَّها رؤية المؤمنين لربهم كما في صحيح مسلم(*).

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] يعني ناظرة إلىٰ وجه ربِّها تبارك وتعالىٰ والأحاديث عن الرسول ﷺ متواترة، والتواتر يُفيد القطع واليقين، فمن أنكر الرؤية فهو كافر لأنَّه مكذب لله ورسوله ولا ينكر ذلك إلا الجهمية ومن سار في ركابهم من المعتزلة(**).

(*) انظر «صحيح مسلم» (١٨١)، وسلف ذكر الحديث ص٣٣٧، وانظر ص١٢٥٧.

(**) انظر أحاديث رؤية الله عز وجل في «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/ ٥٥٧.

وَيَــرَوْنَــهُ سُبْحــانَــهُ مِــنْ فَــوْقِهِــمْ
نَظَـرَ العِيـانِ كمـا يُـرىٰ القمـرانِ[١]
هــذا تَــواتَــرَ عــن رســولِ اللهِ لَــمْ
يُنْكِــرْهُ إلاَّ فــاســدُ الإيمــانِ[٢]
وأتــىٰ بــه القــرآنُ تصـريحــاً وتَعْـ
ـرِيضـاً همـا بِسِيـاقِـهِ نَـوعـانِ[٣]
وهـي الـزيـادةُ قـد أتَتْ فـي يُونُسٍ
تفسِيــرَ مَــنْ قــد جــاءَ بــالقــرآنِ
ورواهُ عنــــه مُسْلِـــمٌ بصحيحـــه
يَــرْوِي صُهَيْــبٌ ذا بــلا كِتمــانِ
وهــو المــزيــدُ كــذاك فَسَّــرَهُ أبــو
بكــرٍ هــو الصِّــدِّيــقُ ذو الإيقــانِ

---

(١) ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٨] دلَّ علىٰ علوِّ الله فوق سماواته وفوق جناته وفوق مخلوقاته، وقوله: «نظر العيان»: يعني نظراً حقيقياً ليس نظراً في القلب وإنَّما هو نظر في البصر ومعاينة بالأبصار.

(٢) وهم الجهمية ومن سار في ركابهم من أهل التعطيل لا لشيء إلاّ لشبهاتٍ في نفوسهم وعقولهم الكاسدة، فهم أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله واعتمدوا علىٰ آرائهم الكاسدة.

(٣) أتىٰ القرآن بإثبات الرؤية تصريحاً وتعريضاً.

وعليـه أصحـابُ الـرسـولِ وتـابعُـو
هُـمْ بَعْـدَهُـمْ تَبَعِيَّـةَ الإحسـانِ[(١)]

ولقَـدْ أتَـىٰ ذِكْـرُ اللِّقَـاءِ لِـرَبِّنَـا الـرْ
رَحْمٰـنِ فـي سُـوَرٍ مِـنَ الفُـرْقَـانِ

ولقـاؤهُ إذ ذاك رؤيتُـهُ حكـىٰ الـ
إجمـاعَ فيـه جمـاعـةٌ ببيـانِ

وعليه أصحـابُ الحـديثِ جميعُهُـمْ
لُغَـةً وعُـرْفـاً ليـس يَختلفـانِ[(٢)]

هـذا ويَكْفـي أنَّـهُ سُبحـانَـهُ
وَصَـفَ الـوُجـوهَ بنظـرةٍ بِجنـانِ

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦]: الحُسنىٰ: الجنَّة، وزيادة: هي النظر إلىٰ وجه الله الكريم. وقد فسَّرها بذلك رسول الله ﷺ والحديث في «صحيح مسلم»(*) وإذا جاء التفسير عن رسول الله فلا كلام لأحد.

وكذلك جاء في سورة قٓ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [قٓ: ٣٥] فسَّر أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي هو أفضلُ هذه الأمة: المزيد بأنه النظرُ إلىٰ وجه الكريم، وأجمع عليه الصحابة والتابعون وتابعُوهم إلىٰ يوم الدين، كُلُّهم علىٰ هذا المذهب ولم يخالف فيه إلاّ أهل التعطيل.

(٢) لأن اللقاء يكون معه رؤية.

(*) سلف تخريجه ص٣٣٧.

وأعـــاد أيضـــاً وَصْفَهـــا نظـــراً وذا
لا شـــكَّ يُفْهَـــمُ رؤيـــةً بِعِيـــانِ

وأتَـتْ أداةُ إلىٰ لـرفـعِ الـوَهْـمِ مِـنْ
فِكْـرٍ كـذاكَ تَـرَقُّـبُ الإنسـانِ

وإضـافـةٌ لِمَحَـلِّ رؤيتِهِـمْ بـذِكْـ
ـرِ الـوجْـهِ إذ قـامَـتْ بـه العَيْنـانِ

تـاللهِ مـا هـذا بفكـرٍ وانتظـا
رِ مُغَيَّـبٍ أو رؤيـةٍ لِجِنـانِ

مـا فـي الجِنـانِ مِـن انتظـارِ مُـؤلِـمٍ
واللفـظُ يَـأبـاهُ لـذي العِـرفـانِ

لا تُفْسِـدوا لَفْـظَ الكتـابِ فليسَ فيـ
ـهِ حِيلَـةٌ يـا فِـرْقَـةَ الـرَّوَغـانِ

ما فَوْقَ ذا التصريحِ شيءٌ ما الذي
يـأتـي بـه مِـنْ بَعْـدِ ذا التِّبيـانِ[1]

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] من النضرة، وهي الحُسن والبهاء ثم قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] أي إلىٰ وجه الله سبحانَه وتعالىٰ. فهذه الآية تثبت الرؤية لله تعالىٰ من وجوه:

الأول: نضرة الوجه وحسنه فإنَّهم إذا نظروا إلىٰ وجه الله ازداد حُسنهم وازداد بهاؤهم زيادةً علىٰ ما يكون لهم في الجنة.

الثاني: أنَّه قال: «وجوه» وأسند هذا إلىٰ الوجوه، فالوجوه فيها العينان فهي محلُّ النظر. =

لَـوْ قَـالَ أَبْيَـنَ مَـا يُقَـالُ لَقُلْتُـمُ
هُـو مُجْمَـلٌ مَـا فيـه مِـنْ تِبيَـانِ(١)

ولقـد أتـىٰ فـي سُورةِ التَّطْفيـفِ أنْ
نَ القـومَ قـد حُجِبُوا عـن الـرحمٰـنِ

فيـدُلُّ بـالمفهـومِ أنَّ المـؤمنيـ
ـنَ يـرونَـهُ فـي جَنَّـةِ الحيـوانِ

وبـذا استـدَلَّ الشـافعـيُّ وأحمـدٌ
وسـواهُمـا مِن عَـالِمـي الأزمـانِ(٢)

= الثالث: أنَّه عدَّاهُ بـ«إلىٰ» والنظر إذا عُدِّي بـ«إلىٰ» فمعناهُ: المعاينة بالبصر، تقول: نظرتُ إلىٰ كذا، أي: عاينتُهُ ببصري، وأما إذا عُدِّي بنفسه فمعناهُ الانتظار كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] وإذا عدي بفي فمعناه التفكر والاعتبار كما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فليس هناك شيءٌ أصرح من هذا في إثبات الرؤية له تعالىٰ.

(١) يعني: لو جاء النصُّ الصريح الواضح فإنهم يجعلونَه مُجملاً ومحتملاً لآرائهم وتأويلاتهم، وهذا فيه تغليط للرسول ﷺ وللصحابة ولأهل اللغة.

(٢) هذا هو الموضع الثالث من إثبات الرؤية في القرآن كما في سورة المطففين ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]: فلما حجب الكفار عن الرؤية لربهم دلَّ علىٰ أنَّ المؤمنين غير محجوبين عن ربِّهم. بهذا استدلَّ الإمامان الجليلان الشافعي وأحمد علىٰ أنَّ الله إذا حجب الكفار عن رؤيته فإنَّ المؤمنين يرون ربَّهم وإلاّ لم يكن هناك فرقٌ بين المؤمنين والكفار، فدلَّ هذا علىٰ إثبات الرؤية له تعالىٰ.

وأتىٰ بـذا المفهـومِ تصـريحـاً بـآ
خِـرِهـا فـلا تُخْـدَعْ عـن القـرآنِ[١]

وأتـىٰ بـذاكَ مُكَـذِّبـاً للكـافـريـ
ـنَ السـاخـريـنَ بشيعـةِ الـرحمٰنِ[٢]

ضَحِكُـوا مِـنَ الكُفَّـارِ يُـوْمَئِـذٍ كَمَـا
ضَحِكُـوا هُـمُ مِنْهُـمْ علـىٰ الإيمـانِ

وأثَـابَهُـمْ نَظَـراً إليْـهِ ضِـدَّ مَـا
قَـدْ قَـالَـهُ فِيهِـمْ أُولُـوا الكُفْـرَانِ

فلـذاك فَسَّـرَهـا الأئمـةُ أنَّـهُ
نظـرٌ إلـىٰ الـرَّبِّ العظيـمِ الشـانِ

---

(١) وأتىٰ بهذا المفهوم الذي ذكرَهُ الإمامان الشافعي والإمام أحمد في آخر السورة، حيث قال: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤] فالكفار ضحكوا وسخروا من المؤمنين في الدنيا، والله تعالىٰ يُجازيهم يوم القيامة بأن يجعل المؤمنين يضحكون منهم وهم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥] ينظرون إلىٰ أعدائهم وهم يعذبون في النار، وينظرون إلىٰ الجنَّة وإلىٰ وجه الله وهو أعظم شيء وألذ شيء، وأطلق النظر ليشمل كلَّ شيء، وأعظم النظر هو رؤية الله تعالىٰ.

(٢) يعني الساخرين بهم في الدنيا، ففي يوم القيامة يضحك المؤمنون من الكُفَّار جزاءً وعقوبةً لهم.

لله ذاكَ الفهـمُ يُـؤْتيـهِ الـذي
هُـوَ أهلُـهُ مَـنْ جـادَ بـالإحسـانِ[١]

وروىٰ ابنُ ماجةَ مُسْنَداً عن جابرٍ
خبـراً وشـاهِـدُهُ ففـي القـرآنِ

بَينـا هُـمُ فـي عَيْشِهِـمْ وسُـرورِهِـمْ
ونَعيمِهِـمْ فـي لَـذَّةٍ وتَهـانِـي

وإذا بنـورٍ سـاطـع قـد أَشْـرَقَـتْ
منـهُ الجِنـانُ قصيُّهـا والـدانـي

رَفعُـوا إليـه رُؤوسَهُـمْ فـرأَوْهُ نُـوْ
رَ الـرَّبِّ لا يَخْفَـىٰ علـىٰ إنسـانِ

وإذا بِـربِّهِـمُ تعـالـىٰ فـوقَهُـمْ
قـد جـاءَ للتسليـمِ بـالإحسـانِ

قـالَ السـلامُ عليكُـمُ فيـرونَـهُ
جَهْـراً تعـالـىٰ الـرَّبُّ ذو السُّلطـانِ

مصـداقُ ذا يَـس قـد ضَمِنَتْـهُ عنـ
ـدَ القـولِ مِـنْ ربٍّ بِهِـمْ رَحْمٰـنِ

مَـنْ رَدَّ ذا فعلـىٰ رسـولِ اللهِ رَدْ
دَ وسـوفَ عِنْـدَ اللهِ يلتقيـانِ

---

(١) أئمة التفسير فسَّروا قوله تعالىٰ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥] بأنَّه النظر إلىٰ وجه الله عزَّ وجل، لأنَّ هذا أعظم نعيم يُعطونَه، والله تعالىٰ يؤتي مثل هذا الفهم لأهله.

فــي ذا الحــديــثِ عُلُــوُّهُ ومَجيئُــهُ
وكــــلامُــــهُ حتَّــــىٰ يُــــرَىٰ بِعِيــــانِ

هــذي أصــولُ الــديــنِ فــي مَضمــونِــهِ
لا قَــوْلَ جَهْــمٍ صــاحِــبِ البُهتــانِ[1]

وكــذا حــديــثُ أبــي هــريــرةَ ذلــك الــ
ــخبَــرُ الطــويــلُ أتــىٰ بــه الشيخــانِ

فيــه تَجَلِّــي الــرَّبِّ جــلَّ جــلالُــهُ
ومجيئُــــهُ وكــــلامُــــهُ بِبيــــانِ[2]

---

(١) انتقل إلىٰ أدلة السنة علىٰ إثبات الرؤية لله تعالىٰ، فمن ردَّ أحاديث الرؤية فقد ردَّ علىٰ رسول الله، وسوف يلتقي هو والرسول عند الله يوم القيامة وسيُخاصمُه رسول الله لأنَّه كذَّب أحاديثَه ففي حديث جابر عند ابن ماجه «فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم»(*) إثبات علو الله تعالىٰ لأنَّه يسطع عليهم نور من فوقهم فيرون الله تعالىٰ، وذلك برفع رؤوسهم والرفع يكون إلىٰ أعلىٰ، ففي هذا الحديث إثبات ثلاثة أمور:

الأول: العلو لله عزَّ وجل.

الثاني: رؤية المؤمنين لربهم وهذا هو محلُّ الشاهد.

الثالث: إثبات الكلام لله عزَّ وجل خلافاً للجهمية الذين ينفون كلَّ هذه الأمور.

(٢) هذا هو الدليل الثاني: حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة لأهل الموقف(**).

(*) سلف تخريجه ص٤٥١.

(**) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة.

وكـــذاكَ رُؤْيَتُـــهُ وتَكْلِيـــمٌ لِمَـــنْ
يَخْتَـــارُهُ مـــنْ أُمَّـــةِ الإنْسَـــانِ

فيـهِ أُصُـولُ الـدِّيـنِ أَجْمَعُهَـا فَـلا
تَخْـدَعْـكَ عَنْـهُ شِيعـةُ الشيطـانِ

وحكـىٰ رسـول الله فيـه تجـدُّدَ الـ
ـغضـبِ الـذي للـرَّبِّ ذي السُّلطـانِ

إجماعَ أهلِ العزمِ مِن رسولِ الإلـ
ـهِ وذاكَ إجمـاعٌ علـىٰ البُـرهـانِ[1]

لا تُخْدَعَـنَّ عَـنْ الحـديـثِ بهـذهِ الْـ
آرَاءِ فَهْـــيَ كثيـــرَةُ الهَـــذَيـــانِ

أصْحَـابُهَـا أهْـلُ التَّخَـرُّصِ والتَّنَـا
قُـضِ والتَّهَـاتُـرِ قَـائِلُـو البُهْتَـانِ

يكفيكَ أنَّكَ لو حَرَصْتَ فلن تَرَىٰ
فِئتَيْـــنِ منهُـــمْ قـــطُّ يَتَّفِقَـــانِ

إلاَّ إذا مـــا قَلَّـــدا لســـواهُمـــا
فتـــراهُـــمُ جيـــلاً مِـــن العُميـــانِ

---

(١) في هذا الحديث: «إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثله ولن يغضب بعدَه مثله»(*) وأهل العزم هم الرسل الذين يطلب منهم الخلق الشفاعة يوم القيامة لفصل القضاء.

(*) قطعة من حديث أبي هريرة الطويل في الشفاعة انظر الصفحة السابقة.

ويقُــودُهُــمْ أعمــىٰ يُظَــنُّ كَمُبْصِــرٍ
يــا مِحْنَــةَ العُميــانِ خَلْــفَ فُــلانِ(١)

هــل يستــوي هــذا ومُبْصِــرُ رُشْــدِهِ
اللهُ أكْبَــــرُ كَيْــــفَ يَستَــــويـــانِ(٢)

أَوَ مــا سَمِعْــتَ منــادي الإيمــانِ يُخْــ
ــبِــرُ عَــنْ منــادي جَنَّــةِ الحيــوانِ

يــا أهلَهــا لكُــمُ لــدىٰ الـرحمٰـنِ وَعْــ
ــدٌ وهْــوَ مُنْجِــزُهُ لَكُــمْ بِضَمــانِ

قــالُــوا أمَــا بَيَّضْــتَ أوْجُهَنــا كــذا
أعمــالُنـــا أثْقَلْــتَ فــي الميــزانِ

وكــذاكَ قــد أدْخَلْتَنــا الجنــاتِ حيــ
ــنَ أجَــرْتَنــا مِــنْ مَــدْخَــلِ النيــرانِ

فيقــولُ عنــدِي مَــوْعِــدٌ قــد آن أنْ
أُعْطيكُمُــوهُ بِــرَحْمَتــي وحَنــانــي

---

(١) وممَّا يدلُّكَ علىٰ بطلان المعطلة اختلافهم فيما بينهم حتىٰ يصل الأمر إلىٰ تكفير بعضهم بعضاً، لأنَّهم ليسوا علىٰ شيء، وكلٌّ يدعي أنَّ الحقَّ معه. وهم عُميان والذي يقودُهُم أعمىٰ وهو الجهم بن صفوان وأتباعه، فكيف يعرفون الطريق والقائد أعمىٰ.

(٢) هل يستوي من يأخذ عقيدتَه من الكتاب والسنة ومن يأخذُها عن الجهم ابن صفوان وواصل بن عطاء، لا يستوي هذا وهذا.

فَيَـرَوْنَـهُ مِـنْ بَعْـدِ كَشْـفِ حِجـابِـهِ
جَهْــراً روىٰ ذا مُسلِــمٌ بِبيــانِ[١]

ولَقَـدْ أتـانـا فـي الصَّحيحَيْـنِ اللـذيـ
ـنِ هُمـا أصـحُّ الكُتْـبِ بَعْـدَ قُـرآنِ

بـروايـةِ الثِّقَـةِ الصَّـدوقِ جـريـرٍ الـ
ـبجلــيِّ عمَّــن جــاءَ بــالقــرآنِ

أنَّ العبــاد يــرونَــهُ سبحــانَــهُ
رُؤْيـا العِيـانِ كمـا يُـرىٰ القمـرانِ[٢]

فإن اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وقْتٍ فَاحْفَظُوا الْـ
ـبَرْدَيْـنِ مـا عِشْتُـمْ مَـدَىٰ الأزْمَـانِ

---

(١) هذا مضمون حديث ثالث رواه صهيب الرومي، عن النبي ﷺ: إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ فإنَّ الله جلَّ وعلا يُنادي أهل الجنَّة فيقول: يا أهل الجنَّة هل تريدون شيئاً أُعطيكموه؟ فيقولون: يا ربنا أَلَمْ تُبيِّض وجوهنا؟ ألم تُعطنا كذا وكذا؟ فيقول: إنَّ لكم موعداً أُريد أن أُنجزكموه فيكشف الحجابَ ويتجلىٰ لهم، فيرونه بأبصارهم ويتنعمون برؤيته(*).

(٢) في هذا الحديث: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامُون في رؤيته» وهذا في الصحيحين(**).

(*) سلف تخريجه ص٣٣٧.

(**) سلف تخريجه ص١٣٠.

ولقَـدْ روىٰ بضـعٌ وعشـرون امْـرأً
مِـنْ صَحْـبِ أحمـدَ خيـرَةِ الـرحمٰـنِ

أخبـارَ هـذا البـابِ عمَّـن قـد أتـىٰ
بـالـوَحْـي تفصيـلاً بـلا كِتمـانِ[1]

وألَــذُّ شَــيْءٍ لِلْقُلُــوبِ فَهَــذِهِ الْـ
أَخْبَارُ مَعْ أَمْثَالِهَا هِيَ بَهْجَةُ الإيمَانِ

واللهِ لـوْلا رُؤْيَـةُ الـرَّحْمٰـنِ فـي الْـ
ـجَنَّـاتِ مَـا طَـابَـتْ لـذي العِـرْفَـانِ

أعلـىٰ النَّعِيـمِ نَعِيـمُ رُؤْيَـةِ وجْهِـهِ
وخِطَـابِـهِ فـي جَنَّـةِ الحَيَـوانِ

وأشَـدُّ شَـيْءٍ فـي العَـذَابِ حِجَـابُـهُ
سُبْحَـانَـهُ عَـنْ سَـاكِنِـي النِّيـرَانِ

وإذا رآهُ المـؤمنـون نَسُـوا الـذي
هُـمْ فيـه مِمَّـا نـالـتِ العَينـانِ[2]

فـإذا تَـوارَىٰ عَنْهُـمُ عَـادُوا إلـىٰ
لـذَّاتِهِـمْ مِـنْ سَـائِـرِ الألْـوَانِ

---

(١) بضعٌ وعشرون صحابياً رووا أحاديث الرؤية فدلَّ هذا علىٰ تواتُرها.

(٢) ينسون نعيم الجنَّة عند رؤية الله سبحانَه وتعالىٰ، لأنه ليس هناك شيء أعظم نعيماً لهم من رؤية الله تعالىٰ؟!

فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَتِهِ سِوَىٰ
هذا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الأَمْرَانِ
أو ما سمعتَ سُؤالَ أعْرَفِ خَلْقِهِ
بجلالِهِ المبعوثِ بالقرآنِ
شوقاً إليه ولذَّةَ النَّظَرِ التي
بِجَلالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطانِ[1]
فالشَّوْقُ لذَّةُ رُوحِهِ في هذِهِ الدْ
دُنْيَا ويَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ
تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الذي فَازَتْ بِهِ
دُونَ الجَوَارِحِ هذِهِ العَيْنَانِ
واللهِ مَا في هذِهِ الدُّنْيَا أَلَذْ
ذُ مِنَ اشْتِيَاقِ العَبْدِ لِلرَّحْمٰنِ
وكذاكَ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ
هِيَ أكْمَلُ اللَّذَاتِ للإنْسَانِ

---

(١) هذا كما في دعاء الرسول ﷺ: «وأسألك لَذَّةَ النظرِ إلىٰ وجهكَ الكريم والشوقَ إلىٰ لقائكَ من غير ضرَّاء مُضِرَّةٍ ولا فتنةٍ مُضلَّةٍ»(*) فلذة النظر تحصل في الجنة، والشوق إلىٰ لقائه حاصل في الدنيا، فأعظم شيء في الدنيا هو الشوق إلىٰ لقاء الله تعالىٰ.

(*) قطعة من حديث زيد بن ثابت أخرجه أحمد في «المسند» ٣٥/ ٥٢٠ (٢١٦٦٦).

لكنَّمـــا الجَهْمِـــيُّ يُنْكِــرُ ذا وذا
والـوجْـهَ أيضـاً خشيـةَ الحِـدْثـانِ

تبّـاً لَـهُ المخـدوعُ أنكـرَ وَجْهَـهُ
ولقـــاءَهُ ومَحَبَّـــةَ الـــدَّيَّـــانِ[١]

وكَـــلاَمَـــهُ وصِفَـــاتِـــهِ وعُلُـــوَّهُ
والعَـرْشَ عَطَّلَـهُ مِـنَ الـرَّحْمٰـنِ

فتـــراهُ فـــي وادٍ وَرُسْـــلُ الله فـــي
وادٍ وذا مِـــن أعظـــمِ الكُفـــرانِ[٢]

* * *

(١) الجهمي ينكر الشوق إلىٰ لقاء الله ومحبة الله ورؤية الله في الجنة وينكر وجه الله، وهذا هو الكفر. شبهتُه في ذلك أنَّ هذه حوادث واللهُ مُنزَّهٌ عن الحوادث وهذا كلامٌ باطل ـ والعياذ بالله ـ.

(٢) هذا مشاقَّة لله ولرسوله ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

فصل

في كلام الرب جلَّ جلالُهُ مع أهل الجنَّة(١)

أوَ مـا عَلِمْـتَ بـأنَّـهُ سُبْحـانَـهُ
حَقّـاً يُكَلِّـمُ حِـزْبَـهُ بِجِنـانِ

فيقـولُ جَـلَّ جـلالُـهُ هَـلْ أَنْتُـمُ
راضُـونَ قـالـوا نَحْـنُ ذو رِضـوانِ

---

(١) كلام الله سبحانَه صفةٌ من صفاته الفعلية، فهو يتكلَّم كما يشاء سبحانَه وتعالىٰ، ولا نتعرض لكيفيته فهذا أمر لا يعلمه إلاّ الله، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وأمَّا الجهمية ومَن سار في ركابهم من الفرق الضالَّة فإنَّهم ينفون الكلام عن الله تعالىٰ كما ينفون سائر الصفات، ويجعلون نسبة الكلام إلىٰ الله مجازاً، وذلك لأنَّ الله خالق الكلام عندهم فيُضاف إليه إضافة مخلوق، والله سبحانَه يتكلَّم متىٰ شاء وكيف شاء سبحانَه وتعالىٰ؛ لأنَّ كلامَه من صفات أفعاله فهو يتكلَّم متىٰ شاء؛ تكلم في الماضي ويتكلم في المستقبل ويوم القيامة فهو يأمر وينهىٰ بكلام ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسۤ: ٨٢] وكلامُه سبحانَه تارةً يصل إلينا بواسطة كالقرآن فإنَّه كلام الله لكنَّنا لم نسمعه من الله وإنَّما وصل إلينا بواسطة جبريل إلىٰ محمد ﷺ، ومن كلام الله ما يُسمع بلا واسطة كما سمعَه موسىٰ عليه السلام «كليم الله» وكذلك يُكلِّم أهل الجنَّة بكلام يسمعونَه بلا واسطة مباشرة وهذا الذي ذكرَه ابن القيم في هذا الباب.

أَمْ كيـفَ لا نَـرْضَـىٰ وقَـدْ أَعْطَيتَنـا
مـا لَـمْ يَنَلْـهُ قـطُّ مِـن إنسـانِ[١]
هَـلْ ثَـمَّ شـيءٌ غَيْـرَ ذا فيكـونُ أفْـ
ـضَـلَ منـه نَسْـألُـهُ مِـن المَنّـانِ
فيقـولُ أَفْضَـلُ منـه رِضْـواني فـلا
يَغشـاكُـمُ سُخْـطٌ مِـن الـرحمٰـنِ[٢]
ويُـذَكِّـرُ الـرحمٰـنُ واحِـدَهُـمْ بمـا
قـد كـان منـه سَـالـفَ الأزمـانِ[٣]

---

(١) يقول جلَّ وعلا لهم: رضيتم فيقولون: يا ربَّنا وما لنا لا نرضىٰ وقد بيَّضت وجوهنا وأدخلتنا الجنَّة فيقول: عندي لكم زيادة(*).

(٢) أفضل ممّا أنتم فيه من النعيم رضواني عليكم، فيرضىٰ عنهم رضاً لا يسخط بعدَه أبداً كما قال تعالىٰ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة: ٧٢].

(٣) ومن كلامِه سبحانه لأهل الجنَّة: أنَّه يُحاور بعض أهل الجنَّة باسمه: يا فلان أما تذكر يوم فعلت كذا وكذا في الدنيا فيُذَكِّرُه ببعض غدراته وخطاياه فيقول: يا ربِّ ألم تغفر لي فيقول: وبمغفرتي دخلت الجنَّة. هذا وليس ذلك من باب التوبيخ وإنَّما هو من باب تذكيره بنعمة الله عليه لأجل أن يشكر الله تعالىٰ(**).

(*) انظر ما سلف ص١٢٤٧، ١٢٤٩، تفسير الزيادة.

(**) انظر حديث ابن عمر في «صحيح البخاري» (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨). وحديث أبي هريرة في «جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

مِنْـهُ إليْـهِ ليْـسَ ثَـمَّ وسَـاطَـةٌ
مَـا ذاكَ تَـوْبِيخـاً مِـنَ الـرَّحْمٰـنِ

لَكِـنْ يُعَـرِّفُـهُ الـذي قَـدْ نَـالَـهُ
مِـنْ فَضْلِـهِ والعَفْـوِ والإِحْسَـانِ

ويُسلِّـمُ الـرحمٰـنُ جَـلَّ جـلالُـهُ
حَقّـاً عليهِـمْ وهـو فـي القـرآنِ

وكـذاك يُسْمِعُهُـمْ لـذيـذَ خِطـابِـهِ
سُبحـانَـهُ بتـلاوةِ الفُـرقـانِ

فكـأنَّهُـمْ لَـمْ يَسْمَعُـوه قَبْـلَ ذا
هـذا رواهُ الحـافِـظُ الطبـرانـي[1]

هـذَا سَمَـاعٌ مُطْلَـقٌ وسَمَـاعُنَـا الْـ
ـقُـرْآنَ فـي الـدُّنْيَـا فَنَـوْعٌ ثَـانِ

واللهُ يُسْمِـعُ قـولَـهُ بِـوَسَـاطَـةٍ
وبِـدونِهـا نـوعـانِ مَعْـروفـانِ[2]

---

(١) وهذا أيضاً: من كلامِه تعالىٰ مع أهل الجنَّة أنَّه يُسلِّم عليهم وهذا في القرآن في سورة «يسٓ» ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يسٓ: ٥٨] ويسمعون صوت الرحمٰن جلَّ وعلا بتلاوة القرآن فلا يسمعُون صوتاً ألذَّ منه.

(٢) يعني: يسمع كلام الله بالواسطة فلا يسمعُه مباشرة كما في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، أما سماع موسىٰ عليه السلام فإنّه لم يكن بواسطة أحد، بل هو مباشرة من الله، =

فَسَمَاعُ مُوسَىٰ لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةٍ
وسَمَاعُنَا بِتَوَسُّطِ الإِنْسَانِ
مَن صَيَّرَ النوعينِ نوعاً واحداً
فمخالفٌ للعقلِ والقرآنِ[1]

* * *

= وهذا من خصائص موسىٰ عليه السلام الذي امتاز به علىٰ سائر النبيين، ولذلك سُمي كليم الله، وأمَّا نحن فسماعنا لكلام الله فهو بواسطة نبينا محمد ﷺ.

(١) الجهمية قالوا: كلام الله شيء واحد وهو مخلوق خلقَه الله في محمد أو في جبريل، وهذا باطل لأنَّ كلامَه صفةٌ من صفاته كذاته سبحانَه وتعالىٰ غير مخلوق.

فصل

في يوم المزيد وما أعدَّ لهم فيه من الكرامة[١]

أَوَ ما سَمِعْتَ بشأنهم يوم المزِيْـ
ـــد وأنَّــه شــأنٌ عظيـمُ الشــانِ

هـو يـومُ جُمْعَتِنـا ويـومُ زيـارةِ الـرْ
رَحْمٰــنِ وقــتَ صــلاتِنــا وأذانِ[٢]

والسـابقـونَ إلـىٰ الصـلاةِ هُـمُ الأُلَـىٰ
فَــازُوا بــذاكَ السَّبْــقِ بــالإحســانِ

---

(١) لأهل الجنَّة يوم المزيد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٥] وهذا المزيد: أنَّهم يرون الله تعالىٰ ويجتمعون في مكان من الجنَّة ويجلسون علىٰ الكراسي وكُثبان المسك ثمَّ يتجلَّىٰ لهم سبحانَه وتعالىٰ ويُخاطبهم ويُكلِّمُهم(*).

(٢) يوم المزيد هو في الآخرة مثل يوم الجمعة في الدنيا وهذا يدلُّ علىٰ فضل يوم الجمعة فهو يوافق يوم المزيد حيث يزور أهل الجنة الرب سبحانه ويكلمهم جلَّ وعلا، فالذي لا يُقدِّر ولا يحترم يوم الجمعة ولا يحضر فيه فإنَّه يُحرم يوم المزيد ـ والعياذ بالله ـ.

(*) انظر «تفسير الطبري» ١١/ ٤٣٠-٤٣١ (٣١٩٣٨)، و«تفسير ابن كثير» ٧/ ٤٠٧ [قٓ: ٣٥]، و«جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

سَبْــقٌ بَسَبْــقٍ والمُــؤَخَّــرُ هــا هُنــا
مُتَــأخِّـــرٌ فـــي ذلـــكَ الميـــدانِ
والأقربونَ إلىٰ الإمامِ فَهُمْ أُوْلُو الزْ
زُلْفَــىٰ هُنــاك فهــا هُنــا قُــرْبــانِ
قُــرْبٌ بِقُــرْبٍ والمُبــاعِــدُ مِثْلُــهُ
بُعْــدٌ بِبُعْــدٍ حِكْمَــةُ الــدَّيّــانِ[1]
ولهــم منــابِــرُ لــؤلــؤٍ وزَبَــرْجَــدٍ
ومنـــابــرُ اليــاقُــوتِ والعِقيــانِ[2]
هــذا وأدنــاهُــمْ ومــا فيهِــمْ دَنِــي
مِــنْ فَــوْقِ ذاكَ المِسْـكِ كـالكُثبـانِ[3]

---

(١) السابقون إلىٰ صلاة الجمعة هم السابقون إلىٰ الله جلَّ وعلا في يوم المزيد، فالجزاء من جنس العمل، فيكون الذين في الصف الأول يوم الجمعة هم الذين يقربُون من الربِّ تعالىٰ في يوم المزيد فهذا فيه الحثُّ علىٰ التبكير في يوم الجمعة، والذي يتأخر في الحضور إلىٰ صلاة الجمعة يؤخَّر في الحضور يوم المزيد في يوم القيامة، فالله تعالىٰ لا يظلم الناسَ شيئاً.

(٢) توضع لهم منابر وليست مثل منابر الدنيا من خشبٍ وطين بل هي منابر من زبرجدٍ ولؤلؤ لم تَجْرِ بها العادة في الدنيا.

(٣) الذي لا يجلس علىٰ كرسي فإنَّه يجلس علىٰ مرتفعات وكثبان من المسك لا من التراب والرمل الذي في الدنيا وإنَّما من المسك الطيب الرائحة الليِّن.

مـا عِنْدَهُـمْ أهْـلُ المَنَـابِـرِ فَـوْقَهُـمْ
مِمَّـا يَـرَونَ بِهِـمْ مِـنَ الإحْسَـانِ
فَيَـرَوْنَ رَبَّهُـمُ تَعَـالـىٰ جَهْـرَةً
نَظَـرَ العيَـانِ كَمَـا يُـرَىٰ القَمَـرَانِ
ويُحَـاضِـرُ الـرحمٰـنُ واحـدَهـم مُحَـا
ضَـرَةَ الحبيـبِ يقـولُ يـا بْـنَ فـلانِ
هل تذكُرُ اليومَ الذي قد كنتَ فيـ
ـه مُبَـارِزاً بـالـذَّنْـبِ والعِصيـانِ
فيقـولُ ربِّ أمَـا مَنَنْـتَ بِغَفْـرَةٍ
قِـدْمـاً فـإنَّـكَ واسـعُ الغُفْـرانِ
فيُجيبـهُ الـرحمٰـنُ مَغفِـرتـي التـي
قَدْ أوصلَتْكَ إلىٰ المَحلِّ الداني(١)

* * *

(١) اللهُ يُذكِّرُه من أجل أن يشكر نعمة الله عليه وأن يعترف أنَّه ما وصل لهذه المنزلة إلاّ بمغفرة الله ورحمته عزَّ وجل، وليس القصد هو توبيخُه وإنَّما تذكيرُه بنعمة الله عليه بأنَّ الله غفر له وأكرمه فيُصيبُه السرور من ذلك(*).

(*) انظر ما سلف ص١٢٦٢، و«جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

فصل

في المطر الذي يُصيبُهم هناك[١]

ويُظِلُّهـــم إذ ذاكَ مِنْـــهُ سَحـــابَـــةٌ
تـــأتـــي بمثـــلِ الـــوابـــلِ الهَتَّـــانِ
بَينـــا هُـــمُ فـــي النُّـــورِ إذ غَشِيَتْهُـــمُ
سُبحـــانَ مُنْشيهـــا مِـــن الـــرِّضـــوانِ
فتظَـــلُّ تُمْطِـــرُهُـــمْ بطيـــبِ مـــا رأَوْا
شَبَهـــاً لـــه فـــي ســـالِـــفِ الأزمـــانِ
فيـــزِيـــدُهُـــمْ هـــذا جمـــالاً فـــوقَ مـــا
لَهُـــمُ وتلـــك مـــواهـــبُ المَنَّـــانِ[٢]

* * *

(١) وممَّا يُكرمُهم الله به في يوم المزيد أنَّها تنشأ سحابة وتمطرُهُم طيباً ما شمُّوا رائحةً أحسن منه(*).

(٢) يصيبهم من السحابة طيب ما شموا مثله، وتزيدهم جمالاً وبهاء إلىٰ جمالهم وبهائهم.

(*) انظر حديث أبي هريرة في «جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

فصل

في سوق الجنَّة الذي ينصرفُون إليه من ذلك المجلس[(١)]

فيَقُـول جـلَّ جـلاَلَـهُ قُـومُـوا إلـىٰ
مَـا قَـدْ ذَخَـرْتُ لَكُـمْ مِـنَ الإحْسَـانِ

يَـأْتُـونَ سُـوقـاً لا يُبَـاعُ ويُشْتَـرَىٰ
فيــهِ فَخُــذْ مِنْــهُ بِــلاَ أثْمَــانِ

قـد أسلـفَ التجـارُ أثمـانَ المبيـ
ـعِ بعَقْـدِهِـمْ في بيعـةِ الـرِّضـوانِ[(٢)]

لله سُــوقٌ قــد أقــامتْــهُ المــلا
ئكـةُ الكـرامُ بِكُـلِّ مـا إحسـانِ[(٣)]

---

(١) وبعد ما ينتهي مجلسهم مع الربِّ سبحانَه وتعالىٰ ينصرفون إلىٰ سوق فيه كل ما يشتهون وما يُريدُون مَعْروضٌ لهم فيأخذون منه ما يريدون بلا ثمن لأنَّهم قدَّمُوا الثمن في الدنيا وهو الأعمال الصالحة[(*)].

(٢) أسلفُوا الثمن في الدنيا وهو الأعمال الصالحة وهذا من ثمرات أعمالهم في الدنيا، والإسلاف: هو تقديم الثمن وتأجيل المثمن، هذا هو السلف والسَّلَم عند الفقهاء، فهم قدَّموا الثمن في الدنيا، وهي الأعمال الصالحة، مثل ما يُسلف التجار في السلع في الدنيا.

(٣) هذا السوق تُقيمُهُ الملائكة لا تقيمه الناس كما تقيم الأسواق في الدنيا.

(*) انظر حديث أبي هريرة في «جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

فيهَــا الــذي واللهِ لا عَيْــنٌ رأتْ
كَــلاَّ ولا سَمِعَــتْ بِــهِ أُذُنَــانِ
كَـلاَّ ولَـمْ يَخْطُـرْ علىٰ قَلْـبِ امْرِئٍ
فَيَكُــونَ عَنْــهُ مُعَبِّــراً بِلِسَــانِ
فيـرىٰ امـرأً مِـن فـوقِـهِ فـي هَيْئَـةٍ
فَيَــرُوعُــهُ مــا تنظُــرُ العينــانِ
فــإذا عليــه مِثْلُهــا إذ ليــس يَلْـ
ـحَقُ أهلَهَـا شيءٌ مِـن الأحـزانِ[1]
واهـاً لـذا السُّوقِ الـذي مَـنْ حَلَّـهُ
نــالَ التَّهــانــي كُلَّهَــا بــأمــانِ
يُـدعَىٰ بسُـوقِ تَعَـارُفٍ مـا فيـه مـن
صَخَــبٍ ولا غِــشٍّ ولا أيْمــانِ[2]
وتجــارةٌ مَــنْ ليــس تُلهيــهِ تجــا
راتٌ ولا بيــعٌ عــن الـرحمٰــنِ[3]

---

(١) إذا رأىٰ أحدٌ من أهل الجنَّة أخاهُ في حُلَّةٍ تعجِبُه ففي لحظةٍ يكون عليه مثلُها لئلا يكون في نفسه حزنٌ.

(٢) سوق الجنة ليس مثل أسواق الدنيا فيها ضجيج وأصوات وصخب وأيمان كاذبة وغش وخديعة، لأنَّ أسواق الدنيا مساكن الشياطين، وأمَّا سوق الجنَّة فهو طاهرٌ طيِّبٌ ليس فيه صخب ولا كذب ولا أيمانٌ كاذبة كما في أسواق الدنيا.

(٣) والتجارات التي في أسواق الجنة لا تُلهي عن ذكر الله بخلاف التجارات =

أهْـــلُ المُـــرُوَّةِ والفُتُــوَّةِ والتُّقَـــىٰ
والـــذِّكْــرِ للـــرَّحْمٰـــنِ كُـــلَّ أوانِ
يـا مَـنْ تَعَـوَّضَ عنـهُ بـالسـوقِ الـذي
رُكِــزَتْ لـــديـــهِ رايـــةُ الشيطـــانِ
لو كُنتَ تدري قَدْرَ ذاكَ السوقِ لَمْ
تَرْكَنْ إلىٰ سُوقِ الكسادِ الفاني(١)

* * *

= التي في الدنيا فإنَّها تُلهي عن ذكر الله، ولهذا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩] وقال سبحانه: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

(١) هذا تذكير من الشيخ رحمه الله بمخاطر أسواق الدنيا لَمّا ذَكَرَ سوق الآخرة حذَّر من سوق الدنيا، والشيء بالشيء يُذكر.

فصل

في حالهم عند رجوعهم إلىٰ أهليهم ومنازلهم[١]

فــإذا هُــمُ رَجَعُــوا إلــىٰ أهليهِــمُ
بمــواهــبٍ حَصُلَــتْ مِــن الــرحمٰــنِ

قــالــوا لهــم أهــلاً ورَحْبــاً مــا الــذي
أُعطِيتُــمُ مِــن ذا الجمــالِ الثــانــي[٢]

واللهِ لازْدَدْتُــمْ جَمَــالاً فَــوْقَ مَــا
كُنْتُــمْ عَلَيْــهِ قَبْــلَ هــذا الآنِ

قــالُــوا وأنْتُــمْ والــذي أنْشَــاكُــمُ
قَــدْ زِدْتُــمُ حُسْنــاً علــىٰ الإنْسَــانِ

لكِــنْ يَحِــقُّ لنَــا وقَــدْ كُنَّــا إذاً
جُلَسَــاءَ رَبِّ العَــرْشِ ذي الــرِّضْــوانِ

فَهُــمُ إلــىٰ يَــوْمِ المَــزِيــدِ أَشَــدُّ شَــوْ
قــاً مِــنْ مُحِــبٍّ لِلْحَبِيــبِ الــدَّانِــي

* * *

---

(١) يعني: إذا رجعُوا من زيارة الربّ إلىٰ منازلهم وأهليهم.

(٢) عادُوا أجمل ممّا كانوا يوم يذهبون(*).

(*) انظر حديث أبي هريرة في «جامع الترمذي» (٢٥٤٩).

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة النوم والموت عليهم(١)

هــذَا وخَــاتِمَــةُ النَّعِيــمِ خُلُــودُهُــمْ
أبــداً بِــدَارِ الخُلْــدِ والــرِّضْــوَانِ

أو ما سَمِعْتَ مناديَ الإيمانِ يخـ
ـبِـرُ عَـنْ مُنـاديهـم بِحُسْــنِ بيـانِ

لكُــمُ حيــاةٌ مــا بهــا مــوتٌ وعــا
فيــةٌ بــلا سَقَــمٍ ولا أحــزانِ

ولكُــمْ نَعيــمٌ مــا بِــهِ بُــؤْسٌ ومــا
لِشبــابِكُــمْ هَــرَمٌ مــدَىٰ الأزمــانِ

كــلاَّ ولا نــومٌ هنــاكَ يكــون ذا
نَــوْمٌ ومــوتٌ بيننــا أخَــوانِ

---

(١) مع هذه النعم وهذه المنازل العالية يُقال لهم: يا أهل الجنَّة خلودٌ ولا موت ولا هم ولا حزن ولا خوف ولا أيُّ منغص في هذه الجنَّة، وليس فيها نوم لأنَّ النوم نوعٌ من الموت، ويُسمَّىٰ الوفاة الصُغرىٰ. قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠] فالنوم موتٌ أصغر، والجنة ليس فيها موتٌ أكبر ولا أصغر.

هـذا علمنـاهُ اضطـراراً مـن كتـا
ب الله فـافْهَـمْ مُقتضَـىٰ القـرآنِ[١]
والجَهْـمُ أفنـاهـا وأفنـىٰ أهلَهـا
تَبّـاً لـذاكَ الجـاهـلِ الفتّـانِ
طَرْداً لنفي دوامِ فِعْلِ الرَّبِّ في الـ
ـمـاضـي وفـي مُستقبَـلِ الأزمـانِ
وأبـو الهُـذيـلِ يقـولُ يفنَـىٰ كـلُّ مـا
فيهـا مِـن الحـركـاتِ للسُّكّـانِ

---

(١) منادي الإيمان: هو الرسول ﷺ يخبر بأنَّـه «إذا صار أهـل الجنَّة إلىٰ الجنَّة وأهل النار إلىٰ النار، يؤتىٰ بالموت في صورة كبش أملح ثمَّ يُذبح وهم ينظرون ويُقال: يا أهل الجنَّة خلودٌ ولا موت ويـا أهل النار خلودٌ ولا موت»(*) فالذي يُذبح هو الموت، والموت وإن كان معنىً من المعاني إلاّ أنَّه يوم القيامة يُصوَّر ويصير جسماً بأن يُجعل في صورة كبش، والله تعالىٰ قادر علىٰ كلِّ شيء، كما أنَّ الأعمال يوم القيامة تُصوَّر وتوزن بالميزان، وكما أن القرآن يأتي صاحبه علىٰ هيئة إنسان ويقول له: «أنا الذي أسهرتُ ليلَكَ وأظمأتُ هَواجِرَكَ»(**) ويشفع له عند الله تعالىٰ.

(*) أخرجه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠)، من حديث ابن عمر، والبخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

(**) انظر «مسند أحمد» ٧٦/٣٨ (٢٢٩٧٦) حديث بريدة بن الحصيب.

وتصيــرُ دارُ الخلــدِ مَــعْ سُكَّــانِهــا
وثمــارِهــا كحجــارَةِ البُنيــانِ[١]

قــالــوا ولــولا ذاك لــم يَثْبُــتْ لنــا
رَبٌّ لأجــلِ تَسَلْسُــلِ الأعيــانِ

فــالقــومُ إمَّــا جــاحِــدُون لــرَبِّهِــمْ
أو مُنْكِــرونَ حقــائِــقَ الإيمــانِ[٢]

* * *

---

(١) الجهم بن صفوان: يرىٰ أنَّ النار تفنىٰ وأنَّ الجنَّة تفنىٰ ولا يبقيان، وذلك لئلا يُشاركا الله تعالىٰ في البقاء، من باب التنزيه لله تعالىٰ بزعمه، وعليه فتفنىٰ الجنة وأهلها والنارُ وأهلُها ولا يبقىٰ إلاّ الله تعالىٰ، وأبو الهذيل العلاَّف من المعتزلة يقول: لا تفنىٰ الجنَّة ولا النار ولكن تفنىٰ حركات أهلهما فيتجمدُون ويكونون مثل الحجارة وكلُّ هذا ضلال، وأمَّا عقيدة أهل السنة والجماعة فهي أنَّ الجنَّة والنَّار دائمتان لا تفنيان ولا تبيدان أبداً، وما قاله الجهم وأبو الهذيل كُلُّه من تحكم العقول الفاسدة وهو الذي أوصلهم إلىٰ هذا الضلال.

(٢) هذه شُبهتهم لئلا يُشاركان الله في البقاء، لأنه لا يبقىٰ إلاّ الله بزعمهم، ونحن نقول: الجنة والنار وأهلهما بقاؤهم من الله، فالله تعالىٰ هو الذي أعطاهُم البقاء، فليس بقاؤهم مثل بقاء الله، فبقاؤهُ تعالىٰ ذاتي وأمَّا بقاؤهم فهو مكتسب منه تعالىٰ.

فصل

في ذبح الموت بين الجنة والنار والردِّ علىٰ من قال: إنَّ الذبح لملك الموت وأنَّ ذلك مجازٌ لا حقيقة لَهُ

أو ما سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ للموتِ بَيْـ
ـنَ المَنْزِلَيْنِ كذبحِ كبشِ الضّانِ[1]

حاشا لذا المَلَكِ الكريمِ وإنَّما
هو مَوْتُنا المَحْتُومُ للإنسانِ

واللهُ يُنْشِىءُ مِنْهُ كَبْشاً أمْلَحاً
يَوْمَ المَعَادِ يُرَىٰ لَنَا بِعِيَانِ

ينشىء من الأعراضِ أجساماً كذا
بالعكسِ كُلٌّ قابلُ الإمكانِ[2]

---

(١) الذي يُذبح هو الموت لا ملك الموت لأنَّ النبي ﷺ قال: «يؤتىٰ بالموت»(*) فقالوا: الموت معنىً من المعاني كيف يُذبح؟ قلنا: الله قادر علىٰ أن يجعل الموت في جسم حيوان ويُذبح مثل ما إنَّ الأعمال يوم القيامة تأتي في صورة أجسام.

(٢) ليس الذبح لملك الموت وإنما الذبح للموت، والله يُنشىء من الأعراض أجساماً، وهو قادر علىٰ كلِّ شيء، فيجعل الأعراض والمعاني أجساماً، وهذا جاء في أحاديث كثيرة منها: «أنَّ سورة البقرة وآل عمران تأتيان =

(*) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

أَفَمَــا تُصَــدِّقُ أَنَّ أَعْمَــالَ العِبَــا
دِ تُحَـطُّ يَـوْمَ العَـرْضِ فـي المِيـزَانِ
وكـــذاكَ تَثْقُــلُ تَــارَةً وتَخِــفُّ أُخْـ
ـــرىٰ ذاكَ فـــي القُــرْآنِ ذُو تِبْيَــانِ
ولَـــهُ لســـانٌ كِفَّتـــاهُ تُقيمُـــهُ
والكِفَّتـــانِ إليـــهِ نـــاظِـــرَتـــانِ
مـا ذاكَ أمـراً معنـويـاً بـل هـو الـ
ـمَحْسُوسُ حَقّاً عِنْدَ ذي الإيمانِ[1]
أَوَ مَـا سَمِعْـتَ بِـأَنَّ تَسْبِيـحَ العِبَـا
دِ وذِكْـــرَهُـــمُ وقِـــرَاءَةَ القُـــرْآنِ
يُنْشِيـهِ رَبُّ العَـرْشِ فـي صُـوَرٍ يُجَـا
دِلُ عَنْـــهُ يَـــوْمَ قِيَـــامَـــةِ الأَبْـــدَانِ

= كأنَّهما غمامتان أو غيايتان أو فِرْقانِ من طيرٍ صَوَافَّ تُحاجَّان عن صاحبهما»(*) فالله تعالىٰ يُحوِّل الأعراض إلىٰ أجسام فهو قادرٌ علىٰ كلِّ شيء، لكن هؤلاء إنَّما يعتمدون علىٰ عقولهم.

(١) الميزان حقيقي، أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ له كفتين ولساناً وهذا لا يكون إلاّ حقيقياً، وأمَّا أهل الضلال فيقولون: إنَّه معنوي، ومعناه: إقامة العدل وليس هناك ميزان حقيقي بناء علىٰ مذهبهم الباطل وأفكارهم الكاسدة، ثمّ ردَّ عليهم بأنَّ هذا أمرٌ محسوس وليس أمراً معنوياً(**).

(*) أخرجه مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة الباهلي.

(**) انظر «تفسير القرطبي» ١١/ ١٩٤، و«تفسير ابن كثير» ٥/ ٣٤٥-٣٤٦ [الأنبياء: ٤٧].

أو مـا سَمِعْـتَ بـأنَّ ذلـك حَـوْلَ عَـرْ
شِ الــربِّ ذو صَــوْتٍ وذو دَوَرانِ
يَشْفَعْـنَ عنـدَ الـربِّ جـلَّ جـلالُـهُ
ويُـذكِّـرونَ بصـاحـبِ الإحسـانِ[١]
أو مـا سَمِعْـتَ بـأنَّ ذلـك مُـؤْنِـسٌ
فـي القَبْـرِ للمَلْفـوفِ فـي الأكفـانِ
في صورةِ الرجُلِ الجميلِ الوجْهِ في
سِـنِّ الشبـابِ كـأجمـلِ الشُّبـانِ[٢]
أو مـا سمعـتَ بـأنَّ مـا نَتْلُـوهُ فـي
أيَّــامِ هــذا العُمْــرِ مِــنْ قُــرآنِ
يأتي يُجادلُ عنكَ يومَ الحشرِ للرْ
رَحمْــنِ كَــيْ يُنْجيـكَ مِـنْ نيـرانِ

---

(١) الأعمال تأتي حول عرش الرب تجادل عن المؤمن وتشفع له عند الله سبحانه وتعالىٰ فهي تدافع عن صاحبها يوم القيامة.

(٢) ثبت أنَّ الميت إذا وُضع في قبره وهو ملفوف في كفنه أنَّ عملَه يأتيه في صورة إنسان، فإن كان صالحاً يأتيه في أحسن صورة ويقول: «من أنت فوجهك الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملُك الصالح، فيؤنسُه في قبره، وإن كان عمله سيئاً فإنه يأتيه في أقبح صورة فيقول: من أنت فوجهك الذي يأتي بالشرِّ فيقول: أنا عملُك السيىء»(*).

(*) قطعة من حديث البراء بن عازب سلف تخريجه ص٣٤٢.

في صُورَةِ الرجُلِ الذي هو شاحبٌ
يـا حبَّـذا ذاك الشفيـعُ الـدانـي[(١)]
أو ما سمعتَ حديثَ صِدْقٍ قد أتىٰ
فـي سُـورَتيْـنِ مِـن أوّلِ القـرآنِ
فِـرْقـانِ مِـن طيـر صـوافٍ بينهـا
شَـرْقٌ ومنـهُ الضـوءُ ذو تِبيـانِ
شَبَّهُهُمَـا بِغَمَـامَتَيْـنِ وإنْ تَشَـأْ
بِغَيَـايَتَيْـنِ هُمَـا لِـذا مَثَـلاَنِ
هـذا مثـالُ الأجْـرِ وهـو فِعـالُنـا
كتـلاوةِ القـرآنِ بـالإحسـانِ[(٢)]

---

(١) «يأتي القرآن يوم القيامة في صورة الرجل الشاحب فيقول لصاحبه: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأتُ هواجرك»[(*)]، يُجادلُ عن صاحبه ويشفع له عند الله إذا كان قد قرأه وعمل بما فيه فيشفع له عند الله، وإنْ قَرأَه ولم يعمل بما فيه فإنَّه يأتي من خلفَه ويزجُه في النار ـ والعياذ بالله ـ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «والقرآن حجةٌ لك أو عليك»[(**)].

(٢) «سورة البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان أو غيايتان أو فِرقان من طير صواف تحاجَّان عن صاحبهما يوم القيامة»[(***)]، وهذا =

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٨/ ٤١-٤٢، ٧٦ (٢٢٩٥٠) و(٢٢٩٧٦) من حديث بريدة بن الحصيب، وهو حديث حسن في المتابعات والشواهد.

(**) قطعة من حديث أبي مالك الأشعري أخرجه أحمد في «المسند» ٣٧/ ٥٣٥-٥٣٦، ٥٤٢ (٢٢٩٠٢) و(٢٢٩٠٨)، ومسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧).

(***) سلف تخريجه ص١٢٧٧.

فـالمْـوتُ يُنشيـه لنـا فـي صُـورَةٍ
خَـلاَّقُـهُ حتـىٰ يُـرىٰ بِعِيـانِ[(١)]

والموتُ مَخلُوقٌ بنصِّ الوَحْيِ والْـ
ـمَخْلُـوقُ يَقْبَـلُ سـائـرَ الألـوانِ

فـي نفسِـهِ وبِنَشْـأَةٍ أُخـرىٰ بِقُـدْ
رَةِ قَـالِـبِ الأعـراضِ والألـوانِ[(٢)]

أو مَـا سَمِعْـتَ بِقَلْبِـهِ سُبْحَـانَـهُ الْـ
أعْيَـانَ مِـنْ لَـوْنٍ إلـىٰ أَلْـوَانِ

وكـذلِـكَ الأعْـرَاضُ يَقْلِـبُ رَبُّهَـا
أعْيَـانَهَـا والكُـلُّ ذُو إمْكَـانِ

= كلُّه ذكرَه رسول الله في الأحاديث وهي ترد علىٰ من يقول: إنَّه لا يمكن ذبح الموت لأنَّ الموت عَرَضٌ من الأعراض. فنقول: إنَّ الأعراضَ تتحوَّل إلىٰ أجسام يوم القيامة بقدرة الله تعالىٰ، ومنها: الموت يصير في يوم القيامة في صورة كبش(*).

(١) هذه هي النتيجة في الردِّ عليهم في مسألة الإتيان بالموت في صورة كبش بذكر الأمثلة.

(٢) الموت مخلوق بنصِّ القرآن كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] فما دام أنَّه مخلوق فالله قادرٌ علىٰ أن يُحوِّلَه فالله تعالىٰ لا يعجزُه شيء.

(*) انظر ما سلف ص١٢٧٣، ١٢٧٤.

لَـــمْ يَفْهَـــمِ الجُهَّـــالُ هـــذا كُلَّـــهُ
فـــأتَـــوْا بتـــأويـــلاتِ ذي البُطـــلانِ
فَمُكَـــــذِّبٌ ومُـــــؤوِّلٌ ومُحَيَّـــــرٌ
مـــا ذاق طعـــمَ حـــلاوةِ الإيمـــانِ[١]
لمَّـــا فَسَـــا الجُهَّـــالُ فـــي آذانِـــهِ
أعْمُـــوهُ دُونَ تَـــدَبُّـــرِ القُـــرْآنِ
فَثَنَـــىٰ لنَـــا العِطْفَيْـــنِ مِنْـــهُ تَكَبُّـــراً
وتَبَخْتُـــراً فـــي حُلَّـــةِ الهَـــذَيَـــانِ
إنَّ قُلْـــتَ قـــالَ الله قـــالَ رســـولُـــهُ
فيقـــولُ جَهْـــلاً أيْـــنَ قـــولُ فُـــلانِ[٢]

* * *

---

(١) الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم ردُّوا هذه النصوص لأنَّها تُخالف عقولَهم وأفكارهم، وهم يُقدِّمون عقولهم ولا يثقون بنصوص الكتاب والسنة، وهم أمام هذه النصوص التي لا تُدركُها عقولُهم علىٰ ثلاثة أقسام: منهم مَن يُكذبُها ومنهم من يؤوِّلها ويُفسِّرها بغير تفسيرها، ومنهم من يتوقف، وهذا أيضاً غير مؤمن فتوقُّفُه دليلٌ علىٰ عدم إيمانه وتصديقه.

(٢) يقول أهل الضلال إذا أوردت عليهم النصوص الصحيحة: أين قول الجهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاّف وواصل بن عطاء يقابلون به النصوص، وهذا هو التعصُّب الباطل والتقليد الأعمىٰ يجرُّ صاحبَه إلىٰ الضلال.

فصل

في أنَّ الجنَّة قيعان وأنَّ غراسها الكلام الطيب والعمل الصالح[(١)]

أوَ ما سَمِعْتَ بأنَّها القِيعانُ فاغْـ
ـرِسْ ما تشاءُ بذا الزمانِ الفاني[(٢)]
وغِـرَاسُهَـا التَّسْبِيـحُ والتَّكْبِيـرُ وَالتْـ
تَحْمِيــدُ والتَّــوْحِيــدُ لِلــرَّحْمٰــنِ
تَبّـاً لِتَـارِكِ غَـرْسِـهِ مـاذا الـذي
قَـدْ فـاتَـهُ مِـنْ مُـدَّةِ الإمْكَـانِ

---

(١) وهذا كما جاء في الأحاديث الصحيحة: أنَّ ذكر الله تعالىٰ يكون شجراً يُغرس في الجنَّة للعبد، فإذا ذكر الله تعالىٰ تُغرس له أشجارٌ في الجنَّة، وإذا توقف عن الذكر، توقَّفَ العُمَّال عن الغرس، فيُقال لهم: فيقولون: حتىٰ تأتينا النفقة وهي التسبيح والتهليل(*).

(٢) جاءنا رسالة من إبراهيم عليه السلام رواها نبينا محمد ﷺ قال إبراهيم عليه السلام: «أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنةَ طيبة التربة عذبة الماء، وأنَّها قيعان وأنَّ غراسها سبحان الله والحمد لله، ولا إلـٰه إلا الله، والله أكبر»(**).

(*) انظر ما ورد في «سنن ابن ماجه» (٣٨٠٧). و«جامع الترمذي» (٣٤٦٤).

(**) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود، وهو حديث حسن.

يــا مَــنْ يُقِــرُّ بــذا ولا يَسعــىٰ لــه
بــاللهِ قــلْ لــي كيــفَ يجتمعــانِ
أرأيتَ لـو عَطَّلْتَ أرضَكَ مِن غرا
سٍ ما الـذي تَجْنِي مـن البُستـانِ[1]
وكـذاكَ لَـوْ عَطَّلْتَهَـا مِنْ بَـذْرِهَـا
تَـرْجُـو المُغِـلَّ يَكُـونُ كـالْكِيمَـانِ
مــا قــالَ رَبُّ العــالميــنَ وعَبْــدُهُ
هــذا فــراجِــعْ مُقْتضَــىٰ القــرآنِ[2]
وتــأمَّــلِ البــاءَ التــي قــد عَيَّنَــتْ
سَبَــبَ الفــلاحِ لِحِكْمَــةِ الفــرقــانِ
وأظـنُّ بـاءَ النفـي قـد غـرَّتْـكَ فـي
ذاكَ الحـديـثِ أتـىٰ بِـهِ الشيخـانِ
لــن يــدخُــلَ الجنَّــاتِ أصــلاً كــادحٌ
بــالسعــيِ منــه ولــو علــىٰ الأجفــانِ
واللهِ مــا بيــن النصــوصِ تَعــارُضٌ
والكــلُّ مصــدرُهــا عــن الــرحمٰــنِ

---

(١) إذا كان لك أرضٌ في الدنيا ولم تغرسها فمن أين تجني الثمر؟ فكذلك الجنَّة، ليس فيها شجر وثمر إلاّ بالعمل الصالح في الدنيا.

(٢) ما قال الله تعالىٰ ولا رسوله عطِّل أعمالك، وإنْ كتبَ الله لك الجنَّة فإنَّكَ ستدخلها، هذا ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله بل الكتاب والسنة مملوءان بأنَّه لا شيء إلاّ بعمل.

لكـــنَّ بــالإثبــاتِ والتسبيــب والْـ
ـبــاءِ التـــي للنَّفْـــي بـــالأثمـــانِ

والفـــرقُ بينهمـــا ففـــرقٌ ظـــاهـــرٌ
يَـدْرِيـه ذو حـظٍّ مِـن العِـرفـانِ(١)

---

(١) هذا جوابٌ عظيم عن إشكالٍ مهم: ذلك أنَّ الله تعالىٰ قال في القرآن: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] فظاهر الآية أنَّ الجنَّة تُدخل بالعمل، وأنَّ العمل ثمنٌ للجنَّة، بينما في الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ أنَّه قال: «لَنْ يُدْخِلَ الجنّة أحداً منكم عملُه»، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته»(*) فهنا عندنا «الباء» التي في الآية في سياق الإثبات: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] ظاهرُها أنَّ الجنَّة تُدخل بالعمل، وأنَّ الجنَّة ثمنٌ للعمل، فالباءُ باءُ الثمن بينما الحديث نفىٰ هذا فقال: «لن يدخل أحدكم الجنَّة بعمله» فالباء هنا في معرض النفي، فما هي طريقة الجمع بين الآية والحديث؟ فنقول: الجمع واضح ولله الحمد.

إنَّ الجنة ليست ثمناً للعمل، فلو أنَّ الإنسان عمل في الحياة كلِّها ما وازن عمله أقلَّ نعمةٍ من نعم الله عليه، ولكنَّ الجنَّة تُدخل برحمة الله تعالىٰ والعمل سببٌ وليس مُوجباً لدخول الجنة بل هو سبب، وعليه فتكون الباء في الآية للسببية، والمعنىٰ ادخُلوا الجنَّة بسبب ما كنتم تعملون، والمنفي في الحديث الثمنية، أي: أنّ العمل ليس ثمناً للجنَّة، وبذلك زال الإشكال والحمدُ لله لأنَّه لا تعارض بين كلام الله ورسوله.

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ٤١/٤١٦ (٢٤٩٤١)، والبخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨) من حديث عائشة.

فصل

في إقامة المأتم علىٰ المتخلفين عن رفقة السابقين[1]

---

(١) لمَّا فرغ الشيخ رحمهُ الله من ذكر الجنَّة وما فيها من أنواع النعيم والسرور والملذَّات وطيب العيش والخلود الدائم ورضا الله تعالىٰ، ناسب أن يذكر أحوال النَّاس في سيرهم إلىٰ هذه الجنَّة وطلبهم لها فَصنَّفهم إلىٰ ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: أهل الإيمان والعمل الصالح الذين شمَّروا في طلب هذه الجنَّة، وصبروا علىٰ المشاق والأعمال الصالحة في هذه الدنيا، وهجروا ملذّات الدنيا طمعاً فيما عند الله تعالىٰ.

الصنف الثاني: أهل الكفر والإلحاد الذين لا يؤمنون بهذه الجنَّة، ولا يؤمنون بالبعث والحساب، وإنما هم دهريون يظنُّون أنَّه لا عيش إلا هذه الدنيا فقط.

والصنف الثالث: الذين يؤمنون بالجنَّة والبعث والنشور ولكن تغلبهم شهواتهم والكسل عن العمل الصالح، فهم يؤمنون بهذه الجنَّة وما جاء فيها، ولكن لا يستعدُّون لها بالأعمال الصالحة، وتغلبهم أنفسهم وشهواتُهم والشياطين، ويتكاسلُون عن طلب هذه الجنَّة، فالإنسان ينظر نفسَه مع أيِّ هذه الفرق، وأمّا المأتم فمعناه: الحَزن، وذلك أنَّ من عادة النَّاس أنَّهم إذا مات لهم مَيت فإنَّهم يحزنُون عليه ورُبَّما حصل منهم جزع وتسخُّط ونياحة، ويُقيمون مآتم يبكون فيها علىٰ الميت، فالشيخ رحمهُ الله شبَّه الذين فاتتهم الجنَّة بالذين يموتُون وتُقام عليهم المآتم حُزناً عليهم.

بِـالله مَـا عُـذْرُ امْـرِىءٍ هُـوَ مُـؤْمِـنٌ
حَقّـاً بِهَـذا لَيْـسَ بِـالْيَقْظَـانِ
بَـلْ قَلْبُـهُ فـي رَقْـدَةٍ فَـإِذَا اسْتَفَـا
قَ فَلُبْسُـهُ هُـوَ حُلَّـةُ الكَسْـلاَنِ
تَـالله لَـوْ شَـاقَتْـكَ جَنَّـاتُ النَّعِيـ
ـمِ طَلَبْتَهَـا بِنَفَـائِـسِ الأَثْمَـانِ
وسَعَيْتَ جَهْدَكَ في وِصَالِ نَوَاعِمٍ
وكَـوَاعِـبٍ بِيضِ الـوُجُـوهِ حِسَانِ
جُلِيَتْ عليك عرائسٌ واللهِ لـو
تُجْلَىٰ علىٰ صَخْرٍ مِن الصَّوّانِ[1]
رقَّتْ حَوَاشِيهِ وعَادَ لِوَقْتِهِ
يَنْهَـالُ مِثْـلَ نَقَـىً مِـنَ الكُثْبَـانِ
لكنَّ قلبك في القساوَةِ جازَ حَدْ
دَ الصَّخْرِ والحصباءِ في أشْجانِ[2]
لَـوْ هَـزَّكَ الشَّـوْقُ المُقِيـمُ وكُنْـتَ ذا
حِـسٍّ لَمَـا اسْتَبْـدَلْـتَ بِـالأَهْـوَانِ

---

(١) يعني: وصُفت لك عرائس الجنة في الكتاب والسنة ترغيباً لك فيها.

(٢) يعني هذه الصفات للجنَّة لو صادفت قلباً حياً لخشع لها ولان لها، ولكنَّها عُرضت علىٰ قلبٍ أقسىٰ من الصفا كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةَ قَلْـ
ــبٍ كُنْتَ ذا طَلَبٍ لهـذا الشَّانِ

خُـودٌ تُـزَفُّ إلـىٰ ضَـرِيـرٍ مُقْعَـدٍ
يَـا مِحْنَـةَ الحَسْنَـاءِ بِـالعُمْيَـانِ

شَمْـسٌ لِعِنِّيـنٍ تُـزَفُّ إلَيْـهِ مَـا
ذا حِيلَـةُ العِنِّيـنِ فـي الغَشَيَـانِ

يـا سِلعـةَ الـرحمٰـنِ لَسْـتِ رخيصـةً
بـل أنـتِ غـاليـةٌ علـىٰ الكسـلانِ[1]

يـا سِلْعَـةَ الـرَّحْمٰـنِ لَيْس يَنَـالُهَـا
فـي الألْـفِ إلا واحِـدٌ لا اثْنَـانِ

يـا سلْعَـةَ الـرَّحْمٰـنِ مـاذا كُفْـؤُهَـا
إلاَّ أُولُـو التَّقْـوَىٰ مـعَ الإيمـانِ

يـا سِلْعَـةَ الـرَّحْمٰـنِ سُوقُـكِ كـاسِـدٌ
بَيْـنَ الأراذِلِ سِفْلَـةِ الحَيَـوَانِ

يـا سلعـةَ الـرحمٰـنِ أيـنَ المشتـرِي
فلقـد عُـرِضْـتِ بـأيْسَـرِ الأثمـانِ[2]

يا سِلْعَةَ الرَّحْمٰنِ هَلْ مِن خَاطِبٍ
فـالْمَهْـرُ قَبْـلَ المَـوْتِ ذُو إمْكَـانِ

---

(١) الكسلان لا يستطيع شراءَها لأنَّه لا يملكُ شيئاً يشتري به هذه الحسناء.

(٢) وأيسر الأثمان هو العمل الصالح، وهو يسيرٌ علىٰ من يسَّرَه الله عليه.

يـا سِلْعَـةَ الـرَّحْمٰـنِ كيْـفَ تَصَبُّرُ الْـ
ـخُطَّـابِ عَنْـكِ وهُـمْ ذَوُو إيمَـانِ
يـا سلعـةَ الـرحمٰـنِ لـولا أنَّهـا
حُجِبَـتْ بكـلِّ مكـارِهِ الإنسـانِ
مـا كـان عنهـا قـطُّ مِـنْ مُتَخَلِّـفٍ
وتعطَّلَـتْ دارُ الجـزاءِ الثـانـي
لكنهـا حُجِبَـتْ بكـلِّ كـريهـةٍ
لِيُصَـدَّ عنهـا المُبْطِـلُ المتـوانـي
وتنـالُهـا الهِمَـمُ التـي تَسْمُـو إلـىٰ
رَبِّ العُلَـىٰ بمشيئـة الـرحمٰـنِ[١]
فـاتْعَـبْ ليَـوْمِ مَعَـادِكَ الأدْنَـىٰ تَجِـدْ
راحَـاتِـهِ يَـوْمَ المَعَـادِ الثَّـانِـي
وإذا أبَـتْ ذا الشَّـانِ نفسُـكَ فـاتَّهِمْـ
ـهـا ثُـمَّ راجِـعْ مَطْلَـعَ الإيمـانِ[٢]

---

(١) هذا هو الفرق بين الجنة والنار: أنَّ الجنَّة حُفَّت بالمكاره، فالطريق إليها شاق والنار حُفَّت بالشهوات وما تميل إليه النفوس، وهذا من حكمة الله تعالىٰ من أجل ألاّ يُشمِّر إلىٰ الجنة إلا أهل الصدق والإيمان وخُلاصة العباد، وطريق الجنَّة أيضاً محفوف باستهزاء الناس واستخفافهم بأهل الطاعات، فالذي ليس عندَه إيمان قوي لا يصبر علىٰ سخرية النَّاس به.

(٢) قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣] فلا تطعها.

فـإذا رأيْـتَ اللَّيْـلَ بَعْـدُ وصُبْحُـهُ
مـا انْشَـقَّ عَنْـهُ عَمُـودُهُ لأذَانِ
والنَّاسُ قَدْ صَلَّوْا صَلاَةَ الصُّبْحِ وانْـ
ـتَظِرُوا طُلُوعَ الشَّمْسِ قُرْبَ زَمَانِ
فَـاعْلَـمْ بِـأنَّ العَيْنَ قَـدْ عَمِيَتْ فَنَا
شِـدْ ربَّـكَ المَعْـرُوفَ بـالإحْسَـانِ
واسْـألْـهُ إيمـانـاً يُبَـاشِـرُ قَلْبَـكَ الْـ
ـمَحْجُـوبَ عَنْـهُ لِتَنْظُـرَ العَيْنَـانِ
واسْـألْـهُ نـوراً هـاديـاً يهـديـك فـي
طُـرُقِ المَسيـرِ إليـه كُـلَّ أوانِ[1]
والله مـا خَـوْفِـي الـذنـوبَ فـإنَّهـا
لعلَـىٰ طـريـقِ العفـوِ والغُفـرانِ
لكنَّمـا أخشـىٰ انسـلاخَ القلـبِ مِـنْ
تَحْكِيـمِ هـذا الـوحـيِ والقـرآنِ[2]

---

(١) وهو نور الإيمان والقرآن، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

(٢) الآن انتقل رحمهُ الله إلىٰ عدم تحكيم الوحي عند كثير من الناس، حيث عرَّج علىٰ هؤلاء الذين لا يُحكِّمون الوحي وإنَّما يُحكِّمون عقولهم وأفكارهم، فهؤلاء هم الذين يُخافُ عليهم من سوء العاقبة، وأمَّا أصحاب الذنوب فقد يغفر الله تعالىٰ لهم، فهم علىٰ طريق العفو، ما داموا أنَّهم من أهل التوحيد والإيمان، ولو كانت ذنوبهم كبائر، لكن =

ورِضـاً بِـآرَاءِ الـرِّجَـالِ وخَـرْصِهَـا
لا كَـانَ ذاكَ بِمِنَّـةِ الـرَّحمٰـنِ
فَبِـأَيِّ وَجْـهِ أَلْتَقِـي رِبِّـي إذا
أعْرَضْتُ عَنْ ذا الوَحْيِ طُولَ زَمَانِ
وعَـزَلْتُـهُ عمَّـا أُرِيـدَ لأجلِـهِ
عَـزْلاً حقيقيّـاً بـلا كِتمـانِ[1]
صَـرَّحْـتُ أنَّ يَقِينَنَـا لا يُسْتَفَـا
دُ بِـهِ وليْـسَ لـدَيْـهِ مِـنْ إتْقَـانِ
أوْلَيْتُـهُ هَجْـراً وتـأويـلاً وتَحْـ
ـرِيفـاً وتَفـويضـاً بـلا بُـرهـانِ[2]

= المصيبة فيمن هجر الوحي وحكَّم آراء الرجال وعقولهم واعتبرها هي التي تفيد اليقين والحق والعلم وأنّ الوحي إنَّما هو شيءٌ ظني ليس بيقين، هذا هو الذي لا حيلة فيه ولا مطمع له في النجاة، وهذا من فقه الشيخ رحمه الله أنَّ الذنوب مهما كَثُرت فإنَّها تُغفر بما مع الشخص من الإيمان، لكن فساد العقيدة هو الذي لا يُغفر قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) عزلوه عن الاستدلال وولوا آراء علمائهم، فهم يقرؤون القرآن لأجل البركة ولا يجعلونَه مصدراً للهداية والاستدلال، أو يقرؤونَه لتحصيل الأجرة بالتلاوة.

(٢) هذا هو موقفُهم من القرآن: الهجر والتحريف والتأويل إذا خالف ما هم عليه.

وسَعَيْتُ جَهْدِي في عُقُوبَةِ مُمْسِكٍ
بِعُـــرَاهُ لا تَقْلِيـــدَ رأْيِ فُـــلانِ
يـا مُعْـرِضـاً عمـا يُـرادُ بـه وقـد
جَـــدَّ المسيـــرُ فمنتهـــاهُ دانِ[١]
جَــذْلاَنُ يَضْحَــكُ آمِنـاً مُتَبَخْتِـراً
فَكَـــأَنَّـــهُ قَـــدْ نَـــالَ عَقْـــدَ أمَـــانِ
خَلَــعَ الســرورُ عليــه أوْفَــىٰ حُلَّــةٍ
طَــرَدَتْ جميــعَ الهَــمِّ والأحــزانِ[٢]
يَخْتَـالُ فـي حُلَـلِ المَسَـرَّةِ نَـاسِيـاً
مَـا بَعْـدَهَـا مِـنْ حُلَّـةِ الأكْفَـانِ
مَا سَعْيُهُ إلاَّ لِطيبِ العَيْشِ فِي الدْ
دُنْيَـا ولَـوْ أفْضَـىٰ إلـىٰ النِّيـرَانِ
قَدْ بَاعَ طِيبَ العيْشِ في دَارِ النَّعِيْـ
ـمِ بِذا الحُطَامِ المُضْمَحِلِّ الفَانِـي

---

(١) انتقل رحمهُ الله إلىٰ أهل الكسل والخمول والانشغال بالدنيا وملذّاتها الذين لا يُشمِّرون للآخرة طلباً للجنَّة.

(٢) هذا استدراج من الله سبحانَه وتعالىٰ بأنَّ الله يعطيهم من الدنيا من باب الاستدراج لهم لينشغلوا بها.

إنِّــي أظنُّــك لا تُصَــدِّقُ كــونَــهُ
بــالقُــرْبِ بَــلْ ظَــنٌّ بــلا إيقــانِ[١]

بَلْ قَـدْ سَمِعْـتَ النَّـاسَ قـالُـوا جَنَّةٌ
أيْضــاً ونَــارٌ بَــلْ لَهُــمْ قَــوْلانِ

والـوَقْـفُ مـذْهَبُـكَ الـذي تَخْتَـارُهُ
وإذا انْتَهَــىٰ الإيمــانُ لِلــرُّجْحَــانِ

أمْ تُـؤْثِـرُ الأدْنـىٰ عليْـهِ وقـالَـتِ النْـ
نَفْسُ التي اسْتَعْلَـتْ علىٰ الشَّيْطَانِ

أتَبِيــعُ نَقْــداً حَــاصِــلاً بِنَسِيئَــةٍ
بَعْـدَ المَمَـاتِ وطَـيٍّ ذِي الأكْـوَانِ

لَــوْ أنَّــهُ بِنَسِيئَــةِ الــدُّنْيَــا لَهَــا
نَ الأمْــرُ لكِــنْ فــي مَعَــادٍ ثَــانِ

دَعْ مَـا سَمِعْـتَ النَّـاسَ قَـالُـوهُ وَخُـذْ
مَــا قَــدْ رأيْـتَ مُشَـاهِـداً بِعِيَـانِ

واللهِ لَـوْ جَـالَسْـتَ نَفْسَـكَ خَـالِيـاً
وبَحَثْتَهَــا بَحْثــاً بِــلا رَوَغَــانِ

لـرَأيْـتَ هـذا كـامِنـاً فيهَـا ولَـوْ
أمِنَــتْ لألْقَتْــهُ إلــىٰ الآذَانِ

---

(١) إنِّي أظنُّك لا تُصدِّق بقرب الموت، لأنَّ فعلك هذا فعل من لا يُصدِّق بقرب الأجل والمنيّة، فأنت لست بجازمٍ في ذلك.

هذا هُوَ السِّرُّ الذي مِنْ أَجْلِهِ اخْـ
ـتَـارَتْ عليْـهِ العَـاجِـلَ المُتَـدَانِ
نَقْـدٌ قَـدِ اشْتَـدَّتْ إليْـهِ حَـاجَـةٌ
مِنْهَـا ولَـمْ يَحْصُـلْ لَهَـا بِهَـوَانِ
أَتَبِيعُـهُ بِنَسِيئَـةٍ فـي غَيْـرِ هَـ
ـذِي الـدَّارِ بَعْـدَ قِيَـامَـةِ الأبْـدَانِ
هـذَا وإنْ جَـزَمَـتْ بِهَـا قَطْعـاً ولَـ
ـكِـنْ حَظُّهَـا فـي حَيِّـزِ الإمْكَـانِ
مَـا ذاكَ قَطْعِيّـاً لهَـا والحَـاصِـلُ الْـ
ـمَـوْجُـودُ مَشْهُـودٌ بِـرَأْيِ عِيَـانِ
فتـأَلَّفَـتْ مِـنْ بَيْـنِ شَهْـوَتِهَـا وشُبْـ
ـهَتِهَـا قِيَـاسَـاتٌ مِـنَ البُطْـلانِ
واسْتَنْجَدَتْ مِنْهَا رَضاً بالعَاجِلِ الْـ
أَدْنَـىٰ علـىٰ المَـوْعُـودِ بَعْـدَ زَمَـانِ
وأَتَـىٰ مِـنَ التَّـأْوِيـلِ كُـلُّ مُـلائِـمِ
لِمُـرَادِهَـا يَـا رِقَّـةَ الإيمـانِ
وصَغَتْ إلىٰ شُبُهَاتِ أَهْلِ الشِّرْكِ والتْـ
تَعْطِيـلِ مَـعْ نَقْـصٍ مِـنَ العِـرْفَـانِ
واسْتَنْقَصَـتْ أَهْـلَ الهُـدَىٰ ورَأَيْتُهُـمْ
فـي النَّـاسِ كـالغُـرَبَـاءِ فـي البُلْـدَانِ

ورأتْ عُقُـولَ النَّـاسِ دَائِـرَةً علـىٰ
جَمْـعِ الحُطَـامِ وخِـدْمَـةِ السُّلْطَـانِ
وعلىٰ المَلِيحَةِ والمَلِيحِ وعِشْرَةِ الـ
أَحْبَـابِ والأَصْحَـابِ والإِخْـوَانِ
فاسْتَوْعَرَتْ تَرْكَ الجَمِيعِ ولَمْ تَجِدْ
عِـوَضـاً تَلَـذُّ بِـهِ مِـنَ الإِحْسَـانِ
فـالقَلْـبُ لَيْـسَ يَقَـرُّ إلاَّ فـي إنَـا
ءٍ فَهْـوَ دُونَ الجِسْـمِ ذُو جَـوَلانِ
يَبْغِـي لَـهُ سَكَنـاً يَلَـذُّ بِقُـرْبِـه
فَتَـراهُ شِبْـهَ الـوَالِـهِ الحَيْـرَانِ
فَيُحِـبُّ هـذا ثُـمَّ يَهْـوَىٰ غَيْـرَه
فَيَظَـلُّ مُنْتَقِـلاً مَـدَىٰ الأَزْمَـانِ
لَـوْ نَـالَ كُـلَّ مَليحَـةٍ ورِيَـاسَـةٍ
لَـمْ يَطْمَئِـنَّ وكَـانَ ذَا دَوَرَانِ
بَـلْ لَـوْ يَنَـالُ بـأَسْرِهـا الـدُّنْيَـا لَمَـا
قَـرَّتْ بمَـا قَـدْ نَـالَـهُ العَيْنَـانِ
نَقِّلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ مِن الهوىٰ
واخْتَـرْ لنفسِـكَ أحسـنَ الإنسـانِ[1]

---

(١) هذا مُضمَّنٌ بيتاً لأبي تمام: وهو:

نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوىٰ ‌‌ ‌ ما الحـبُّ إلاّ للحبيـب الأوَّلِ =

فـالقلـبُ مُضْطَـرٌّ إلـىٰ مَحْبُـوبِـهِ الـ
أعلـىٰ فــلا يُغْنيــهِ حُــبٌّ ثــانِ
وصَــلاحُــهُ وفَــلاحُــهُ ونَعِيمُــهُ
تَجْـرِيـدُ هَـذا الحُـبِّ للـرَّحْمٰـنِ
فـإذَا تَخَلَّـىٰ مِنْـه أصبَـحَ حـائِـراً
ويَعُــودُ فــي ذَا الكَـوْنِ ذَا هَيَمَـانِ

* * *

= والحبيب الأول: هو ما تعلق به قلبك فإن تعلق بالدنيا رجعت إليها، وإن تعلق بالله رجعت إليه، فاترك هذه الشواغل وارجع إلىٰ طلب الجنة وإلىٰ مرضاة ربك الذي خلقك وربَّاك ودعاكَ إلىٰ ما فيه صلاحُك، هذا هو الحبيب الأول، وأمَّا هذه الأحباب التي جاءت فهي زائلة وعارضة ولا تنتهي إلىٰ نتيجة، وإنَّما حبُّ الله تعالىٰ وطلب الجنة هو الذي ينتهي إلىٰ السعادة والفلاح وكل هؤلاء المحبوبون يزولون ويفنون ولا يبقىٰ إلاّ الحبيب الأول وهو الله سبحانَه وتعالىٰ، فاجعل علاقتك بالله تعالىٰ. فالله تعالىٰ هو المحبوب الأعلىٰ.

فصل

في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي علىٰ الخزف الفاني[١]

لكـــنَّ ذا الإيمــــانِ يَعلـــمُ أنَّ هـ
ـــذا كـالظـلالِ وكـلُّ هــذا فـانِ[٢]

كَخَيَــالِ طَيْــفٍ مَــا اسْتَتَــمَّ زِيَـارَةً
إلاّ وصُبْـــحُ رَحِيلِـــهِ بــــأَذَانِ

وسحــابــةٍ طَلَعَــتْ بيـومٍ صـائِـفٍ
فــالظِّــلُّ مَنسـوخٌ بقــربِ زمـانِ[٣]

وكَــزَهْــرةٍ وافــىٰ الـربيـعُ بحُسْنِهـا
أوْ لامِعــاً فكــلاهُمــا أخَــوانِ[٤]

---

(١) هذا هو الصنف الثالث: وهم خلاصة العباد وخيرة العباد الذين لم يطمئنوا لهذه الدنيا ولم ينشغلوا بها، وإنَّما انشغلوا بالآخرة، وأخذوا من الدنيا ما يُعينهم علىٰ طلب الآخرة.

(٢) يضرب رحمهُ الله في هذه الأبيات أمثلة للدنيا:

المثل الأول: أنَّها مثل الظِّلّ الذي لا يلبث أن يتقلَّص حتىٰ تمحوه الشمس.

(٣) **المثل الثاني:** مثل الدنيا مثل سحابة ظللت في وقت الهجير لكن لا تلبث إلاّ أن تنقل وتضمحّل ويعود الهجير والحر.

(٤) **المثل الثالث والرابع:** أن الدنيا كزهرة الربيع ففيها من أحسن المناظر =

أو كـالسَّـراب يلـوحُ للظمـآن فـي
وَسَـطِ الهجيـرِ بمستـوىٰ القِيعـانِ[١]

أو كـالأمـانـي طـابَ منهـا ذِكْـرُهـا
بـالقـولِ واستحضـارِهـا بِجَنـانِ[٢]

وهـي الغـرورُ رؤوسُ أمـوالِ المفـا
ليـسِ الأُلَـىٰ اتَّجـروا بـلا أثمـانِ[٣]

أو كـالطعـامِ يَلَـذُّ عنـدَ مَسـاغِـهِ
لكـــنَّ عُقْبــاهُ كمـــا تَجِـــدانِ

هذا هو المثالُ الذي ضَرَبَ الرسو
لُ لهـا وذا فـي غـايـةِ التِّبيـانِ[٤]

= وأطيب الروائح، لكنَّ وقتها قليلٌ ثمَّ تيبس، أو كلامع وهو البَرق الذي يذهب بسرعة، فهذه أمثلة الدنيا.

(١) **المثل الخامس**: السراب الذي لا حقيقة له كما قال تعالىٰ: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور: ٣٩].

(٢) **المثل السادس**: أو كالأماني التي يتمنَّاها الإنسان ولا يُمسك منها بشيء.

(٣) **المثل السابع**: الأماني التي يتمناها الإنسان ولا يحصل علىٰ شيء منها هذا مثل مشتهر عند الناس يقولون: الأماني رؤوس أموال المفاليس، فالمفلس ليس عندَه إلاّ التمني.

(٤) **المثل الثامن**: الطعام الذي تأكلُه وهو لذيذ ثمَّ يتحوَّل إلىٰ ما تعلمون من فضلات مكروهة، حتىٰ إنَّك لتأخذ بأنفك من رائحته الكريهة.

وإذا أردتَ تَـرىٰ حقيقتَهـا فخُـذْ
منـهُ مِثـالاً واحِـداً ذا شـانِ

أدْخِلْ بجهدِكَ أُصبعاً في اليمِّ وانْـ
ـظُـرْ مـا تَعَلَّقَـهُ إذا بِعِيـانِ

هـذا هـو الـدنيـا كـذا قـال الـرسو
لُ مُمَثِّـلاً والحـقُّ ذو تِبْيـانِ[١]

وكـذاكَ مَثَّلَهـا بظـلِّ الـدَّوْحِ فـي
وَقْـتِ الحَـرورِ لقـائـلِ الـرُّكْبـانِ[٢]

هَـذَا ولَـوْ عَـدَلَـتْ جَنـاحَ بَعُـوضَـةٍ
عِنْـدَ الإلـٰهِ الحَـقِّ فـي المِيـزَانِ

لَـمْ يَسْـقِ مِنْهـا كـافِـراً مِـنْ شَـرْبَـةٍ
مَـاءً وكَـانَ الحَـقّ بـالحِـرْمَـانِ

تَـاللهِ مَـا عَقْـلُ امْـرِىءٍ قَـدْ بَـاعَ مَـا
يَبْقَـىٰ بِمَـا هُـوَ مُضْمَحِـلٌّ فَـانِ

---

(١) المثل التاسع: المثال العظيم للدنيا أنها مثل من أدخل أُصبَعَهُ في البحر ثمَّ رفعَه ماذا حصل من البحر؟ لَمْ يُحصِّل شيئاً. وهكذا ابن آدم في الدنيا.

(٢) قال ﷺ: «ما مثلي ومثل الدنيا إلاّ كمثل راكبٍ قالَ تحت ظلٍّ دوحة ثمّ ذهب وتركها»(*) فهذا مثلُ الدنيا.

(*) أخرجه بنحوه أحمد في «المسند» ٤/٤٧٣ (٢٧٤٤) من حديث ابن عباس، وهو حديث إسناده صحيح.

هـذا ويُفْتـي ثـمَّ يقضـي حـاكمـاً
بـالحَجْـرِ مِـنْ سَفَـهٍ لـذا الإنسـانِ
إذْ بـاعَ شيئـاً قَـدْرُهُ فـوقَ الـذي
يَعتـاضُـهُ مِـن هـذه الأثمـانِ
فَمَـنِ السَّفيـهُ حقيقـةً إنْ كنـتَ ذا
عَقْـلٍ وأنَّ العقـلَ للسكـرانِ[1]
واللهِ لَـوْ أنَّ القُلُـوبَ شَهِـدْنَ مِنْـ
ـنَـا كَـانَ شـأنٌ غَيْـرُ هـذا الشَّـانِ
نَفَـسٌ مـن الأنْفَـاسِ هـذا العَيْـشُ إنْ
قِسْنَـاهُ بِـالعَيْـشِ الطَّـويـلِ الثَّـانِـي
يَـا خِسَّـةَ الشُّـرَكَـاءِ مَـعْ عَـدَمِ الـوَفَـا
ءِ وطُـولِ جَفْـوَتِهَـا مِـنَ الهِجْـرَانِ
هَـلْ فِيـكِ مُعْتَبَـرٌ فَيَسْلُـو عَـاشِـقٌ
بِمَصَـارِعِ العُشَّـاقِ كُـلَّ زَمَـانِ
لكَـنْ علـىٰ تلْـكَ العُيُـونِ غِشَـاوَةٌ
وعلـىٰ القلُـوبِ أكِنَّـةُ النِّسْيَـانِ

---

(١) القاضي يحكم علىٰ السفيه بالحجر وذلك بمنعه من التصرف في ماله إذا باع الغالي بثمن رخيص، والحقيقة أنَّ السفيه الذي ينبغي أن يُحجر عليه هو من باع الآخرة بالدنيا.

وأخُـو البَصَـائِـرِ حَـاضِـرٌ مُتيَقِّـظٌ
مُتَفَــرِّدٌ عَــنْ زُمْــرَةِ العُمْيَــانِ
يَسمُـو إلـىٰ ذاكَ الـرَّفِيـقِ الأرْفَـعِ الْـ
أعْلَــىٰ وخلَّــىٰ اللَّعْــبَ للصِّبْيَــانِ
والنَّـــاسُ كُلُّهُـــم فَصِبْيَـــانٌ وإنْ
بَلَغُـوا سِـوَىٰ الأفْـرَادِ والـوِحْـدَانِ
وإذا رأىٰ مَــا يَشْتَهِيــهِ قــالَ مَــوْ
عِـدُكَ الجِنَـانُ وَجَـدَّ فـي الأثْمَـانِ
وإذا أبَــتْ إلاَّ الجِمَـاحَ أعَـاضَهَـا
بِــالعِلْــمِ بَعْـدَ حَقَـائِـقِ الإيمَـانِ
ويرىٰ مِنَ الخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ الْـ
ـبَـاقِـي بِـهِ يَـا ذِلَّـةَ الخَسْـرَانِ
ويَـرىٰ مَصَـارِعَ أهْلِهَـا مِـنْ حَـوْلِـهِ
وقُلُــوبُهُــمْ كَمَــرَاجِــلِ النِّيــرانِ
حَسَـرَاتُهَـا هُـنَّ الـوَقُـودُ فـإنْ خَبَـتْ
زادَتْ سَعِيـراً بِـالـوَقُـودِ الثَّـانِـي
جَـاؤُوا فُـرَادَىٰ مِثْـلَ مـا خُلِقُـوا بِـلا
مَــالٍ ولا أهْــلٍ ولا إخْــوَانِ
مـا مَعَهُـم شَـيْءٌ سِـوىٰ الأعْمَـالِ فَهْـ
ـــيَ مَتَــاجِــرٌ للنَّــارِ أوْ لِجِنَــانِ

تَسْعىٰ بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقا إلىٰ الدْ
دَارَيْــنِ سَــوْقَ الخَيْــلِ بِــالــرُّكْبَــانِ
صَبَــرُوا قليــلاً فــاسْتَــرَاحُــوا دَائِمــاً
يَــا عِــزَّةَ التَّــوْفِيــقِ لــلإنْسَــانِ
حَمَدُوا التُّقَىٰ عِنْدَ المَمَاتِ كَذَا السُّرَىٰ
عِنْــدَ الصَّبَــاحِ فَحَبَّــذا الحَمْــدَانِ
وحَــدَتْ بِهِـمْ عَـزَمَـاتُهُـمْ نَحْـوَ العُـلا
وسَــرَوْا فَمَــا نَــزَلُــوا إلــىٰ نُعْمَــانِ
بَاعُوا الذي يَفْنَىٰ مِنَ الخَزَفِ الخَسِيـ
ــسِ بِـدَائِـمٍ مِـنْ خَـالِـصِ العِقْيَـانِ
رُفِعَتْ لَهُمْ في السَّيْرِ أعْلَامُ السَّعَا
دَةِ والهُــدَىٰ يَــا ذِلَّــةَ الحَيْــرَانِ
فَتَسَــابَــقَ الأقْــوَامُ وابْتَــدَرُوا لَهَــا
كَتَسَــابُــقِ الفُــرْسَــانِ يَــوْمَ رِهَــانِ
وأخُــو الهُـوَيْنَـىٰ فـي الـدِّيَـارِ مُخَلَّفٌ
مَــعَ شَكْلِــهِ يَــا خَيْبَــةَ الكَسْــلانِ

* * *

فصل

في رغبة قائلها إلىٰ من يقف عليها من أهل العلم والإيمان أن يتجرَّد لله ويحكم عليها بما يوجبُهُ الدليل والبُرهان فإن رأىٰ حَقّاً قَبِلَهُ وحمد الله عليه وإن رأىٰ باطلاً عرَّف به وأرشد إليه(١)

---

(١) لمَّا فرغ رحمه الله من هذه القصيدة المتضمنة بيان عقيدة السلف والردِّ علىٰ المخالفين وبيان المنهج السليم، طلب ممَّن يقرؤها من المنصفين أن يُعطيها حقَّها من التقويم بأن يُقوِّمها علىٰ موجب الكتاب والسنة، فما رأىٰ فيها من حقٍّ وكلُّها حق ولله الحمد، فليحمد الله عليه، لأنَّ هذا من فضل الله سبحانَه وتعالىٰ، وإن رأىٰ فيها قصوراً أو خطأً فهذه طبيعة الإنسان، وعليه أن يُرشد صاحبها لينظر في هذه الملاحظة أو الملاحظات، ويُعدِّلَها وهذا شأن أهل العلم أنَّهم لا يُزكُّون أنفسهم، ولا يُعجبون بمؤلفاتهم وكلامهم، بل إنَّهم يتهمون أنفسهم بالقصور والنقص، ويطلبون من إخوانهم إعانتهم، ولكن الشيخ رحمةُ الله يشتكي إلىٰ الله من أصناف أربعة من النَّاس، وهم ليس هدفهم الوصول إلىٰ الحق ولا رد الباطل، وهم أربعة أصناف:

الأول الجاهل المتعالم: وهو الجاهل المركَّب الذي لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري، فهذا آفةٌ قديمةٌ وحديثة فما ابتُلي الحق ولا العلماء إلا بمثل هذا الصنف من النَّاس فهو جاهلٌ يرىٰ أنَّه عالم. =

يا أيُّها القاري لها اجلسْ مَجْلِسَ الـ
ـحَكَمِ الأمينِ أتىٰ لَـهُ الخَصمانِ
واحْكُمْ هداك الله حُكْماً يشهدُ الـ
ـعقلُ الصريحُ به مع القرآنِ(١)
واحْبِسْ لسانَكَ بُرهَةً عن كُفْرِهِ
حتىٰ تُعارِضَها بلا عُدوانِ(٢)

= الثاني: حاسد يعرف الحق ولكنَّه يحسد النَّاس علىٰ ما آتاهُم الله من فضله، فيلتمس العيوب عند النَّاس من أجل أن يُظهر نفسَه ويغمط غيرَه، وهذا صنفٌ موجود ولا يزال.

الثالث: مُقلِّد للجاهل والحاسد.

الرابع: من يُريد الشهرة والحظوة عند النَّاس، وهو دائماً يشتغل بالنميمة وأكل لحوم العلماء، فهؤلاء الأصناف الأربعة هم الذين يشكو منهم المؤلف وغيره في كل زمان ومكان.

وهذه الأصناف لا تزال موجودةً إلىٰ الآن ولله في ذلك حكمة سبحانَه وتعالىٰ.

فالمؤمن مطلوبٌ منه أن يتجرَّد من هواه للحق ويتخلَّص من الهوىٰ والحسد.

(١) احكم علىٰ هذه القصيدة بالحكم الذي يوافق العقل والنقل ولا يوافق الهوىٰ والحسد.

(٢) لا تستعجل بالتكفير والتبديع والتفسيق مثل هؤلاء الذين جعلوا شغلهم في هذه الأمور، بل تريَّث واعرض ما قالَه الناظم علىٰ الكتاب والسنة.

فــإذا فعلــتَ فعنــدَهُ أمثــالُهــا
فنِــزالِ آخِــرَ دعــوةِ الفُــرســانِ[١]

فـالكفـرُ ليس سـوىٰ العِنـادِ وردٌ مـا
جـاءَ الـرسـولُ بـه لقـولِ فـلانِ[٢]

فــانْظُــرْ لعَلَّــكَ هَكَــذا دُونَ الــذي
قَــدْ قــالَهــا فَتَفُــوزَ بــالخُسْــرَانِ

فــالحَــقُّ شَمْــسٌ والعُيُــونُ نَــواظِــرٌ
لا تَخْتَفِــي إلا علــىٰ العُمْيَــانِ

والقَلْـبُ يَعْمَـىٰ عـن هُـدَاهُ مِثْـلَ مـا
تَعْمَــىٰ وأَعْظَــمُ هــذه العَيْنَــانِ

هــذا وإنِّــي بَعْــدُ مُمْتَحَــنٌ بِــأَرْ
بَعَــةٍ وكلُّهــمُ ذَوُو أضْغــانِ[٣]

---

(١) فإذا لم تعرضها علىٰ الكتاب والسنة وأبيت إلاّ الهوىٰ فإننا ندعوك إلىٰ النزال في الميدان للمبارزة ليظهر المحق من المبطل، والمراد هنا بالنزال: المناظرة التي بها يتبين الحقُّ من الباطل، وإذا لم ترضَ عن هذه القصيدة فعندي أمثالُها وأمثالُها مما يغيظك، فالمؤلف عندَه استعداد للمناظرة.

(٢) الكفر أنواع: منه كفر العناد، ومنه كفر الجحود، وكفر التكذيب، وكفر النفاق، والعناد هو المعاندة للحق بعد معرفته.

(٣) يعني أربعة خصوم.

فَــظٌّ غليــظٌ جــاهــلٌ مُتَمَعْلِــمٌ
ضخـمُ العِمـامَـةِ واسِـعُ الأردانِ[١]
مُتَفَيْهِــقٌ مُتَضَلِّـــعٌ بــالجَهْــلِ ذُو
ضَلَــعٍ وذُو جَلَــحٍ مِــنَ العِــرْفَـانِ
مُـزْجَىٰ البضـاعَـةِ فـي العلومِ وإنَّـهُ
زاجٍ مِـــن الإيهــامِ والهَــذيــانِ[٢]
يَشكــو إلــىٰ اللهِ الحقــوقَ تظلُّمــاً
مِـــن جهلِــهِ كشكــايــةِ الأبــدانِ
مِـن جـاهـلٍ مُتَطبِّـبٍ يُفْتـي الـورَىٰ
ويُحيـلُ ذاكَ علـىٰ قضـا الـرحمٰنِ[٣]
عَجَّـتْ فُـرُوجُ الخَلْـقِ ثُـمَّ دِمـاؤُهُـمْ
وحُقُــوقُهُــمْ منــهُ إلــىٰ الــدَّيَّــانِ
مـا عنـدَهُ عِلْـمٌ سـوىٰ التكفيـرِ والتـ
تَبْـــديــعِ والتضليــلِ والبهتــانِ[٤]

---

(١) هذا هو الصنف الأول: الجاهل المتعالم وهو الجاهل المُركَّب الذي يظهر بزيِّ أهل العلم والملابس التي يلبسها العُلماء وهو جاهل.

(٢) يعني: ليس عندَه من العلوم شيء فهو مُفلس.

(٣) يفتي ويقضي بين الناس ويُحيل هذا إلىٰ شرع الله ويقول: هذا هو الشرع وهذا هو القضاء الشرعي، فيكذب علىٰ الله تعالىٰ في فتواهُ وفي قضائه.

(٤) يعني: يقول بتضليل أهل العلم وتفسيقهم وتبديعهم لأنَّهم خالفوا رأيهُ وخالفوا هواه.

فــإذا تَيقَّـــنَ أنَّـــهُ المغلـــوبُ عِنْـ

ـــدَ تقـابُـلِ الفـرسـانِ فـي الميـدانِ

قــال اشتكـوهُ إلـىٰ القُضـاةِ فـإنَّهُـمْ

حَكَمُـــوا وإلاَّ اشْكُـــوهُ للسُّلطـــانِ

قـولـوا لَـهُ هـذا يُحِـلُّ المِلْـكَ بـل

هـٰـذا يُـزِيـلُ المِلْـكَ مِثْـلَ فُـلانِ

فـاعْقِـرْهُ مِـنْ قَبْـلِ اشْتـدادِ الأمـرِ مـنـ

ـــه بقـــوَّةِ الأتبـــاعِ والأعـــوانِ(١)

وإذَا دَعَـــاكُـــمْ للـــرَّسُـــولِ وحُكْمِـــهِ

فـــادْعُـــوهُ كُلُّكُـــمُ لـــرَأيِ فُـــلانِ

وإذا اجتمعتُمْ في المجالسِ فالْغَطُوا

والْغَـــوْا إذا مـــا احْتَـــجَّ بـــالقـــرآنِ(٢)

---

(١) إذا حصلت مناظرة بينه وبين أهل الحق وأُفحم لجأ إلىٰ القوة وقال: اشتكوهم إلىٰ القضاة، فإن لم يُساعدكم القضاة عليهم فاشكوهُم إلىٰ السلطان، وقولوا: هؤلاء يُحاولون إزالة مُلكِكَ والتدخُّل في السياسة، كما فعلوا مع شيخ الإسلام ابن تيمية، وكما فعلوا مع الناظم نفسه حيث وشوا بهم إلىٰ القضاء ثمّ إلىٰ السلاطين.

(٢) إذا اجتمعتم في المجالس للمناظرة ارفعُوا أصواتكم بالضجيج والتهويل حتىٰ تغلبوا كما قال مَن قبلهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

واسْتَنْصِــرُوا بِمَحَــاضِــرٍ وشَهَــادَةٍ
قَــدْ أُصْلِحَــتْ بِــالــرِّفْــقِ والإتْقَــانِ
لا تَسْــأَلُــوا الشُّهَــدَاءَ كَيْــفَ تَحَمَّلُــوا
وبِــأيِّ وقْــتٍ بَــلْ بِــأيِّ مَكَــانِ
وارْفُــوا شَهَــادَتَهُــمْ ومَشُّــوا حَــالَهَــا
بَــلْ أصْلِحُــوهَــا غَــايَــةَ الإمْكَــانِ
وإذا هُــمُ شَهِــدُوا فَــزَكُّــوهُــمْ ولا
تُصْغُــوا لِقَــوْلِ الجَــارِحِ الطَّعَّــانِ
قُــولُــوا العَــدَالَــةُ مِنْهُــمُ قَطْعِيَّــةٌ
لَسْنَــا نُعَــارِضُهَــا بِقَــوْلِ فُــلاَنِ
ثَبَتَتْ علىٰ الحُكَّامِ بَلْ حَكَمُوا بهَا
فَــالطَّعْــنُ فِيهَــا ليْــسَ ذا إمْكَــانِ
مَــنْ جَــاءَ يَقْــدَحُ فِيهِــمُ فَلْيَتَّخِــذْ
ظَهْــراً كَمِثْــلِ حِجَــارَةِ الصَّــوَّانِ
وإذا هُــوَ اسْتَعْــدَاهُــمُ فَجَــوَابُكُــمْ
أتَــرُدُّهَــا بِعَــدَاوَةِ الــدَّيَّــانِ

* * *

فصل

في حال العدُوِّ الثاني

أو حـاسـدٍ قـد بـات يَغلِـي صَـدْرُهُ

بعـداوتـي كـالمِـرْجَـلِ المـلآنِ[1]

لـو قلـتُ هـذا البحـرُ قـال مُكـذِّبـاً

هـذا السـرابُ يكـون بـالقِيعـانِ[2]

أوْ قُلْتُ هَذِي الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتاً

الشَّمْـسُ لَـمْ تَطْلُـعْ إلـىٰ ذا الآنِ

أوْ قُلْـتُ قَـالَ اللهُ قَـالَ رَسُـولُـهُ

غَضِـبَ الخَبِيـثُ وجَـاءَ بِـالكِتْمَـانِ

أوْ حَـرَّفَ القُـرْآنَ عَـنْ مَـوْضُـوعِـهِ

تَحْـرِيـفَ كَـذَّابٍ علـىٰ القُـرْآنِ

صَـالَ النُّصُـوصُ علَيْـهِ فَهْـوَ بِـدَفْعِهَـا

مُتَـوَكِّـلٌ بِـالـدَّأْبِ والـدِّيـدَانِ

---

(١) هذا العدو يعرف الحق ويعرف أنَّ خصمه علىٰ حق، ولكن الحسد حملَه علىٰ الطعن به وبأمثاله، والحسد داءٌ قاتل، فهو الذي حمل أحد ابني آدم فقتل أخاهُ فتحمَّل ظلم ووزر كل نفس تُقتل بعدَه عدواناً.

(٢) فلو قلتَ له: هذا بحر، قال: لا هذا سرابٌ فهو يجحد الحقائق من باب الحسد.

فكَـلامُـهُ فـي النَّـصِّ عِنْـدَ خِـلافِـهِ
مِـنْ بَـابِ دَفْـعِ الصَّـائِـلِ الطَّعَّـانِ
فـالْقَصْـدُ دَفْـعُ النَّـصِّ عَـنْ مَـدْلُـولِـهِ
كَيْـلا يَصُـولَ إذا التَقَـىٰ الـزَّحْفَـانِ

* * *

فصل

في حال العدُوِّ الثالث[١]

والثالثُ الأعمىٰ المُقلِّدُ ذَيْنِكَ الرْ
رَجُلَيْــنِ قــائِــدُ زُمْــرَةِ العُميــانِ

فــاللعــنُ والتكفيــرُ والتبـديـعُ والتْـ
تَضْليــلُ والتفسيــقُ بــالعُــدوانِ

فــإذا هُــمُ ســألــوهُ مُسْتَنَــداً لَــهُ
قـال اسمعُـوا مـا قـالَـهُ الـرجُـلانِ[٢]

* * *

(١) وهو المقلِّد للعدوين السابقين: مُقلِّد للجاهل وللحاسد.

(٢) يعني إذا طُلب منه الذليل قال: هذا قول فلان وفلان ليس عندَه دليلٌ إلاّ التقليد، وهذا من أبطل الباطل.

فصل

في حال العدُوِّ الرابع[1]

هــذا ورابعُهُــمْ وليــس بكَلْبِهِــمْ
حـاشـا الكـلابَ الآكلـي الأنْتـانِ[2]
خِنْـزِيـرُ طَبْـعٍ فـي خَلِيقَـةِ نَـاطـقٍ
مُتَسَـــوِّفٍ بِـــالكِـــذْبِ والبُهْتَـــانِ
كـالكَلْـبِ يَتْبَعُهُـمْ يُمَشْمِـشُ أَعْظُمـاً
يَـــرْمُـــونَهَـــا والقَـــوْمُ لِلُّحْمَـــانِ
يَتَفَكَّهُـــونَ بِهَـــا رَخِيصـاً سِعْـرُهَـــا
مَيْتـــاً بِـــلاَ عـــوَضٍ ولا أَثْمَـــانِ
هُـوَ فَضْلَـةٌ فـي النَّـاس لا عِلْـمٌ ولا
دِيـــنٌ ولا تَمْكِيـــنُ ذي سُلْطَـــانِ
فـــإذا رأىٰ شَـــرّاً تَحَـــرَّكَ يَبْتَغِـــي
ذِكْـــراً كَمِثْـــلِ تَحَـــرُّكِ الثُّعْبَـــانِ
لِيَـزُولَ مِنْـهُ أَذَىٰ الكَسَـادِ فَيَنْفَـقُ الْـ
ـكَلْـبُ العَقُـورُ علـىٰ ذُكُـورِ الضَّـانِ

---

(١) هذا هو العدو الرابع: هو النَّمام.

(٢) يعني: أنَّه أخبث من الكلاب، لأن النميمة أخبث من اللحم النتن.

فبقــاؤُهُ فــي النَّــاسِ أعظــمُ مِحْنَــةٍ
مِــنْ عَسْكَــرٍ يُعْــزَىٰ إلــىٰ غــازانِ[١]
هذي بضاعةُ ضاربٍ في الأرض يبـ
ـغـي تـاجـراً يَبْتَـاعُ بـالأثمـانِ[٢]
وَجَـدَ التُّجَـارَ جميعَهُـمْ قـد سـافـروا
عَــنْ هــذه البُلــدانِ والأوطــانِ[٣]
إلا الصَّعَــافِقَــةَ الــذيــن تكَلَّفُــوا
أن يَتْجَــرُوا فينــا بــلا أثمــانِ[٤]
فَهُـمُ الـزُّبُـونُ لهَـا فَبِـاللهِ ارْحَمُـوا
مِــنْ بَيْعَــةٍ مِــنْ مُفْلِـسٍ مِـدْيَـانِ
يَـا رَبِّ فَـارْزُقْهَـا بِحَقِّـكَ تَـاجِـراً
قَــدْ طَــافَ بِــالآفَــاقِ والبُلْــدَانِ

---

(١) يعني: هذا هو أشدُّ علىٰ النَّاس من جيوش التتار الذين أفسدُوا البلاد، لأنَّ النمامين يُفسدون المجتمع.

(٢) يعرض المؤلِّف رحمهُ الله هذه القصيدة علىٰ من عنده استعداد لشرائها وقبولها وعلىٰ مَن عندَه ثمنٌ لها.

(٣) هذا كناية عن موت العُلماء، فلم يبق لهذه القصيدة زبون.

(٤) يعني: لم يبقَ إلاّ المدعين للعلم.

ولكن بضاعته رحمه الله في هذه القصيدة العظيمة قد لقيت قبولاً من بعده عند أهل السنة والجماعة فصاروا يدرسونها ويشرحونها في كل وقت.

مَــا كُــلُّ مَنْقُــوشٍ لَــدَيْــهِ أَصْفَــرٍ
ذَهَبــاً يَــرَاهُ خَــالِــصَ العِقْيَــانِ

وكَــذَا الــزُّجَـاجُ ودُرَّةُ الغَــوَّاصِ فِــي
تَمْيِيــزِهِ مَــا إنْ هُمَــا مَثَــلاَنِ

* * *

فصل

في توجُّه أهل السنة إلىٰ ربِّ العالمين أن ينصر دينَه وكتابَهُ ورسولَهُ وعبادَهُ المؤمنين

هــذا ونَصْــرُ الــديــنِ فــرضٌ لازمٌ
لا للكفــايــةِ بــل علــىٰ الأعيــانِ

بِيَــدٍ وإمَّــا بــاللســانِ فــإنْ عَجَــزْ
تَ فبــالتَّــوَجُّــه والــدُّعــا بِجَنــانِ

مــا بَعْــدَ ذا واللهِ لــلإيمــانِ حَبْـ
ـبَــةُ خَــرْدلٍ يــا نــاصــرَ الإيمــانِ[1]

بحيــاةِ وَجْهِــكَ خَيْــرِ مَســؤُولٍ بِــهِ
وبِنُــورِ وجْهِــكَ يــا عظيــمَ الشــانِ

---

(١) هذا مضمون حديث النبي ﷺ: «من رأىٰ منكم منكراً فليُغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعَفُ الإيمان»(*) وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبَّةُ خردل»(**).

(*) أخرجه أحمد في «المسند» ١٨/ ٤٢ (١١٤٦٠)، ومسلم (٤٩) (٧٨)، وأبو داود (١١٤٠)، وابن ماجه (١٢٧٥)، والترمذي (٢١٧٢) من حديث أبي سعيد الخدري.

(**) أخرجها مسلم (٥٠) (٨٠) من حديث عبد الله بن مسعود.

وبحـــقِّ نِعْمَتِــكَ التـــي أوْلَيْتَهـــا
مِــنْ غيــرِ مــا عِــوَضٍ ولا أثمــانِ
وبحــقِّ رحمتِـكَ التـي وَسِعَـتْ جميـ
ـعَ الخَلْقِ مُحْسِنَهُمْ كذاكَ الجاني
وبحــقِّ أسمــاءٍ لــكَ الحُسْنَىٰ معــا
نِيهــا نُعُــوتُ المــدحِ للــرحمٰــنِ
وبحقِّ حَمْدِكَ وهو حَمْدٌ واسعُ الـ
أكــوانِ بــلْ أضعــافُ ذي الأكــوانِ
وبـــأنَّـــكَ اللهُ الإلــٰـــهُ الحــقُّ معـ
ـبُـودُ الــورَىٰ مُتقــدِّسٌ عــن ثــانِ
بَــلْ كُــلُّ مَعْبــودٍ سِــواكَ فبــاطِــلٌ
مِـنْ دونِ عَـرْشِـكَ للثَرىٰ التَّحْتـانـي
وبــكَ المَعــاذُ ولا مــلاذَ سِـواك أنـ
ـــتَ غيــاثُ كُــلِّ مُلَــذَّدٍ لَهْفــانِ
مَــنْ ذاكَ للمُضْطَــرِّ يسمعُــهُ سِــوا
كَ يُجيــبُ دعــوتَــه مَــعَ العصيــانِ
إنّــا تَــوَجَّهْنــا إليــكَ لحــاجــةٍ
تُــرضيــكَ طــالبُهــا أحــقُّ مُعَــانِ
فاجعلْ قضاها بعض أنْعُمِكَ التي
سَبَغَــتْ علينــا منــكَ كــلَّ زَمــانِ

انْصُرْ كتابَكَ والرسولَ ودينَكَ الْـ
ـعالي الذي أنزلتَ بالبرهانِ
واخْتَرتَهُ دِيناً لنفسِكَ واصطفيـ
ـتَ مُقيمَةُ مِن أُمَّةِ الإنسانِ
ورضيتَهُ دِيناً لِمَنْ تَرضاه مِنْ
هذا الورَىٰ هُو قَيِّمُ الأديانِ
وأقِرَّ عَيْنَ رَسُولِكَ المبعوثِ بالدْ
دِينِ الحَنيفِ بِنَصْرِهِ المتدانِي
وانْصُرْهُ بالنصرِ العزيزِ كَمِثْلِ ما
قَدْ كُنْتَ تَنصرُهُ بكلِّ زمانِ
يا ربِّ وانْصُرْ خيرَ حِزْبَيْنا علىٰ
حِزْبِ الضلالِ وعَسْكرِ الشيطانِ
يا ربِّ واجعلْ شَرَّ حِزْبَيْنا فدىً
لخيارِهِمْ ولعسكرِ القرآنِ
يا ربِّ واجْعَلْ حِزْبَكَ المَنْصُورَ أهْـ
ـلَ تَراحُمٍ وتَواصُلٍ وتَدانِ
يا ربِّ واحْمِهِمْ مِن البدعِ التي
قد أُحْدِثَتْ في الدينِ كلَّ زمانِ
يا ربِّ جَنِّبْهُمْ طرائِقَاها التي
تُفْضِي بسالِكِها إلى النيرانِ

يـا ربِّ واهْـدِهِـمْ بنـورِ الـوحْـي كـيْ
يَصِلُـوا إليـكَ فيظفَـرُوا بِجنـانِ
يـا ربِّ كُـنْ لَهُـمْ وليّـاً نـاصـراً
واحْفَظْهُـمُ مِـنْ فِتْنَـةِ الفَتّـانِ
وانصـرْهُـمُ يـا ربِّ بـالحـقِّ الـذي
أنْـزَلْتَـهُ يـا مُنْـزِلَ القـرآنِ
يـا ربِّ إنَّهُـمُ هُـمُ الغـربـاءُ قَـدْ
لجـؤوا إليـكَ وأنـتَ ذو الإحسـانِ
يـا ربِّ قـد عَـادَوْا لأجْلِـكَ كـلَّ هـ
ـذا الخَلْـقِ إلاَّ صـادقُ الإيمـانِ
قـد فَـارقُـوهُـمْ فيـكَ أحـوجَ مـا هُـمُ
دُنْيـا إليْهِـمْ فـي رِضـا الـرحمٰـنِ
وَرَضُـوا ولايَتَـكَ التـي مَـنْ نـالَهـا
نـالَ الأمـانَ ونـالَ كـلَّ أمـانِ
وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِواهُ وما ارتضوا
بِسِـواهُ مِـنْ آراءِ ذي الهَـذَيـانِ
يـا رَبِّ ثَبِّتْهُـمْ علـىٰ الإيمـانِ واجْـ
ـعَلْهُـمْ هُـداةَ التـائِـهِ الحيـرانِ
وانْصُرْ علىٰ حزبِ النُّفاةِ عساكرَ الـ
إثبـاتِ أهـلَ الحـقِّ والعِـرفـانِ

وأَقِـمْ لأهـلِ السُّنَّـةِ النبـويَّـةِ الـ

أنصـارَ وانْصُـرْهُـمْ بكـلِّ زمـانِ

واجعلْهُـمْ للمتقيـنَ أئمَّـةً

وارْزُقْهُـمُ صَبْـراً مـع الإيقـانِ

تَهـدي بـأمـرِكَ لا بمـا قَـدْ أحـدثـوا

ودَعَـوْا إليـه النـاسَ بـالعُـدوانِ

وأَعِـزَّهُـمْ بـالحـقِّ وانْصُـرْهُـمْ بـه

نصـراً عـزيـزاً أنـتَ ذو السُّلطـانِ

واغْفِـرْ ذُنـوبَهُـمْ وأَصْلِـحْ شـأنَهُـمْ

فـلأنْـتَ أهـلُ العَفْـوِ والغُفْـرانِ

ولـكَ المحـامـدُ كلُّهـا حمـداً كمـا

يُـرْضيـكَ لا يفنَـىٰ علـىٰ الأزمـانِ

مِلْءَ السمواتِ العُلَىٰ والأرضِ والـ

ـموجـودِ بَعْـدُ ومنتهـىٰ الإمكـانِ

ممـا تشـاءُ وراءَ ذلـك كُلِّـهِ

حمـداً بغيـرِ نهـايـةٍ بـزمـانِ

وعلىٰ رسولِكَ أفضلُ الصلواتِ والتـ

تسليـمِ مِنـكَ وأكمـلُ الـرِّضـوانِ

وعلــىٰ صحــابتِــهِ جميعــاً والأُلَــىٰ
تَبِعــوهُــمُ مِــنْ بَعْــدُ بــالإحســانِ[١]

تمت القصيدة بحمد الله تعالىٰ

---

(١) رحمه الله وغفر له وتقبَّل هذه الدعوات المباركة، ونصر دينه، وأعلىٰ كلمته في كلِّ زمانٍ ومكان، لم يُقصِّر رحمةُ الله في النصيحة والبيان وردِّ الباطل، حيث جمع في هذه القصيدة من العلوم ما يحتاج شرحُه إلىٰ مُجلَّدات.

والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين.

قسم الأسئلة

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال: هل يدخل العمل في مسمىٰ الإيمان؟

الجواب: العمل من حقيقة الإيمان، لا يكون الإيمان إلا بعمل، إذا زال العمل كله زال الإيمان وإذا زال بعضه فقد يزول الإيمان كترك الصلاة. وقد ينقص ولا يزول.

السائل: ما هو الإيمان أحسن الله إليك؟

الجواب: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، لا بد أن تجمع هذه الأمور كلها ليتحقق الإيمان.

سؤال: أيهما شر قول الكرامية أو قول الأشاعرة في الإيمان؟

الجواب: كلاهما شر قول الكرامية، وقول الأشاعرة، ولكن قول الكرامية أبعد؛ لأنه يلزم عليه أن المنافقين مؤمنون، والله نفىٰ عنهم الإيمان.

سؤال: عفا الله عنك الذي يقول: أفعال الله محدثة، هل هذا القول صواب؟

الجواب: أفعال الله آحادها تحدث شيئاً فشيئاً، يفعل ما يشاء في خلقه، إذا شاء ولكن جنس الفعل، هذا قديم موصوف به سبحانه وتعالىٰ أنه يفعل ما يشاء دائماً، وأبداً، لا تحديد، ولا بداية لأفعاله، كما لا نهاية لأفعاله.

سؤال: عفا الله عنك، هل كل معتزلي يُعتبر جهمياً أو العكس؟

الجواب: ليس كل معتزلي يعتبر جهمياً، الجهمية شر من المعتزلة، المعتزلة أخف من الجهمية.

سؤال: تخصيص آدم يا شيخ أنه كلم فيه تخصيص.

الجواب: كلمه ربه فقال له: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٣٣]، وقال: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، الله كلمهما بدون واسطة، فهو مُكَلَّم من الله عز وجل.

سؤال: قال مثله لموسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام؟

الجواب: نعم، ومحمد عليه الصلاة والسلام كلمه ربه ليلة المعراج بدون واسطة، وفرض عليه الصلوات الخمس، وفي غير ذلك كان يأتيه الوحي بواسطة جبريل لكن التكليم الكامل صار لموسىٰ عليه السلام، فهو كليم الله.

سؤال: أحسن الله إليكم هل الرؤية القلبية لا تكون إلا في المنام؟

الجواب: تكون الرؤية القلبية في اليقظة بالعلم وفي المنام.

سؤال: بارك الله فيك، في النفث في الروع هل يكون بدون واسطة؟ في حديث النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «نفث في روعي»(*)؟

الجواب: نعم يكون النفث في الروع بدون واسطة.

(*) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ٢/ ٥ (٢١٣٦) من حديث ابن مسعود.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما رأيكم فيمن يقول هناك مجاز في القرآن في غير آيات الأسماء والصفات في قوله تعالىٰ: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

الجواب: الصحيح أنه ليس في القرآن مجاز مطلقاً وأنه حقيقة، كله وليس فيه مجاز، وقوله ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ إرادة كل شيء بحسبه، الجدار له إرادة بحسبه، والإنسان له إرادة بحسبه، والحيوان له إرادة بحسبه، فإرادة كل شيء بحسبه، وليس هذا من باب المجاز، فليست الإرادة خاصة بالإنسان فقط.

سؤال: ما المراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾؟

الجواب: القرية المراد بها الناس، لأن التقري في الأصل هو الاجتماع، ولفظ القرية في الأصل يطلق علىٰ الناس المجتمعين، لا يطلق علىٰ المباني والشوارع، يطلق علىٰ الناس المجتمعين، فهو من تسمية المحل باسم الحال، فأصل اسم التقري والقرية لمجمع الناس مثل قرية النمل.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الأشاعرة جهمية؟

الجواب: نعم هم جهمية بحسب ما يعتقدونه من مقالات الجهمية، فهم ليسوا جهمية خلص، ولكن عندهم تجهم في نفي بعض الصفات أما الأسماء فإنهم لا ينفونها.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما هو الضابط في الاسم والصفة، مثلاً: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، هل القدير اسم نستفيده من هذه الآية؟

الجواب: القدير اسم لا شك فيه، والسميع اسم، والبصير اسم، لكن يؤخذ من كل اسم صفة، القدير يؤخذ منه القدرة، السميع يؤخذ منه السمع، البصير يؤخذ منه البصر.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: المحسن هل هو من أسماء الله الثابتة؟ وما رأيكم فيمن يسمىٰ عبد المحسن؟

الجواب: ليس هو من الأسماء الواردة، والله جل وعلا يوصف بأنه يحسن إلىٰ عباده: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]، والله يوصف بالفعل بأنه يحسن إلىٰ عباده، وأما إنه يؤخذ منه اسم لله المحسن هذا لم يرد فيما أعلم.

سؤال: هل هناك حرج في تسمية عبد المحسن؟

الجواب: لا يوجد حرج لكن لا يقال إن المحسن من أسماء الله.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: نرجو أن تبين لنا وسطية أهل السنة والجماعة والفرق بين الخوارج والمعتزلة لأنه حصل فرق كبير جداً في هذا المجال؟

الجواب: الخوارج يكفرون بالكبائر، من يزني أو يسرق أو يشرب الخمر هذا عندهم كافر خالدٌ مخلد في النار، وكذلك المعتزلة يقولون يخرج من الإيمان لكنه لا يدخل في الكفر، ويكون

في المنزلة بين المنزلتين فإن مات وهو علىٰ ذلك فإنه يخلد في النار كما تقوله الخوارج.

المرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، لأن الإيمان عندهم هو ما في القلب، التصديق في القلب فقط، مهما عمل من الأعمال فهو مؤمن كامل الإيمان، والمعاصي هذه لا تضر إيمانه، لا يضره مع الإيمان الذي هو اعتقاد القلب عندهم، لا يضر معه معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم علىٰ طرفي نقيض مع الخوارج. أهل السنة والجماعة لا يغلون غلو الخوارج، فيكفرون مرتكب الكبيرة، ولا يتساهلون تساهل المرجئة فيعطون العاصي كامل الإيمان، بل يقولون: إنه مؤمن ناقص الإيمان، فالمعاصي تنقص الإيمان، لكنها لا تسلبه الإيمان بالكلية بل يكون مؤمناً فاسقاً أو مؤمناً ناقص الإيمان، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، فلا يسلبونه مطلق الإيمان كما تقوله الخوارج ولا يعطونه الإيمان المطلق كما تقوله المرجئة.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: كيف يكون القول علىٰ الله بغير علم أعظم من الشرك، مع أن القائل علىٰ الله بغير علم تحت المشيئة أما المشرك فهو خارج عن الإسلام؟

الجواب: القول علىٰ الله بغير علم أعظم من الشرك لأن الشرك جزء من القول علىٰ الله بغير علم، لأن المشرك قال علىٰ الله بلا علم واتخذ له شركاء وأولياء يدعوهم من دونه، ويقول: إن الله شرع لنا هذا.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما رأيكم فيمن يثني علىٰ ابن سينا ويجعله من علماء المسلمين وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: هذا بين أمرين، إما إنه جاهل ولا يدري عن حال ابن سينا، وهذا لا يحق له أن يتكلم، بل يجب عليه أن يسكت، وإما إنه عالم بحال ابن سينا وكفرياته فيكون مقراً له علىٰ ذلك فيكون حكمه مثل حكم ابن سينا والعياذ بالله، لأنه أقره علىٰ ذلك وزكاه فالأمر خطير جداً. لكن بعض الناس يثني علىٰ ابن سينا من ناحية أنه طبيب فقط، وهذه حرفة دنيوية، هو طبيب وفي الكفار من هو أحذق منه في الطب، فلماذا يخص ابن سينا؟ يقولون: لأنه ينتسب للإسلام وهذا مفخرة للإسلام، نقول: الإسلام منه بريء والإسلام غنيٌّ عنه. والحاصل أنه لا يمدح ولا يزكىٰ لأنه باطني من الباطنية، فيلسوف ملحد يقول بجواز قدم العالم.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل خلاف أهل السنة مع مرجئة الفقهاء خلاف لفظي أو حقيقي؟

الجواب: خلاف أهل السنة مع مرجئة الفقهاء حقيقي لأن أهل السنة يقولون: إن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وهي ركن من الإيمان، أما مرجئة الفقهاء فيقولون: الأعمال ليست داخلة في حقيقة الإيمان وإنما هي شرط في صحة الإيمان، وهذا خطأ واضح لأن الشرط خارج المشروط، فيتساهلون في أمور المعاصي والمخالفات ويقولون: ما دام أنه مصدق بقلبه ناطق بلسانه فهو

كامل الإيمان، ولا ينقص، والمعاصي لا تنقص الإيمان عندهم، هناك فرق بينهم واضح. وهناك خلاف حقيقي ما هو بلفظي كما يقول بعض المعلقين أو بعض الكتاب.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل يسٓ وطٰه من أسماء النبي ﷺ أم هي حروف مقطعة في أوائل السور؟

الجواب: هي حروف مقطعة، وليست من أسماء الرسول ﷺ، الرسول ليس من أسمائه يسٓ ولا طٰه، أسماء الرسول معروفة اقرؤوا كتاب جلاء الأفهام لابن القيم، كي تعرفوا أسماء الرسول ﷺ.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ألم يكلم الله سبحانه وتعالىٰ نبينا ﷺ بنفسه عند فرض الصلوات الخمس عليه فكيف يكون تكليم موسىٰ خاصاً به؟

الجواب: نعم تكليم موسىٰ برسالته عموماً بدون واسطة، أما نبينا ﷺ فكان ينزل عليه جبريل بالوحي إلا في هذا الموقف الخاص وهو موقف المعراج وفرض الصلوات الخمس عليه، فإن الله كلمه بها، بدون واسطة، هذا حصل مرة واحدة خلاف ما حصل لموسىٰ عليه السلام، فإنه استمر مع موسىٰ برسالته عليه الصلاة والسلام.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الرافضة الذين يعيشون بين أهل السنة، كفار بأعيانهم أو يعذرون بالجهل، وهل يكفر أعيانهم أم لا، أرجو التوضيح؟

الجواب: من اعتنق هذا المذهب وأصر عليه حكم عليه حكم أهله، أما من كان جاهلاً ولم يعرف حقيقة مذهبهم، فهذا يبين له الحق فإن قبل، فالحمد لله، وإن أصر حكم عليه بحكم أهل هذا المذهب.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل يجوز دعاء الله تعالىٰ بالأخبار بأن يقول الداعي: «اللهم يا من لا تختلف عليه اللغات ولا تختلف عليه الأصوات»؟

الجواب: نعم يجوز لأن هذا من صفات الله سبحانه وتعالىٰ أنه لا يخفىٰ عليه شيء، ولا تختلف عليه اللغات، ولا تشتبه عليه الأصوات، بل يسمع ويرىٰ ويعلم سبحانه وتعالىٰ كل شيء ولا يختلط عليه هذا بهذا.

ولذلك يرزق العباد والحشرات والدواب والسباع والهوام وكل شيء يرزقه ما يحتاج إليه، فهذا دليل علىٰ أن الله جل وعلا لا يختلف عليه شيء ولا يخفىٰ عليه شيء.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الحنان من أسماء الله أو صفاته؟

الجواب: لم يثبت ذلك.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [ق: ٢٩]، هل يصح أن يقال: إن ظلام هنا صيغة مبالغة.

الجواب: نعم، ظلام صيغة مبالغة، الله جل وعلا لا يصدر منه ظلم لأحد وإنما يجزي الناس بأعمالهم، فأهل الأعمال السيئة يجزيهم بأعمالهم فقط ولا يزيد علىٰ أعمالهم، وأما أهل الأعمال الصالحة فيجزيهم بأعمالهم ويزيد عليها من فضله ويضاعف لهم من فضله سبحانه وتعالىٰ.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما الفرق بين صفات الجلال وصفات الجمال؟

الجواب: كلها سواء، صفات الجمال والجلال كلها صفات كمال لله سبحانه وتعالىٰ.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: فسر اللطيف بأنه هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية فهل هذا تفسير صحيح؟

الجواب: اللطيف هو الذي يدرك الأشياء ويعلمها سبحانه والناس لا يعلمون ذلك، هذا هو اللطيف وكذلك هو الذي يلطف بعباده ويرحمهم.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ينتشر عند بعض الكتاب قولهم شاءت إرادة الله أو شاءت قدرة الله فهل هذا استعمال صحيح شرعاً؟

الجواب: المشيئة والإرادة لا تدعيان وإنما يدعىٰ الله جل وعلا.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما الفرق بين القضاء والقدر وما الواجب في أقدار الله الرضا أم الصبر؟

الجواب: القضاء والقدر بمعنىٰ واحد لا فرق بينهما، والرضا بقضاء الله وقدره بمعنىٰ عدم الجزع وعدم التسخط هذا واجب، ترضىٰ بقضاء الله وقدره ولا تتسخط ولا تجزع، وأما الرضا بمعنىٰ أنك تلذذ بالقضاء والقدر تلذذ بالجوع وبالمرض فهذا ليس بواجب.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: في شرح الشيخ محمد هراس للنونية ذكر عن صاحب البداية أنه فسر الصمد بأنه الذي لا جوف له؟

الجواب: هذا معروف لو راجعتم تفسير هذه السورة لشيخ الإسلام ابن تيمية وجدتم هذا المعنىٰ. الله جل وعلا ليس مثل المخلوقات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، سبحانه وتعالىٰ.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما الدليل علىٰ إطلاق اسم المغيث علىٰ الله عز وجل؟

الجواب: لأنه هو الذي ينزل الغيث، والمغيث بمعنىٰ المجيب من الإغاثة وهي إنقاذ الواقع في خطر وهذا من أسماء الله سبحانه وتعالىٰ.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما معنىٰ اسم الله العزيز؟

الجواب: العزيز القوي الذي لا يغالب سبحانه وتعالىٰ، والعزة هي القوة ولا أحد أقوىٰ من الله عز وجل.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: كثر الكلام علىٰ شراح الحديث الذين أنكروا العلو والصفات بالتأويل، هل هؤلاء عرفوا الحق وعاندوه أم أنهم تهاونوا في طلب الحق أم أنهم جهال؟

الجواب: هؤلاء يؤمنون بالله ورسوله، ويؤمنون بأركان الإيمان الستة وهم أهل الحديث وأهل علم، ولا يكفرون بهذه المخالفات، التي وقعوا فيها بناء علىٰ التأويل لأن ما عندهم من الخير وما عندهم من العلم والفضل يغفر هذه الأخطاء.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: من كَفَّرَ الصحابةَ هل هو كافر؟

الجواب: من كَفَّرَ الصحابة عن علم، وهو يعرف أن الله جل وعلا عدلهم وزكاهم، والرسول حكم بإيمانهم، يعرف كل هذا ويكفر الصحابة فهو كافر. أما إن كان مقلداً سمع من يقول بهذا وقلده فهذا ضلال.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل هناك قاعدة في التفريق فيما بين الصفات التي هي أسماء والصفات التي ليست هي أسماء؟

الجواب: كل اسم يشتق منه صفة من صفاته سبحانه وتعالىٰ أما العكس فلا يشتق من أفعاله أسماء.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما حكم التسمي بعبد الأول، وعبد الآخر وعبد البار؟

الجواب: الأسماء المتقابلة لا يجوز فصل بعضها عن بعض بل يقال الأول والآخر لا يجوز أخذ الأول أو أخذ الآخر فقط، ولا أخذ الظاهر أو أخذ الباطن فقط.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الجهمية كلهم ينفون الأسماء والصفات أم غلاتهم فقط؟

الجواب: المعروف عنهم إنهم كلهم ينفون الأسماء والصفات والذي ينفي بعض الأسماء والصفات فيه تجهم حسب ما ينفي.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل يصح لنا أن نقول: إن الصحابة قد اختلفوا في بعض مسائل العقيدة؟

الجواب: ما ذكر عن الصحابة اختلاف في العقيدة أبداً، حاشا وكلا، الذي يدعي أنهم اختلفوا في شيء من العقيدة عليه إثبات ذلك.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: أهل البدع يرمون أهل السنة بأنهم حشوية، فما معناها؟

الجواب: الحشو هو الذي ليس له قيمة.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل من صفات الله الحنان، وما حكم قول: يا حنان يا منان في الدعاء؟

الجواب: الحنان لم يثبت أنه من أسماء الله، والحديث الوارد فيه ضعيف فيما يظهر لي، فلا يجوز أن يطلق على الله إلا ما صح وثبت.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما رأيكم فيمن يقول: إن النبي ﷺ معصوم فيما يبلغه عن ربه فيقيد العصمة فيما يبلغه عن ربه؟

الجواب: نعم لا شك أنه ﷺ معصوم فيما يبلغه عن ربه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وكذلك هو معصوم من كبائر الذنوب. كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من كبائر الذنوب، وإنما الخلاف في الصغائر فقط، ولكن ما ذكر الله عنهم ذنباً إلا وذكر معه التوبة، فهم معصومون من الصغائر في النهاية، وأما في البداية فقد يقع منهم شيء، لكنهم معصومون من الاستمرار عليها، معصومون منها نهاية لا بداية، أما الكبائر فهم معصومون منها بداية ونهاية، كذلك ما يبلغون عن الله فهم معصومون مطلقاً.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: من وقع في الإلحاد من القسمين الأخيرين هل يبدعون بأعيانهم في هذا العصر؟

الجواب: من وقع في البدعة يبدع بعينه، من قال البدعة أو فعلها فإنه يقال: إنه مبتدع بعينه.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الخوارج كفار استنباطاً من قوله ﷺ: «ثم لا يعودوا إليه»؟

الجواب: تكفير الخوارج فيه خلاف بين أهل السنة، والصحيح أنهم ليسوا كفاراً، ولكنهم ضالون ومخطئون ويقاتلون لبغيهم وتعديهم علىٰ المسلمين، وكف شرهم.

وأما ما جاء إنهم يمرقون من الدين، المروق يختلف، قد يكون مروق كلي وهو الكفر، وقد يكون مروق جزئي. أما الصحيح والذي عليه الجمهور أن الخوارج ليسوا كفاراً إنما هم من الفرق الضالة.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما موقف المسلم تجاه من يعتقد معتقد بعض الطوائف كالأشاعرة والصوفية ونحوهم؟ هل يهجرون بعد نصحهم؟ وهل يسلم عليهم؟

الجواب: ينصحون ويبين لهم العقيدة الصحيحة فإن أصروا علىٰ عقيدة المخالفين وكان في هجرهم ردع لهم وداعٍ لتوبتهم فإنهم يهجرون أما إذا كان هجرهم لا يزيدهم إلا شراً فإنهم لا يهجرون ولكن يبين خطؤهم وضلالهم وينصحون ويستمر في نصحيتهم لعل الله أن يهديهم.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: قرأت في كتاب تفسير سورة الإخلاص أو في كتب في تفسير سورة الإخلاص إنها أحادية الوجود فليس هناك حقيقة إلا حقيقة الله، فكل حقيقة فإنها تستمد حقيقتها من ذلك الوجود الحقيقي..؟

الجواب: هذا مذهب وحدة الوجود وقد نبه علىٰ هذا كثير من أهل العلم وأنه مذهب أهل وحدة الوجود نسأل الله العافية.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل المسلم يخرج من الملة بمجرد نفيه صفة واحدة من صفات الله أو يمكن أن يبقىٰ علىٰ الإسلام مع سوء فهمه لهذه الصفة؟

الجواب: نفاة الصفات علىٰ قسمين: نفاة الصفات الذين علموا أدلتها، علموا وعاندوا ونفوها فهؤلاء كفار.

أما نفاة الصفات الذين هم مقلدة أو مؤولة، اعتمدوا علىٰ تأويل ظنوه صحيحاً فهؤلاء يضللون ولا يكفرون.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: قال الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «يا عبدي لو آتيتني بقراب الأرض خطايا لأتيتك بقرابها مغفرة» وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

الجواب: «لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً»(*) حذفت المقصود، فإذا لقي العبد ربه بالخطايا التي دون الشرك فهي تحت المشيئة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ هذا معنىٰ الحديث.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما حكم من يقول إنه يأخذ بالقرآن دون السنة أو العكس أفتونا مأجورين؟

الجواب: هذا لو أخذ بالقرآن لأخذ بالسنة لأن القرآن فيه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وفيه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وفيه ﴿وَمَن يُطِعِ

(*) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث أنس بن مالك، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

﴿ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٦٩]، ما قال يطع الله فقط بل قال: يطع الله والرسول وفيه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فهم ما أخذو بالقرآن إذا تركوا السنة.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: بماذا نحكم علىٰ المعتزلة والجهمية والوجودية؟ هل يحكم بكفرهم أم ماذا؟

الجواب: العلماء يقولون: من تعمد منهم الدعوة إلىٰ هذه المذاهب وهو يعلم أنها باطلة، هذا كافر، وأما من اعتنقها متأولاً يظن أنها حق أو مقلداً لمن يظن أنه علىٰ حق فهذا يعتبر ضالاً ولا يكفر، يدرأ عنه التكفير بالتأويل والتقليد الجاهل، وأغلبهم كذلك، أغلبهم مقلدة أو مأولة، أما دعاتهم وأئمتهم هؤلاء كفرة لأنهم عرفوا الحق ورفضوه.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: أرجو منكم إيضاح الحق هل في الكتاب والسنة مجاز أم لا؟

الجواب: كلام الله حقيقة، فكله حقيقة وليس فيه مجاز، هذا هو الصواب، لأننا لو فتحنا هذا الباب وقلنا: القرآن فيه مجاز صار هذا مجالاً لنفاة الصفات.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: ورد في بعض كتب العقائد بأن الله يقعد علىٰ العرش. ما مدىٰ صحة هذا الكلمة؟

الجواب: الذي جاء وثبت في القرآن استوىٰ علىٰ العرش، فنحن نثبت استوىٰ علىٰ العرش، فما أثبته الله لنفسه أثبتناه وما لم يثبت فنحن لا نقول به في حق الله جل وعلا.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: إذا سُئل عن الذنب الذي لا يغفر، هل الجواب يكون الشرك على الإطلاق أو الشرك الأكبر دون الأصغر؟

الجواب: تقول الشرك كما قال الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، تأتي بالآية ويكفي لا تفصل.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: ما صحة القول بأن الخلاف مع مرجئة الفقهاء، خلافٌ لفظي؟ وما صحة نسبة ذلك إلىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابة الإيمان؟

الجواب: هذا كلام غير صحيح، الخلاف بين أهل السنة والمرجئة خلافٌ معنوي حقيقي، وليس هو خلافاً لفظياً إنما يقول هذا الذين يريدون التخفيف من الأمر وتهدئة الأمور، لكن الذين يريدون بيان الحق لا يقولون هذا القول وما قال هذا شيخ الإسلام ابن تيمية.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل الأشاعرة يثبتون الصفات السبع مثل ما يثبتها أهل السنة؟ أو أنها تختلف من صفة إلىٰ أخرىٰ؟

الجواب: لا يثبتونها مثل ما يثبتها أهل السنة، أهل السنة يثبتونها بدليل الكتاب والسنة، أما هؤلاء فيثبتونها بدليل العقل عندهم، فمصادر التلقي عندهم غير مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة، يقولون: نثبتها لأن العقل أثبتها، فمصدرهم العقل بزعمهم.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: كيف نوافق بين قوله ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد» وبين قوله: هذا حكم الله ورسوله؟

الجواب: هذا في المشيئة، وأما الحكم فالله يحكم ورسوله يحكم، لكن الرسول لا يحكم إلا بحكم الله سبحانه وتعالىٰ فالأصل هو حكم الله سبحانه وتعالىٰ.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل يجوز أن أقول عن رجل من الأشاعرة إنه مبتدع أو أقول عنه إنه أشعري فقط؟

الجواب: مبتدع من حيث العقيدة، لأن البدع في العبادات، وتكون في العقائد، فالمعطلة مبتدعة في العقائد.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: العقل الصريح هل كلمة الصريح تعني الصحيح؟

الجواب: العقل الصريح يعني الصحيح السليم من النقص، والسليم من اللوث والزيغ. هذا هو العقل الصريح، وهو لا يتعارض مع ما أتي عن طريق النقل الصحيح.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: هل ثبت أن الله كلم نبيه محمداً ﷺ ليلة الإسراء أو في غيرها؟

الجواب: نعم كلمه وراجعه الرسول ﷺ في الصلوات الخمس، ولكن هذا كلام خاص، أما موسىٰ عليه السلام فإن الله كلمه بصفة دائمة، ولذلك سمي كليم الله، أما الرسول ﷺ فكان

كغيره من الرسل ينزل عليه جبريل بالوحي إلا في هذه الليلة فقد كلم الله سبحانه وتعالىٰ بدون واسطة وهذا لا يجعله شريكاً لموسىٰ في هذا اللقب العظيم كليم الله.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: في قول عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ: والذي بعثك بالحق إنك لأحب إليَّ من نفسي. هل يعني ذلك أن حب عمر للنبي ﷺ زاد في تلك اللحظة أو أنه انقاد لأمر الرسول ﷺ بأن يكون حبه له أكثر من نفسه؟

الجواب: يجمع الأمرين. انقاد لأمر الرسول، وألقىٰ الله في قلبه الإيمان والمحبة وزاد إيمانه؛ لأن المؤمن يزيد إيمانه فزاد إيمانه ومحبته للرسول ﷺ.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: إلىٰ كم قسم ينقسم التأويل وجزاكم الله خيراً؟

الجواب: التأويل ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وأنه علىٰ قسمين:

تأويل بمعنىٰ التفسير، وهذا صحيح، وهذا الذي مشىٰ عليه ابن جرير في تفسيره رحمه الله، يقول: القول في تأويل قوله تعالىٰ، يعني تفسير.

والمعنىٰ الثاني: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح، وهذا عند المتأخرين، وهذا هو التأويل المحدث، حرفوا فيه الأسماء والصفات عن معانيها الصحيحة إلىٰ معانٍ غير صحيحة، هذا تأويل مذموم.

وهناك نوع ثالث من التأويل: وهو ما يؤول إليه الشيء في النهاية ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، أي: ما يقود إليه الشيء في المستقبل، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، هذا ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، وهذا لا يعلمه إلا الله عز وجل لأن المستقبل وما يكون فيه لا يعلمه إلا الله عز وجل.

إذن التأويل على ثلاثة أقسام: ما يؤول إليه الشيء في المستقبل وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

والثاني: تفسير الكلام، وهذا صحيح يسمى تأويلاً.

والثالث: صرف اللفظ عن ظاهره، إلى معنى آخر، وهذا هو التأويل المذموم الذي ركبه المعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم من تأويل الصفات عن مدلولها.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: هل الرافضة كفار وهل يفرق بين علمائهم وبين عامتهم في ذلك؟

الجواب: القاعدة أن كل من دعا غير الله أو ذبح لغير الله، أو عمل أي عبادة لغير الله فإنه كافر سواء كان من الرافضة أو من غيرهم، من عبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادة فإنه كافر وكذلك من زعم أن أحداً يجب إتباعه غير الرسول ﷺ فإنه كافر من الرافضة أو غيرهم، الرافضة يرون أن لأئمتهم منزلة أعلى من مرتبة الرسل، وأن أئمتهم لا يخطئون وأنهم معصومون، وأن لهم الحق في أن يحللوا ما أرادوا وأن يحرموا ما أرادوا، أليس هذا أعظم الكفر

والعياذ بالله، هذا عندهم في كتبهم ما هو بخفي، وعندهم أمور كثيرة غير ذلك.

سؤال: يقول: وهل يفرق بين علمائهم وعامتهم في ذلك؟

الجواب: علماؤهم أشد، لأنهم يعرفون أن هذا باطل وأخذوه، لا شك في كفرهم، أما عوامهم فإذا أقيمت عليهم الحجة وأصروا يكفرون، أما ما لم تقم عليهم الحجة فهؤلاء أهل ضلال ولا يكفرون.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: هل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هم أفضل أتباع الأنبياء علىٰ الإطلاق؟

الجواب: أفضل الخلق بعد النبيين صحابة رسول الله ﷺ، لأن أفضل الرسل هو رسول الله ﷺ، وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ، هذا لا شك فيه، وأبو بكر وعمر هما أفضل هذه الأمة، أبو بكر في الدرجة الأولىٰ رضي الله عنه ثم بعده عمر ثم بعده عثمان ثم بعده علي، الأئمة الأربعة رضي الله عنهم ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، ثم المهاجرون أفضل من الأنصار، ثم أصحاب بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، الصحابة يتفاضلون رضي الله عنهم، لكن جملتهم هم الأفضل من الأمم بعد الأنبياء.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: هناك من يقول إنه قد يوجد في آخر الزمان أفراد أفضل من بعض الصحابة ولكن الصحابة في الإجمال أفضل ويمثل هذا بأعراب الصحابة وأنه قد

يوجد من العلماء العباد في آخر الزمان من هو أفضل من بعضهم. فما رأيكم في هذا القول.

الجواب: هذا كلام باطل لا أحد أفضل من الصحابة، الذين رأوا الرسول ﷺ، هذه ميزة لم يحصل عليها المتأخرون ولو كان من العلماء ولو كان من العباد، ما حصل علىٰ رؤية الرسول ﷺ، ولا صحبه ولا جاهد معه فلا أحد أفضل من الصحابة، ولا يجوز هذا الكلام أبداً.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: هل المحسن من أسماء الله عز وجل؟

الجواب: لم يثبت فيما أعلم أن المحسن من أسماء الله، ولكنه يخبر عنه بأنه محسن هذا من باب الإخبار لا من باب التسمية.

سؤال: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: يقول: ما هو الصواب في الإجابة عن هذا السؤال: هل العمل شرط صحة في الإيمان أم شرط كمال؟

الجواب: أهل السنة والجماعة وأهل العلم، ما عندهم شك بأن العمل من الإيمان، وداخل في الإيمان ولذلك يعرفونه بقولهم: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وأما لو كان شرطاً صار الشرط خارج المشروط فلا يقال: إن العمل شرط في الإيمان بل يقال: العمل يدخل في حقيقة الإيمان وتعريفه.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة البقرة

٣ ـ سورة آل عمران

سورة آل عمران

٤ ـ سورة النساء

سورة النساء

٥ ـ سورة المائدة

سورة المائدة

٦ ـ سورة الأنعام

سورة الأنعام

٧ ـ سورة الأعراف

سورة الأعراف

٨ ـ سورة الأنفال

٩ ـ سورة التوبة

سورة التوبة

١٠ـ سورة يونس

١١ـ سورة هود

١٢ـ سورة يوسف

١٣ـ سورة الرعد

١٤ـ سورة إبراهيم

١٥ـ سورة الحجر

١٦ـ سورة النحل

١٧ـ سورة الإسراء

سورة الإسراء

١٨ـ سورة الكهف

١٩ـ سورة مريم

٢٠ـ سورة طه

٢١ـ سورة الأنبياء

سورة الأنبياء

٢٢ـ سورة الحج

٢٣ـ سورة المؤمنون

سورة المؤمنون

٢٤ـ سورة النور

٢٥ـ سورة الفرقان

٢٦ـ سورة الشعراء

٢٧ـ سورة النمل

٢٨ـ سورة القصص

سورة القصص

٢٩ـ سورة العنكبوت

٣٠ـ سورة الروم

٣١ـ سورة لقمان

٣٢ـ سورة السجدة

سورة السجدة

٣٣ـ سورة الأحزاب

٣٤ـ سورة سبأ

٣٥ـ سورة فاطر

سورة فاطر

٣٦ـ سورة يس

٣٧ـ سورة الصافات

٣٩ـ سورة الزمر

سورة الزمر

٤٠ـ سورة غافر

سورة غافر

٤١ـ سورة فصلت

٤٢ـ سورة الشورىٰ

سورة الشورىٰ

٤٣ـ سورة الزخرف

٤٥ـ سورة الجاثية

٤٦ـ سورة الأحقاف

٤٧ـ سورة محمد

٤٨ـ سورة الفتح

٤٩ـ سورة الحجرات

٥٠ـ سورة قٓ

٥١ـ سورة الذاريات

٥٢ـ سورة الطور

٥٣ـ سورة النجم

٥٤ـ سورة القمر

٥٥ـ سورة الرحمٰن

سورة الرحمٰن

٥٦ـ سورة الواقعة

سورة الواقعة

٥٧ـ سورة الحديد

٥٨ـ سورة المجادلة

٥٩ـ سورة الحشر

٦١ـ سورة الصف

٦٣ـ سورة المنافقون

٦٤ـ سورة التغابن

٦٥ـ سورة الطلاق

٦٦ـ سورة التحريم

٦٧ـ سورة الملك

٦٨ـ سورة القلم

٦٩ـ سورة الحاقة

٧٠ـ سورة المعارج

٧٢ـ سورة الجن

٧٣ـ سورة المزمل

٧٤ـ سورة المدثر

٧٥ـ سورة القيامة

٧٦ـ سورة الإنسان

٧٨ـ سورة النبأ

٧٩ـ سورة النازعات

٨٠ـ سورة عبس

٨١ـ سورة التكوير

٨٢ـ سورة الانفطار

٨٣ـ سورة المطففين

سورة المطففين

٨٥ـ سورة البروج

٨٧ـ سورة الأعلىٰ

٨٩ـ سورة الفجر

٩٨ـ سورة البينة

٩٩ـ سورة الزلزلة

١٠٩ـ سورة الكافرون

١١٠ـ سورة النصر

١١٢ـ سورة الإخلاص

١١٤ـ سورة الناس

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة

فهرس الفرق والجماعات

الجماعة	الصفحة

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة